اسم کتاب: انسان العیون فی سیرة الامین المأمون

مؤلف: علی بن برهان الدین حلبی

موضوع تألیف: سیرت حضرت رسول

هذا كتاب انسان العيون

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يتضوع به اهل الحديث وصلاة وسلاما على من نزل عليه احسن الحديث وعلى آله واصحابه اهل التقدم في القديم والحديث
صلاة وسلاما دائمين ما ساقت الائمة في جمع سير المصطفى السير الحثيث وبعد فيقول افقر المحتاجين واحوج المستغفرين لعفو ذي
الفضل والطول المبين علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي ان سيرة المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام من اهم ما اهتم به العلماء الاعلام
وحفاظ ملة الاسلام كيف لا وهو الموصل لعلم الحلال والحرام والحامل على التخلق بالاخلاق العظام وقد قال الزهري في علم المغازي خير
الدنيا والآخرة وهو اول من صنف في السيرة قال بعضهم اول سيرة صنفت في الاسلام سيرة الزهري وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال كنا
نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه فيقول يا بني هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها واحسن ما الف في ذلك وتداولته
الاكياس سيرة الحافظ ابي الفتح بن سيد الناس لما جمع من تلك الدراري والدرر ومن ثم سماها عيون الاثر غير انه اطال بذكر الاسانيد
الذي كان للمحدثين به مزيد الاعتناء وعليه لهم كثير الاعتماد اذ هو من خصائص هذه الامة ومفاخر الائمة لكنه صار الان لقصور الهمم لا
تقبله الطباع ولا تمتد اليه الاطماع واما سيرة الشمس الشامي فهي وان اتى فيها بما يعد في صفائح وجبرة الصحائف حسنات لكنه اتى فيها بما
هو في اسماع ذوي الافهام كالعادات ولا يخفى ان السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع والمعضل دون
الموضوع ومن ثم قال الزين العراقي رحمه الله تعالى وليعلم الطالب ان السير تجمع ما صح وما قد انكرا وقد قال الامام احمد بن حنبل وغيره من
الائمة اذا روينا في الحلال والحرام شددنا واذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا وفي الاصل والذي ذهب اليه كثير من اهل العلم
الترخص في الرقائق وما لا حكم فيه من اخبار المغازي وما يجري مجرى ذلك وانه يقبل منها ما لا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق
الاحكام بها فلما رايت السيرتين المذكورتين على الوجه الذي لا يكاد ينظر اليه لما اشتملت عليه عن لسان الحق من تينك السيرتين ابو حما
يروق للاحداق ويحلو للاذواق بتراجم ما اضمر السير بين يدي المشايخ على غاية الانسجام ونهاية الانتظام ولا ذلت في ذلك اقدام
رجال واخوو وكوني لست من اهل هذا الشان ولا ممن يسابق في ميدانه على خيل الرهان حتى اشار علي بذلك وسلوك تلك المسالك
من اشارته واجبة الاتباع ومخالفة امره لا تستطاع ذو البديهة المطاوعة والفضائل البارعة والفواضل الكثيرة النافعة
من اذا سئل عن اي معضلة اشكلت عن ذوي المعرفة الوقوف ولا تزال تتوقف لا يخرج عن صوب الصواب ولا يتعسف ولا
اخذه كثير من الاوقات عن شيء من المغيبات وكاد ان يتخلف وهو الاستاذ الاعظم والملاذ الاكبر مولانا الشيخ ابو عبد الله

وابو

وابو المواهب محمد فخر الاسلام البكري الصديقي كيف لا وهو محمد نظر والده من نشر ذكره ملأ المشارق والمغارب وسرى سره في سائر
المساجد والمساجد بفضل الله والقائم بخدمته في الاسرار والاعلان والعارف به الذي علم بهما في انه القطب الفرد الجامع اتقان مولانا
الاستاذ ابو عبد الله ابو بكر محمد البكري الصديقي ولا بدع فانه نتيجة صدر العلماء العاملين واستاذ جميع الاساتذين والمعدود من
المجتهدين صاحب التصانيف المفيدة في العلوم العديدة مولانا الاستاذ محمد ابو الحسن تاج العارفين البكري الصديقي اعاد الله علي وعلى
احبائي من بركاتهم وجعلنا في الآخرة من جملة احبابهم فلما اشار علي ذلك الاستاذ بتلك الاشارة وددت انها من اعظم بشارة شرعت
معتمدا في ذلك على من يبلغ كل مؤمل امله ولم يخيب من قصده واملة وقد يسر الله ذلك على اسلوب لطيف ومسلك شريف لا تمله الاسماع ولا تنفر
منه الطباع والزيادة التي اخذتها من سيرة الشمس الشامي على سيرة ابي الفتح ابن سيد الناس الموسومة بعيون الاثر ان كثرت بينتها بقولي
في الغالب قلت في اولها انتهى في آخرها وان قلت اثبت بلفظ اي وجعلت في اخر القولة دائرة هكذا ○ بالحمرة وربما اقول في السيرة الشامية وربما عبرت
عن الزيادة القليلة بقال وعن الكثيرة باي وجعلت لفظ بعد تلك الدائرة فهو من الاصل اعني عيون الاثر غالبا وقد تكون زيادة على الاصل والشامي
كما يعلم بالوقوف عليهما وربما ميزت تلك الزيادة بما اقوله في السيرة الشامية بتقديم الهاء على الشين وحيث اقول في الاصل او ذكر في
الاصل او نحو ذلك فالمراد به عيون الاثر ثم عن لي ان اذكر من ابيات القصيدة الهمزية المنسوبة لعالم الشعراء وشاعر العلماء وهو الشيخ شرف
الدين البوصيري وناظم القصيدة المعروفة بالبردة ما تضمنته تلك الابيات واشارت اليه من تلك السيرة فانها اجلى في الاذواق و
ربما احل ذلك النظم بما يوضح معناه ويظهر تركيب مبناه وربما اذكر من ابيات شامية الامام السبكي ما ناسب المقام وربما اذكر ايضا بعض ابيات من
كلام صاحب الاصل من قصائده النبوية المجموعة بديوانه المسمى ببشرى اللبيب بذكرى الحبيب وقد سميت ذلك انسان العيون في سيرة الامين
المامون واسال من لا يسئل الا اياه ان يجعل ذلك وسيلة لرضاه امين

باب نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم

هو محمد بن عبد الله ومعنى عبد الله
الخاضع الذليل له تعالى وقد جاء احب اسمائكم عبد الله وعبد الرحمن وجاء احب الاسماء الى الله تعالى ما تعبد به وقد سمى صلى الله عليه وسلم
بعبد الله في القرآن قال الله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وعبد الله هذا هو بن عبد المطلب ويدعى بشيبة الحمد لكثرة حمد الناس له اي
لانه كان مفزع قريش في النوائب وملجاهم في الامور وكان شريف قريش وسيدها كمالا وفعالا من غير مدافع وقيل له شيبة الحمد لانه ولد وفي
راسه شيبة اي وفي لفظ كان وسط راسه ابيض وسمي بذلك تفاؤلا بانه يبلغ من الشيب قبل اسمه عامر وعاش مائة واربعين سنة اي وكان ممن حرم
الخمر على نفسه في الجاهلية وكان مجاب الدعوة وكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السماء لانه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في
رؤوس الجبال قال وكان من حلماء قريش وحكمائها وكان نديمه حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف والد ابي سفيان وكان في جوار
عبد المطلب يهودي فاغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من اسواق تهامة فاغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب
بذلك ترك منادمته ولم يفارقه حتى اخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفظا لجواره ثم نادم عبد الله بن جدعان التيمي
مخلصا وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب لما جاء به من المدينة صغيرا اردفه خلفه وكان بهيئة رثة اي ثياب خلقة فصار كل من يسال
عنه ويقول من هذا يقول عبدي اي حياء ان يقول ابن اخي فلما دخل مكة احسن من حاله واظهر انه ابن اخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب
اي وقيل لانه تربى في حجر عمه المطلب ... راو لاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقول
لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك فتفكر فقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن
باحسانه ويعاقب المسيء باساءته اي فالمظلوم شانه في الدنيا ذلك حتى اذا خرج من الدنيا ولم تصبه عقوبة فهي معدة له في الآخرة ورفض
في آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله وتؤثر عنه سنن جاء القرآن باكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح
المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموءودة وتحريم الخمر والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان كذا في كلام سبط بن الجوزي ابن
هاشم وهاشم هو عمرو والعلا اي هو لملوثيته وهو اخو عبد شمس وكانا توامين وكانت رجل هاشم اي اصبعها دم فكانوا يقولون

سيكون بينهما دم فكان بين والديهما اي بين بني العباس وبين بني امية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة ووقعت العداوة بين
هاشم وبين ابن اخيه امية بن عبد شمس لان هاشما لما ساد قومه بعد ابيه عبد مناف حسده امية ابن اخيه فتكلف ان يصنع كما يصنع هاشم
فعجز فعيرته قريش وقالوا اتتشبه بهاشم ثم دعى امية هاشما للمنافرة فابى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية انا
فرد على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي امية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكانت بعسفان
فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل ان يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر
وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم امية الى المفاخر فنفره هاشم على امية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل واطعم الناس
وخرج امية الى الشام فاقام بها عشر سنين فكانت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم وامية وتوارث ذلك بنوهما وكان يقال
لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح النضار اي الذهب ويقال لهم المجبرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب قال
بعضهم ولا يعرف بنو اب تباينوا في محال موتهم مثلهم فان هاشما مات بغزة مما يلي وعبد شمس مات بمكة وقبره باجياد ونوفل مات بالعراق
والمطلب مات بردمان ارض اليمن اي وقيل له هاشم لانه اول من هشم الثريد بعد جده ابرهيم فانه ابرهيم اول من فعل ذلك اي ثرد
الثريد واطعم المساكين وقيل ان اول من ثرد الثريد واطعم بمكة بعد ابرهيم جده هاشم ثم قصي فقصي الاتباع وقصي اول من ثرد الثريد
واطعم بمكة وقيل ابنه هاشم عمرو العلا اول من اطعم الثريد بمكة وسياتي ان اول من فعل ذلك عمرو بن لحي فلا تنافي لانه لا منافاة
لان الاولية في ذلك اضافية فاولية قصي لكونه من قريش واولية عمرو بن لحي لكونه من خزاعة واولية هاشم باعتبار شدة محل
حصلت لقريش والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله والمطعم في المحل عمرو العلا فللمسنتين بخصب عام وقال ايضا عمرو الندا والعلا
منذ السابقة من السحائب ولا دجيج غياهبه جفانه كالجوابي للوفود اذا لبوا بمكة ناداهم نادبه واحلوا المحصب امنها وقد تلبث
قوتا للحاضر منهم وباديه وقد قيل فيه نوفل الذي طلب السماحة والندا اهل الامروة بال عبد مناف الرايشون وليس يوجد رايش
والقايلون هلم للاضياف وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضي الله عنه
على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول يا ايها الرجل المحول رحله الا نزلت بال عبد الدار هبلتك امك لو نزلت بهم منعوك
من عدم ومن اقراف فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وقال اهكذا قال الشاعر فقال لا والذي بعثك بالحق لكنه -
قال يا ايها الرجل المحول رحله الا نزلت بال عبد مناف هبلتك امك لو نزلت بهم منعوك من عدم ومن اقراف الخالطين غنيهم
بفقيرهم كالكاف فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وكان هاشم بعد ابيه عبد مناف على
السقاية والوفادة فكان يحمل الطعام للحجاج بالحمل منه من لم يكن له سعة ولا زاد ويقال لذلك الوفادة فاتفق انه اصاب الناس سنة
جدب شديد فخرج هاشم الى الشام وقيل الى غزة لذلك وهو بغزة من الشام واشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم
الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدا واطعم الناس حتى اشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان يقال له ابو البطحا وسيد البطحا
قال بعضهم لم تزل مائدته منصوبة لم ترفع في السرا والضرا قال ابن الصلاح روينا عن الامام سهل الصعلوكي انه قال في قوله
صلى الله عليه وسلم فضل عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام اراد فضل ثريد عمرو العلا الذي عظم نفعه وقدره
وعم خيره دينه وبقي له ولعقبه ذكره ولقد ابعد سهل في تاويل الحديث والذي اراه معناه تفضيل الثريد من الطعام على باقي
الطعام لان ساير بمعنى باقي اي فالمراد ثريد لا خصوص ثريد عمرو العلا حتى يكون افضل من ثريد غيره وكان هاشم يحمل ابن
السبيل ويؤمن الخائف قال وقد ذكر انه كان اذا هل هلال ذي الحجة قام صبيحته واسند ظهره الى الكعبة من تلقا بابها ويخطب
ويقول في خطبته يا معشر قريش انكم سادة العرب واحسنها وجوها واعظمها احلاما اي عقولا واوسط العرب اي اشرفها
انسابا واقرب العرب بالعرب ارحاما يا معشر قريش انكم جيران بيت الله اكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بني

اسمعيل

اسمعيل وانه ياتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم اضيافه واحق من اكرم اضياف الله انتم فاكرموا اضيافه وزواره فانهم ياتون شعثا
غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح فاكرموا اضيافه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه وانا مخرج
من طيب مالي وحلالي ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل واسالكم بحرمة هذا
البيت ان لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا
يجتهدون في ذلك ويخرجونه من اموالهم ويضعونه في دار الندوة انتهى وقيل في تسميته بشيبة الحمد عبد المطلب غير ما تقدم فقد
قيل انما سمي شيبة الحمد عبد المطلب لان اباه هاشما قال للمطلب الذي هو اخوه هاشم وهو بمكة حين حضرته الوفاة ادرك عبدك
بيثرب شيبة الحمد فمن ثم سمي عبد المطلب كذا في المواهب وفيه نظر لما تقدم وفيه انه حكى غير واحد ان هاشما خرج تاجرا الى الشام
فنزل على عمرو من بني النجار بالمدينة فتزوج ابنته على شرط انها لا تلد ولدا الا في اهلها اي ثم مضى لوجهه قبل ان يدخل بها ثم انصرف
راجعا فبنى بها في اهلها ثم ارتحل بها الى مكة فلما اثقلت بالحمل خرج بها فوضعها عند اهلها بالمدينة ومضى الى الشام فمات بغزة و
قيل وعمره حينئذ عشرون سنة وقيل اربع وقيل خمس وعشرون سنة وولدت شيبة الحمد فمكث بالمدينة سبع سنين و
قيل ثمانية فمر رجل على غلمان يلعبون ينتضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا اصاب قال انا ابن سيد البطحا فقال له الرجل ممن
انت يا غلام قال انا شيبة بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا في الحجر فقص عليه ما راى فذهب
المطلب الى المدينة فلما راه عرف شبه ابيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه وفي لفظ انه عرفه بالشبه وقال
لمن كان يلعب معه هذا ابن هاشم قالوا نعم فعرفهم انه عمه فقالوا له ان كنت تريد اخذه فالساعة قبل ان تعلم به امه فانها ان علمت
حالت بينك وبينه فدعاه المطلب وقال يا ابن اخي انا عمك وقد اردت الذهاب بك الى قومك واناخ راحلته فجلس على
عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم امه حتى كان الليل فقامت تدعوه فاخبرت ان عمه قد ذهب به وكساه حلة يمانية ثم قدم به مكة
فقالت قريش هذا عبد المطلب اي فان هذا السياق يدل على ان عبد المطلب انما ولد بعد موت ابيه هاشم وكون عمه المطلب كساه حلة لا
ينافي ما سبق انه دخل به مكة رديفا بسوء خلقته لانه يجوز ان تكون هذه الحلة البسه اياها عند اخذه ثم نزعت عنه في السفر اي
او ان هذه الحلة انما اشتراها بمكة كما يصرح بكلام بعضهم وما وقع هنا من تصرف الراوي على انه يجوز ان يكون اشترى له حلتين واحدة
البسها له بالمدينة واخرى اشتراها بمكة فالبسها له وفي السيرة الهشامية ان ام عبد المطلب كانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها
حتى يشرطوا لها ان امرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته اي وانها لا تلد ولدا الا في اهلها كما تقدم وان عمه المطلب لما
جاء لاخذه قالت له لست بمرسلته معك فقال لها المطلب اني غير منصرف حتى اخرج به معي ان ابن اخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه
ونحن اهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير له من الاقامة في غيرهم فقال شيبة لعمه لست بمفارقها الا ان تاذن
لي فاذنت له ودفعته اليه فاحتمله فدخل على بعيره ويحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه اي
ظنا منهم انه اشتراه من المدينة فان الشمس اثرت فيه وعليه ثياب اخلاق فقال لهم ويحكم انما هو ابن اخي هاشم ولا يخالف هذا
ما سبق من انشاده يقول لمن ساله عنه من هذا فيقول عبدي لانه يجوز ان يكون بعض الناس قال من عند نفسه هذا عبد المطلب
ظنا منه وبعضهم ساله فاجابه بقوله هذا عبدي لما تقدم ولما دخل مكة قال لهم ويحكم الى اخره وهاشم بن عبد مناف وعبد مناف
اسمه المغيرة اي وكان يقال له قمر البطحا لحسنه وجماله وهذا هو الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجد
الرابع لعثمان بن عفان والجد التاسع لامامنا الشافعي رضي الله عنه ووجد كتابة بحجر انا المغيرة بن قصي اوصي قريشا بتقوى
الله جل وعلا وصلة الرحم ومناف اصله مناة اصل صنم كان اعظم اصنامهم وكانت امه جعلته خادما لذلك الصنم وقيل
وهبته له لانه كان اول ولد لقصي على ما قيل لان عبد مناف ابن قصي اي ويسمى قصي زيدا وعن امامنا الشافعي رضي الله عنه

انه اسعد بن زيد ويدعى مجمعا ايضا وقيل له قصي لانه قصي بعيدا عن عشيرته الى اخواله من كلب في ناحيتهم وقيل بعيدا الى قضاعة
مع امه لانها كانت منهم اقول لا منافاة لجواز ان تكون ام قصي من كلب وابوها من قضاعة وانها رحلت بعد موت زوجها الى بني
كلب ثم انها تزوجت من قضاعة ورحلت اليها وبعد قضاعة كانت جهة الشام فلا يخالف ما قيل له قصي لانه بعد مع امه الى الشام
لانها تزوجت بعد موت ابيه وهو فطيم بشخص يقال له ربيعة بن حرام وقيل حرام بن ربيعة العذري فرحل بها الى الشام وكان
قصي لا يعرف له ابا الا زوج امه المذكور فلما كبر وقع بينه وبين آل زوج امه شر او فاخر رجلا منهم فنضله قصي وعيره فغضب
ذلك الرجل وعير قصيا بالغربة وقال له الا تلحق بقومك وبلادك فانك لست منا وفي لفظ ما قيل له ذلك قال لمن انا قيل له سل امك
فسالها فقالت له بلادك خير من بلادهم وقومك خير من قومهم انت اكرم ابا منهم انت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام
تفد اليه العرب قيل للكاهنة وانك ستعز انك تلي امر ابيك فلما اراد الخروج الى مكة قالت له امه لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام
فتخرج مع حجاج قضاعة فاني اخاف عليك فخرج مع الحجاج فقدم قصي مكة على قومه مع حجاج قضاعة فعرفوا له فضله وشرفه فاكرموه
وقدموه عليهم فسادهم ثم تزوج بنت حليل بالحاء المهملة المضمومة الخزاعي وكان امر مكة والبيت اليه وهو اخر من ولي امر البيت والحكم
بمكة من خزاعة فجاءت منه باولاده الاربعة فلما انتشر ولده وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فراى قصي انه اولى بامر مكة من خزاعة
لان قريشا فرع آل اسماعيل من خزاعة فدعا قريشا وبني كنانة الى اخراج خزاعة من مكة فاجابوه الى ذلك وانضم اليهم قضاعة جاء بهم اخوه
لامه رزاح فنفى قصي بهم خزاعة وولي امر مكة وقيل ان حليلا جعل امر البيت لقصي ولا منافاة لجواز ان يكون خزاعة لم ترض بما فعله
حليل من ان يكون البيت لقصي فحاربهم واخرجهم من مكة وقيل ان حليلا اوصى بذلك لابي غبشان معتم العين المجهز بعد ان اوصى بذلك
لابنته زوج قصي وقالت له لا اقدر لي على فتح البيت وغلقه وان قصيا اخذ ذلك منه بزق خمر وقالت العرب اخسر صفقة من
ابي غبشان وقيل ان ابا غبشان اعطى ذلك لبنت حليل زوج قصي واعطاه قصي اثوابا وابعرة فكان ابو غبشان اخر من ولي امر
مكة من خزاعة ولا يخالف ذلك ما تقدم من ان حليلا اخر من ولي امر البيت والحكم بمكة لجواز ان يكون المراد اخر من ولي ذلك
واستمر كذلك الى ان مات في بعضهم وكان ابو غبشان خالا لقصي وكان في غفلة شيء فخدعه قصي فاشترى منه امر البيت بمكة
بازواد من الابل والجمع بين هذه الروايات من ان قصيا اخذ ذلك من ابي غبشان بزق خمر وبين انه اخذ ذلك باثواب و
ابعرة وبين انه اخذ ذلك بازواد من الابل ممكن لجواز ان يكون جمع بين الخمر والاثواب والابل ووقع الاقتصار على بعضها من بعض
الروايات تأمل ثم جمع قصي قريشا بعد تفرقها في البلاد وجعلها اثني عشر قبيلة كما سيأتي ومن ثم قيل له مجمع وفي كلام بعضهم ولذلك
سماه النبي صلى الله عليه وسلم مجمعا والى ذلك يشير قول الشاعر قصي لعمري كان يدعى مجمعا به جمع الله القبايل من فهر وهذا
البيت من قصيدة مدح بها عبد المطلب مدحه بها حذافة بن غانم وان ركبا من جذام فقدوا رجلا منهم غاله [illegible] بمكة فلقوا حذافة
فاخذوه فربطوه ثم انطلقوا به فلقيهم عبد المطلب مقبلا من الطائف معه ابنه ابو لهب يقوده وقد ذهب بصره فلما نظر اليه حذافة
عرفه فقال عبد المطلب لابي لهب ويلك ما هذا قال هذا حذافة بن غانم مربوط مع ركب قال الحقهم واسالهم ما شانهم فلحقهم فاخبروه
الخبر فرجع الى عبد المطلب فقال ما معك فقال والله ما معي شيء قال الحقهم لا ام لك واعطهم بيدك واطلق الرجل فلحقهم ابو لهب
فقال قد عرفتم تجارتي ومالي وانا احلف لكم لاعطينكم عشرين اوقية ذهبا وعشرا من الابل وفرسا وهذا ردائي رهنا بذلك
فقبلوا منه واطلقوا حذافة فاقبل به فلما سمع عبد المطلب صوت ابي لهب قال له انك لعاص ارجع لا ام لك قال يا ابتاه هذا
الرجل مطلقا فناداه يا حذافة اسمعني صوتك فقال ها انا ذا بابي انت يا ساقي الحجيج اردفني فاردفه خلفه حتى دخل مكة فقال حذافة
هذه القصيدة ومطلعها بني شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر وهي قصيدة جيدة فان قيل كيف قبل
القوم من ابي لهب رهن ردائه على ما ذكره لتاني ان يخلوا عن الرجل مع انه رداء لا يقع موقعا من ذلك اجيب بان سنة العرب في

مراتبهم ان الواحد منهم اذا رهن عن غيره ولو شيئا حقيرا على امر جليل لا يغدر بل يحرص على وفاء ما رهن عليه ومن ثم لما اجدبت ارض تميم
بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ذهب سيدهم حاجب بن زرارة والد عطارد رضي الله عنه الى كسرى لياخذ منه امانا لقومه لينزلوا
ريف العراق لاجل المرعى فقال له كسرى وانتم قوم غدر واخاف على الوفاء منكم فقال له حاجب انا ضامن ان لا يفعلوا فمن لي بان
ذلك فقال له كسرى ومن لي بوفائك قال لهذه قوسي رهنا فضحك كسرى وجلساؤه وضحكوا منه فقيل له لم تغدر العرب ولو ديهم
شيئا لا يبذلونه فلما اخصبت ارض تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم لما وفد اليه جماعة منهم واسلموا او اسلموا ومات حاجب
امر عطارد قومه بالذهاب الى بلادهم وجاء عطارد الى كسرى فطلب قوس ابيه فقال انك لم تسلم الي شيئا فقال ايها الملك اني
وارث له وقد وفينا بالضمان فان لم تدفع القوس الي صار عارا علينا وسبة فدفعها اليه وكساه حلة فلما وفد عطارد
على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم دفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وقال انما يلبس هذه الحلة من لا خلاق
له فكانت بنو تميم تعد ذلك القوس من مفاخرهم والى هذا اشار بعض الشعراء وقد احسن واجاد وتلطف بقوله تاهت علينا
بقوس حاجبها تيها تميم بقوس حاجبها وصار قصي رئيسا لقريش على الاطلاق حتى ازال بني خزاعة عن البيت واجلاهم من مكة
بعد ان يسلموا لقصي ولا يتركوا امر البيت فلم يجيزوا واما قول حليل ابو غبشان على ما تقدم وذلك بعد ان اقتتلوا اخر ايام بني بعد ان تعدوا وذكروهم
قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين الحدوا في الحرم بالظلم فابت خزاعة فاقتتلوا اقتتالا شديدا وكثر القتل والجراح
في الفريقين الا انه في خزاعة اكثر ثم تداعوا الى الصلح واتفقوا على ان يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا شريفا
فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال الا اني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين فلا تباعة لاحد
على احد في دم اي وقيل قضى بان كل دم اصابته قريش من خزاعة موضوع وان ما اصابته خزاعة من قريش فيه الدية وقضى لقصي بانه
اولى بولاية مكة ممن ولاها قبل وكان يعيش من دخل مكة من غيرها ان يجاوروه وكانت خزاعة قد ازالت بني جرهم عن ولاية البيت
فان مضاض بن عمرو الجرهمي هو الاكبر ولي امر البيت بعد نابت بن اسماعيل عليه الصلاة والسلام فانه كان جد نابت وغيره من
اولاد اسماعيل لامهم واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد اسماعيل في ذلك لخؤولتهم واعظاما لان يكون بمكة بغي
ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من دخلها من غير اهلها واكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها حتى ان الرجل منهم كان اذا اراد ان يزني
دخل البيت فزنى فيه فاجمعت اي عزمت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد ان سلط الله على جرهم دوابا تشبه النغف بالنون والغين
المعجمة والفاء وهو دود يكون في انوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشبان وقيل سلط الله عليهم
الرعاف فافنى غالبهم اي ويجوز ان يكون ذلك الدم ناشئا عن ذلك الدود فلا مخالفة وذهب من بقي الى اليمن مع عمرو بن الحرث
الجرهمي اخر من ملك امر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من امر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو ابياتا منها كان لم يكن
بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر وكنا ولاة البيت من بعد نابت نطوف بذلك البيت والخير ظاهر بلى نحن
كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والدهور البواتر ومن غرايب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت اكتب بين يدي الوزير
يحيى بن خالد البرمكي ايام الرشيد فاخذه النوم فنام برهة ثم انتبه مذعورا فقال الامر كما كان والله ذهب ملكنا وذل عزنا
وانقضت ايام دولتنا قلت وما ذاك اصلح الله الوزير قال سمعت منشدا انشدني كان لم يكن بين الحجون البيت واجبته من
غير روية بلى نحن كنا اهلها البيت فلما كان اليوم الثالث وانا بين يديه على عادتي اذ جاء انسان واكب عليه واخبره ان
الرشيد قتل جعفر الساعة قال او قد فعل قال نعم فما زاد ان رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة ومما يؤثر عن
يحيى هذا ينبغي للانسان ان يكتب احسن ما يسمع ويحفظ احسن ما يكتب ويحدث باحسن ما يحفظ وقال من لم يبت على سرور ولو علم بعد المصيبة لمات في
صارت خزاعة بعد جرهم ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم وكان كبير خزاعة عمرو بن لحي وهو ابن بنت عمرو بن الحارث الجرهمي

اخو ملوك جرهم المتقدم ذكره وقد بلغ عمرو بن لحي في العرب من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده في الجاهلية وهو اول
من اطعم الحج بمكة سدايف الابل ولحمانها على الثريد والسدايف جمع سديف وهو السنم وقد ذهب شرفه في العرب كل مذهب حتى
صار قوله دينا متبعا لا يخالف وفي كلام بعضهم صار عمرو للعرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم
الناس ويكسوهم في الموسم وربما نحر في الموسم عشرة الاف بدنة وكسى عشرة الاف حلة وهو اول من غير دين ابرهيم عليه
الصلوة والسلام اي فقد قال بعضهم تظافرت نصوص العلماء على ان العرب من عهد ابرهيم عليه الصلوة والسلام استمرت
على دينه من رفض عبادة الاصنام الى زمن عمرو بن لحي فهو اول من غير دين ابرهيم وشرع للعرب الضلالات وعبد الاصنام
وسيب السايبة وبحر البحيرة وقيل اول من بحر البحيرة رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع اذنيهما وحرم البانهما فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته في النار تخبطانه باخفافهما وتعضانه بافواههما وعمرو اول من وصل الوصيلة
وحمى الحامي ونصب الاصنام حول الكعبة واتى بهبل من ارض الجزيرة ونصبه في بطن الكعبة وكانت العرب تستقسم عنده بالازلام على ما
سياتي وهو اول من ادخل الشرك في التلبية فانه كان يلبي بتلبية ابرهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وهي لبيك اللهم لبيك
لا شريك لك لبيك فعند ذلك تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك قال له الشيخ الا
شريكا هو لك فانكر عمرو ذلك فقال له ذلك الشيخ تملكه وما ملك وهذا لا باس به فقال ذلك عمرو وتبعته العرب على ذلك
اي يوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه اصنامهم ويجعلون ملكها بيده قال تعالى توبيخا لهم وما يؤمن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون وهو اول من احل ايضا اكل الميتة فان كل القبائل من ولد اسمعيل لم تزل تحرم اكل الميتة حتى جاء عمرو بن لحي
فزعم ان الله تعالى لا يرضى تحريم اكل الميتة قال كيف لا تاكلون ما قتل الله وتاكلون ما قتلتم وروى البخاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رايت جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت عمرو يجر قصبه في النار وفي رواية امعاءه وهي المرادة بالقصب بضم القاف
وفي رواية رايته يؤذي اهل النار ريح قصبه ويقال للامعاء الاقتاب واحدها قتب بكسر القاف وسكون التاء الفوقية اخره
باء موحدة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يجيء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه في النار اي تخرج
بسرعة وقال صلى الله عليه وسلم لاكثم ابن الجون الخزاعي واسمه عبد العزى واكثم بالثاء المثلثة وهو في اللغة واسع البطن
يا اكثم رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فما رايت رجلا اشبه من رجل منك به ولا بك منه فقال اكثم اخشى ان يضرني شبهه
يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر انه اول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان اي دين اسمعيل هو دين ابرهيم عليهما السلام
فان العرب من عهد ابرهيم استمرت على دينه لم يغيره احد الى عهد عمرو المذكور وفي كلام بعضهم ان اكثم هذا هو ابو معبد زوج
ام معبد التي مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهجرة واكثم هذا هو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايت الدجال فاذا هو اشبه الناس بك اكثم بن عبد العزى فقال اكثم اي ضرني شبهي اياه فقال لا انت مؤمن وهو كافر ورده
ابن عبد البر حيث قال الحديث الذي فيه ذكر الدجال لا يصح انما يصح ما فيه ذكر عمرو بن لحي وانما كان عمرو بن لحي اول
من نصب الاوثان لانه خرج من مكة الى الشام في بعض اموره فراى بارض البلقاء العماليق ولد عملاق بن لاوذ بن سام
بن نوح وراهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه الاصنام تعبدونها فقالوا هذه اصنام نعبدها نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم افلا
تعطوني منها صنما فاسير به الى ارض العرب فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه في بطن الكعبة على بير بها
وامر الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل اذا قدم من سفر بدا به قبل اهله بعد طوافه بالبيت وحلق راسه عنده وكان عند
هبل سبع قداح قدح فيه مكتوب صريح العقد اذا اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به فعلى من خرج حمله وقدح فيه نعم وقدح فيه لا و
ذلك الامر الذي يريدونه وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق من غيركم اذا اختلفوا في ولد هل هو منهم او لا وقدح فيه مياه

وقدح فيه مياه اذا ارادوا ارضا يحفرونها للماء وكان هبل من العقيق على صورة انسان وعاش عمرو بن لحي هذا ثلثمائة سنة
واربعين سنة وراى من ولده وولد ولده الف مقاتل وملك هو وولده من بعده خمسمائة سنة وكان اخوهم حليل الذي تزوج قصي بنته
كما تقدم وقيل كان لعمرو تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة وات منها بالالهة التي كانت تعبد في زمن نوح وهي ود وسواع و
يغوث ونسر فذهب فاتى بها الى مكة ودعى الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام في العرب فكان ود وسواع لهمدان وقيل
لهذيل ويغوث لمذحج بالذال المعجمة على وزن مسجد ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وقيل لهمدان ونسر لحمير اي وكان هؤلاء على صورة
عباد ماتوا فحزن اهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين مثالهم في صفر ونحاس ليستانسوا بهم فجعلوها في مؤخر المسجد فلما هلك
اهل ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه الهتكم تعبدونها ثم ان الطوفان دفنها في ساحل جدة فاخرجها اللعين وفي كلام
بعضهم ان ادم كان له خمسة اولاد صلحاء هم ود وسواع ويعوق ويغوث ونسر فمات ود فحزن الناس عليه حزنا شديدا واجتمعوا حول
قبره لا يكادون يفارقونه وذلك بارض بابل فلما راى ابليس ذلك من فعلهم جاء اليهم في صورة انسان وقال لهم هل لكم ان اصور لكم
صورته اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصور لهم صورته ثم صار كلما مات واحد منهم صور صورته وسموا تلك الصور باسمائهم
ثم لما تقادم الزمن وتناسب الاباء والابناء وابناء الابناء قال لمن حدث بعدهم ان الذين كانوا قبلكم يعبدون هذه الصور
فعبدوها فارسل الله نوحا فنهاهم عن عبادتها فلم يجيبوه لذلك وكان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق
فاول ما احدث عبادة الاصنام في قوم نوح جاء رسل الله اليهم ينهاهم عن ذلك ويقال ان عمرو بن لحي هو الذي نصب على ساحل
البحر تماثيل تعبد وكانت الازد يحجون اليه ويعظمونه وكذلك الاوس والخزرج وغسان وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في تفسيره
لبعض الايات القرانية عند قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض الاية ان اصل وضع الاصنام انما هو من قوم التنزيه من
العلماء الاقدمين فانهم نزهوا الله عز وجل عن كل شيء وامروا بذلك عامتهم فلما راوا ان بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا
لهم الاصنام وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذي غاب عن عقولهم وغاب عن اولئك
العلماء ان ذلك لا يجوز الا باذن من الله تعالى هذا كلامه وكان في زمن جرهم فجر رجل يقال له اساف بامراة يقال لها نايلة في
جوف الكعبة اي قبلها فيها كما في تاريخ الازرقي وقيل زنى بها فمسخهما حجرين فاخرجا منها ونصبا على الصفا والمروة ليكونا عبرة فلما كان
عمرو بن لحي اخذهما عمرو ونصبهما حول الكعبة اي على زمزم وجعلا في وجهها وصار من يطوف يتمسح بهما يبدا باساف ويختم بنايلة
وذلك قبل ان يقدم عمرو بهبل وبتلك الاصنام وكانت قريش تذبح ذبايحها عندهما وذكر انه صلى الله عليه وسلم لما كسر نايلة
عند فتح مكة خرج منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتنادي بالويل والثبور وكان عمرو يخبر قومه بان الرب يشتو بالطايف عند اللات ويصيف
عند العزى فكانوا يعظمونها وكانوا يهدون الى العزى كما يهدون الى الكعبة وقصي هو الذي امر لقريش ان يبنوا بيوتهم داخل
الحرم حول البيت وقال لهم ان فعلتم ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم فبنوا حول البيت من جهاته الاربع وجعلوا ابوابهم
جهته لكل بطن منهم باب ينسب اليه كباب بني شيبة وباب بني سهم وباب بني مخزوم وباب بني جمح وتركوا قدر الطواف بالبيت
بنى قصي دار الندوة هي اول دار بنيت بمكة واستمر الامر على انه ليس حول الكعبة الا قدر المطاف وليس حوله جدار الى زمنه صلى الله
عليه وسلم وزمن ولاية الصديق رضي الله عنه فلما كان زمن ولاية عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اشترى تلك الدور من
اهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم لما كان زمن ولاية عثمان اشترى دورا اخر واغلى في ثمنها وهدمها وزاد في سعة
المسجد ثم ان ابن الزبير زاد في المسجد زيادة كثيرة ثم ان عبد الملك بن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة
ولم يزد فيه شيئا ثم ان الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل اليه اعمدة الرخام ثم زاد فيه المهدي والامين والرشيد ترتيبا واستقر
بناؤه على ذلك الى الان وكانت قريش قبل ذلك اي قبل بنائهم في الحرم يحرمون الحرم لا يبنون به ليلا واذا اراد احدهم

فقضى حاجة الانسان خرج الى الحل وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة اذا اراد حاجة الانسان خرج الى المغمس وكسر الميم
انفح من فتحها وهو على ثلثين فرسخ من مكة وهابت قريش قطع شجر الحرم الذى فى منازلهم التى بنوها فقد كان بمكة شجر كثير من العضاه
والسلم وشكوا ذلك الى قصى فامرهم بقطعها فهابوا ذلك فقالوا انكره ان تؤذى العرب انا استخففنا بحرمنا فقال قصى انما تقطعونه لتتخذ لكم
وما تريدون به فسادا فجعل البراى هنته على من اراد فسادا فقطعها قصى بيده وبيد اعوانه وفى كلام السهيلى عن الواقدى الاصح ان قريشا
حين ارادوا البنيان قالوا لقصى كيف نصنع فى شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك فكان احدهم يحوف البنيان حول الشجر
حتى تكون فى منزله قال واول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان لكنه جعل فداء كل شجرة
بقرة وبذلك قال الجمع وانزل قصى القبائل من قريش نواحى مكة بطاحها وظواهرها اى فانه جعلها اثنى عشر قبيلة كما تقدم ومن ثم قيل لمن سكن
البطحا قريش البطاح ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر والاولى اشرف من الثانية ومن الاولى بنو هاشم والى ذلك يشير صاحب الاصل
فى وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله من بنى هاشم بن عبد مناف وبنو هاشم بجاد الجاه من قريش البطاح من عرفا الناس لم تفضلهم بغير امتراء
وقال بعضهم كان قصى اول رجل من بنى كنانة اصاب ملكا ولما حضر الحج قال لقريش قد حضر الحج وقد بلغت العرب ما صنعتم
وهم لكم معظمون ولا اعلم مكرمة عند العرب اعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجا ففعلوا فجمع من ذلك شيئا كثيرا فلما
جاء اوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزورا ونحر بمكة وجعل الثريد واللحم وسقى الماء المحلى بالزبيب وسقى اللبن وهو اول
من اوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة المزدلفة وقال بعض قصى من اكرم لئيما اشركه فى لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى
قبحه ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود العدو الخفى ولما احتضر قال لاولاده اجتنبوا الخمرة
فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وحاز قصى شرف مكة فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة
وكان عبد الدار اكبر اولاده وعبد مناف اشرفهم اى لانه شرف فى زمان ابيه قصى وذهب شرفه كل مذهب وكان يليه فى الشرف اخوه
المطلب كان يقال لهما البدران وكانت قريش تسمى عبد مناف الفياض لكثرة جوده فاعطى قصى ولده عبد الدار جميع ذلك الوظائف
التى هى السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة اى فانه قال له اما والله يا بنى لالحقنك بالقوم يعنى اخويه عبد مناف
والمطلب وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له اى بسبب الحجابة للبيت ولا يعقد لقريش لواء لحربها
الا انت بيدك اى وهذا هو المراد باللواء ولا يشرب رجل من مكة الا من سقايتك وهذا هو المراد بالسقاية ولا ياكل احد من اهل
الموسم الا من طعامك اى وهذا هو المراد بالرفادة ولا تقطع قريش امرا من امورها الا فى دارك يعنى دار الندوة اى ولا يكون احد
قايد القوم الا انت وذلك بسبب القيادة فلما مات عبد الدار واخوه عبد مناف اراد بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب
ونوفل اخوهم لاب دام انهم عاتكة بنت مرة ونوفل اخوهم لابيهم امه واقدة بنت حرمل ان ياخذوا تلك الوظائف من بنى عمهم عبد الدار
واجمعوا على المحاربة اى واخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لاحلافهم فى المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم ايديهم
فيها وتعاقدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بايديهم توكيدا على انفسهم فسموا المطيبين اى اخرجتها لهم ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب
عمة النبى صلى الله عليه وسلم وتوءمة ابيه فوضعتها فى الحجر وقالت من تطيب بهذا فهو منا فتطيب منها بنو عبد مناف بنو زهرة و
بنو اسد بن عبد العزى وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر فالمطيبون من قريش خمس قبائل وتعاقد بنو عبد الدار هم واحلافهم وهم
بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف لتحالفهم بعد ان اخرجوا
جفنة مملوءة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من ادخل يده فى دمها فهو منا فصاروا يغمسون ايديهم فيها فسموا لعقة الدم وقيل الذى
لعقوا الدم فسموا لعقة الدم بنو عدى خاصة ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة والقيادة لبنى عبد مناف والحجابة
واللواء لبنى عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وتحالفوا على ذلك هذا والذى رايته فى المشرق فيما يحاضر به من الادب

المشرق

المشرق ولما شرف عبد مناف بن قصى فى حياة ابيه وذهب شرفه كل مذهب وكان قصى يحب ابنه عبد الدار واراد ان يبنى له ذكرا
فاعطاه الحجابة ودار الندوة واللواء واعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة وجعل عبد الدار الحجابة لولده عثمان وجعل
دار الندوة لولده عبد مناف بن عبد الدار ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ثم وليها ولده من بعده والسقاية
كانت حياضا من ادم توضع بفناء الكعبة وربما قذف فيها التمر والزبيب فى غالب الاحوال لسقى الحجاج ايام الموسم حتى يتفرقوا
وهذه السقاية قام بها وبالرفادة بعد عبد مناف ولده هاشم وبعده ولده عبد المطلب وكان شريفا مطاعا جوادا كانت قريش
تسميه الفياض لكثرة جوده فلما كبر عبد المطلب فوض اليه امر السقاية والرفادة فلما مات وثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف
وغصبه اركاحا اى افنية ودورا فسال عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فابوا وقالوا لا ندخل بينك و
بين عمك فكتب الى اخواله بنى النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل فلما وقف ابو اسعد بن عدى بن النجار على كتابه بكى
وسار من المدينة فى ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل فقال لا والله حتى القى نوفلا
فقال تركته بالحجر جالسا فى مشايخ قريش فاقبل ابو اسعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال يا ابا اسعد انعم الله صباحا فقال له
ابو اسعد لا انعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن اختى اركاحه لاملان منك هذا
السيف فقال لقد رددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فاقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع اى الى
المدينة ولما جرى ذلك حالف نوفل وبنوه اخاه بنى عبد شمس وحالفت بنو هاشم خزاعة على بنى نوفل وبنى عبد شمس اى فان
خزاعة قالت نحن اولى بنصرة عبد المطلب لان عبد مناف جد عبد المطلب امه حبى بنت حليل سيد خزاعة كما تقدم فقالوا لعبد المطلب
ثم تحالفوا فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات
عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة وما اشرقت الشمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما اقام
الاخشبان واعتمر بمكة والمراد من ذلك الابد وعبد المطلب هو الذى حفر زمزم صار يتعهد الماء منها لتلك الاحواض ويقذف فيها
التمر والزبيب ثم بعده قام بها ولده ابو طالب ثم اتفق ان ابا طالب املق اى افتقر فى بعض السنين فاستدان من اخيه العباس
عشرة الاف درهم الى الموسم الاخر فصرفها ابو طالب فى الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن
مع ابى طالب شئ فقال لاخيه العباس اسلفنى اربعة عشر الفا ايضا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال له العباس بشرط ان لم تعطنى
تترك السقاية لى اكفكها فقال نعم فلما جاء العام الاخر لم يكن مع ابى طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية فصارت الى
العباس ثم لولده عبد الله بن عباس واستمر ذلك فى بنى العباس الى زمن السفاح ثم تركت بنو العباس ذلك والرفادة اطعام
الحجيج ايام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصى تخرج من اموالها فى كل موسم فتدفعه الى قصى فيصنع به طعاما
للحاج ياكله من لم يكن معه سعة ولا زاد كما تقدم حتى قام بها بعده ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعد هاشم ولده
عبد المطلب ثم ولده ابو طالب وقيل ولده العباس ثم استمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده ثم استمر ذلك فى
الخلفاء بعدهم الى ان انقرضت الخلافة من بغداد ثم من مصر واما القيادة وهى امارة الركب فقام بعد عبد مناف ولده عبد شمس
ثم كانت بعد عبد شمس لابنه امية ثم لابنه حرب ثم لابنه ابى سفيان فكان يقود الناس فى غزواتهم فقاد الناس يوم احد ويوم الاحزاب
ومن ثم لما قال الوليد بن عبد الملك لخالد بن يزيد بن معاوية لست فى العير ولا فى النفير قال له ويحك العير والنفير وعتبى ابى
وعاى لان المجيبة ما يجعل بن الشاب جدى ابو سفيان صاحب العير وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ودار الندوة كانت
قريش تجتمع فيها للمشاورة فى امورها ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم
يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وتنقلب بها فتحجب وهذه كانت سنة قصى وكان لا ينكح رجل امراة من

من قريش الا في دار قصي التي هي دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها ولا تدرع جارية من قريش الا في تلك الدار فيشق عنها درعها
ويدرعها بيده ثم كانت قريش بعد موت قصي يتبعون ما كان عليه في حياته كالدين المتبع ولا زالت هذه الدار في يد بني عبد الدار الى
ان صارت الى حكيم بن حزام فباعها في الاسلام بمائة الف درهم فلامه عبد الله بن الزبير وقال ابعت مكرمة ابائك وشرفهم فقال حكيم
ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة الف واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فاينا المغبون
قيل وقصي هو جماع قريش فلا يقال لاحد من اولاده من فوقه قرشي وينسب هذا القول لبعض الرافضة وهو قول باطل لانه يوصل
الى ان لا يكون سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما من قريش فلا حق لهما في الامامة العظمى التي هي الخلافة لقوله صلى الله
عليه وسلم لقريش انتم اولى الناس بهذا الامر ما كنتم مع الحق الا ان تعدلوا عنه لانهما لم يلتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم الا فيما
بعد قصي لان ابا بكر رضي الله عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في مرة كما سيأتي لان تيم بن مرة وبين تيم وابا بكر خمسة اباء وعمر رضي الله
عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في كعب كما سيأتي وبين عمر وكعب سبعة اباء وقصي بن كلاب اي واسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب
لانه كان يحب الصيد واكثر صيده كان بالكلاب فهو الجد الثالث لامنة امه صلى الله عليه وسلم ففي كلاب يجتمع نسب ابيه وامه
ابن مرة وهو الجد السادس لابي بكر رضي الله تعالى عنه والامام مالك رضي الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد
الذي هو مرة ايضا ابن كعب وهو الجد الثامن لعمر رضي الله تعالى عنه وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة اي يوم الجمعة الذي
هو يوم الجمعة ويقال انه اول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه اليه لكن في الحديث كان اهل الجاهلية يسمون يوم الجمعة
العروبة واسمه عند الله يوم الجمعة قال ابن دحية ولم تسم العروبة يوم الجمعة الا مذ جاء الاسلام وسيأتي في ذلك كلام
فكانت قريش تجتمع الى كعب ثم يعظهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده ويامرهم باتباعه فيقول
سيأتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد ابياتا اخرها على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر بذلك وكان بينه وبين بعثته
صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة وفي الامتاع وعشرون سنة فان الحق ان الخمسمائة والستون انما هي بين موت
كعب والفيل الذي هو مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابو نعيم في الدلائل النبوية وقيل ان كعبا اول من قال اما بعد فكان يقول
اما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج ونهار ساج والارض مهاد والسماء بناء والجبال
اوتاد والنجوم اعلام والاولون كالاخرين فصلوا ارحامكم واحفظوا اصهاركم وثمروا اموالكم لمعادكم [illegible]
اي قيل له كعب لعلوه وارتفاعه لان كل شيء علا وارتفع فهو كعب ومن ثم قيل للكعبة كعبة لعلوها وارتفاعها ثم ارخوا بعام
الفيل بموت عبد المطلب وكعب ابن لؤي اي بالهمز اكثر من عدمها اي وهو تصغير لاي ابن غالب ابن فهر سماه ابوه فهرا وقيل هو
لقب واسمه قريش والمناسب ان يكون لقبا لقولهم انما سمي قريشا لانه كان يقرش اي يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله
كان بنوه يقرشون اهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا قال بعضهم وهو جماع قريش عند الاكثر قال الزبير
ابن بكار واجمع النسابون من قريش وغيرهم على ان قريشا انما تفرقت على فهر وفهر هذا هو الجد السادس لابي عبيدة ابن الجراح ولما
جاء حسان ابن عبد كلال من اليمن في حمير وغيرهم لاخذ احجار الكعبة الى اليمن ليبني بها بيتا ويحج الناس اليه ونزل بنخلة خرج
فهر اليه فقاتله بعد ان جمع قبائل العرب فقاتله واسره وانهزم من حمير وانهزم اليهم واستمر حسان في الاسر ثلاث سنين ثم افتدى
نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا امره ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب قليل ما في
يديك اغنى لك من كثير ما اخلق وجهك وان صار اليك وفهر هو ابن مالك قيل له ذلك لانه ملك العرب ابن النضر اي ولقب به
لنضارته وحسنه وجماله واسمه قيس وهو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لاحد من اولاده من فوقه قرشي ويقال لكل من اولاده
الذين منهم مالك واولاده قرشي فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قريش فقال من ولد النضر اي وعلى الاول

جماع قريش فهو ما تقدم فمالك واولاده والنضر جده واولاده ليسوا من قريش والنضر ابن كنانة وقيل له كنانة لانه لم يزل في كن
من قومه وقيل لستره على قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد ان خروج
نبي من مكة يدعى احمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا
اي تكذبوا ما جاء به فهو الحق قال ابن دحية كان كنانة يأنف ان يأكل فاذا لم يجد احدا اكل لقمة ورمى لقمة الى صخرة بين يديه انفة من
ان يأكل وحده ومما يؤثر عنه رب صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر وكنانة ابن خزيمة
ابن مدركة ومدركة اسمه عمرو وقيل له مدركة لانه ادرك كل فخر وعز كان في ابائه وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي ولعل المراد ظهوره فيه مدركة ابن الياس بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة ايضا وقيل همزة وصل وينسب للجمهور وقيل سمي بذلك
لان اباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه الياس وعظم امره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه
وسيد عشيرته وكانت لا تقضي امرا دونه وهو اول من اهدى البدن الى البيت واول من ظفر بمقام ابراهيم عليه الصلوة والسلام
لما غرق البيت في زمن نوح عليه السلام فوضعه في زاوية البيت كذا في حيوة الحيوان فليتأمل وجاء في حديث لا تسبوا الياس
فانه كان مؤمنا وقيل له جماع قريش اي فلا يقال لاولاده من فوقه قرشي وكان الياس يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم
المعروفة في الحج قيل وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وهو اول من مات بعلة السل فلما مات حزنت عليه زوجته
خندف حزنا شديدا ولم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت ومن ثم قيل لاولاده بنو خندف والياس ابن مضر قيل وهو جماع قريش
فلا يقال لاولاده من فوقه مضر قرشي ففي جماع قريش خمسة اقوال قيل قصي وقيل فهر وقيل النضر وقيل الياس وقيل مضر ويقال له
مضر الحمراء لانه اقتسم هو واخوه ربيعة مال والدهما اعني نزارا فاخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء واخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل
ربيعة الفرس وجاء في حديث لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين اي وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان على ملة ابراهيم
وفي حديث غريب لا تسبوا مضر فانه كان على دين اسمعيل ومما حفظ عنه من يزرع شرا يحصد ندامة اي وسيأتي في بنيان
الكعبة انهم وجدوا فيها كتابا بالسريانية من جملته كتاب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة الى اخر ما يأتي
وعن ابي عبيدة البكري ان قبر مضر بالروحاء بذي الروحاء على ليلتين من المدينة والله اعلم وكان مضر من احسن الناس صوتا وهو
اول من حدا للابل فانه وقع فانكسرت يده فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وقيل
اول من حدا للابل عبد الله ضرب مضر يده ضربا وجيعا فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من مرعاها اي لان الحداء ينشط
الابل لا سيما ان كان بصوت حسن فانها عند سماعه تمد اعناقها وتصغي الى الحادي وتسرع في سيرها وتستخف الاحمال الثقيلة
فربما قطعت المسافة البعيدة في زمن قصير وربما اخذت ثلاثة ايام في يوم واحد وفي ذلك حكايات مشهورة لا حاجة لذكرها وذكر
ائمتنا انه مستحب وفي الاذكار للامام النووي باب استحباب الحداء للسرعة في السير وتنشيط النفوس وترويحها وتسهيل السير عليها
بذلك احاديث كثيرة مشهورة ومضر بن نزار يكنى النوف كان يرى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو اول من كتب
الكتاب العربي على الصحيح والامام احمد بن حنبل رضي الله عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد الذي هو نزار بن معد
بن عدنان هذا هو النسب المجمع عليه في نسبه صلى الله عليه وسلم عند العلماء بالانساب ومن ثم لما قال فقهاؤنا شرط الامام
الاعظم ان يكون قرشيا فان لم يوجد قرشي جامع للشروط التي ذكروها فكناني قال بعضهم وقياس ذلك انه يقال ان لم
يوجد كناني فخزيمي فان لم يوجد خزيمي فمدركي فان لم يوجد مدركي فياسي فان لم يوجد ياسي فمضري فان لم يوجد مضري
فنزاري فان لم يوجد نزاري فمعدي فان لم يوجد معدي فعدناني فان لم يوجد عدناني فمن ولد اسمعيل لان من فوق عدنان
لا يصح فيه شيء ولا يمكن حفظ النسب فيه الى اسمعيل وقيل له معد لانه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل

ولم يحارب احد الا رجع بالنصر والظفر قال بعضهم ولا يخرج عربي في الانساب عن عدنان وقحطان قيل وولد عدنان يقال لهم قيس وولد
قحطان يقال لهم يمن ولما سلط الله بخت نصر على العرب بضر على العرب امر الله تعالى ارميا ان يحمل معد بن عدنان على البراق كيلا تصيبه
النقمة وقال فاني ساخرج من صلبه نبيا كريما اختم به الرسل ففعل ارميا ذلك واحتمله معه الى ارض الشام فنشا مع بني اسرائيل ثم عاد بعد
ان هدات الفتن اي بوت بخت نصر وكان عدنان في زمن عيسى عليه الصلوة والسلام وقيل في زمن موسى عليه الصلوة والسلام قال الحافظ
بن حجر وسواله اي ونما يضعف الاول ما في الطبراني عن ابي امامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما بلغ
ولد معد بن عدنان اربعين رجلا وقعوا في عسكر موسى عليه الصلوة والسلام فانتهبوه فدعى عليهم موسى عليه الصلوة والسلام
فاوحى الله اليه لا تدع عليهم فان منهم النبي الامي البشير النذير الحديث اذ يبعد بقا معد الى زمن عيسى ومعلوم انه لا خلاف في ان
عدنان من ولد اسمعيل نبي الله ارسل الله الى جرهم والى العماليق والى قبايل اليمن فهو من ابيه ابرهيم وكذا بعث اخوه اسحق الى
اهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حيوة ابرهيم فكانوا انبيا على عهد ابرهيم عليه الصلوة والسلام وذكر بعضهم
ان من العماليق فرعون موسى عليه الصلوة والسلام ومنهم الريان ابن الوليد فرعون يوسف عليه الصلوة والسلام وكان اسمعيل
بكر ابيه جاله وقد بلغ ابوه من العمر سبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة ولد بين الملتزم والباب وكان بين عدنان وبين
اسمعيل اربعون ابا وقيل سبعة وثلاثون وفي النهر لابن حيان ان ابرهيم هو الجد الحادي والثلاثون لنبينا صلى الله عليه و
سلم هذا كلامه ولا يخفى ان اسمعيل اول من تسمى بهذا الاسم من بني ادم ومعناه بالعبرانية مطيع الله واول من تكلم بالعربية
اي البينة الفصيحة والا فقد تعلم اصل العربية من جرهم ثم الهمه الله العربية الفصيحة البينة فنطق بها وفي الحديث اول من
فتق لسانه بالعربية البينة اسمعيل وهو ابن اربع عشرة سنة وفي كلام بعضهم لما خرج ابرهيم بهاجر وولدها اسمعيل الى مكة على
البراق واحتمل معه قربة ماء ومزود ابنه فلما انزلهما بها وولى راجعا تبعته هاجر وهي تقول اتتركنا ان تدعني وهذا الصبي في
هذا المحل الموحش الذي ليس به انيس قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ولا زالت تاكل من التمر وتشرب من الماء الى ان نفد الماء الحديث
مكان انزالهما بموضع الحجر وذلك لمضي ماية سنة من عمر ابرهيم عليه الصلوة والسلام وكون ابرهيم اول من تكلم بالعربية البينة
لا ينافي ما قيل اول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان وقحطان اول من قيل له ابيت اللعن واول من قيل له عم صباحا ويعرب هذا
قيل له يمن لان هودا نبي الله قال له انت ايمن ولدي وسمي اليمن يمنا لنزوله به وهو اول من قال الشعر والرجز وقيل سمي
يمنا لانه على يمين الكعبة وقيل اول من كتب الكتاب العربي اسمعيل والصحيح ان اول من كتب ذلك نفر من بني معد كما تقدم وكذا كون
اسمعيل اول من تكلم بالعربية البينة لا ينافي ما قيل ان اول من تكلم بالعربية ادم في الجنة فلما اهبط الى الارض تكلم بالسريانية
قيل وسميت سريانية لان الله تعالى علمها ادم سرا من الملائكة وانطقه بها واول من كتب الكتاب العربي والفارسي والسرياني
والعبراني وغيرها من بقية الاثني عشر كتابا وهي الحميري واليوناني والرومي والقبطي والبربري والاندلسي والهندي
والصيني ادم كتبها في طين وطبخه فلما اصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فاصاب اسمعيل الكتاب العربي اي و
اما ما جا اول من خط بالقلم ادريس فالمراد به خط الرمل وفي كلام بعضهم اول من تكلم بالعربية المحضة وهي عربية قريش
التي نزل بها القران اسمعيل واما عربية قحطان وحمير فكانت قبل اسمعيل ويقال لمن يتكلم بلغة هولا العرب العاربة ويقال
لمن يتكلم بلغة اسمعيل العرب المستعربة وهي لغة الحجاز وما والاها وجا من احسن ان يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية
فانه يورث النفاق وقد ذكر بعضهم ان اهل الكهف كلهم اعجام ولا يتكلمون الا بالعربية وانهم يكونون وزرا المهدي و
اشتهر على السنة الناس انه صلى الله عليه وسلم قال انا افصح من نطق بالضاد قال جمع لا اصل له ومعناه صحيح لان المعنى انا
افصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد في غير لغتهم واسمعيل اول من ركب الخيل وكانت وحوشا اي غير

قيل لها

قيل لها العراب لعلها سبابان وقد قال صلى الله عليه وسلم اركبوا الخيل فانها ميراث ابيكم اسمعيل وفي رواية اوحى الله تعالى
الى اسمعيل اذا خرج الى اجياد الموضع المعروف سمي بذلك لانه قتل فيه مائة رجل من العمالقة من جياد الرجال فادع بالكنز
فخرج الى اجياد فالهمه الله تعالى دعا فدعى به فلم يبق على وجه الارض فرس بارض العرب الا جاءته وامكنته من نواصيها و
ذللها الله تعالى له فاركبوها فان علفوها وانها مباركين وهي ميراث ابيكم اسمعيل وقد ذكر الحافظ السيوطي ان له كتابا في الخيل سماه
جر الذيل في علم الخيل وفي العرايس ان الله لما اراد ان يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائي
ومذلة على اعدائي وجمالا لاهل طاعتي فقالت افعل ما تشاء فقبض قبضة فخلق فرسا فقال لها خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا
بناصيتك والغنايم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطيرين بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب وعن
وهب انه قيل لسليمان صلوات الله وسلامه عليه ان خيلا بلقا لها اجنحة تطير بها وترد ماء كذا فقال للشياطين علي بها فصبوا في العين
التي ترد منها خمرا فشربت فسكرت فربطوها وساسوها حتى تانست قيل ويجوز ان يكون من تلك الخيل الفرس الذي قيل عنه صلى الله
عليه وسلم انه بعث به اليه الدنيا على فرس ابلق جاء به جبريل عليه السلام وجاء ان الله لما عرض على ادم عليه السلام كل شيء
مما خلق قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا ابد الابدين و
دهر الداهرين وهذا صريح في ان الخيل خلقت قبل ادم عليه السلام وقد سيل الامام السبكي هل خلقت الخيل قبل ادم او بعده
وهل خلقت الذكور قبل الاناث او الاناث قبل الذكور فاجاب بانا نختار ان خلق الخيل قبل ادم لان الدواب خلقت يوم
الخميس وادم خلق يوم الجمعة بعد العصر وان الذكور خلقت قبل الاناث لامرين احدهما ان الذكر اشرف من الانثى والثاني حرارة
الذكر اقوى من الانثى ولذلك كان خلق ادم قبل حوا انتهى ملخصا وقد ذكر السهيلي ان في الفرس عشرين عضوا كل عضو منها
يسمى باسم طاير ذكرها وبينها الاصمعي فمنها النسر والنعامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصقر و
الصرد وقالوا في الحيوان اعضاء باردة يابسة كالعظام تنظر السوداء واعضاء باردة رطبة كالدماغ تنظر البلغم
واعضاء حارة يابسة كالقلب تنظر الصفراء واعضاء حارة رطبة كالكبد تنظر الدم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يكن شيء احب اليه بعد النساء من الخيل وجاء من ليلة الا والفرس يدعو فيها ويقول رب انك سخرتني
لابن ادم وجعلت رزقي في يده اللهم فاجعلني احب اليه من اهله وولده وقيل لبعض الحكماء اي المال اشرف قال فرس
تتبعها فرس وفي بطنها فرس ومن ثم قيل ظهر الخيل حرز وبطنها كنز وفي الحديث لما اراد ذو القرنين ان يسلك في الظلمة
الى عين الحيوة سال اي الدواب في الليل ابصر قالوا الاناث ابصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة الاف فرس كذلك
واعطى الله اسمعيل القوس العربية وكان لا يرمي شيا الا اصابه وفي الحديث ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا اي
قال ذلك لجماعة مر عليهم وهم ينتضلون فقال حسن هذا اللهو مرتين او ثلاثا وزاد في بعض الروايات ارموا وانا مع بني فلان فامسك
الفريق الاخر فقال لهم ما لكم لا ترمون فقالوا يا رسول الله كيف نرمي وانت معهم اذا ينضلونا فقال ارموا وانا معكم
كلكم اخرجه البخاري في صحيحه زاد البيهقي في دلائل النبوة فرموا عامة يومهم ذلك ثم تفرقوا على السوا ما نضل بعضهم بعضا
وقد جاء احب اللهو الى الله اجرا الخيل والرمي ارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا وجاء احب اللهو الى الله تعالى
اجرا الخيل والرمي وجاء كل شيء يلهو به الرجل باطل الا رمي الرجل بقوسه او تاديبه فرسه او ملاعبته امراته فانهن
من الحق وجاء علموا اولادكم السباحة والرمي وفي رواية الرماية وفي رواية علموا بنيكم الرمي فانه نكاية العدو
وقد جاء تعلموا الرمي فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة وقد ورد من حق الولد على الوالد ان يعلمه الكتابة
والسباحة والرمي وجاء من تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا وفي رواية فهو نعمة جحدها قال الحافظ السيوطي والاحاديث

المتعلقة بالرمي كثيرة قال وقد الفت كتابا في الرمي سميته غرس الانشاب في الرمي بالنشاب وفي العرايس كان اسمعيل مولعا بالصيد
مخصوصا بالقنص والفروسية والرمي والصراع والرمي سنة اذا نوى به التاهب للجهاد لقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من
قوة وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي على حد قوله الحج عرفة والا فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في الاية واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة قال الرمي والسيوف والسلاح ونقل الحافظ السيوطي على ما ذكره الطبري والمسعودي في تاريخهما ان اول
من عمل القوس العربية ادم عليه الصلوة والسلام وذلك لما امره الله تعالى بالزراعة حين اهبط من الجنة وزرع ارسل الله تعالى
له طائرين يخرجان ما يبذره وياكلانه فشكى الى الله ذلك فهبط عليه جبريل عليه السلام وبيده قوس ووتر وسهمان فقال ادم ما
هذا يا جبريل فاعطاه القوس فقال هذه قوة الله واعطاه الوتر وقال هذه شدة الله واعطاه السهمين وقال هذه نكاية الله
وعلمه الرمي بهما فرمى الطائرين فقتلهما وجعلهما يعني السهمين عدة في غربته وانسا عند وحشته ثم صار القوس العربية الى
ابرهيم عليه الصلوة والسلام ثم الى ولده اسمعيل وهو يدل على ان قوس ابرهيم هي القوس التي هبطت على ادم من الجنة وانه ذخرها
لابرهيم وهو خلاف قول بعضهم انها غيرها اهبطت الى ابرهيم من الجنة فاجاب الحافظ السيوطي بقوله راجعت تاريخ الطبري في تاريخ
ادم وابرهيم عليهما الصلوة والسلام فلم اجده فيه ولا استبعد صحته فان الله تعالى علم ادم علم كل شيء وذكر ابن ابي الدنيا
ذكر في كتاب الرمي من طريق كتاب الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال اول من عمل القسي ابرهيم عمل لاسمعيل
ولاسحق قوسين فكانا يرميان بهما وتقدم ان اسحق جاء لابرهيم بعد اسمعيل بثلاث عشرة وقيل باربع عشرة سنة
او حملت به امه سارة في الليلة التي خسف الله بقوم لوط فيها ولها من العمر تسعون سنة وفي جامع ابن شداد يرفعه
كان اللواط في قوم لوط في النساء قبل الرجال باربعين سنة ثم استغنى النساء بالنساء والرجال بالرجال فخسف الله
بهم قيل ولا يعمل عمل قوم لوط من الحيوان الا الحمار والخنزير وكان اول من اتخذ القوس من الفارسية نمرود قلنا ما الجمع و
ثم يقال لا منافاة لجواز ان يكون ابرهيم اول من عمل القسي بعد ذهاب تلك القوس فالاولية اضافية ومعلوم ان
اسمعيل ابن ابرهيم خليل الله عليهما الصلوة والسلام اي ولم يبعث بشريعة مستقلة من العرب بعد اسمعيل الا محمد
صلى الله عليه وسلم واما خالد بن سنان وان كان من ولد اسمعيل على ما قيل قال بعضهم لم يكن في بني اسمعيل نبي غيره
قبل محمد صلى الله عليه وسلم الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى عليه الصلوة والسلام اي وكان
بينه وبين عيسى ثلثمائة سنة وخالد هذا هو الذي اطفا النار التي خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب
ان تعبدها كالمجوس كان يرى ضوؤها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض فلا يجد شيئا
الا اكله فامر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت اخذ خالد بن سنان
يضربها ويقول بدا بدا كل هدى مؤدى وهي تتاخر حتى نزلت الى البئر فنزل الى البئر خلفها فوجد كلابا تحتها فضربها وضرب النار
حتى اطفاها ويذكر انه كان السبب في خروجها فانه لما دعى قومه وكذبوه وقالوا انما تخوفنا بالنار فان تسلط علينا هذه الحرة
نارا اتبعناك فتوضا ثم قال اللهم ان قومي كذبوني ولم يؤمنوا بي الا ان تسلط هذه الحرة نارا فارسلها عليهم نارا فخرجت فقالوا
يا خالد ارددها فانا مؤمنون بك فردها انتهى وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل راسه في جيبه فيجيء المطر ولا
ينقطع الا ان رفع راسه قيل وقدمت ابنته وهي عجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير واكرمها وبسط لها
رداءه وقال لها مرحبا بابنة اخي مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه فاسلمت وهذا الحديث مرسل ورجاله ثقات وفي البخاري
انا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والاخرة وليس بيني وبينه نبي قال بعضهم ويرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان
وقد يقال المراد صلى الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي ياتي بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا ما علمته

لزمان

لزمان بشريعة مستقلة ولاجل ما جاء في رواية اخرى ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ولاما في كلام البيضاوي تبعا للكشاف من انه بين عيسى
ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان وبعده حنظلة بن صفوان ارسله
الله تعالى لاصحاب الرس بعد خالد بمائة سنة لانه يجوز ان يكون كل من هؤلاء الثلاثة لم يبعث بشريعة مستقلة بل كان مقررا لشريعة
عيسى او يكون كخالد بن سنان والرس البئر الغير المطوية اي الغير المبنية كذا في الكشاف والذي في القاموس كالصحاح المطوية بحجر
باسفل حجر فانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها اي وحين دسوه فيها غار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست اشجارهم وانقطعت ثمارهم
بعد ان كان ماؤها يرويهم ويكفي ارضهم جميعا وتبدلوا بعد الانس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لانهم كانوا ممن يعبد الاصنام اي و
قد كان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذي عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض على صبيانهم فيخطفهم اذا اعوزه الصيد وكان اذا خطف
احدا منهم اغرب به اي ذهب به الى جهة المغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه به الى جهة المغرب عنقاء مغرب فشكوا ذلك الى حنظلة فدعا على
تلك العنقاء فارسل الله عليها صاعقة فاهلكتها ولم تعقب فكان جزاؤه منهم ان قتلوه وفعلوا به ما تقدم وذكر بعضهم ان حنظلة هذا
كان من العرب من ولد اسمعيل ايضا ثم رايت ابن كثير ذكر ان حنظلة هذا كان قبل موسى وانه ذكر ان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه فتحت تستر المدينة المعروفة وجدوا تابوتا وفي لفظ سريرا عليه دانيال عليه السلام ووجدوا طول انفه شبرا وقيل ذراعا ووجد
عند راسه مصحفا فيه ما يحدث الى يوم القيامة وان من وفاته الى ذلك اليوم ثلثمائة سنة قال ان كان تاريخ وفاته القدر المذكور
فليس بنبي بل هو رجل صالح لان عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي بنص الحديث في البخاري اقول قد
علمت الجواب عن ذلك بان المراد بالنبي الرسول وعن ان هذا يبعده عطف الرسول على النبي المتقدم ذكره في بعض الروايات الا ان يجعل من عطف التفسير
والله اعلم والفترة التي كانت بينهما اربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة وقيل بزيادة عشرين قالت عائشة رضي الله عنها ما وجدنا احدا يعرف
ما وراء عدنان ولا قحطان الا تخرصا اي كذبا لان الخراص الكذاب كذا قيل اقول لعل المراد بالكذب الغير المقطوع بصحته لان الخرص حقيقة
الحدس والتخمين وكل من تكلم كلاما بناه على ذلك قيل له خراص ثم قيل للكذاب خراص توسعا وحينئذ كان القياس ان يقال الا خرصا
اي حدسا وتخمينا وعلى هذا كانت الصديقة رضي الله عنها اردفت المبالغة للتنفير عن الخرص في ذلك والله اعلم وعن عمرو بن العاص رضي الله
تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم انتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ثم قال فمن قال غير ذلك اي فمن زاد على ذلك فقد كذب اقول المنفي
الكذب على ما زاد كنانة الى عدنان يخالف ما سبق من ان المجمع عليه الى عدنان الا ان يقال لا يخالفه لانه يجوز ان يكون عمرو بن العاص لم يسمع
ما زاد على النضر بن كنانة الى عدنان مع ذكره صلى الله عليه وسلم له الذي سمعه غيره وفي اطلاقه الكذب على ذلك التاويل السابق و
اخرج الجلال السيوطي في الجامع الصغير عن البيهقي انه صلى الله عليه وسلم انتسب فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الى ان
قال ابن نضر بن نزار وهذا هو الترتيب المالوف وهو الابتداء بالاب ثم بالجد ثم باب الجد وهكذا وقد جاء في القران على خلافه
في قوله تعالى حكاية عن يوسف واتبعت ملة ابائي ابرهيم واسحق ويعقوب قال بعضهم والحكمة انه لم يرد ذكر الاباء وانما ذكرهم
ليذكر ملتهم التي اتبعها فبدا بصاحب الملة ثم بمن اخذها عنه اولا اولا على الترتيب والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان بن ادد ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين او ثلاثا قال البيهقي
والاصح ان ذلك اي قوله كذب النسابون من قول ابن مسعود اي لا من قوله صلى الله عليه وسلم اقول والدليل على ذلك ما جاء كان
ابن مسعود اذا قرا قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب
النسابون يعني الذين يدعون علم الانساب ونفى الله علمه عن العباد ولا مانع ان يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم اولا
ثم تابعه ابن مسعود عليه وقد يقال هذه الرواية تقتضي ان الزيادة على المجمع عليه واما النقص عنه اي بزيادة ادد او نقص عدنان
فهي مخالفة لما قبلها وفي كلام بعضهم ان بين عدنان وادد ويقال عدنان ابن اد بن ادد وقيل له ادد لانه كان مد بالصوت وكان

طويل العمر والشرف وقيل هو اول من تعلم الكتابة والعربية من ولد اسمعيل وتقدم ان الصحيح ان اول من كتب نزار وانظر هل يشكل على ذلك
ما رواه الهيثم ابن عدي ان الناقل لهذه الكتابة يعني العربية من الحيرة الى الحجاز حرب بن امية بن عبد شمس وقد يقال الاولية اضافية
اي من قريش وعدنان سمي بذلك قيل لان اعين الانس والجن كانت اليه ناظرة قال بعضهم اختلف الناس فيما بين عدنان واسمعيل
من الاباء فقيل سبعة وقيل تسعة وقيل خمسة عشر وقيل اربعون والله اعلم قال الله عز وجل وقرونا بين ذلك كثيرا اي لا يكاد يحاط بها
وقد جاء كان ما بين ادم ونوح عشرة قرون وبين نوح وابرهيم عشرة قرون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان مدة الدنيا اي من ادم
سبعة الاف سنة اي وقد مضى منها قبل وجود النبي صلى الله عليه وسلم خمسة الاف سنة وسبعمائة واربعون سنة وعن ابن خيثمة و
ثمانمائة سنة وفي كلام بعضهم من خلق ادم الى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خمسة الاف سنة وثمانمائة سنة وثلاثون سنة وقد جاء
عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق صحاح انه قال الدنيا سبعة ايام كل يوم الف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر يوم
منها وفي كلام الحافظ السيوطي دلت عليه الاحاديث والاثار على ان مدة هذه الامة تزيد على الالف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة
سنة اصلا وانما تزيد بنحو اربعمائة سنة تقريبا وما اشتهر على السنة الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره اكثر من الف سنة
باطل لا اصل له هذا كلامه وقوله لا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة هل يخالفه ما اخرجه ابو داود لمن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني
خمسمائة سنة وفي كلام بعضهم قد اكثر المنجمون في تقدير مدة الدنيا فقال بعضهم عمرها سبعة الاف سنة بعدد النجوم السيارة اي وهي
سبعة وبعضهم اثنا عشر الف سنة بعدد البروج وبعضهم ثلثمائة الف سنة وستون الفا بعدد درجات الفلك وكلها تحكمات عقلية
لا دليل عليها وفي كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي اكمل الله خلق المولدات من الجمادات والنبات والحيوان بعد انتهى خلق العالم الطبيعي باحد
وسبعين الف سنة ثم خلق الله الدنيا بعد ان انقضى من مدة خلق العالم الطبيعي اربع وخمسون الف سنة ثم خلق الله الاخرة
يعني الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة الاف سنة ولم يجعل الله الجنة والنار امدا ينتهي اليه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى
طينة ادم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبع عشرة الف سنة ومن عمر الاخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية الاف سنة وخلق الله
الجان في الارض قبل ادم بستين الف سنة اي ولعل هذا هو المعنى بقول بعضهم خلق الله قبل ادم خلقا في صورة البهائم ثم اماتهم
قيل وهم الجن والبن والطم والرم والحس والبس فسدوا في الارض وسفكوا الدماء كما سياتي قال الشيخ محيي الدين وقد طفت
بالكعبة مع قوم لا اعرفهم فقال لي واحد منهم اما تعرفني فقلت لا قال انا من اجدادك الاول فقلت له كم لك منذ مت قال لي بضع واربعون
الف سنة فقلت له ليس لادم هذا القدر من السنين فقال لي عن اي ادم تقول عن هذا الاقرب اليك او عن غيره فتذكرت حديثا روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق مائة الف ادم فقلت قد يكون ذلك الجسد الذي نسبني اليه من اولئك والتاريخ في ذلك مجهول
مع حدوث العالم بلا شك هذا كلامه وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني فكان وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه يقول سال بنو اسرائيل
المسيح عليه الصلوة والسلام ان يحيي لهم سام ابن نوح عليهما السلام فقال ائتوني قبره فوقف على قبره وقال يا سام قم باذن الله تعالى
فقام واذا راسه ولحيته بيضا فقال انك مت وشعرك اسود فقال لما سمعت النداء ظننت انها القيامة فشاب راسي ولحيتي الان فقال
له عيسى عليه الصلوة والسلام كم لك من السنين ميتا قال خمسة الاف سنة الى الان لم تذهب عني حرارة طلوع روحي وسبب الاختلاف
فيما بين عدنان وادم ان قدماء العرب لم يكونوا اصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من بعض ولعله لا
يخالفه ما تقدم من ان اول من كتب نزار او نذر وفي كلام سبط ابن الجوزي ان سبب الاختلاف المذكور اختلاف اليهود فانهم
اختلفوا اختلافا متفاوتا فيما بين ادم ونوح وفيما بين الانبياء من التبيين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو شاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يعلمه لعلمه اي ان يعلم ذلك الناس لعلمهم وهذا اولى من يعلمه بفتح الياء وسكون العين وذكر ابن الجوزي
ان بين ادم ونوح شيث وادريس وبين نوح وابرهيم هود وصالح وبين ابرهيم وموسى بن عمران اسمعيل واسحق ولوط

وهو ابن اخي ابرهيم وكان كابن لابرهيم وشعيب وكان يقال له خطيب الانبياء ويعقوب ويوسف ولد يوسف ليعقوب وله من العمر احدى
وتسعون سنة وكان فراقه ليوسف وله من العمر ثماني عشرة سنة وبقيا متفرقين احدى وعشرين سنة وبقيا مجتمعين بعد ذلك
بسبع عشرة سنة هذا وفي الاتفاق القي يوسف في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة ولقي اباه بعد الثمانين وعاش مائة وعشرين سنة
وكان كابن العزيز قيل وسبب العزقة بين سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف ان سيدنا يعقوب ذبح جديا بين يدي امه فلم يرض الله له ذلك
فاداه الله ذهاب دم وفرقة بفرقة وهو فرقة موسى بن منشا وبين موسى بن عمران وهو اول انبياء بني اسرائيل وداود ويوشع وكان
يوشع كهرون يكتب لموسى ويذكر انه مما اوصى به داود ولده سليمان لما استخلفه يا بني اياك والمزاح فان نفعه قليل ويهيج العداوة
بين الاخوان اي ومن ثم قيل لا تمازح الصبيان فتهون عليهم ولا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك
ولكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وقد قيل المزاح يذهب المهابة ويورث الضغينة وقيل اكثر اسباب القطيعة المزاح وقد قيل
من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به او حقد عليه واقطع طمعك من الناس فان ذلك هو الغنى واياك وما يعتذر منه من القول او
الفعل وعود لسانك الصدق والزم الاحسان ولا تجالس السفهاء واذا غضبت فالصق نفسك بالارض اي وقد جاء في الحديث
اذا جهل على احدكم جاهل فان كان قائما جلس وان كان جالسا فليضطجع ومن مات من الانبياء داود وولده سليمان وابرهيم
الخليل ثم بعد يوشع كالب بن يوقنا وهو خليفة يوشع ثم حزقيل وهو خليفة كالب ويقال له ابن العجوز لان امه سالت الله ان يرزقها
ولدا بعد ما كبرت وعقمت فجاءت به وهو ذو الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وانجاهم من القتل ثم الياس ثم طالوت الملك اي فان
شمويل عليه الصلوة والسلام لما حضرته الوفاة سأله بنو اسرائيل ان يقيم فيهم ملكا فاقام فيهم طالوت ملكا ولم يكن من احيائهم بل كان
راعيا وقيل سقاء وقيل غير ذلك وبين داود وعيسى وهو اخر انبياء بني اسرائيل ايوب ثم يونس ثم شعيب ثم ارميا ثم زكريا ويحيى وفي النهر
لابي حيان في تفسير قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل كان بينه وبين عيسى من الرسل يوشع وشمويل و
شمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير اي وهو من ولد هرون بن عمران وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وكان
بين موسى وعيسى الف نبي هذا كلامه وكان يحيى يكتب لعيسى وتقدم الكلام على من بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومما يدل على شرف
هذا النسب وارتفاع شانه وفخامته وعلو مكانته ما جاء عن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال قيل يا رسول الله قتل فلان
لرجل من ثقيف فقال ابعده الله انه كان يبغض قريشا وفي جامع الصغير قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما ان الطعام لا
يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن ارادها بسوء خزي في الدنيا والاخرة وعن سعد بن ابي وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش اهانه الله تعالى انتهى اي واشد الاهانة ما كان في الاخرة وحينئذ اما
ان يراد بالارادة العزم والتصميم او المراد المبالغة ويكون ذلك من خصائص قريش فلا ينافي ان حكم الله المطرد في عدله ان لا يعاقب
على مجرد الارادة انما يعاقب فيما بني على الافعال والاقوال الواقعة او ما هو منزل منزلة الواقعة كالتصميم فان من خصائص هذه
الامة عدم مؤاخذتها بما تحدث به نفسها وعن ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضل قريشا اي ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم
والسقاية فيهم ونصروا على الفيل اي على اصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة
من القران لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش وتسميته لايلاف قريش سورة يردها قيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة
واحدة ولينظر ما معنى عبادتهم الله تعالى دون غيرهم في تلك المدة وعن انس رضي الله تعالى عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وعن
ابي هريرة رضي الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم في قريش
اي وقال الائمة من قريش وقد جمع الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش

وفي الحديث عالم قريش يملأ طباق الارض علما وفي رواية لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما وفي رواية اللهم اهد قريشا
فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة من الائمة منهم الامام احمد هذا العالم هو الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه لم ينتشر في طباق
الارض من علم عالم قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي في كلام بعضهم ليس في الائمة المتبوعين في الفروع قرشي غيره
وغير الامام مالك بن انس من قريش ويجاب بانه انما يكون قرشيا على القول الباطل من ان جماع قريش قصي وقد ذكر ابن السبكي انهم
ذكروا ان من خواص الشافعي من بين الائمة ان من تعرض اليه او الى مذهبه بسوء او نقص هلك قريبا واخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه
وسلم من اهان قريشا اهانه الله هذا كلامه قال الحافظ العراقي اسناد هذا الحديث يعني لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض
علما لا يخلو من ضعف وقد بردّ ما زعم الصغاني من انه موضوع وحاشى الامام احمد ان يحتج بحديث موضوع او يستانس به على فضل
الشافعي وقال ابن حجر الهيتمي هو حديث معمول به في مثل ذلك اي في المناقب فزعم وضعه حسد او غلط فاحش اي حسن الربيع قال رايت
في المنام كأن ادم مات فسالت عن ذلك فقيل له هذا موت اعلم اهل الارض لان الله تعالى علم ادم الاسماء كلها فما كان الا يسيرا
حتى مات الشافعي رضي الله عنه وقد اثر عن امامنا الشافعي رضي الله عنه من اطراك في وجهك بما ليس فيك فقد شتمك ومن نقل اليك
نقل عنك ومن نم عندك نم بك ومن اذا ارضيته قال فيك ما ليس فيك اذا اسخطته قال فيك بما ليس فيك قال صلى الله عليه وسلم
قدموا قريشا ولا تقدموها اي لا تتقدموها وفي رواية ولا تعلموها اي لا تغالبوها بالعلم ولا تكاثروها فيه وفي رواية ولا تعلموها
او لا تجعلوها في المقام الادنى الذي هو مقام التعلم بالنسبة للمعلم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا قريشا فانه من احبهم احبه الله
وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل وفي السنن المأثورة عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه
رواية المزني انه قال الطحاوي بالمنهم قال حدثنا المزني قال حدثنا الشافعي ان قتادة بن النعمان وقع بقريش وكانه قال منهم رجال
اذا رايتهم لولا ان تطغى قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله تعالى اي لولا انها اذا علمت ما لها عند الله تعالى من الخير المدخر لها
تركت العمل بل ربما ارتكبت ما لا يحل اتكالا على ذلك لاعلمتها به لكن في رواية لاخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب وهذا دليل
على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا ايها الناس ان قريشا اهل امانة من بغاها العوا
ثرى من طلب لها المكايد اكبه الله لمنخريه اي اكبه على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وعن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه انه كان بالمسجد فمر
على سعيد بن العاص فسلم عليه فقال له والله اي يا ابن اخي ما قتلت اباك يوم بدر وكان اكون اعتذر من قتل مشرك فقال له سعيد
العاص لو قتلته كنت على الحق وكان على الباطل فعجب عمر من قوله فقال قريش افضل الناس احلاما واعظم الناس امانة ومن
يرد بقريش سوءا يكبه الله لفيه هذا كلامه والذي قتل العاص والد سعيد علي بن ابي طالب وقيل سعد بن ابي وقاص رضي الله
عنه فعن سعد ابن وقاص قال قتلت يوم بدر العاص واخذت سيفه ذا الكتيفة وقال صلى الله عليه وسلم شرار قريش خيار
شرار الناس وشرار قريش شرار الناس اي ولعله سقط من هذه الرواية مثل شرار الثانية لفظ خيار لتوافق الرواية قبلها
المقتضي لذلك المقام ويحتمل ابقاء ذلك على ظاهره لانهم متى بعدوا عنهم فكانوا الشرار الاشرار ويكون هذا المراد بوصفهم
بانهم خيار شرار الناس ثم رايت في كتاب السنن المأثورة عن امامنا الشافعي رضي الله عنه رواه المزني عنه خيار قريش
خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفي الحديث قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم و
من ثم قال الطحاوي قريش اهل امانة هكذا قرأه علينا المزني احدا اما انه اي بالنون وانما هو اهل امانة اي بالميم وفي كلام فقهائنا
قريش قطب العرب وفيهم الفتوة ومما يدل على شرف هذا النسب ايضا ما جاء عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى
اختار العرب على الناس واختارني على من انا منه من اولئك العرب وما جاء عن واثلة بن الاسقع رضي الله تعالى عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني

من بني هاشم اقول وجاء بلفظ اخر عن واثلة بن الاسقع وهو ان الله اصطفى من ولد ابرهيم واتخذه خليلا واصطفى من ولد
ابرهيم اسمعيل ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزارا ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من ولد مضر كنانة ثم اصطفى من ولد كنانة قريشا
ثم اصطفى من ولد قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب والله اعلم قال وفي رواية
ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم و
اصطفاني من بني هاشم وما جاء عن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام فقال لي
يا محمد ان الله بعثني فطفت شرق الارض وغربها وسهلها وجبلها فلم اجد حيا خيرا من مضر ثم امرني فطفت في مضر فلم اجد حيا خيرا
من كنانة فطفت في كنانة فلم اجد حيا خيرا من قريش ثم امرني فطفت في قريش فلم اجد حيا خيرا من بني هاشم ثم امرني اختار في انفسهم
اي اختار نفسا من انفسهم فلم اجد نفسا خيرا من نفسك انتهى اي وفي الوفا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى لقد جاءكم
رسول من انفسكم قال ليس من العرب قبيلة الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم مضرها وربيعها ويمانيها قال وعن ابن عمر رضي الله
تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني ادم واختار من بني ادم العرب واختار
من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار الى خيار انتهى وقوله واختار
من مضر قريشا يدل على ان مضر ليس جماع قريش والا لكانت اولاد كلها قريشا وعن ابي هريرة رضي الله عنه يرفعه بسند حسنه
الحافظ العراقي ان الله حين خلق الخلق بعث جبريل عليه السلام فقسم الناس قسمين قسم العرب قسما وقسم العجم قسما وكانت خيرة
الله تعالى في العرب ثم قسم العرب قسمين قسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وكانت خيرة الله تعالى في مضر وقسم مضر قسمين فكانت
قريش قسما وكانت خيرة الله تعالى في قريش ثم اخرجني من خير من انا منه قال بعضهم وما جاء في فضل قريش فهو ثابت لبني هاشم والمطلب لانهم
اخص وما ثبت للاعم يثبت للاخص ولا عكس وفي الشفا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله سبحانه وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب
اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني من خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى فاصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا من السابقين
وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله
ولا فخر وجعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا ولا فخر فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية هذا كلام
الشفا فليتأمل والى هذا النسب يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله وبدا للوجود منك كريم من كريم اباؤه كرماء نسب تحسب العلا
بحلاه قلدتها نجومها الجوزاء حبذا عقد سودد وفخار انت فيه اليتيمة العصماء اي اظهر لهذا العالم منك كريم اي جامع لكل صفة كمال
وهذا على حد قولهم لي من فلان صديق حميم وذلك الكريم الذي ظهر وجد من اب كريم سالم من نقص الجاهلية اباؤه الشامل للامهات
جميعهم كرماء اي سالمون من نقائص الجاهلية اي مما يعد في الاسلام نقصا من اوصاف الجاهلية وهذا النسب لاجل عزه وجلاله
اذا تاملته تظن بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليها جعلت الجوزاء نجومها التي يقال لها نطاق الجوزاء قلادة لتلك المعالي وهذه
القلادة نعم هي قلادة سيادة وتمدح موصوفه بانك في تلك القلادة الدرة اليتيمة التي لا مشابه لها المحفوظة عن الاعين لجلالتها
لا يقال شمول الاباء للامهات لا يناسب قوله نسب لان النسب الشرعي في الاب خاصة لانا نقول المراد بالنسب ما يعم اللغوي او يقال
سلامة ابائه من النقائص انما هو من حيث ابوته اي كونه متوترا عنه وذلك يستلزم ان تكون امهاته كذلك وسياق لم ازل انتقل
من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وسياق الكلام على ذلك مستوفى ونقل الماوردي في كتاب النبوة واذا اختبرت
حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة اباء كرام ليس فيها مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف
النسب وطهارة المولد من شروط النبوة هذا كلامه ومن كلام عمه يعني ابا طالب اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها

وجيهها وان حصلت انساب عبد مناف فهاشم اشرافها وقديمها وان فخرت يوما فان محمدا هو المصطفى سرها وكريمها بالرفع عطفا على المصطفى
وسر القوم وسطهم وناشرف القوم قومه واشرف القبائل قبيلته واشرف الافخاذ فخذه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن سلمان رضي الله تعالى عنه قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله تعالى قال تبغض العرب فتبغضني
وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وفي الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي قال الترمذي هذا حديث غريب
وقال صلى الله عليه وسلم الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وقال صلى الله عليه وسلم احب العرب لثلاث
لاني عربي والقران عربي وكلام اهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد يوم القيمة بيدي وانا اقرب الخلق من لوائي يومئذ
العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وفي كلام بعضهم انما العرب اولى الامم لانهم المخاطبون اولا والدين
عربي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو
عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق ادم الا كنت في خيرهما انتهى وفي لفظ اخر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقني جعلني من خير خلقه ثم حين خلق القبايل جعلني من خيرهم قبيلة وحين
خلق الانفس جعلني من خير انفسهم ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وانا خيرهم نسبا وفي لفظ اخر عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا ثم جعل الثلث قبايل
فجعلني في خيرها قبيلة ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وتقدم عن الشفا شيء من ذلك مع زيادة الاستدلال بالايات وتقدم الامر
بالتامل في ذلك والله اعلم وفيما تقدم ورد النهي في الاحاديث الكثيرة عن الانتساب الى الاباء في الجاهلية على سبيل الافتخار من ذلك
لا تفتخروا باباءكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده ما يدحرج الجعل بانفه خير من اباءكم الذين ماتوا في الجاهلية اي والذي
يدحرجه الجعل هو النتن وجاء في الحديث ليدعن الناس فخرهم في الجاهلية او ليكونن ابغض الى الله من الخنافس وجاء اثر الحسب الفخر
اي عادته الشرف بالاباء والتعاظم بذلك [illegible] واجاب الامام الحليمي بانه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك الفخر اي ومن ثم جاء في بعض
الروايات قوله ولا فخر انما اراد تعريف منازل اولئك ومراتبهم اي هو من التعريف بما يجب اعتقاده وان لزم منه الفخر او هو اشارة
الى نعمة الله تعالى عليه فهو من التحدث بالنعمة وان لزم ذلك الفخر ايضا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وتقلبك في
الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجت نبيا اي وعدت الانبياء في ابائي فيما انه قال قذف بي في صلب ادم ثم في صلب نوح ثم في
صلب ابرهيم بدليل ما ياتي وما ياتي فيه في لفظ اخر عنه ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبياء اي المذكورين
او وغيرهم حتى ولدته امه اي وهذا مما لا يخفى انه لا ينافي وقوع من ليس نبيا في ابائه فالمراد وقوع الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم في نسبه عليه الصلوة والسلام كما علمت وورد ان اباءه كلهم ليسوا انبياء لكن قال غيره لا زال نوره ينتقل من ساجد الى
ساجد قال ابو حيان واستدل بذلك اي بما ذكر من الاية المذكورة اي المفسرة بما ذكر الرافضة على ان اباء النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا مؤمنين اي لان الساجد لا يكون الا مؤمنا فقد عبر عن الايمان بالسجود وسياتي مزيد الكلام في ذلك وهو استدلال
ظاهر بين والا فالاية قيل معناها وتصفح احوال المتهجدين من اصحابك لانه لما نسخ فرض قيام الليل عليه وعليهم بناء على انه
كان واجبا عليه وعلى امته وهو الاصح وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان واجبا على الانبياء قبله طاف النبي صلى الله عليه
وسلم تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر حالهم اي تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصا على
كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير اي لان الله تعالى افترض عليه صلى الله عليه وسلم اي وعلى امته قيام الليل او نصفه

او اقل او اكثر في اول سورة المزمل ثم نسخ ذلك في اخر السورة بما تيسر اي وكان نزول ذلك بعد سنة ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس
ليلة المعراج كما سياتي وجعل بعضهم ذلك من نسخ الناسخ فيصير منسوخا لما علمت ان اخر هذه السورة ناسخ لاولها ومنسوخ بفرض
الصلوات الخمس واعترض بان الاحاديث دالة على ان قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران انما نزل بالمدينة يدل على ذلك قوله تعالى
علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله انما كان بالمدينة
فقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه اخبار لا ايجاب وقيل معنى وتقلبك في الساجدين وتقلبك في اركان الصلوة قائما وقاعدا وراكعا
وساجدا في الساجدين اي المصلين ففي الساجدين ليس متعلقا بتقلبك بل بساجد المحذوف لا يقال ان من جملة الساجدين عبارة
عن المؤمنين ان من جملة ابائه ازر والد ابرهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وكان كافرا لانا نقول اجمع اهل الكتابين على ان ازر
كان عمه والعرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة اما فقد حكى عن يعقوب انه قال ابائي ابرهيم واسمعيل ومعلوم ان اسمعيل انما هو عمه اي
ويدل لذلك ان ابا ابرهيم كان اسمه تارخ بالمثناة فوق والمعجمة كما عليه جمهور اهل النسب وقيل بالمهملة وعليه اقتصر الحافظ
في الفتح لا ازر لكن ادعى بعضهم انه لقب له لان ازر اسم صنم كان يعبده فصار له اسمان ازر وتارخ كيعقوب واسرائيل قال بعضهم وقد تساهل
من اخذ بظاهر الاية كالقاضي البيضاوي وغيره فقال ان ابا ابرهيم مات على الكفر وما قيل انه عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل
ويوافقه ما في النهر نقلا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ازر كان اسم ابيه ويرد ذلك قول الحافظ السيوطي يستنبط من قول ابرهيم
رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة ان المذكور في القران بالكفر والتبري
من الاستغفار له اي في قوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه
هو عمه لا ابوه الحقيقي حيث وقف التبري واي التبري سببه الموت اي بموت عمه على الكفر الا الوحي بانه يموت كافرا فليتامل وحينئذ
يكون ابوه الحقيقي هو المعني بقول ابي هريرة احسن كلمة قالها ابو ابرهيم ان قال لما راى عليه وقد القي في النار على تلك الحالة اي في
روضة خضراء والنار لم تحرق منه الا كتافه نعم الرب ربك يا ابرهيم وكان سن خليل الله في النار ست عشرة سنة كما في الكشاف وفي
كلام غيره كان سنه ثلاثين سنة بعدها بعض ثلاث عشرة سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان قريشا كانت نورا بين يدي الله
تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور ويسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى ادم القى ذلك النور في صلبه قال
صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله تعالى الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب
الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط اقول لعله فاهبطني ينبغي ان لا يكون معطوفا على ما قبله
من قوله ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى الى اخره فيكون نوره من جملة نور قريش وانه انفرد عن نور قريش واودع في صلب نوح
الخ بل على ما ياتي من قوله كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق ادم باربعة عشر الف عام الا ان ادم لذلك ان يكون نوره سابقا على نور قريش
ويكون نور قريش من نوره وحكمة اقتصاره صلى الله عليه وسلم على من ذكر من الانبياء لا تخفى وهي انهم اباء الانبياء عليهم الصلوة
والسلام فمن ذرية نوح هود وصالح ومن ذرية ابرهيم اسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وهرون بناء على
انه شقيق موسى او لابيه او لامه اي ان نوره صلى الله عليه وسلم انتقل الى شيث تقدم انه صلى الله عليه وسلم من ذرية
اسمعيل وعن علي ابن الحسين عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق ادم باربعة عشر
الف سنة ورايت في كتاب التشريفات في الخصايص والمعجزات لم اقف على اسم مؤلفه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سال جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرت من السنين فقال يا رسول الله لست اعلم غير ان في الحجاب الرابع
نجم يطلع في كل سبعين الف سنة مرة رايته اثنين وسبعين الف مرة فقال يا جبريل وعزة ربي جل جلاله انا ذلك الكوكب
رواه البخاري هذا لا سر فلما خلق الله ادم جعل ذلك النور في ظهره اي هو ما ذكر من نوره سابق على قريش ما ذكر فقوله بل ساتي

ما يدل على ان نوره سابق على سائر المخلوقات بل وتلك المخلوقات خلقت من ذلك النور ادم وذريته وحينئذ يحتاج الى بيان وجه كون
ادم جعل ذلك النور في ظهره اي فكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره الى اخر ما يأتي ثم انتقل الى ولده شيث الذي هو وصيه وكان
من جملة ما اوصاه به انه يوصي من انتقل اليه ذلك النور من ولده انه لا يضع ذلك النور الذي انتقل اليه الا في المطهرة من النساء ولم تزل
هذه الوصية معمولا بها في القرون الماضية الى ان وصل ذلك النور الى عبد المطلب وهذا السياق يدل على ان ذلك النور كان طاهرا
فيمن ينتقل اليه من ابائه وهو قد يخالف ما تقدم من تخصيص بعض ابائه بذلك ولم تلد حوى ولدا مفردا الا شيث كرامة لهذا النور قيل ومكث
في بطنها حتى نبتت اسنانه وكان ينظر الى وجهه من صفاء بطنها وهو الثالث من ولد ادم وكانت تلد ذكرا وانثى معا اي فقد قيل
انها ولدت لادم اربعين ولدا في عشرين بطنا وقيل ولدت مائة وعشرين ولدا وقيل مائتين وثمانين ولدا وقيل خمسمائة ويقال ان
ادم لما مات بكى عليه من ولده وولد ولده اربعون الفا ولم يحفظ من نسل ادم الا ما كان من صلب شيث دون اخوته اي فانهم لم يعقبوا
اصلا فهو ابو البشر وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شيء خلقه الله قبل الاشيا
قال يا جابر ان الله تعالى قد خلق قبل الاشيا نور نبيك من نوره الحديث وفيه انه اصل لكل موجود والله اعلم واختلف الناس
في عد طبقات انساب العرب وترتيبها والذي عليه الاصل عن الزبير بن بكار انها ست طبقات وان اولها شعب ثم قبيلة ثم عمارة
بكسر العين المهملة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة قال وقد نظمها الزين العراقي في قوله شعر للعرب العربا طباق عدة فصلها الزبير وهي
ستة اعم ذلك الشعب فالقبيلة فعمارة فبطن فخذها فصيلة اي فالشعب اصل القبائل والقبيلة اصل العمارة والعمارة اصل البطون
والبطن اصل الفخذ والفخذ اصل الفصيلة فيقال خزيمة شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وقيل شعبه خزيمة وكنانة قبيلته و
قريش عمارته وقصي بطنه وهاشم فخذه وبنو العباس فصيلته وقيل بعد الفصيلة العشيرة وليس بعد العشيرة شيء وقيل بعدها الفصيلة
قال ثم الرهط ثم الاسرة ثم الذرية وسكت عن العترة وفي كلام بعضهم الاسباط في بطون بني اسرائيل والشعب في لسان العرب الشجرة
الملتفة الكثيرة الاغصان والاوراق والقبائل بطون العرب والشعوب بطون العجم فليتامل

باب تزويج عبد الله

ابي النبي صلى الله عليه وسلم امنة وحفر بئر زمزم وما يتعلق بذلك قيل خرج عبد المطلب بولده عبد الله وكان احسن رجل
في قريش خلقا وخلقا وكان نور نبينا صلى الله عليه وسلم في وجهه وفي رواية كان احسن رجل رئي اي بكسر الراء وضمها ثم
همزة مفتوحة منظرا في قريش وفي رواية كان اكمل بني ابيه واحسنهم واعفهم واحبهم الى قريش وقد سماه والده عبد الله لانه
احب الاسماء الى الله تعالى ففي الحديث احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح وذلك لان اباه عبد المطلب
امر في النوم بحفر زمزم بئر اسمعيل عليه الصلوة والسلام وكانت جرهم قد دفنتها اي فان جرهما لما استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا
الامور العظام قام فيهم رئيسهم مضاض بكسر الميم وحكى ضمها ابن عمرو خطيبا ووعظهم فلما ابوا امتثال ذلك منهم عمد الى غزالين
من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الاموال اي السيوف والدروع على ما سياتي التي كانت تهدى الى الكعبة ودفنها في
بئر زمزم وفي قراءة النعمان ان هاتين الغزالين اهداهما للكعبة وكذا السيوف ساسان اول ملوك الفرس الثانية ويرد بان الفرس
لم يحجوا البيت ولا حجوه هذا كلامه وفيه ان هذا لا ينافي ذلك فليتامل وكانت بئر زمزم نضب ماؤها اي ذهب فحفرها مضاض بالليل و
اعمق الحفر ودفن فيها ذلك اي ودفن الحجر الاسود ايضا كما قيل وطم البئر واعتزل قومه فسلط الله تعالى عليهم خزاعة فاخرجتهم
من الحرم وتفرقوا وهلكوا كما تقدم ثم ذلك زمزم مطموسة لا يعرف محلها مدة خزاعة ومدة قصي ومن بعده الى زمن عبد المطلب
ورؤياه التي امر فيها بحفرها قيل وتلك المدة خمسمائة سنة اي وكان قصي احتفر بئرا في الدار التي سكنتها ام هانئ اخت علي رضي الله
عنه وهي اول سقاية احتفرت بمكة وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ اتاني
ات فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب وتركني فلما كان من الغد جئت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت

ودبارة

وما برة فذهب وتركني فلما كان من الغد جئت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب
وتركني فلما كان الغد جئت الى مضجعي فنمت فيه فقال احفر زمزم قلت وما زمزم قال لا تنزف ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم
وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل وقوله لا تنزف اي لا تفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وفيه
انه ذكر انه وقع فيها حبشي فمات بها فانتفخ فنزحت من اجله فوجدوا قعرها فوجدوا ماءها يفور من ثلاث اعين اقواها واكثرها
ناحية الحجر الاسود وقوله ولا تذم بالذال المعجمة اي لا توجد قليلة الماء من قولهم بئر ذمة اي قليلة الماء قيل وليس المراد انه
لا يذمها احد لان خالد بن عبد الله القسري امير العراق من جهة الوليد بن عبد الملك ذمها وسماها ام جعلان واحتفر بئرا
خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها وفيه ان هذا اجراة منه على الله
تعالى وقلة حياء منه وهو الذي كان يلعن ويفصح بلعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه على المنبر فلا عبرة بذمه وقيل
زمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات من ولد ابرهيم وقيل لها برة لانها فاضت للابرار وقيل لها المضنونة لانها ضن
بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق وقد جاء في رواية يقول الله ضننت بها على الناس الا عليك ولعل المراد الا على
اتباعك فيكون بمعنى ما قبله وفي رواية انه قيل لعبد المطلب احفر زمزم ولم يذكر له علامتها فجاء الى قومه وقال لهم اني قد
امرت ان احفر زمزم قالوا فهل بين لك اين هي قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذي رايت فيه ما رايت فان يكن حقا من
الله يبين لك وان لم يكن من الشيطان فان يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فاتاه فقال احفر زمزم انك
ان حفرتها لم تندم وهي تراث من ابيك الاعظم لا تنزف ابدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم فقال عبد المطلب اين هي قال
بين الفرث والدم عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم غدا اي والاعصم قيل احمر المنقار والرجلين وقيل ابيض البطن
وعلى هذا اقتصر الامام الغزالي الى حيث قال في قوله صلى الله عليه وسلم مثل المراة الصالحة في ان مثل الغراب الاعصم بين
مائة غراب يعني الابيض البطن هذا كلامه وقيل الاعصم الابيض الجناحين وقيل ابيض احدى الرجلين فلما كان الغد ذهب
عبد المطلب ومعه ولده الحرث ليس له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم اي في محلهما وذلك
بين اساف ونائلة الصنمين اللذين تقدم ذكرهما وتقدم ان قريشا كانت تذبح عندهما ذبائحها اي التي كانت تتقرب بها وهذا
يبعد ما جاء في رواية انه لما قام يحفرها راى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم فبينما هو كذلك ندت
بقرة من ذابحها فلم يدركها حتى دخلت المسجد فنحرها في الموضع الذي رسم له وقد يقال لا يبعد لانه يجوز ان يكون فهم ان يكون
الفرث والدم موجودين بالفعل فلا يلزم من كون المحل المذكور محلهما وجودهما فيه ذلك الوقت فلم يكتف بنقرة الغراب في
محلهما فارسل الله تعالى تلك البقرة ليريه الامر عيانا وذكر السهيلي لذكر هذه العلامات الثلاث حكمة لا باس بها ولعل
اساف ونائلة نقلا بعد ذلك الى الصفا والمروة بعد ان نقلهما عمرو بن لحي من جوف الكعبة الى المحل المذكور فلا يخالف ما ذكره القاضي
البيضاوي وغيره ان اسافا كان على الصفا ونائلة كانت على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما ومن ثم لما جاء الاسلام
وكسرت الاصنام كره المسلمون الطواف اي السعي بينهما وقالوا يا رسول الله هذا كان شعارنا في الجاهلية لا يليق التمسح بالصنمين
فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الاية ويقال ان بقرة نحرت بالحزورة بوزن قسورة فانفلتت ودخلت المسجد
في موضع زمزم فوقعت بمكانها فاحتمل لحمها فاقبل غراب اعصم فوقع في الفرث فليتامل الجمع وقد يقال لا منافاة لان قوله في الرواية
الاولى فندت بقرة من ذابحها اي من شرع في ذبحها ولم يتمه حتى دخلت المسجد فنحرها اي تمم ذبحها فقد نحرت بالحزورة وبالمسجد
او يراد بنحرها في الحزورة ذبحها وبنحرها في المسجد سلخها وتقطيع لحمها فقد راينا الحيوان بعد ذبحه يذهب الى محل اخر ثم يقع به
وعند ذلك جاء عبد المطلب بالمعول وقام ليحفر فقامت اليه قريش فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما

فقال عبد المطلب لولده الحرث ذدعني اى امنع عني حتى احفر فوالله لامضين لما امرت به فلما راوه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر
وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطي اى البناء فكبر وقال هذا طي اسماعيل عليه السلام اى بناؤه فعرفت قريش انه اصاب حاجته
فقاموا اليه وقالوا والله يا عبد المطلب انها لبئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فقالوا اجعلوا بيننا وبينكم من شئتم احاكمكم اليه
قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت بمشارف الشام اى ولعلها التي لما حضرتها الوفاة طلبت شقا وسطيحا وتفلت في فمهما وذكرت
ان سطيحا يخلفها في كهانتها ثم ماتت في يومها ذلك وسطيح وشق ترجمتهما تاتي فقيل له ذلك لانه كان شق انسان بيد واحدة
ورجل واحدة وعين واحدة فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر وكان اذ ذاك ما
بين الحجاز والشام مفازات لا ماء بها فلما كان عبد المطلب ببعض تلك المفاوز فني ماؤهم وما اصحابه فظمئوا ظمأ شديدا حتى ايقنوا بالهلكة
فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا عليهم وقالوا نخشى على انفسنا مثل ما اصابكم فقال عبد المطلب لاصحابه ما ترون قالوا ما
راينا الا تبع لرايك قال فاني ارى ان يحفر كل احد منكم حفرة يكون فيها الى ان يموت فكلما مات رجل دفنه اصحابه في حفرته ثم واروه
حتى يكون اخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد اى تركه بلا مواراة ايسر من ضيعة ركب جميعا فقالوا نعم ما امرت به فحفر كل حفرة
لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب لاصحابه والله ان القانا بايدينا هكذا الى الموت لعجز فلنضرب في الارض فعسى الله
ان يرزقنا فانطلقوا كل ذلك وقومهم ينظرون اليهم ما هم فاعلون فتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت من تحت
خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر اصحابه ثم نزل وشرب اصحابه وملؤا اسقيتهم ثم دعا القبائل هلموا الى الماء فقد سقانا الله
فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا لعبد المطلب قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم ابدا
ان الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة
فلما جاد اخذوا في الحفر وجد فيها الغزالين من الذهب اللذين دفنتهما جرهم ووجد فيها اسيافا وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب
لنا معك في هذا شرك فقال لا ولكن هلموا الى امر نصف بيني وبينكم والنصف بكسر النون وسكون الصاد المهملة وفتحها النصفة
بفتحات نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين وقدحين اسودين لعبد المطلب وقدحين ابيضين
لقريش ثم اعطوها لصاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل اى واجعلوا الغزالين قسما والاسياف والادراع قسما اخر وقام
عبد المطلب يدعو الله بشعر مذكور في الامتاع فضرب صاحب القداح فخرج الاصفران على الغزالين وخرج الاسودان على الاسياف
والادراع وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بالكعبة وضرب في الباب الغزالين فكان اول ذهب حليت به الكعبة
ذلك ومن ثم جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والله ان اول من جعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب وفي شفاء الغرام ان عبد المطلب
علق الغزالين في الكعبة فكان اول من علق المعاليق بالكعبة وسياتي الجمع بين كونهما علقا بالكعبة وبين جعلهما حلية الباب
الكعبة وقد كان بالكعبة بعد ذلك معاليق فان عمر رضي الله تعالى عنه لما فتحت مداين كسرى كان مما بعث اليه منها هلالان
فعلقا بالكعبة وعلق بها عبد الملك بن مروان شمستين وقدحين من قوارير وعلق بها الوليد بن يزيد سريرا وعلق بها السفاح
صحفة خضراء وعلق بها المنصور القارورة الفرعونية وبعث المامون بياقوتة كانت تعلق كل سنة في وجه الكعبة في زمن الموسم
في سلسلة من ذهب ولما اسلم بعض الملوك في زمنه ارسل اليها بصنمه الذي كان يعبده وكان من ذهب مرصعا ومكللا بالجواهر
والياقوت الاحمر والاخضر والزبرجد فجعل في خزانة الكعبة ثم ان الغزالين سرقا وابيعا لقوم تجار قدموا مكة بخمر وغيرها
فاشتروا بثمنها خمرا وقد ذكر ان ابا لهب مع جماعة نفدت خمرهم في بعض الايام واقبلت قافلة من الشام معها خمر فسرقوا غزال الكعبة
واشتروا بها خمرا فطلبتهم قريش وكان اشدهم لها طلبا عبد الله بن جدعان فعلموا بهم فقطعوا بعضهم وهرب بعضهم وكان ممن هرب
ابو لهب هرب الى اخواله من خزاعة فمنعوا عنه قريشا ومن ثم كان يقال لابي لهب سارق غزال الكعبة وقد قيل من منافع الخمر المذكورة

بها انهم كانوا يتغالون بها اذا جلبوها من النواحي لكثرة ما يربحون فيها لانه كان المشتري اذا ترك المماكسة في شرائه عد ذلك فضيلة
له ومكرمة فكانت ارباحهم تكثر بسبب ذلك وما قيل من منافعها انها تقوي الضعيف وتهضم الطعام وتعين على الباه وتسلي المحزون
وتشجع الجبان وتصفي اللون وتنعش الحرارة الغريزية وتزيد في الهمة والاستعلاء فذلك كان قبل تحريمها ثم لما حرمت سلبت جميع
هذه المنافع وصارت ضررا صرفا ينشأ عنها الصداع والرعشة في الدنيا لشاربها وفي الاخرة يسقى صديد اهل النار وفي كلام
بعضهم من لازم شربها حصل له خلل في جوهر العقل وفساد الدماغ والبخر في الفم وضعف البصر والعصب وفجأة الموت ومفسدة
للقلب ومسخطة للرب ومن ثم جاء انها اى الخمرة ليست بدواء ولكنها داء وجاء اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر اى كان مغلقا وجاء
الخمر ام الفواحش وفي رواية ام الخبائث وجاء في الخمر لا طيب الله من تطيب بها ولا شفى من استشفى بها وقد قيل لا منافاة بين كون
الغزالين علقا في الكعبة وسرقا او سرق احدهما وبين كون عبد المطلب جعلهما حلية للباب لانه يجوز ان يكون عبد المطلب تخلص
الغزالين او الغزال الذي من التجار ثم جعلهما حلية للباب بعد ان كان علقهما وفي الامتاع وكانت الناس قبل ظهور زمزم تشرب من
ابار حفرت بمكة واول من حفر بها بئر قصي كانه قدم وكان الماء العذب بمكة قليلا ولما حفر عبد المطلب زمزم بنى عليها حوضا وصار هو
وولده يملأنه فيكسره قوم من قريش ليلا حسدا فيصلحه نهارا حين يصبح فلما اكثروا من ذلك دعا ربه فاحتلم واغتسل به فغضب عبد المطلب
غضبا شديدا فرئ في المنام اذ قل اللهم اني لا احلها لمغتسل وهي لشارب حل اى وبل اى حلال مباح ثم كفيتهم فقام
عبد المطلب حين اختلفت قريش في المسجد ونادى بذلك فلم يكن يفسد حوضه احد الا رمي بداء في جسده ثم ان
عبد المطلب لما قال لولده الحرث ذدعني اى امنع مني حتى احفر وعلم انه لا قدرة له على ذلك نذر ان رزق عشرة من الولد الذكور
يمنعونه ممن يتعالى عليه ليذبحن احدهم عند الكعبة اي وقيل ان سبب ذلك ان عدي بن نوفل بن عبد مناف ابا المطعم قال له
يا عبد المطلب تستطيل علينا وانت فذ لا ولد لك اى منفرد بلا ولد ولا مال لك وانما انت واحد من قومك فقال له
عبد المطلب اتقول هذا وانما كان نوفل ابوك في حجر هاشم اى لان هاشما كان خلف على ام نوفل وهو صغير فقال له عدي وانت ايضا
قد كنت في يثرب عند غير ابيك كنت عند اخوالك من بني النجار حتى رحل عمك المطلب فقال له عبد المطلب او بالقلة تعيرني فلله
علي النذر لان اتاني الله عشرة من الاولاد الذكور لانحرن احدهم عند الكعبة وفي لفظ ان اجعل احدهم لله نحيرة وقيل ان عبد المطلب
نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم وعن معوية رضي الله تعالى عنه ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله تعالى ان
سهل الامر عليه ان ينحر بعض ولده فلما صاروا عشرة اى وحفر زمزم امر في النوم بالوفاء بنذره اى قيل له قرب احد اولادك اى بعد
ان نسي ذلك وقيل قيل له قبل ذلك اوف بنذرك فذبح كبشا واطعمه للفقراء ثم قيل له في النوم قرب ما هو اكبر من ذلك فذبح جملا
ثم قيل له قرب ما هو اكبر من ذلك فقال له وما اكبر من ذلك فقيل له قرب احد اولادك الذي نذرت ذبحه فضرب القداح على اولاده
بعد ان جمعهم واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء واطاعوه ويقال ان اول من اطاعه عبد الله وكتب اسم كل واحد على قدح و
دفعت تلك القداح للسادن والقايم بخدمة هبل ومن بيده تلك القداح فخرجت على عبد الله اى وكان اصغر ولده واحبهم اليه
مع ما تقدم من اوصافه فاخذه عبد المطلب بيده واخذ الشفرة ثم اقبل به على اساف ونايلة والقاه على الارض ووضع رجله
على عنقه فجذب العباس عبد الله من تحت رجل ابيه حتى اثر في وجهه شجة لم تزل في وجه عبد الله الى ان مات كذا قيل وفيه ان
العباس لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم كان عمره ثلاث سنين ونحوها فعنه رضي الله عنه اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
ابن ثلاثة اعوام او نحوها فجيء به حتى نظرت اليه وجعلت النسوة تقلن لي قبل اخاك فقبلته وقيل منعه اخواله بنو مخزوم وقالوا
والله لا تحسن عشيرة امرا عن ربك فدا ابنك فنفديه بما بيننا وفي رواية واعظمت قريش ذلك وقامت سادة قريش من
انديتها اليه ومنعوه من ذلك وقالوا والله لا تفعل حتى تعذر فيه فلانة الكاهنة اى لعلك تعذر فيها الى ربك ان فعلت

هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه اي ويكون سنة ولعل المراد اذا وقع له مثل ما وقع لك من النذر وقال له بعض قريش لا تفعل
ان كان فداؤه باموالنا فديناه وتلك الكاهنة قيل اسمها قطبة وقيل غير ذلك كانت بخيبر تسألها فان امرتك بذبحه ذبحته وان
امرتك بامر لك وله فيه فرج قبلته فاتاها اي مع بعض قومه وفيهم جماعة من اخوال عبد الله بن مخزوم نسألها وقص عليها القصة
فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى ياتي تابعي فاسأله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فيكم
فقالوا عشرة من الابل فقالت قربوا عشرة من الابل وتقدم وكلما وقعت عليه يزاد الابل حتى تخرج القداح عليها فضرب على عشرة
فخرجت على فلا زال يزيد عشرة ثم عشرة حتى بلغت مائة من الابل فخرجت القداح عليها فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضي ربك
فقال عبد المطلب لا والله حتى اضرب عليها ثلاث مرات اي ففعل ذلك وذبح الابل عند الكعبة لا يصد عنها احد اي من ادمي و
وحش وطير قال الزهري فكان عبد المطلب اول من سن دية النفس مائة من الابل اي بعد ان كانت عشرة كما تقدم اي وقيل
اول من سن ذلك ابو سيارة العدواني وقيل عامر بن الظرب فجرت في قريش اي وعلى ذلك فاولية عبد المطلب اضافية ثم فشت
في العرب واقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم واول من ودى بالابل من العرب زيد بن بكر من هوازن قتله اخوه اي ودواها
ما قيل ان القداح بعد المائة خرج على عبد الله ايضا ولا زالت تخرج عليه حتى جعلوا الابل ثلثمائة فخرج على الابل فنحرها
عبد المطلب ضعيف جدا وقد ذكر الحافظ ابن كثير ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سألته امرأة انها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فامرها
بذبح مائة من الابل اخذا من هذه القصة ثم سألت عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن ذلك فلم يفتها بشيء فبلغ مروان بن الحكم وكان
امير المدينة فامر المرأة ان تعمل ما استطاعت من خير بدل ذبح ولدها وقال ان ابن عباس وابن عمر لم يصيبا الفتيا ولا يخفى ان هذا النذر
باطل عندنا معاشر الشافعية ولا يلزمها شيء وعند ابي حنيفة ومحمد يلزمها ذبح شاة في ايام النحر في الحرم اخذا من قصة ابرهيم الخليل
عليه الصلوة والسلام قال القاضي البيضاوي وليس فيه ما يدل عليه وفي الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين
اي عبد الله واسمعيل وعن بعضهم قال كنا عند معوية رضي الله عنه فتذاكر القوم الذبيح هل هو اسماعيل او اسحاق فقال
معوية على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي اي يشكو جدب ارضه فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة
هلك المال وضاع العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقال القوم
من الذبيحان يا امير المؤمنين قال عبد الله واسمعيل قال الحافظ السيوطي هذا حديث وفي اسناده من لا يعرف حاله قال بعضهم لما
احب ابرهيم ولده اسمعيل بطبع البشرية لا سيما وهو بكره ووحيده اذ ذاك وقد اجرى الله العادة البشرية ان بكر الاولاد احب الى
الوالد اي وخصوصا اذا كان لا ولد له غيره امره الله بذبحه ليخرج من حب غيره ما يبلغ الاسباب التي هو الذبح للولد فلما امتثل
وخلص سره ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم اي لان مقام الخلة يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة فلما خلصت المحبة
من شائبة المشاركة لم يبق في الذبح مصلحة فنسخ الامر وفدي هذا وجاء ما يدل على ان الذبيح اسحق حديث سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي النسب اشرف وفي رواية من اكرم الناس فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق
ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله كذا روى قال بعضهم والثابت يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وما زاد على ذلك من الراوي
ومما ذكر ان يعقوب لما بلغه ان ولده بنيامين اخذ بسبب السرقة كتب الى العزيز وهو يوسف ولده بسم الله الرحمن الرحيم
من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فربطت
يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليذبح
ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من
امه وكنت اتسلى به وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة

تدرك

تدرك السابع من ولدك والسلام لم يثبت في كلام القاضي البيضاوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف بن يعقوب بن اسحق
لم يثبت اي ولعله ايضا لم يثبت ما في امتاع الجليل ان موسى عليه الصلوة والسلام لما اراد مفارقة شعيب وزوجها برا في وطنه بمكة فرعون
سال شعيب به ربه في الباب ابرهيم الخليل واسمعيل الصفي واسحق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق ان يرد قوتي وبصري على
موسى حين علوه فاستجاب الله عليه بصره وقوته وذكر ان يعقوب رأى ملك الموت في منامه فقال له هل قبضت روح يوسف فقال لا والله
هو حي علمه ايا وهو يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه ابدا ولا يحصيه غيره فرج عني وذكر ان سبب ذبح اسحق اي
على القول بانه الذبيح ان الخليل قال لسارة ان جاءني منك ولد فهو له ذبيح فجاءت سارة باسحق وكان بينه وبين ولادة
هاجر لاسمعيل ثلاث عشرة او اربع عشرة سنة واسحق اسمه بالعبرانية الضحاك وجاء في حديث رواية ضعيفة الذبيح اسحق و
انه اي داود سال ربه اي رب اجعلني مثل ابائي ابرهيم واسحق ويعقوب فاوحى الله اليه اني ابتليت ابرهيم بالنار فصبر وابتليت اسحق
بالذبح فصبر وابتليت يعقوب اي بفقد ولده يوسف فصبر الحديث وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وبشرناه
نبيا قال بشر به نبيا حين فداه تعالى من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده اي لما صبر الاب على ما امر به وسلم الولد
لامر الله جعلت المجازاة على ذلك باعطاء النبوة قال الحافظ السيوطي وجزم بهذا القول عياض في الشفا والبيهقي في التعريف
والاعلام وكنت ملت اليه في علم التفسير وانا الان متوقف عن ذلك هذا كلامه وقد نبئ كل من اسمعيل واسحق ويعقوب في
حياة ابرهيم عليهم الصلوة والسلام فبعث الله اسمعيل لجرهم واسحق الى ارض الشام ويعقوب الى ارض كنعان ولا ينافي ذلك اي
كون اسحق هو الذبيح تبسمه صلى الله عليه وسلم من قول القائل يا ابن الذبيحين ولم ينكر عليه لان العرب كما تقدم تسمي العم ابا
وفي الهدي اسمعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم واما القول بانه اسحق فمردود باكثر من
عشرين وجها ونقل عن الامام ابن تيمية ان هذا القول متلقى من اهل الكتاب مع انه باطل بنص كتابهم الذي هو التوراة فان فيه
ان الله امر ابرهيم ان يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيده وقد حرفوا ذلك في التوراة التي بايديهم اذبح ابنك اسحق اي وحينئذ ثم
ذكر المعافا ابن كوبا ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا اسلم من علماء اليهود اي ابني ابرهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المؤمنين ان
اليهود يعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكر الله تعالى عنه فهم يجحدون ذلك و
يزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم وفي رسالة لي في ذلك سميتها القول المليح في تعيين الذبيح رجحت فيها القول بان الذبيح اسمعيل
جوابا عن سؤال رفع الي بعض الفضلاء وعلى ان الذبيح اسمعيل فمحل الذبح بمنى وعلى انه اسحق فمحله معروف بالارض المقدسة على
ميلين من بيت المقدس وفي كلام ابن القيم تاييدا لكون الذبيح اسمعيل لا اسحق لو كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب لكانت القرابين
والنحر بالشام لا بمكة واستشكل كون اولاد عبد المطلب عند ارادة ذبح عبد الله كانوا عشرة بان حمزة ثم العباس انما ولدا بعد ذلك
وانما كانوا عشرة بهما وحينئذ يشكل قول بعضهم فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وابو لهب والعباس
وحمزة وابو طالب وعبد الله هذا كلامه واجيب عن الاول بانه يجوز ان يكون له حينئذ اي حين ارادة الذبح ولد او ولدا وفقد فكر
ان لمولده الحرث ولدين ابو سفيان ونوفل وولد الولد يقال له ولد حقيقة هذا كلامه وذكر بعضهم ان اعمامه صلى الله عليه وسلم
كانوا اثني عشر بل قيل ثلاثة عشر وان عبد الله ثالث عشرهم وعليه فلا اشكال لكون حمزة اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة
فكلاهما اصغر من عبد الله ما تقدم من ان عبد الله كان اصغر بني ابيه وقت الذبح لانه يجوز ان يكون المراد انه كان اصغرهم
حين اراد ذبحه لا يعيد كونهم عشرة او بذلك العبد ولا ينافيه كونه ثالث عشرهم لان المراد به واحد من الثلاثة عشر
وكان عبد الله كما تقدم احسن فتى يرى في قريش واجملهم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يرى في وجهه كالكوكب الدري
اي المضيء المنسوب الى الدر حتى شغفت به نساء قريش ولقي منهن عناء ولفظها هذا الفضل الذي لقيه منهن حتى قيل ان [illegible]

لو نفى امراة من قريش من بني مخزوم وعبد شمس وعبد مناف الا عرضت اى نفسها على عدم تزوجها به فخرج مع ابيه ليزوجه امنة بنت
وهب بن عبد مناف بن زهرة بضم الزاي واسكان الهاء واما الزهرة التي هي النجم فبضم الزاي وفتحها والزهرة في الاصل هي البياض
وام وهب اسمها قيلة بنت ابي كبشة اى وكان عمر عبد الله حينئذ نحو ثمان عشرة سنة فمر على امراة من بني اسد بن عبد العزى
او يقال لها قتيلة وقيل رقية وهي اخت ورقة بن نوفل وهي عند الكعبة وكانت تسمع من اخيها ورقة انه كائن في هذه الامة
نبي اى وان من دلائله ان يكون نورا في وجه ابيه اوانها الهمت ذلك فقالت لعبد الله اى وقد رات نور النبوة في غرته اى بين عينيه
يا عبد الله هل لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع على الان فقال انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا فراقه وانشد اما
الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه فكيف بالامر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه قال اى من شعر عبد الله والد النبي صلى الله
عليه وسلم كما في تذكرة الصلاح الصفدي لقد حكم البادون في كل بلدة بان لنا فضلا على سائر الارض وان ابي ذو المجد والسودد الذي
يشار به ما بين نشز الى خفض اى ارتفاع وانخفاض وعن ابي يزيد المديني ان عبد المطلب لما خرج بابنه عبد الله ليزوجه مر به على امراة كاهنة
من اهل تبالة بفتح التاء المثناة فوق بلدة باليمن قد قرات الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرات نور النبوة في وجه عبد الله
فقالت يا فتى هل لك ان تقع على الان واعطيك مائة من الابل فقال لها عبد الله ما تقدم اقول قال الكلبي كانت اى تلك الكاهنة
من اجمل النساء واعفهن فدعته الى نكاحها فابى ولا منافاة لانه يجوز ان تكون ارادت بقولها قع على الان اى بعد النكاح
فهم عبد الله انها تريد الامر من غير سبق نكاح فانشد الشعر المتقدم الدال على طهارته وعفته وهذا بناء على اتحاد الواقعة
وان المراة فيهما بين واحدة وانما اختلف في اسمها واسم ابيها ومره على تلك المراة في ذهابه مع ابيه ليزوجه ايضا يبعد لذلك ان تلك
المراة التي عرضت عليه ما عرضت عليه وظاهر سياق المواهب يقتضي انهما قضيتان وان الاولى عند انصرافه مع ابيه لتزويج
امنة وقوله قد قرات الكتب اى فجاز انها رات في تلك الكتب ان النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر يكون نورا في وجه ابيه
وان يكون من اولاد عبد المطلب وانما الهمت ذلك فطمعت ان يكون ذلك النبي منها ويؤيد الثاني ما ياتي عنها والله اعلم قال
عبد المطلب عم امنة وهو وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة سنا وشرفا وكانت في حجره لموت ابيها وهب بن
عبد مناف وقيل ان عبد المطلب اتى وهب بن عبد مناف فزوجه ابنته امنة وتقدم هذا في الاستيعاب فزوجها لعبد الله وهي يومئذ
افضل امراة في قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين املك عليها مكانه فوقع عليها يوم الاثنين في شعب ابي طالب عند الجمرة
الوسطى اقول فيه انه سياتي في فتح مكة انه نزل بالحجون بفتح الحاء المهملة عند شعب ابي طالب المكان الذي حصرت فيه بنو هاشم و
بنو المطلب ويمكن ان يقال ذلك الشعب الذي في الحجون كان محلا لسكنى ابي طالب في غير ايام منى وهذا الشعب الذي عند الجمرة الوسطى
كان ينزل فيه ابو طالب ايام منى فلا مخالفة والله اعلم ثم اقام عندها ثلاثة ايام وكانت تلك السنة عندهم اذا دخل الرجل على
امراته اى عند اهلها اى فهو واهلها كانوا في شعب ابي طالب ثم خرج من عندها فاتى المراة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك
لا تعرضين على اليوم ما عرضت بالامس فقالت له فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي اليوم بك حاجة وفي رواية
انه لما مر عليها بعد ان وقع على امنة قال لها ما لك لا تعرضين ما عرضت بالامس قالت من انت قال انا فلان قالت له من انت هو
لقد رايت بين عينيك نورا ما اراه الان ما صنعت بعدي فاخبرها فقالت والله ما انا بصاحبة ريبة ولكن رايت في وجهك نورا
فاردت ان يكون في وابى الله الا ان يجعله حيث اراد اذهب فاخبرها انها حملت خير اهل الارض انتهى اقول وفي رواية ان المراة التي
عرضت نفسها عليه هي ليلى العدوية وان عبد الله كان في بناء وكان عليه اثر الطين والغبار وانه قال حين اغتسل ما علي وارجع اليك
وانه رجع اليها بعد ان وقع على امنة وانتقل منه النور اليها فقال لها هل لك فيما قلت فقالت لا قال لم قالت لانك دخلت بنور وما خرجت
به وفي سيرة ابن هشام مررت وبين عينيك غرة فدعوتك فابيت ودخلت على امنة فذهبت بها ولئن كنت اى وجئت كنت

المرة

المست بامنة لتلدن ملكا ولا يخفى ان تعدد الواقعة ممكن وان هذا السياق يدل على ان هذه المراة كان عندها علم بان عبد الله تزوج
امنة وانه يريد الدخول بها وانها علمت انه كائن نبي يكون له الملك والسلطان وعبر خاف ان هم من عبد الله نفسه على المراة
لم يكن لريبة بل لبعث بين الامر الذي دعاها الى بذل القدر الكبير من الابل في مقابلة هذا الشيء على خلاف عادة النساء على الرجال و
لا يخالف ذلك بل يؤكده ما في الوفاء من قوله ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فاقبل اليها الحديث والله اعلم وعن الكلبي
انه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا والمراد بالسفاح الزنا فان المراة
كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان اراده ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية اى من نكاح الام اى زوجة الاب لانه كان في
الجاهلية يباح اذا مات الرجل ان يخلف على زوجته اكبر اولاده من غيرها وفي كلام بعضهم كان اقبح ما يصنعه اهل الجاهلية الجمع
بين الاختين وكانوا يعيبون المتزوج بامراة الاب ويسمونه الضيزن والضيزن الذي يزاحم اباه في امراته ويقال له نكاح المقت و
المقت على الدابة وهي امراة الاب والراب زوج الام وما قيل ان هذا اى نكاح امراة الاب وقع في نسبه صلى الله عليه وسلم لان
خزيمة احد ابائه لما مات خلف على زوجته اكبر اولاده وهو كنانة فجاء منها بالنضر فهو قول ساقط غلط لان الذي خلف عليها كنانة
بعد موت ابيه ماتت ولم تلد منه شيئا ومنشأ الغلط انه تزوج بعدها بنت اخيها وكان اسمها موافقا لاسمها فجاء منها بالنضر وبهذا
يعلم ان قول الامام السهيلي نكاح زوجة الاب كان مباحا في الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات التي انتهكوها ولا
من العظائم التي ابتدعوها لانه امر كان في عمود نسبه صلى الله عليه وسلم لكنانة تزوج امراة ابيه خزيمة وهي برة بنت مرة
فولدت له النضر بن كنانة وهاشم ايضا قد تزوج امراة ابيه واقدة فولدت له ضعيفة ولكن هذا خارج من عمود نسب النبي صلى الله
عليه وسلم لانها اى واقدة لم تلد جده صلى الله عليه وسلم انا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النساء الا ما قد سلف اى الا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء ان لا يعاب نسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن في اجداده من كان من بغية ولا من سفاح الا نكاح وانه لم يقل في شيء
نهى عنه في القران اى مما لم يبح لهم الا ما قد سلف نحو قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل الا ما قد سلف ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
ولم يقل الا ما قد سلف ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها الا في هذه وفي الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين كان مباحا
ايضا في شرع من قبلنا وقد جمع يعقوب عليه الصلاة والسلام بين راحيل واختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى هذا كلامه
فلا التفات اليه ولا معول عليه على ان قول يعقوب جمع بين الاختين تابع فيه قول القاضي البيضاوي ان يعقوب انما تزوج ليا
بعد اختها راحيل وفي اسباب النزول للواحدي اى وفي البخاري عن اسباط قال المعنى كان اهل المدينة في الجاهلية وفي اول الاسلام
اذا مات الرجل وله امراة جاء ابنه من غيرها فالقى ثوبه على تلك المراة وصار احق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء ان يتزوجها بغير
صداق الا الصداق الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها شيئا وان شاء عضلها فضارها لتفتدي
منه فمات بعض الانصار رجل وله من غيرها ولد فطرح ثوبه عليها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي منه فاتت تلك
المراة وشكت حالها للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله الاية ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الاية وقيل توفي ابو قيس
فخطب ابنه امراة ابيه فقالت اني اعدك ولدا وفيكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم استامره فاتته فاخبرته فانزل الله
تعالى الاية وعن البراء بن عازب قال لقيت خالي يعني ابا بردة رضي الله تعالى عنه ومعه الراية فقلت اين تريد قال ارسلني
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه ان اضرب عنقه زاد في رواية واخذ ماله وذكر بعضهم ان في الجاهلية
كان اذا اراد الشخص ان يتزوج يقول خطب ويقول اهل المراة نكح ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول ومن نكاح
الجاهلية الجمع بين الاختين فانه كان مباحا عندهم اى من سفاحهم له كما تقدم وذكر بعضهم ان قبل نزول التوراة كان

يجوز الجمع بين الاختين اي ثم حرم ذلك بنزولها قال وقد افتخر صلى الله عليه وسلم بجداته اي تحدث بنعمة ربه قاصدا به التنبيه على
شرف هؤلاء النسوة وفضلهن على غيرهن فقال انا ابن العواتك والفواطم يعني فقاده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجرى
فرسه مع ابي ايوب الانصاري فسبقته فرس المصطفى فقال صلى الله عليه وسلم انا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعني
فرسه قال في بعض غزواته اي في غزوة حنين وفي غزوة احد انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب انا ابن العواتك وجاء انا
ابن العواتك من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة بالطيب او الطاهرة وعن بعض الطالبين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في يوم احد انا ابن الفواطم ولا ينافي ما سبق انه قال في ذلك اليوم انا ابن العواتك لانه يجوز ان يكون قال كلا من الكلمتين
في ذلك اليوم واختلف الناس في عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان
العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم اربع عشرة وقيل احدى عشرة اي ولهن ام لوي بن غالب واللواتي من بني سليم منهن
عاتكة بنت هلال ام عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص ابن مرة بن هلال ام هاشم وعاتكة بنت مرة بنت هلال ام ابي امه وهب اي
وقيل المراد بالعواتك من بني سليم ثلاثة من بني سليم ابكار ارضعنه كما سياتي في قصة الرضاع وكل واحدة منهن تسمى عاتكة
قال وعن سعد ان الفواطم من جداته عشرة انتهى اقول وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان ولم اقف على من اسمه فاطمة من جداته
من جهة ابيه الاعلى اثنين فاطمة ام عبد الله وفاطمة ام قصي الا ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يرد الامهات التي في عمود نسبه
بل اراد الام حتى يشمل فاطمة بنت اسد التي هي ام علي بن ابي طالب ففاطمة امها وهؤلاء الفواطم غير الثلاثة الفواطم اللاتي
قال صلى الله عليه وسلم لعلي وقد دفع اليه ثوبا حريرا وقال له اقسم هذا بين الفواطم الثلاثة فانهن هؤلاء فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت اسد ثم رايت بعضهم قال منهن ام عمرو بن عايذ وفاطمة بنت عبد الله
بن رزام وامها فاطمة بنت الحرث وفاطمة بنت نصر بن عوف ام عبد مناف والله اعلم وعن عائشة وابن عباس رضي
الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح اي زنا فقد تقدم ان المراة كانت تسافح الرجل
مدة ثم يتزوجها اذا اراد وكانت العرب تستحل الزنا الا ان الشريف منهم كان يتورع عنه علانية والا بعض افراد
منهم حرمه على نفسه في الجاهلية اي وفي حديث غريب خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم الى ولدني ابي وامي
ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح اهل الاسلام قال وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب ادم ولم تزل تنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من افضل
حيين من العرب هاشم وزهرة انتهى اقول والبغايا في الجاهلية ينصبن على ابوابهن رايات تكون علما لمن اراد من دخل
عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون به شبهة فالتاط اي
تعلق والتحق به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك والله اعلم قال وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح
كلها نكاح وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنكاح الاسلام اي يخطب الرجل الى الرجل موليته فيصدقها ثم
يعقد عليها انتهى وعن الامام السبكي الانكحة التي وقعت في نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى ادم الا نكاح صحيح يجمع شرائط الصحة
كنكاح الاسلام الموجود اليوم قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والاخرة قال بعضهم وهذا
من اعظم العناية به صلى الله عليه وسلم ان اجرى الله سبحانه نكاح ابائه من ادم الى ان خرج من بين ابويه على نظر واحد وفق
شريعته صلى الله عليه وسلم ولم يكن كما كان يقع في الجاهلية اذا اراد الرجل ان يتزوج قال خطب فيقول اهل الزوجة
نكح كما تقدم ويكون ذلك تماما مقام الايجاب والقبول والمراد بنكاح الاسلام ما يفيد الحل حتى يشمل التسري بناء

ان ادم اسمعيل كانت مملوكة لابرهيم حين حملت اسمعيل ولم يعتقها ولم يعقد عليها قبل ذلك وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كما
في البخاري ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء نكاح كنكاح الناس اليوم اي بايجاب وقبول شرعيين دون ان يقول الزوج
نكح وحينئذ يزيد على ذلك النكاح الذي كان يقال عنه ذلك البغايا ونكاح الاستبضاع ونكاح الجمع ومن انكحة الجاهلية
نكاح زوجة الاب لاكبر اولاده والجمع بين الاختين على ما تقدم وحينئذ يكون المراد لتبين في نسبه صلى الله عليه وسلم
نكاح زوجة الاب خلافا لما تقدم عن السهيلي ولا الجمع بين الاختين ولا نكاح البغايا وهو ان يطأ البغي جماعة متفرقين
واحدا بعد واحد فاذا حملت وولدت الحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم ولا الاستبضاع وذلك ان المراة كانت في الجاهلية اذا طهرت
من حيضتها يقول لها زوجها ارسلي الى فلان استبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها ابدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي
تستبضع منه فاذا تبين حملها اصابها زوجها اذا احب ليس فيه نكاح الجمع وهو ان يجمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امراة
من البغايا ذوات الرايات كلهم يطؤها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم فلم يستطع رجل ان
يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من احبت منهم فيلحق به ولدها
لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل ان لم يغلب شبهه عليه فنكاح البغايا قسمان وحينئذ يحتمل ان تكون ام عمرو بن العاص رضي الله تعالى
عنه من القسم الثاني من نكاح البغايا فانه يقال انه وطئها اربعة وهم العاص وابو لهب وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب وادعى
كلهم عمروا فالحقته بالعاص وقيل لها لم اخترت العاص قالت لانه كان ينفق على بناتي ويحتمل ان تكون من القسم الاول ويدل
عليه انه ما قيل انه الحق بالعاص لغلبة شبهه به وكان عمرو يعير بذلك عيره بذلك علي وعثمان والحسن وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة
رضي الله عنهم وسياتي ذلك في قصة قتل عثمان ان الكلام على ما جرى المدينة قال العلماء انه صلى الله عليه وسلم قال لم ازل انقل
من اصلاب الطاهرات اي وفي رواية لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة وروى البخاري بعثت من خير
قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه انتهى وقد تقدم في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قيل من ساجد الى
ساجد وتقدم ما فيه ومن جملته قول ابي حيان ان ذلك استدل به بعض الرافضة على ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين
اي متمسكين بشرائع انبيائهم ثم رايت الحافظ السيوطي قال الذي تلخص ان اجداده صلى الله عليه وسلم من ادم الى مرة بن كعب
مصرح بايمانهم اي في الاحاديث واقوال السلف وبقي بين مرة وبين عبد المطلب لم يعثر احد لهم على نقل وعبد المطلب
سياتي الكلام فيه وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة اقوال احدها وهو الاشبه انه لم تبلغه الدعوة اي لانه سياتي انه مات
وسنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين والثاني انه كان على ملة ابرهيم عليه الصلوة والسلام اي لم يعبد الاصنام والثالث
ان الله احياه بعد البعثة حتى امن به ثم مات وهذا اضعف الاقوال واوهاها لم يرد قط في حديث ضعيف ولا غيره ولم يقل
به احد من ائمة السنة وانما حكي عن بعض الشيعة قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من اصلاب الطاهرين دليل على ان ابا
النبي صلى الله عليه وسلم وامهاته الى ادم وحوا ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وغيره ان الطاهر يحتمل انه
يجوز ان يكون المراد بها ما قابل انكحة الجاهلية المتقدم ذكرها وقد اشار الى الاسلام ابائه وامهاته صلى الله عليه وسلم
صاحب الهمزية بقوله لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الامهات والاباء اي الاخيار اي لان الكافر لا يقال انه مختار الله
والسبب الذي دعا عبد المطلب بنو زهرة ما حدث به ولده العباس رضي الله تعالى عنه قال قال عبد المطلب قدمنا اليمن
في رحلة الشتاء فنزلت على حبر من اليهود يقرا التوراة اي الكتاب ولعل المراد به التوراة فقال من الرجل قلت
من قريش قال من ايهم قلت من بني هاشم قال تاذن لي ان انظر بعضك قلت ما لم يكن عورة قال ففتح احد منخري
فنظر فيه ثم نظر في الاخرى قال اشهد ان في احدى يديك ملكا وهو مراد الاصل بقوله في منخريك ملكا وفي الاخرى

بنوة وانما يجد ذلك اى كلا من الملك والنبوة فى بنى زهرة فكيف ذاك قلت لا ادرى قال هل لك من شاعة قلت وما الشاعة
قال الزوجة اى لانها تشايع اى تتابع وتناصر زوجها قلت اما اليوم فلا اى ليس لى زوجة من بنى زهرة ان كان معه غيرها
او مطلقا ان لم يكن معه غيرها فقال اذا تزوجت فتزوج منهم اى وهذا الذى ينظر فى الاعضاء وفى خيلان الوجه فيحكم على صاحبها
بطريق الفراسة يقال له حزا بالمهملة وتشديد الزاى لحوه همزة منونة وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى عن شيخه على الخواص
نفعنا الله ببركاتهما انه كان اذا نظر لانف انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة الى ان يموت على التعيين من صغره الى آخر
هذا الامر اى ومن ذلك ان معوية بن ابى سفيان تزوج امراة ولم يدخل بها فقال لزوجته ميسون ام ابنه يزيد اذهبى فانظرى
اليها فانها فنظرت ثم رجعت اليه وقالت هى بديعة الحسن والجمال ما رايت مثلها لكن رايت خالا اسود تحت سرتها فهذا يدل
على ان راس زوجها يقطع ويوضع فى حجرها فطلقها معوية ثم تزوجها النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه وكان واليا على حمص
فدعى لابن الزبير ونبذ بيعة مروان ثم خاف من اهل حمص لما تبعوا مروان ثم هرب فتبعه جماعة منها فقطعوا راسه ووضعوها فى
حجر تلك المراة ثم بعثوا بتلك الراس الى مروان وقتل النعمان هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لان امه لما ولدته وكان
اول مولود للانصار بعد الهجرة على ما سيأتى حملته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى بتمرة فمضغها ثم وضعها فى فيه فحنكه
بها فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يكثر ماله وولده فقال اما ترضين ان يعيش حميدا ويقتل شهيدا ويدخل
الجنة وهو الذى اشار على يزيد بن معوية باكرام آل البيت لما قتل الحسين ممن كان مع الحسين من اولاده واولاد اخيه وقال
وقال له عاملهم بما كان يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم على هذه الحالة فرق لهم يزيد واكرمهم وردهم
لمعهم واحترمهم باكرامهم على ما سيأتى ذكره ومما يروى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للشيطان فخوخا
ومصالى وان من مصاليه وفخوخه البطر بنعم الله والفخر بعطاء الله والتكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله و
تذكر ان حمص نزل بها من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة منهم سبعون بدريا وفى حياة الحيوان ان حمص
لا تعيش بها العقارب واذا طرحت فيها عقرب من بيت ماتت لوقتها قيل لطلسم بها وفى حديث ضعيف ان حمص من مدن الجنة
وقيل الحزا هو الكاهن وقيل هو الذى يحزر الاشيا ويقدرها بظنه ويقال الذى ينظر فى النجوم فانه ينظر فيها بطبعه ربما اخطأ
اى لان من علوم العرب الكهانة والعيافة والقيافة والزجر والخط اى الرمل والطرق ومعرفة الانواء ومهاب الرياح فلما
رجع عبد المطلب الى مكة تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة وصفية وزوج ابنه عبد الله امنة بنت وهب
اخى وهيب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فكانت قريش تقول فلج عبد الله على ابيه اى فاز وظفر لان
الفلج بالفاء واللام المفتوحتين والجيم الفوز والظفر اى قد ظفر بما لم يظفر به ابوه من وجود هذا المولود العظيم الذى وجد
عنده ولادته ما لم يوجد عنده ولادة حمزة اى ومن كلام ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة بنت وهيب عم امنة فى
مجلس خطبة عبد الله لامنة وتزوجها وابتنيا بهما ثم رايت فى اسد الغابة ما يوافقه وهو ان عبد المطلب تزوج
هو وعبد الله فى مجلس واحد قيل وفيه تصريح بان عبد الله موجود احين قال الحبر لعبد المطلب ان النبوة موجودة
فيه وكيف تكون موجودة فى عبد المطلب مع انها لعبد الله وقد يقال مراد ان عبد المطلب تزوج هالة عقب مجيئه
من عند الحبر حتى يكون قول الحبر لعبد المطلب مرادا به وجد عبد المطلب جاز ان يكون ذلك صدر عن الحبر
لعبد المطلب قبل ولادة عبد الله وبهذا ان هذا لا يحسن الا لو كانت ام عبد الله من بنى زهرة الا ان يقال يجوز ان
يكون عبد الله وجد من بنى زهرة لجواز ان يكون عبد المطلب تزوج من بنى زهرة غير هالة فولدت له عبد الله ثم ان قول
الحبر لعبد المطلب انه يجد فى احدى يديه الملك وان يكون فى بنى زهرة مشكل ايضا لان الملك لم يكن الا فى اولاد ولده

العباس ولا يستقيم الا لو كانت ام العباس من بنى زهرة اما هالة التى هى ام حمزة وغيرها وام العباس ليست من بنى زهرة خلافا لما وقع
فى كلام بعضهم ان العباس ولدته هالة وهو شقيق حمزة لانه خلاف ما اشتهر عن الحفاظ الا ان يقال جاز ان يكون الملك
والنبوة اللذين عناهما الحبر هما نبوته وملكه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم اعطيهما اى كلا من الملك والنبوة المشتملين
المراد ابيه عبد الله بناء على ان عبد الله كانت امه من بنى زهرة ولعله لا ينافيه قول بعضهم تزوج عبد المطلب فاطمة بنت عمرو وجعل
مهرها مائة ناقة ومائة رطل من الذهب فولدت له ابا طالب وعبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم لانه يجوز ان تكون فاطمة
هذه من بنى زهرة وحينئذ لا يشكل قول الحبر اذا تزوجت فتزوج منهم اى من بنى زهرة بعد قوله انك شاعة وقيل الذى
دعى عبد المطلب لاختيار امنة من بنى زهرة لولده عبد الله ان سودة بنت زهرة الكاهنة هى عمة وهب والد امنة امه
صلى الله عليه وآله وسلم كان من امرها انها لما ولدت رآها ابوها زرقا شيما اى سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت
على هذه الصفة اى يدفنونها حية ويسكون من لم تكن على هذه الصفة مع ذلك كراهة اى لانه سيأتى ان الجاهلية كانوا
يدفنون البنات ومن احيا خصوصا كندة قبيلة من العرب بخوف العار او خوف الفقر والاملاق وكان عمرو بن نفيل يحيى
الموؤدة لاجل الاملاق يقول للرجل اذا اراد ان يفعل ذلك لا تفعل انا اكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت
قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان صعصعة الفرزدق يفعل مثل ذلك فامر ابوها بوادها
وارسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر واراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها البرية فالتفت فلم ير
شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى المعنى فرجع الى ابيها واخبره بما سمع فقال ان لها لشانا وتركها فكانت كاهنة
قريش فقالت يوما لبنى زهرة فيكم نذيرة او تلد نذيرا فاعرضوا على بناتكم فعرضن عليها فقالت فى كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين
حتى عرضت عليها امنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة او تلد نذيرا له شان وبرهان منير اى فاختيار عبد المطلب لامنة
من بنى زهرة عبد الله واضح من سياق قصة هذه الكاهنة واما الخبارة لم تقصد بعض نسا بنى زهرة فنسبة ما تقدم
عن الحبر بناء على ان ام عبد الله كانت من بنى زهرة واما جعل الشمس الشامى ما تقدم عن الحبر سببا لتزويج عبد المطلب
ابنه عبد الله امراة من بنى زهرة معينة فغير ظاهر اذ كيف يأتى ذلك مع قوله اذا تزوجت فتزوج منهم بعد قوله انك شاعة
اى ذو جرم ثم رايت ابن دحية ذكر فى التنوير عن البرقى ان سبب تزويج عبد الله امنة ان عبد المطلب كان يأتى اليمن و
كان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم فنزل عنده مرة فاذا عنده رجل ممن قرا الكتب فقال له ائذن لى ان افتش منخرك فقال
ودونك فانظر فقال ارى نبوة وملكا واراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق
بابنه عبد الله فزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب فولدت له حمزة وزوج ابنه عبد الله امنة فولدت له رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا واضح لانه اسقط قول الحبر لعبد المطلب هل لك من شاعة الى آخره فاحتاط عبد المطلب فتزوج من بنى زهرة
وزوج ولده عبد الله منهم وحينئذ كان المناسب للبرقى ان يزيد بعد قوله ان سبب تزويج عبد الله امنة قوله وتزوج
عبد المطلب هالة الخ باب ذكر حمل امه به صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين عن الزهرى قال قالت
امنة لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته وعنها انها كانت تقول ما شعرت بفتح اوله وثانيه اى ما علمت بانى
حملت به ولا وجدت له ثقلا بفتح الثاء كما تجد النسا الا انى انكرت رفع حيضتى بكسر الحاء الهيئة التى تلزمها الحائض من التجنب
واما بالفتح فالمرة الواحدة من دفعات الحيض اى والذى ينبغى ان يكون الثانى هو المراد واستعملت المرة فى مطلق الدم الذى
تراه الحائض وربما يؤيد ان هذا هو المراد ان بعضهم نقل ان الحيضة بالكسر اسم للحيض قالت وربما ترفعنى وتعود اى فكم
رفعها ليلا على الحمل اى وهذا ربما يفيد ان حيضتها تكرر قبل حملها به صلى الله عليه وسلم ولم اقف على مقدار تكرره

وقد ذكر ان مريم حاضت قبل حملها بعيسى عليه الصلوة والسلام حيضتين قالت امنة واتاني ات اي من الملئكة وانا
بين النائمة واليقظانة وفي رواية بين النائم اي الشخص النائم واليقظان فقال هل شعرت بانك حملت بسيد هذه الامة
ونبيها اي وفي رواية بسيد الانام اي اعلمي ذلك وامهلني حتى دنت ولادتي اتاني فقال قولي اذا ولدتيه اعيذه بالواحد
من شر كل حاسد اي ثم سميه محمدا فان اسمه في التورية والانجيل احمد يحمده اهل السماء واهل الارض وفي القران محمد اي
والقران كتابه وسياتي عن بعض البادقران سميه احمد قال بعضهم ويذكر بعض هذا البيت ابياتا لا اصل لها وان بين انها
قالت له ذلك بعد ولادته كان دليلا لما يقوله بعض الناس امنة رقت النبي صلى الله عليه وسلم من العين اقول ظاهر
هذا السياق انها لم تعلم بحملها الا من قول الملك لانها لم تجد ما تستدل به على ذلك لانها لم تجد ثقلا وعادتها ان
حيضها ربما عاد بعد عدم وجوده في زمن المعتاد لها اي ولم تعول على مفارقة النور لعبد الله وانتقال النور اليها
على ما ذكره بعضهم وفي كلام هذا البعض لما فارق النور وجه عبد الله انتقل الى وجه امنة ولا على خروج النور منها
مناما ويقظة بناء على انه عن الحمل على ما ياتي لحقاده لا لزم ماذكر على ذلك ولعل اباه عبد الله لم يبلغ لها قول المراة التي عرضت
نفسها عليه اذ هب فاخبرها انها حملت خير اهل الارض والنقل في ابتداء الحمل الذي حمل عليه بعض الروايات كما سياتي
يجوز ان يكون بعد اخبار الملك لها لكن في المواهب رواية عن كعب ان مجيء الملك لها كان بعد ان مضى من حملها ستة اشهر
فان الستة اشهر لا يقال انما ابتدا الحمل وبعض الرواية كانت امنة تحدث وتقول اتاني ات حين مر بي من حملي ستة اشهر في
المنام وقال لي يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك الا ان يقال يجوز تعدد الملك او
تكرر مجيء الملك لها فليتامل والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان من دلالة حمل امنة اي برسول الله صلى الله عليه
وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة اي التي حمل فيها اي في اليوم قبلها برسول الله صلى الله عليه وسلم اي بناء على ان هذا
هو الظاهر مما تقدم انه حين وقع عليها انتقل اليها ذلك النور وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق
سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا اي ومثل هذا لا يقال من قبل الراي اقول فهذا الاول على مطلق الحمل
به صلى الله عليه وسلم لا على خصوص حمل امنة به حيث ذاضعر وامادلالة الثاني عليه فقد يتوقف الا ان يقال ان ذلك
كان من علامة الحمل به في الكتب القديمة مع ان المدعى في كلام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خصوصا من حمل امنة به على ان
السياق يدل على ان المراد علم امر حملها به والله اعلم وعن كعب الاحبار ان في صبيحة تلك الليلة اصبحت اصنام الدنيا منكوسة
اي ولعل ذلك كان من علامة حمل امنة به في الكتب القديمة وقول الصادق لا يتخلف وسياتي ان عند ولادته ايضا انتكست
تلك الاصنام ولا مانع من التعدد قال العدوي الحاكم وصححه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا
عن نفسك فقال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى اخي عيسى ورات امي حين حملت بي كانه خرج منها نور اضاءت وفي لفظ سراج وفي لفظ
شهاب اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام قال الحافظ العراقي وسياتي ان امها رات النور خرج منها عند الولادة وهو
اولى لكونه طرقه متصلة ويجوز ان يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته اي وكلاهما يقظة و
لا مانع من هذه اي رؤية النور حين حملت به كانت مناما كما تصرح به الرواية الاتية وتلك يقظة فلا تعارض بين الحديثين
انتهى اقول الرواية الاتية هي رواية شداد بن اوس ولفظها انها رات في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا وهي تفيد
ان ذلك النور هو نفس حملها فهو بعد تحقق الحمل ووجوده والرواية التي هنا تفيد ان النور غيره وانه كان وقت ابتداء
وجود الحمل فلا يصح حمل احديهما على الاخرى الا ان يقال المراد بحيث حملت زمن حملها وان النور كان هو ذلك الحمل والذي
ينبغي ان تكون رواية شداد التي حملت عليها الرواية الاولى حاصلة قبل الولادة فتكون رات النور عند الولادة

مناما

مناما ويقظة ثانيا سابقا لها على انه يجوز ابقاء الروايات الثلاث على ظاهرها وانها رات مناما انها خرج منها نور عند ابتداء الحمل
ثم رات كذلك عند قرب ولادتها ان الذي في بطنها خرج نورا ثم رات يقظة عند وضعه خروج النور وسياتي في رواية عن امه
انها قالت لما وضعته خرج معه نور وهي لا تخالف هذه الرواية الثالثة حتى تكون رابعة بصرى اي قيل بعض من الشام غلب اليها
نور النبوة وعلى انه مرتين ناسب عندوصر صلى الله عليه وسلم لها مرتين مرة مع عمه ابي طالب ومرة مع ميسرة غلام خديجة رضي الله
تعالى عنها كما سياتي وبها مبرك الناقة التي يقال ان ناقته صلى الله عليه وسلم بركت فيه فاثر ذلك فيه وبنى على ذلك المحل مسجد
لهذا كانت اول مدينة فتحت من ارض الشام في الاسلام وكان فتحها صلحا في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه على يد
خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وبها قبر سعد بن عبادة وهي من ارض حوران والله اعلم ووقع الاختلاف في مدة حمله صلى
الله عليه وسلم فعن ابن عائذ بالياء المثناة تحت والذال المعجمة انه صلى الله عليه وسلم بقي في بطن امه تسعة اشهر كملا لا
تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء اي وقد ولد عند وجود المشتري وهو كوكب نير سعيد فقد
كانت ولادته صلى الله عليه وسلم عند وجود السعد الاكبر والنجم الازهر وكانت امه تقول والله ما رايت من حمل هو اخف منه ولا
اعظم بركة منه وروى ابن حبان عن حليمة رضي الله تعالى عنها عن امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت ان لابني هذا
شانا اني حملت به فلم اجد حملا قط كان اخف علي ولا اعظم منه بركة وقيل بقي عشرة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل سبعة اشهر و
قيل ثمانية اشهر اي ويكون ذلك من اياته كما ان عيسى عليه الصلوة والسلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به مع قول الحكماء والمنجمين ان
من يولد في الشهر الثامن لا يعيش بخلاف التاسع والسابع والسادس فانه ان خرج عاش وان لم يخرج استراح في البطن عقب تلك الحركة
المتعبة المضعفة له فلا يتحرك في الثامن ولذلك تقل حركته في البطن في ذلك الشهر فاذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية
الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي لم ار للثمانية صورة في نجوم المنازل
ولهذا كان المولود اذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض ان يعيش يكون معلولا لا ينتفع بنفسه وذلك لان الشهر
الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت اي وقيل بل كان حمله ووضعه في ساعة واحدة وقيل في ثلاث ساعات
اي كما قيل بذلك في عيسى اي وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها سنة الفتح والابتهاج فان قريشا
كانت قبل ذلك في جدب وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الرغد من كل جانب في تلك السنة وفي حديث مطعون
فيه قد اذن الله تلك السنة لنساء الدنيا ان يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ولم اقف على ما يجري على
السنة المراح من انه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله في بطن امه كما نقل عن عيسى عليه الصلوة والسلام انه كان يكلم امه
اذا خلت عن الناس ويسبح الله ويذكره اذا كانت مع الناس وهي تسمع وعن شداد بن اوس قال بينا نحن جلوس مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ كبير من بني عامر هو مدرة قومه اي المقدم فيهم يتوكا على عصا فمثل بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يا ابن عبد المطلب اني انبئت انك تزعم انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلك بما
ارسل به ابرهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الا انك فهت بعظيم وانما كانت الانبياء والخلفاء اي معظمهم في بيتين
من بني اسرائيل وانت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان فما لك والنبوة ولكن لكل حق حقيقة فانبئني بحقيقة قولك
وبدء شانك قال فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسئلته ثم قال يا اخا بني عامر ان لهذا الحديث الذي تسالني عنه
نبأ ومجلسا فاجلس فثنى رجليه ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال يا اخا بني عامر
ان حقيقة قولي وبدء شاني اني دعوة ابرهيم اي حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز اي وعند ذلك قيل له قد استجيب لك وهو كائن في اخر الزمان كذا في تفسير

ابن حجر قال فى ينبوع الحيوة اجمعوا على ان الرسول المذكور ههنا هو محمد صلى الله عليه وسلم اقول وفيه ان جبريل عليه السلام
اعلم ابرهيم قبل ذلك بانه يوجد نبى من العرب من ذرية ولده اسمعيل فلذا وان ابرهيم لما امر باخراج هاجر ام ولده اسمعيل حملهم
وهي وولدها على البراق فلما اتى مكة قال له جبريل عليه السلام انزل فقال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبى الامى الذى
من ذرية ولدك يعنى اسمعيل الذى يتم به الكلمة العليا الا ان يقال الغرض من دعائه بذلك تحقيق حصوله وتقدم ان ام اسمعيل قالت
لابرهيم ما قال له جبريل والله اعلم ثم قال وبشرى اخى عيسى وفى رواية انا اخو من بشر به عيسى اى اخو نبى بشر به من الانبياء عيسى
بدليل الرواية الاخرى وكان اخو من بشر به عيسى لان الانبياء بشرت به قومها والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله ما مضت
فترة من الرسل الا بشرت قومها بك الانبياء وبشر به عيسى فى قوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدى من التورية ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد اى والمبشر بهم من الانبياء قبل وجودهم ايضا
ابرهيم اسحق ويعقوب ويحيى وعيسى قال الله تعالى فى حق سارة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب بناء على ان البشرى بان
يبقى الى ان يولد يعقوب لولدها اسحق وقال فى حق ذكريا ان الله يبشرك بيحيى وقال فى حق مريم ان الله يبشرك بكلمة منه
اسمه المسيح ثم قال ورؤيا امى اى وامى وانما حملتنى كما تحمل النساء وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ما تجد ثم انها
رأت فى المنام ان الذى فى بطنها خرج نورا قالت فجعلت اتبع بصرى النور والنور يسبق بصرى حتى اضاءت لى مشارق الارض و
مغاربها الحديث وسيأتى فى تتمة الرضاع اى وقال ابن الجوزى فى مزد وعن امه صلى الله عليه وسلم هو صلى الله عليه وسلم
لما قيل له يا رسول الله ما كان بدو امرك قال دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى قالت خرج منى نور اضاءت له
قصور الشام قال الحافظ ابو نعيم الثقل الذى وقع فى هذه المسئلة الرواية كان فى ابتداء الحمل والخفة التى جاءت فى سابق
من الروايات كانت عند استمرار الحمل ليكون ذلك خارجا عن المعتاد كذا قال اقول تقدم انه يجوز ان يكون هذا الثقل
الواقع فى ابتداء الحمل كان بعد اخبار الملك لها بالحمل فلا يخالف ما سبق وفيه ما سبق والجواب عنه لكن تقدم عن النقرى قالت
امنة لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته فيمكن ان يكون المراد بالمشقة ما تقدم وفى بعض الروايات لم تشكوا
وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء اى مع وجود الثقل لم يحصل لها المشقة المذكورة وحينئذ لا
ينافى ذلك شكواها ما تجده من ثقله والله اعلم باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم عن ابن اسحق لم يلبث عبد الله بن
عبد المطلب انه توفى وام رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به اى كما عليه اكثر العلماء اى وصححه الحافظ الدمياطى وسيأتى
فى بعض الروايات ما يدل على ان ذلك من علامات نبوته كما فى الكتب القديمة قيل وان موت والده صلى الله عليه وسلم كان بعد
ان تم لها من حملها شهران وقيل قبل ولادته بشهرين وقيل كان فى المهد حين توفى ابوه ابن شهرين وذكر السهيلى انه عليه اكثر
العلماء فليتأمل مع ما قبله وقيل كان ابن سبعة اشهر اى وقيل ابن تسعة اشهر وقيل وعليه الاكثرون والحق انه قول كثير لا الا
الاكثرين وقيل ابن ثمانية عشر شهرا وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا اى وما يأتى فى الرضاع من ان امه ابنه ليتيمه ينافى العز
لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف القول الذى قبله لانه لم يبق من زمن الرضاع الا شهران وكانت وفاته بالمدينة خرج اليها
ليمتار تمرا ولزيارة اخواله بها اى اخوال ابيه عبد المطلب ابن عدى النجار اى ولا مانع من قصد الامرين معا وقيل خرج الى
غزة فى عير من عيران قريش والعيران بكسر العين وفتح المثناة تحت جمع عير وهى التى تحمل الميرة خرجوا للتجارة ففرغوا من تجارتهم
وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال انا اتخلف عند اخوالى بنى عدى بن النجار والنجار هذا اسمه تيم وقيل له النجار
لانه اختتن بقدوم وهو آلة النجارة وقيل لانه نجر وجه رجل بقدوم فقام عندهم مريضا اى شهرا اى وهذا الثبت فى الاول
ومضى اصحابه فقدموا مكة فسألهم ابوه عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه عند اخواله بنى عدى بنى النجار وهو مريض فبعث اليه

اخاه

اخاه الحرث وهو اكبر اولاد عبد المطلب كما تقدم اى فوجده ثم كان يكنى به ولم يدرك الاسلام فوجده قد توفى اى ودفن فى دار
النابغة ان عبد المطلب ارسل له ابنه الزبير شقيق عبد الله فشهده ودفن فى دار التابعة بالتاء المثناة فوق والباء الموحدة
والعين المهملة اى وهو رجل من بنى عدى بن النجار اى فلما جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ونظر الى تلك
الدار عرفها وقال ههنا نزلت بى امى وفى هذه الدار قبر ابى عبد الله واحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار وعن هذا
وعلى ما جاء عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان هو واصحابه يسبحون فى غدير اى فى
الجحفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه وبقى النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر فسبح
النبى صلى الله عليه وسلم الى ابى بكر حتى اعتنقه وقال انا وصاحبى انا وصاحبى وفى رواية انا الى صاحبى انا الى صاحبى نعم
رد قول بعضهم وقد سئل هل عام صلى الله عليه وسلم الظاهر لا لانه لم يثبت انه سافر فى بحر ولا بالحرمين بحر قال وقيل توفى
ودفن ابوه بالابواء محل بين مكة والمدينة انتهى اقول سيأتى ان الذى بالابواء قبر امه على الاصح فلعل قائل ذلك اشتبه عليه
الامر لانه يجوز ان يكون سمعه صلى الله عليه وسلم يقول وهو بالابواء هذا قبر احد ابوى وقد ذكر بعضهم فى حكمة تربيته صلى الله
عليه وسلم يتيما ما لا يظهر به وقد جاء ارحموا اليتامى واكرموا الغرباء فانى كنت فى الصغر يتيما وفى الكبر غريبا وقد جاء ان الله
لينظر كل يوم الى الغريب المغترة والله اعلم واورد الخطيب عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الله تعالى احيا له اباه وامن به
وفى المواهب احيا الله له ابويه حتى امنا به قال السهيلى وفى اسناده مجاهيل وقال الحافظ ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده
مجهول وقال ابن دحية هو حديث موضوع يرده القران والاجماع على ثبوته يكون ناسخا اى معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم
وساله رجل اين ابى فقال فى النار فلما قفى اى ولى دعاه وقال له ان ابى واباك فى النار وفيه ان هذا رواه مسلم فلا يكون ذلك
الحديث ناسخا اى معارضا له اقول هو على تقدير ثبوته يكون معارضا على ان حديث مسلم هذا لم يتفق الرواة على قوله ان
ابى واباك فى النار وهذه اللفظة انما رواها حماد بن سلمة عن ثابت عن انس وخالفه معمر عن ثابت عن انس فروى بدل ذلك اذا مررت
بقبر كافر فبشره بالنار وقد نصوا على ان معمرا اثبت من حماد فان حمادا تكلم فى حفظه ووقع فى احاديثه مناكير ذكروا ان ربيبه دسها
فى كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها واما معمر فلم يتكلم فى حفظه ولا استنكر شىء من حديثه وايضا بالذى رواه معمر ورد
من حديث سعد بن ابى وقاص فقد اخرج البزار والطبرانى والبيهقى من طريق ابرهيم وسعد عن الزهرى عن عامر بن سعد عن ابيه
ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اين ابى فقال فى النار قال اين ابوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار وهذا
الاسناد على شرط الشيخين فاللفظ الاول من تصرف الراوى رواه بالمعنى بحسب ما فهمه فاخطأ وذكر الحافظ السيوطى ان مثل هذا
وقع فى الصحيحين فى روايات كثيرة من ذلك حديث مسلم عن انس فى نفى قراءة البسملة والثابت من طريق اخرى نفى سماعها ففهم
منه الراوى نفى قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فاخطأ كذا اجاب امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه عن حديث قراءة البسملة
والذى ينبغى ان يقال يجوز ان يكون هذا اى ما فى الصحيح كان قبل ان يسأل الله ان يحييه له فاحياه وامن به كما اشار اليه
الاصل والله قال فى ذلك لمصلحة ايمان ذلك السائل بدليل انه لم يتدارك صلى الله عليه وسلم الا بعد ما قفى فظهر له من حاله
انه يعرض له فتنة اى يرتد عن الاسلام فاتى له بما هو شبيه بالمشاكلة مريدا بابيه عمه ابا طالب لا عبد الله لانه كان يقال
لابى طالب لاب النبى لانه يرجع عن شتم المهنا وقالوا له اعطنا ابنك وخذ هذا مكانه فقال اعطيكم ابنى تقتلونه الى غير ذلك مما يأتى
على انه تقدم ان العرب تسمى العم ابا لا يقال على ثبوت هذا الحديث وصحته الذى صرح بها غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا
لمن طعن فيه كيف ينفع الايمان بعد الموت لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم لكن قال بعضهم من ادعى
الخصوصية فعليه الدليل اى لان الخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ولا تثبت الا بحديث صحيح وفى كلام القرطبى

ثنا احيى الله تعالى على يده صلى الله عليه وسلم جماعة من الموتى واذا ثبت ذلك فما يمنع ايمان ابويه بعد احيائهما ويكون ذلك
زيادة في كرامته وفضيلته ولو لم يكن احيا ابويه نافعا لايمانهما وتصديقهما لما احييا كما ان رد الشمس لو لم يكن نافعا في بقا الوقت
والله اعلم قال الواقدي المعروف عندنا وعند اهل العلم ان امنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل
سبط ابن الجوزي ان عبد الله لم يتزوج قط غير امنة ولم تتزوج قط امنة غيره ونقل اجماع علما النقل على ان امنة لم تحمل بغير النبي
صلى الله عليه وسلم ومعنى قولها لم احمل حملا اخف منه المفيد انها حملت بغيره صلى الله عليه وسلم خرج على وجه المبالغة انتهى
اقول هذه الرواية لم اقف عليها والذي تقدم ما رايت من حمل هو اخف ولا اعظم بركة منه حملت به فلم اجد حملا قط اخف منه على وحمل
الرواية والوجدان على العلم الحاصل باخبار غيرها من ذوات الحمل لها عن حالهن ممكن فلا يقتضي ذلك انها حملت بغيره ولا ابنا
قولها احق على لان المراد على ما علمت والله اعلم قال الحافظ ابن حجر نسب سبط ابن الجوزي في نقل الاجماع الى المجازفة قال
وجازف سبط ابن الجوزي كعادته في نقل الاجماع ولا يمتنع ان تكون امنة اسقطت من عبد الله سقطا فاشارت بقولها
المذكور اليه انتهى اقول وحينئذ تكون حملت بذلك السقط بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بنا على ان والده لم يمت
وهو حمل بل بعده ومعه وانها وجدت المشقة في حمل ذلك السقط وان اخبارها بذلك تاخر عن حملها بذلك السقط واخبارا
فحملها بذلك الحمل من الشدة ما لم تجده في حمله صلى الله عليه وسلم واما حملها بذلك السقط قبل حملها به صلى الله عليه وسلم
فلا يتاتى لما تقدم من ان عبد الله دخل بها حين املك عليها وانتقل اليها النور عند ذلك ولا تنزعج بذلك عن كونه
بكر ابويها اما رواية حملت الاولاد فما وجدت حملا قال فيها الواقدي لا تعرف عند اهل العلم كما بينا ذلك في الكوكب المنير على ان
امكان حملها بسقط لا يقدح في نقل الاجماع على انها لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم لامكان ان مراده حملا تاما وفي الخصايص
الصغرى للجلال السيوطي ولم يلد ابواه غيره صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال وترك عبد الله جاريته ام ايمن بركة الحبشية
اسلمت قديما هي وولدها ايمن وكان من حبشي يقال عبيد انتهى اقول في كلام ابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم اعتقها حين
تزوج بخديجة رضي الله عنها وزوجها عبيد الحبشي بن زيد من بني الحارث فولدت له ايمن ولا ينافيه ما في الاصابة كانت
ام ايمن تزوجت في الجاهلية بمكة عبيد الحبشي بن زيد وكان قدم المدينة واقام بها ثم نقل ام ايمن الى يثرب فولدت
له ايمن ثم مات عنها فرجعت الى مكة فتزوجها زيد بن حارثة قال البلاذري والله اعلم قال وقد تزوجها صلى الله عليه و
سلم بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة وانما رغب زيد فيها لما سمعه صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يتزوج امراة
من اهل الجنة فليتزوج بام ايمن فجاءت منه باسامة فكان يقال له الحب بن الحب وقيل اعتقها عبد الله قبل موته وقيل كانت
لامه صلى الله عليه وسلم وترك اي عبد الله خمسة احمال وقطعة من غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابيه انتهى اي فهو صلى الله عليه وسلم يرث ولا يورث قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما
تركناه صدقة ودعوى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم يورث بناء على انه الان حي في حياته فعلى تقدير صحته جاز ان يكون ترك
اخذ ميراثه تعففا وسياتي وقال ابن الجوزي واصاب ام ايمن هذه عطش في طريقها لما هاجرت اي الى المدينة على قدميها
وليس معها احد وذلك في حر شديد فسمعت شيئا فوق راسها فتدلى عليها من السماء دلو من ماء ابيض فشربت منه حتى رويت
وكانت تقول ما اصابني عطش بعد ذلك ولو تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر وما عطشت اي في زمن الخلافة قال الواقدي
كانت ام ايمن عسرة اللسان فكانت اذا دخلت على قوم قالت سلام لا عليكم اي بدل سلام الله عليكم فرخص لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تقول سلام عليكم او السلام عليكم هذا كلامه فليتامل فان هذا يقتضي ان الصيغة الاصلية
في السلام سلام الله عليكم مع ان الصيغة السلام اما السلام عليكم او سلام عليكم وكذا عليكم السلام ولم يذكر

ايضا

ايضا تلك الصيغة وعن عايشة رضي الله تعالى عنها شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وام ايمن عنده فقالت يا رسول الله
اسقني فقلت لها اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين هذا فقالت ما خدمته اكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت فسقاها
وبعض المورخين ذكر ان بركة هذه من سبي الحبشة اصحاب الفيل وكانت سودا اي لونها اسود ولها خرج ابنها اسامة في السواد
اي وكان ابوه زيد ابيض ومن ثم كان المنافقون يطعنون في نسب اسامة ويقولون هذا ليس هو ابن زيد فكان رسول الله صلى الله عليه و
سلم يتشوش من ذلك وقد روى الشيخان عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا
فقال الم تري ان مجززا المدلجي دخل علي فراى اسامة وزيدا عليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وقد بدت اقدامهما فقال ان هذه الاقدام
بعضها من بعض وقد جعل ائمتنا ذلك اصلا لوجوب الاخذ بقول القايف في الحاق النسب قال الاب والمعروف ان الحبشية انما هي بركة
اخرى جارية ام حبيبة قدمت معها من الحبشة وكانت تكنى ام يوسف وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم او وهي التي شربت
بوله صلى الله عليه وسلم كما سياتي قيل وورث صلى الله عليه وسلم من ابيه مولاه شقران وكان عبدا حبشيا فاعتقه بعد بدر وقيل
اشتراه من عبد الرحمن بن عوف واعتقه وقيل بل هو وهبه عبد الرحمن بن عوف له صلى الله عليه وسلم باب ذكر
مولده صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولد صلى الله عليه وسلم مسرورا اي مقطوع السرة وجاء ان
ابرهيم عليه السلام حين ولد نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته واذن في اذنه وكساه ثوبا ابيض وولد نبينا صلى الله عليه
وسلم مختونا على صورة المختون اي ومكحولا ونظيفا ما به قذر اقول اي لم يصاحبه قذر بل قد ياتي جواز وجود البلل و
القذر بعده اي بعد خروجه امكان النفاس فلا يستدل بذلك على انه لم تنفس امه فان النفاس عندنا معاشر الشافعية هو البلل الحاصل
بعد الولادة في زمن امكانه ولو قبل مضي خمسة عشر يوما لا الحاصل مع الولد والله اعلم قال وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سواتي اي لئلا يرى احد سواتي عند
الختان قال الحاكم تواترت الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وتعقبه الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون
متواترا واجيب بانه اراد بالمتواتر الاشتهار فقد جاءت احاديث كثيرة في ذلك قال الحافظ ابن كثير فمن الحفاظ من صححها و
منهم من ضعفها ومنهم من راها من الحسان اي وقد يجمع انه لا مخالفة بين هذه الاقوال الثلاثة لانه يجوز ان يكون من قال
صحيح اراد صحيحة لغيرها والصحيحة لغيرها قد تكون حسنة لغيرها ومن قال ضعيف اراد في حد ذاتها وفي الهدى ان الشيخ
جمال الدين بن طلحة صنف في انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مصنفا اجلب فيه من الاحاديث التي لا خطام لها ولا
زمام ورد عليه في ذلك الشيخ كمال الدين بن العديم وذكر انه ختن على عادة العرب وولد من الانبياء على صورة المختون
ايضا غير نبينا صلى الله عليه وسلم ستة عشر نبيا وقد نظم الجميع بعضهم في قوله وفي الرسل مختون لعمرك خلقه
ثمان وتسع طيبون اكارم وهم زكريا شيث ادريس يوسف وحنظلة عيسى وموسى وادم ونوح شعيب سام لوط وصالح
سليمان يحيى هود يس خاتم وليس هذا من خصايص الانبيا عليهم الصلوة والسلام بل غيرهم من الناس يولد كذلك
ومن ثم قالت العامة ان يقولوا لمن يولد كذلك ختنه القمر اي لان العرب تزعم ان المولود في القمر تنفسخ قلفته
فيصير كالمختون وربما قالت العامة ختنه الملائكة وبهذا يرد ما ذكره الجلال السيوطي في الخصايص الصغرى ان من خصايصه
ولادته مختونا وقيل ختن صلى الله عليه وسلم اي ختنه الملك اي الذي هو جبريل كما صرح به بعضهم يوم شق قلبه عند
ظئره اي مرضعته حليمة قال الذهبي انه خبر منكر وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته قال العراقي وسنده غير صحيح انتهى
اي لما عق عنه صلى الله عليه وسلم بكبش كما سياتي اقول ويترجح بانه يجوز ان يكون ولد مختونا غير تام الختان كما هو
الغالب في ذلك فتمم جده ختانه لكن ينازع فيه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا

ولو بواحد سوا اي لاجل الختان كما هو الظاهر ان صح كما قدمناه اي وفي كلام بعضهم ان عيسى عليه الصلوة والسلام ختن بالة
وعلى صحته يجمع بنحو ما تقدم والظاهر ان المراد بالالة التي ختن بها عيسى عليه الصلوة والسلام والتي ختن بها صلى الله
عليه وسلم بناء على ان جده ختنه كانت الالة المعروفة التي هي الموسى والا لنقلت لان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله لا
يقال عدم وجود العلقة نقص في اصل الخلقة الانسانية فقدها لوا في حكمه وجود العلقة السودا التي هي حظ الشيطان فزوالها
بدونها بل تعلق بها تكملة للخلق الانساني لانا نقول انما لو تعلق بتلك العلقة لحصل كمال الخلقة الانسانية لان هذه العلقة
لما كانت تزال ولابد من كل احد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال
بخلاف العلقة السودا وكره الحسن ان يختن الولد يوم السابع لان فيه تشبيها باليهود اي لان ابرهيم لما ختن ولده اسحق
يوم سابع ولادته اتخذه بنو اسرائيل ذلك اليوم سنة وختن ولده اسمعيل لثلاث عشرة سنة قال ابو العباس بن تيمية
فصار ختان اسمعيل اي في ذلك الوقت سنة في ولده يعني العرب ويؤيده قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا لا يختنون
الغلام حتى يدرك اي لان الثلاثة عشر هي مظنة الادراك ومن ثم لما سئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال وانا يومئذ مختون اي في اوايل زمن الختان والله اعلم ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقع على الارض مقبوضة اصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها اقول وفي رواية عن امه انها قالت لما خرج من بطني نظرت
اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل ولا مخالفة لجواز ان يراد باصبعيه السبابتان من اليدين والله اعلم
وفي سجوده اشارة الى ان مبدا امره على القرب من الحضرة الالهية قال وروى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على
يديه رافعا راسه الى السماء وفي رواية وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره الى السماء انتهى اقول وفي رواية وقع جاثيا على ركبتيه
ولا يخالف هذا ما سبق من انها نظرت اليه فاذا هو ساجد لجواز ان يكون سجوده بعد رفع راسه وشخوص بصره الى السماء ولا مخالفة
بين كونه وقع على الارض مقبوضة اصابع يديه ووقوعه على كفيه لجواز ان يكون قبض اصابعه ما عدا السبابة بعد ذلك ولا منافية
قوله مقبوضة المنصوب على الحال لقربه منها من الوقوع على الارض والاقتصار على الركبتين لامكان الجمع بينها وبين الكفين
ورايت في كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ولد واضعا احدى يديه على عينيه والاخرى على سواتيه فليتامل والله
اعلم والى رفع راسه صلى الله عليه وسلم وشخوص بصره الى السماء يشير صاحب الهمزية بقوله رافعا راسه وفي ذلك الرفع
الى كل سودد ايماء وامقا طرفه السماء ومرمى عين من شانه العلو العلاء اي وصفته حالة كونه رافعا راسه الى السماء وفي ذلك الرفع
الذي هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم اشارة الى حصول كل رفعة وسيادة ووصفته حالة كونه رامقا بطرفه
الى السماء ومرمى ذلك الاشارة الى علو مرتبته ان مرمى عين الذي يقصد ارتفاع مكانه الرفعة والشرف قال وروى انه قبض
قبضة من تراب واهوى ساجدا فبلغ ذلك رجلا من بني لهب فقال لصاحبه لين صدق هذا الفال ليغلبن هذا المولود اهل الارض
اي لانه قبض عليها وصارت في يده والفال بالهمز وعدمه يقال فيما يسر والتطير فيما يسوء لغالب هذا التطير بكسر الطاء وقد جاء
في الفال ولا التطير وقيل له ما الفال قال الكلمة اي الصالحة يسمعها احدكم وقال صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة و
يعجبني الفال الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة وفي رواية واحب الفال الصالح وفرق بعضهم بين الفال والتفاول بان الفال
يكون في سماع الادميين والثاني يكون في الطير باسمائها واصواتها ومرها وقوله لا عدوى معارض لما جاء انه كان في وفد
ثقيف رجل مجذوم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد بايعناك فارجع ولما جاء فروا لا تديموا النظر للمجذومين
وسياق الجواب عنه بما يحصل به الجمع بينه وبين ما جاء انه اخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة وقال كل بسم الله عز وجل
متوكلا عليه وبنو لهب بكسر اللام وسكون الهاء حي من الازد اعلم الناس بالزجر اي زجر الطير والتفاول بها وبعيرها فقد كان

في الجاهلية اذا اراد الشخص ان يخرج لحاجة جاء الى الطير وازعجها عن اوكارها فان مر الطاير على اليمين سمي سانحا واستبشر بتلك الحاجة
بقضائها وان مر على اليسار سمي بارحا بالموحدة والراء والحاء المهملة وقعد عن الحاجة تشاؤما ولا يعلم قضاها اي وهذا ما
فسر به امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه الحديث الا اقروا الطير في مكانها فان سفيان بن عيينة قال قلت للشافعي يا ابا عبد الله
ما معنى هذا الحديث فقال علم العرب كان في زجر الطير كان الرجل منهم اذا اراد سفرا جاء الى الطير في مكانها فطيرها الحديث ويحكى
عن وايل بن حجر وكان زاجرا احسن الزجر خرج يوما من عند زياد الكوفة وهو الذي الحقه معوية بابيه ابي سفيان وهو والد عبيد الله
بن زياد الذي قاتل الحسين وكان اميرها المغيرة بن شعبة فرأى غرابا ينعق بالغين المعجمة اي يصيح فرجع الى زياد وقال له هذا
غراب يرحلك من هنا الى خير فقدم رسول معوية الى زياد عن يومه بولاية البصرة وقد ذكر ان ابا ذويب الهذلي الشاعر كان
مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ولما كان وقت
السحر هتف بي هاتف وانا نائم وهو يقول قبض النبي محمد فجعونا تذري الدموع عليه بانسجام قال فقمت من نومي مرعوبا فرايت
في السماء فلم ار الا سعد الذابح فتفاولت به وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتي وحثثتها حتى اذا كنت
بالغابة زجرت الطير فاخبرني بوفاته صلى الله عليه وسلم فلما قدمت المدينة فاذا فيها ضجيج بالبكا كضجيج الحاج فسالت فقيل
قد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى وقد خلى به اهله وابو ذويب هذا هو القايل من المنون وريبها تتوجع
والدهر ليس بمعتب من يجزع واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع وتجلدي للشامتين اريهم اني لريب الدهر
لا اتضعضع والنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع ومن زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جاء اعرابي الى دار القاضي ابي
الحسين الازدي المالكي فجاء غراب فقعد على نخلة في تلك الدار وصاح ثم طار فقال الاعرابي هذا الغراب يقول ان صاحب هذه
الدار يموت بعد سبعة ايام فصاح الناس عليه وزادوه فقام وانصرف ففي سابع يوم مات هذا القاضي وقد جاء النهي عن ذلك
اي عن الزجر والطيرة فقوله صلى الله عليه وسلم اقروا الطير على مكانها اي لا تزجروها وجاء الطيرة شرك وجاء من ارجعته
الطيرة عن حاجته فقد اشرك حيث اعتقد انها تؤثر وجاء اذا راى احدكم من الطيرة ما يكره فليقل اللهم لا ياتي بالحسنات
الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك وفي رواية اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك
ولا اله غيرك ثم يمضي لحاجته وقد جاء لا عدوى ولا طيرة ولا هام وفي لفظ ولا هامة بالتخفيف زاد في رواية ولا
صفر والهامة هو ما كان اهل الجاهلية يزعمون انه اذا قتل القتيل ولم يوخذ بثاره تخرج له طاير يقول عند قبره يقول
اسقوني من دم قاتلي ولا يزال يقول ذلك حتى يوخذ بثار القتيل كانت العرب تسميه الهامة بالتخفيف واما الهامة
بالتشديد فواحدة الهوام وهي الحيات والعقارب ونحوها وقيل كلها ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
في تعويذه للحسن والحسين اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا ابرهيم كان
يعوذ اسمعيل واسحق وقوله ولا صفر ذكر الامام النووي ان المراد به حية صفرا تكون في جوف الانسان اذا جاع تؤذيه
كذا كانت العرب تزعم ذلك قال وهذا التفسير هو الصحيح الذي عليه عامة العلماء وقد ذكره مسلم عن جابر راوي الحديث
فيتعين اعتماده وروى ابن سعد ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رات امي حين وضعتني سطع منها نور اضاءت
له قصور بصرى وفي رواية انها قالت لما وضعته خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب فاضاءت له قصور الشام
واسواقها حتى رايت اعناق الابل ببصرى وفي الخصايص الصغرى وعاينت امه عند ولادته نورا خرج منها اضاءت له قصور
الشام وكذلك امهات الانبياء يرين انتهى ولعل المراد به مطلق النور الذي يجيء منه قصور الشام وقوله قصور
الشام الحمراء ظاهر في ان المراد جميع الاقليم لا خصوص بصرى ولعل الاقتصار على بصرى في الروايات لكون النور كان بها

انه دمن ثم قالت حتى رايت اعناق الابل ببصرى او دان مرة وصول النور الى بصرة خاصة ومرة جاء فيها تاملا والى هذا النور
يشير العباس رضي الله تعالى عنه بقوله في قصيدته التي امتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم عند رجوعه صلى الله عليه وسلم
من غزوة تبوك وقد قال له في رجوعه من تلك الغزوة يا رسول الله اني اريد ان امتدحك فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فقال قصيدة منها وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق فنحن في ذلك
الضياء والنور وسبل الرشاد نخترق والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله وتراءت قصور قيصر بالروم يراها من داره البطحاء اى رئيت
قصور ملك الروم في بلاد الروم ببصرها الذي داره بمكة قال وهذا تمام في تفاوت ذلك النور بقلة وتقدم في حديث شداد
انها رات الله منا ما وقد تقدم الجمع انتهى اى وتقدم ما في ذلك الجمع وذكر ان امامنا الشافعي رضي الله عنه رات وهي حامل ان
النجم المسمى بالمشتري خرج من فرجها فوقع في مصر ثم وقع في كل بلدة منه شظية فتاول ذلك اصحاب تاويل الرؤيا انها
تلد عالما يكون علمه بمصر اولا ثم ينتشر الى ساير البلدان وروى عن الواقدي انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال
ربي الرفيع وروي ان اول ما تكلم به لما ولدته امه حين خروجه من بطنها الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة
واصيلا ولا مانع انه تكلم بكل ذلك والاولية في الرواية الثانية اضافية كما لا يخفى وقد وقع الاختلاف في وقت ولادته
صلى الله عليه وسلم اى هل كان ليلا او نهارا وعلى الثاني اى وقت من ذلك النهار وفي شهره وفي عامه وفي محله فقيل ولد يوم
الاثنين قال بعضهم لا خلاف فيه والله بل اخطا من قال ولد يوم الجمعة اى فعن قتادة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر ان ذلك
كان حين طلوع الفجر ويدل له قول جده عبد المطلب ولد لي الليلة مع الصبح مولود وعن سعيد بن المسيب ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار اى وسطه وكان ذلك اليوم لمضي اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول اى وكان
في فصل الربيع وقد اشار الى ذلك بعضهم بقوله يقول لنا لسان الحال منه وقول الحق يعذب للسميع فوجهي والزمان
وشهر وضعي ربيع في ربيع في ربيع قال وحكى الاجماع عليه وعليه العمل الان اى في الامصار خصوصا اهل مكة في
زيارتهم موضع مولده وقيل لعشر ليال مضت من ربيع وصححه الحافظ الدمياطي اى لان الاول قال فيه ابن دحية
ذكره ابن اسحق مقطوعا دون اسناد وذلك لا يصح اصلا ولو اسنده ابن اسحق لم يقبل منه لتجريح اهل العلم له فقد قال كل
من ابن المديني وابن معين ان ابن اسحق ليس بحجة ووصفه مالك بالكذب قيل وانما طعن فيه مالك لانه بلغه عنه انه قال
هاتوا احاديث مالك فانا الطبيب بعلله فعند ذلك قال مالك وما ابن اسحق انما هو دجال من الدجاجلة اخرجناه من المدينة
قال بعضهم وابن اسحق من جملة ما يروي عن شيخ مالك يحيى بن سعيد وقال بعضهم ان ابن اسحق ثقة لكنه مدلس وقيل
ولد لسبع عشرة ليلة منه وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية وهو الذي لا يصح غيره وعليه اجمع اهل التاريخ
وقال القطب القسطلاني هو اختيار اكثر اهل الحديث اى كالحميدي وشيخه ابن حزم وقيل لليلتين خلتا منه وبه جزم ابن عبد البر
وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه رواه ابن ابي شيبة وهو حديث معلول وقيل لاثنتي عشرة وقيل لثمان ليال خلت من
رمضان وصححه كثير من العلماء وهذا هو الموافق لما تقدم من انه حملت به في ايام التشريق او في يوم عاشوراء وانه مكث
في بطنها تسعة اشهر كوامل لكن قال بعضهم ان هذا القول غريب جدا ومستند قائله انه اوحي اليه في رمضان فيكون مولده
في رمضان على انها حملت به ايام التشريق الذي لم يذكره غيره يعلم ما في بقية الاقوال قال وقيل ولد في صفر وقيل في ربيع
الاخر وقيل في محرم فقيل في عاشوراء اى كما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل لخمس بقين منه انتهى اى وذكر
الذهبي ان القول بانه ولد في عاشوراء من الافك اى الكذب وفيه انه كان ذلك لانه لا يجامع انها حملت به في ايام

التشريق وانه مكث في بطنها تسعة اشهر كوامل لا يختص الافك بهذا القول بل يأتي في ما عدا القول بانه ولد في رمضان
ثم رايت بعضهم حكى انه حمل به في شهر رجب وحينئذ يصح القول المشهور بولادته في ربيع الاول وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما ولد يوم الاثنين في ربيع الاول وانزلت عليه النبوة يوم الاثنين في ربيع الاول وهاجر الى المدينة
يوم الاثنين في ربيع الاول وانزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول وتوفي في يوم الاثنين في ربيع الاول
قال بعضهم وهذا غريب جدا وقيل لم يولد نهارا بل ولد ليلا فعن عثمان بن ابي العاص عن امه رضي الله تعالى عنها انها شهدت
ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء انظر اليه من البيت الا نور واني لا انظر الى النجوم تدنو حتى اني لا
اقول ليقعن علي قال ابن دحية وهو حديث مقطوع قال بعضهم ولا يصح عندي بوجه انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا
لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه بنقل العدل عن العدل لما انه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت واليوم
انما هو النهار بنص القرآن وايضا الصوم لا يكون الا نهارا وافاد البدر الزركشي ان هذا الحديث اى المتقدم عن ام عثمان
بن ابي العاص على تقدير صحته لا دلالة فيه على انه ولد ليلا لان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا
اى فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل والى التردد في وقت ولادته صلى الله عليه وسلم
هل هو في الليل او النهار اشار صاحب الهمزية ليلة المولد الذي كان للدين سرور بيومه وازدهاء فهنيئا به لامنة الفضل
الذي شرفت به حواء انها حملت احمدا ونها به نفساء يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار ما لم تنله النساء اى ليلة المولد
الذي وجد الفرح والافتخار للدين بيومه وقد اضاف كلا من اليوم والليل للولادة مراعاة للخلاف في ذلك فهنيئا لامنة
الفضل الذي حصل لها بسبب ولادتها له صلى الله عليه وسلم اى لا يشرب ذلك الفضل كدر ولا مشقة الذي شرفت بذلك
الفضل حواء التي هي ام البشر ومن يشفع لحواء فيه انها حملت به وانه اصابها نفاس به يوم اعطيت امنة بنت وهب بسبب وضعه
من الفخار وهو ما يتمدح به من الخصال العلية والشيم المرضية ما لم يعطه غيرها من النساء اى وقد اقسم الله بليلة مولده
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى والضحى والليل وقيل اراد بالليل ليلة الاسرى ولا مانع ان يكون الاقسام وقع
بهما اى استعمل الليل فيهما او يدل لكون ولادته صلى الله عليه وسلم كانت ليلا قول بعض اليهود ممن عنده علم الكتاب
لقريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة الى اخر ما ياتي وسياتي ما يدل
على ذلك وضعه صلى الله عليه وسلم تحت الجفنة وولادته صلى الله عليه وسلم قيل كانت في عام الفيل في يومه
فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل وعن قيس بن مخرمة ولدت
انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل فنحن لدان قال الحافظ ابن حجر المحفوظ لفظ العام اى بدل لفظ اليوم
وقد يراد باليوم الوقت فيصدق بالعام كما يقال يوم الفتح ويوم بدر وعليه فلا ان معناه متغاير بان نفي السن بالموحدة
وعلى ان المراد باليوم حقيقة يكون بالنون وفي تاريخ ابن حبان ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله فيه الطير الابابيل
على اصحاب الفيل وعند ابن حبان ولد يوم الفيل يعني عام الفيل انتهى اى لما تقدم عن ابن حجر وعليه فيكون قول ابن
حبان في اليوم تفسير للعام على ان المراد باليوم مطلق الوقت الصادق بالعام وقيل ولد بعد الفيل بخمسين يوما
كان مسايره جمع منهم السهيلي قال بعضهم وهو المشهور وقيل بخمسة وخمسين يوما وقيل باربعين يوما وقيل بشهر وقيل
بعشر سنين وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل بثلاثين سنة وقيل باربعين سنة وقيل بسبعين سنة انتهى اى وعلى انه
بعد الفيل بخمسة وخمسين يوما اقتصر الحافظ الدمياطي وعبارة المواهب حكاه الدمياطي في اخرين وكونه في عام الفيل قال
الحافظ ابن كثير هو المشهور عند الجمهور وقال ابرهيم بن المنذر شيخ البخاري لا يشك فيه احد من العلماء ونقل غير واحد

فيه الاجماع وقول كل قول يخالفه وهم اى وقيل قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة قال بعضهم وهذا غريب منكر وضعيف
ايضا أقول والقول بانه ولد قبل عام الفيل او فيه او بعده بعشر سنين يقتضي تضعيف ما ذكره الحافظ ابو سعيد النيسابوري
ان نور النبي صلى الله عليه وسلم كان يضئ في غرة جده عبد المطلب وكانت قريش اذا اصابها قحط اخذت بيد عبد المطلب
الى جبل ثبير يستسقون به فيسقيهم الله ببركة ذلك النور وانه لما قدم صاحب الفيل لهدم الكعبة لتكون كنيسته التي
بناها ويقال لها القليس كقبيط لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لانها في اعلى الرؤوس مكان الكعبة في الحج
اليها وقد اجتهد ابرهة في زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب كان ينقل ذلك من قصر بلقيس
صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وشدد على عمالها بحيث
اذا طلعت الشمس قبل ان ياخذ العامل في عمله قطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه امه وهي امراة
عجوز فتضرعت عليه ان لا يقطع يد ولدها فابى ان لا يقطع يده فقالت اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك
فقال لها ويحك ما قلت فقالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فاخذته موعظتها فعفى عنه
ورجع عن هذا الامر فعند ذلك ركب عبد المطلب في قريش الى جبل ثبير فاستدار ذلك النور في وجه عبد المطلب كالهلال
والقى شعاعه على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب لذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر
فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون هذا الظفر لنا فرجعوا فلما دخل رسول صاحب الفيل الى مكة ونظر الى وجه
عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كالثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب اى فان صاحب الفيل
امره ان يقول لقريش ان الملك انما جاء لهدم البيت فان لم يحولوا بينه وبينه لم يزد على هدمه وان حالوا بينه وبينه اتى عليكم
فقال عبد المطلب ما عندنا منعة ولا ندفع عن هذا البيت وله رب ان شاء منعه اى وفي لفظ قال عبد المطلب والله ما نريد
حربه وما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت ابرهيم خليل الله فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان لم يخل
بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه دام ابرهة رسول الينا اذ ياتي لم يتهيبنا القوم فقال لعبد المطلب فقد امرني
ان ابيت بك فقال لعبد المطلب افعل فجاءه راعي ابله وخيله واخبره ان الحبشة اخذت الابل والخيل التي كانت في الحل
وفي سيرة ابن هشام بل وفي غالب السير على الاقتصار على الابل وانها كانت مائتي بعير وقيل اربعمائة ناقة فركب عبد المطلب بصحبة
رسول صاحب الفيل وركب معه ولده الحرث فاستوذن له على ابرهة اى قيل له ايها الملك هذا سيد قريش ببابك
يستاذن عليك هو صاحب عين مكة يعني زمزم وهو يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال فاذن له فلما
دخل عليه ابرهة اجله واكرمه عن ان يجلسه تحته وكره ان تراه الحبشة يجلسه على سرير ملكه فنزل عن سريره
اجلسه معه على البساط وقال لترجمانه سله عن حاجته فذكر ابله وخيله فذكر الترجمان له ذلك فقال للترجمان
بلسان الحبشة قل له كنت اعجبتني اذ رايتك ثم قد زهدت فيك اذ سالتني ابلا وخيلا وتركت ان تسالني في البيت
الذي هو عزك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب انا رب الابل والخيل التي سالتها الملك واما البيت فله رب ان
شاء ان يمنعه من الملك فقال ابرهة ما كان ليمنعه مني فرد عليه ما كان اخذ له وانصرف وابرهة بلسان الحبشة الابيض
الوحيد ثم ان الفيل لما نظر الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله الفيل فقال السلام على النور الذي
في ظهرك يا عبد المطلب وفي كلام بعضهم ان ابرهة لما بلغه مجيء عبد المطلب اليه امر ان عبد المطلب قبل دخوله عليه ان يذهب
الى الفيلة ليراها ويرى الفيل العظيم وكان ابيض اللون أقول رايت ان مالك الصغير كان في ربطه الى فيل ابيض
وكان مع الفرزدق قال ابي عبيد بن مسعود الثقفي امير الجيش في خلافة الصديق افيلة كثيرة عليها الجلاجل وقد نوا

بين ايديهم فيلا عظيما ابيض وصارت خيول المسلمين كلما حملت وسمعت حس الجلاجل نفرت فامر ابو عبيد المسلمين ان
يقتلوا الفيلة فقتلوها عن اخرها وتقدم ابو عبيد لهذا الفيل العظيم الابيض فضربه بالسيف فقطع زلومه فصاح الفيل
صيحة عظيمة هائلة وحمل على ابي عبيد فتخبطه برجليه فوقف فوقه فقتله فحمل على الفيل شخص كان ابو عبيد اوصى ان يكون اميرا
بعده فقتله ثم اخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص ابو عبيد عليهم واحدا بعد واحد وهذا من اغرب الاتفاقات والله اعلم
ولما راى عبد المطلب الفيلة امر بها باله وعجز بنيها فان العرب لم تكن تعرف الافيال وكانت الافيال كلها ما عدا الفيل الاعظم
تسجد لابرهة واما الفيل الاعظم لم يكن يسجد الا للنجاشي فلما رات الفيلة عبد المطلب سجدت حتى الفيل الاعظم وقيل ان
ابرهة لم يخرج الا بالفيل الاعظم ولما بلغ ابرهة سجود الفيلة لعبد المطلب تطير ثم امر بادخال عبد المطلب عليه فلما راه القى الله
له المحبة في قلبه فنزل عن سريره تعظيما لعبد المطلب ثم رايت ابن حجر في شرح الهمزية حاول الجواب عن هذا الذي تقدم عن الحافظ
النيسابوري من ان النور استدار في وجه عبد المطلب الى اخره اى وقول الفيل السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب مع
ان ولادته صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت يلزمها ان يكون النور انتقل من عبد المطلب لعبد الله الى امنة بان النور وان
انتقل عن عبد المطلب لكن الله اكرم عبد المطلب فاحدث ذلك النور في ظهره واطلع الفيل عليه هذا كلامه ملخصا قال وذكر بعضهم
ان الفيل مع عظم خلقة صورته صبيا او ضعيفه ويفرق ان يخاف من السنور الذي هو القط ويفزع منه وفي المواهب والمشهور
انه صلى الله عليه وسلم ولد بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطية لنبوته صلى الله عليه وسلم وتقدمة لظهوره وبعثته
هذا كلامه فيقال الارهاصات انما تكون بعد وجوده وقبل مبعثه الذي هو دعواه الرسالة لا قبل وجوده بالكلية
الذي هو المراد بظهوره وحينئذ يقول القاضي البيضاوي انها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اى بقيد وجوده ومن ثم قال ابن القيم في الهدى ان بما جرت به عادة الله ان يقدم بين يدي الامور العظيمة
مقدمات تكون كالمدخل لها فمن ذلك قصة مبعثه تقدمها قصة الفيل هذا كلامه قيل لما شرع ابرهة في الذهاب
الى مكة ووصل الفيل الى اول الحرم وفي المواهب اسقط هذا وهو يوهم انهم دخلوا مكة وان الفيل برك دون البيت
فليتامل وعند وصوله الى اول الحرم برك فصاروا يضربون راسه ويدخلون الكلاليب في مراق بطنه فلا يقوم فوجهوا
وجهه الى جهة اليمن فقام يهرول وكذا الى جهة الشام فعل ذلك مرارا فاراد ابرهة ان يسقي الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه
فثبت على امره وقيل انما برك لان نفيل بن حبيب الخثعمي قام الى جنب الفيل فغمز اذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا
من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك قال السهيلي الفيل لا يبرك فيحتمل ان يكون بروكه سقوطه الى الارض
لما جاءه من امر الله ويحتمل ان يكون فعل فعل البارك الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك قال وقد سمعت
من يقول ان في الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك البعير وعند ذلك ارسل الله عليهم الطير الابابيل خرجت من البحر امثال
الخطاطيف فيقال ان حمام الحرم من نسل تلك الطير التي اهلكتهم وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذي قيل انه من نسل الابابيل
انما هو شيء يشبه الزرزور ويكون بباب ابرهيم من الحرم ولا ينافي ان حمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على الغار
على ما سياتي فيه وفي حياة الحيوان ان الطير الابابيل يعشش ويفرخ بين السماء والارض ولما اهلك صاحب الفيل وقومه عزت
قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا اهل الله لان الله معهم وفي لفظ لان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم الذي لم تكن
لسائر العرب بقتاله قدرة وغنموا اموال اصحاب الفيل اى ومن حينئذ مزق الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة
التي بناها ابرهة فلم يعمرها احد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكان كل من اراد ان ياخذ منها شيئا اصابته
الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذي هو اول خلفاء بني العباس فذكر له امرها فبعث اليه عامله على اليمن فخربها

واخذ خشبها المرصع بالذهب والالات المفضضة التي تساوي قناطير من المال فحصل له منها مال عظيم وحينئذ حمي وسمها
وانقلع جزعها واندرست اثارها وقد كان عبد المطلب امر قريشا ان تخرج من مكة وتكون في رؤس الجبال خوفا عليهم من المعرة
وخرج هو واياهم الى ذلك بعد ان اخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده
وقال لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك اي فانهم كانوا نصارى ولاهم اصل اللهم فان العرب
تحذف الالف واللام وتكتفي بما بقي وكذلك تقول لاه ابوك تريد لله ابوك والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي البيوت
المجتمعة والمحال بكسر الميم القوة والشدة وبالغين المعجمة اصل الغد وهو اليوم الذي ياتي بعد يومك الذي انت فيه ويقال
ان عبد المطلب جمع قومه وعقد راية وعسكر بمنى وجمع بن ظفر بينه وبين ما تقدم من انه خرج مع قومه الى رؤس الجبال
بانه يحتمل ان تكون الذرية في رؤس الجبال اي وخرج معهم ثانيا باثرهم ثم رجع وجمع اليه المقاتلة اي ويؤيد ذلك قول
المواهب ثم ان ابرهة امر رجلا من قومه يهزم الجيش فلما وصل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع الى اخر ما تقدم فانه
المواهب كون قريش جيشت جيشا مع قوله ثم ان ابرهة ارسل رجلا من قومه لهزم الجيش لا يحسن ثم ركب عبد المطلب
لما استبطا مجيء القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا اي غالبهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ما شاء الله من صفر وبيضا
ثم اذن اي اعلم اهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا اي وفي كلام سبط ابن الجوزي وسبب غنى عثمان بن عفان ان اباه عفان
وعبد المطلب وابا مسعود الثقفي لما هلك ابرهة وقومه كانوا اول من نزل بعسكر الحبشة فاخذوا من اموال ابرهة واصحابه
شيئا كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا اغنى قريش واكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضي الله تعالى عنه اي ومن جملة
من سلم من قوم ابرهة ولم يذهب بل بقي بمكة اعميين مقعدين يستطعمان الناس وارد على هذا ان الحجاج خرب الكعبة
بضرب المنجنيق ولم يصبه شيء واجاب بان الحجاج لم يقصد هدم الكعبة ولا تخريبها ولم يفعل ذلك وانما قصد التضييق
على عبد الله بن الزبير ليسلم نفسه وهذا اولى من جواب المواهب كما لا يخفى والله اعلم وكان مولده صلى الله
عليه وسلم في الدار التي تدعى لمحمد بن يوسف اخي الحجاج اي وكانت قبل ذلك لعقيل بن ابي طالب ولم تزل بيد اولاده
بعد وفاته الى ان باعوها لمحمد بن يوسف اخي الحجاج بمائة الف دينار قاله الفاكهي اي فادخلها في داره وسماها البيضا
لانها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضا وصارت تعرف بدار ابن يوسف لكن سياتي في فتح مكة انه قيل له
يا رسول الله تنزل في الدار فقال هل ترك لنا عقيل من رباع او دور فان هذا السياق يدل على ان عقيلا باع تلك الدار
فلم يبق بيده ولا بيد اولاده بعده الا ان يقال المراد باع ما عدا هذه الدار التي هي مولده صلى الله عليه وسلم
اي لانه كما سياتي في الفتح باع دار ابيه ابي طالب لانه وطالبا ورثا ابا طالب لانهما كانا كافرين عند موت ابي طالب دون
جعفر وعلي فانهما كانا مسلمين وعقيل اسلم بعد رضي الله تعالى عنهم وفقد طالب فان طالبا اختطفته الجن ولم يعلم به وان
عقيلا باع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا التي هي دار خديجة اي التي يقال لها مولد فاطمة وهي الان مسجد
يصلى فيه بناه معوية رضي الله تعالى عنه ايام خلافته قيل وهو افضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام اي واشتهر
بمولد فاطمة لشرفها والا فهو مولد بقية اخواتها من خديجة ولعل معوية اشترى تلك الدار ممن اشتراها
من عقيل ويدل لما قلناه قول بعضهم لم يتعرض صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لتلك الدار التي ابقاها في يد عقيل اي
التي هي دار خديجة فانه لم ينزل بها صلى الله عليه وسلم حتى هاجر فاخذها عقيل وفي كلام بعضهم لما فتح النبي صلى الله
عليه وسلم مكة ضرب مخيمه بالحجون فقيل له الا تنزل منزلك من الشعب فقال وهل ترك لنا عقيل منزلا وكان عقيل قد
باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل اخوته حين هاجروا من مكة ومنزل كل من هاجر من بني هاشم

وفي كلام بعضهم كان عقيل تخلف عن الاسلام والهجرة فانه اسلم عام الحديبية التي هي السنة السادسة وباع دورهم فلم يرجع
النبي صلى الله عليه وسلم في شيء منها وهي اي في تلك الدار التي ولد بها عند الصفا قد بنتها زبيدة زوجة الرشيد ام الامين مسجدا
لما حجت وفي كلام ابن دحية ان الخيزران ام هرون الرشيد لما حجت اخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف وجعلتها مسجدا ويجوز
ان تكون زبيدة جددت ذلك المسجد الذي بنته الخيزران فنسب لهما وسياتي ان الخيزران بنت دار الارقم مسجدا وهي عند الصفا
ايضا ولعل الامر التبس على بعض الرواة لان كلا منهما عند الصفا وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في شعب بني هاشم ثم رايت
التصريح بذلك ولا ينافيه ما تقدم في الكلام على المحل من الشعب ابي طالب وهو من جملة بني هاشم كان عند الحجون لانه يجوز
ان يكون ابا طالب انفرد عنهم بذلك الشعب والله اعلم قال وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في الردم اي ردم بني جمح وهو بطن من
قريش ونسب لبني جمح لانه ردم على من قتلوا في الجاهلية من بني الحارث فقد وقع بين بني جمح وبين بني الحارث في الجاهلية مقتلة
وكان الظفر فيها لبني جمح على بني الحارث فقتلوا منهم جمعا كثيرا وردموا على تلك القتلى بذلك المحل وقيل ولد بعسفان انتهى اقول
ما يرد القول بكونه ولد بعسفان ما ذكره بعض فقهائنا ان من جملة ما يجب على الولي ان يعلم موليه اذا ميز انه صلى الله
عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة الا ان يقال ذلك بنا على ما هو الاصح عندهم والردم المحل الذي كانت ترى منه الكعبة قبل
الان ويقال له الان المدعى لانه يوتى فيه بالدعاء الذي يقال عند رؤية الكعبة ولم اقف على انه صلى الله عليه وسلم وقف به
ولعله لم يكن مرتفعا في زمنه صلى الله عليه وسلم لانه انما ارتفع وبناه سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته لما جاء السيل
العظيم الذي يقال له سيل ام نهشل وهي بنت عبيدة بن سعيد بن العاص فانه اخذها والقاها اسفل مكة فوجدت هناك ميتة
ونقل المقام الى ان القاه اسفل مكة ايضا فجيء به وجعل عند الكعبة وكوتب عمر بذلك فحضر وهو فزع مرعوب فدخل مكة
معتمرا ووجد محل المقام درس وصار لا يعرف فقال له ذلك ثم قال انشد الله عبدا عنده علم من محل هذا المقام فقال المطلب بن
رفاعة رضي الله تعالى عنه انا يا امير المومنين عندي علم بذلك فقد كنت اخشى عليه مثل ذلك فاخذت قدره من موضعه الى باب الحجر
ومن موضعه الى زمزم بمقاط فقال اجلس عندي وارسل فارسل فجيء بذلك المقاط فقيس به ووضع المقام بمحله الان واحكم
ذلك واستمر الى الان فعند ذلك بنى هذا المحل الذي يقال له الردم بالصخرات العظيمة وحصنه فصار لا يعلوه السيل وصارت الكعبة
تشاهد منه والان قد حالت الابنية فصارت لا ترى ومع ذلك لا باس بالوقوف عنده والدعاء فيه تبركا بمن سلف واصل هذا المحل
قول من قال اول من نقل المقام الى محله وكان ملصقا بالكعبة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خلافا لما في ان الناقل له هو صلى الله
عليه وسلم كما سياتي لكن رايت ابن كثير قال وقد كان هذا الحجر الذي هو المقام ملصقا بباب الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان
الى ايام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فاخره عنه لئلا يشغل المصلين عنده الطايفون بالبيت هذا كلامه وقوله من قديم
الزمان ظاهره من عهد ابرهيم عليه وعلى نبينا السلام فليتامل وعن كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه اني اجد في التورية
عبدي احمد المختار مولده بمكة اي وهو ظاهر في ان كعب الاحبار كان قبل الاسلام على دين اليهودية قال وعن عبد الرحمن
بن عوف رضي الله تعالى عنه عن امه الشفا اي بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفا وقيل بفتحها وتشديد الفا مقصورا قالت لما ولدت
امنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي اي فهي دايته ووقع في كلام ابن دحية ان ام ايمن دايته وقد يقال اطلاق الداية
على ام ايمن لانها قامت بخدمته صلى الله عليه وسلم ومن ثم قيل لها حاضنته وللشفا قابلته وقد قيل في اسم الوالدة والقابلة
الامن والشفا وفي اسم الحاضنة البركة والنما وفي اسم مرضعته اولا وهي حليمة السعدية الحلم والسعد قالت ام عبد الرحمن
فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك الله او رحمك ربك اي او يرحمك ربك ولهذا القول الذي لا يقال الا عند العطاس اي الذي
هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة حمل بعضهم الاستهلال الذي هو في المشهور صياح المولود اول ما يولد يقال استهل المولود

اذا رفع صوته على العطاس مع الاعتراف بانه لم يجئ في شيء من الاحاديث فصريح بانه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس انتهى
اي نقد الحافظ السيوطي لم اقف على شيء من الاحاديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة احاديث المولد
من مظانها اي وعطس بفتح الطاء يعطس بالكسر والضم وحكي الفتح ولعله من تداخل اللغتين لكن في الجامع الصغير استهلال
الصبي العطاس وحينئذ يكون استهلال المولود لا ينحصر معناه في مجرد رفع الصوت والعطاس وحمل هنا على العطاس بقرينة
الجواب الذي لا يناسب الا بعد العطاس وقد اشار الى التشميت صاحب الهمزية بقوله شمتته الاملاك اذ وضعته وشفتنا بقولها
الشفا اي قال له الاملاك يرحمك الله اي رحمك ربك وقت وضع امك له وفرحنا بقولها المذكور الشفا التي هي ام عبد الرحمن
بن عوف اقول قال بعضهم ولعله صلى الله عليه وسلم حمد الله بعد عطاسه لما استقر من شرعه انه لا يسن التشميت الا لمن حمد الله
تعالى هذا كلامه ويدل لما ذكره ما تقدم انه حين خرج من بطن امه قال الحمد لله كثيرا وفي كلام بعض شراح الهمزية ويجوز ان يكون
شمت من غير حمد تعظيما لقدره وقد جاء العاطس ان حمد الله فشمتوه وان لم يحمد الله فلا تشمتوه وجاء اذا عطس فحمد الله فحق
على كل من سمعه ان يشمته وفي الصحيح ان رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم وحمد الله فشمته وعطس اخر فلم يحمد الله
فلم يشمته وفي حديث حسن اذا عطس احدكم فليشمته جليسه فاذا زاد على ثلاث فهو مزكوم فلا يشمت بعد ثلاث وتمسك بذلك
اي بالامر بالتشميت بصيغة افعل التي الاصل فيها الوجوب بعض اهل الظاهر على وجوب التشميت على كل من سمع وذهب بعض
الائمة الى وجوبه على الكفاية وهو منقول عن مشهور مذهب مالك رضي الله تعالى عنه اي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ليس على ابليس اشد من تشميت العاطس وعن سالم بن عبد الله الاشجعي وكان من اهل الصفة رضي الله تعالى عنهم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليحمد الله عز وجل وليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليهم يغفر الله لي ولكم ومن لطيف ما
اتفق ان الخليفة المنصور وشى عنده ببعض عماله فلما حضر عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل فقال له المنصور ما منعك
من التشميت فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت في نفسي فقال قد شمتك في نفسي فقال له ارجع الى عملك فانك اذا لم تحابني فغيري
قال بعضهم والحكمة في قول العاطس ما ذكر انه ربما كان العطاس سببا لانواع عنه يحمد الله على ما فاته من ذلك الشدة لغيره ولان
الابخرة المحتقنة تندفع به من الدماغ الذي فيه قوة التذكر والتفكر اي فهو بحران الراس كما ان العرق بحران بدن
المريض وذلك نعمة جليلة وفائدة عظيمة ينبغي ان يحمد الله تعالى عليها اي ولان الاطباء كما زعم بعضهم نصوا على ان العطاس
من انواع الصرع اعاذنا الله تعالى من الصرع وقد يتنازع فيه ما تقدم وما ذكره بعض الاطباء ان العطاس للدماغ كالسعال للرئة
قال او العطاس انفع الاشياء لتخفيف الراس وهو مما يعين على نقص المواد المحتبسة ويسكن ثقل الراس ويحصل منه النشاط او
خفة البدن وفي نوادر الاصول للترمذي قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يخبرني عن الله تعالى ما من مسلم يعطس ثلاث
عطسات متواليات الا كان الايمان في قلبه ثابتا وفي الجامع الصغير ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب والعطسة الشديدة
من الشيطان وفي الحديث العطاس شاهد عدل وفي حديث حسن اصدق الحديث ما عطس عنده وقد جاء ان روح ادم لما
نزلت الى خياشيمه عطس فلما نزلت الى فيه ولسانه قال الله تعالى له قل الحمد لله رب العالمين فقالها ادم فقال الحق يرحمك
الله يا ادم ولذلك خلقتك وفي رواية وللرحمة خلقتك اي للموت وقد روى الترمذي مرفوعا بسند ضعيف العطاس والنعاس
والتثاؤب في الصلوة من الشيطان وروى ابن ابي شيبة موقوفا بسند ضعيف ايضا ان الله يكره التثاؤب ويحب العطاس في
الصلوة اي مع كون كل واحد من العطاس والتثاؤب في الصلوة من الشيطان والعطاس فيها احب الى الله من التثاؤب فيها
والتثاؤب فيها اكره الى الله من العطاس فيها لان الكراهة مقولة بالتشكيك ويمكن حمل كون العطاس من الشيطان من شدة
ورفع الصوت به كما تقدم التقييد بذلك في الرواية السابقة ومن ثم جاء اذا عطس احدكم اي هم بالعطاس فليضع كفيه على

وجهه

وجهه وليخفض صوته اي ولاثيا في وجود الشفاء ووجود ام عثمان بن العاص عند امه صلى الله عليه وسلم ولادته ما روي عنها
انها قالت لما اخذني ما ياخذ النساء اي عند الولادة واني لوحيدة في المنزل رايت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد مناف
يحدقن بي وفي كلام ابن المحدث دخل علي نساء طوال كانهن من بنات عبد المطلب ما رايت اضوأ منهن وجوها وكان واحدة من
النساء تقدمت الي فاستندت اليها واخذني المخاض واشتد علي الطلق وكان واحدة منهن تقدمت الي وناولتني شربة من
الماء اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج واحلى من الشهد فقالت لي اشربي فشربت ثم قالت الثالثة ازدادي فازددت ثم مسحت بيدها
على بطني وقالت بسم الله اخرج باذن الله تعالى فقلن لي اي تلك النسوة نحن اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء
من الحور العين وجوابه وجود الشفا وام عثمان عندها بعد ذلك فتاخر وجوده صلى الله عليه وسلم عن القول المذكور حتى نزل
على يد الشفا لما تقدم من قولها وقع على يدي ولعل حكمة شهود اسية ومريم لولادته صلى الله عليه وسلم كونهما يصيران زوجتين
له صلى الله عليه وسلم في الجنة مع كلثم اخت موسى ففي الجامع الصغير ان الله تعالى زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامراة
فرعون واخت موسى وسيان حين موت خديجة انه صلى الله عليه وسلم اشعرت ان الله قد اعلمني انه سيزوجني وفي
رواية كما علمت ان الله قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت موسى واسية امراة فرعون فقالت
الله اعلمك بهذا قال نعم قالت بالرفاء والبنين وتدخل الله هؤلاء النسوة عن ان يطاهن احد فقد ذكر ان اسية لما ذكرت
لفرعون احب ان يتزوجها فتزوجها على كره منها ومن ابيها مع بذله لها الاموال الجليلة فلما زفت له وهم بها اخذه الله عنها
وكان ذلك حاله معها وكان قد رضي منها بالنظر اليها واما مريم فقيل انها تزوجت بابن عمها يوسف النجار ولم يقربها وانما
تزوجها ليرافقها الى مصر لما ارادت الذهاب الى مصر بولدها عيسى واقاموا بها اثنتي عشرة سنة ثم عادت مريم وولدها الى الشام
ونزلا الناصرة واخت موسى لم يذكر انها تزوجت وهذا يفيد ان بنات عبد مناف او عبد المطلب على ما تقدم كن متميزات
عن غيرهن من النساء في افراط الطول اي وقد رايت ان عليا بن عبد الله بن عباس وهو جد الخليفتين السفاح والمنصور
اول خلفاء بني العباس ابو ابيهما محمد كان مفرطا في الطول اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب وكان مع هذا الطول الى منكب
ابيه عبد الله بن عباس وكان عبد الله بن عباس الى منكب ابيه العباس وكان العباس الى منكب ابيه عبد المطلب لكن ابن الجوزي اقتصر
في ذكر الطوال على عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وقيس بن سعد وحبيب بن سلمة وعلي بن عبد الله بن عباس وسكت
عن عبد الله بن عباس وعن ابيه العباس وعن ابيه عبد المطلب وفي المواهب ان العباس كان معتدلا وقيل كان طوالا اي ورايت ان
عليا هذا جد الخلفاء العباسيين كان على غاية من العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل حتى قيل انه اجمل قرشي على وجه الارض
وكان يصلي في كل ليلة الف ركعة ولذلك كان يدعى السجاد وان سيدنا علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه هو الذي سماه عليا وكناه
ابا الحسن ... ان عليا كرم الله وجهه ورضي عنه افتقد عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم في وقت صلوة الظهر فقال لاصحابه
ما بال ابي العباس يعني عبد الله لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى قال امضوا بنا اليه فاتاه فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك
في الموهوب ... وبلغ اشده ما سميته قال او يجوز لي ان اسميه حتى تسميه فامر به فاخرج اليه فاخذه فحنكه
ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك ابا الاملاك قد سميته عليا وكنيته ابا الحسن فلما ولي معوية الخلافة قال لابن العباس
ليس لكم اسمه وكنيته يعني علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه كراهة في ذلك وقد كنيته ابا محمد فجرت عليه وقد نالت
ذلك ما ذكره بعضهم ان عليا كرم الله وجهه ورضي الله عنه المذكور لما قدم على عبد الملك بن مروان قال له غير اسمك او كنيتك
فلا صبر لي على اسمك وهو علي وكنيتك وهو ابو الحسن قال اما الاسم فلا اغيره واما الكنية فاكتني بابي محمد وانما قال عبد الملك
ذلك كراهة في اسم علي بن ابي طالب وكنيته وعلى هذا دخل هو وولداه اولاده محمد وهو السفاح والمنصور وهما صغيران يوما

على هشام بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة فاكرمه هشام فصار يوصيه عليهما ويقول لسليمان هذا الامر يعني الخلافة
فصار هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه في ذلك الى الحمق ويقال ان الوليد بن عبد الملك لما ولي الخلافة وبلغه عنه
انه يقول ذلك ضربه بالسياط على قوله المذكور واركبه بعيرا وجعل وجهه مما يلي ذنب البعير وصاح به صائح عليه هذا علي بن عبد الله
بن عباس الكذاب قال بعضهم فاتيته وقلت له ما هذا الذي نسبه اليك من الكذب قال بلغهم عني اني اقول ان هذا الامر يعني
الخلافة ثم المنصور وفي دلائل النبوة للبيهقي ان عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قدم على معوية فاجازه واحسن جائزته
ثم قال يا ابا العباس هل تكون لكم دولة قال اعفني يا امير المؤمنين قال لتخبرني قال نعم قال فمن انصاركم قال اهل خراسان اي وهو ابو
مسلم الخراساني يجيء بجيشه معه رايات سود يسلب بها دولة بني امية ويجعل الدولة لبني العباس يقال ان ابا مسلم هذا قتل ستمائة الف
رجل صبرا غير الذي قتله في الحروب وهذه الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فاولها فان فيها خليفة الله المهدي فان
تلك الرايات تاتي قبيل قيام الساعة ثم صارت الخلافة في اولاد المنصور وقول علي نعم ولدي واضح لان ولد الولد ولد
وقد حكى مرات الزمان عن المامون انه قال حدثني ابي هرون الرشيد عن ابيه المهدي عن ابيه المنصور عن ابيه محمد بن علي عن ابيه
علي عن ابيه عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيد القوم خادمهم وذكر ان تمام ذوي عن المامون ان كان يقول
استخدام رجل صنع له يوم وكان يقول لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا الي بالجرائم واني اخاف ان لا اوجر على العفو اي لانه صار
له طبيعة قال لما ولد صلى الله عليه وسلم رايت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة
والله اعلم ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة مفتح الجيم فانفلقت عنه فلقتين قال وهذا مما يؤيد
انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان في عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت الليل
وضعوه تحت الاناء فلم ينظروا اليه حتى يصبحوا فلما ولد صلى الله عليه وسلم وضعوه تحت برمة فلما اصبحوا اتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء فعجبوا من ذلك
وعن امه انها قالت فوضعت عليه الاناء فوجدته قد تفلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه يتشخب لبنا اي يسيل لبنا انتهى اي وفي التوراة
ان فرعون لما امر بذبح ابناء بني اسرائيل جعلت المراة اي بعض النساء لما تخفي اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الى واد او
غار فاخفته فيه فيبعث الله له ملكا يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي اتى السامري لما جعلته امه في غار من الملائكة
عليه الصلوة والسلام فكان اي السامري يمص من احدى ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا ومن ثم اذا جاع الرضيع يمص
ابهامه فيروى من المص وقد جعل له فيه رزقا والسامري هذا كان منافقا يظهر الاسلام لموسى ويخفي الكفر وفي رواية ان
عبد المطلب هو الذي وضعه للشوة ليضعوه تحت الاناء اقول هذا هو الموافق لما سياتي عن ابن اسحق من ان امه لما ولدته
ارسلت الى جده اي وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها اي فقالت له يا ابا الحرث ولد لك مولود له امر عجيب فذعر
عبد المطلب وقال اليس بشرا سويا فقالت نعم ولكن سقط ساجدا ثم رفع راسه واصبعه الى السماء فاخرجته له ونظر اليه واخذه
ودخل به الكعبة ثم خرج ثم دفعه اليها وبه يظهر التوقف في قول ابن دحية اكفئت عليه جفنة لئلا يراه احد قبل جده فجاء جده و
الجفنة قد انفلقت عنه الا ان يقال يجوز ان يكون جده اخذه بعد ما انفلقت الجفنة ثم دخل به الكعبة ثم بعد خروجه به من
الكعبة دفعه لها وللنسوة ليضعوه تحت جفنة اخرى الى ان يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافي ذلك ما تقدم
عن امه وجدته لا تامه تفلق عنه وهو يمص ابهامه وعن اياس الذي يضرب به المثل في الزكا قال اذكر الليلة التي ولدت فيها
ووضعت امي على راسي جفنة وقال لامه ما شيء سمعته لما ولدت قالت يا بني طست سقط من فوق الدار الى اسفل ففزعت فولدت
تلك الساعة قال بعضهم يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل فكان اياس منهم ولعل هذا هو المراد بما جاء في الحديث يبعث الله
على راس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة امر دينها والمراد براسها اخرها بان يدرك اوائل المائة التي تليها بان ينقضي

تلك المائة وهو حي الا اني لم اقف على ان اياسا هذا كان من المجددين والله اعلم وفي تفسير ابن مخلد التقي قال ابن حزم ما مثله
اسلافا ان ابليس رن اي صوت بحزن وكآبة اربع رنات رنة حين لعن ورنة حين اهبط ورنة حين انزلت عليه صلى الله عليه وسلم
فاتحة الكتاب قال ورنة حين ولادته صلى الله عليه وسلم اشار صاحب الاصل بقوله لمولده قد رن ابليس رنة فسحقا لما قد خاب منه
وعن عطاء الخراساني لما نزلت قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة
اجتمع اليه فيها جنوده من اقطار الارض قالوا ما هذه الصرخة الذي افزعتنا قال امر نزل بي لم ينزل اعظم قالوا وما هو فتلى
عليهم الاية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا ما عندنا من حيلة فقال اطلبوا فاني سا اطلب قال فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ اخرى فجمعوا
اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع منك مثلها الا التي قبلها قال هل وجدتم شيئا قالوا لا قال لكني قد وجدت قالوا وما الذي
وجدت قال انفتح لهم البدع التي يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون اي لان صاحب البدعة يراها جميلة حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى
يستغفر الله منها وقد جاء في الحديث ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يضع بدعته اي لا يثيبه على عمله ما دام متلبسا بتلك البدعة
وعن الحسن قال بلغني ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها
وهي الاهواء اي البدع وقد جاء في الحديث اخاف على امتي بعدي ثلاثة ضلالة الاهواء الحديث واهل الاهواء هم اهل البدع
وعن عكرمة ان ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال اي لجنوده لقد ولد الليلة ولد يفسد
علينا امرنا وهذا يدل على ان تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال له جنوده لو
ذهبت اليه فخبلته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله اليه جبريل عليه السلام فركضه برجله ركضة وقع بعدن وكون تساقط
النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم مشكل مع قول بعضهم لما رجمت الشياطين ومنعت من مقاعدها في السماء
لاستراق السمع شكوا ذلك لابليس فقال لهم هذا امر حدث في الارض وامرهم بان ياتوه بتربة من كل ارض فصار يشمها الى ان
اتي بتربة ارض تهامة فلما شمها قال من ههنا الحدث هكذا ساق بعضهم عند ولادته صلى الله عليه وسلم الا ان
يقال لا اشكال لان تساقط النجوم وان كان علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم لكن في اي ارض على ان بعضهم انكر كون ما ذكر
كان عند الولادة وقال المذكور في كلام غيره انما هو عند بعثه صلى الله عليه وسلم كما سياتي ولعله من غلط بعض الرواة وعبارة
بعضهم روي ان الشياطين كانت تصعد الى السماء ثم تتجاوز سماء الدنيا الى غيرها فلما ولد عيسى عليه الصلوة والسلام
منعوا من مجاوزة سماء الدنيا وصاروا يسترقون السمع اي في سماء الدنيا حتى ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من الصعود
الى السماء الا قليلا اي فصاروا يسترقون السمع في سماء الدنيا في بعض الاحايين وفي اكثر الاحايين يسترقون دونها حتى
بعث النبي صلى الله عليه وسلم فمنعوا اصلا فصاروا لا يسترقون السمع الا دون سماء الدنيا ثم رايتني نقلته في الكوكب المنير
في مولد البشير النذير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها و
ياتون باخبارها ما يقع في الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلوة والسلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب
من اربع سموات فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست بالشهب فما يريد احد منهم استراق السمع الا رمي
بشهاب وسياتي عند المبعث ايضاح هذا المحل وقد اخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان
بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال اني لغلام يفعة اي غلام مرتفع ابن سبع سنين او ثمان اعقل ما رايت وسمعت اذا يهودي
بيثرب يصرخ ذات غداة على اطمة اي محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع قالوا ويلك ما لك قال طلع نجم احمد
الذي ولد به في هذه الليلة اي التي طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة
وحسان هذا كما سياتي انه ممن عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام وكذا عاش ابوه هذا العدد وهو مائة و

عشرون سنة وجده والد جده قال بعضهم ولا يعرف في العرب اربعة تناسلوا وتساوت اعمارهم سواهم وكان حسان يضرب بلسانه ارنبة انفه
وكذا ابنه وابوه وجده وعن كعب الاحبار رايت في التورية ان الله تعالى اخبر موسى عليه الصلوة والسلام من وقت خروج محمد صلى
الله عليه وسلم اي من بطن امه وموسى اخبر قومه ان الكوكب المعروف عندكم باسم كذا اذا تحرك وسار عن موضعه هو وقت خروج
محمد اي وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بني اسرائيل وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان يهودي يسكن مكة فلما كان
الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود
فقال القوم والله ما نعلمه قال احفظوا ما اقول لكم ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة اي وهو منكم معاشر قريش على
كتفه اي عند كتفه علامة اي شامة فيها شعرات متواترات اي متتابعات كانهن عرف فرس لعل تلك العلامة هي خاتم
النبوة اي علامتها والدليل عليها لا يرضع الليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوته اي وعدم ارضاعه لعله لو علم
بسببه وفي كلام الحافظ ابن حجر واقره تعليلا لعدم رضاعه لان عفريتا من الجن وضع يده على فيه وعند قول اليهودي ولد
تفرق القوم من مجالسهم متعجبين من قوله فلما صاروا الى منازلهم اخبر كل انسان منهم اهله فقالوا لقد ولد الليلة
لعبد الله ابن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا اليهودي فاخبروه الخبر قالوا اعلمت انه ولد فينا مولود قال اذهبوا
معي حتى انظر اليه فخرجوا حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر
مغشيا عليه فلما افاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة من بني اسرائيل افرحتم به يا معشر قريش اما والله ليسطون
بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب اي وعن الواقدي انه كان بمكة يهودي يقال له يوسف فلما كان اليوم اي الوقت
الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم به احد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبي هذه الامة الليلة
في بحرتكم اي ناحيتكم هذه وجعل يطوف في انديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لابن عبد المطلب
اي لعبد الله غلام فقال هو نبي والتورية وكان بمر الظهران راهب من اهل الشام يدعى عيصا وقد كان اتاه الله علما كثيرا
وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول يوشك اي يقرب ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة يدين له العرب اي
تذل وتخضع ويملك العجم اي ارضها وبلادها هذا زمانه فمن ادركه واتبعه اصاب حاجته اي ما يؤمله من الخير ومن ادركه و
خالفه اخطأ حاجته فكان لا يولد بمكة مولود الا يسأل عنه ويقول ما جاء بعد اي الان فلما كان صبيحة اليوم اي الوقت الذي ولد فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فوقف على اصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال انا عبد المطلب
او قيل الجائي له عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يمت وامه حامل به ولعل قائله اخذ ذلك من قول الراهب
لما قيل له ما ترى عليه اي على ذلك المولود فقال كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه وان نجمه اي الذي هو
علامة على وجوده طلع البارحة وعلامة ذلك اي ايضا انه الان وجع فيشتكي ثلاثا ثم يعافى اقول اي ولا يرضع الليلتين
لا دلالة في قوله كن اباه على ان الجائي للراهب عبد الله لان عبد الله كان يقال له ابو النبي صلى الله عليه وسلم ويقال
للنبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب وقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب كما تقدم والله اعلم ثم قال له احفظ
لسانك اي لا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد حسده احد ولم يبغ على احد كما يبغى عليه قال فما عمره قال ان
طال عمره لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها في احدى وستين او ثلاث وستين زاد في رواية وذلك جل اعمار امته
وعند ولادته صلى الله عليه وسلم تنكست الاصنام اي اصنام الدنيا وتقدم ايضا عند الحمل به صلى الله عليه وسلم وتقدم
انه لا مانع من تعدد ذلك وجاء ان عيسى عليه الصلوة والسلام لما وضعته امه خر كل شيء يعبد من دون الله في مشارق
الارض ومغاربها ساجدا لوجهه وفزع ابليس وعن وهب بن منبه لما كانت الليلة التي ولد فيها عيسى عليه الصلوة والسلام

اصبحت

اصبحت الاصنام في جميع الارض منكسة على رؤوسها وكلما ردوها على قوائمها انقلبت فحارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب فجاءت الى ابليس
فطاف ابليس في الارض ثم عاد فقال رايت مولودا والملائكة قد حفت به فلم استطع ان ادنو اليه وما كان نبي قبله اشد علي وعليكم
منه واني لارجو ان اضل به اكثر مما اهتدى به اقول قد علمت ان تنكس الاصنام تكرر لنبينا صلى الله عليه وسلم عند الحمل وعند الولادة
فالخاص به ما كان عند الحمل لا ما كان عند الولادة لمشاركة عيسى عليه السلام له صلى الله عليه وسلم في ذلك وبهذا يعلم ما في قول
الجلال السيوطي في خصائصه الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم تنكس الاصنام لمولده وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبة
فرايت الاصنام سقطت من اماكنها وخرت سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد المختار المصطفى الذي تهلك بيده الكفار و
تطهر من عبادة الاصنام ويامر بعبادة الملك العلام ولا ينافي قول ابليس في حق عيسى عليه الصلوة والسلام لا استطيع ان ادنو
منه وتقدم في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ان ابليس دنى منه فركضه جبريل عليه السلام لانا نقول يجوز ان يكون الدنو في
حق نبينا صلى الله عليه وسلم دنوا الى المحل الذي هو فيه لا الى جسده والدنو المنفي في حق عيسى عليه الصلوة والسلام الدنو
الى جسده فان قيل جاء في الحديث ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا
الا مريم وابنها رواه الشيخان اي لقول ام مريم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي رواية كل ابن ادم
يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى عليه الصلوة والسلام ذهب يطعن فطعن في الحجاب اي في المشيمة
التي يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه جنبيه الا غير وعن قتادة يمسه الشيطان باصبعه في جنبه فيستهل صارخا
الا عيسى بن مريم عليه السلام وامه رضي الله عنهما الحجاب هو المشيمة ويحتمل ان يكون غيرها قلنا جاء عن مجاهد ان
مثل عيسى في عدم طعن الشيطان في جسده حين يولد سائر الانبياء وذلك لا يقال من قبل الراي وعلى تقدير صحة ذلك يكون
تخصيص عيسى وامه عليهما الصلوة والسلام بالذكر كان قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم بان سائر الانبياء كعيسى وامه
وهذا الكلام يرد بان القاضي عياض نقل الضرر المنفي في قوله صلى الله عليه وسلم من قال اذا اراد ان ياتي اهله بسم الله
اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان قدر بينهما في ذلك الوقت ولد من ذلك الجماع لم يضره الشيطان
ابدا بان المراد انه لا يطعن فيه عند ولادته بخلاف غيره وهذا اي عدم قربه من نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز ان يكون
في خصوص ابليس فلا ينافي ما تقدم عن الحافظ ابن حجر ان عدم ارتضاعه صلى الله عليه وسلم في الليلتين لوضع عفريت من الجن
يده في فيه على تسليم صحته وصاحب الكشاف اخرج المس وشبهه الطعن عن حقيقته وقال المراد به طمع الشيطان في اغوائه ويعتبر
القاضي على ذلك وسياتي في شق صدره صلى الله عليه وسلم كلام يتعلق بذلك وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي اعلم انه لا بد
لجميع بني ادم من العقوبة والالم شيئا بعد شيء الى دخولهم الجنة لانه اذا انتقل الى البرزخ فلا بد له من الالم ادناه سؤال منكر و
نكير فاذا بعث فلا بد من الم الخوف على نفسه وغيره واول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده عند
مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بالم البرد فيبكي فان مات فقد اخذ حظه من البلاء و
قال بعد ذلك في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلوة والسلام والسلام علي يوم ولدت معناه السلامة من ابليس الموكل
بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ الولد اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى بل وقع ساجدا لله تعالى حين خرج فلما كان
هذا من قوله ان استهلال المولود وصراخه حين يولد لحسه الم البرد الذي يجده بعد مفارقة حرارة الرحم وقوله بل وقع ساجدا
يدل على ان سجود نبينا صلى الله عليه وسلم حين ولد ليس من خصائصه والله اعلم وذكر ان نفرا من قريش منهم ورقة
بن نوفل وزيد بن عمرو ابن نفيل وعبد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فراوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة

فقالوا ان هذا الامر حدث ثم انشد بعضهم ابياتا تخاطب بها الفهم وتعجب من امره وتسأل عنها عن سبب تكسره فسمع هاتفا من جوف
الفهم بصوت جهوري مرتفع وهو يقول تردى لمولود انارت بنوره جميع فجاج الارض بالشرق والغرب الابيات والى ذلك
اشار صاحب الهمزية بقوله وتوالت بشرى الهواتف ان قد ولد المصطفى وحق الهناء اي تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف
وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه بان قد ولد المصطفى المختار على الخلق كلهم وتعين لهم الفرح والسرور وليلة ولادته
صلى الله عليه وسلم تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة ايام ولياليهن وكان ذلك اول علامة رات قريش من مولد النبي صلى الله
عليه وسلم وارتجس اي اضطرب وانشق ايوان كسرى انوشروان ومعنى انوشروان مجدد الملك اي وكان بناء محكما مبنيا
بالاجر الكبار والجص بحيث لا تعمل فيه الفؤوس مكث في بنائه نيفا وعشرين سنة اي وسمع لشقه صوت هائل وسقط
من ذلك الايوان اربعة عشر شرفة اي بضم الشين المعجمة وسكون الراء اي وليس ذلك لخلل في بنائه وانما اراد الله تعالى ان
يكون ذلك اية لنبيه صلى الله عليه وسلم وباقية على وجه الدهر اي وقد ذكر ان الرشيد امر وزيره يحيى بن خالد البرمكي والد
جعفر والفضل بهدم ايوان كسرى فقال له يحيى لا تهدم بناء دل على فخامة شان بانيه فقال له يا مجوسي ثم امر بنقضه فقدر النفقة
على هدمه فاستكثرها الرشيد فقال له يحيى ليس يحسن بك ان تعجز عن هدم شيء بناه غيرك هذا والذي رايته في بعض المجاميع
ان المنصور لما بنى بغداد احتاج ان ينقض ايوان كسرى فان بينه وبينها مرحلة ويبني به فاستشار خالد بن برمك فنهاه وقال هو اية
الاسلام ومن راه علم ان من هذا بناؤه لا يزول امره وهو مصلى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والمؤنة في نقضه اكثر من
الانتفاع به ولا مانع من تكرر طلب نقضه من المنصور ومن ولده الرشيد وانما قال الرشيد ليحيى بن خالد يا مجوسي لان جده والد خالد
البرمكي وهو برمك كان من خراسان وكان اولا مجوسيا ثم اسلم وكان كاتبا عارفا محصلا لعلوم كثيرة جاء الى الشام فدخل في خدمة بني
امية فاتصل بعبد الملك بن مروان فحسن موقعه عنده وعلا قدره ثم لما زالت الدعوة لبني امية وجاءت دولة بني العباس صار
وزيرا للسفاح ثم لاخيه المنصور من بني العباس ورأيت عن برمك هذا حكاية عجيبة وهي انه صار الى زيارة ملك الهند
واتيته واحضر طعاما ما قال فاكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت لا اقدر والله ايها الملك فامر باحضار قضيب فاخذه الملك
وامره على صدري فكاني لم اكل شيئا ثم اكلت اكلا كثيرا حتى انتهيت فقال لي كل فقلت والله لا اقدر ايها الملك فامر بالقضيب على
صدري فكاني لم اكل شيئا قط فاكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت والله على ذلك فاراد ان يمر القضيب على صدري فقلت ايها
الملك ان الذي دخل يحتاج الى ان يخرج فقال صدقت وامسك عني فسالته عن القضيب فقال هو من تحف الملوك ومما يحفظ من
عجيب هذا زيادة على ما تقدم عندنا اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا من غير سبب فخف من شره ومما يحفظ
عنه ايضا وقد قال له ولده والظاهر الفضل وقد كان معه مقيدا في حبس الرشيد بعد قتله لولده جعفر وصلبه وحبسه لموالي البرامكة
ومن يلوذ بهم يا ابت بعد العز ونفوذ الكلمة صرنا الى هذا الحال فقال يا ولدي دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها وما غفل الله
عنها اي وقد قال ابو الدرداء اياكم ودعوة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام اي ولان الله تعالى يقول
انا الملك الظالمين ان غفلت عن ظلم الظالم وقد قال صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب
وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله تعالى وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين والمراد بالغمام الغمام
الابيض الذي فوق السماء السابعة المعني بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام اي لا تقوى على حمله اذا استقطر و...
دعوة المظلوم استجابتها ولو بعد زمن طويل فهو وان امهل الظالم لا يهمله وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى
السماء كانها شرارة اي تصعد الى السماء السابعة ... وجاء اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه
ليس دونها حجاب وقد قال القائل تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم ومما قيل في يحيى

بن خالد

بن خالد هذا من الملح البليغ سالت الندا هل انت حر فقال لا ولكن عبد ليحيى بن خالد فقلت شراء قال لا ولا ايام وراثة
توارثني من والد بعد والد ومما يحفظ من والده خالد التهنية بعد ثلاث اشخاص بالمولود ومما يحفظ عن جعفر ولد
يحيى قوله شر المال ما لزمك الاثم في كسبه وحرمت الاجر في انفاقه وقول المستمع لا ينظر في الناس الاسوة الا ...
ببين طبعه ومما ينسب لجعفر بن الملح قول الشاعر تدوم الملوك ندا جعفر ولا يصنعون كما يصنع وليس باوسعهم في
الغنا ولكن معروفه اوسع وخمدت نار فارس لم تخمد قبل ابقاد خدامها لها اي كتب له صاحب فارس ان بيت النار انه خمدت
تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت اي غارت بحيرة ساوة اي عجيب صارت يابسة كان لم يكن بها
شيء من الماء شدة التباعها اي كتب له بذلك عامله باليمن والى هذا يشير صاحب الاصل بقوله لمولده ايوان كسرى تشققت
مبانيه والخطب عليه شوعه لمولده خرت على شرفاته فلا سقف العرش يبقى حين بنته لمولده نيران فارس اخمدت نورها
اخماده كان نجمه لمولده غاضت بحيرة ساوة واعقب ذلك البلد خوز شينه كان لم يكن بالامس بها الناهل وورد وهو العين
المستهام معينه والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله وتداعى ايوان كسرى ولولا اية منك ما تداعى البناء وعدى بيت
كل نار وفيه كربة من خمودها وبلاء وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها اطفاء ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته
صلى الله عليه وسلم تهادم ايوان كسرى انوشروان الذي كان يجلس مع ارباب مملكته وكان من اعاجيب الدنيا
حسنه وبناء واحكاما ولولا وجود علامة صادرة منك الى الوجود ما تهادم هذا البناء العجيب الاحكام ومن ذلك انطفاء
نار الليلة كل واحد من بيوت نار الفرس التي كان اجتمع لها خادمة بزمزمة والحال ان في ذلك البيت غما وبلاء عظيما من اجل
يكون لهب تلك النيران التي يعبدونها في وقت واحد ومن ذلك ايضا غور عيون الفرس في الارض حتى لم يبق منها قطرة
وحينئذ يستفهم توبيخا وتعجبا لهم فيقال هل تلك المياه التي غارت بها اطفاء لتلك النيران ويقال في جوابه بل اطفاؤها انما هو
لوجود هذا النبي وظهوره صلى الله عليه وسلم ورأى الموبذان اي القاضي الكبير وفي كلام ابن المحدث هو خادم النار الكبير ورئيس
حكامهم ومرجعهم في مسائل شرائعهم رأى في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا اي وهي خلاف البراذين قد قطعت دجلة اي وهي
نهر بغداد وانتشرت في بلادها اي والابل كناية عن الناس وراى كسرى ما هاله وافزعه اي الذي هو ارتجاس الايوان وسقوط
شرافاته فلما اصبح تصبر اي لم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى انه لا يدخر ذلك اي هذا الامر الذي هاله وافزعه
عن مرازبته بضم الزاي اي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال اتدرون
فيم بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران اي وورد عليه كتاب صاحب الشام
يخبره ان وادي السماوة انقطع تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب طبرية يخبره ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد
غما الى غمه ثم اخبرهم بما راى وما هاله وهو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فقال الموبذان فانا اصلح الله الملك قد
رايت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال اي شيء يكون هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث
الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر
اما بعد فوجه الي برجل عالم بما اريد ان اسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني اي وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة
فلما ورد عليه قال الك علم بما اريد ان اسألك عنه قال ليسالني الملك عما احب فان كان عندي علم منه والا اخبرته بمن يعلمه
فاخبره بالذي وجه اليه فيه فقال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارق الشام بالعالي اي اعاليها وهي الجابية المدينة المعروفة
يقال له سطيح قال فاته فاساله عما سالتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد اشفى اي اشرف على
الضريح اي الموت هذا وقد عمره اذ ذاك ثلاثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة اي ولم يذكره ابن الجوزي في المعمرين وكان

جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن له راس ولا عنق
وفي كلام بعضهم احد لم يكن له عظم سوى راسه وفي لفظ ليس له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان قيل
لكونه مخلوقا من ماء المراة لان ماء الرجل يكون منه العظم والعصب كما بين عنه صلى الله عليه وسلم من قوله نطفة الرجل
يخلق منها العظم والعصب ونطفة المراة منها اللحم والدم قال ذلك لما ساله اليهودي فقالوا له مم يخلق الولد فلما قال لهم
ما ذكر قالوا له هكذا كان يقول من قبلك من الانبياء ويرد ان عيسى عليه الصلوة والسلام على تسليم ان خلق من نطفة وهي
نطفة امه كان فيه العظم والعصب فقد قيل تمثل لها الملك في صفة شاب امرد حتى اغتلمت شهوتها الى اقصى رحمها
وقيل لم يخلق من نطفة اصلا وقد صرح بالاول الشيخ محيي الدين بن العربي حيث قال انكر الطبيعيون وجود الولد من ماء
احد الزوجين دون الاخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه الصلوة والسلام فانه خلق من ماء امه فقط وذلك ان
الملك لما تمثل لها بشرا سويا اشتدت اللذة بالنظر اليه فنزل الماء منها الى الرحم فتكون عيسى عليه الصلوة والسلام من ذلك الماء
المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو ماء امه فقط هذا كلامه وكون سطيح كان وجهه في صدره لم يحقق سطيح بهذا الوصف
فقد رايت بعض الاذكار انما قيل له ذلك لانه سبى امة وجوهها في صدورها فذعرت الناس منهم وعمرهم هذا كان في زمن
سليمان ابن داود عليهما الصلوة والسلام وقيل تبله قليل وملكت بعد بلقيس قيل بعيد تسلمها له وكان لسطيح سرير من الجريد
والخوص اذا اريد نقله الى مكان ينطوي من رجليه الى ترقوته فيقع جثته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير فيذهب
الى حيث يشاء واذا اراد استخباره بالخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك وطب المخيض اي سقا اللبن الذي يمخض ليخرج زبده فينتفخ
ويمتلي ويعلوه النفس فيخبر عما يسال وكانت جثته اذا المستات الملمس منها لينها يقع وازل كامن كان في العرب وهذا
يدل على انه سابق على شق وقد تقدم في حفر زمزم ان الكاهنة التي ذهب اليها عبد المطلب وقريش ليتحاكموا عندها تلك
ام سطيح وام شق وذكرت سطيحا يخلفها اوشق ثم قال بعضهم لم يكن احد اشرف في الكهانة ولا اعلم بها ولا ابعد ذكرا فيها
من سطيح وكان في غسان وذكر بعضهم ان سطيحا كان في زمن نزار ابن معد بن عدنان وهو الذي قسم الميراث بين
نزار وهم مضر واخوته وهو يرد ما تقدم وهولاء كانوا روس الكهنة واهل العلم الخاص سلمة الكذاب بني حنيفة
وسجاح كان في بني تميم وسجاح اخرى كانت في بني سعد والكهانة هي الاخبار عن الغيب والكهانة من خواص النفس الانسانية
لان لها استعدادا للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح
جوابا فانشا عبد المسيح يقول اصم ام يسمع غطريف اليمن اي سيدهم الى اخر ابيات ذكرها فلما سمع سطيح شعره رفع
راسه اقول قد يقال لا منافاة بين اثبات الراس هنا وبين نفيه فيما تقدم لجواز ان يكون المراد بالراس
المثبت الوجه لكن قد تقدم انه لم يكن له عظم سوى راسه او الا جمجمته فمن ذلك اثبات الراس وقد يقال لما كان تقرر ان ساقه
تلك الجمجمة يوثر فيها اللمس للينها لما لقيها للراس عنده ساغ اثبات الراس له ونفيه عنه والله اعلم وهذا رفع راسه قال عبد
المسيح على جمل يشتد اي يسرع الى سطيح وقد وافى على الضريح اي القبر والمراد به الموت كما تقدم بعثك ملك بني ساسان
لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان راى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها
يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة اي تلاوة القران وظهر صاحب الهراوة وفاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل
للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو ات ات ثم قضى سطيح مكانه اي مات
من ساعته والهراوة بكسر الهاء هي العصا الضخمة اي وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يمسك العصا كثيرا اعتمد عليه وكان
يمشي بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلي اليها التي هي العنزة وفي الحديث حمل العصا علامة المومن وسنة الانبياء وفي الحديث

من بلغ اربعين سنة ولم ياخذ العصا عد له اي عدم اخذ العصا من الكبر والعجب وقد يقال مراد سطيح بالعصا العنزة التي تغرز فيصلي اليها
في غير المسجد لانه لم يحفظ ان ذلك كان لمن قبله من الانبياء وذكر الطبراني ان عبد المسيح بن حيان بن ربيعة جاء في المنام فقيل له سلم ما في يدك
الى صاحب الهراوة فلم يزل مدعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان يطلبه والنبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه
وعند موت سطيح نهض عبد المسيح الى راحلته وهو يقول شعرا منه شمر فانك ماضي العزم شمير ولا يغرنك تفريق وتغيير
الناس اولاد علات فمن علموا ان قد اقل فمهجور ومحقور والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور فلما قدم عبد
المسيح على كسرى واخبره بما قال سطيح فقال كسرى الى ان يملك منا اربعة عشر ملكا كانت امور فملك منهم عشرة في اربع سنين و
ملك الباقون الى خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه اي وكانت مدة ملكهم ثلاثة الاف سنة واربعا وستين سنة ومن ملوك
بني ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع اكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء المنازل بني تميم وجدهم فروا امامه
ومن جيشه ووجد بها عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا في قفة لعدم قدرته على الجلوس فاخذ وجيء به اليه فاستنطقه
فوجد عنده ادبا ومعرفة فقال الملك ايها الملك لم تفعل فقال هذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا يصير اليهم على يد نبي يبعث في
اخر الزمان فقال له عمير فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلا يضرك وان يكن حقا الفوك ولم تتخذ عندهم
يدا يكافونك عليها ويحفظونك بها في دولتك فانصرف سابور وترك حرب العرب واحسن اليهم بعد ذلك وقول سطيح يملك
منهم ملوك وملكات لم اقف على انه ملك منهم من النساء الا واحدة وهي بوران ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لن
يفلح قوم ملكتهم امراة فلكت ومنهم ثم ملكت وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم لما ولدته امه ارسلت خلف جده عبد المطلب
انه قد ولد لك غلام فانظر اليه فاتاه ونظر اليه وحدثته بما رات فاخذه عبد المطلب فدخل به الكعبة اي وقام يدعو الله
تعالى واهله يوصون ويشكر له ما اعطاه ثم خرج به الى امه فدفعه اليها وقد تقدم الوعد بذلك وتقدم ما فيه وتكلم صلى الله
عليه وسلم في المهد اوائل ولادته واول كلام تكلم به انه قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا انتهى اقول وتقدم انه
قال حين ولد جلال ربي الرفيع كما اورده والسهيلي عن الواقدي وانه روي انه تكلم حين خروجه من بطن امه فقال الله اكبر
كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ولا مانع من تكرر ذلك حين خروجه وحين وضعه في المهد وانه زاد
في المرة الثالثة وسبحان الله بكرة واصيلا وحينئذ يكون تكلمه صلى الله عليه وسلم حين خروجه من بطن امه لم يشاركه
فيه غيره من الانبياء الا الخليل والا نوحا عليهما الصلوة والسلام كما سيأتي بخلاف تكلمه في المهد على انه سياتي انه يجوز ان يكون
المراد بالتكلم في المهد التكلم في غير اوان الكلام ويقال انه قال ذلك عند فطامه وتقدم انه قال الحمد لله لما عطس على
الاحتمال الذي ابداه بعضهم كما تقدم بما فيه ولا مانع من وجود هذه الامور الثلاثة التي هي جلال ربي الرفيع والله اكبر
كبيرا والحمد لله حين ولادته وعلى ترتيبها يتوقف على نقل وحينئذ تكون الاولية الواقعة في بعض ذلك اما حقيقية او
اضافية وقد علمت ان الاولية في قوله جلال ربي الرفيع بالنسبة لقوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اضافية والله اعلم
قال وقد تكلم جماعة في المهد فنظمهم الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في قوله تكلم في المهد النبي محمد ويحيى وعيسى و
الخليل ومريم ومبري جريج ثم شاهد يوسف وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم وطفل عليه مر بالامة التي يقال لها تزني
ولا تتكلم وماشطة في عهد فرعون طفلها وفي زمن الهادي المبارك يختم انتهى قال بعضهم لكن هو صلى الله عليه وسلم
حصر من تكلم في المهد في ثلاثة ولم يذكر نفسه اي فقد روى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا لم يتكلم في المهد
الا ثلاثة عيسى وصاحب جريج وابن المراة التي مر عليها بامراة يقال لها تزني وقد يقال هذا الحصر انما في الثلاثة
من بني اسرائيل او انه ذلك كان قبل ان يعلم بما زاد وذكر ان عيسى عليه الصلوة والسلام تكلم في المهد وهو ابن

بلبنه وقيل وهو ابن اربعين يوما اشار بسبابته وقال بصوت رفيع انى عبد الله اى لما مر بنو اسرائيل على مريم وهى حاملة له
وانكروا عليها ذلك واشارت اليهم ان كلموه وضربوا بايديهم على وجوههم تعجبا وقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال ما
ما قصه الله سبحانه وتعالى ثم رايتنى نحو الكلام على قصة الاسرى والمعراج ذكرت فيه ذلك وان عيسى تكلم يوم ولادته قال
لابن خالته يوسف النجار وقد خرج فى طلب الغنم وقد خرجت لما اخذها ما ياخذ النساء من الطلق من الولادة خارج بيت المقدس
وجلست تحت نخلة يابسة فاخضرت النخلة من ساعتها وتدلت عراجينها وجرت من تحتها عين ماء وصنعت تحتها البشر ابو
وطب نفسا وقر عينا فقد اخرجنى ربى من ظلمة الارحام الى ضوء الدنيا وسيبا فى بنى اسرائيل وادعوهم الى طاعة الله فانصرف يوسف
الى زكريا واخبره بولادة مريم وقيل ولدها وفى النطق المفهوم ان عيسى كلم يوسف المذكور وهو فى بطن امه فقد قيل ان اول
من علم بحمل مريم فقال لها متعرضا لها يا مريم هل تنبت الارض زرعا من غير بذر وهل يكون ولد من غير فحل فقال له عيسى وهو
فى بطن امه قم فانطلق الى صلواتك واستغفر الله بما وقع فى قلبك وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان عيسى عليه الصلوة والسلام
تكلم فى المهد ثلاث مرات ثم لم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الصبيان عادة اى ولعل المرة الثالثة هى المرة التى حمد الله فيها بمحامد
لم تسمع الاذان مثلها فقال اللهم انت القريب على علوك المتعالى عن دنو لك الرفيع على كل شىء من خلقك حارت الابصار دون النظر
اليك ومنه جريج تكلم كذلك اى فى بطن امه قيل له من ابوك فقال الراعى عبد بنى فلان وهو تكلم بعد جريج من بطن امه
فقد تكلم مرتين مرة فى بطن امه وهو طفل كذا فى النطق المفهوم ولم اقف على ما تكلم به حينئذ واما يحيى عليه الصلوة والسلام تكلم وهو ابن
ثلاث سنين قال لعيسى اشهد انك عبد الله ورسوله والخليل عليه الصلوة والسلام تكلم وقت ولادته وسياتى ما تكلم به فى كون
ابن ثلاث سنين ويكون من تكلم وقت ولادته يكون فى المهد نظر الا ان يكون المراد التكلم فى المهد التكلم فى غيره وان الكلام
ولم اقف على من تكلم فى المهد حين تكلم غير من ذكر وغير الطفل الذى لدى الاخدود فانه لما جى بامه لتلقى فى نار الاخدود
لتكفر وهو معها فتقاعست فقال لها يا امه اصبرى فانك على الحق قال ابن قتيبة كان سنه سبعة اشهر وفى النطق المفهوم ان
شاهد يوسف الصديق كان عمره شهرين وكان ابن داية زليخا وفى الخصايص الصغرى وخص بكلام الصبيان فى المراضع وشهادتهم
له بالنبوة ذكر ذلك البدر الدماميني هذا كلامه وفيه نظر لانه لم يشهد له بالنبوة من هولاء الا مبارك اليمامة حسبما وقفت
عليه ورايت فى الاجوبة المسكتة لابن عوف ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم السلام نزل نبيا قال نعم قالوا
فلم لم تنطق فى المهد كما نطق عيسى من غير فحل فلولا انه نطق فى المهد لما كان لمريم عذر وقد اخذت بما يوخذ به مثلها وانا ولدت
بين ابوين هذا كلامه وهذا يخالف ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم تكلم فى المهد الا ان يقال مرادهم لم لم تنطق فى المهد
بمثل الذى نطق به عيسى او ان ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ابهما للعنان فليتامل ثم رايت ان ابرهيم الخليل عليه الصلوة
والسلام لما سقط على الارض استوى قائما على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد الحمد لله
الذى هدانا لهذا قال فى النطق المفهوم ولدا لغار الذى ولد به نوح وادريس عليهما الصلوة والسلام ويقال لها
الغار فى النوبة غار النور ويقيم لهولاء ما ذكره الشيخ محيى الدين ابن العربى قال قلت لبنتى زينب مرة وهى فى سن
الرضاع قريبا عمرها من سنة ما تقولين فى الرجل يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون
من ذلك ثم انى فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة فى مكة وكنت اذنت لوالدتها فى الحج فجاءت مع الحج الشامى فلما
خرجت لملاقاتها نادتنى من فوق الجمل وهى ترضع فقالت بصوت فصيح قبل ان ترانى امها هذا ابى وضحكت وارمت
نفسها الى قال رحمه الله ورايت ان علمت من اجاب امه بالتشميت وهو فى بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته
من جوفها شهد عندى الثقاة بذلك قال وهذا احد عبيد الله تعالى بعلمه وهو فى بطن امه لا يحجبك قوله تعالى

والله

والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا لانه لا يلزم من العالم حضوره مع علمه دائما وفى النطق المفهوم ان يوسف صلوات
الله تعالى عليه وسلامه تكلم فى بطن امه فقال انا المفقود والمغيب عن وجه ابى زمانا طويلا فاخبرت امه والده فقال لها اكتمى امرك
وفيها ان نوحا عليه الصلوة والسلام تكلم عقب ولادته فان امه ولدته فى غار خوفا على نفسها وعليه فلما وضعته وارادت
الانصراف قالت وانوحاه فقال لها لا تخافى احدا على يا اماه فان الذى خلقنى يحفظنى وفيها ان ام موسى لما وضعت موسى عليه
الصلوة والسلام استوى قاعدا وقال يا اماه لا تخافى من فرعون ان الله معنا ومبارك اليمامة قال بعض الصحابة
دخلت دارا بمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت منه عجبا جاءه رجل بصبى يوم ولد وقد لفه فى خرقة
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من انا قال الغلام بلسان طلق انت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بشى بعدها فكنا نسميه مبارك اليمامة وكانت هذه القضية فى حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم يناغى القمر
فى مهده اى يحدثه فقال ناغت المراة الصبى اذا كلمته بما يسره ويعجبه وعد ذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم ففى حديث فيه
مجهول وقيل فيه انه غريب المتن والاسناد عن عمه العباس رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله دعانى الى الدخول فى دينك
واشارة اى علامة لنبوتك رايتك فى المهد تناغى القمر اى تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيث ما اشرت اليه مال قال كنت احدثه
ويحدثنى ويلهينى عن البكاء واسمع وجبته اى سقطته حين يسجد تحت العرش اى ولم اقف على سنده صلى الله عليه وسلم
حين ذلك وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملك كذا وعده ابن سبع من خصايصه صلى الله عليه وسلم

باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد لا يخفى ان جميع اسمائه الشريفة مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح
والكمال فله من كل وصف اسم قال وكما ان الله عز وجل الف اسم كذلك للنبى صلى الله عليه وسلم الف اسم عن ابى جعفر محمد بن
على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه وهو الباقر من بقر العلم اى شقه قال امرت امنة فى المنام وهى حامل برسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تسميه احمد وعن ابن اسحق ان تسميه محمدا وقد تقدم والثانى هو المشهور فى الروايات اى وعلى
هذا اقتصر الحافظ الدمياطى والمسمى له محمدا جده عبد المطلب فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لما ولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم عق عنه اى يوم سابع ولادته جده بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحرث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم
ابائه وفى لفظ وليس من اسماء ابائك ولا قومك قال اردت ان يحمده الله فى السماء ويحمده الناس فى الارض انتهى اقول
هذا هو الموافق لما اشتهر ان جده سماه محمدا بالهام من الله تعالى تفاولا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة التى يحمد عليها
وكذلك كان ابلغ من محمود والى ذلك يشير حسان رضى الله تعالى عنه بقوله فشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد وهذا
الالهام لا ينافى ان تكون امه قالت انها امرت ان تسميه بذلك فقد حقق الله رجاه بانه صلى الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال
المحمودة والخلال المحبوبة فتكاملت له المحمدة من الخالق والخليقة فظهر معنى اسمه على الحقيقة وفى الخصايص الصغرى وخص باشتقاق
اسمه من اسم الله تعالى وبانه صلى الله عليه وسلم سمى احمد ولم يسم به احد قبله ولافادته الكثرة فى معناه لانه لا يقال الا
لمن حمد المرة بعد المرة لما يوجد فيه من المحاسن والمناقب ادعى بعضهم انه من صيغ المبالغة اى الصيغ المفيدة للمبالغة بالمعنى المذكور
اسما لا وصفا لان الصيغ الموضوعة لافادة المبالغة محصورة فى الصيغ الخمسة وليس هذا منها وهذا السياق يدل على ان
تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت فى يوم العقيقة وان العقيقة كانت فى اليوم السابع من ولادته وتقدم ولد
الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا وهو يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت فى ليلة ولادته
او يوم ولادته وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قوله هنا وسماه محمدا اظهر تسميته بذلك لعموم الناس وهذا التعليل للتسمية
بهذا الاسم يرشد الى ما قيل اقتضت الحكمة ان يكون بين الاسم والمسمى تناسب فى الحسن والقبح واللطافة ومن ثم غير صلى الله

عليه وسلم الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما عبر الاسم الحسن بالقبيح للمعنى المذكور ككنيته لابي الحكم بابي الجهل وتسميته
لابي عامر الراهب بالفاسق وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه ادع اناسا نحلب ناقتي فجاءه بانسان فقال له
ما اسمك فقال حرب فقال اذهب فجاءه باخر فقال ما اسمك فقال يعيش فقال احلبها ويروى انه صلى الله عليه وسلم طلب شخصا
يحلب ناقة فجاءه رجل فقال له ما اسمك قال مرة فقال اذهب وليس هذا من الطيرة التي كرهها ونهى عنها وانما هو من كراهة
الاسم القبيح ومن ثم كان يكتب لامرائه اذا ابردتم الي بريدا ان يجعله اي اذا ارسلتم الي رسولا فارسلوه حسن الاسم حسن
الوجه ومن ثم لما قال له سيدنا عمر لما قال لمن اراد ان يحلب له ناقته او يحمل له الابل ما تقدم لا ادري اقول ام اسكت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال كنت نهيتنا عن التطير فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكن اثرت
الاسم الحسن وللجلال السيوطي كتاب فيمن غير صلى الله عليه وسلم اسمه ولم اقف عليه ورايت في كلام بعضهم ان حزن
ابن ابي وهب اسلم يوم الفتح وهو جد سعيد بن المسيب اراد النبي صلى الله عليه وسلم تغيير اسمه وتسميته سهلا فامتنع
وقال لا اغير اسما سمانيه ابواي قال سعيد فلم تزل الحزونة فينا والله اعلم اي وفي حديث انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه
بعد ما جاءته النبوة قال الامام احمد هذا منكر اي حديث منكر والحديث المنكر من اقسام الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم
والحافظ السيوطي لم يتعرض لذلك وجعله اصلا لعمل المولد قال لان العقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان هذا الذي
فعله النبي صلى الله عليه وسلم اظهار للشكر على ايجاد الله اياه رحمة للعالمين وتشريعا لامته كما كان يصلي على نفسه كذلك
قال فيستحب لنا اظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ويروى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا راها اي في منامه راى
كان سلسلة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على
كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق واهل المغرب يتعلقون باغصانها فعبرت بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق واهل
المغرب واهل السماء والارض فلذا سماه محمدا اي مع ما حدثته به امه بما رات على ما تقدم وعن ابي جهم عن عبد المطلب قال
بينما انا نائم في الحجر اذ رايت رؤيا هالتني وفزعت منها فزعا شديدا فاتيت كاهنة قريش فلما نظرت الي عرفت في وجهي التغير
فقالت ما بال سيدنا اذ ان متغير اللون هل رابه من حدثان الدهر شيء فقلت لها بلى فقلت اني قد رايت الليلة وانا نائم في الحجر
كان شجرة نبتت قد نال راسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب وما رايت نورا ازهر منها ورايت رهطا من قريش قد
تعلقوا باغصانها ورايت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها اخذهم شاب لم ار قط احسن منه وجها ولا اطيب منه ريحا
يكسر اظهرهم ويقلع اعينهم فرفعت يدي لاتناول منها نصيبا فلم انله فانتبهت فزعا فرايت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن
صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس وعند ذلك قال عبد المطلب لابنه ابي طالب لعلك
ان تكون هذا المولود فكان ابو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد صلى الله عليه وسلم ويقول كانت الشجرة هي محمد وفي
الامتاع مات قثم بن عبد المطلب قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين ووجد عليه
وجدا شديدا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه قثم حتى اخبرته امنة انها امرت في منامها ان تسميه محمدا فسماه
محمدا اي لا مخالفة بين هذه الروايات على تقدير صحتها كما لا يخفى لانه يجوز ان يكون نسي تلك الرؤيا ثم تذكرها ويكون معنى
سؤاله ما حملك على ان تسميه محمدا وليس من اسماء ابائك اي ما استقر رايك على ان تسميه محمدا وذكر بعضهم انه لا يعرف في العرب
من تسمى بهذا الاسم يعني محمدا قبله الا ثلاثة طمع اباؤهم حين وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الاول واخبرهم
بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم اي بالحجاز وبقرب مبعثه وباسمه المذكور الذي هو محمد وهو يدل على ان اسمه في بعض الكتب
القديمة محمد وكان كل واحد منهم قد خلف زوجته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ولد ذكر ان يسميه محمدا ففعلوا ذلك

وفي الشفا ان في هذين الاسمين محمد واحمد من بدائع اياته اي المصطفى وعجائب خصائصه ان الله تعالى حماهما عن ان يتسمى بهما
احد قبل زمانه اي قبل شيوع وجوده اما احمد الذي اتى في الكتب القديمة وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى ان يتسمى به احد
غيره ولا يدعى به مدعو قبله منذ خلقت الدنيا ولا في حياته زاد الزين العراقي ولا في زمن اصحابه حتى لا يدخل لبس على ضعيف
القلب او شك اي فالتسمية به من خصائصه صلى الله عليه وسلم عن جميع الناس ممن قبله خلافا لما يوهمه كلام الجلال السيوطي في الخصائص
الصغرى اي من خصائصه على الانبياء فقط ومن ثم ذهب بعضهم الى افضليته على محمد وقال الصلاح الصفدي ان احمد ابلغ من محمد كما
ان احمر واصفر ابلغ من محمر ومصفر ولعله لكونه منقولا عن افعل التفضيل لانه صلى الله عليه وسلم احمد الحامدين لرب العالمين
لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على احد قبله وفي الهدى لو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى ان
يسمى الحماد كما تسمى بذلك امته وانما هو الذي يحمده اهل السماء والارض لكثرة خصاله المحمودة التي تزيد على عد العادين و
احصى المحصين اي احق الناس واولاهم بان يحمد فهو كمحمد في المعنى فهو ماخوذ من الفعل الواقع على المفعول وحينئذ فالفرق بين
محمد واحمد ان محمدا من كثر حمد الناس له واحمد من يكون حمد الناس له افضل من غيره وسياتي عن الشفا انه احمد المحمودين و
احمد الحامدين فيجوز ان يكون احمد ماخوذا من الفعل الواقع على الفاعل وفي كلام السهيلي ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد فاحمد
ذكر قبل ان يذكر محمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له والحاصل بيان ذلك وفي كلام بعض فقهائنا معاشر الشافعية
انه ليس في احمد من التعظيم ما في محمد لانه اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم الشريفة وافضلها فلذلك لا يكفي الاتيان به
في التشهد بدل محمد وتقدم ان احب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن قال بعضهم وعبد الله احب من عبد الرحمن
لاضافة العبد الى الله المختص به تعالى اتفاقا والرحمن مختص به على الاصح ومن ثم سمى نبينا في القران بعبد الله في قوله تعالى وانه لما قام عبد الله
يدعوه وعلى ما ذكرناه يكون بعد عبد الرحمن المذكور في القران في قوله تعالى وعباد الرحمن احمد ثم محمد وبعدهما ابرهيم خلافا لمن
جعله بعد عبد الرحمن وذكر بعضهم ان اول من سمي باحمد بعد نبينا ولد لجعفر بن ابي طالب وعليه يشكل ما تقدم عن الزين العراقي
وقيل والد الخليل اي ولعل المراد به الخليل بن احمد صاحب العروض ثم رايت الزين العراقي صرح بذلك حيث قال واول من
تسمى في الاسلام باحمد والد الخليل بن احمد العروضي ويشكل على ذلك وعلى قوله لم يتسم به احد في زمن الصحابة تسمية
ولد جعفر بن ابي طالب بذلك الا ان يقال لم يصح ذلك عند العراقي او يقال مراده الصحابة الذين تخلفوا عنه بعد وفاته صلى الله
عليه وسلم فلا يرد جعفر لانه مات في حياته صلى الله عليه وسلم وهو خامس خمسة كل يسمى الخليل بن احمد زاد بعضهم وكذلك
محمد ايضا لم يتسم به احد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده الا بعد ان شاع ان نبيا يبعث اسمه محمد اي بالحجاز وقرب زمنه
سمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك ثم حمى الله تعالى هؤلاء ان يدعي احد منهم النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه شيء من
سماتها او علاماتها حتى تحققت له صلى الله عليه وسلم اي وفي دعوى ان الذي في الكتب القديمة انما هو احمد يخالف ما سبق وما ياتي
عن التوراة والانجيل اي ان المراد بالكتب القديمة غالبها فلا ينافي ان في بعضها اسمه محمد وفي بعضها الجمع بين محمد واحمد قال بعضهم
سمعت محمد بن عدي وقيل له كيف سماك ابوك في الجاهلية محمدا قال سالت ابي عما سالتني عنه فقال خرجت رابع اربعة من بني تميم
نريد الشام فنزلنا عند غدير عند دير فاشرف علينا الديراني وقال ان هذه للغة قوم ما هي لغة اهل هذه البلد فقلنا نحن قوم
من مضر فقال من اي المضائر فقلنا من خندف فقال لنا ان الله سيبعث منكم نبيا وشيكا اي سريعا فسارعوا اليه وخذوا
بحظكم ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا ما اسمه قال محمد ثم دخل ديره فوالله ما بقي احد منا الا ادرج قوله في قلبه
فاضمر كل واحد منا ان رزق غلاما سماه محمدا رغبة فيما قاله فنذر كل واحد منا ذلك فلا يخالف ما سبق فلما
انصرفنا ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته اقول يجوز

ان يكون هؤلاء الاربعة منهم الثلاثة الذين وفدوا على بعض الملوك وحينئذ تكرر لهم ذلك القول من الملك
وصاحب الدير واختار ذلك لانا في بدء المتقدم فالمراد باخباره تذره كما قدمناه ويجوز ان يكون غيرهم
فيكونوا سبعة وذكر ابن ظفر ان سفيان بن مجاشع نزل على حي من بني تميم فوجدهم مجتمعين على كاهنتهم وهي تقول
العزيز من والاه والذليل من خالاه فقال لها سفيان من تذكرين لله ابوك فقالت صاحب هدى وعلم وحرب
سلم فقال سفيان من هو لله ابوك فقالت نبي مؤيد قد ان حين يوجد ودنى اوان يولد يبعث للاحمر والاسود اسمه
محمد فقال سفيان اعربي ام عجمي اما والسماء ذات العنان والشجر ذوات الافنان انه لمن معد بن عدنان حسبك فقد
اكثرت يا سفيان فامسك عن سؤالها ومضى الى اهله وكانت امرأته حاملا فولدت ولدا فسماه محمدا رجاء منه ان يكون
هو الموصوف والله اعلم وقد عدهم بعضهم ستة عشر ونظمهم فقال ان الذين سموا باسم محمد من قبل خير الخلق ضعف
ثمان ابن البراء مجاشع ابن ربيعة ثم ابن مسلم يحمدي حرمان ليثي السلمي وابن اسامة سعدي وابن سواءة همداني وابن
الجلاح مع الاسيدي وابن ثم الفقيمي هكذا الحمراني قال بعضهم وفي نذر اخران لم يذكرهما محمد بن الحارث ومحمد بن
عمر بن مغفل بضم اوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام ووقع النزاع الكثير والخلاف الشهير في اول من سمي بذلك
الاسم منهم اقول في شرح الكفاية لابن الهايم ان يكون من زاد على اولئك الاربعة او السبعة سمع ذلك من
بعضهم فاقتدى به في ذلك طمعا فيما طمع فيه ومثل ذلك وقع لبني اسرائيل فان يوسف صلوات الله وسلامه عليه
لما حضرته الوفاة اعلم بني اسرائيل بحضور اجله وكان اول انبيائهم فقالوا له يا نبي الله انا نحب ان تعلمنا بما يؤول اليه امر
نا بعدك وجلت من بين اظهرنا في رهبتنا فقال لهم ان اموركم لم تزل مستقيمة حتى يظهر عليكم رجل جبار من القبط يدعي
الربوبية يذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ثم يخرج من بني اسرائيل رجل اسمه موسى بن عمران ينجيكم الله به من ايدي القبط فجعل
كل واحد من بني اسرائيل اذا جاءه ولد يسميه عمران رجاء ان يكون ذلك النبي منه ولا يخفى ان بين عمران ابي موسى
وعمران ابي مريم ام عيسى وهو اخر انبياء بني اسرائيل الف وثمان مائة سنة والله اعلم والذي ادرك الاسلام ممن تسمى
باسمه عليه الصلوة والسلام محمد بن ربيعة ومحمد بن الحارث ومحمد بن مسلمة ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من
خمسة عشر سنة اي وقد ذكر ابن الجوزي ان اول من تسمى في الاسلام بمحمد محمد بن حاطب وعن ابن عباس اسمه في القران
اي كالتورية محمد وفي الانجيل احمد واما فضل التسمية بهذا الاسم اعني محمدا فقد جاء في احاديث كثيرة واخبار
شهيرة اي منها انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اعذب احدا تسمى باسمك في النار اي باسمك
المشهور وهو محمد او احمد ومنها ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد اي وفي رواية فيها اسمي الا قد
س الله ذلك المنزل كل يوم مرتين ومنها قال ابو حفص عبدان اي اسم احد سمي احمد والاخر محمد بين يدي الله تعالى
فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة
فاني اليت على نفسي ان لا يدخل النار من اسمه احمد او محمد لكن قال بعضهم ولم يصح في فضل التسمية بمحمد حديث وكلما ورد
فيه فهو موضوع قال بعض الحفاظ واصحها اي اقربها للصحة من ولد له مولود فسماه محمدا حبا لي وتبركا باسمي كان هو
ومولوده في الجنة وعن ابي رافع عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سميتموه محمدا فلا
تضربوه ولا تحرموه وفي رواية طعن فيها بان بعض رواتها متهم بالوضع فلا تسبوه ولا تجبهوه ولا تقبحوه ووقروه
وعظموه واكرموه وبروا قسمه واوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها بورك في محمد وفي بيت فيه محمد ومجلس
فيه محمد وفي رواية تسمونهم محمدا ثم تسبونه وفي رواية طعن فيها اما ينبغي احدكم ان يقول يا محمد ثم يضربه وعن

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من ولد له ثلاثة اولاد فلم يسم احدهم محمدا فقد جهل اي في رواية فهو من الجفاء وفي اخرى فقد جفاني
وذكر بعضهم انه لم يرد في المرفوع من اراد ان يكون حمل زوجته ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا
فقد سميته محمدا فانه يكون ذكرا وجاء عن عطاء قال ما سمي مولود في بطن امه محمدا الا كان ذكرا قال ابن الجوزي في الموضوعات
وقد رفع هذا بعضهم اي وروي ما اجتمع قوم قط في مشورة فيهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك
فيه اي في الامر الذي اجتمعوا له وفي رواية فيهم رجل اسمه محمد او احمد فشاوروه الا خير لهم اي الا حصل لهم الخير فيما تشاوروا
فيه وما كان اسم محمد في بيت الا جعل الله في ذلك البيت بركة وانهم راوي ذلك بانه مجروح وروي ما قعد قوم على طعام
حلال فيهم رجل اسمه اسمي الا تضاعف فيهم البركة اي اسمه المشهور وهو احمد او محمد كما تقدم وفي الشفاء ان لله
ملائكة سياحين في الارض عبادتهم اي بالباء الموحدة كل دار فيها اسم محمد اي حراسة اهل كل دار فيها اسم محمد وقد ذكر
الحافظ السيوطي ان هذا الحديث غير ثابت وعن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما قال من كان له حمل فنوى
ان يسميه محمدا حوله الله تعالى ذكرا وان كان انثى قال بعض رواة الحديث فنويت سبعة كلهم سميتهم محمدا وعنه صلى الله عليه
وسلم من كان له ذو بطن فاجمع ان يسميه محمدا رزقه الله تعالى غلاما وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم امرأة بانها لا يعيش
لها ولد فقال اجعلي لله عليك ان تسميه اي الولد الذي تريده محمدا ففعلت فعاش ولدها وعن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعا
ليس احد من اهل الجنة الا يدعى باسمه الا ادم صلى الله عليه وسلم فانه يدعى ابا محمد تعظيما له وتوقيرا
للنبي صلى الله عليه وسلم اي لان العرب اذا عظمت انسانا كنته ويكنى الانسان باحد ولده قال الحافظ الدمياطي وفي رواية
ليس احد اي من اهل الجنة يكنى الا ادم فانه يكنى ابا محمد اي وفي حديث معضل اذا كان يوم القيامة نادى مناد يا محمد قم فادخل
الجنة بغير حساب فيقوم كل من اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد لا يمنعون وفي الحلية لابي نعيم عن وهب بن منبه قال
كان رجل عصى الله مائة سنة اي في بني اسرائيل ثم مات فاخذوه فالقوه في مزبلة فاوحى الله الى موسى عليه الصلوة و
السلام ان اخرجه فصل عليه قال يا رب ان بني اسرائيل شهدوا انه عصاك مائة سنة فاوحى الله اليه هكذا الا انه كان
كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء وعن الفوائد
انه جرت عادة كثيرة من الناس اذا سمعوا بذكر وصفه صلى الله عليه وسلم ان يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا
القيام بدعة لا اصل لها اي لكن هي بدعة حسنة لانه ليس كل بدعة مذمومة وقد قال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه
في اجتماع الناس لصلوات التراويح نعمت البدعة وقد ذكر العز بن عبد السلام ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة
وذكر من امثلة كل ما يطول ذكره ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة
ضلالة وقوله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا اي شرعنا ما ليس منه فهو رد عليه لان هذا عام اريد
به خاص فقد قال امامنا الشافعي رضي الله عنه ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا او اثرا فهو البدعة الضالة
وما احدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة المحمودة وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم
من عالم الامة ومقتدى الائمة دينا وورعا الامام تقي الدين السبكي وتابعه على ذلك مشايخ الاسلام في عصره فقد
حكى بعضهم ان الامام السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصري في مدحه صلى الله عليه و
سلم قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب على ورق من خط احسن من كتب وان تنهض الاشراف عند سماعه قياما صفوفا
او جثيا على الركب فعند ذلك قام الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل انس كبير بذلك المجلس ويكفي مثل ذلك في الاقتداء
وقد قال ابن حجر الهيتمي والحاصل ان البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك اي بدعة حسنة

ومن ثم قال الامام ابو شامة شيخ الامام النووي ومن احسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده
صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر
بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله على ما من به من ايجاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
ارسل رحمة للعالمين هذا كلامه قال السخاوي ولم يفعله احد من السلف في القرون الثلاثة وانما حدث بعد ثم لا زال اهل
الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر
عليهم من بركاته كل فضل عظيم قال ابن الجوزي من خواصه انه امان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام واول من
احدثه من الملوك صاحب اربل وصنف له ابن دحية كتابا في المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير فاجازه بالف دينار وقد
استخرج له الحافظ ابن حجر اصلا من السنة وذكر الحافظ السيوطي ورد على الفاكهاني المالكي في قوله ان عمل المولد بدعة مذمومة

باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به قال ابن اسحاق صلى الله عليه وسلم ارتضع من ثمانية من النساء وقيل من عشرة
بزيادة خولة بنت المنذر وام ايمن بركة قال اول من ارضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة اي بعد ارضاع امه له
كما سياتي قال وثويبة هي جارية عمه ابي لهب وقد اعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم اي فانها قالت له اما شعرت ان
امنة ولدت ولدا او في لفظ غلاما لاخيك عبد الله فقال لها انت حرة فجوزي بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بان يسقى ماء في جمجمته
في تلك الليلة او ليلة الاثنين مثل نقرة الماء بين السبابة والابهام انتهى اي بسبب تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين ما
يسقاه تلك الليلة في تلك النقرة ويذكر ان بعض اهل ابي لهب وهو اخوه العباس راه في النوم في حالة سيئة بعد العباس رضي الله
تعالى عنه قال مكث حولا بعد موت ابي لهب لا اراه في نوم ثم رايته في شر حال فقال له ماذا لقيت فقال له ابو لهب لم اذق بعدكم رخاء
وفي لفظ فقال لم القى بعدكم خيرا بفتح الخاء المعجمة وقيل بكسرها وهي سوء الحال غير اني سقيت في هذه واشار الى النقرة المذكورة بعتاقتي ثويبة
ذكر ما الحافظ الدمياطي والذي في المواهب وقد راى ابو لهب بعد موته فقيل له ما حالك فقال في النار الا انه يخفف عني كل ليلة اثنين
وامص من بين اصبعي هاتين ماء واشار برأس اصبعيه وان ذلك باعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم
وبارضاعها له انتهى وقيل انما اعتقها لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة اي فان خديجة كانت تكرمها وطلبت من ابي لهب
ان تبتاعها منه لتعتقها فابى ابو لهب فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اعتقها ابو لهب اقول ويقال لا منافاة
لجواز ان يكون لما اعتقها لم يظهر عتقها واباه بيعها لكونها كانت معتوقة ثم اظهر عتقها بعد الهجرة والله اعلم وارضعته صلى
الله عليه وسلم كان اياما قلائل قبل ان تقدم حليمة وكان يلبن لها يقال له مسروح هو بضم الميم وسين مهملة ساكنة ثم راء
مضمومة ثم حاء مهملة كذا في النور وفي السيرة الشامية بفتح الميم وكانت قد ارضعت قبله ابا سفيان ابن عمه الحارث وذكر
بعضهم كان تربا له صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه وكان يالفه الفا شديدا قبل النبوة فلما بعث صلى الله عليه وسلم عاداه
وهجره وهجا اصحابه فانه كان شاعرا مجيدا وسياتي اسلامه رضي الله تعالى عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وارضعت
ثويبة قبلهما عمه حمزة ابن عبد المطلب وكان اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين وقيل باربع سنين اقول هذا يخالف ما تقدم
من ان عبد المطلب تزوج من بني زهرة هالة واتى منها بحمزة وان عبد الله تزوج من بني زهرة امنة وذلك في مجلس واحد
وان امنة حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم عند دخول عبد الله بها حين ملك عليها فكيف يكون حمزة اسن منه صلى
الله عليه وسلم بسنتين الا ان يقال المبس فيما تقدم تصريح بان عبد المطلب وعبد الله دخلا على زوجتيهما في وقت
واحد وعبارة السهيلي هالة بنت اهيب بن عبد مناف بن زهرة عم امنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم
تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله امنة في ساعة واحدة فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت امنة

لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارضعتها ثويبة هذا كلامه وليس فيه كقول اسد الغابة المتقدم ان عبد المطلب تزوج
هو وعبد الله في مجلس واحد تصريح بانهما دخلا بزوجتيهما في وقت واحد لامكان حمل التزوج على الخطبة للتصريح بما تقدم
عن ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة في مجلس خطبة عبد الله لامنة والله اعلم ثم رايته في الاستيعاب قال كان حمزة
اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع سنين وهذا لا يصح عندي لان الحديث الثابت ان حمزة ارضعته ثويبة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ان تكون ارضعتهما في زمانين هذا لفظه وفيه ايضا على تسليم انها ارضعتهما في زمانين لكن يلزم
ابنها مسروح كما سياتي ويبعد بقاء لبن ابنها مسروح اربع سنين ثم ارضعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياتي
الجواب عنه وارضعت ثويبة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سلمة بن عبد الاسد اي ابن عمته الذي كان زوجا
لام حبيبة بنت ابي سفيان ام المؤمنين فقد ارضعت ثويبة حمزة ثم ابا سفيان ابن عمه الحارث ثم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ابا سلمة وهو يخالف بظاهره لقول المحب الطبري وارضعته ثويبة جارية ابي لهب وارضعت معه حمزة
بن عبد المطلب وابا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بلبن ابنها مسروح هذا كلامه وفيه ما علمت وقد يجاب بانه يمكن بان
تكون لم تحمل على ولدها مسروح في المدة المذكورة فاستمر لبنها وايضا هي ارضعت بين حمزة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا سفيان بن عمه الحارث كما علمت وذكر بعضهم ان ابا سلمة اول من يدعى للحساب اليسير وقد روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم حديثا واحدا عن ام سلمة قالت اتاني ابو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به قال لا تصيب احدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول
اللهم اجرني في مصيبتي واخلف علي خيرا منها الا فعل به قال الترمذي حسن غريب ويدل لكون ابي سلمة اخاه صلى الله عليه
وسلم من الرضاعة ما جاء عن ام حبيبة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هل لك في اختي بنت ابي
سفيان وهي عزة بعين مهملة ثم زاي اي وفي رواية هل لك في اختي حمنة بنت ابي سفيان والذي في مسلم انكح
اختي بنت ابي سفيان قال وتحبين ذلك قالت نعم لست لك بمخلية بضم الميم وسكون الخاء وكسر اللام وبالتحتية اي لست
لك بتاركة عدم اخذها واحب من شاركني في خير اختي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يحل لي قالت فوالله
لقد انبئت اي وفي لفظ انا نتحدث انك تخطب درة اي وفي لفظ تريد ان تنكح درة بنت ابي سلمة اي بضم الدال المهملة واما
ضبطه بفتح الذال المعجمة قال بعضهم هو تصحيف لا شك فيه تعني بدرة بنتها من ابي سلمة قال ابنة ابي سلمة قلت نعم قال والله
لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني واباه ثويبة اي وفي رواية لو اني لم انكح
ام سلمة يعني ام حبيبة التي هي امها لم تحل لي ان اباها لاخي من الرضاعة اي واختلف على فرض ان لا تكون بنت اخي من
الرضاعة لا تحل لي ان اجمعها معك فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن قيل وفي هذا اي في قوله لو لم تكن ربيبتي في حجري
وفي قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم حجة لداود الظاهري ان الربيبة لا تحرم الا اذا كانت في حجر زوج امها
فان لم تكن في حجره فهي حلال له وقيل لها ربيبة لانها ماخوذة من الرب وهو الاصلاح لان زوج امها يقوم باصلاح
احوالها قال الحلبي ان نقول كان الظاهر الاقتصار على الاخوات لان ام حبيبة هي التي عرضت اختها ولم تعرض بنتها
التي هي درة وقد يجاب بانه صلى الله عليه وسلم جعل خطابا بام حبيبة خطابا بالجميع من نسائه صلى الله عليه وسلم
لان هذا الحكم لا يختص بواحدة دون اخرى اي اشعر اقول فيه ان هذا واضح لو كان في زوجاته من عرض عليه بنته
الا ان يقال المراد فلا تعرضن لا ينبغي لكن ان تعرضن وذلك لا يستلزم وقوع العرض بالفعل ثم رايت الامام
النووي ذكر ان هذا من ام حبيبة اي عرض من اختها محمول على انها لم تكن تعلم تحريم الجمع بين الاختين عليه صلى الله

عليه وسلم قال لو كنا لو يحل من عرض بنت ام سلمة يعني زينب الربيبة هذا كلامه وهو يقتضي ان بعض الناس عرض عليه بنت ام سلمة واذا
كان من عرضها عليه احدى نسائه ام حبيبة قوله فلا تعرض على بناتكن تامل وبهذا الحديث استدل من قال انه لا يجوز له ان يجمع بين المراة
واختها وهو الراجح من وجهين ومقابله يقول بخصوص جواز ذلك له ولا يجمع بين المراة وبنتها خلاف الوجه حكاه الرافعي وهذا
الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لو لم انكح ام سلمة لم تحل لي يرد هذا الوجه وعبارة الخصائص الصغرى حل له الجمع بين المراة
واختها وعمتها وخالتها في احد الوجهين وبين المراة وابنتها في وجه حكاه الرافعي وتبعه في الروضة وجزموا بانه غلط
والله اعلم ومما يدل ايضا على ان عمه حمزة اخوه من الرضاعة ما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله ما لك
لا تتوق في قريش اي بمثناة فوق مفتوحتين ثم واو مشددة ثم قاف اي لا تشتاق اليهم ماخوذ من التوق الذي هو الشوق وفي
رواية بالتاء والنون اي لا تختار ولا تتزوج منهم قال وعندك قلت نعم ابنة حمزة اي من الرضاعة اي وهذا من علي رضي الله تعالى
عنه محمول على انه لم يكن يعلم ان حمزة اخ له صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وان الله قد حرم من الرضاعة ما حرم من النسب
الا ان يراد بقوله قد علمت اي اعلم قال ولعله لم يقل ارضعتني واياه ثويبة ارضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ابا سلمة لان حمزة رضعته رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا من امراة من بني سعد غير حليمة قال حمزة مسترضعا
عندها في بني سعد ارضعته صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند حليمة اي فهو رضيعه صلى الله عليه وسلم من جهة ثويبة ومن
جهة تلك المراة السعدية ولم اقف على اسم تلك المراة انتهى ولم اقتصر على ثويبة لاوهم انه لم ترضعه معه غيرها وذكر في الاصل
ان بعضهم ذكر من مراضعه خولة بنت المنذر اقول تقدم ذلك ونسب هذا البعض في ذلك للوهم وان خولة بنت المنذر
التي هي ام بردة انما كانت مرضعة لولده ابرهيم وقد يجاب عنه بانه يجوز ان تكون خولة بنت المنذر اثنتان واحدة ارضعته
صلى الله عليه وسلم وواحدة ارضعت ولده ابرهيم وان خولة التي ارضعته صلى الله عليه وسلم هي السعدية التي كانت
ترضع حمزة المرة لكنها الشمس الشامي لم اقف على اسم تلك المراة والله اعلم ولم يذكر اسلام ثويبة الا ابن منده قال الحافظ
ابن حجر وفي طبقات ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم ولكن لا يدفع نقل ابن منده به وفي الخصائص الصغرى لم ترضعه صلى الله عليه
وسلم مرضعة الا اسلمت ولم اقف على ابنها مسروح اقول ومما يدل على عدم اسلامه ما جاء بسند ضعيف اذا كان يوم القيامة
اشفع لاخ لي في الجاهلية قال الحافظ السيوطي يعني اخاه من الرضاعة لانه لم يدرك الاسلام لا يقال من اخذه مسروح جاز
ان يكون ابن حليمة وهو عبد الله الذي كان يرضع معه بناء على انه لم يدرك الاسلام لانه لم يعرف له اسلام لانا نقول سبق
عن شرح الهمزية لابن حجر ان عبد الله ولد حليمة اسلم والله اعلم اي ومما يدل على عدم اسلام ثويبة وابنها المذكور الذي
هو مسروح ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث لها بصلة وكسوة وهي بمكة حتى جاءه خبر وفاتها مرجعه من خيبر سنة
سبع فقال ما فعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها اي ولو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة اقول وهذا بظاهره يدل على ان مسروحا
ادرك الاسلام وهو ينافي علم وفاتها مرجعه من خيبر ما ذكره السهيلي انه عليه الصلوة والسلام كان يصلها من المدينة فلما
افتتح مكة سال عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون سواله الثاني للتثبت او هو له
علم انه منها والقول بانهما لو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة يقال عليه يجوز ان تكون الهجرة تعذرت عليهما لعارض عرض لهما والله اعلم
قال وجاء ان اول امراة ارضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة اقول وفي عيون المعارف للقضاعي سبعة ايام وفي الامتاع
انها ارضعته سبعة اشهر ثم ارضعته ثويبة اياما قلائل هذا كلامه وقوله ثم ارضعته ثويبة يخالف ما تقدم من ان
اول من ارضعته ثويبة الا ان يقال المراد اول من ارضعه حين امه ثويبة فلا مخالفة وبهذا يرد نقل ابن المحدث عن الاصل
ان اول لبن تناوله صلى الله عليه وسلم لبن ثويبة فانه فهم ذلك من قول الاصل اول من ارضعه ثويبة لما علمت ان

الاولية اضافية لا حقيقية الا ان يدعي في ذلك في نقل ابن المحدث ايضا اي اول لبن تناوله جوفه بعد لبن امه والله اعلم قال ارضعه
صلى الله عليه وسلم ثلاث نسوة اي ابكار من بني سليم اخرجن ثديهن فوضعنها في فمه صلى الله عليه وسلم فدرت فرضع منهن واحدة منهن
ام فروة انتهى اي وهولاء النسوة الابكار كل واحدة منهن تسمى عاتكة وهي المعنية من قوله صلى الله عليه وسلم بقوله انا ابن العواتك
من سليم على القول به لما تقدم من ان ام ايمن ارضعته ذكره في الخصائص الصغرى ورد بانها حاضنته لا مرضعة وعلى تقدير صحته يتعين
بلبنها وحليبها كان فانه لا يعرف لها ولد الا ايمن واسامة الا ان يقال جاز ان يكون لبنها در له من غير وجود ولد كما تقدم في النسوة
الابكار وارضعته حليمة بنت ابي ذويب وتكنى بام كبشة اي باسم بنت لها اسمها كبشة ويكنى بها ايضا والدها الذي هو زوج حليمة
اي كانت من هوازن اي من بني سعد بن بكر بن هوازن وسياق الكلام على اسلامها وعنها انها كانت تحدث انها خرجت من بلدها
معها ابن لها ترضعه اسمه عبد الله ومعها زوجها قال وهو الحارث بن عبد العزى ويكنى ابا ذويب اي كما يكنى ابا كبشة ادرك الاسلام
واسلم فقد روى ابو داود بسند صحيح عن عمرو بن السايب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل
ابوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلسه بين يديه وعن ابن اسحق بلغني ان الحارث انما اسلم بعد وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يؤيد قول بعضهم لم يذكر الحارث كثير عن الف في الصحابة انتهى اقول يدل للاول ظاهر ما روي ان الحارث
هذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد نزول القران عليه فقالت له قريش الا تسمع يا حارث ما يقول ابنك فقال
وما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث من في القبور وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من اطاعه اي يعذب
ناسا فيها من عصاه وهي النار ويكرم في الاخرى من اطاعه وهي الجنة فقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال اي بني ما لك
ولقول قومك يشكونك ويزعمون انك تقول كذا اي ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى الجنة والنار فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعم انا اقول ذلك وفي لفظ انا ازعم ذلك اليوم يا ابت فلا اخذن بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم
فاسلم الحارث بعد ذلك وحسن اسلامه اي وقد كان يقول حين اسلم لو اخذ ابني بيدي يعرفني ما قال لم يرسلني حتى يدخلني
الجنة وانما قلنا ظاهر لانه قد يقال قوله بعد ذلك يصدق بما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا دلالة في ذلك على انه اسلم
في حياته صلى الله عليه وسلم وفي شرح الهمزية لابن حجر ومن معاديها يعني حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها
وهم عبد الله والشيماء وانيسة هذا كلامه وفي الاصابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا اي على ثوب فاقبل ابوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من الجانب الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ورجاله ثقات ولعل المراد بجلوسه بين يديه جلوسه مقابلته وحينئذ فيقال
جلس النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بيده مراجعة اي قام النبي صلى الله عليه وسلم عن محل جلوسه على الثوب واجلس اخاه على
الثوب مكانه وجلس صلى الله عليه وسلم قبالة اخيه فعل ذلك ليكون اخوه هو وابواه جميعا على الثوب والله اعلم قالت وخرجت
في نسوة من بني سعد اي ابن بكر بن هوازن عشر يطلبن الرضعاء في سنة شهباء اي ذات جدب وقحط لم تبق شيئا على اتان قمراء
بفتح القاف والمد اي شديدة البياض ومعنا شارف اي ناقة مسنة ما تبض بالضاد المعجمة وربما روي بالمهملة اي ما ترشح بقطرة لبن
قالت وما كنا ننام ليلنا اجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه وفي رواية ثديي ما يعنيه وما شارفنا ما يغذيه
بمعجمتين وقيل بمعجمة ثم مهملة وبالياء التحتية المضمومة وقيل باسكان العين المهملة وكسر الذال المعجمة وضم الباء الموحدة اي ما
يكفيه بحيث يرفع راسه وينقطع عن الرضاعة قالت حليمة ولكنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على اتاني تلك فلقد ادمت بالدال
المهملة وتشديد الميم بالركب اي حبسته بتاخرها عنه لشدة عياها وتعبها لضعفها وهزالها حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا
مكة نلتمس اي نطلب الرضعاء جمع رضيع وادم ماخوذ من الماء الدائم يقال ادم بالركب اذا ابطا حتى حبسهم وروي بالمعجمة اي جاء

بما يتم عليه وهو هنا الانطاق لانه كان من بهم العرب واخلاقهم اوادلهم ولدا يلتمسون له مرضعة في غير قبيلته ليكون انجب للولد
وافصح له وقيل لانهم كانوا يرون انه عار على المراة ان ترضع ولدها اشهر اي تشتغل برضاعه ويدل للاول ما جاء انه صلى الله عليه و
سلم كان يقول لاصحابه انا اعربكم اي افصحكم عربية انا قرشي واسترضعت من بني سعد وجاء ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لما قال له صلى الله
عليه وسلم ما رايت افصح منك يا رسول الله فقال له وما يمنعني وانا من قريش وارضعت في بني سعد فهذا كان يحملهم على دفع الرضعا
الى المراضع الاعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملك بن مروان انه كان يقول اضر بنا حب الوليد يعني ولده لانه لمحبته له لم يسترضع
له في المصر ولم يسترضعه في البادية مع الاعراب فصار لحانا والاعربية له واخوه سليمان استرضع في البادية مع الاعراب فصار عربيا
عن لحان قالت حليمة فما منا امراة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل لها يتيم وذلك انا كنا نرجو المعروف
من ابي الصبي فكنا نقول يتيم ما عسى ان يصنع امه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امراة معي الا اخذت رضيعا غيري فلما اجمعنا الانطلاق
اي عزمنا عليه قلت لصاحبي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ولم اخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلاخذنه قال لا
عليك اي لا باس عليك ان تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فاخذته اقول وهذا السياق قد يخالفه قول بعضهم ان عبد المطلب
خرج يلتمس له المراضع فالتمس له حليمة ابنة ابي ذؤيب الا ان يقال جاز ان يكون التماسه للمراضع غير حليمة كان عند فقد من هي ابي
ان يقبلن ثم طلب من حليمة ذلك بعد ان لم تجد رضيعا ويدل لذلك قول صاحب شفاء الصدور ان حليمة قالت استقبلني عبد المطلب
فقال من انت قلت انا امراة من بني سعد فقال ما اسمك قلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير
الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندي غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بني سعد فابين ان يقبلنه وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس
الكرامة من الاباء فهل لك ان ترضعيه فعسى الله ان تسعدي به فقلت له الا تذرني حتى اشاور صاحبي فانصرفت الى صاحبي
فاخبرته فكان الله قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال لها يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم
الصبي فاستهل وجهه فرحا فاخذني وادخلني بيت امنة فقالت لي اهلا وسهلا وادخلتني في البيت الذي فيه محمد صلى الله عليه و
سلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن وعليه حريرة خضراء راقد على قفاه يغط يفوح منه رائحة المسك فاشفقت
اي خفت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا وفتح عينيه اي فرج من
عينيه نورا حتى دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واخذته وما حملني على اخذه اي الا اخذه الا اني لم اجد غيره
والاخذ كونه من اوصافه مقتضي لاخذه اي وهذه الرواية ربما تدل على انها لم تره قبل ذلك وان ابانها له صلى الله عليه وسلم
كان قبل رؤيتها له قالت فلما اخذته رجعت به الى رحلي فلما وضعته في حجري اقبل ثدياي بما شاء الله من لبن فشرب حتى روي
اي من الثدي الايمن وعرضت عليه الايسر فاباه قالت حليمة وكانت تلك حالته صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يقبل الا ثديا
واحدا وهو الايمن وفي السبعيات ان احدى ثديي حليمة كان لا يدر اللبن منه فلما وضعته في فم رسول الله صلى الله عليه و
سلم در اللبن منه قالت وشرب معه اخوه حتى روي ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك اي لعدم نومه من الجوع فقام زوجي اي
شارفنا تلك فاذا هي لحافل اي ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة يقول
حتى اصبحنا تعلمي والله يا حليمة لقد اخذت نسمة مباركة قلت والله اني لارجو ذلك ثم خرجنا وركبت اتاني وحملته معي عليها
فوالله لقطعت بالركب اي سبقته خلفها ما يقدر عليها اي على مرافقتها ومصاحبتها شيء من حمرهم حتى ان صواحبي يقلن لي يا بنت
ابي ذؤيب ويحك اربعي اي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير اليس هذه اتانك التي كنت خرجت عليها اي تخفضك
طورا وترفعك اخرى فاقول لهن بلى والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشانا اي وقالت حليمة فكنت اسمع اتاني تنطق وتقول
والله ان لي لشانا ثم شانا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين

من على

من على ظهري خيار النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والاخرين وحبيب رب العالمين ذكر في الغطنة المفهوم وذكرت انها
لما ارادت فراق مكة رات تلك الاتان سجدت اي خفضت راسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم
ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا اي غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي لفظ فنحلب ما شئنا وما يجد
انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر اي المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت
ابي ذؤيب يعنوني فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى
مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا اي غليظا شديدا وعن حليمة
انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين كان يحبو الى كل جانب اي وهذا يضعف ما تقدم عن الامتاع ان امه ارضعته سبعة
اشهر قالت حليمة فلما بلغ ثمانية اشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه لما بلغ تسعة اشهر يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة
اشهر كان يرمي السهام مع الصبيان وعنها انها قالت انه لفي حجري ذات يوم اذ مرت به غنيمات فاقبلت واحدة منهن حتى
سجدت له وقبلت راسه صلى الله عليه وسلم ثم ذهبت الى صواحبها اقول وقد سجدت له الغنم وكذا الجمل بعد بعثته صلى الله
عليه وسلم والهجرة فعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا اي بستانا
للانصار ومعه ابو بكر وعمر ورجال من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه
يا رسول الله كنا احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغي في امتي ان يسجد احد لاحد ولو كان ينبغي لاحد ان يسجد
لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها زاد في رواية ولو ان رجلا امر زوجته ان تنقل من جبل الى جبل كان لها اي حقها ان تفعل
وجوبا وجمل بكسر الراء اي اشتد غضبه فصار لا يقدر احد يدخل عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه
افتحوا عنه فقالوا انا نخشى عليك يا رسول الله فقال افتحوا عنه فلما راه الجمل خر ساجدا اي اخذ بناصيته ثم دفعه لصاحبه و
قال استعملوه واحسنوا علفه فقال القوم يا رسول الله كنا احق ان نسجد لك من هذه البهيمة فقال كلا الحديث وفي هذا دلالة
على عظيم حق الزوج على زوجته وجاء مما يدل على ذلك ايضا ما روي ان اسماء بنت يزيد الانصارية اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الله بعثك الى الرجال والنساء فامنا بك واتبعناك ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات
قواعد بيوت وموضع شهوات الرجال وحاملات اولادهم وان الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد واذا خرجوا
للجهاد حفظنا لهم اموالهم وربينا لهم اولادهم افنشاركهم في الاجر يا رسول الله فالتفت صلى الله عليه وسلم بوجهه الى اصحابه وقال
هل سمعتم مقالة امراة احسن سؤالا عن دينها من هذه قالوا بلى يا رسول الله فقال انصرفي يا اسماء واعلمي من وراءك من النساء ان
حسن تبعل احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كلما ذكرت للرجال اي من حضور الجمعات وشهود
الجنائز والجهاد فانصرفت اسماء وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبعل ملاعبة
المراة لزوجها والله اعلم قالت حليمة وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه والى قصة رضاعه صلى الله
عليه وسلم يشير صاحب الهمزية بقوله وبدت في رضاعه معجزات ليس فيها من العيون خفاء اذ ابته ليتمه مرضعات تلق
ما في اليتيم عنها غناء فاتته من ال سعد فتاة قد ابتها لفقرها الرضعاء ارضعته لبانها فسقتها وبنيها البانهن الشاء اصبحت
شولا عجافا واضحت ما بها شائل ولا عجفاء اخصب العيش عندها بعد محل اذ غدا للنبي منها غذاء يا لها منة لقد ضوعف الاجر
عليها من جنسها والجزاء واذا سخر الاله اناسا لسعيد فانهم سعداء اي وظهرت في رضاعه ونحن رضاعه صلى الله عليه
وسلم امور خارقة للعادة لوضوحها لا تخفى عن العيون من ذلك ان المراضع ابت ان تاخذه لاجل يتمه ونفرت من
تركته اذ اتته فتاة من ال سعد قد ابتها اهل الرضعاء لفقرها فسقته لبنها فسقتها وبنيها الشاء البانها وكانت تلك

الشاة لا لبن بها من بلاث فصارت ذات البان وسمن ومن ذلك ان العشب كثر عندها بعد شدة المحل لاجل حصول غذا النبي
صلى الله عليه وسلم بالها اي لتلك الفعلة الصادرة من حليمة وهي سقيها له لبنها نعمة منها عليه لقد كثر الثواب والجزاء على تلك
النعمة من جنس تلك النعمة لان الجزاء من جنس العمل فلما سقت اللبن سقيته ولا بدع فان الله تعالى اذا جزى انسانا المحبة سعيد
والقيام بخدمته فانه سبب ذلك سعدا اقول لم اقف على رواية فيها ان حليمة ابنها اهل الرضيعا الفقرها وكان الناظم اخذ
ذلك من قولها فما بقيت امراة قدمت معي الا اخذت رضيعا غيري وما حملني على اخذه الا اني لم اجد غيره ولا دلالة في ذلك
واستفتي الحافظ ابن حجر عن بعض الوعاظ يذكر عند اجتماع الناس للمولد ما جريات اي وقايع متعلق به صلى الله عليه وسلم
جاءت به الاخبار هي نطقة بالتعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن فينبغي صلى الله عليه وسلم في حيز من يرحم لا في حيز من
يعظم من ذلك انهم يقولون ان المراضع حضرن ولم ياخذنه لعدم ماله ونحو ذلك فما قولكم في ذلك فاجاب بما نصه ينبغي لمن
يكون فطنا ان يحذف من الخبر اي الحديث ما يوهم في المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل يجب اي كما وقع لامامنا الشافعي رضي الله
تعالى عنه حيث قال في بعض منصوصه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة لها شرف فكلم فيه فقال لو سرقت فلانة
لامراة شريفة لقطعتها يعني فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصرح باسمها تادبا معها ان يذكرها في هذا المعرض وان كان
صلى الله عليه وسلم ذكرها لان ذلك منه صلى الله عليه وسلم حسن دال على ان الحق عنده في الشرع سواء هذا من كمال ادب
الامام رضي الله تعالى عنه وارضاه ونفعنا ببركاته فاذا جاز حذف بعض الحديث الموهم نقصا في بعض اهل بيته فما بالك بما
يوهم النقص فيه صلى الله عليه وسلم وهذا من الحافظ يدل على ان ابا المراضع لم وارد حيث اقره ولم ينكره والله اعلم قال و
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان اول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطمته حليمة الله اكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا اي وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم تكلم بعد خروجه من بطن امه وفي رواية اول كلام
تكلم به في بعض الليالي اي وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تاخذه سنة ولا نوم و
كان صلى الله عليه وسلم لا يمس شيئا الا قال بسم الله وعن حليمة دخلت به الى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد الا شممنا منه
ريح المسك والقيت محبته اي واعتقاد بركته في قلوب الناس حتى ان احدهم كان اذا نزل به اذى في جسده احتكف صلى الله عليه
وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرا باذن الله سريعا وكذا اذا اعتل لهم بعير او شاة انتهى قالت حليمة فقدمنا مكة على امه اي
بعد ان بلغ سنتين ونحن احرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلت لها لو تركتيه عندي حتى يغلظ وفي كلام
ابن الاثير فلما هادعنا انرجع به هذه السنة الاخرى فاني اخشى عليه وبا مكة اي مرضها وحمها فلم نزل بها حتى ردته معنا وقيل
ان امه امنة قالت لحليمة ارجعي بابني فاني اخاف عليه وبا مكة فوالله ليكونن له شان اي ولا مخالفة بينهما لجواز ان حليمة لما
قالت لها ما تقدم قالت لحليمة ارجعي ابني على العقود فاني اخاف عليه وبا مكة اي كما تخافين عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به
فوالله انه بعد مقدمنا به باشهر عبارة ابن الاثير بعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه يعني من الرضاعة لفي بهم لنا
ولعل هذا الاخبار منه قول المحب الطبري فلما شب وبلغ سنتين اي لانه لعله ذكر الكبر فبينا هو واخوه في بهم لنا خلف بيوتنا
والبهم اولاد الضان اذا اتى اخوه يشتد اي يعدو اقبالا ولابيه ذلك اخي القرشي قد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه
فشقا بطنه فهما يسوطانه اي يخلطان يديهما في بطنه قالت فخرجنا انا وابوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه وفي لفظ لونه اي متغيرا
صار لونه كلون النقع الذي هو الغبار وهو صفة الوان الموتى وذلك لما قام من الفزع اي من رؤية الملائكة لا من مشقة
نشات عن ذلك الشق لما ياتي في بعض الروايات فلم اجد لذلك حسا ولا الما ومن ثم قال ابن الجوزي فشققه وما شق عليه و
الملائكة شامل لهذه المرة التي هي الاولى وقد قال بعضهم انه لم ينتقع لونه صلى الله عليه وسلم الا وهو مقيم في بني سعد

قالت

قالت فالتزمته والتزمه ابوه فقلنا مالك يا بني قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض اي وهما جبرئيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام
اي وهما المراد بقوله في رواية فاقبل الي طيران ابيضان كانهما نسران فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاقبلا يبتدراني
فاخذاني فاضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا اي طلباه فوجداه واخذاه وطرحاه ولا ادري ما هو اي وسياتي ان هذا الذي
قال فيه وما ادري ما هو انه علقة سوداء استخرجاها من قلبه بعد شقه بعد شق بطنه ففي هذه الرواية طي ذكر القلب وشقه
وسياتي ذكر ذلك في بعض الروايات وفي رواية غريبة نزل عليه كركيان فشق احدهما بمنقاره جوفه ومج الاخر في منقاره
ثلجا او بردا او نحوه فيقال ان الطيرين تارة شبها بالنسرين وتارة شبها بالكركيين وفي كونه يعني جبرئيل عليه السلام وميكائيل
على صورة النسر لطيفة لان النسر سيد الطيور فقد جاء في الحديث هبط علي جبريل يا محمد ان لكل شيء سيدا فسيد
البشر ادم وسيد ولد ادم انت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الشجر السدر و
سيد الطير النسر وفي بحر العلوم وسيد الملائكة اسرافيل وسيد الشهداء هابيل وسيد الجبال الجبل موسى وسيد الانعام الثور
وسيد الوحوش الابل وسيد السباع الاسد زاد بعضهم وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام
العربية وسيد العربية القران وسيد القران سورة البقرة قالت حليمة فرجعنا به الى خبائنا اي محل الاقامة وقال لي ابوه يا
حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب فالحقيه باهله قبل ان يظهر ذلك به وفي رواية قال الناس يا حليمة رديه على
جده واخرجي من امانتك وفي رواية وقال لحقي اي ان رديه على الله لنعلمه والله ان صابه ما اصابه الا حسد من ال فلان
لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة على امه قال الواقدي وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول رجع
الى امه وهو ابن خمس سنين اي وزاد في الاستيعاب ويومين من مولده صلى الله عليه وسلم وكان غيره اي غير ابن عباس يقول رجع
الى امه وهو ابن اربع سنين وذكر الاموي انه رجع وهو ابن ست سنين انتهى اقول سياق ما قبله يدل على ان قدوم حليمة به على امه كان
عقب الواقعة المذكورة وتقدم ان سنه حينئذ كان سنتين واشهر وسياتي ما فيه والله اعلم اقول وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان حليمة رضي الله عنها كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج ينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم
فقال لي يوما يا اماه ما لي لا ارى اخوتي بالنهار يعني اخوته من الرضاعة وهو اخوه عبد الله واختاه انيسه والشيما بفتح المعجمة
وسكون التحتية اولاد الحارث قلت فدتك نفسي انهم يرعون غنما لنا يروحون من ليل الى ليل قال ابعثيني معهم فكان صلى الله
عليه وسلم يخرج مسرورا ويعود مسرورا اي وهذا لا يخالف قولها السابق كان مع اخيه في بهم لنا خلف بيوتنا ولا قوله صلى الله
عليه وسلم الاتي فبينما انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا ولا قوله فبينا انا ذات يوم منتبذا من اهلي في بطن واد مع اتراب لي من
الصبيان كما لا يخفى قالت حليمة فلما كان يوما من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار اذا اتاني اخوه اي وفي رواية اذا ابني حمزة
يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا ابة ويا اماه الحقا اخي محمدا فما تلحقاه الا ميتا قلت وما قصته قال بينا نحن قيام
اذ اتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا ادري ما فعل به
اقول لعل حمزة هذا هو اخوه عبد الله المتقدم ذكره لقب بذلك لخفة جسمه ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
الاتي ان اترابه الذين كانوا معه انطلقوا هربا مسرعين الى الحي يؤذنونهم ويستصرخونهم لانه يجوز ان يكون حمزة سبقهم
والله اعلم قالت حليمة فاقبلت انا وابوه نسعى سعيا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك
فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت فدتك نفسي ما الذي دهاك قال خيرا كذا بالنصب يا اماه بينا انا الساعة قائم اذ اتاني
رهط ثلاثة بيد احدهم ابريق فضة وفي يد الاخر طست من زمردة خضراء والزمردة بالضم والذال المعجمة والزبرجد وهو
معرب فاخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فجعلوني على الجبل اجماعا للطبقات وبه ان هذا قد يخالف قوله صلى الله عليه وسلم

الآن فأخذوني حتى أتوا شفير الوادي فعمد أحدهم فأضجعني إلى الأرض ثم شق من صدري إلى عانتي وسيأتي الجمع بينهما وقوله ثم
شق من صدري إلى عانتي هو المراد ببطنه فيما تقدم وما بأني وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما الحديث وفي هذه الرواية
لم يذكر القلب وشقه أيضا أقول ولا منافاة بين قولها في تلك الرواية فوجدناه قائما وبين قولها في هذه الرواية فإذا نحن به
قاعدا على ذروة الجبل لجواز أن تكون أرادت بكونه قائما كونه حيا وبكونه قاعدا كونه ماكثا كما لا منافاة بين قولها في تلك الرواية
منتقعا وجهه وبين قولها في هذه الرواية يتبسم ويضحك لأن ذلك لا ينافي الفزع أو لجواز أن يكون تبسم وضحك تعجبا لما رأى
من الحالة التي عليها أمه من التعب والشدة والله أعلم قال وذكر ابن إسحاق أن حليمة لما قدمت به إلى مكة لترده على أمه أي بعد شق
صدره صلى الله عليه وسلم وقد بلغ أربع سنين أو خمس أو ست على ما تقدم أضلته في أعالي مكة فأتت جده عبد المطلب
فقالت إني قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأعالي مكة فوالله ما أدري أين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله
أن يرده عليه وفي رواية أن الزمان أنه أنشده عبد المطلب حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليرد إبلا له ضلت وقد يقال لا مانع من تكرر ذلك
منه فسمع هاتفا من السماء يقول أيها الناس لا تضجوا إن لمحمد ربا لن يخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال إنه بوادي
تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل وسيأتي بعض ترجمة ورقة فوجداه تحت شجرة يجذب أغصانها فقال له جده من أنت
يا غلام قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال وأنا جدك فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع إلى مكة وهو قدامه
على قربوس فرسه ونحر الشياه والبقر وأطعم أهل مكة انتهى أقول وقول جده صلى الله عليه وسلم من أنت يا غلام
لعله لكونه وجده على حالة لا يوجد أن يكون في سنه عادة كما تقدم من حليمة من قولها كان يشب شبابا لا يشبه الغلمان
وفي السيرة الهشامية أن الذي وجده هو ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب ويقال إن عمر بن نفيل رآه وهو
فقال له من أنت يا غلام قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هشام فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى أتى به عبد المطلب وفي كلام بعض
المفسرين في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى روي أنه صلى الله عليه وسلم قال ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي وصار
ينشد وهو متعلق بأستار الكعبة يا رب رد ولدي محمدا اردده إلي واصطنع عندي يدا فجاء أبو جهل بين يديه على ناقة وقال
لجده لا تدري ما وقع من ابنك فسأله فقال أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت أن تقوم فأركبته أمامي فقامت ويحتاج الجمع
على تعدد ما ذكر وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك ويدل لذلك أن بعض المفسرين قال في تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا
فهدى قيل ضل عن مرضعته حليمة وقيل ضل عن جده عبد المطلب وهو صغير قالت حليمة فقالت أمه ما أقدمك به يا ظئر أي
يا مرضعة ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ الله وقضيت الذي علي وخوفت عليه الأحداث فأديته إليك
كما تحبين قالت ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى أخبرتها قالت أفتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله
ما للشيطان عليه سبيل وإن لابني شأنا أفلا أخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء له قصور
بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل كان أخف علي ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لواضع
يده بالأرض رافع رأسه إلى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة قال وعن حليمة أنه مر عليها جماعة من اليهود فقالت ألا تحدثوني
عن ابني هذا حملته كذا ووضعته كذا ورأيت كذا كما وصفت لها أمه أي فإنها ذكرت لها ذلك مرتين عند دفعه لها وعند
أخذه منها انتهى أقول ولا ينافي ذلك قول آمنة لحليمة ولا أخبرك خبره وقول حليمة لها بلى لجواز أن تكون نسيت أو لم تكن
متذكرة أنها أخبرتها بذلك قبل ذلك وأن حليمة كذلك أو جوزت حليمة أنها تخبرها بزيادة عما أخبرتها به أولا بناء على
اتحاد ما أخبرتها به أولا وثانيا والله أعلم قال ولعلها أخبرت أولئك اليهود بذلك قال بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أيتيم هو
فقالت لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا لو كان يتيما قتلناه انتهى أقول وهذا يدل على أن ما ذكرته آمنة لحليمة من أنها حين حملت به

خرج منها نور إلى آخر ما تقدم وأن يكون لا أبا له مذكور في بعض الكتب القديمة أنه من علامة نبوة النبي المنتظر والله أعلم قال وعنها أنها
نزلت به سوق عكاظ أي وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة أهل المعروف كانت العرب إذا حجت أقامت بهذا السوق شهر شوال
وكانوا يتفاخرون به وللمفاخرة فيه سمي عكاظا يقال عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه في المفاخرة وفي كلام بعضهم كان سوق عكاظ
لثقيف وقيس عيلان فرآه كاهن من الكهان فقال يا أهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام فإن له ملكا فزاغت أي مالت به وحادت
عن الطريق فأنجاه الله تعالى أي وفي الوفاء لما أتت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عراف
من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر إليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع إليه الناس من أهل الموسم فقال اقتلوا
هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون أي صبي فيقول هذا الصبي فلا يرون شيئا فيقال له ما هو فيقول رأيت غلاما و
الآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضي الله عنها أنها لما رجعت به مرت
بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق قبله سوق يقال له سوق مجنة كانت العرب تنتقل إليه بعد
انقضائهم من سوق ذي المجاز فيقيمون به إلى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف أي منجم يؤتى إليه بالصبيان ينظر إليهم فلما نظر
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نظر إلى خاتم النبوة وإلى الحمرة في عينيه صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلن
أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم إن هذا ينتظر أمرا من السماء وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم
فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى مات انتهى أي وفي السيرة الهشامية أن نفرا نصارى من الحبشة رأوه مع أمه السعدية حين
رجعت به إلى أمه بعد فطامه فنظروا إليه وقلبوه أي رأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة بين عينيه وقالوا لها هل يشتكي عينيه
قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به إلى ملكنا وبلدنا فإن هذا غلام كائن له
شأن نحن نعرف أمره فلم تكد تنفلت به منهم وأتت به إلى أمه وعنه صلى الله عليه وسلم واسترضعت في بني سعد فبينا أنا مع
أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا فاستخرجا قلبي
فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها أي وقيل هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله أي وفي رواية فاستخرجا منه علقتين
سوداوين أي ولا مخالفة لجواز أن تكون تلك العلقة انفلقت بصفين وفي رواية فاستخرجا منه مغمز الشيطان أي وهو المعبر
عنه في الرواية قبلها بحظ الشيطان ولا ينافي ذلك قوله في الرواية السابقة ولا أدري ما هو لجواز أن يكون إخباره صلى الله
عليه وسلم بهذا بعد أن علم والمراد بمغمز الشيطان محل غمزه أي محل ما يلقيه من الأمور التي لا تنبغي لأن تلك العلقة خلقها الله
تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه فلم يبق فيه مكان لأن يلقي الشيطان فيه شيئا فلم يكن
للشيطان فيه حظ وليست هي محل غمزه عند ولادته صلى الله عليه وسلم كما يوهمه كلام غير واحد وفيه أن هذا يقتضي أن يكون قبل
إزالة ذلك كان للشيطان عليه سبيل وأجاب السبكي بأنه لا يلزم من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الإلقاء بالفعل
فليتأمل وسئل السبكي لم خلق الله هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان من الممكن أن لا يخلقه الله تعالى فيها فأجاب بأنه
من جملة الأجزاء الإنسانية فخلقت تكملة للخلق الإنساني ثم نزعت تكرمة له صلى الله عليه وسلم أي وليظهر للخلق بذلك التكرمة
ليتحققوا كمال باطنه كما تحققوا كمال ظاهره أي لأنه لو خلق صلى الله عليه وسلم خاليا عنها لم تظهر تلك التكرمة وفيه أنه
يرد على ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم من غير قلفة وأجيب بالفرق بينهما بأن القلفة لما كانت تزال ولا بد كان
أحد ما يلزم على إزالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الإنسانية عنها عين الكمال هذا وقد تقدم ذلك وذكر السهيلي
ما يفيد أن هذه العلقة هي محل غمز الشيطان عند الولادة حيث قال إن عيسى عليه الصلاة والسلام لما لم يخلق من مني
الرجل وإنما خلق من نفخة روح القدس أعيذ من مغمز الشيطان قال ولا يدل هذا على فضل عيسى على محمد صلى الله عليه وسلم

لان محمدا قد نزع منه ذلك المغمز هذا الكلام وقد علمت انه انما هو محل ما يلقيه الشيطان من الامور التي لا تنبغي وان ذلك مخلوق في
كل احد من الانبياء عيسى وغيره وجزمهم ولم ينزع الا من نبينا صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ثم غسلا قلبي بذلك
الثلج اي الذي في ذلك الطست حتى انقياه اي وملاه حكمة وايمانا كما في بعض الروايات اي وفي رواية ثم قال احدهما لصاحبه ائتني
بالسكينة فذرها في قلبي وهذه السكينة يحتمل ان تكون هي الحكمة والايمان ويحتمل ان تكون غيرهما وهذه الرواية فيها ان
الطست كان من ذهب وكذا في الرواية الاتية وفي الرواية قبل هذه كان من زمردة خضراء ويحتاج الى الجمع وسنذكره
وفي هذه الرواية وكذا في الرواية الاتية ان الثلج كان في الطست وفي الرواية قبل هذه كان بيد احدهما ابريق فضة ويحتاج الى
الجمع لان الواقعة لم تتعدد وهو عند حليمة وفي غسله بالثلج اشعار بثلج اليقين وبروده على الفؤاد وذكره السهيلي وذكره في حكمة
كون الطست من ذهب كلاما طويلا قال صلى الله عليه وسلم وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وفي الروايات السابقة ذكر الخاتم
وتتمة الجواب الذي اجاب به صلى الله عليه وسلم اخا بني عامر الذي وعدنا بذكرها معناه هي قوله صلى الله عليه وسلم وكنت
مسترضعا في بني سعد فبينا انا ذات يوم منتبذا اي منفردا من اهلي في بطن واد مع اتراب لي اي المقاربين بالموحدة او النون
لي في السن من الصبيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن ثلجا فاخذوني من بين اصحابي فخرج اصحابي هرابا حتى انتهوا
على شفير الوادي ثم اقبلوا على الرهط فقالوا ما اربكم اي حاجتكم الى هذا الغلام فانه ليس منا هذا ابن سيد قريش وهو مسترضع
فينا يتيم ليس له اب فماذا يرد عليكم ان يقتله قتله وماذا تصيبون من ذلك فان كنتم لا بد قاتلوه اي كان لا بد لكم من قتل
واحد فاختاروا منا من شئتم فليأتكم مكانه فاقتلوه واتركوا ذلك الغلام فانه يتيم فلما راى الصبيان ان القوم لا يجيبون
جوابا انطلقوا هرابا مسرعين الى الحي يؤذنونهم اي يعلمونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد احدهم فاضجعني الى الارض اضجاعا لطيفا
ثم شق بطني ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي وانا انظر اليه لم اجد لذلك مسا اي ادنى مشقة واستخرج احشاء بطني ثم غسلها
بذلك الثلج فانعم غسلها اي بالغ في غسلها ثم اعادها مكانها اي وقد طوى ذكر استخراج الاحشاء وغسلها في الروايات السابقة
ولا يخفى ان من جملة الاحشاء ظاهر القلب ثم قال الثاني منهم لصاحبه تنح عنه فنحاه عني ثم ادخل يده في جوفي فاخرج قلبي وانا
انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء تقدم التعبير عنها بالعلقة السوداء ثم رمى بها ثم قال بيده يمنة منه كانه يتناول شيئا
واذا الخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبي اي بعد التيام شقه فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة فقد تقدم
وقد ملاه حكمة وايمانا وان السكينة ذرت فيه ثم اعاده مكانه فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرا وفي رواية فانا الساعة اجد
برد الخاتم في عروقي ومفاصلي اقول نقل شيخ بعض مشايخنا الشيخ نجم الدين الغيطي عن مغازي ابن عائذ في حديثه صلى الله عليه
وسلم لاخي بني عامر وانزل اي الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه فليتأمل مع قوله فصدعه يدل ظاهره
على ان صدعه كان بيد الملك فلم يشقه بالة وحينئذ يكون المراد بالشق الصدع بلا الة وقد طوى في هذه الرواية ذكر
ملء قلبه حكمة وايمانا وانه ذر فيه السكينة وذكر في هذه الرواية ان الختم كان لقلبه صلى الله عليه وسلم وفي الرواية قبلها
انه كان بين كتفيه وفي رواية ابن عائذ وبين ثدييه ويحتاج الى الجمع والظاهر ان متعاطي الجمع جبريل عليه السلام ويدل له قول صاحب
هذه الهمزية في هذه القصة ختمته يمنى الامين وسياق التعبير يجب بذلك لكن في غير هذه القصة والله اعلم قال صلى الله عليه
وسلم ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه فنحاه عني فامر يده ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتام ذلك الشق باذن الله تعالى وختم
عليه وفي رواية قال احدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه اقول وقد يقال معنى خطه الحمه فخاطه اي الحمه اي امر يده فالتحم
اي فلا يخالف ما سبق ولا ينافي ما في الحديث الصحيح انهم كانوا يرون اثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم لجواز ان يكون
المراد يرون اثرا كاثر المخيط وهو اثر مرور يد جبريل عليه السلام وهذا طوي ذكره في الروايات السابقة وقوله ختم عليه

يقتضي ان الختم كان في صدره وهو الموافق لما تقدم عن ابن عباس من انه بين ثدييه لكنه زاد وبين كتفيه وتقدم ان الختم
كان بقلبه وقد يقال في الجمع لا مانع من تعدد الختم في المحال المذكورة اي في قلبه وصدره وبين كتفيه فختم القلب لحفظ ما فيه وختم
الصدر وبين الكتفين مبالغة في حفظ ذلك لان الصدر وعاء القريب وجسده وعاء البعيد وخص بين الكتفين لانه اقرب
الى القلب من بقية الجسد ولعله اولى من جواب القاضي عياض بان الذي بين كتفيه هو اثر ذلك الختم الذي كان في صدره اذ هو
خلاف الظاهر من قوله وجعل الخاتم بين كتفي ومن السكوت عن ختم قلبه ولا يحسن ان يراد بالصدر القلب من باب تسمية الحال باسم
محله لانه يصير ساكتا عن ختم الصدر ولعله اولى من جواب الحافظ ابن حجر ايضا بانه يجوز ان يكون الختم لقلبه ظهر من وراء ظهره عند
كتفه الايسر لان القلب في تلك الجانب لما علمت وفيه ان الذي عند الايسر خاتم النبوة اي الذي هو علامة على النبوة
الذي ولد صلى الله عليه وسلم به على ما هو الصحيح وفي الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بجعل خاتم النبوة بظهره بازاء
قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وسائر الانبياء كان الخاتم في يمينهم اي فقد اخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه
قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة
كانت بين كتفيه هذا الكلام ولم اقف على بيان تلك الشامات التي كانت للانبياء ما هي وكتب الشهاب القسطلاني على هامش
الخصائص قوله وجعل خاتم النبوة بظهره الى اخره مشكل اذ مفهومه ان موضع الدخول لقلوب الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم لم يختم
ولا يخفى ما فيه من الخطورة فالشغل لها من عبادة واخطاها من اشارة هذا الكلام ولك ان تقول المراد بغيره في قوله حيث يدخل
الشيطان لغيره من غير الانبياء لما علم وتقرر في النفوس من عصمة الانبياء من الشيطان واختص نبينا صلوات الله وسلامه عليه
وعليهم بالختم في المحل المذكور مبالغة في حفظه من الشيطان وقطع اطماعه فليتأمل لا يقال من جواب القاضي والحافظ ابن حجر
يجوز ان يكون مبنيا على ان خاتم النبوة هو اثر هذا الخاتم وهو موافق لما تمسك به القائل بان خاتم النبوة لم يولد به وانما حدث
بعد الولادة فقد وجد عقبها فعند ابي نعيم في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الماء
الذي انبعه ثلاث غمسات ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة وبذلك يعلم ان
خاتم النبوة ليس اثرا لهذا الخاتم وكلام السهيلي يقتضي ايضا انه هو حيث قال ان هذا الحديث الذي في شق صدره صلى الله
عليه وسلم في الرضاعة فيه فائدة من تبيين العلم وذلك ان خاتم النبوة لم يدر انه خلق به او وضع فيه بعدما ولد او حين
نبئ فبين في هذا الحديث متى وضع وكيف وضع ومن وضعه زادنا الله علما ولو رغنا يشكل هذا الكلام ثم رايت عن الحافظ ابن
حجر ما يوافقه حيث قال ومقتضى الاحاديث التي فيها شق الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان
اول وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به او حين وضع هذا الكلام ولا يخفى ان ما قلناه من هذا الخاتم غير
خاتم النبوة اولى لان به يجتمع القولان ويندفع المخالفة والجمع اولى من التضعيف لما صح من انه صلى الله عليه وسلم ولد به
وعلى انه هو يلزم ان يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد بين كتفيه وفي صدره وفي قلبه لا يقال قد اشير الى الجواب عن ذلك
بان الموجود بين كتفيه هو اثر ما في صدره وقلبه لانا نقول يبطله ما تقدم عن الدلائل لابي نعيم وما تقدم من بعض الروايات
ان الملك في يده خاتم فوضعه بين كتفيه وثدييه وايضا يلزم عليه ان يكون خاتم النبوة تكرر الاثبات مرتين في قصة المبعث وثالثا
في قصة الاسراء ففي قصة المبعث فاكفاني كما يكفى الاناء ثم ختم في ظهري وفي قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وكل منهما
يبطل كون ما في ظهره او بين كتفيه اثرا لذلك الختم الذي وجد في صدره او قلبه الا ان يقال ما في قصة المبعث وقصة المعراج غير خاتم
النبوة وان خاتم النبوة انما هو الاثر الحاصل من ختم صدره وقلبه في قصة الرضاع وانه يلزم تكرر الختم على ذلك الاثر
في المبعث وفي قصة الاسراء وفيه انه لا معنى لتكرير الختم في محل واحد ولا يقال الغرض منه المبالغة في الحفظ لان ذلك

انما يكون عند شق محل الختم لا عند اعادته ثانيا وثالثا في محل واحد وايضا هو خلاف ظاهر كلامهم فانه في محال الثلاثة
خاتم النبوة ويؤيده ان المتبادر من القول في قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة انه جعل خاتم النبوة بين كتفيه والا
فما معنى كون الخاتم بمعنى الطابع خاتم النبوة فان قلت على دعوى الخبرية تحتاج الى الجواب عن قوله بخاتم النبوة قلت يقال هذا
ليس برواية عن المشايخ وانما وقعت تلك العبارة من بعضهم ويجوز ان تكون الباء للالصاق بمعنى مع ان خاتم النبوة تامل
والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم قال الاول الذي شق بطني زنه
بعشرة من امته فوزنتهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنتهم فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنته بامته كلهم لرجحهم
ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك
اقول في بعض الروايات زنه بعشرة ثم قال زنه بمائة ففي هذه الرواية طي ذكر وزنه بعشرين وفي تلك الرواية طي وزنه بعشرة
والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم وبينا نحن كذلك اذا بالحي قد اقبلوا بحذافيرهم اي بجمعهم واذا ظئري وابن عمي امام الحي
تهتف اي تصيح باعلى صوتها وتقول وا ضعيفاه فانكبوا علي يعني الملائكة الذين هم اولئك الرهط الثلاثة وضموني الى صدورهم
وقبلوا راسي وما بين عيني وقالوا حبذا انت من وحيد وما انت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من اهل الارض ثم قالت
ظئري يا ابنياه استضعفت من بين اصحابك فقتلت لضعفك فانكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني فقالوا حبذا
انت من يتيم ما اكرمك على الله لو تعلم ما اريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا اي الحي الى شفير الوادي فلما ابصرتني امي وهي
ظئري قالت لا اراك الا حيا بعد فجاءت حتى اكبت علي ثم ضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي
في ايديهم يعني الملائكة وجعل القوم لا يعرفونهم اي لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد اصابه لمم اي طرف من الجنون
او طائف من الجن اي وهي اللمة فانطلقوا بنا الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت يا هذا ما بي مما تذكرون ان ارابي اي اعضائي
سليمة وفؤادي صحيح ليس بي قلبة اي علة يقلب بها الى من ينظر فيها فقال ابي وهو زوج ظئري الا ترون كلامه صحيحا اني لارجو ان لا
يكون بابني باس واتفقوا على ان يذهبوا بي اليه اي الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه فقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى اسمع من الغلام
فانه اعلم بامره منكم فسالني فقصصت عليه امري من اوله الى اخره فوثب الي وضمني الى صدره ثم نادى يا للعرب من شر قد اقترب
اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول ابائكم وليخالفن
امركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله وفي رواية ليسفهن احلامكم اي عقولكم وليكذبن اوثانكم وليدعونكم الى رب لا تعرفونه
ودينا تنكرونه فعمدت ظئري فانتزعتني من حجره فقالت لانت اعته واجن ولو علمت ان هذا قولك ما اتيتك به فاطلب لنفسك من
يقتلك فانا غير قاتلي هذا الغلام ثم احتملوني الى اهلهم واصبحت مفزعا مما فعلوا بي واصبح الملك يكرر بي اي من حين من بين الزراب والقارة(؟)
لا من خصوص الشق مما تقدم واصبح اثر الشق ما بين صدري الى منتهى عانتي اي اثر الالتئام الشق الناشئ عن امرار يد الملك كانه
الشراك انتهى اقول الشراك احد سيور النعل الذي هو المداس الذي يكون على وجهها ولعل حكمة بقائه ليدل على وجود الشق
وعلم انه حيث كانت قصة شق صدره الشريف في زمن الرضاع عند حليمة واحدة تكون هذه الروايات المراد منها
واحدا وان بعضها وقع فيه الاختصار عما وقعت به الاطالة في بعضها وان اخباره صلى الله عليه وسلم بان الملائكة كانوا ثلاثة
لا ينافي اخباره بانهم كانوا اثنين ونسبة الاخذ والاضطجاع والشق للبطن والصدر الى الثلاثة او الى الاثنين لا ينافي انه فعل
ذلك واحد منهم كما اخبر به اخوه وجاء التصريح به في بعض الروايات وانه ليس المراد بشق البطن او شق الصدر شق القلب
لما تقدم في الرواية استخرج احشاء بطني ثم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قال لصاحبه تنح عنه فنحاه عني ثم ادخل يده في
جوفي فاخرج قلبي فصدعه الحديث وانه يجوز ان يكون الطست كان متعددا واحدة من زمردة خضراء وواحدة من ذهب

وان الاول

وان الاول كان فارغا معدا لان يلقى فيه ما يغسل به باطنه اي مع احشائه ومنها اي من جملة الاحشاء ظاهر قلبه من الابريق
المعد وان الثاني كان مملوءا ثلجا معدا لان يغسل به قلبه اي داخل قلبه وحينئذ يكون في بعض الروايات اقتصر على القلب وفي
بعضها جمع بينه وبين الاحشاء في ذلك ويحتاج الى الجمع بين كون الشق في ذروة الجبل وكونه في شفير الوادي وكون المخرج
علقة وكونه مضغة وقد يقال جاز ان يكون ذروة الجبل قريبة من شفير الوادي وانه عبر عن الذي اخرجه والقاه تارة بالعلقة
وتارة بالمضغة ولعل تلك المضغة كانت قريبة من العلقة ولا يخفى ان هذه العلقة تحتمل انها غير حبة القلب التي اخذت
منها الحجة وهي علقة سوداء في حبة المسماة بسويداء القلب ويحتمل انها هي والله اعلم وقد اشار الى هذه القصة صاحب الهمزية
بقوله وانت جده وقد فصلته وبها من فصاله البرحاء اذ احاطت به ملائكة الله فظنت بانهم قرناء ورأى وجدها به ومن
الوجد لهيب تصلى به الاحشاء فارقته كرها وكان لديها ثاويا لا يمل منه الثواء شق عن قلبه واخرج منه مضغة عند غسله
سوداء ختمته يمنى الامين وقد اودع ما لم يذع له انباء صان اسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء اي واتت حليمة به جده والحال
انه محق بها من اجل فطامه ورده التالم الزائد ورده الرالاجل انه احدقت به ملائكة الله فظنتهم شياطين ورأي مشدة
محبتها له وتعلقها به وقد حصل لها من الوجد الذي هو لهيب تحترق به الاحشاء وهي ما هو زيد المضلوع فارقته بعد رده كارهة
لفراقه والحال انه كان مقيما عندها لا تمل ذلك منه وقد شق عن قلبه واخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سوداء وختمت
على ذلك القلب يمنى الامين جبريل عليه السلام بخاتم والحال ان ذلك القلب الشريف قد اودع من الاسرار الالهية ما لم ينشره
اخبار لان تلك الاسرار لا يعلمها الا الله تعالى حفظ ذلك الختام اسراره التي اودعت فيه فلا الكسر واقع بذلك الختم ولا الاشاعة
واقعة لتلك الاسرار اقول قد علمت ان صدره الشريف شق مرتين هذه المرة ومرة عند مجيء الوحي ومرة عند المعراج وزاد بعضهم
انه شق وهو ابن عشر سنين كما في مسلم ولما بلغ عمره عشرين سنة اي ولعلها هي المعنية بقول صاحب المواهب وروي خامسة
ولا تثبت وسيأتي تلك الخامسة عن الدر المنثور وسيأتي ما فيها والله اعلم قال وفي المرة التي كان ابن عشر سنين او اشهر قال
صلى الله عليه وسلم جاء رجلان فقال احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعني بلا قوة القفا ثم شقا بطني فكان احدهما يختلف
بالماء في الطست من ذهب والاخر يغسل جوفي ثم شق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج منه العلقة والمتبادر(؟)
ان الذي العلقة للعهد وهو العلقة المسودة التي تقدم انها حظ الشيطان وانها مغمزه هي محل الغل والحسد وفيه انه تقدم
ايضا ان تلك العلقة اخرجت والقيت قبل هذه المرة وتكون بدنها مستحيل الا ان تحمل العلقة على جزء بقي من اجزائها بناء على
جواز انها اخرجت اكثر من جزء من المعبر عنها فيما تقدم عن بعض الروايات علقتين سوداوين الا ان يقال المراد بقوله فاخرج منه
العلقة اي اخرج ما هو كالعلقة اي شيئا يشبه العلقة كما سيأتي التصريح بذلك في بعض الروايات ثم ادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج
ذرورا كان معه فذره عليه اي على شق القلب ليلتحم به ثم نقر ابهامي ثم قال اغد واسلم اقول لم يذكر في هذه المرة الختم وظاهر هذه(؟)
الرواية ان الصدر التحم بمجرد ذر الذرور وتقدم في قصة الرضاع ان ذلك كان بامرار يد الملك واستمر اثر الالتئام الشق يشبه
كالشراك وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الامام احمد عن ابي بن كعب عن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما رأيت من
امر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت يا ابا هريرة رضي الله تعالى عنه اني لفي صحراء ابن
عشرين سنة واشهر اذا بكلام فوق راسي واذا رجل يقول لرجل اهو هو فاستقبلاني بوجوه لم ارها لخلق قط وثياب لم ارها
على احد قط فاقبلا الي يمشيان حتى اخذ كل واحد منهما بعضدي لا اجد لاخذهما مسا فقال احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعاني
بلا قصر ولا هصر اي من غير اتعاب فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فهوى احدهما الى صدري ففلقه فيما ارى بلا دم ولا وجع فقال له اخرج
الغل والحسد فاخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها وطرحها فقال له ادخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذي اخرج

اي لبه خلف شبه الفضة ثم نقر ابهام رجلي اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت اغدو بها رافة على الصغير ورحمة على الكبير ولم يذكر
وهذه المرة الغسل فضلا عما يغسل به ولم يذكر الختم لكن قول الرجل للآخر اخطه هو يدل على ان الرجلين ليسا جبريل وميكائيل
لانهما ابعد زمانه وقد فعلا به ذلك في قصة الرضاع وقد يدعى ان هذه الرواية هي عين الرواية قبلها وذكر عشرين سنة
غلط من الراوي وانما هي عشر سنين ثم رايت ما يصرح بذلك وهو وكان سنه عشر حجج وقد تحمل هذه المرة اي كونه ابن عشرين
سنة على ان ذلك في المنام وان كان خلاف ظاهر السياق وقال صلى الله عليه وسلم في المرة التي هي عند ابتداء الوحي جاءني جبريل
وميكائيل فاخذني جبريل عليه السلام فالقاني لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله اي ان يستخرج ولم يبين
فلا ما هو ثم غسله في طشت من ماء زمزم ثم اعاده مكانه ثم لامه اي بذلك الذرور او بما مر او بهما جميعا ثم اكفاني كما
يكفأ الاناء ثم ختم في ظهري ويحتمل ان يكون المراد بظهره المحل الذي ختم في قصة الرضاع وفيه انه لا معنى لوضع الختم على الختم
كما تقدم ويمكن ان تكون الحكمة في الجمع بين جبريل وميكائيل ان ميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الاجساد والاشباح
وجبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب والارواح والمرة التي في المعراج سيأتي الكلام عليها ومنها ان الختم وقع
بين كتفيه ومنه ما علمت وقد علمت ان شق الصدر والبطن غير شق القلب وان شق القلب واخراج العلقة السوداء
التي هي حظ الشيطان ومغمزه لما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وما في بعض الآثار
ان التابوت اي تابوت بني اسرائيل كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء المراد ظاهر قلوبهم لان القلب من جملة
الاحشاء التي غسلت بغسل الصدر والبطن كما تقدم على ان ابن دحية ذكر انه اثر باطل وقد يطلق الصدر على القلب من باب تسمية
الحال باسم محله ومنه ما وقع في قصة المعراج ثم اتي بطشت ممتلئ حكمة وايمانا فافرغ في صدره تعنيه قول الجلال السيوطي
في الخصائص الصغرى وان شق صدره الشريف من خصائصه صلى الله عليه وسلم على الاصح من القولين اي بشق قلبه وسيأتي الكلام
على ذلك في الكلام على المعراج بما هو ابسط مما هنا وعن حليمة رضي الله تعالى انها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة
لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا اي عنها فغفلت عنه يوما في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع اخته اي من الرضاع وهي الشيماء
وكانت تحضنه مع امها اي ولذلك تدعى ام النبي صلى الله عليه وسلم ايضا وكانت ترقصه تقول لها هذا اخ لي لم تلده امي
وليس من نسل ابي وعمي فانمه اللهم فيما تنمي فقالت في هذا الحر اي لا ينبغي ان يكون في هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخي
حرا رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول حقا يا بنية فقالت اي والله
فجعلت تقول اعوذ بالله من شر ما يحذر على ابني اي وفي كلام بعضهم ورأت عيني حليمة الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا
سار سارت وقد يقال الرؤية في حق حليمة علمية وفي حق اخته بصرية فلا مخالفة او انها ابصرتها بعد الاخبار بها كما يدل
على ذلك القول بانها فزعها ذلك من امره صلى الله عليه وسلم اي وفي كونها فزعت من ذلك بعد اخبار اخته لها بذلك شيء فقد مر
عن الواقدي ان حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم الى مكة لترده لا تزال غمامة تظله في الطريق ان سار
سارت وان وقف وقفت وسياق هذه الرواية انها ردته الى امه عقب مجيئها به من مكة وان ذلك كان قبل شق صدره صلى الله
عليه وسلم عندها وحينئذ تكون هذه قدمة ثانية لحليمة الى مكة كانت قبل شق صدره تعني المتقدمة الاولى كان سنه
سنتين وفي هذه القدمة كان سنتين واشهرا او تكون هذه المرة الثانية يحمل قول حليمة فوالله انه بعد ما قدمنا باشهر
وقال ابن الاثير شهرين او ثلاثة واما في القدمة الثالثة وهي التي بعد شق صدره وشقها لها عندها انه كان سنه اربع سنين
ودونها اشد فيها على بابائي وقيل خمس سنين قاله ابن عباس وقيل ست سنين ويكون بعض الرواة اشتبه عليه الامر فظن
ان هذه القدمة الثانية التي قبل شق صدره هي الثالثة التي بعد شق صدره فلزم الاشكال فتامل ذلك فانه لا يجد

ولاتكن

ولا تكن من بعضهم تقليدا والله اعلم وقدمت عليه حليمة بعد تزوجه خديجة رضي الله تعالى عنها تشكو اليه ضيق العيش فكلم
لها خديجة فاعطتها عشرين راسا من غنم وبكرات جمع بكرة وهي الشابة من الابل اي وفي رواية اربعين شاة وبعيرا وقدمت عليه
يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه اي فقد قال بعضهم لم تره بعد ان ردته الا مرتين احدهما بعد تزوجه خديجة اي
وعليه تكون هذه المرة هي التي قدمت فيها مع زوجها وولدها واجلسهم على ثوبه الذي كان جالسا عليه كما تقدم والمرة الثانية
يوم حنين وفي كلام القاضي عياض ثم جاءت ابا بكر ففعل في الثاني بسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك وفي كلام ابن كثير ان حديث
مجيئها اليه صلى الله عليه وسلم اليه في حنين غريب وان كان محفوظا فقد عمرت دهرا طويلا لانه من وقت ارضعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى وقت الجعرانة اي بعد رجوعه من حنين ابعد من ستين سنة واقل ما كان عمرها حين ارضعته صلى الله عليه
وسلم ثلاثين سنة وكونها وفدت على ابي بكر وعمر تزيد المدة وعن ابي الطفيل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما
بالجعرانة اي بعد رجوعه من حنين كما تقدم والطائف وانا غلام شاب فاقبلت امراة على النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه
فلما دخلت عليه قال امي امي وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه وتقدم عن شرح الهمزية لابن حجر ان من سعادة حليمة توفيقها
للاسلام هي وزوجها وبنوها وفي الاصل ومن الناس من ينكر اسلامها واشار بذلك الى شيخه الحافظ الدمياطي فانه من جملة
المنكرين حيث قال اي في سيرته حليمة لا يعرف لها صحبة ولا اسلام وقد وهم غير واحد فذكروها في الصحابة وليس بشيء وكان الانسب
ان يقول فذكروا اسلامها وليس بشيء وهو اي قول الدمياطي موافق لقول الحافظ ابن كثير الظاهر ان حليمة لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال اسلامها
لا شك فيه عند جماهير العلماء ولا يعول على قول بعض المتاخرين انه لم يثبت فقد روى ابن حبان حديثا صحيحا دل على اسلامها
وانكر الحافظ الدمياطي وفودها عليه في حنين وقال الوافدة عليه في ذلك انما هي اخته من الرضاع وهي الشيماء اقول وعلى
صحة ما قاله الحافظ الدمياطي لا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم امي امي لانه كان يقال لاخته الشيماء ام النبي صلى الله عليه
وسلم لانها كانت تحضنه مع امها كما تقدم ولا قول بعض الصحابة انها التي ارضعته لانه يجوز ان لما قيل انه حملها على المرضعة
له صلى الله عليه وسلم لتنقص موت امه من الشيخ وعلى كون الوافدة عليه في حنين اخته انتصر في الهدى والله اعلم قال
قال الحافظ ابن حجر بعد ان اورد عدة آثار في مجيء امه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اليه في حنين وفي تعدد هذه الطرق
ما يقتضي ان لها اصلا اصيلا وفي اتفاق الطرق على انها امه رد على من زعم ان التي قدمت عليه اخته انتهى اقول لا رد في
ذلك لانه علم ان اخته المذكورة كان يقال لها ام النبي صلى الله عليه وسلم ووصف بعض الصحابة لها بانها امه من الرضاعة
تقدم انه يجوز ان يكون بحسب ما فهم ومما يبين انها اخته ما سيأتي انها لما اخذت في حنين من جملة بني هوازن قالت للمسلمين
انا اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله انا اختك قال وما علامة ذلك قالت
عضة عضضتنيها في ظهري وانا متوركتك تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه واجلسها
عليه ودمعت عيناه الى آخر ما يأتي وكلام المواهب يقتضي انهما قضيتان واحدة كانت فيها اخته والاخرى كانت فيها امه من الرضاعة
حيث قال وقد روي ان خيله صلى الله عليه وسلم اغارت على هوازن فاخذوها فيمن اخذ بها بنتي اخته من الرضاعة التي هي الشيماء فقالت
انا اخت صاحبكم الى ان قال فبسط لها رداءه واجلسها عليه فاسلمت ثم قال وجاءته يعني امه من الرضاعة التي هي حليمة
يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها فجلست عليه وهذا كما ترى يوهم ان الخيل التي اغارت على هوازن التي كانت فيها اخته
لم تكن في حنين وانه لم تكن يوم حنين في سبي هوازن مع ان القضية واحدة وان سبي هوازن كان يوم حنين فيلزم
ان يكون جاء اليه يوم حنين كل من امه واخته من الرضاعة الاولى غير سبي والثانية في السبي وانه فرش لكل رداءه
وهو تابع في ذلك لابن عبد البر حيث قال في الاستيعاب حليمة السعدية ام النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة جاءت اليه

يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال فهذه اخت النبي
صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فقال لها الشيماء اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فاخذوها
فيما اخذوا من السبي الحديث وكون عبد الله ابن جعفر روى عن حليمة قال الحافظ ابن حجر لا يتهيأ له السماع منها الا بعد
الهجرة بسبع سنين فاكثر لانه قدم من الحبشة مع ابيه الذي هو جعفر ابن ابي طالب في خيبر سنة سبع اي وبعد حياتها
وبقاؤها الى ذلك الزمن وفيه ان حنين بعد خيبر وابعد من ذلك دعوى مجيئها على ابي بكر وعمر وقد تقدم ما يشعر باستبعاد
ذلك عن ابن كثير والذي يتجه ان الوافدة عليه صلى الله عليه وسلم في حنين اخته لا امه كما يقول الحافظ الدمياطي
والله اعلم قال قال ابو الفرج ابن الجوزي ثم قدمت اي حليمة عليه بعد النبوة فاسلمت وبايعت اي فلا يقال اسلمنا ان حليمة هي التي
قدمت عليه اي بعد النبوة فما الدليل على اسلامها انتهى اقول كان من حق ان يقول بدل هذه العبارة التي ذكرها وانما قال يعني ابن الجوزي
فاسلمت اي بعد قوله قدمت عليه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة لانه لا يلزم من قدومها عليه بعد النبوة اسلامها وفي كون قول ابن
الجوزي فاسلمت دليلا لنا على اسلامها نظر بل هي دعوى تحتاج الى دليل الا ان يقال قول ابن الجوزي فاسلمت دليل لنا على اسلامها فهو
والله اعلم وذكر الذهبي ان التي وفدت عليه صلى الله عليه وسلم في الجعرانة يجوز ان تكون ثويبة رضي الله عنها وفيه نظر بان
ثويبة توفيت سنة سبع اي من الهجرة اي مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر على ما تقدم اقول وذكر في النور ان الحافظ مغلطاي له
مؤلف في اسلام حليمة التحفة الجسيمة وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم ترضعه مرضعة الا واسلمت لكن هذا البعض
قال ومرضعاته صلى الله عليه وسلم اربع حليمة السعدية وثويبة وام ايمن ايضا وهو يؤيد ما تقدم عن ابن منده من اسلام
ثويبة واما اسلام امه صلى الله عليه وسلم امنة فسنذكره وكون ام ايمن ارضعته تقدم ما فيه والله اعلم باب وفاة
امه صلى الله عليه وسلم وحضانة ام ايمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه اي اختصاصه بذلك ذكر ابن اسحق ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماتت امه لما بلغ ست سنين وقيل كان سنه اربع سنين وبه صدر في المواهب اي وهو يرد القول بان
حليمة لما ردته الى امه كان عمره خمس او ست سنين قال وقيل كان سنه سبع سنين وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثنتي
عشرة وشهرا وعشرة ايام انتهى ووفاتها كانت بالابواء وهو محل بين مكة والمدينة اي وهو الى المدينة اقرب وسمي
بذلك لان السيول تتبوأه اي تحل فيه ودفنت به فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابواء في عمرة الحديبية قال ان الله
اذن لمحمد في زيارة قبر امه فاتاه واصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه صلى الله عليه وسلم وقيل له في ذلك فقال ادركتني
رحمتها فبكيت وكان موتها وهي راجعة به صلى الله عليه وسلم من المدينة من زيارة اخواله اي اخوال جده عبد المطلب
لان ام عبد المطلب من بني عدي بن النجار كما تقدم به انه مكثت عندهم شهرا ومرضت في الطريق ومعها ام ايمن وبركة الحبشية
التي ورثها من ابيه عبد الله على ما تقدم فحضنته صلى الله عليه وسلم وجاءت به الى جده عبد المطلب اي بعد خمسة
ايام من موت امه فضمه اليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده هذا وفي كلام بعضهم وبقي النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موت امه بالابواء حتى انتهى الخبر الى مكة وجاءت ام ايمن مولاة ابيه عبد الله فاحتملته وذلك لخامسة من موت امه
فليتامل وكون موت امه كان في حياة عبد المطلب هو المشهور الذي لا يكاد يعرف غيره وفيه يرد قول من قال ان
موت عبد المطلب كان قبل موت امه بسنتين اي وكان صلى الله عليه وسلم يقول لام ايمن انت امي بعد امي ويقول
ام ايمن امي بعد امي وفي القاموس دار النابغة بالغين المعجمة بمكة بها مدفن امه صلى الله عليه وسلم ولم اقف على محل
تلك الدار من مكة قال وقيل توفيت اي ودفنت بالحجون شعب ابي دب وغلط قائله وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها قال حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت

لبكائه

لبكائه ثم انه طفق اي شرع يقول يا حميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقلت
بابي انت وامي يا رسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم عدت الي وانت فرح متبسم فمن
ذلك قال ذهبت لقبر امي فسالت ربي ان يحييها فاحياها فامنت وردها الله تعالى وهذا الحديث قد حكم بضعفه جماعة منهم
الحافظ ابو الفضل ابن ناصر الدين والجوزقاني وابن الجوزي والذهبي في الميزان واقره على ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان
وجعله ابن شاهين ومن تابعه ناسخا لاحاديث النهي عن الاستغفار اي لها منها ما جاء انه صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اي
ولعله في عمرة القضاء لانه لم يقدم مكة بعد الهجرة مع اصحابه قبل حجة الوداع الا فيها اتى رسم قبر امه فجلس اليه فناجاه طويلا ثم
بكى قال ابن مسعود فبكينا لبكائه ثم قام ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر امنة الحديث
وفي رواية اتى قبر امه فجلس اليه فجعل يناجيه ثم قام متعبرا فقال بعض الصحابة يا رسول الله قد رابنا ما صنعت قال اني استاذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وفي رواية ان جبريل عليه السلام ضرب في صدره
صلى الله عليه وسلم وقال لا تستغفر لمن مات مشركا فما رايت باكيا اكثر منه يومئذ وفي رواية استاذنته في الدعاء لها اي بالاستغفار
فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد قال
القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان به اي الناجي اجماعا وكونه ناسخا لذلك غير جيد
لان احاديث النهي عن الاستغفار بعض طرقها صحيح رواه مسلم وابن حبان في صحيحهما ونص مسلم استاذنت ربي ان استغفر
لامي فلم ياذن لي واستاذنت في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الاخرة وفي لفظ تذكركم الموت وهذا الحديث
اي حديث عائشة على تسليم ضعفه الى الحسن وصحته لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة اقول وذكر الواحدي في اسباب
النزول ان ابي ما كان للنبي والذين امنوا وما كان استغفار ابراهيم لابيه نزلتا لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه ابي
طالب بعد موته فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قرابتنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر
لعمه وقد استغفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام لابيه اي فنزولها كان عقب موت ابي طالب لا يقال لا مانع ان يكون اية
ما كان للنبي تكرر نزولها لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه ولما استغفر صلى الله عليه وسلم لامه لانا نقول كونه
يعود للاستغفار بعد ان نهي عنه ما فيه او المراد بالنسخ المعارضة يعني قول ابن شاهين انه ناسخ لاحاديث النهي عن
الاستغفار لها كان قبل ان تؤمن واذا ثبت ما تقدم عن عائشة وما معها وما بعده كان دليلا لمن يقول قبر امه صلى الله عليه وسلم
بمكة وعلى كونها دفنت بالابواء اقتصر الحافظ الدمياطي في سيرته وكذا ابن هشام في سيرته وفي الوفا عن ابن سعد ان تكون قبرها بمكة غلط وانما
قبرها بالابواء وقد يقال على تقدير صحة الحديثين اي انها دفنت بالابواء وانها دفنت بمكة يجوز انها تكون دفنت بالابواء ثم نقلت
من ذلك المحل الى مكة فعلم ان بكاءه صلى الله عليه وسلم قبل ان يحييها الله تعالى وتؤمن به قال الحافظ السيوطي ان هذا
الحديث اي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قيل انه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه ويجوز ان يكون قوله
صلى الله عليه وسلم لبعض [illegible] امي وامكما في النار على تقدير صحته التي ادعاها الحاكم في المستدرك كان قبل احيائها وايمانها به كما
تقدم نظير ذلك في ابيه وقولنا على تقدير صحته اشارة لما تقرر في علوم الحديث انه لا يقبل تفرد الحاكم بالتصحيح في
المستدرك لما عرف من تساهله فيه في التصحيح وقد بين الذهبي ضعف هذا الحديث وعلق على عدم صحته عينا وتقدم الجواب
عما يقال كيف ينفع الايمان بعد الموت وتقدم ما فيه على ان هذا اي منع الاستغفار لها انما ياتي على القول بان من بدل او غير او
عبد الاصنام من اهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبني على وجوب الايمان والتوحيد بالعقل والذي عليه اكثر اهل السنة
والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال الرسل ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل وان اسمعيل

انتهت رسالته بحروفه كيفية الرسل لان ثبوت الرسالة بعد الموت من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم فعليه اهل الفترة
من العرب لا تعذيب عليهم وان غير او بدل او عبد الاصنام مؤولة او خوجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام ثم رايت بعضهم
رجح ان التكليف بوجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده اى بعدم عبادة الاصنام يكفى فيه وجود رسول الله دعى الى
ذلك وان لم يكن ذلك الرسول مرسلا الى ذلك الشخص بان لم يدرك زمنه حيث بلغته انه دعى الى ذلك او امكنه علم
ذلك وان التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه من ان يكون ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته
وعلى هذا فمن لم يدرك زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ولا زمن من قبله من الرسل معذب على الاشراك بالله تعالى
بعبادته الاصنام لانه على فرض انه لا يبلغه دعوى احد من الرسل السابقين الى الايمان بالله وتوحيده لكنه كان متمكنا
من علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسول لا قبله وحينئذ لا يشكل ما اخرجه الطبرانى فى الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بعث الله نبيا الى قوم ثم قبضه الا جعل بعده
فترة يملا من تلك الفترة جهنم ولعل المراد المبالغة فى الكثرة والا فقد اخرج الشيخان عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة جل جلاله فيها قدمه فيزوى بعضها الى بعض فتقول قط قط
اى حسبى بعزتك وكرمك واما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهم فاهل الفترة وان كانوا معترفين بالله الا انهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد حكى الله تعالى عنهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد جاء النهى عن ذلك على السنة الرسل السابقين صلوات الله وسلامه عليهم ووجه
التفرقة بين الايمان والتوحيد وغير ذلك ان الشرايع بالنسبة للايمان بالله وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق
جميع الشرايع عليه بل هو المراد من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فقد قال بعضهم المراد من الاية اشتراك
الشرايع كلها فى اصل التوحيد اى ومن ثم قال لذ تمام الاية ولا تتفرقوا فيه وقال لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره ومن ثم قاتل بعض الانبياء غير قومه على الشرك بعبادة الاصنام ولو لم يكن الايمان والتوحيد لازما لهم
لم يقاتلهم بخلاف غيره من الفروع فان الشرايع فيها مختلفة قال بعضهم سبب اختلاف الشرايع اختلاف الامم فى الاستعداد
والقابلية والدليل على ان الانبياء متفقون على الايمان والتوحيد ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الانبياء اولاد
علات اى اصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلف فروع شرايعهم لان العلات الضراير فاولادهم اخوة من الاب وامهاتهم
مختلفة وقد جاء هذا التفسير فى نفس الحديث ففى بعض الروايات الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وبه يعلم
ما فى كلام العلامة ابن حجر الهيتمى حيث ذكر ان الحق الواضح الذى لا غبار عليه ان اهل الفترة جميعهم ناجون وهم من لم يرسل
لهم رسول يكلفهم الايمان بالله تعالى فالعرب حتى فى زمن انبياء بنى اسرائيل اهل فترة لان تلك الرسل لم يؤمروا بدعايتهم
الى الله تعالى وتعليمهم الايمان قال ومن ورد فيه حديث صحيح من اهل الفترة بانه من اهل النار فان امكن تاويله فذاك
والا لزمنا ان نؤمن بهذا الفرد بخصوصه قال واما قول الفخر الرازى لم تزل دعوة الرسل الى التوحيد معلومة فجوابه ان كل رسول
انما ارسل الى قوم مخصوصين فمن لا يرسل اليه لا يعذب وجواب ما صح من تعذيب اهل الفترة انها اخبار احاد فلا تعارض
القطع او يقصر التعذيب على ذلك الفروة بخصوصه اى حيث لا يقبل التاويل كما تقدم هذا كلامه هذا وقد جاء انهم اى اهل
الفترة يمتحنون يوم القيمة فقد اخرج عن ثوبان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة جاء اهل الجاهلية
يحملون اوثانهم على ظهورهم فيسالهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم يأتنا لك امر ولو ارسلت الينا
رسولا لكنا اطوع عبادك فيقول لهم ربهم ارايتم ان امرتكم بامر تطيعونى فياخذ على ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم ان ادخلوا

يتطلعون حتى اذا راوها فرجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال النبى صلى الله عليه
وسلم لو دخلوها اول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر فنقطع بانه صلى الله عليه وسلم يعنى الذين ماتوا قبل البعثة
انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر عينه ونرجوا ان يدخل عبد المطلب الجنة فى جماعة من يدخلها طايعا
الا ابا طالب فانه ادرك البعثة ولم يؤمن بها اى بعد ان طلب منه الايمان ومما استدل به الحافظ السيوطى على ان ابويه صلى الله عليه
وسلم ليسا فى النار قوله لانهما لو كانا فى النار لكانا اهون عذابا من ابى طالب لانهما اقرب منه وابسط عذرا لانهما لم يدركا
البعثة ولا عرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلاف ابى طالب وقد اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم ان اهون اهل النار عذابا ابو طالب فليس
ابواه صلى الله عليه وسلم من اهلها قال وهذا يسمى عند اهل الاصول دلالة الاشارة وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة
لا يجلس عليه احد من بنيه اى ولا احد من اشراف قريش اجلالا له وكان بنوه وسادات قريش يجلسون حوله فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ياتى وهو غلام جفر اى شديد قوى حتى يجلس عليه فياخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا راى ذلك
منهم دعوا ابنى فوالله ان له لشانا ثم يجلسه عليه فانه يحس من نفسه بشئ اى بشرف وارجوا ان يبلغ من الشرف ما
لم يبلغه عربى قبله ولا بعده وفى رواية دعوا ابنى انه ليؤنس ملكا اى يعلم من نفسه ان له ملكا وفى لفظ دعوا ابنى الى المجلس
فانه يحدث نفسه بملك عظيم وسيكون له شان وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سمعت ابى يقول كان لعبد المطلب مفرش
فى الحجر لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن امية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب
وذلك بعد ما كف بصره ما لابنى يبكى قالوا له اراد ان يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابنى يجلس عليه فانه يحس من
نفسه بشرف اى يتيقن فى نفسه شرفا وارجوا ان يبلغ من الشرف ما لا يبلغه عربى قبله ولا بعده وكانوا بعد ذلك لا يردونه
عنه حضر عبد المطلب او غاب اى ولعل هذا كان فى اخر الامر فلا ينافى ما تقدم الدال ظاهرا على تكرر ذلك منه صلى الله عليه
وسلم من اختلاف قول عبد المطلب الا ان يحتمل ان اختلاف قول عبد المطلب جاء من اختلاف الرواة وقال لعبد المطلب قوم
من بنى مدلج اى وهم القافة العارفون بالاثار والعلامات احفظ به فانا لم نر قدما اشبه بالقدم التى فى المقام منه اى وهى
قدم ابرهيم عليه الصلوة والسلام اقول اى فان ابرهيم عليه الصلوة والسلام اثرت قدماه فى المقام وهو الحجر الذى
كان يقوم عليه عند بناء البيت كما سياتى وهو الذى يزار الان بالمكان الذى يقال له مقام ابرهيم اى وقد اشار الى ذلك عمه
ابو طالب فى قصيدته يقول وبالحجر المسود اذ يلثمونه اذا اكتنفوه فى الضحى والاصايل وموطئ ابرهيم فى الصخر رطبة على قدميه
حافيا غير ناعل قال الحافظ ابن كثير يعنى ان رجله الكريمة غاصت فى الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة وعن انس
رضى الله تعالى عنه رايت فى المقام اثر اصابع ابرهيم وعقبيه واخمص قدميه غير ان مسح الناس بايديهم اذهب ذلك اى ومشابهة
قدمه صلى الله عليه وسلم لقدم سيدنا ابرهيم يدل على ان تلك الاقدام بعضها من بعض كما تقدم فى قول مجزز المدلجى فى زيد
واسامة وقد ناما وغطيا وجوههما وبدت اقدامهما ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان فى ذلك ردا على من كان يطعن فى نسب اسامة من زيد كما تقدم ونذكر ان نبينا صلى الله عليه وسلم اثر قدمه فى الحجر ايضا
فقد اثر فى صخرة بيت المقدس ليلة الاسرى وان ذلك الاثر موجود الى الان وذكر الجلال السيوطى انه لم يقف لذلك اى لتاثير
قدمه فى الحجر على اصل ولا سند ان من فقده الشريف لما الصقه بالحائط غاص فى الحجر واثر فيه وبه يسمى ذلك المحل بكزبز قاق المرفق
ومن العجب ان الجلال السيوطى مع قوله المذكور قال فى الخصايص الصغرى ولا وطئ على صخر الا واثر فيه هذا كلامه ولعله ظهر له
صحة ذلك بعد انكاره ودعوى انه صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا واثر فيه قد يتوقف فيها ثم رايت الامام السبكى

ذكرنا بتاثير قدمه الشريف في الاحجار حيث قال نذنا بتبنه واثره في الاحجار ثم لم يوثر برمل او سهلي برطبة قال شارحها ولعل
عدم تاثير قدمه الشريف في الرمل كان ليلة ذهابه الى الغار اي فليس هذا كان شانه صلى الله عليه وسلم في كل رمل مشى عليه
وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع قدمه عن الرمل يقول لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم اذا ويراخفا اثر
سيره لئلا يجد المشركون في طلبه وبهذا ان هذا التعليل يقتضي تاثير قدمه الشريف في الرمل لا لعدم تاثيره في ذلك ويويد ذلك
انه ساق انهم قفوا اثره صلى الله عليه وسلم الى ان انقطع الاثر عند الغار او وقع لهم القائف هذا اثر قدم ابن ابي قحافة
اما القدم الاخر فلا اعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابرهيم فقالت قريش ما وراءه هذا شيء اي حمل كما سبا
وعندنا ان هذا او يعني قدمه الشريف من قدم سيدنا ابو بكر بما ابنا فيه قوله لابي بكر ضع قدمك مع موضع قدمي فان الرمل لا ينم
وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قدم ابي بكر لم يكن مساويا لقدمه صلى الله عليه وسلم ولا يعترض ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم فان الرمل لا ينم لجواز ان يكون المراد لا يظهر فيه تمام ظهوره ابينا فصح قول القائف هذا اثر قدم ابن ابي قحافة
واما القدم الاخر الى اخره ولم يعترض هذا الشارح على تاثير قدمه في الحجارة بما ابدي لذلك حكما لا باس بها فليراجع وقوله
في الاحجار يدل على ما ذكرنا من تاثير قدمه الشريف في الاحجار ولم يكن ذلك شانه صلى الله عليه وسلم في كل حجر مشى عليه كما دلت
عليه عبارة الجلال السيوطي والله اعلم قال وبينا عبد المطلب يوما في الحجر وعنده اسقف نجران والاسقف ديني النصارى
فدينهم اشتق من السقف بالتحريك وهو طول الانحناء لانه يتخاشع اي يظهر الخشوع وذلك الاسقف يحادثه ويقول انا نجد
صفة نبي بقي من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه الاسقف والى
عينيه والى ظهره والى قدميه فقال هو هذا ما هذا منك قال هذا ابني قال لا ما نجد اباه حيا قال هو ابن ابني وقد مات ابوه وامه حبلى به
قال صدقت فقال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم الا تسمعون ما يقال فيه انتهى وعن ام ايمن كنت احضن النبي صلى الله
عليه وسلم اي اقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قائما على راسي يقول يا بركة قلت لبيك قال
اتدرين اين وجدت ابني قلت لا ادري قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلي عن ابني فان اهل الكتاب اي ومنهم
سيف ابن ذي يزن كما سياتي يزعمون انه نبي هذه الامة وانا لا امن عليه منهم وكان لا ياكل بنو عبد المطلب اذا اتي بطعام حتى يجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه وربما اقعده على فخذه فيوثره باطيب طعامه انتهى وعن بعضهم اي وهو حيدة بن
معوية العامري ما كان من المعمرين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم قال بعضهم مات وهو اعظم العرب جلدا واطوله
قال حججت في الجاهلية فبينا انا اطوف بالبيت اذا رجل وفي رواية اذا شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول رد الي راكبي
محمدا وفي رواية يا رب رد راكبي محمدا رده ربي واصطنع عندي يدا فقلت من هذا قالوا عبد المطلب بن هاشم بعث
ابن ابنه في ابل له ضلت وما بعثه في شيء الا جاء به وفي رواية هذا سيد قريش عبد المطلب له ابل كثيرة فاذا ضل منها
شيء بعث فيه بنيه يطلبونها فاذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه في حاجة الا انجح فيها وقد بعثه في حاجة اعيى عنها بنوه
وقد ابطا عليه انتهى فما برحنا اي ما زلنا من مكان حتى جاء بالابل معه فقال له يا بني حزنت عليك حزنا لا تفارقني بعد
ابدا وتقدم عن بعض المفسرين ما لا احتياج الى اعادته وعن رقيقة بنت ابي صيفي اي ابن هاشم بن عبد مناف زوجة
عبد المطلب ذكرها ابن سعد في المسلمات المهاجرات وقال ابو نعيم لا اراها ادركت الاسلام وقال ابن حبان
يقال ان لها صحبة والله اعلم قالت تتابعت على قريش سنون اي ازمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال واشفين اي اشرفن
على الانفس قالت فسمعت قائلا يقول في المنام يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا ابان اي وقت خروجه
وبه ياتيكم الحيا اي بالقصر المطر العام والخصب فانظروا رجلا من اوسطكم اي اشرفكم نسبا طوالا عظاما ابيض مقرون

الحاجبين اهدب الاشفار اي طويل شعر الاجفان اسهل الخدين اي لا نتوء بهما رقيق العرنين اي الانف وقيل اوله فليخرج هو
وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فتطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى راس ابي قبيس ثم يتقدم هذا
الرجل فيستسقي وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت رقيقة قصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا
عليه واخرجوا من كل بطن رجلا ففعلوا ما امرتهم به ثم علوا على ابي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم
عبد المطلب فقال اللهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون
فذهبت بالظلف والخف والحافر اي الابل والبقر والخيل والبغال والحمير فشفت على الانفس اي اشرفت على ذهابها فاذهب
عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قال وفي رواية اخرى عن رقيقة قالت تتابعت على
قريش سنون جدبة اقحلت اي ايبست الجلد وادقت العظم فبينا انا نائمة او مهومة اي بين اليقظانة والنائمة اذا هاتف
هو الذي سمع صوته ولا يرى شخصه كما تقدم يصرخ بصوت صحل اي فيه بحوحة وهي خشونة الصوت وغلظة يقول يا معشر قريش
ان هذا النبي المبعوث منكم قد اظلتكم ايامه اي قربت منكم وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا والخصب الا فانظروا رجلا منكم وسيطا
عظاما ابيض بضا اي شديد البياض اوطف الاهداب اي كثير شعر العينين سهل الخدين اشم العرنين اي مرتفع الانف له فخر يكظم
عليه اي يسكت عليه ولا يظهره وسنن يهتدى اليها اي يرشد اليها فليخلص هو وولده وليدلف اي يتقدم اليه
من كل بطن رجل فليشنوا من الماء اي يفرغوا على اجسادهم اي يغتسلوا به وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن وليطوفوا
بالبيت العتيق سبعا ثم ليرقوا ابا قبيس فليستسق الرجل وليؤمن القوم الا وفيهم الطيب الطاهر فغثتم اذا ما شئتم اي جاءكم الغيث
ما تريدون قالت فاصبحت مذعورة قد اقشعر جلدي ووله اي ذهب عقلي واقتصصت رؤياي اي ذكرتها على وجهها فنمت اي فشت وكثرت في
شعاب مكة فوالحرمة والحرم ما بقي ابطحي الا قال هذا شيبة الحمد يعني عبد المطلب وتمت عنده قريش وانقض اليه من كل بطن رجل فشنوا من الماء
ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا ابا قبيس فطفق القوم يدفون حوله ما ان يدرك بعضهم مهلة وهي التودة والتأني
ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ايفع اي ارتفع وكرب اي قرب من ذلك فقام عبد المطلب فقال اللهم ساد الخلة و
كاشف الكربة انت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل وهذه عبيدك واماؤك بعذرات حرمك اي افنيته يشكون اليك سنتهم التي
اقحلت اي ايبست الظلف والخف اي الابل والبقر فامطرن اللهم غيثا مريعا مغدقا فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ
الوادي اي ضاق بثجيجه اي بسيله فسمعت شيخان قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيئا لك يا ابا البطحاء بك عاش اهل البطحاء انتهى اي
والظاهر ان القصة واحدة فلينا ما الجمع ويدل عليه ان الاختلاف من الرواة منهم من عبر بالمعنى وفي سقيا الناس بعبد المطلب و
ان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم تقول رقيقة بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر اجلوذا اي
امتد وقت تاخره فجاء بالماء جوني له سبل دان اي مطرها بل كثير المهطل قريب فعاشت به الانعام والشجر منا من الله بالميمون به
ما في الانام له عدل ولا خطر اي لا معادل له ولا مماثل له ولما سقوا الوسيل المطر اي بلاد قيس ومضر جمع عظماؤهم وقالوا قد امحنا في
جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه لعله يسال الله فيكم ففعلوا واكثروا ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال
لهم افلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد اصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا اثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من يشفعك واجرى
الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم اصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وولده ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه
ثم قال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد شعثت
رؤوسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فاتح لهم سحابا خوارة وسماء خرارة

لتنفتك ارضهم ويذبل منرهم فاستتم كلامه حتى نشات سحابة ذات رعد وقصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يا معاشر
قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا وذكر بعضهم انهم كانوا في الجاهلية يستسقون اذا اجدبوا فاذا ارادوا ذلك
اخذوا من ثلاثة اشجار وهي سلع وعشر وشرق من كل شجرة شيئا من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة وربطوها بظهر ثور واضرموا
فيها النار ويرسلون ذلك الثور فاذا احس بالنار عدا حتى يحرق ما على ظهره ويتساقط وقد يهلك ذلك الثور يستسقون وفي حيوة
الحيوان كانت العرب اذا ارادت الاستسقا جعلت النيران في اذناب البقر واطلقوها فتمطر السماء فان الله يرحمها بسبب
ذلك قال وذكر ابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من مولده اصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب
ان هذا الغلام بين هذه الاسنه لو اخرج اليك فرعلى دير فارجع به واحفظه لا يقتله بعض اهل الكتاب ثم عالجه
واعطى ما يعالجه به هذا ورايت عن كتاب يسمى مولد كريم الذي ما ونديم الكرماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رمد وهو صغير فمكث اياما يشتكوا فقال قائل لجده عبد المطلب ان بين مكة والمدينة راهبا يرقى من الرمد وقد شفي
على يديه خلق كثير فاخذه جده وذهب به الى ذلك الراهب فلما راه ذلك الراهب دخل الى صومعته فاغتسل ولبس
ثيابه ثم اخرج صحيفة فجعل ينظر الى الصحيفة واليه صلى الله عليه وسلم ثم قال والله هو خاتم النبيين ثم قال يا
عبد المطلب هو ارمد قال نعم قال ان دواه معه يا عبد المطلب خذ من ريقه وضعه على عينيه فاخذ عبد المطلب
من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرا لوقته صلى الله عليه وسلم ثم قال
الراهب يا عبد المطلب والله هذا الذي اقسم على الله به فيبرى المرضى ويشفي الاعين من الرمد فلينا امل الجمع فان
تعدد الواقعة لا يخلو عن بعد باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه ابي طالب له صلى الله عليه وسلم ثم لما كان سنه
صلى الله عليه وسلم ثمان سنين اي بناء على الراجح من الاقوال المتكثرة وبه جزم ما يأتي توفي عبد المطلب وله من العمر خمس و
تسعون سنة وقيل مائة وعشرون وقيل واربعون اي ولعل مضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزي لعبد المطلب
في المعمرين قال وقيل ثمان وثمانون اي وعليه اقتصر الحافظ الدمياطي قال وقيل مائة واربعة واربعون انتهى وقيل
قيل له يا رسول الله اتذكر موت عبد المطلب قال نعم وانا يومئذ ابن ثمان سنين وعن ام ايمن انها كانت تحدث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يبكي خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحجون عند جده قصي وجاء عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وابهة الاشراف و
لما حضرته الوفاة اوصى به الى عمه شقيق ابيه ابي طالب اي وكان ابو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كابيه
عبد المطلب كما تقدم واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله
اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد اخطاوا في ذلك خطا كبيرا ولم يتاملوا
القران قبل ان يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى اذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في بطني
محررا وحين اوصى به جده لابي طالب احبه حبا شديدا لا يحبه لاحد من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان
يخصه باحسن الطعام اي وقيل اقترع ابو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله صلى الله عليه وسلم منهما فخرجت القرعة
لابي طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار ابا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له قبل موت
عبد المطلب فيما قاله كان شارك له في كفالته صلى الله عليه وسلم وقيل كفله الزبير حتى مات عبد المطلب ثم كفله
ابو طالب اي بعد موت الزبير وغلط قائله بان الزبير شهد حلف الفضول ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من
العمر نيف وعشرون سنة كذا في اسد الغابة مع ان الاقتراع على ما قبله وفي كون عمره صلى الله عليه وسلم اذ ذاك

وكان

وكان اربعة عشرة سنة وفي كلام بعضهم فلما مات عبد المطلب كفله عماه شقيقا ابيه الزبير وابو طالب ثم مات الزبير وله
من العمر اربع عشرة سنة فانفرد به ابو طالب وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت ابيه وامه مذكور في
الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ففي خبر سيف بن ذي يزن يموت ابوه وامه ويكفله جده و
عمه وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحق ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة
صفية وهي ام الزبير ابن العوام وبرة وعاتكة وام حكيم البيضاء اي وهي جدة عثمان ابن عفان لامه واميمة واروى
فقال لهن ابكين علي حتى اسمع ما تقلن قبل ان اموت فقالت كل واحدة منهن شعرا في وصفه مذكورا في تلك السيرة
ولما سمع جميع ذلك اشار براسه ان هكذا ابكينني ويقال انما اشار بذلك لما سمع قول اميمة وقد امسك لسانه وكان
من قولها اعيني جودي بدمع دري على ماجد الخيم والمعتصر على ماجد الجد وارى الزناد جميل المحيا عظيم الخطر على شيبة
الحمد ذي الكرمات وذي المجد والعز والمفتخر وذي الحلم والفضل والنائبات كثير المفاخر جم الفخر له فضل مجد على قومه
منير يلوح كضوء القمر قال ابن هشام لم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه اي ابن اسحق لما راه عن ابن
المسيب كتبناه قال بعضهم ولم يبك احد بعد موته ما بكى عبد المطلب بعد موته ولم يقم لموته بمكة سوق اياما كثيرة وروى ابو نعيم
والبيهقي ان سيف بن ذي يزن الحميري لما ولى على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين اتاه وفود
العرب واشرافها وشعراؤها للتهنية اي بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم اي لان ملك اليمن كان للحميريين فانتزعته
الحبشة منهم واستمر بيد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف ابن ذي يزن الحميري استنقذ ملك اليمن واستقر به على
عادة ابائه وجاءت العرب تهنيه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وامية بن عبد شمس وغالب
وجابر اي كعبد الله ابن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة وبالعين المهملة التيمي وهو ابن عم عائشة رضي الله
تعالى عنها واسد ابن عبد العزى ووهب ابن عبد مناف وقصي ابن عبد الدار فاخبر بمكانهم اي وكان في قصره يغمدان متضمخ
بالمسك وعليه بردان والتاج على راسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنى منه
عبد المطلب وفي الوفا وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله اشراف اليمن على كراسي من الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب
فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستاذنه في الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد اذنا لك
فقال ان الله عز وجل احلك ايها الملك محلا رفيعا شامخا اي مرتفعا باذخا اي عاليا وانبتك نباتا طالت ارومته وعظمت جرثومته
اي الارومة والجرثومة بمعنى الاصل وثبت اصله وبسق اي طال فرعه في اطيب موضع واكرم معدن وانت ابيت اللعن اي
ابيت ان تاتي من الامور ما تلعن عليه ملك العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ولهفها الذي تلجا اليه العباد
سلفك خير سلف وانت لنا منهم خير خلف فلن يهلك ذكر من انت خلفه ولن يخمل ذكر من انت سلفه نحن اهل حرم الله وسدنة
بيته اشخصنا اي احضرنا اليك الذي ابهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا اي اثقلنا فنحن وفد الهنئة لا وفد المرزئة اي
التعزية فلما قال ذلك قال له الملك من انت ايها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا بالتاء المثناة فوق لان
ام عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادنه ثم اقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا واهلا وناقة
ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا اي كثير العطا يعطي عطاء جزيلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم
فانتم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحبا اي العطا اذا ظعنتم ثم انهضوا الى دار الضيافة والوفود واجرى
عليهم الانزال فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب
فادناه ثم قال له يا عبد المطلب اني مفض اليك من سر علمي امرا لو غيرك يكون لك ابح به ولكن رايتك معدنه فاطلعتك

للذي عليه فليكن عندك محجوبا حتى ياذن الله عز وجل فيه اني اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي ادخرناه لانفسنا
واحتجبناه اي كتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة
فقال له عبد المطلب مثلك ايها الملك سر وبر فما هو فداك اهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة
كانت له الامامة ولكم به الزعامة اي السيادة الى يوم القيمة فقال عبد المطلب ايها الملك ابت اي رجعت بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا
هيبة الملك واجلاله واعظامه لسالته من ساره اي سارته اياي ما ازداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذي يولد فيه
قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم
اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض اي جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض اي يزجر الشيطان ويخمد النيران
ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل ويامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب عز جدك ودام ملكك و
علا كعبك فهل الملك ساري بافصاح فقد وضح لي بعض الايضاح قال والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب اي الطرق انك
لجده يا عبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع راسك ثلج صدرك وعلا كعبك فهل احسست بشيء
مما ذكرت لك قال نعم ايها الملك انه كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا واني زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف
بن زهرة فجاءت بغلام فسميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه يعني ابا طالب وهذا يدل على ان وفود عبد المطلب على سيف
بن ذي يزن كان بعد موت امه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا ينافي ذلك ما تقدم ان عمره صلى الله عليه وسلم كان سنتين لان
ذلك كان سنة حين ولي سيف بن ذي يزن على الحبشة وقد مر وفود عبد المطلب عليه بعد موت امه صلى الله عليه وسلم و
يدل على ان ابا طالب كان مشاركا لعبد المطلب في كفالته صلى الله عليه وسلم في حيوته ثم اختص هو بذلك بعد موته اي وعبارة سيف
بن ذي يزن صادقة بالحالين فقال له ان الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله
لهم عليه سبيلا اي فحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره قال واطو ما ذكرته لك من هؤلاء الرهط الذين
معك فاني لست آمن ان تداخلهم النفاسة من ان يكون له الرياسة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك و
ابناؤهم من غير شك ولولا اعلم ان الموت مجتاحي اي مهلكي قبل بعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير يثرب دار مملكته فاني اجد
في الكتاب الناطق والعلم السابق ان بيثرب استحكام امره واهل نصرته وموضع قبره ولولا اني اقيه الآفات واحذر عليه
العاهات لاعلنت على حداثة سنه امره ولاعليت على اسنان العرب كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم ادعى
بالقوم وامر لكل واحد منهم بعشرة اعبد سود وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة ارطال ذهبا وعشرة ارطال فضة
ومائة من الابل وكرش مملوا عنبرا وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك [illegible] الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول
لمن معه لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما اقول ولو بعد
حين انتهى وهذا القصر الذي كان فيه سيف بن ذي يزن يقال له بيت غمدان يقال انه كان هيكلا للزهرة تعبد فيه الزهرة وكان
سيدنا عمر رضي الله عنه يقول لا افلحت العرب ما دام فيها غمدان فلما ولي عثمان رضي الله تعالى عنه الخلافة هدمه وكان ابو طالب
مقلا من المال وكان عياله اذا اكلوا جميعا او فرادى لم يشبعوا واذا اكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان ابو طالب اذا
اراد ان يغديهم او يعشيهم يقول لهم انتم كما انتم حتى ياتي ابني فياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فياكل معهم فيفضلون من
طعامهم وان كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهم ثم تناول العيال القعب اي القدح من الخشب فيشربون
منه فيروون من عند آخرهم اي جميعهم من القعب الواحد وان كان احدهم ليشرب قعبا وحده فيقول ابو طالب انك لمبارك اي كثير الخير
وفي الامتاع وكان اي ابو طالب يقرب الى الصبيان بصبحهم اول البكرة فيجلسون وينتهبون فيكف رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم يده لا ينتهب معهم فلما راى ذلك ابو طالب عزل له طعامه على حدة هذا الكلام ولا ينافي ما قبله لانه يجوز ان يكون ذلك خاصا
بما يحضر في البكرة الذي يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان ياكل معهم وهو المتقدم والله اعلم وكان الصبيان يصبحون
شعثا رمصا اي بفتح الراء واسكان الميم ثم صاد مهملة ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا قالت ام ايمن ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره وكان يغدو اذا اصبح الى زمزم فيشرب منها
شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول انا شبعان اي في بعض الاوقات ملائما في ما سبق وكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس
عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن اخي ليحس بنعيم اي بشرف عظيم واستسقى ابو طالب برسول الله
صلى الله عليه وسلم قال جلهمة بن عرفطة قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعتمدوا اللات والعزى وقائل
منهم يقول اعتمدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الراي انى تؤفكون اي كيف تصرفون عن الحق وفيكم
باقية ابرهيم وسلالة اسمعيل اي فكيف تعدلون عنه الى ما لا يجدي قالوا كانك عنيت ابا طالب قال ايها فقاموا باجمعهم
وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج الينا رجل حسن الوجه عليه ازار قد اتشح به فثاروا اي قاموا اليه فقالوا يا ابا طالب اقحط
الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق لنا فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجنة بدال مهملة فجيم مضمومتين اي ظلمة
وفي رواية كانه شمس دجن اي ظلام تجلت عنه سحابة قتماء اي غبراء من القتام بالفتح وهو الغبار وحوله اغيلمة جمع غلمان فاخذه
ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ اي طاف باصبع الغلام زاد في بعض الروايات وبصبصت الاغيلمة حوله اي فتحت
اعينها وما في السماء قزعة اي قطعة من سحاب فاقبل السحاب من ههنا ومن ههنا واغدق وودق اي كثر مطره وانفجر له
الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب من قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من
ثمانين بيتا وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل اي ملجا وغياثا لليتامى ومانع الارامل من الضياع
والارامل المساكين من النساء والرجال وهو بالنساء اخص واكثر استعمالا اقول واخذت الشيعة من هذه القصيدة
القول باسلام ابي طالب لانه صنعها بعد البعثة وسياتي الكلام في اسلامه واما ما نقله الدميري في شرح المنهاج عن
الطبراني وابن سعد ان هذه القصيدة التي منها هذا البيت من انشاء عبد المطلب فهو وهم لما درج عليه ائمة السير
لها ابو طالب فاحتمال توارد كل من ابي طالب وعبد المطلب على هذه القصيدة بعيد جدا ومما يصرح بالوهم ما ياتي عن النبي صلى الله
عليه وسلم من نسبة هذا البيت لابي طالب والله اعلم قال وعن ابي طالب قال كنت بذي المجاز اي وهو موضع على فرسخ
من عرفة كان سوقا للجاهلية كما تقدم مع ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم فادركني العطش فشكوت اليه فقلت
يا ابن اخي قد عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى عنده شيئا الا الجزع اي لم يحملني على ذلك الا الجزع وعدم الصبر قال
فثنى وركه اي نزل عن دابته ثم قال يا عم عطشت قلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض وفي رواية الى صخرة فركضها برجله
وقال شيئا فاذا انا بالماء لم ار مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فقال ارويت قلت نعم فركضها ثانية فعادت كما كانت
وسافر اي ولما كانت له بضع عشر سنة مع عمه الزبير بن عبد المطلب شقيق ابيه كما تقدم الى اليمن فمروا بواد فيه فحل من الابل
يمنع من يجتاز فلما راه البعير برك وحك الارض بكلكله اي صدره فنزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك
الفحل وسار حتى جاوز الوادي ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتبعوني ثم اقتحمه فاتبعوه فايبس الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شانا انتهى و
في سيرة الهشامية ان رجلا من لهب كان عائفا وكان اذا قدم مكة اتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف
لهم فيهم فاتى ابو طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من ياتيه فنظر اليه ثم شغل عنه بشيء فلما فرغ قال علي بالغلام

وجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذي وابنا تقوا الله ليكون له شان فلما راى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به والله
اعلم باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه ابو طالب الى الشام عن ابن اسحق لما تهيأ ابو طالب للرحيل صب به رسول الله
صلى الله عليه وسلم بفتح الصاد المهملة وتشديد الموحدة والصبابة رقة الشوق قاله في الاصل قال وعن بعض الرواة
فضبث به اي بفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة لعزب لزمه وقبض عليه يقال ضبث على الشيء اذا قبض عليه فقد
جاء او حى الله تعالى الى داود عليه الصلوة والسلام قل للملاء من بني اسرآئيل لا يدعوني والخطايا بين اضبا ثهم اي
قبضاتهم اي ديهم يحملون الاوزار غير مقلعين عنها او وعلى ما عند بعض الرواة اقتصر الحافظ الدمياطي فلفظه لما تهيأ يعني
ابا طالب للرحيل ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له ابو طالب فقال والله لا خرجن به معي ولا يفارقني
ولا افارقه ابدا اقول رايت بعضهم نقل عن سيرة الدمياطي وضبث به ابو طالب ضبثا لم يضبث مثلها بشي قط
وان ضبط ضبث بالضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة قال وهو القبض على الشيء وهذا لا يناسبه قوله ضبا ثم لم يضبث
مثلها بشي قط لان ذلك انما يناسب صب بالصاد المهملة اي الذي هو الرقة كما لا يخفى على ان مصدر ضبث انما هو الضبث
ومن ثم لم اجد ذلك في السيرة المذكورة والذي فيها ما تقدم عنها وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم سلك بزمام ناقة ابو طالب
وقال يا عم الى من تكلني لا اب لي ولا ام وكان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرين
وعشرة اي وهذا القيل صدر به في الامتاع وقال انه اثبت اي ومن ثم اقتصر عليه المحب الطبري وذكر انه لما سار به ابو طالب نزلوا
فنزلوا على صاحب دير فقال له صاحب الدير ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي هذا النبي اي لان
من كانت هذه الصفة صفته هو نبي اي النبي المنتظر ومن علامة ذلك النبي في الكتب القديمة ان يموت ابوه وامه حامل به كما تقدم
وسيأتي او بعد وضعه بقليل من الزمن اي ومن علامته ايضا في تلك الكتب موت امه وهو صغير كما تقدم في حديث سيف بن
ذي يزن ولا ينافي ذلك الاقتصار من بعض اهل الكتب القديمة على الاول الذي هو موت ابيه وهو حمل قال ابو طالب
لصاحب الدير قال الذي يأتي اليه الخبر من السماء فينبي اهل الارض قال ابو طالب الله اجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى
نزل براهب ايضا صاحب دير فقال ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي قال ولم قال لان وجهه
وجه نبي وعينه عين نبي اي النبي الذي يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ما ذكر علامته في الكتب القديمة قال ابو طالب سبحان الله
الله اجل مما تقول ثم قال ابو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي الا تسمع ما يقول قال اي عم لا تنكر لله قدرة والله اعلم فلما نزل
الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء وسكون المثناة التحتية اخره راء مقصورة واسمه جرجيس وقيل
جرجيس وحينئذ يكون بحيرا لقبه في صومعة له وكان انتهى اليه علم النصرانية اي لان تلك الصومعة كانت تكون لمن ينتهي اليه علم
النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر من اوصياء عيسى عليه الصلوة والسلام وفي تلك المدة انتهى علم النصرانية الى بحيرا وقيل كان
بحيرا من احبار اليهود يهوديا اقول لا منافاة لانه يجوز ان يكون تنصر بعد ان كان يهوديا كما وقع لورقة بن نوفل كما سيأتي هذا
وقال ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بصرى ستة اميال وقيل وكان يسكن البلقاء من ارض الشام
بقرية يقال لها منفعة ويحتاج الى الجمع وقد يقال يجوز انه كان يسكن في كل من القريتين كل واحد يسكن فيها زمنا وكان
في بعض الاحاديث بان تلك الصومعة فليتأمل وقد سمع منادقبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول الا ان خير اهل
الارض ثلاثة رباب بن البراء وبحيرا الراهب واخر لم يأت بعد فقط والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قتيبة
قال ابن قتيبة وكان قبر رباب وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما الطش وهو المطر الخفيف والله اعلم وكانت قريش كثيرا
ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان راى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم

رواية في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة فنظر الى الغمامة قد اظلت الشجرة وتهصرت اي مالت
اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فاخضلت اي كثرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين استظل تحتها اي وقد كان وجدهم قد سبقوه صلى الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه صلى الله عليه وسلم
ثم ارسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش واحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم
انك على اسم هذا الرجل يا بحيرا ان لك اليوم لشانا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شانك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد
كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتاكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم اي تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة اي لم ير في احد منهم
الصفة التي هي علامة النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث اخر الزمن التي يجدها عنده اي ولم ير الغمامة على احد من القوم ورآها
متخلفة على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش لا يتخلف احد منكم من طعامي فقالوا يا بحيرا ما تخلف عن
طعامك احد ينبغي له ان يأتيك الا غلام وهو احدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم وقال لعما يقبح
ان تحضروا وتخلف رجل واحد مع اني اراه من انفسكم فقال القوم هو والله اوسطنا نسبا وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون
ابا طالب وهو من ولد عبد المطلب فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان للوم بنا ان تخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا
ثم قام فاحتضنه اي وجاء به واجلسه مع القوم اي وذلك الرجل هو عمه الحارث ابن عبد المطلب ولعله انما لم يقل هو ابن اخي مع كونه
اسن من ابي طالب لان ابا طالب كان شقيقا لابيه عبد الله كما تقدم دون الحرث مع كون ابي طالب هو المتقدم في الركب وقيل الذي
جاء به ابو بكر رضي الله تعالى عنه ورده ابن المحدث على ما قبله فليتأمل ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على راسه
صلى الله عليه وسلم فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ
القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا وقال له اسألك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتني عما اسألك عنه وانما قال له بحيرا ذلك
لانه سمع قومه يحلفون بهما اي بالشفا انه اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى
شيئا فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه فقال صلى الله عليه وسلم سلني عما بدا لك
فجعل يسأله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا
من صفته اي صفة النبي المبعوث اخر الزمن التي عنده ثم كشف عن ظهره فراى خاتم النبوة على الصفة التي عنده فقبل موضع
الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ اقبل على عمه ابو طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني فقال ما هو
ابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت اي ثم
قال ما فعلت امه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن اخيك الى بلاده واحذر عليه يهود فوالله لئن راوه وعرفوا
منه ما عرفت لتبغنه شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شان عظيم اي نجده في كتبنا وما رويناه عن ابائنا واعلم اني قد
اديت اليك النصيحة فاسرع به الى بلده وفي لفظ لما قال له ابن اخي قال له بحيرا اشفيق عليه انت قال نعم قال فوالله لئن
قدمت به الى الشام اي جاوزت هذا المحل ودخلت الى داخل الشام الذي هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى
مكة ويقال انه قال له ذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو في حصن من الله تعالى وقد يقال لا مخالفة لان ما صدر من
بحيرا كان على ما جرت به العادة من طلب التوقي فخرج به عمه ابو طالب حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام وفي
الهدي فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة فليتأمل وذكروا ان نفرا من اهل الكتاب قد كانوا قد راوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما راى بحيرا وارادوا به سوءا فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدونه في الكتاب من ذكره وصفاته وانهم

ان اجمعوا لما ارادوا لم يخلصوا اليه فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه وفي رواية اخرى خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله
عليه وسلم في اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب بحيرا وكانوا قبل ذلك يمرون عليه فلا يخرج اليهم ولا يلتفت اليهم فحط
وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد العالمين هذا رسول الله رب العالمين هذا
يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له الاشياخ من قريش ما اعلمك فقال انكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا
ولا يسجدان الا لنبي اي وان الغمامة صارت تظله دونهم واني لاعرفه من غضروف كتفه مثل التفاحة اي والغضروف مقدم اعلى
راس لوح الكتف ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان النبي صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فارسلوا اليه فاقبل صلى الله
عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال الراهب انظروا
الى فيء الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم ان لا يذهبوا به الى الروم اي داخل الشام فانهم ان عرفوه قتلوه
فالتفت فاذا سبعة من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا الى هذا النبي الذي هو خارج في هذا الشهر
اي سافر فيه فلم يبق طريق الا بعث اليه باناس وانا قد اخبرنا خبره بطريقك هذا قال افرايتم امرا اراد الله ان يقضيه هل
يستطيع احد من الناس رده قالوا لا فبايعوه اي بايعوا بحيرا على مسالمة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم اخذه واذيته على حسب
ما ارسلوا فيه واقاموا عنده ذلك الراهب خوفا على انفسهم ممن ارسلهم اذا رجعوا بدونه قال يعني بحيرا العرب اي قريش انشدكم الله
اي اسالكم بالله ايكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشده حتى رده ابو طالب وبعث معه بلالا وفي لفظ وبعث معه ابو بكر
رضي الله تعالى عنه بلالا وزوده من الكعك والزيت اي وهذه القصة واحدة فلا اختلاف في ايرادها من الرواة كما نقله
تغليط بعض الرواة مثل هذه الرواية واخرج على انه في الهدي قال وقع في كتاب الترمذي وغيره انه بعث اي وابا بكر بعث معه
بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع ابي بكر وذكر في الاصل
ان في هذه الرواية امورا منكرة حيث قال قلت ليس في اسناد هذا الحديث الا من خرج له في الصحيح ومع ذلك اي مع صحة
سنده ففي متنه نكارة اي امور منكرة وهي ارسال ابي بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم بلالا لان بلالا لم ينتقل لابي بكر
الا بعد هذه السفرة باكثر من ثلاثين عاما ولان ابا بكر لم يبلغ عشر سنين حينئذ لانه صلى الله عليه وسلم اسن منه بازيد
من عامين بقليل اي بشهر ولا ينافي ما ياتي وتقدم ان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح اي فيكون سن ابي بكر
نحو سبع سنين على الراجح اي فيكون سن ابي بكر نحو سبع سنين وكان بلال اصغر من ابي بكر فلا يتجه هذا بحال اي لان ابا بكر
حينئذ لم يكن اهلا للارسال عادة وكذا بلال لم يكن اهلا لان يرسل وكون النبي صلى الله عليه وسلم اسن من ابي بكر هو ما عليه
الجمهور من اهل العلم بالاخبار والاثار والسير وما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر فقال له من الاكبر انا او انت فقال
له ابو بكر رضي الله تعالى عنه انت اكرم واكبر وانا اسن قيل فيه انه وهم وان ذلك انما عرض من عمه العباس رضي الله تعالى عنه
وكون بلال رضي الله تعالى عنه اصغر من ابي بكر رضي الله تعالى عنه بناء على قول ابي حيان رحمه الله بلال رضي الله تعالى عنه
كان تربا لابي بكر اي قرينه في السن ويرده قول الذهبي بلال لم يكن خلق قال ذكر الحافظ ابن حجر ان ارسال ابي بكر
معه بلالا وهم من بعض الرواة وهو منقطع من حديث اخر ادرجه ذلك الراوي في هذا الحديث انتهى اقول ولاجل هذا
الوهم قال الذهبي في الحديث اظنه موضوعا فبعضه باطل اي لم يوافق الواقع وحينئذ فمراد الاصل بالنكارة في قوله في
متنه نكارة البطلان كما اشرت اليه وليس هذا من قبيل قولهم هذا حديث منكر الذي هو من اقسام الضعيف وهو
يرجع الى الغرابة ولا يلزم من الغرابة ضعف متن الحديث فضلا على بطلانه وقال الحافظ الدمياطي في هذا الحديث وهمان
احدهما قوله فبايعوه واقاموا معه والوهم الثاني قوله وبعث معه ابو بكر بلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال اسلم ولا ملكه

ابو بكر

ابو بكر وبين ان الحافظ الدمياطي وهم ان الضمير في بايعوه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد علمت انه لبحيرا فلا وهم فيه وتوجيه الوهم
الثاني بعدم وجود ابي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم واخرج اذا ثبت ذلك والا فمجرد النفي لا يجدي به الاثبات و
حينئذ لا حاجة معه الى قوله ما بعده منه ان بلالا لم يكن اسلم ولا ملكه ابو بكر الا ان يقال هو على تسليم وجود ابي بكر وبلال
مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد يقال على تسليم ذلك ارسال ابي بكر لبلال رضي الله تعالى عنهما لا يتوقف على اسلام بلال
ولا على ملك ابي بكر له جاز ان يكون سيد بلال وهو امية بن خلف ارسله في ذلك العير لامر فاذن ابو بكر لبلال في العود
مع النبي صلى الله عليه وسلم ليكون خادما ومؤنسا له وبامر بذلك اعتمادا على رضى سيده بذلك اذ ليس من لازم ارساله
ان يكون مملوكا وكون ابي بكر لم يكن في سن من يرسل عادة تقدم ما فيه والله اعلم قال وروى ان ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنه ان صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن
عشرين سنة اي فالنبي صلى الله عليه وسلم اسن من ابي بكر بعامين اي وشهر كما تقدم ولعل هذه الزيادة على العامين
الاشهر الواردة مبهمة في الرواية السابقة ولم يذكرها ابن منده وهم يريدون الشام في تجاراتهم حتى اذا نزلنا منزلا
وهو سوق بصرى من ارض الشام وفي ذلك المحل شجرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا
يساله عن شيء فقال من الرجل الذي في ظل السدرة قال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبي هذه الامة الاخيرة
ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم الا محمد صلى الله عليه وسلم اي وفي لفظ قال عيسى لا يستظل تحتها بعدي الا النبي الامي الهاشمي كما
سياتي في بعض الروايات قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون اي سفر ابي بكر معه صلى الله عليه وسلم في سفرة اخرى بعد سفرة ابي
طالب انتهى اقول اي وهي سفرته صلى الله عليه وسلم مع ميسرة غلام خديجة فانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر الى الشام
اكثر من مرتين ويدل له ما تقدم من قول الراوي وهم يريدون الشام في تجاراتهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج تاجرا
الا في تلك السفرة وسياتي ان هذا القول قاله الراهب نسطورا لا بحيرا قاله لميسرة لا لابي بكر الا ان يقال لا مانع ان يكون قال
ذلك لميسرة ولابي بكر لكن ربما يبعده ما سياتي ان سنه صلى الله عليه وسلم حين سافر مع ميسرة كان خمسا وعشرين سنة
على الراجح لا عشرين وعلى هذا ان الشجرة لم تكن الا عند صومعة الراهب بحيرا وذكر بحيرا موضع نسطورا وهو ما وقع
في شرف المصطفى للنيسابوري وهم من بعض الرواة سرى اليه من اتحاد محلهما وهو سوق بصرى الا ان يقال يجوز ان يكون الراهب
نسطورا اخلف بحيرا في تلك الصومعة لموته مثلا وهو اقرب من دعوى تعدد الشجرة فتكون واحدة عند صومعة نسطورا
وكلاهما قال انها لعيسى بما ذكر ادعى دعوى اتحادهما وانها بين صومعة بحيرا وصومعة نسطورا وان العير الذي كان فيه ابو طالب
نزل جهة صومعة بحيرا والعير الثاني الذي كان فيه ابو بكر وميسرة نزل جهة صومعة نسطورا وسياتي ان بحيرا ونسطورا وهو ممن صدق
بانه نبي هذه الامة من اهل الفترة لا من اهل الاسلام لانهما لم يدركا البعثة اي الرسالة بناء على اقترانهما بالنبوة او
المراد بها النبوة اي لم يدركا النبوة فضلا عن الرسالة بناء على تاخرها عن النبوة ثم رايت الحافظ ابن حجر قال في بحيرا ما
ادري ادرك البعثة ام لا هذا كلامه في الاصابة وليس هذا بحيرا الراهب الصحابي الذي هو احد الثمانية الذين
قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة فعنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا شرع
الرجل كاسا من خمر الحديث وعن قال ان هذا الحديث منكر وظن ان بحيرا هذا هو بحيرا المذكور هنا الذي لقي النبي صلى الله عليه
وسلم قبل البعثة والله اعلم باب ما حفظه الله تعالى به في صغره صلى الله عليه وسلم من امر الجاهلية اي من اقذارهم
ومعايبهم اي بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار احسنهم خلقا واصدقهم حديثا واعظمهم
امانة وابعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزيها وتكريما اي حتى كان افضل قومه مروءة واحسنهم خلقا

واكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا واعظمهم حلما وامانة واصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور
الصالحة الحميدة والفعال السديدة من العلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والمروءة
فمن ذلك ما رواه ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رايتني اني لفي نفر من غلمان من قريش ننقل الحجارة
لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى واخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وادبر اذ لكمني
لاكم اي من الملائكة ما اراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمة شديدة وقد يقال لا منافاة لانها مع شدتها لم تكن وجيعة له صلى الله
عليه وسلم ثم قال شد عليك ازارك فاخذته فشددته علي ثم جعلت احمل الحجارة على رقبتي وازاري علي من بين اصحابي اي
وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك اي نقل الحجارة عاريا عند اصلاح ابي طالب لزمزم ففي ابن اسحق وصححه ابو نعيم قال
كان ابو طالب يعالج زمزم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشي عليه
فلما افاق ساله ابو طالب فقال اتاني آت عليه ثياب بياض فقال لي استتر فما رؤيت عورته صلى الله عليه وسلم من يومئذ وفي
الخصائص الصغرى ونهي عن التعري وكشف العورة من قبل ان يبعث بخمس سنين وقد وقع له مثل ذلك اي نهيه عن التعري عند
بنيان الكعبة كما سياتي وسياتي ما فيه ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية ويفعلونه الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما اي من
فعلهما قلت لفتى كان معي من قريش باعلى مكة في غنم لاهله يرعاها اي وفي لفظ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في
رعاية غنم اهلنا افقه على اسم هذا الفتى ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم واصل السمر
الحديث ليلا فخرجت فلما جئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمر فقلت ما هذا فقالوا فلان
تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امراة من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس
فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك اقول المناسب لقوله عصمني الله منهما في
الرواية الثانية الا ما ذكر في الرواية الاولى الا ان يحمل قوله في الرواية الاولى على ارادتان الهوى والله اعلم
فقال صلى الله عليه وسلم ما هممت بعدهما بسوء مما يعمله اهل الجاهلية اي ما هممت بسوء مما يعمله اهل الجاهلية بعدهما
وفي لفظ فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك اي مما يعمله اهل الجاهلية ولا هممت به حتى اكرمني الله تعالى
بنبوته ومن ذلك ما جاء عن ام ايمن انها قالت كان بوانة بضم الموحدة وبفتح الواو مخففة بعدها الف ونون صنما تحضره
قريش وتعظمه وتنسك له اي تذبح وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان ابو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد معه فيابى ذلك حتى رايت ابا طالب غضب عليه صلى الله عليه وسلم ورايت
عماته غضبن عليه يومئذ اشد الغضب وجعلن يقلن انا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب الهتنا ويقلن ما تريد يا محمد ان
تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقلن ما دهاك
قال اني اخشى ان يكون بي لمم اي لمة وهو المس من الشيطان فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من
خصال الخير ما فيك فما الذي رايت قال اني كلما دنوت من صنم منها اي من تلك الاصنام التي عند ذلك الصنم الكبير
الذي هو بوانة تمثل لي رجل ابيض طويل اي وذلك من الملائكة يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد
لهم حتى نبئ صلى الله عليه وسلم اقول فظاهر هذا السياق ان اللمم يكون من الشيطان وحينئذ يكون بمعنى اللمة
وهي المس من الشيطان كما قدمناه فقد اطلق اللمم على اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم في قصة الرضاع
بدا اصابه لمم او طائف من الجن اذ هو يدل على ان اللمم يكون من غير الشيطان كمرض وعبارة الصحاح اللمم طرف

من الجنون واصاب فلانا من الجن لمة وهي المس اي فقد غاير بينهما والله اعلم قال ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله تعالى
عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله اي وكان يقول
لقريش الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله تعالى فما ذقت
شيئا ذبح على النصب اي الاصنام حتى اكرمني الله تعالى برسالته اي وزيد بن عمرو كان قبل النبوة من المفترة على دين
ابرهيم فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التي تذبح للاوثان ونهى عن الموءودة وتقدم
انه كان يجيء اذا اراد اخذ ذلك الموءودة من ابيها ويكفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا حقا تعبدا ورقا عذت بما
عاذ به ابرهيم ويسجد للكعبة قال صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة واحدة اي يقوم مقام جماعة انتهى اي فان ولده
سعيدا قال يا رسول الله ان زيدا كان كما قد رايت وبلغك فاستغفر له قال نعم استغفر له فانه يبعث يوم القيامة وحده
وفي البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل قبل ان ينزل على
النبي صلى الله عليه وسلم الوحي وقد قدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة اي فيها شاة ذبحت لغير الله وقدمها
النبي صلى الله عليه وسلم اليه فابى ان ياكل منها فقال اني لست آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله
عليه ولعل هذا كان قبل ما تقدم عنه صلى الله عليه وسلم وان ذلك كان هو السبب في ذلك قال الامام السهيلي
وفيه سؤال كيف وفق الله زيدا الى ترك ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت من عصمة الله تعالى له اي فكان صلى الله عليه وسلم يترك ذلك من عند نفسه
لا تبعا لزيد بن عمرو وحينئذ لا يحسن الجواب الذي اشرنا اليه بقولنا واجاب السهيلي بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم
اكل من تلك السفرة اي ولا من غيرها سلمنا انه اكل قبل ذلك مما ذبح على النصب فتحريم ذلك لم يكن من شرع ابرهيم وانما
كان تحريم ذلك في الاسلام والاصل في الاشياء قبل ورود الشرع على الاباحة هذا كلامه وفيه ان هذا التسليم يبطل
عد الشمس الشامي ذلك من امر الجاهلية التي حفظه الله منه في سفره ويخالف ما ذكره بعضهم من ان زيد بن عمرو وهذا هو رابع
اربعة من قريش فارقوا قومهم فتركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان كانوا يوما في عيد لصنم من اصنامهم ينحرون عنده
ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد اخطأوا دين ابيهم ابرهيم
فما حجر نطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا في دين في البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابرهيم وظاهر هذا السياق
ان تركهم للاوثان كان بعد عبادتهم لها وسياتي عن ابن الجوزي انهم لم يعبدوها وهؤلاء الثلاثة الذين زيد بن عمرو رابعهم
ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش بن عمته صلى الله عليه وسلم اميمة وعثمان بن الحويرث وزاد ابن الجوزي على هذه الاربعة
جماعة اخرين وسياتي الكلام عليهم عند الكلام على اول من اسلم وزيد بن عمرو بن نفيل هذا كان ابن اخي الخطاب والد سيدنا
عمر واخاه لامه فاما ورقة فلم يدرك البعثة على ما سياتي وكان ممن دخل في النصرانية او بعدها خولف في اليهودية كما سياتي
واما عبيد الله بن جحش فادرك البعثة واسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هناك كما سياتي وكان يمر
على المسلمين ويقول لهم فقحنا وصاصاتم ابصرنا وانتم تلتمسون البصر ولم تبصروا ومات على نصرانيته واما عثمان بن الحويرث
فلم يدرك البعثة وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده واما زيد بن عمرو بن نفيل هذا كان يوبخ قريشا ويقول لهم والذي
نفس زيد بن عمرو بن نفيل بيده ما اصبح احد منكم على دين ابرهيم غيري ان عمه الخطاب اخرجه من مكة واسكنه حراء ووكل
من يمنعه من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابرهيم ويسال الاحبار والرهبان
حتى بلغ الموصل ثم اقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم اهل النصرانية فساله عن ذلك فقال له انك لتطلب دينا

ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد اظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابرهيم الحنفية
فالحق بها فان مبعوث لان هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه ودفن باصل جبل حراهذا
وفي كلام الواقدي عن زيد بن عمرو انه قال لعامر بن ربيعة وانا انتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا اراني ادركه وانا اؤمن به واصدقه
واشهد انه نبي فان طالت بك مدة فرايته فاقرئه مني السلام قال عامر فلما اسلمت اخبرته صلى الله عليه وسلم عن زيد قال فرد عليه السلام
وترحم عليه وتقدم ان ولده سعيد سال النبي صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه زيد فقال نعم استغفر له الحديث قال وعن
عايشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين اي شجرتين
عظيمتين قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوي اي وقال الا انه ليس في شيء من الكتب وفي رواية رايته في الجنة يسحب
ذيولا وعن الزهري نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ما ذبح للجن وعلى اسمهم واما ما قيل عند ذبحه بسم الله واسم محمد
فلا اكل وان كان القول المذكور حراما لايهامه التشريك وهذا من جملة المحال المتشاة من قوله تعالى لا اذكر الا وتذكر معي فقد
جاء اتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول لك تدري كيف رفعت ذكرك اي على اي حال جعلت ذكرك مرفوعا
مشرفا المذكور ذلك في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت الله اعلم قال لا اذكر الا وتذكر
معي اي في غالب المواطن وجوبا وندبا ومن ذلك ما روي عن علي رضي الله تعالى عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب
ولا الايمان انتهى اقول تحريم شرب الخمر في الجاهلية ليس من خصايصه صلى الله عليه وسلم بل حرمها على نفسه في الجاهلية
جماعة كثيرون سياتي ذكر بعضهم وتقدم ذكر بعض منهم وكون شرب الخمر من الكفر على ما هو ظاهر السياق بمعنى ينبغي ان
يجتنب كما يجتنب الكفر ولعل صدور هذا منه صلى الله عليه وسلم كان بعد تحريم الخمر ويكون الاتيان بذلك للمبالغة في الزجر
عنها والتباعد منها لانها ام الخبايث وقد كانت نفوس غالبهم الفتها وهذا محمل ما جاء اتاني جبريل عليه السلام فقال
بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا اي مصدقا بما جئت به دخل الجنة اي لا بد ان يدخل الجنة وان دخل النار قلت
يا جبريل وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق وان زنى
وان شرب الخمر والمراد بتحريمها على الناس والا ففي الخصايص الصغرى للسيوطي وحرمت عليه الخمر من قبل ما بعث قبل ان
تحرم على الناس بعشرين سنة والله اعلم قال وايما رواه جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع
المشركين شاهدهم فسمع ملكين خلفه واحد يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه
وانما عهده باستلام الاصنام قبل فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين شاهدهم قال الحافظ ابن حجر انكره الناس اي فقد قال الامام
احمد كما في الشفاء انه موضوع او يشبه الموضوع وقال الدارقطني ان ابن ابي شيبة وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر فلا يلتفت
اليه والمنكر فيه قول عبد الملك عهده باستلام الاصنام قبل فان ظاهره انه باشر الاستلام اصنامهم اي لشهوده بعض شاهدهم
التي تكون عند الاصنام وقال غيره والمراد بالمشاهد التي شهدها اي التي كان يشهدها شاهد الحلف ونحوها كالضيافات لا انه
يباشرها لا مشاهد استلام الاصنام فانه يرده ما تقدم عن ام ايمن انتهى اي من قولها ان بوانة كان صنما لقريش تعظمه وتعكف عليه يوما
الى الليل في كل سنة الى اخره اي ويرده ايضا ما تقدم من قوله لبحيرا لما حلفه باللات والعزى لا تسالني بهما فاني والله ما ابغضت
شيئا قط بغضهما الا ان مثل اللات والعزى غيرهما من الاصنام في ذلك وما سياتي من قوله لخديجة رضي الله تعالى عنها فوالله
ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيئا قط وما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لما نشات بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر باب
رعيه صلى الله عليه وسلم الغنم قال رعيته بكسر الراء المراد الهيئة انتهى اقول المبين في هذا الباب انما هو فعله صلى الله عليه وسلم

الذي هو رعيه للغنم لا بيان هيئة رعيه الغنم ورعيه بفتح الراء لا بكسرها والله اعلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال له اصحابه وانت يا رسول الله قال وانا رعيتها لاهل مكة
بالقراريط اي وهي اجزاء من الدراهم والدنانير يشترى بها الحوايج الحقيرة قال سويد بن سعيد يعني كل شاة بقيراط وقيل القراريط
موضع بمكة فقد قال ابرهيم الحربي قراريط موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة اي والذهب قال وايد هذا الثاني بان العرب
لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الفضة والذهب بدليل انه جاء في الصحيح ستفتحون ارضا يذكر فيها القراريط ولانه جاء في
الروايات لاهلي ولا رعى لاهله باجرة اي كما فصله بذلك العادة وايضا جاء في بعض الروايات بدل القراريط باجياد فيدل ذلك
على ان القراريط اسم محل عبر عنه تارة بالقراريط وتارة باجياد ورد بان اهل مكة لا يعرفون بها محلا يقال له القراريط وحينئذ
يكون المراد باهله اهل مكة لا اقاربه التي تقتضي العادة بانه لا يرعى لهم بالاجرة والاضافة تاتي لادنى ملابسة ويدل لذلك ما جاء
في رواية البخاري كنت ارعاها اي الغنم على قراريط لاهل مكة وذكر البخاري ذلك يبعد ان المراد بالقراريط المحل وجعل على بعض
البلاد ورد القول بان العرب لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الدنانير والدراهم اي ويمنع ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
ستفتحون ارضا يذكر فيها القراريط لكثرة الكثرة التعامل بها او ان المراد بالقراريط ما يذكر في المساحة وجمع الحافظ ابن حجر بانه
صلى الله عليه وسلم رعى لاهله اي اقاربه بغير اجرة ولغيرهم باجرة والمراد بقوله اهل مكة اي الشامل لاقاربه ولغيرهم قال
فحمل الخبران ويكون في احد الحديثين الاجرة اي التي هي القراريط وفي الاخر بين المكان اي الذي هو اجياد فلا تنافي في ذلك هذا
كلامه ملخصا وعبارته تقتضي وقوع الامرين منه وهما يتوقف على النقل في ذلك قال ابن الجوزي كان موسى وشعيب ومحمد
صلى الله عليه وسلم رعاة غنم وهذا يرد قول بعضهم لم يرد ابن اسحق رعايته صلى الله عليه وسلم الغنم الا رعايته لها في بني
سعد مع اخيه من الرضاع اي وقد يتوقف في كون قول ابن الجوزي هذا بمجرده يرد قول هذا البعض نعم يرده ما تقدم وما ياتي
في الهدي انه صلى الله عليه وسلم اجر نفسه قبل النبوة في رعيه الغنم ومن حكمة الله تعالى في ذلك ان الرجل اذا استرعى
الغنم التي هي اضعف البهايم سكن قلبه الرافة واللطف قطعا فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب اولا من الحدة الطبيعية
والظلم الغريزي فيكون في اعدل الاحوال وقد وقع الافتخار بين اصحاب الابل واصحاب الغنم اي عند النبي صلى الله عليه وسلم
فاستطال اهل الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعي غنم وبعث داود وهو راعي غنم وبعثت وانا راعي
غنم اهلي باجياد اي وهو جبل باسفل مكة من شعابها ويقال لاجياد بغير همزة ولعل المراد بقوله راعي غنم اي وقد رعى
الغنم وكذا قوله وانا راعي غنم اي رعيت الغنم اذ الاخذ بظاهر الحالية بعيد ولتنظر حكمة الاقتصار على من ذكر من الانبياء مع
قوله السابق ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم وما ياتي عن قوله وما من نبي الا وقد رعاها وقد قال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة
والابل عز لاهلها وقال في الغنم منها معاشنا وصوفها رياشنا ودفوها كساننا وفي رواية سمنها معاش وصوفها رياش
اي وفي الحديث الفخر والخيلاء في اصحاب الابل والسكينة والوقار في اهل الغنم ولعل هذا الاتيان فيما جاء في الامثال قالوا
احمق وفي لفظ اجهل من راعي ضان لما بين لان الضان تنفر من كل شيء فيحتاج راعيها الى جمعها اي وذلك سبب لحمقه
قليل التامل وفي رواية الفخر والخيلاء وفي لفظ والريا في اهل الجبل والوبر لعل فيما تقدم في الباب قبل هذا من السمر دليل
على ذلك اي على رعايته للغنم ايضا وما رواه جابر رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
نجني الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة اي وهو النضيج من ثمر الاراك وفي الحديث عليكم بالاسود من
ثمر الاراك فانه اطيب فاني كنت اجتنيه اذ كنت ارعى الغنم قلنا وكنت ترعى الغنم يا رسول الله قال نعم وما من نبي الا
وقد رعاها انتهى اقول وحينئذ لا ينبغي لاحد عير بعاية الغنم ان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك

ادب لان ذلك كما علمت كمال فى حق الانبياء عليهم الصلوة والسلام دون غيرهم فلا ينبغى الاحتجاج به ويجرى ذلك فى كل ما يكون
كمالا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم دون غيرهم كالامية فى قيل له انت امى فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم اميا يؤيد به والله اعلم
باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار اى بكسر الفا بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة وهو فجار البراض بفتح الباء الموحدة وتشديد
الراء وضاد معجمة من ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حضرته يعنى الحرب المذكورة فى عمومتى ورميت فيه باسهم
ما احب انى لم اكن فعلت وكان له من العمر اربع عشرة سنة اى وهذا الفجار الرابع واما الفجار الاول فكان عمره صلى الله عليه وسلم
حينئذ عشر سنين وسببه اى هذا الفجار الاول ان بدر بن معشر الغفارى كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط
يوما رجله وقال انا اعز العرب فمن زعم انه اعز منى فليضربها بالسيف فوثب رجل فضربه بالسيف على ركبته فندرها اى اسقطها
وازالها وقيل جرحه جرحا يسيرا قال بعضهم وهو الاصح فاقتتلوا وسبب الفجار الثانى ان امراة من بنى عامر كانت جالسة بسوق
عكاظ فاطاف بها شاب من قريش من بنى كنانة فسالها ان تكشف وجهها فابت فجلس خلفها وهى لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة
فلما قامت انكشف دبرها فضحكت الناس منها فنادت المراة يا ال عامر فثاروا بالسلاح ونادى الشاب يا بنى كنانة فاقتتلوا
وقوله فسالها ان تكشف وجهها فابت يدل على ان النساء فى الجاهلية كن يابين كشف وجوههن وسبب الفجار الثالث انه كان لرجل
من بنى عامر دين على رجل من بنى كنانة فلواه به اى مطله فجرت بينهما خصومة فاقتتل الحيان وقد ذكر ان عبد الله بن جدعان تحمل ذلك الدين
فى ماله وكان ذلك سببا لانقضاء الحرب وقيل لم يقاتل صلى الله عليه وسلم فى فجار البراض وعليه اقتصر فى الوفاء اى لم يرم فيه
باسهم بل قال كنت انبل على اعمامى اى ارد عليهم نبل عدوهم اذا رموه وقد يقال لا مخالفة لانه ليس فى هذه العبارة انه لم يرم بنفسه منها
انه كان ينبل ويجوز ان يكون اغلب احواله ذلك اى انه كان ينبل اى يرد النبل فلا ينافى انه رمى فى بعض الاوقات بأسهم اى وفى كلام بعضهم
كان ابو طالب يحضر ايام الفجار اى فجار البراض وكانت اربعة ايام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت
قيس ولعل المراد بقيس هوازن فلا ينافى ما ياتى من الاقتصار على هوازن واذا لم يجئ هوا اى فى يوم من تلك الايام هزمت كنانة فقالوا
لا ابا لك لا تغب عنا ففعل ذكره فى الامتاع وذكر منه انه صلى الله عليه وسلم طعن ابا براء ملاعب الاسنة فى تلك الحروب اى فى
بعض تلك الايام وابو براء هذا كان رئيس بنى قيس وعامل رايتهم فى تلك الحروب والطعن ظاهر فى الرمح فيحمل النبل وظاهر كلامه
انه لم يقاتل غير يعنى الوقتى للاسهم على تقدير صحة تلك الرواية بذلك ولا يبعد ان يكون رميه لم يصب احدا اذ لو اصاب احدا
لنقل لانه مما تتوفر الدواعى على نقله الا ان يقال يجوز ان يكون اصاب مرة لم تذكر فلينا مل قال وسميت الفجار لان العرب
فجرت فيه لانه وقع فى الشهر الحرام انتهى اقول ظاهره حروب الفجار الاربعة اى التى هى فجار البراض وغيرها وظاهر كلامه انه
صلى الله عليه وسلم لم يحضر الا فى الفجار الرابع الذى هو فجار البراض ثم رايت التصريح بذلك فى الوفاء وساذكره وسياتى فى
الباب ما يدل على ذلك اى ان القتال فى ذلك لم يكن فى الشهر الحرام وانما سببه كان فى الشهر الحرام وهو قتل البراض لعروة
الرحال فقد قيل سبب القتال ان عروة الرحال بتشديد الحاء المهملة وكان من هوازن اجار اللطيمة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة
واللطيمة العير التى تحمل الطيب والبز للتجارة اى فان المنذر كان يرسل تلك اللطيمة لتباع فى سوق عكاظ ويشترى له بذلك ادم من
ادم الطائف ويرسل تلك اللطيمة فى جوار رجل من اشراف العرب فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب كان فيهم البراض انا
اجيرها على بنى كنانة يعنى قومه فقال له النعمان ما اريد الا من يجيرها على اهل نجد وتهامة فقال له عروة الرحال انا اجيرها لك
فقال له البراض اتجيرها على كنانة فقال نعم وعلى اهل الشيخ والقيصوم وتال من البراض فخرج عروة الرحال مسافرا وخرج البراض
خلفه يطلب غفلته فلما استغفله وثب عليه فقتله اى فانه شرب الخمر وغنته القيان وسكر ونام وجاء البراض وايقظه فقال
له الرحال ناشدتك الله لا تقتلنى فانها كانت منى زلة وهفوة فلم يلتفت اليه وقتله وذلك فى الشهر الحرام فانى الان كنت

دهم بعكاظ مع هوازن فقال لكنانة ان البراض قد قتل عروة الرحال وهو فى الشهر الحرام فانطلقوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم
الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل دخولهم الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم وعاونت قريش كنانة ولا يخفى ان
فى هذا التصريح بان القتال لم يكن فى الشهر الحرام لانهم اذا كانوا فى الشهر الحرام لا يقاتلون مطلقا اى فلم يبطلوا الحرم تكفهم
عن قتالهم المفادرتهم دخول الحرم وقتالهم فى اليوم الثانى دليل على ان قتالهم لم يكن فى الشهر الحرام ومكث القتال بينهم اربعة ايام
اى كما تقدم اقول قال السهيلى الصواب ستة ايام والله اعلم قال وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض تلك الايام اخرجه
اعمامه معهم اى ويدل له ما تقدم من انه كان اذا حضر غلبت كنانة واذا لم يحضر هزمت وفى بعض تلك الايام وهو اشدها اى
هو اليوم الثالث قيد امية وحرب ابنا امية ابن عبد شمس وابو سفيان بن حرب انفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس اى الاسود
انتهى اى وحرب والد ابى سفيان وامية اخوه ماتا على الكفر وابو سفيان اسلم كما سيأتى ثم تواعدوا العام المقبل بعكاظ فلما
كان العام المقبل جاؤا للوعد اى وكان امر قريش وكنانة الى عبد الله ابن جدعان وقيل كان الى حرب بن امية والد ابى سفيان
لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة ابن اخيه ربيعة ابن عبد شمس يتيما فى حجره فضن اى بخل به حرب واشفق
اى خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر اى يعلم الا وهو على بعير بين الصفين ينادى يا معشر مضر علام تتفانون
فقالت له هوازن ما تدعو اليه قال الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا اى فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر
على هوازن بقتلهم قتلا ذريعا اى وذلك لان انيا فى انهزامهم فى بعض الايام قالوا وكيف قالوا ندفع لكم رهنا منا الى ان نوفى لكم ذلك
قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن انت قال انا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن
اربعين رجلا منهم حكيم بن حزام وهو ابن اخى خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما رات هوازن الرهن فى ايديهم عفوا
عن الدماء والطلوهم وانقضت حرب الفجار وفى رواية وودت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب اوزارها وقد يقال على تقدير صحة هذه
الرواية يراد بوضعها الى ان تمشان ثم يجاب فكان انقضاؤها على يد عتبة بن ربيعة وهو ممن قتل كافرا يوم بدر وهو ابو هند زوج ابى سفيان
ام معاوية رضى الله تعالى عنها وعن زوجها وولدها المذكور وكان يقال لم يسد مملق اى فقير الا عتبة بن ربيعة وابو طالب فانهما سادا
بغير مال اى وفى كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وابو طالب وكان افلس من ابى المزلق وهو رجل من بنى عبد شمس لم يكن يجد قوت
ليلته وكذا ابوه وجده وابو جده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس هذا والذى فى الوفاء الاقتصار على ان حرب الفجار كان مرتين
المرة الاولى كانت المحاربة بينهم ثلاث مرات المرة الاولى سببها قضية الدين ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك المرات واما المرة الثانية فكانت بين هوازن وكنانة وقد حضرها صلى الله عليه وسلم وقد يقال لا خلاف فى المعنى
باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو اشرف حلف فى العرب والحلف فى الاصل اليمين والعهد
سمى العهد حلفا لانهم يحلفون عند عقده وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار كان فى شوال اى وقيل فى شعبان لا فى الشهر الحرام
اى وان كان سببه وهو قتل البراض لعروة الرحال كان فى الشهر الحرام كما تقدم وكون هذا الحلف كان من صرف قريش من
حرب الفجار ظاهره انه كان بعد انقضاء وقيل بعد العزيمة على الموعد من قابل لانه بعد عبثهم من قابل للموعد لم يقع حرب الا
ان يقال اطلق عليه حرب باعتبار انهم كانوا عازمين على المحاربة وهذا الحلف كان فى ذى القعدة واول من دعى اليه الزبير
ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيق ابيه كما تقدم فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو اسد ابن عبد العزى
وكان فى دار عبد الله ابن جدعان التيمى كان بنو تيم بن جوشة كاهل بيت واحد بسو تيم وكان يذبح فى داره كل يوم جزورا
وينادى مناديه من اراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ الفالوذج فيطعم قريشا اى وسبب ذلك انه كان اولا
يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فسمع ان امية ابن ابى الصلت رجل بنى عبد المدان فراى طعامهم لباب البر والشهد فقال امية

ولقد رايت الفاعلين وفعلهم فرايت اكرمهم بنو المديان البيض تلبيك بالشهادة طعامهم لا ما يعللنا بنو جدعان ثم بلغ شعره عبد الله بن
جدعان فارسل الى مصر او الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل مناديه ينادي الا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح
امية ابن ابي الصلت في ابن جدعان قوله أأذكر حاجتي ام قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياء اذا اثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضك
الثناء كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء يباري الريح مكرمة وجودا اذا ما الضب احجره الشتاء وكان عبد الله اذا شرف وسن وانه
من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية اي بعد ان كان بها مغرما وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء
القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم اخبروه بذلك حين صحى فحلف ان لا يشربها ابدا وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان بن
مظعون وقال لا اشرب شيئا يذهب عقلي ويضحك بي من هو ادنى مني ويحملني على ان انكح كريمتي من لا اريد فصنع لهم عبد الله بن
جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة اي الى الابد وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل
المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيمة فقال لا انه لم يقل يوما وفي رواية انه لم يقل ساعة من ليل او نهار رب اغفر لي خطيئتي
يوم الدين رواه مسلم اي لم يكن مسلما لان القول المذكور لا يصدر الا عن مسلم فلا يقال مقتضى الحديث انه لو قال ذلك لنفعه
ما ذكر يوم القيمة مع كونه كافرا لانه ممن ادرك البعثة ولم يؤمن وحينئذ لم يعدل عن الحكمة عن عدوله صلى الله عليه وسلم
الى ذلك عن قوله لانه لم يؤمن لما ولم يكن مسلما اي وكان يكنى ابا زهير وقد قال صلى الله عليه وسلم في اسرى بدر لو كان ابو زهير
او مطعم ابن عدي حيا فاستوهبهم لوهبتهم له ويذكر ان جفنة ابن جدعان كان ياكل منها الراكب على البعير وسيأتي في غزوة بدر انه صلى الله
عليه وسلم ذكر انه ازدحم هو وابو جهل وهما غلامان على مادبة لابن جدعان وانه صلى الله عليه وسلم دفع ابا جهل فوقع على
ركبتيه فجرحت جرحا اثر فيها اي وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان في صكة عمي اي في
الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمي تصغير اعمى على الترخيم رجل من العماليق اوقع بالعدو القتل في مثل ذلك الوقت وقيل
هو رجل من عدوان كان فقيه العرب في الجاهلية فقدم في قوم معتمرا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم في نحو الظهيرة من
اتى مكة في غد في مثل هذا الوقت كان له اجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى اتوا مكة من الغد في وقت الظهيرة ولعل هذا الانجا
قول ابن عباس عجلنا الرواح للسبيل في صكة الاعمى فقيل ما صكة الاعمى قال انه لا يبالي اية ساعة خرج وكان عبد الله بن جدعان في
ابتداء امره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه ابوه وقومه حتى ابغضته عشيرته وطرده ابوه
وحلف لا يأويه ابدا فخرج هائما في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا في جبل فدخل فيه فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما
قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب اليه ورجع عنه فلم يزل كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسكه
بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذي كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك ووجد في ذلك المحل
اموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فاخذ منه ما اخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار
ينقل منه شيئا فشيئا ووجد في ذلك الكنز لوحا من رخام فيه انا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله عشت خمسمائة عام وقطعت
غور الارض باطنها وظاهرها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجي من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى ابيه بالمال
الذي دفعه في جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف وفي رواية
تحالفوا على ان يردوا الفضول على اهلها ولا يغز ظالم مظلوما اي وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما وقيل ان هذا اي رد
الفضول مدرج من بعض الرواة زاد بعضهم على ما بل بحر صوفة وما رسى حراء وثبير مكانهما انتهى اي وهذا المراد بالابد كما تقدم
وكان معهم في ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي بحلف حضرته في دار ابن

جدعان حمر النعم اي الابل واني اغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة اي لا احب الغدر به وان اعطيت حمر الابل في ذلك قال وفي رواية
لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم اي بعوانه ولو دعي به في الاسلام لاجبت اي لو قال قائل من
المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم وفيه ان الاسلام نهى عن فعل ما كان من
دعوى الجاهلية من قولهم يا آل فلان عند الحرب والتعصب واجيب بان هذا استثنى من الدعوة بجائزة وفي اخرى ما شهدت حلفا
لقريش الا حلف المطيبين شهدته مع عمومتي وما احب ان لي به حمر النعم واني كنت نقضته اي لا احب نقضه وان دفع لي حمر الابل
في مقابلة نقضه والمطيبون هم هاشم وزهرة اي بنو زهرة بن كلاب وامية ومخزوم قال البيهقي كذا روي هذا التفسير ان
المطيبين هاشم وزهرة وامية ومخزوم مدرجا ولا ادري من قاله وعبارته في السنن الكبرى لا ادري هذا التفسير من قول
ابي هريرة او من دونه هذا كلامه فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين اي لانه كما تقدم وقع بين بني عبد مناف بن
قصي وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنو زهرة وبنو اسد بن عبد العزى وبنو تيم وبنو الحرث بن فهر وهم المطيبون و
بين بني عمهم عبد الدار بن قصي واحلافهم بنو مخزوم وعدي وجمح ويقال لهم الاحلاف كما تقدم وذلك قبل ان يولد صلى الله عليه وسلم
وحيث لم يدرك حلف المطيبين فيصير المدرج لفظ المطيبين مع تفسيره بمن ذكر لا ان المدرج تفسيره فقط بمن ذكر كما يقتضيه كلام البيهقي
وحينئذ تكون الرواية ما شهدت حلفا لقريش الا حلفا مع عمومتي الى اخره فظن الراوي ان حلف الفضول هو حلف المطيبين
فذكر لفظ المطيبين فذكر لفظ المطيبين وبينهم وقد يقال ذكر ابن اسحق انه لما قام عبد الله بن جدعان هو والزبير ابن عبد المطلب
في الدعوى المتحالف اجابهما بنو هاشم وبنو المطلب وبنو اسد وبنو زهرة وبنو تيم هذا كلامه ولا يخفى ان هؤلاء حلف المطيبين
لانهم العاقدون له فليتامل وسمي بالفضول قيل لما تقدم من انهم تحالفوا على ان يردوا الفضول على اهلها وقيل لانه يشبه
حلفا وقع لثلاثة من جرهم كل واحد يقال له الفضل وعبارة بعضهم لان الداعي اليه كان ثلاثة من اشرافهم اسم كل واحد منهم فضل
وهم الفضل ابن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحرث والضمير في اشرافهم يتبادر رجوعه الى قريش وهؤلاء الثلاثة
تحالفوا على نصرة المظلوم على ظالمه فالفضول جمع الفضل وقيل لانهم اي هؤلاء الذين تحالفوا كانوا اخرجوا فضول اموالهم
للاضياف وقيل لان قريشا قالوا عن هؤلاء الذين تحالفوا لقد دخل هؤلاء في فضول من الامر والسبب في هذا الحلف والحامل عليه
ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان من اهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه
الزبيدي الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدي بن كعب فابوا ان يعينوا على العاص وانتهروه اي الزبيدي فلما راى
الزبيدي الشر رقي على ابي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فقال باعلى صوته يا آل فهر لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائي الدار والنفر ومحرم اشعث لم يقض عمرته يا للرجال بين الحجر والحجر ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر
الغدر والحرام بمعنى الاحرام فقال في ذلك الزبير بن عبد المطلب او مع عبد الله بن جدعان كما تقدم واجتمع اليه من تقدم وقيل
قدم فيه العباس وابو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه شريفا او وضيعا
ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه انتهى اقول ذكر السهيلي ان رجلا من خثعم قدم مكة
معتمرا او حاجا ومعه بنت له من اوضأ العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى
يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسيافهم اي جردوها يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمني
في بنتي فانتزعها مني قهرا فساروا اليه حتى وقفوا على باب داره فخرج اليهم فقالوا له اخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا
عليه فقال افعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا لا والله ولا شخب لقحة اي مقدار زمن ذلك فاخرجها اليهم وفي سيرة الحافظ الدمياطي
انه كان بين الحسين بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما وبين الوليد بن عتبة بن ابي سفيان منازعة في مال يتعلق بالحسين فقال

الحسين للوليد احلف بالله لتنصفني من حقي او لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لأدعون
لحلف الفضول اي لحلف كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على ظالمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير لانه كان اذا
ذاك في المدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضي والله اعلم باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام
ثانيا وذلك مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة اي
على الراجح من اقوال ستة وعليه جمهور العلماء وتلك اقوال ضعيفة لم تشم لها رائحة على ساق وليس له اسم بمكة الا الامين لما
تكامل فيه من خصال الخير كما تقدم وسبب ذلك ان عمه ابا طالب قال له يا ابن اخي انا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان اي القحط والحت
علينا اي اقبلت ودامت سنون منكرة اي شديدة الجدب وليس لنا مادة اي ما يمدنا اي ليس عندنا ما يقومنا ولا تجارة وهذه عير
قومك وتقدم انها الابل التي تحمل الميرة وفي رواية عيرات جمع عير قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث
رجالا من قومك في عيراتها فيتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك
لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لاكره ان تأتي الشام واخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلعلها ترسل الي في ذلك فقال ابو طالب اني اخاف ان تولي غيرك فتطلب علما تريد هذا ثم ارسلت اليه
صلى الله عليه وسلم فقالت انه دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك وانا اعطيك
ضعف ما اعطي رجلا من قومك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقي عمه ابا طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا الرزق
ساقه الله اليك فخرج مع غلامها ميسرة اي يريد الشام وقالت خديجة لميسرة لا تعص له امرا ولا تخالف له رأيا وجعل
عمومته يوصون به اهل العير اي ومن حين سيره صلى الله عليه وسلم اظلته الغمامة فلما قدم صلى الله عليه وسلم الشام
نزل في سوق بصرى تحت ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا اي بالقصر فاطلع الراهب الى ميسرة وكان يعرفه فقال
يا ميسرة من ذا الذي نزل تحت هذه الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من اهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة
قط الا نبي اي ما نحاه الله تعالى عن ان ينزل تحتها غير نبي ثم قال له افي عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه فقال الراهب هو
هو وهو اخر الانبياء ويا ليت اني ادركه حين يؤمر بالخروج اي بالبعث فوعى ذلك ميسرة اي والحمرة كانت في بياض عينيه وهي
الشكلة ومن ثم قيل في صفته صلى الله عليه وسلم اشكل العين وهذه الشكلة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب
القديمة وقد تقدم انه قال في الشرف للنيسابوري فلما راى الراهب الغمامة تظله صلى الله عليه وسلم فزع وقال ما انتم عليه
اي اي شيء انتم عليه قال له ميسرة غلام خديجة فدنا الى النبي صلى الله عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل راسه وقدميه وقال
امنت بك وانا اشهد انك الذي ذكره الله تعالى في التوراة ثم قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها اي العلامات الدالة على
نبوتك المذكورة في الكتب القديمة الا خصلة واحدة فاوضح لي عن كتفك فاوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فاقبل
عليه يقبله ويقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي الذي بشر بك عيسى بن مريم فانه قال
لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة الا النبي الامي الهاشمي صاحب الحوض والشفاعة وصاحب لواء الحمد انتهى اقول قال في النور
ولم ار احدا عد هذا الراهب الذي هو نسطورا في الصحابة كما عد بعضهم فيها بحيرا الراهب وينبغي ان يكون مثله هذا كلامه وقد
قدمنا انه ينبغي ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بانه صلى الله عليه وسلم نبي هذه الامة من اهل الفترة لا من
اهل الاسلام فضلا عن كونه صحابيا لان المسلم من اقر برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها الى اخر ما يأتي
ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر في الاصابة ان بحيرا ممن ذكر في كتب الصحابة غلطا قال لان تعريف الصحابي لا ينطبق عليه
وهو مسلم لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك قال فقولي مسلم يخرج من لقيه مؤمنا به قبل ان يبعث

هكذا

هكذا الرجل يعني بحيرا هذا كلامه ومراده ما ذكرنا وهل نسطورا هذا هو الذي تنسب اليه النسطورية من النصارى فان النصارى
افترقت ثلاث فرق نسطورية قالوا عيسى ابن الله ويعقوبية قالوا عيسى هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية
قالوا عيسى عبد الله ونبيه ثم زاد بعضهم فرقة رابعة وهم اسرائيلية قالوا هو الله وامه والله هذا وفي القاموس النسطورية
بالضم ويفتح امة من النصارى تخالف بقيتهم وهم اصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في ايام المامون وتصرف في الانجيل برايه
وقال ان الله واحد ذو اقانيم ثلاثة وهم بالرومية نسطور كما افترقت اليهود ثلاث فرق فانها افترقت الى قرابية وربانية
وسامرية ولا يخفى ان بقاء تلك الشجرة هذا الزمن الطويل قبل عيسى وبعده الى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم على خلاف العادة
ومر فيه من الانبياء الذين وجدوا بعد عيسى على ما تقدم من النزول تحت تلك الشجرة بعد عيسى الذي دلت عليه الرواية الاولى
والرواية الثانية ممكن وان كانت الشجرة لا تبقى في العادة هذا الزمن الطويل ويبعد في العادة ان تكون شجرة تخلو عن ان ينزل
تحتها احد من الانبياء لان هذا الامر مع كونه ممكنا خارق للعادة والانبياء لهم خوارق العوائد سيما نبينا صلى الله عليه وسلم ويرد
قول السهيلي يريد ما نزل تحت هذه الشجرة الساعة الا نبي ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبي لبعد العهد بالانبياء قبل ذلك وان
كان في لفظ الخبر قط اي كما تقدم فقد تكلم بها على جهة التأكيد للنفي والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى انه
لا ينزل تحتها الا عيسى او غيره من الانبياء ويبعد في العادة ايضا ان تكون شجرة تخلو من ان ينزل تحتها احد حتى يجيء نبي هذا كلامه
وقد يقال يجوز ان تكون تلك الشجرة كانت شجرة زيتون فقد ذكر ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة الاف سنة على انه في بعض
الروايات جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة حتى عودها فلما جلس تحتها اخضرت واثمرت واعشوشبت
ما حولها واينع ثمرها وتدلت اغصانها وترفرفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم المختار عند جمهور المحققين
من اهل السنة ان كل ما جاز وقوعه للانبياء من المعجزات جاز للاولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدي ولان المعجزة يعتبر
فيها التحدي وان تكون بعد النبوة وما قبل النبوة كما هنا يقال له ارهاص وحينئذ لا يستبعد ما ذكر عن الشيخ رسلان انه
كان اذا استند الى شجرة يابسة فتعاد تورق وتخرج ثمرها في الحال على ان سياق الكلام على غزوة الخندق ان كرامات الاولياء
معجزات لانبيائهم ولما راى الراهب ما ذكر لم يلبث الراهب ان نزل من صومعته وقال له باللات والعزى ما اسمك فقال
له اليك عني ثكلتك امك ومع ذلك الراهب رق مكتوب ثم جعل ينظر في ذلك الرق ثم قال هو هو ومنزل التوراة فظن بعض
القوم ان الراهب يريد بالنبي صلى الله عليه وسلم مكرا فانتضى سيفه وصاح يا آل غالب يا آل غالب فاقبل الناس يهرعون
اليه من كل ناحية يقولون ما الذي اعلن فلما نظر الراهب الى ذلك اقبل يسعى الى صومعته فدخلها واغلق عليه بابها ثم
اشرف عليهم فقال يا قوم ما الذي اعلمكم مني فوالذي رفع السموات بغير عمد اني لاجد في هذه الصحيفة ان النازل تحت الشجرة هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبعثه الله بالسيف المسلول وبالذبح الاكبر وهو خاتم النبيين فمن اطاعه نجا ومن عصاه غوى ثم حضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى ولم اقف على تعيين ما باع وما اشتراه وكان بينه و
بين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم احلف باللات والعزى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وخلا به يا ميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه لهو الذي تجده احبارنا
منعوتا في الكتب فوعى ميسرة ذلك اي وقبل ان يصلوا الى بصرى عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اول الركب فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين فوضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا في اول الركب ولهما رغاء قال وفي الشرف انهم
باعوا متاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة اربعين سنة ما راينا ربحا قط اكثر من هذا الربح على وجهك

انتهى واقول لا يخفى ما في قول ميسرة اخبرنا لخديجة اربعين سنة ولعلها مصحفة من سفره او هو على المبالغة والله اعلم ثم انصرف
اهل العير جميعا راجعين وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه صلى الله عليه وسلم من الشمس وهو على بعيره اذا كانت الهاجرة
واشتد الحر وهذا هو المعنى بقول الخصائص الصغرى وخص باظلال الملائكة له في سفره ويحتمل ان المراد في كل سفر سافره لكن
لم اقف على اظلال الملائكة له صلى الله عليه وسلم في غير هذه السفرة وقد القى الله محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قلب ميسرة فكان كانه عبده فلما كانوا بمر الظهران اي وهو واد بين مكة وعسفان وهو الذي تسميه العامة بطن مرو
وهو المعروف الان بوادي فاطمة قال ميسرة للنبي صلى الله عليه وسلم هل لك ان تسبقني الى خديجة فتخبرها بالذي جرى لعلها تزيدك
بكرة الى بكرتك اي تعطيك زيادة بما منح الله تعالى لها على وجهك فركب النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم حتى دخل مكة في ساعة
الظهيرة وخديجة في علية اي غرفة مع نساء فرات رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظلانه
عليه فارته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كانت تربح فسرت
بذلك وقالت اين ميسرة قال خلفته في البادية قالت عجل عليه ليعجل بالاقبال وانما ارادت ان تعلم اهو الذي راته ام غيره
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فراته على الحالة الاولى فاستيقنت انه هو فلما دخل عليها ميسرة
اخبرته بما رات فقال لها ميسرة قد رايت هذا منذ خرجنا من الشام والى ذلك اشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته
بقوله وميسرة قد عاين الملكين اذ ظلالك لما سرت ثاني سفرة واخبرها ميسرة بقول المواهب ستطووا وقول الاخر الذي خالفه
اي استخلفه في البيع وتعب البعيرين وحينئذ اعطت خديجة له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمت له اي ما سمته له ضعف ما كانت
تعطيه لرجل من قومه كما تقدم وقول ميسرة له صلى الله عليه وسلم فيما تقدم لعلها تزيدك بكرة الى بكرتك يدل على انها سمت له بكرتين
وكانت تسمي لغيره بكرة وفي كلام بعضهم وفي الروض الباسم استاجرته صلى الله عليه وسلم على اربع بكرات وفي الجامع الصغير انه
اجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوصين ثم رايت في الامتاع ما يوافق ذلك ونصه واجر صلى الله عليه وسلم نفسه من خديجة سفرتين
بقلوصين السفرة الاولى ارسلته مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة اي وهو مكان بارض اليمن بينه وبين مكة ست ليال كانوا ياتونه
في ثلاثة ايام من اول رجب في كل عام فابتاعا منه بزا ورجعا الى مكة فربحا ربحا حسنا وفي السفرة الثانية ارسلته مع عبدها ميسرة
الى الشام وعليه ان سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى الشام سفرة ثالثة وفي مستدرك الحاكم وصححه واقره الذهبي عن جابر
ان خديجة استاجرته صلى الله عليه وسلم سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء موضع باليمن كل سفرة بقلوص وهي الشابة من الابل وهو
يفيد انه صلى الله عليه وسلم سافر لها ثلاث سفرات كما تقدم ولعل سوق حباشة هو جرش والا لزم ان يكون صلى الله
عليه وسلم سافر لها خمس سفرات اربعة الى اليمن وواحدة الى الشام وما تقدم عن الروض الباسم من انها استاجرته صلى الله
عليه وسلم في سفره الى الشام باربع بكرات لا يناسب ما تقدم عن ميسرة وقد جاء في بعض الروايات ان ابا طالب جاء لخديجة و
قال لها هل لك ان تستاجري محمدا فقد بلغنا انك استاجرت فلانا ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون اربع بكرات فقالت خديجة
لو سالت لبعيد بغيض فعلت فكيف وقد سالت لحبيب قريب ثم لا يخفى ان كون سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة لسوق حباشة
قبل سفره معه الى الشام مخالف لظاهر ما تقدم من قول عمه ابي طالب هذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام فلو جئتها فعرضت
نفسك عليها وقول خديجة ما علمت بشيء من هذا وانما قلنا ظاهر لانه يجوز ان يكون بعد قول ابي طالب وقولها المذكور ارسلته
صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى سوق حباشة لقرب مسافته وقصر مدته ثم ارسلته مع ميسرة الى الشام او كانت خديجة لا
يجوز ان ابا طالب يرضى بسفره الى الشام وانه صلى الله عليه وسلم يوافق على ذلك [illegible] وتقدم انه صلى الله عليه وسلم
من حين سفره اي من مكة صارت الغمامة تظله فان كانت غير الملكين فالغمامة كانت تظله في الذهاب والملكان يظلانه في العود

ولعل

ولعل ذكر ميسرة لخديجة تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم في ذهابه انه لم يغفل لها مثلا ولكن سياق في كلام صاحب الهمزية
ما يدل على ان الملكين هما الغمامة وفيه وقوع رؤية البشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم للملائكة غير جبريل وسياق رؤية جمع
من الصحابة لجبريل وفي المنقذ من الضلال للغزالي ان الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم اي لحصول طهارة نفوسهم وتزكية
قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد اسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله بالكلية علما دائما وعملا مستمرا والله اعلم
قال ولم اقف على اسم الرجل الذي خالفه صلى الله عليه وسلم اي استخلفه وقال الحافظ ابن حجر لم اقف على رواية صحيحة
صريحة فيه بانه اي ميسرة بقي الى البعثة انتهى ثم ان خديجة ذكرت ما راته من الايات وما حدثها به غلامها ميسرة لابن عمها
ورقة بن نوفل وكان نصرانيا اي بعد ان كان يهوديا على ما ياتي قد تتبع الكتب فقال لها ان كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبي
هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي منتظر هذا زمانه اي وكان صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة قبل ان يتجر لخديجة
وكان شريكا للسائب بن ابي السائب صيفي ولما قدم عليه السائب يوم فتح مكة قال له مرحبا يا اخي وشريكي كان لا يداري ولا
يماري اي يخاصم صاحبه ويدل على ان قوله كان لا يداري الى اخره مقوله صلى الله عليه وسلم وقد قال نفعها الله قونا والاصل في الشركة
خبر السائب لبيان بانه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وافتخر بشركته بعد المبعث اي قال كان صلى الله عليه
وسلم شريكي نعم شريك لا يداري ولا يماري ولا يشاري والمشارات المشاحة في الامر واللجاج فيه وهو يدل على ان ذلك كان
من مقول السائب ولا مانع ان يكون كل من النبي صلى الله عليه وسلم والسائب قال في حق الاخر كان لا يداري ولا يماري
وهذا يدفع قول بعضهم اختلفت الروايات في هذا الكلام الذي هو كان خير شريك لا يشاري ولا يماري فمنهم من يجعله من قول
النبي صلى الله عليه وسلم في السائب ومنهم من يجعله من قول السائب في النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان لا يكون مخالفة بين السائب
ابن ابي السائب صيفي وبين السائب بن يزيد لانه يجوز ان يكون صيفي لقبا لوالده واسمه يزيد وفي الاستيعاب وقع اضطراب في هل
كان الشريك ابا السائب او ولده السائب ابن ابي السائب او ولد السائب وهو قيس بن السائب ابن ابي السائب او اخ السائب و
هو عبد الله بن ابي السائب قال وهذا اضطراب لا يثبت به شيء ولا تقوم به حجة والسائب بن السائب من المؤلفة اعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجعرانة من غنائم حنين وبه يرد قول بعضهم ان السائب بن ابي السائب قتل يوم بدر كافرا
ومما يدل على ان الشركة كانت لقيس بن السائب قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية شريكي فكان
خير شريك كان لا يشاريني ولا يماريني ووجه الدلالة انه صلى الله عليه وسلم سمع كان شريكي واقره عليه وذكر في الامتاع
ان حكيم بن حزام اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزا من بز تهامة سوق حباشة ليشتريها بزا في سفر السعادة
انه صلى الله عليه وسلم وقع منه انه باع واشترى الا انه بعد الوحي وقبل الهجرة كان شراؤه اكثر من البيع وبعد الهجرة لم يبع
الا ثلاث مرات واما شراؤه فكثير واجر واستاجر والاستئجار اغلب ووكل وتوكل وكان توكيله اكثر باب تزوجه صلى الله
عليه وسلم بخديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها ابن اسد بن عبد العزى بن قصي فهي تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في قصي
قال الحافظ ابن حجر وهي من اقرب نسائه صلى الله عليه وسلم اليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها الا ام حبيبة
هذا كلامه عن نفيسة بنت منية رضي الله تعالى عنها اي وهي اخت يعلى بن منية وعليه تكون منية هي راجع لمنية لا لنفيسة
قالت كانت خديجة بنت خويلد امراة حازمة اي ضابطة جلدة اي قوية شريفة اي مع ما اراد الله تعالى لها من الكرامات
والخير وهي يومئذ اوسط نساء قريش نسبا واعظمهم شرفا واكثرهم مالا اي واحسنهم جمالا وكانت تدعى في
الجاهلية بالطاهرة وفي الامتاع كان يقال لها سيدة قريش لان الوسط في ذكر النسب من اوصاف المدح والتفضيل يقال فلان
اوسط القبيلة اعرقها في نسبها وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك طلبوها وذكروا لها الاموال فلم تقبل

فارسلتني دسيسا اي خفية الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع في عيرها الى الشام فقلت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج
فقال ما بيدي ما اتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة الا تجيب قال فمن هي قلت خديجة
قال وكيف لي بذلك بكسر الكاف لانه خطاب لنفيسة قلت بلى وانا افعل فذهبت فاخبرتها فارسلت اليه ان ائت ساعة كذا وكذا فارسلت
الى عمها عمرو بن اسد ليزوجها فحضر ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته فزوجه احدهم اي وهو ابو طالب على
ما ياتي وقال نحو خطبته وابن اخي له في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو بن اسد هذا الفحل لا يقدع انفه
اي بالقاف والدال المهملة اي لا يضرب انفه لكونه كريما لان غير الكريم اذا اراد ركوب الناقة يضرب انفه ليرتدع بخلاف الكريم وكون
المزوج لها عمها عمرو بن اسد قال بعضهم هو المجمع عليه وقيل المزوج لها اخوها عمرو بن خويلد وعن الزهري ان المزوج لها ابوها
خويلد بن اسد وكان سكرانا من الخمر فالقت عليه خديجة حلة وهي ثوب فوق ثوب لان الاعلى يحل فوق الاسفل وضمخته بخلوق اي لطخته
بطيب مخلوط بزعفران فلما صحى من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له لانك انكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضيه
وامضاه اي لان خديجة استشعرت من ابيها انه يرغب عن ان يزوجها له فصنعت طعاما وشرابا ودعت اباها ونفرا من قريش فطعموا
وشربوا فلما سكر ابوها قالت له ان محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني اياه فزوجها فخلعته والبسته لان ذلك اي الباس الحلة
وجعل الخلوق به كان عادتهم ان الاب يفعل به ذلك اذا زوج بنته فلما صحى من سكره قال ما هذا قالت له خديجة زوجتني
من محمد بن عبد الله قال انا ازوج يتيم ابي طالب لا لعمري فقالت له خديجة رضي الله تعالى عنها الا تستحي تريد ان تسفه نفسك
عند قريش تخبرهم انك كنت سكرانا فلم تزل به حتى رضي اي وهذا مما يدل على ان شرب الخمر كان عندهم مما يعير به ويدل له ان جماعة حرموها
على انفسهم في الجاهلية منهم من تقدم ومنهم من ياتي وفي رواية انها ارسلت تعرض نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك
وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب
رضي الله تعالى عنه حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فزوجها قال في النور ولعل الثلاثة اي اباها واخاها وعمها
حضروا ذلك فنسب الفعل الى كل واحد منهم هذا كلامه فكون المزوج لها ابوها خويلدا وكونه حضر تزويجها نظر ظاهر لان المحفوظ
عن اهل العلم ان خويلد بن اسد مات قبل حرب الفجار المتقدم ذكرها قال بعضهم وهو الذي نازع تبعا اي حين اراد اخذ الحجر
الاسود الى اليمن فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم راى تبع في منامه ما روعه من ذلك فترك الحجر الاسود مكانه
وعلى كون المزوج له عمه حمزة اقتصر ابن هشام في سيرته فذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقها عشرين بكرة وعبارة
المحب الطبري فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتحل وحضر ابو طالب في
رؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله القصة والله اعلم قال وعن ابن اسحق انها قالت له يا محمد الا تتزوج قال ومن قالت
انا قال ومن لي بك انت ايم قريش وانا يتيم قريش قالت اخطبني الحديث اي وعيبها الملاق اليتيم على البالغ وذلك بحسب ما كان والا فاليتيم
المحتاج والا فالعرف اي الشرعي واللغوي خصه بغير البالغ ممن مات ابوه الحقيقي وعن بعضهم قال مررت انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم على اخت خديجة فنادتني فانصرفت اليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما لصاحبك
هذا من حاجة في تزويج خديجة فاخبرته فقال بلى لعمري فذكرت ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا اصبحنا فغدونا عليهم
فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا خديجة حلة الحديث وفي الامتاع بعد ان ذكر ان السفير بينهما نفيسة بنت منية ذكر انه
قيل كان السفير بينهما غلاما وقيل مولاة مولدة وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون من ذكر كان سفيرا وفي الشرف
ان خديجة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له تعجل الينا بالغداة فلما جاءها ومعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا ابا طالب تدخل على عمي فكلمه يزوجني من ابن اخيك محمد بن عبد الله فقال ابو طالب

يا خديجة لا تستهزئي فقالت هذا صنع الله فقام فذهب وجاء عشرة من قومه الى عمها الحديث وفي رواية ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر
ولا مخالفة لجواز ان يكون المراد ببني هاشم اولئك العشرة وانهم كانوا هم المراد برؤساء مضر في ذلك الوقت وذكر ابو الحسين بن فارس
وغيره ان ابا طالب خطب يومئذ فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر اي اصله
وجعلنا حضنة بيته اي المتكلفين بشانه وسواس حرمه اي القائمين بخدمته وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا حكام الناس
ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان في المال قل فان المال ظل
زائل وامر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل
لها من الصداق ما عاجله واجله اثنتي عشرة اوقية ونشا اي وهو عشرون درهما والاوقية اربعون درهما اي وكانت الاواق
والنش من ذهب كما قال المحب الطبري اي فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي وقيل اصدقها عشرين بكرة اي كما تقدم اقول
لا منافاة لجواز ان تكون البكرات عوضا عن الصداق المذكور وقال بعضهم يجوز ان يكون ابو طالب اصدقها ما ذكر وزاد
صلى الله عليه وسلم من عنده تلك البكرات في صداقها فكان الكل صداقا والله اعلم قال وما قيل ان عليا رضي الله تعالى
عنه ضمن المهر فهو غلط لان عليا لم يكن ولد على جميع الاقوال في مقدار عمره وسيرد قول بعضهم وكون علي ضمن المهر غلط
لان عليا كان صغيرا لم يبلغ سبع سنين اي لانه ولد في الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة فاكثر وسنه صلى الله عليه
وسلم حين تزوج خديجة كان خمسا وعشرين سنة على ما تقدم وزيادة شهرين وعشرة ايام وقيل خمسة عشر يوما على ما ياتي وقيل والذي
ولد في الكعبة حكيم بن حزام قال بعضهم لا مانع من ولادة كلاهما في الكعبة لكن في النور حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره واما
ما روي ان عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء قال في النور وعند ذلك قال عمها عمرو بن اسد هو الفحل لا يقدع انفه وانكحها منه وقيل
قائل ذلك ورقة بن نوفل اي فانه بعد ان خطب ابو طالب بما تقدم خطب ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما
عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا تنكر العرب فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم ورغبنا في الاتصال
بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش اني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر فقال ابو طالب قد
احببت ان يشركك عمها اشهدوا علي يا معشر قريش اني قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد واولم عليها صلى الله عليه
وسلم نحر جزورا وقيل جزورين واطعم الناس وامرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن بالدفوف وفرح ابو طالب فرحا شديدا
وقال الحمد لله الذي اذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم وهي اول وليمة اولمها صلى الله عليه وسلم اقول ولا ينافي هذا ما تقدم
من قوله فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا خديجة حلة لجواز ان يكون كان عند العقد وهذا عند ارادة الدخول ولا ينافي ذلك
ما تقدم من قوله وقد ابتنى بها لان تلك الرواية غير صحيحة ولا ينافي كون المزوج له عمه ابو طالب ما تقدم ان المزوج له عمه حمزة
لجواز ان يكون حضر مع ابي طالب فنسب التزويج اليه ايضا والله اعلم وفي السبعيات ذلك اي في عرض خديجة رضي الله تعالى عنها
نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ايضاح ما اراد الله تعالى بها من الخير ما ذكره ابن اسحق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه في
المسجد فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي وقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي قرب وجوده فايتكن استطاعت ان تكون
فراشا له فلتفعل فحصبنه النساء اي رمينه بالحصباء وقبحنه واغلظن له واغضت خديجة على قوله ووقر ذلك في نفسها فلما اخبرها
ميسرة بما راه من الايات وما راته هي اي وما قاله لها ورقة لما حدثته بما حدثها به ميسرة مما تقدم قالت ان كان ما قاله اليهودي
حقا ما ذاك الا هذا وذكر الفاكهي عن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب فاستاذن ابا طالب
ان يتوجه الى خديجة اي ولعله بعد ان طلبت منه الحضور اليها وذلك قبل ان يتزوجها فاذن له وبعث بعده جارية له يقال لها
نبعة فقال انظري ما تقول له خديجة فخرجت خلفه صلى الله عليه وسلم فلما جاء صلى الله عليه وسلم الى خديجة اخذت بيده

فتمنيها الى صدرها ونحرها ثم قالت بابي وامي والله ما افعل هذا الشيء ولكن ارجو ان تكون انت النبي الذي سيبعث فان
تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادعو الاله الذي سيبعثك لي فقال لها والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندي ما لا اضيعه ابدا
وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابدا فرجعت نفيسة واخبرت ابا طالب بذلك وكان تزويجه صلى الله
عليه وسلم لخديجة رضي الله تعالى عنها بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما وعمره اذ ذاك خمس وعشرون سنة على
ما هو الصحيح الذي عليه الجمهور كما تقدم زاد بعضهم على الخمسة والعشرين سنة شهرين وعشرة ايام وقد اشار الى ما تقدم
صاحب الهمزية بقوله ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء واتاها ان الغمامة والسرح اظلته منهما افياء واحاديث
ان وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبعث حان منه الوفاء فدعته الى الزواج وما احسن ما يبلغ المنى الاذكياء اي وعلمت
خديجة رضي الله تعالى عنها ذات الشرف الطاهر والمال الوافر الظاهر والحسب الفاخر والجمال ان الحياء والزهد والحياء له صلى الله
عليه وسلم سجية وطبيعة واتاها الخبر بان الغمامة ظللته افياء اي ظلالا لها لكون تلك الافياء من الغمامة والشجر وهذا ان هذا
يدل على الملكين هما الغمامة قال بعضهم وتظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تاسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة
واتى خديجة الاحاديث والاخبار من بعض الاحبار بان وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالبعث والارسال الى الخلق قرب
الوفاء منه تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبسبب ذلك خطبته الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه وما احسن بلوغ الاذكياء
ما يتمونه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بنت اربعين سنة قال وقيل خمس واربعين سنة وقيل ثلاثين
وقيل ثمان وعشرين اقول اي وقيل خمس وعشرين وتزوجت قبله صلى الله عليه وسلم رجلين اولهما عتيق بن عابد اي بالباء الموحدة
والمهملة وقيل بالمثناة تحت والمعجمة فولدت له بنتا اسمها هند وهي ام محمد بن صيفي المخزومي وثانيهما ابو هالة واسمه هند فولدت له ولدا
اسمه هالة وولدا اسمه هند ايضا فهو هند بن هند اي وكان يقول انا اكرم الناس ابا واما واخا واختا انا ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه زوج امه واخي خديجة واخو القاسم واخي فاطمة قتل هند هذا مع علي رضي الله تعالى عنه يوم الجمل وفي كلام السهيلي انه مات
بالطاعون بالبصرة وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين الفا فشغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته
واهنداه بن هنداه وا ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق جنازة الا تركت واحتملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما
لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفي المواهب انها كانت تحت ابي هالة اولا ثم كانت تحت عتيق ثانيا وسياتي بقية
ترجمتها رضي الله تعالى عنها في ازواجه صلى الله عليه وسلم باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى لما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة على ما هو الصحيح جاء سيل عظيم من فوق الردم الذي صنعوه لمنع السيل فاخرب اي
دخلها وصدع جدارها بعد توهينها من الحريق الذي اصابها وذلك ان امراة جمرتها فطارت شرارة في ثياب الكعبة فاحرقت
جدرانها فخافوا ان تشدها السيول اي تذهبها بالمرة وقيل بتجمير المراة لها كان في زمن عبد الله بن الزبير ولا مانع من التعدد
وكان ارتفاعها تسعة اذرع من عهد ابراهيم ولم يكن لها سقف اي وكان الناس يلقون الحلي والمتاع كالطيب اي الذي يهدى اليها
في بئر داخلها عند بابها على يمين الداخل منه اعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة كما سياتي في ذلك فاراد شخص في ايام جرهم
ان يسرق من ذلك شيئا فوقع على راسه وانهار البئر عليه فهلك وفي كلام بعضهم فسقط عليه حجر فحبسه في تلك البئر حتى اخرج
منها وانتزع المال منه نبتا مل الجمع وقد يقال على بعد جاز ان يكون هذا الذي تكررت منه السرقة وكان هلاكه في المرة الثانية
فعند ذلك بعث الله حية بيضاء سوداء الراس والذنب راسها كراس الجدي فاسكنها تلك البئر تحفظ تلك الامتعة وكانت
تخرج منها الى ظاهر البيت فتشرق بالعاقا اي تظهر للشمس على جدار الكعبة تبرق لونها وربما التفت عليه ففتحت راسها
عند ذنبها فلا يدنو منها احد الا كشت اي صوتت ونحت فاها معطوف على كشت في حياة الحيوان قال الجوهري كشيش

الافعى صوتها من جلدها الامن منها قريش وخزانة البيت خمسمائة عام لا يقرب بها احد اي لا يقرب بئره وخزانته الا اهلكته
او لعل المراد لو قرب منه احد اهلكته اذ لو اهلكت احدا قرب من تلك البئر لنقل فلم تزل كذلك حتى كان زمن من قريش
ووجد هذا السيل والحريق ارادوا هدمها واعادة بنائها وان يشيدوا بناءها اي يرفعوه ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا
من شاؤوا واجتمعت القبائل من قريش تجمع الحجارة كل قبيلة تجمع على حدة واعدوا لذلك نفقة اي طيبة ليس فيها مهر بغي ولا
بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس اي بعد ان قام ابو وهب عمرو بن عائذ فتناول منها حجرا فوثب من يده حتى رجع الى
موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا الحديث وفي لفظ انه قال لهم لا تدخلوا في
نفقة هذا البيت مهر بغي اي زانية ولا بيع ربا وفي لفظ لا تجعلوا في نفقة هذا البيت شيئا اصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه
رحما ولا انتهكتم فيه ذمة بينكم وبين احد من الناس وابو وهب هذا خال عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريفا
في قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه
ينقلان الحجارة فقال العباس رضي الله تعالى عنه للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك الحجارة اي
كيفية القوم فانهم كانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل النبي صلى الله عليه وسلم فخر الى الارض فطمحت
عيناه الى السماء ونودي عورتك فقال ازاري ازاري اي شدوا علي ازاري فشد عليه وفي رواية سقط فغشي عليه فضمه العباس
الى نفسه وسأله عن شانه فاخبره انه نودي من السماء ان شد عليك ازارك وهذا ابعد مما جاء في رواية قال له العباس اي بعد
ان ستر عورته وسترها يا ابن اخي اجعل ازارك على راسك فقال ما اصابني ما اصابني الا من التعري وفي رواية بينا النبي صلى الله
عليه وسلم يحمل الحجارة من اجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودي يا محمد خمر
عورتك اي غطها فلم ير عريانا اي مكشوف العورة بعد ذلك اي وقد يقال هذا لا يخالف ما تقدم عن العباس لانه يجوز ان يكون
ذلك صدر من العباس حينئذ وغايته انه سمى النمرة ازارا والله قال واستبعد بعض الحفاظ ذلك اي وقوع هذا مع ما تقدم من نهيه
عن ذلك اي الذي تضمنه الامر بالستر عند اصلاح عمه ابي طالب لزمزم قلت هذا لانه صلى الله عليه وسلم اذا نهي عن شيء مرة
لا يعود اليه ثانيا بوجه من الوجوه انتهى اي وقد عاد الى ذلك اقول يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم ان الامر
بستر عورته [illegible] عزيمة بل جواز الترك وفي الثانية علم انه عزيمة لا يقال تقدم من كرامتي على ربي ان احدا لم ير عورتي وتقدم
ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم وفي الخصائص انه صلى الله عليه وسلم لم تر عورته قط ولو رآها احد طمست عيناه
لانه لا يلزم من كشف عورته صلى الله عليه وسلم رؤيتها كما لم يلزم من خصائصه صلى الله عليه وسلم وتربيته و
مجامعته زوجاته كذلك عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما رايت منه صلى الله عليه وسلم والظاهر ان بقية زوجاته
كذلك والله اعلم ثم عمدوا اليها ليهدموها على شفق وحذر اي خوف من ان يمنعهم الله تعالى ما ارادوا اي بان يوقع بهم
البلاء قبل ذلك بينما وقد شاهدوا ما وقع لعمرو بن عائذ قال وعن ابن اسحاق ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه اي خافوا من
انه يحصل لهم بسببه بلاء فقال الوليد بن المغيرة لهم اتريدون بهدمها الاصلاح ام الاساءة قالوا بل نريد الاصلاح قال فان
الله لا يهلك المصلحين قال من الذي يعلوها فيهدمها قال انا اعلوها وانا ابدؤكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها ويقول
اللهم لا ترع اي بالراء والعين المهملتين والضمير في ترع الكعبة اي لا تفزع الكعبة لا نريد الا الخير اي وفي رواية لم نزغ بالنون
والزاي والمعجمة اي لم نمل عن دينك ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها
شيئا ورددناه كما كانت وان لم يصبه شيء هدمنا ما هدم رضي الله ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فهدم
وهدم الناس معه انتهى الهدم بهم الى الاساس اساس ابراهيم صلى الله عليه وسلم افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة اي اسنمة

الابل وفي لفظ كالاسنمة قال السهيلي وهو وهم من بعض النقلة عن ابن اسحق هذا كلامه اي وقد يقال هي كالاسنمة في الخضرة
وكالاسنمة في العظم لا يقال الاسنمة زرق لانا نقول شديد الزرقة يرى اخضر اخذ بعضها ببعض فدخل رجل ممن كان يهدم
عتلة بين حجرين منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنقضت مكة اي تحركت باسرها وابصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر
كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قراه لهم رجل
من يهود فاذا هو انا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفا
لا تزول اخشباها اي جبلاها وهو ابو قبيس وهو جبل مشرف على الصفا وقعيقعان وهو جبل مشرف على مكة وجهه الى ابي قبيس بارك
لاهلها في الماء واللبن ووجدوا في المقام اي محله كتابا اخر مكتوب فيه مكة الله الحرام ياتيها رزقها من ثلاث سبل ووجدوا
كتابا اخر مكتوب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة اي ما يغبط اي ما يحسد ويحمد اهله عليه ومن يزرع شرا يحصد ندامة اي ما
يندم عليه تعملون السيئات وتجزون الحسنات اجل اي نعم كما يجنى من الشوك العنب اي التمر وفي السيرة الهشامية ان ذلك وجد
مكتوبا في حجر في الكعبة وفي كلام بعضهم وجدوا حجرا فيه ثلاثة اسطر الاول انا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر
الى اخره وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي الثالث
انا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه قال ابن المحدث ورايت في مجموع
انه وجد بها حجر مكتوب عليه انا الله ذو بكة مفقر الزناة ومعرى تارك الصلوة ارخصها والاقوات فارغة واغلبها و
الاقوات ملاى اي فارغ محلها وملان محلها هذا كلامه وقد يقال لا مانع ان يكون ذلك حجرا اخر او يكون هو ذلك الحجر وما ذكر
مكتوب في محل اخر منه اي وفي الاصابة عن الاسود بن عبد يغوث عن ابيه انهم وجدوا كتابا اسفل المقام فدعت قريش رجلا
من حمير فقال ان فيه لحرفا لو احدثكموه لقتلتموني قال فظننا ان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فكتمناه وكان البحر قد رمى سفينة
اي ساحل جدة اي الذي بجدة الان وكان ساحل مكة قبل ذلك الذي يرمي به السفن يقال له الشعيبة بضم الشين فلا يخالف قول
غير واحد فلما كانت السفينة بالشعيبة ساحل مكة انكسرت وفي لفظ حبسها الريح وتلك السفينة كانت لرجل من تجار الروم
اسمه باقوم وكان بانيا وقيل كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد سرحها مع باقوم
الى الكنيسة التي احرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها من جدة وقيل من الشعيبة بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمها اي
كسرها فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الى السفينة فابتاعوا اخشابها فاعدوه لسقف الكعبة وقيل هابوا هدمها
من اجل تلك الحية العظيمة فكانوا كلما ارادوا القرب منه اي البيت ليهدموه بدت لهم تلك الحية فاتحة فاها فبينا هي
ذات يوم تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله طائرا اعظم من النسر فاختطفها والقاها في الحجون فالتقمتها
الارض قيل وهي الدابة التي تكلم الناس يوم القيمة وقد جاء ان الدابة تخرج من شعب اجياد وفي حديث ان موسى
عليه الصلوة والسلام سال ربه ان يريه الدابة التي تكلم الناس فاخرجها له من الارض فراى منظرا هاله وافزعه
فقال اي رب ردها فردها فقالت قريش عند ذلك انا لنرجوا ان يكون الله تعالى قد رضي ما اردنا اي بعد ان اجتمعوا
عند المقام وعجوا الى الله تعالى ربنا لن تراع اردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك فاتممه واشغل عنا
هذا الثعبان يعنون الحية والا فما بدا لك فافعل فسمعوا في السماء صوتا ووجبة واذا الطائر المذكور اخذها وذهب بها
الى اجياد فقالوا ماذا كو وقالوا عندنا عامل رفيق وعندنا الخشاب وقد كفانا الله الحية وذلك ان العامل هو باقوم
الرومي الذي كان بالسفينة وكان بانيا كما تقدم فانهم جاؤا به الى مكة او هو باقوم مولى سعيد بن العاص وكان نجارا
وتلك الاخشاب هي التي اشتروها من تلك السفينة التي كسرت اقول ومع اخذ الطائر لتلك الحية يجوز ان يقال

هابوا هدمها حتى قدم عليه الوليد بن المغيرة فلا مخالفة بين ما تقدم عن ابن اسحق وبين هذا الظاهر في انهم هدموها عند
اخذ الطائر لتلك الحية ولم يهابوا هدمها حتى فعل الوليد ما تقدم والله اعلم اي ثم ارادوا بنيانها فتجزاتها قريش اي بعد ان
اشار عليهم بذلك ابو وهب عمرو بن عائذ فقال لهم ان اردتم ان تقتسموا اربعتها ارباعا فكان شق الباب لعبد مناف وزهرة و
كان ما بين الركنين الاسود واليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم ابني عمرو
وكان شق الحجر اي الجانب الذي فيه الحجر الان لبني عبد الدار ولبني اسد ولبني عدي والذي في كلام المقريزي كان لبني عبد مناف
ما بين الحجر الاسود الى ركن الحجر اي وهو شق الباب وصار لاسد وعبد الدار وزهرة الحجر كله اي الجانب الذي فيه الحجر وصار لمخزوم
دبر البيت وصار لسائر قريش ما بين الركن اليماني الى الركن الاسود هذا كلامه فليتامل وفي كلام بعضهم وسمي الركن اليماني باليماني
لانه رجلا من اليمن بناه وكان الباني لها باقوم الرومي الذي كان صحبة السفينة التي كسرت لانه كما تقدم كان بانيا وسياق التفريج
بذلك واما باقوم مولى سعيد بن العاص فتقدم انه كان نجارا الا ان يقال باقوم مولى سعيد كان نجارا بانيا واشتهر بالوصف الاول
فكان الباني لها وفيه ان يحتمل ان يكون باقوم الرومي البنا كان نجارا ايضا واشتهر بالوصف الاول ثم رايت في كلام بعضهم
التصريح بذلك فقال وكان اي باقوم الرومي نجارا بانيا فقول القائل وكان الباني لها باقوم النجار مراده باقوم الرومي لا مولى
سعيد ثم رايت في بعض الروايات ما يؤيد ذلك وهو وصف باقوم الرومي بانه كان نجارا ونصه فخرجت قريش لتاخذ خشبها
اي السفينة التي كسرت فوجدوا الرومي الذي فيها نجارا فقدموا قريش به وبالخشب فقد علمت ان الروايتان على انه كان
موصوفا بالوصفين ويحتمل ان يكون احدهما بناها والاخر عمل سقفها او انهما اشتركا فيهما لما علمت ان كلا منهما كان بانيا
نجارا ثم رايت عن ابن اسحق وكان بمكة قبطي يعرف نجر الخشب وتسويته فوافقهم على ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم
اي الرومي فالقبطي هو مولى سعيد بن العاص وحينئذ يجتمع في هذه الرواية التي تلي هذه انه الذي بناها وهي في الاصابة اسم
الرجل الذي بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا وكانت في سفينة حبستها الريح فخرجت اليها قريش فاخذوا خشبها وقالوا
له ابنها على بنيان الكنائس وان باقوم الرومي اسلم ثم مات فلم يدع وارثا فدفع النبي صلى الله عليه وسلم ميراثه
لسهيل بن عمرو ثم لما بنوها جعلوا مدماكا من خشب الساج ومدماكا من الحجارة من اسفلها الى اعلاها وزادوا فيها تسعة اذرع
فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها من الارض فكان لا يصعد اليها الا في درج وضاقت بهم النفقة عن بنائها
على تلك القواعد فاخرجوا منها الحجر وفي لفظ اخرجوا من عرضها اذرعا من الحجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة انه من الكعبة
ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى اعدوا للقتال فقربوا
ابنا عبد الدار جفنة مملوة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي اي تحالفوا على الموت وادخلوا ايديهم في ذلك الدم في تلك
الجفنة فسموا لعقة الدم وقد تقدم في حلف المطيبين ومكث النزاع بينهم اربع او خمس ليال ثم اجتمعوا في المسجد الحرام
وكان ابو امية بن المغيرة واسمه حذيفة اسن قريش كلها يومئذ اي وهو والد ام سلمة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها
وهو احد اجواد قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود احد بل يكفي كل من سافر
معه الزاد اي وذكر بعضهم ان ازواد الراكب من قريش ثلاثة زمعة بن الاسود بن المطلب بن عبد مناف قتل يوم بدر
كافرا ومسافر بن ابي عمرو بن امية بن المغيرة وهو اشهرهم بذلك وفي كلام بعضهم لا تعرف قريش زاد الراكب الا ابا امية بن
المغيرة وحده ويحتمل ان المراد لا تكاد تعرف قريش غيره بهذا الوصف لشهرته فلا مخالفة وابو امية هذا مات على دينه ولعله
لم يدرك الاسلام فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم اي وهو
من باب بني شيبة كان يقال له في الجاهلية باب بني عبد شمس الذي يقال له الان باب السلام وفي لفظ اول من يدخل من باب الصفا

اي وهو المقابل لما بين الركنين اليماني والاسود ففعلوا او في كلام البلاذري ان الذي اشار على قريش بان يضع الركن اول من يدخل من
باب بني شيبة مهشم بن المغيرة ويكنى اباحذيفة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون اسمه حذيفة ويكنى بابي حذيفة كما يكنى بابي امية
ومهشم لقبه وان الراوي عنه اختلف كلامه فتارة قيل عنه يقضي بينكم وتارة قيل عنه يضع الركن والمشهور الاول ويدل له
ما بان فكان اول داخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد اي لانهم كانوا يتحاكمون
اليه صلى الله عليه وسلم في الجاهلية لانه كان لا يداري ولا يماري فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم
هلم الي ثوبا فاتي به اي وفي رواية فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ازاره وبسطه في الارض اي ويقال كسا ابيض من متاع
الشام ويقال ان ذلك الثوب كان للوليد بن المغيرة فاخذ صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود فوضعه فيه بيده الشريفة ثم قال
لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب اي بزاوية من زواياه ثم ارفعوه جميعا ففعلوا وكان في ربع عبد مناف عتبة
ابن ربيعة وكان في الربع الثاني زمعة وكان في الربع الثالث ابو حذيفة ابن المغيرة وكان في الربع الرابع
قيس ابن عدي حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلى الله عليه وسلم اي ولما مات ابو امية بن المغيرة رثاه ابو طالب
بقصيدة طويلة ورثاه ابو وجيه بقوله الا هلك الماجد الرافد وكل قريش له حامد ومن هو عصمة ايتامنا وغيث
اذا فقد الرافد قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن اي الحجر
ذهب رجل من اهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه وسلم حجرا ليشد به الركن فقال العباس لا وناول العباس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما شد به الركن فغضب النجدي وقال واعجبا لقوم اهل شرف وعقول واموال عمدوا الى رجل اصغرهم
سنا واقلهم مالا فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحوزهم كانهم خدم له اما والله ليفوتنهم سبقا وليقسمن بينهم حظوظا وكاد يثير
شرا بينهم ولعل هذا النجدي هو ابليس فقد ذكر السهيلي ان ابليس تمثل في صورة شيخ نجدي حين حكموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امر الركن من يرفعه وصاح يا معشر قريش ارضيتم ان يلي هذا الغلام دون اشرافكم وذوي اسنانكم انتهى اي وانما تصور
بصورة نجدي لان في الحديث نجد يطلع منها قرن الشيطان حيث قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا قالوا وفي نجدنا
فاعاد الاول فاعادوا الثاني قال هناك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان اقول سياتي انه تصور بهذه الصورة ايضا
عند دخوله دار الندوة ليتشاوروا في كيفية قتله صلى الله عليه وسلم ودخل معهم كما سياتي ثم في حكمة تصوره بتلك ما ذكر ولا
مانع ان يكون حكمة لما هنا ولما بان عادوا الصور التي كانت فيها منها صور الانبياء بانواع الاصباغ ومن جملتها صورة ابراهيم
وفي يده الازلام اي واسمعيل وفي يده الازلام وصورة الملائكة وصورة مريم كما سياتي في فتح مكة وكساها زمعا وهم
احد بنيهم وكانت من الوصائل ولم يكسها احد بعد ذلك حتى كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرات في حجة
الوداع والله اعلم وهذه المرة الرابعة اي من بناء الكعبة بناء على ان اول من بناها الملائكة ففي بعض الاثار ان الله
سبحانه وتعالى قبل ان يخلق السموات والارض كان عرشه على الماء اي العذب فلما اضطرب العرش كتب عليه لا اله
الا الله محمد رسول الله فسكن فلما اراد ان يخلق السموات والارض ارسل الريح على ذلك الماء فتموج فعلا
دخان فخلق من ذلك الدخان السموات ثم ازال ذلك الماء عن موضع الكعبة فيبس وفي لفظ ارسل الماء رياحا هفا
فصفق الريح الماء اي ضرب بعضه بعضا فابرز عنه حشفة الحديث وبسط الله سبحانه وتعالى من ذلك الموضع جميع الارض
طولها والعرض فهي اصل الارض وسرتها وقد يخالف ما في انس الجليل روي عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال
وسط الدنيا بيت المقدس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومعاذ بن جبل انه اقرب الى السماء باثني عشر ميلا ثم بين
ذلك في انس الجليل ولما ماجت الارض وضع عليها الجبال وكان اول جبل وضع عليها ابو قبيس وحينئذ كان ينبغي ان يسمى ابا الجبال

ولا يكون

وان يكون افضلها كما قال الجلال السيوطي اشبها لما الحق لقوله صلى الله عليه وسلم احد يحبنا ونحبه ولما اورد انه على باب
من ابواب الجنة قال ولانه من جملة ارض المدينة التي هي افضل البقاع اي عنده بشعار الجمع ولانه مذكور في القران باسمه في قراءة
من قرا اذ تصعدون ولا تلوون على احد اي بضم الهمزة والحاء المهملة ثم فتق الارض فجعلها سبع ارضين وجا بدا الله خلق الارض
في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن ثم دحى الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين وبهذا يظهر التوفيق
لقول من قال اي لفظة بعد في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بمعنى قبل لان خلق الارض قبل خلق السماء ودحى الارض ثم رايت
بعضهم سال ابن عباس عن ذلك حيث قال له يا امام اختلف علي من القران ايات ثم ذكر منها انه قال قال الله تعالى اينكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين حتى بلغ طائعين ثم قال في الاية الاخرى ام السماء بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فاجاب ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما اما قوله خلق الارض في يومين فان الارض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخان فسواهن سبع سموات في
يومين بعد خلق الارض واما قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا
وجعل فيها بحورا اه ويوجه قول بعضهم خلقت السماء قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فليتامل وقد جاء عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع ارضين في كل ارض نبي كنبيكم وادم كادمكم ونوح كنوحكم وابراهيم
كابراهيمكم وعيسى كعيسكم رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقي اسناده صحيح لكنه شاذ بالمرة اي لانه
لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الحافظ السيوطي ويمكن ان يؤول
على ان المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن انبياء البشر ولا يبعد ان يسمى كل منهم باسم النبي صلى الله عليه وسلم الذي يبلغ عنه هذا
كلامه اي وحينئذ كان لنبينا صلى الله عليه وسلم رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محل فليتامل ولما خاطب الله السموات
والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما حاذاها الذي هو محل البيت المعمور
وعن كعب الاحبار لما اراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل عليه السلام ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها
ونورها فهبط وقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة لها شعاع عظيم وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة قال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض
الا تلك البقعة الطيبة اي وقد ذكر الشيخ ابو العباس المرسي رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه اتعرف يوم يوم يعني يوم الميثاق يا ابا بكر سمعتك تقول حينئذ اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل سئل الشيخ علي الخواص نفعنا الله تعالى ببركاته لم لم تتكلم الانبياء بلسان الباطن الذي تكلم به الصوفية فاجاب بانه
انما لم تتكلم بذلك لاجل عموم خطابهم للامة ولا يعتبر الا ما يناسب الافهام العامة دون فهم الخاصة الا بعض تلويحات ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم للصديق اتعرف يوم يوم فقال نعم يا رسول الله الحديث وتلك الطينة لما تموج الماء رمى بها الى محل تربته
صلى الله عليه وسلم ومدفنه بالمدينة وبهذا يندفع ما يقال مقتضى كون اصل الطينة صلى الله عليه وسلم بمكة ان يكون مدفنه
بها لان تربة الشخص في محل دفنه ثم عجنها بطينة ادم ولعل هذه الطينة هي المعبر عنها بالنور في قوله صلى الله عليه وسلم وقد قال
له جابر يا رسول الله اخبرني عن اول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء فقال يا جابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من
نوره ولم يكن في ذلك الوقت لا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم الحديث وجاء اول ما خلق الله نوري وفي
رواية اول ما خلق الله العقل قال الشيخ علي الخواص ومعناهما واحد لان حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بالعقل الاول
وتارة بالنور فارواح الانبياء والاولياء مستمدة من روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وهذا هو المعنى بقول
بعضهم لما تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم

كلها علوها وسفلها وفيه ان هذا لا يناسبه قوله ولم يكن في ذلك الوقت لا سماء ولا ارض اذ كيف بان ذلك مع قول كعب الاحبار
ان جبريل عليه السلام اتى بالطينة التي هي قلب الارض الخ ومعنى قول ابن عباس اصل طينة رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سرة الارض الا ان يقال ان ذلك النور بعد ايجاده اودع تلك الطينة التي هي قلب الارض وسرتها و
حينئذ لا يخالف ذلك ما جاء ان الله خلق ادم من طين العزة من نور محمد صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم الجنس
العالي لجميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس هذا وقد جاء في حديث بعض رواته متروك الحديث خلق الله
ادم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة وجاء خلق الله ادم من تربة دحنا ومسح ظهره بنعمان الاراك ودحنا محل قريب من
الطائف وتقدم انه يحتاج الى بيان ويكون ادم خلق من نوره وجعل نوره في ظهر ادم ولما خلق الله ادم وقبل نفخ الروح فيه
اخرج ذلك النور من ظهره واخذ عليه العهد الست بربكم فقد خص بذلك عن بقية خلقه من بني ادم فان بني ادم ما
اخرجوا من ظهر ادم واخذ عليهم الميثاق الا بعد نفخ الروح في ادم ونقل بعضهم ان الله تعالى لما اخرج النور اعاده في ظهر ادم امسك
روح عيسى الى ان في وقت خلقه ولا يخفى ان هذا يفيد ان اخذ العهد على الصديق كان بعد نفخ الروح في ادم واخذ العهد
عليه صلى الله عليه وسلم كان سابقا على ذلك وحينئذ فيكون المراد بقول الصديق حينئذ لما قال له صلى الله عليه وسلم
انعرف يوم يوم وقال نعم الى قوله ولقد سمعتك تقول حينئذ اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اي حين اخذ
العهد على بني ادم لا حين اخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كما قد يتبادر وفي الشفاء ثم لما نفخت الروح في ادم صار ذلك النور
فقال ادم يا رب ما بال هؤلاء ينظرون الى ظهري قال ينظرون الى نور محمد خاتم الانبياء والذي اخرجه من ظهرك فسال الله تعالى ان يجعله
في مقدمه لتستقبله الملائكة فجعله الله في جبهته ثم سال الله تعالى ان يجعله في محل يراه فكان في سبابته فلما اهبط ادم الى
الارض انتقل ذلك النور الى ظهره وكان يلمع في جبهته وفي رواية لما انتقل النور الى سبابته قال يا رب هل بقي في ظهري
من ذلك النور شيء قال نعم نور اخصا اصحابه فقال يا رب اجعله في بقية اصابعي فكان نور ابي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر
ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الابهام فلما اكل من الشجرة عاد ذلك النور الى ظهره كذا في بحر العلوم عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ثم انتقل ذلك النور من ادم الى ولده شيث ولما قال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها يعنون بني الجن الذين افسدوا فيها وسفكوا الدماء غضب عليهم وفي لفظ ظنت الملائكة اي علمت بما قالوا
ردا على ربهم وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش وطافوا سبعة اطواف يسترضون ربهم فرضي عليهم وفي لفظ فنظر الله اليهم ونزلت
الرحمة عليهم ففعل ذلك قال لهم ابنوا لي بيتا في الارض يعوذ به من سخطت عليه من بني ادم اي الذي هو الخليفة فيطوفون حوله
كما فعلتم بعرشي فارضى عنهم فبنوا الكعبة وهذه الرواية اختصار بدليل ما نقل وضع الله تحت العرش البيت المعمور على اربع اساطين من زبرجد
يغشاهن ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت لا رضى عنكم ثم قال لهم ابنوا لي بيتا في الارض بمثاله وقدره اي فعلوا او عمره
على تفسير على مثاله فالمراد بالمثال القدر وفي لفظ لما قال تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الاية خافوا
ان يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فامرهم ان يبنوا البيت المعمور
في السماء السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان ذلك اهون عليهم من الطواف بالعرش ثم امرهم ان يبنوا في كل سماء بيتا وفي كل
ارض بيتا قال مجاهد هي اربعة عشر بيتا متقابلة لو سقط بيت منها لسقط على مقابله والبيت المعمور في السابعة وله حرمة كحرمة مكة
في الارض واسم البيت الذي في سماء الدنيا بيت العزة وفي كلام بعضهم في كل سماء بيت تعمره الملائكة بالعبادة كما يعمر اهل الارض
البيت العتيق بالحج في كل عام والاعتمار في كل وقت والطواف اوان ولينظر ما معنى بنا الملائكة للبيوت في السموات واذا لو صح ان
الملائكة بنت الكعبة تكون هذه المرة من بنا قريش هي المرة الثالثة بنا على ان اول من بناها ادم عليه الصلاة والسلام اي وولده

شيث فقد قال بعضهم ما تقدم من الاثر الدال على ان اول من بناها الملائكة لم يصح واحد منهما وكانت قبل ذلك اي وكان
محلها قبل بناء ادم لها خيمة من ياقوتة حمراء انزلت لادم من الجنة اي لها بابان باب من زمرد اخضر شرقي وباب غربي من ذهب منظومان
من در الجنة فكان ادم يطوف بها ويانس اليها وقد حج اليها من الهند ماشيا اربعين حجة ويجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور
ومعنى عنها حمراء قال وذكر ان ادم لما اهبط الى الارض كان رجلاه بها وراسه في لفظ كان راسه يمس السحاب فصلع فاورث ولده الصلع
اي بعض ولده وكان يسمع تسبيح الملائكة ودعاءهم فاستانس بذلك فهابته الملائكة اي صارت تنفر منه فشكى الى الله تعالى فنقص الى
ستين ذراعا بالذراع المتعارف وقيل بذراع ادم فلما فقد اصوات الملائكة حزن وشكى ذلك الى الله تعالى فقال يا ادم اني
قد اهبطت بيتا يطاف به اي يطوف به الملائكة كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي اي كان ذلك اي الطواف بالعرش
والصلوة عنده شان الملائكة اي لا انه ابتداء في ما تقدم انهم بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج اليه اي لتطوف به وتصلي
عنده وهذا البيت هو هذه الخيمة التي انزلت لاجله وقد علمت انه يجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور وقيل اهبط ادم وطوله
ستون ذراعا اي على الصفة التي خلق عليها وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى ادم على صورته وطوله ستون ذراعا
اي اوجده الله تعالى على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشاة احوالا بل خلقه كاملا سويا من اول ما نفخ فيه الروح فالضمير في
صورته يرجع لادم وقيل يرجع الى الحق سبحانه وتعالى المراد على صفته اي حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا حكيما
وقد نقل هذا القول ابن خزيمة وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته خرج على سبب وهو ان النبي صلى الله عليه
وسلم راى رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضرب على وجهه فان الله تعالى خلق ادم على صورته اي صورة هذا الرجل فهي تنقل الحد
ولا يخفى ان هذا خلاف الظاهر ومن ثم عبر بقوله وقيل وتقدم المتقدم من انه اهبط ادم وطوله ستون ذراعا يوافقه ما جاء في الحديث
المرفوع كان طوله ستون ذراعا في سبعة اذرع عرضا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر ان ما روي ان ادم لما اهبط كان رجلاه في الارض
وراسه في السماء فحطه الله تعالى الى ستين ذراعا اي الذي تقدم ظاهر الخبر الصحيح وكان ادم امرد وفي الصحيحين كل من يدخل
الجنة يكون على صورة ادم وقد جاء في صفة اهل الجنة جرد مرد على صورة ادم وفي بعض الاخبار ان ادم لما كثر بكاؤه على فراق
الجنة نبتت لحيته ولم يصح ولم تنبت اللحية الا لولده وكان مهبطه بارض الهند بجبل عال يراه البحريون من مسافة ايام وفيه اثر
قدم ادم مغموس في الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل قدم ادم وذروة
هذا الجبل اقرب ذرى جبال الارض الى السماء ولعل هذا وجه النظر الذي ابداه بعض الحفاظ في قول بعضهم ان بيت المقدس اقرب الارض
الى السماء بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر قيل ونزل معه من ورق الجنة فبثه هناك فمنه كان اصل الطيب بالهند وعن عطا
ابن ابي رباح ان ادم هبط بارض الهند ومعه اربعة اعواد من الجنة فهي هذه التي يتطيب بها الناس وجاء انه نزل بنخلة العجوة ثم لما امر ادم
بالخروج لتلك الخيمة خرج اليها وصار له في خطوة قيل كانت خطوته مسيرة ثلاثة ايام فقد قيل لمجاهد هل كان ادم يركب قال واي شيء كان
يحمله فوالله ان خطوته مسيرة ثلاثة ايام وفيه ان هذا يقتضي ان ادم لم يكن يركب البراق فقول بعضهم ان الانبياء كانت تركب البراق يحمل على بعضهم
لا جميعهم وجعل الله له ما كان في الارض من مخاض او بحر لم يطمع قدمه في شيء من الارض الا صار عمرانا وبين كل خطوة مفازة حتى انتهى
الى مكة فاذا خيمة في موضع الكعبة اي الموضع الذي به الكعبة الان وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة مجوفة اي ولها اربعة
اركان بيض وفيها ثلاث قناديل من ذهب فيها نور يلتهب من نور الجنة لها ما بين السماء والارض كذا في بعض الروايات و
لعل وصف الخيمة بما ذكر لا ينافي ما تقدم انه يجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور ووصف بانه ياقوتة حمراء لان سقفه
كان ياقوتة حمراء لان التعدد بعيد فليتامل ونزل مع تلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة وكان كرسيا
لادم يجلس عليه اي ولعل المراد يجلس عليه في الجنة اقول وهذا السياق يدل على ان ادم اهبط من الجنة الى ارض الهند ابتداء وذكر

فى مثير الغرام عن ابن العباس رضى الله تعالى عنهما ان الله اهبط ادم موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته ثم قال
يا ادم تخط فتخطا فاذا هو بارض فمكث هناك ماشاء الله ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا ادم فاقبل يتخطا فصار موضع كل قدم
قرية وما بين ذلك مفازة حتى قدم مكة الحديث والسياق المذكور ايضا يدل على ان الجنة والحجر الاسود نزلا بعد خروج ادم من الجنة
ويدل لكون الحجر الاسود نزل عليه ما فى مثير الغرام وانزل عليه الحجر الاسود وهو يتلالا كانه لؤلؤة بيضاء فاخذه ادم فضمه اليه
استيناسا به هذا كلامه وفى رواية عنه انزل الركن والمقام مع ادم ليلة نزل ادم من الجنة فلما اصبح راى الركن والمقام فعرفهما
وضمهما اليه وانس بهما فليتامل الجمع وفى رواية ان ادم نزل بتلك الياقوتة اى فعن كعب انزل الله من السماء ياقوتة مجوفة
مع ادم فقال له يا ادم هذا بيتى انزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ويصلى حوله كما يصلى حول عرشى اى على ما تقدم ونزل
معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت اى تلك الياقوتة عليها وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير
صحتهما وقد يقال فى الجمع يجوز ان يكون المعية ليست حقيقية فى الجمع والمراد انه نزل بعده قريبا من نزوله لقرب الزمن عبر بالمعية
فلا ينافى ما تقدم من قوله يا ادم انى قد اهبطت بيتا يطاف به ثم خرج اليه وجاء ان ادم نزل من الجنة ومعه الحجر الاسود متابطه
اى تحت ابطه وهو ياقوتة من يواقيت الجنة ولولا ان الله تعالى طمس ضوءه ما استطاع احد ان ينظر اليه وكون ادم نزل بالحجر الاسود
متابطا له يخالف الرواية المتقدمة انه نزل مع تلك الخيمة التى هى الياقوتة بعد نزوله وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين
على تقدير صحتهما وايضا يحتاج الى الجمع بين ذلك وبين ما روى عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى ان ادم لما امره الله تعالى بالخروج
من الجنة اخذ جوهرة من الجنة او التى هى الحجر الاسود ومسح بها دموعه فلما نزل الى الارض لم يزل يبكى ويستغفر الله تعالى ويمسح دموعه
بتلك الجوهرة حتى اسودت من دموعه ثم لما بنى البيت امره جبريل عليه الصلوة والسلام ان يجعل تلك الجوهرة فى الركن ففعل وفى
بهجة الانوار ان حجر الاسود كان فى الابتداء ملكا صالحا فلما خلق الله تعالى ادم واباح له الجنة كلها الا الشجرة التى نهاه الله
تعالى عنها ثم جعل ذلك الملك موكلا على ادم ان لا ياكل من تلك الشجرة فلما قدر الله تعالى ان ادم ياكل من تلك الشجرة غاب عنه ذلك
الملك فنظر الله الى ذلك الملك بالهيبة فصار جوهرا الا تراه انه جاء فى الاحاديث الحجر الاسود ياتى يوم القيمة وله يد ولسان و
اذن وعين لانه كان فى الابتداء ملكا اقول ويدل لذلك فى ترجمة كلام الشيخ كمال الدين الاصفهانى انه لما جاور بمكة راى الحجر الاسود وقد خرج
من مكانه وصار له يدان ورجلان ووجه ومشى ساعة ثم رجع الى مكانه وقد جاء اكثروا استلام هذا الحجر فانكم توشكون ان تفقدوه بينما
الناس يطوفون به ذات ليلة اذا اصبحوا وقد فقدوه ان الله عز وجل لا يترك شيئا من الجنة فى الارض الا اعاده فيها قبل يوم القيمة
فقد جاء ليس فى الارض من الجنة الا الحجر الاسود والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله تعالى و
جاء استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع وقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة والله اعلم وجاء ان ادم اتى ذلك اى تلك الخيمة التى هى
البيت المعمور على ما تقدم اربعين حجة من الهند ماشيا من ذلك ثلثمائة حجة وسبعمائة عمرة واول حجة حجها جاءه جبريل وهو واقف بعرفة فقال
له يا ادم بر نسكك اما انا قد طفنا بهذا البيت قبل ان تخلق بخمسين الف سنة وفى رواية لما حج ادم استقبلته الملائكة بالردم اى ردم بنى جمح الذى
هو محل المدعى فقالوا بر حجك يا ادم قد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام اقول سيفى تاريخ مكة للازرقى ان ادم عليه السلام حج على رجليه سبعين
حجة ماشيا وان الملائكة لقيته بالمازمين فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام والمازمان موضع بين عرفة ومزدلفة
قال الطبرى وهو مضيق بين جبلين يفضيان الى عرفات والله اعلم بالمراد منهما هذا كلامه وجاء انه وجد الملائكة بذى طوى فقالوا له يا ادم ما زلنا
ننتظرك ههنا منذ الفى سنة وكان بعد ذلك اذا وصل الى المحل المذكور خلع نعليه ويحتاج الجمع بين كون الملائكة استقبلته بالردم
وكونها لقيته بالمازمين وكونه وجدهم بذى طوى وبين كونهم حجوا البيت قبله بالفى عام وبخمسين الف عام و
محل الملائكة خلقوا دفعة واحدة او خلقوا جيلا بعد جيل ومما يدل على انه جيلا بعد جيل ما جاء من نحو من قال سبحانه وبحمده خلق الله

ملكا

ملكا له عينان وجناحان وشفتان ولسان يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها الى يوم القيمة وما جاء ان جبريل عليه السلام فى كل
غداة يدخل بحر النور فينغمس فيه الحديث لكن فى سفر السعادة الحديث المنسوب الى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال يامر الله
جبريل كل غداة ان يدخل بحر النور فيغوص فيه انغماسة ثم يخرج فينفض انتفاضة يخرج منه سبعون الف قطرة يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها
ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شئ ولم يثبت فى هذا المعنى حديث هذا لفظه والله اعلم وعند ذلك قال ادم للملائكة ما كنتم
تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال ادم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله
فكان ادم اذا طاف يقولها وكان طوافه سبعة اسابيع بالليل وخمسة اسابيع بالنهار اى ولما فرغ من الطواف صلى ركعتين
تجاه باب الكعبة ثم اتى الملتزم اى محله فقال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى
فاغفر ذنبى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤالى اى وقول الملائكة قد طفنا بهذا البيت لا يحسن ان يعود الى تلك الخيمة المذكورة المعنية
بقوله تعالى لادم فقد اهبطت بيتا الى اخر ما تقدم او كونها اهبطت مع ادم بل المراد محل ذلك البيت الذى هو الخيمة قبل ان
تنزل ويجوز ان يكون المراد تلك الخيمة بناء على انها البيت المعمور وان الملائكة طافوا بها قبل نزولها الى الارض كما تقدم قال
وعن وهب بن منبه قرات فى كتاب من كتب الاول ليس من ملك بعثه الله الى الارض الا امره بزيارة البيت فينقض من تحت العرش
محرما ملبيا حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت ويصلى فى جوفه ركعتين ثم يصعد اقول يجوز ان يكون المراد باحرامه نية النسك
بالبيت لا احرامه بالعمرة بدليل قوله ثم يطوف سبعا بالبيت الى اخره ويجوز ان يكون المراد بالبيت فى كلام وهب محل تلك
الخيمة او نفس تلك الخيمة بحيث ما يتم من وجد من الملائكة ولا يخفى ان الاول يبعده قوله حتى يستلم الحجر وعلى الثانى يكون
فيه دلالة على ان الحجر الاسود كان فى تلك الخيمة قبل الطوفان بها ثم جاء عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهما ان الله
عز وجل اوحى الى ادم ان اهبط الى الارض ابن لى بيتا ثم احفف به كما رايت الملائكة تحف ببيتى الذى فى السماء وفى رواية
وطف به واذكرنى عنده كما رايت الملائكة تصنع حول عرشى اى على ما تقدم وهذا السياق بظاهره موافق ما تقدم عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما ان هبوط ادم كان من الجنة الى موضع الكعبة ابتداء والله اعلم قال وجاء ان جبريل عليه السلام بعثه الله
تعالى الى ادم وحوى فقال لهما ابنيا اى قال لهما ان الله تعالى يقول لكما ابنيا لى بيتا فخط لهما جبريل فجعل ادم يحفر وحوى تنقل
التراب حتى اجابه الماء ونودى من تحته حسبك يا ادم وفى رواية حتى اذا بلغ الارض السابعة قذفت فيها الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة ثلاثون
رجلا انتهى وفيه انه كان امر ادم ببناء البيت بعد مجيئه الى تلك الخيمة من الهند ماشيا خالف ظاهره ما تقدم عن عطاء وسعيد بن المسيب
اوحى الله الى ادم ان اهبط الى الارض ابن لى بيتا اذ ظاهره انه اوحى اليه بذلك وهو فى الجنة الا ان يقال المراد بالارض فى قوله
اهبط الى الارض ارض الحرم اى اذهب الى ارض الحرم ابن لى بيتا ثم لا يخفى ان قوله فقذفت فيه الملائكة الصخر يقتضى ان القاء الملائكة
للصخر كان بعد حفره ولا يخالف ما تقدم عن كعب انزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع ادم فقال له يا ادم هذا بيتى انزلته معك ونزل معه
الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت عليها فيكون القاء الملائكة للصخر بعد حفر ادم فلما تم ذلك الامر جعل ذلك البيت فوق
تلك الصخور ويكون المراد بقوله ونزل معه الملائكة اى مجيئهم من ارض الحرم الى ارض الهند وجاء فى بعض الروايات ان ادم وحوى
لما اسساه نزل البيت من السماء من ذهب احمر وكليه من الملائكة سبعون الف ملك فوضعوه على اس ادم ونزل الركن فوضع موضعه اليوم
من البيت فطاف به ادم اى كما كان يطوف به قبل ذلك وبهذا يجتمع الروايات وحينئذ لا مانع ان ينسب بناؤه هذا الاس الذى وضعت
الملائكة عليه تلك الخيمة لادم وان ينسب للملائكة اما نسبته للملائكة فواضح واما نسبته لادم فلانه المتسبب فيه
اولانه كان اذا القت الملائكة ولادم يحمل القول بان اول من بنى الكعبة الملائكة والقول بان اول من بنى الكعبة ادم
فليتامل وقد جاء ان ادم بناه من لبنان جبل بالشام ومن طور زيتا جبل من جبال بيت المقدس ومن طور سينا جبل بمصر

والبلبا وفي كلام بعضهم انه جبل بالشام وهو الذي نودي منه موسى عليه الصلوة والسلام ومن الجودي وهو جبل بالجزيرة و
من حرى حتى استوى على وجه الارض اقول وفي رواية بناه من ستة اجبل من ابي قبيس ومن رضوى ومن احد فالمتحصل من
الروايتين انه بناه من ثمانية اجبل ولا مانع من ذلك واستمر ذلك البيت الذي هو الخيمة الى زمن نوح عليه الصلوة والسلام
فلما كان الغرق بعث الله سبعين الف ملك رفعوه الى السماء الرابعة هو البيت المعمور كما في الكشاف وكان رفعه لئلا يصيبه
الماء النجس وبقية قواعده التي هي الاس وفي العرايس ثم طافت السفينة باهلها الارض كلها في ستة اشهر لا تستقر على شيء
حتى اتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا وقد رفع الله تعالى البيت الذي كان بجده ادم صيانة له من الغرق وهو البيت
المعمور اي وكون حوى اسست البيت مع ادم يخالفه ما جاء ان حوى اهبطت بجدة وحرم الله عليها الحرم والنظر الى خيمة
ادم والى شيء من مكة لاجل خطيئتها وانها ارادت ان تدخل مع ادم الى مكة فقال لها اليك عني فانك خرجت من الجنة بسببك
فربما ان احرم هذا فكان ادم اذا اراد يلقاها ليلم بها خرج من الحرم كله حتى يلقاها بالحل وذكر محمد بن جرير ان الله
اهبط ادم على جبل سرنديب بالهند اي وتقدم ما فيه وحوى بجدة بالحاء المهملة وقيل بالجيم فجاء ادم في طلبها فتعارفا
بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك عرفة فاجتمعا بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك جمع وازدلفت اليه في المحل الذي قيل له بسبب ذلك
مزدلفة وهذا يدل على ان جمع غير مزدلفة وهو خلاف المشهور من ان جمع هو مزدلفة الا ان يقال كل من المحلين من جملة البقعة
واطلق كل من الاسمين على جميع تلك البقعة وقيل سمي المحل عرفة لان جبريل عليه الصلوة والسلام لما علم ابرهيم عليه الصلوة والسلام
المناسك وانتهى الى عرفة وقال له اعرفت مناسكك قال نعم فسمي عرفة اي والمراد مناسكه التي قبل عرفة والا فمعظم
المناسك بعد عرفة فليتامل وفي الخصايص الصغرى عن ودين انه دعي ان ادم عليه الصلوة والسلام قال ان الله تعالى
اعطى امة محمد صلى الله عليه وسلم اربع كرامات لم يعطنيها كانت توبتي بمكة واحدهم يتوب في كل مكان الحديث
وهو يدل على ان توبته كانت بسبب طوافه بالبيت وبذكر ان حوى عاشت بعد ادم سنة وجاء ان ادم لما فرغ من بناء
البيت امره الله تعالى بالمسير الى ان يبني بيت المقدس فسار وبناه ونسك فيه وحينئذ لا يشكل قوله صلى الله عليه وسلم وقد
قيل له اي مسجد وضع في الارض اولا المسجد الحرام قيل ثم اي قال بيت المقدس قيل كم كان بينهما قال اربعين سنة وحينئذ لا حاجة
لجواب البلقيني بان المراد المذكورة بين ارضيهما في الدعوى وحيث ارض المسجد الحرام ثم بعد مضي مقدار اربعين سنة وحيث
ارض بيت المقدس وعبارة الامام البلقيني انما اجاب بذلك بناء على ان سيدنا ابرهيم عليه الصلوة والسلام هو الباني
للمسجد الحرام والباني لمسجد بيت المقدس سيدنا سليمان عليه الصلوة والسلام فان بينهما كما قيل اكثر من الف عام وكذا الاشكال
اذا كان الباني للمسجد الحرام ادم والباني لمسجد بيت المقدس احد اولاده كما قيل بذلك ومن ثم اجاب بعضهم بان سليمان
انما كان مجددا لبناء بيت المقدس واما المؤسس له فسيدنا يعقوب بن اسحق بعد بناء جده ابرهيم للمسجد الحرام بالمدة المذكورة واما على ان
الباني لهما ادم فلا اشكال وفي رواية ان اول من بنى الكعبة اي كلها بعد ان رفعت تلك الخيمة بعد موت ادم شيث ولد ادم بناها
بالطين والحجارة اي فهي اولية اضافية ثم لما جاء الطوفان انهدم وبقي محله وقيل انه استمر ولم يبنه احد الى زمن ابرهيم
عليه الصلوة والسلام لما اراد بناء الكعبة جاء جبريل عليه الصلوة والسلام فضرب بجناحيه الارض فابرز عن اس
ثابت على الارض السابعة ثم بناها ابرهيم الخليل عليه الصلوة والسلام على ذلك الاس ويقال له القواعد اي كما تقدم
وهذا الاس كما علمت لادم او للملائكة اولهما وانما قيل له اساس ابرهيم وقواعد ابرهيم لانه بنى على ذلك ولم ينقصه
وتما يدل للتعليل المذكور ما جاء في بعض الروايات عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت درس مكان البيت اي بسبب الطوفان
بدليل ما جاء في رواية فدرس مكان البيت بين نوح وابرهيم عليهما الصلوة والسلام وكان موضعه اكمة حمراء وكان

بانه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض وما دعى عنده احد الا استجيب له وعن عايشة رضي الله تعالى عنها لم يحجه هود ولا صالح
عليهما الصلوة والسلام لتشاغل هود بقومه عاد وتشاغل صالح بقومه ثمود وجاء ان بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين
نبيا وجاء ان حول الكعبة لقبور ثلثمائة نبي وانما بين الركن اليماني الى الركن الاسود لقبور سبعين نبيا وكل نبي من الانبياء اذا كذبه
قومه خرج من بين اظهرهم واتى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وجاء ما بين الركن اليماني والركن الاسود روضة من رياض
الجنة وان قبر هود وشعيب وصالح واسمعيل في تلك البقعة اقول ويوافق ذلك قول بعضهم ان اسمعيل دفن حيال الموضع الذي
فيه الحجر الاسود لكن قد جاء ان قبر اسمعيل في الحجر وذكر المحب الطبري ان البلاطة الخضراء التي بالحجر قبر اسمعيل عليه الصلوة والسلام
وقد يقال لا منافاة بين كون هود وصالح لم يحجا البيت وبين كونهما دفنا في تلك البقعة لانه يجوز ان يكونا ماتا قبل وصولهما الى البيت
لحجي به وادفنا في تلك البقعة على ان بعضهم ضعف كونهما لم يحجا اي ويدل له انه قد جاء حجه هود وصالح ومن امن معهما وفي بعض
الروايات لم يحجه بين نوح وابرهيم احد من الانبياء ويحتاج الى الجمع بينه وبين ما تقدم من ان كل نبي اذا كذبه قومه اتى الى الحرم على
تقدير صحتها وقد يقال لا احتياج الى الجمع الا ان ثبت ان بين نوح وابرهيم احد من الانبياء كذبه قومه على انه لم يكن بين نوح
وابرهيم احد من الانبياء كذبه قومه الا هود وصالح وهو يؤيد القول بانهما لم يحجا وتقدم ضعفه وجاء في حديث مرفوع او وقفه
مرفوع ان نوحا حجت به السفينة لم تجاوز الحرم وهذا لا يناسبه قوله وسعت لان السعي بين الصفا والمروة الا ان يراد
بالسعي نفس الطواف فهو من عطف التفسير وفي انس الجليل ورد حديث شريف ان السفينة طافت ببيت المقدس اسبوعا واستوت
على الجودي او وجاء ان نوحا قال لاهل السفينة وهي تطوف بالبيت العتيق انكم في حرم الله وحول بيته لا يمس احد امراة وجعل
بينهم ابنا حاجزا ويذكر ان ولده حام تعدى ووطئ زوجته فدعى عليه بان يسود الله لون بنيه فاجاب الله دعاه فجاء ولده
كوش اسود وهو ابو السودان وقيل في سبب دعوة نوح وسوادهم غير ذلك وقد بينت ذلك في كتابي اعلام الطراز المنقوش
في فضايل الحبوش والله اعلم وقبر ادم وابرهيم واسحق ويعقوب ويوسف في بيت المقدس اي بعد ان نقل يوسف من مجرى النيل كما سنذكره
قال وقد جاء ان الله سبحانه تعالى اليه ان اتبع السكينة اي وهي ريح لها وجه كوجه الانسان اي وقيل كوجه الهر وجناحان
ولها لسان تكلم به اي وفي الكشاف في تفسير السكينة التي كانت في التابوت الذي هو صندوق التورية قيل هو صورة
من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وعن علي رضي الله تعالى عنه كان لها وجه كوجه الانسان هذا كلام
الكشاف وفي رواية بعث الله ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان وراس في صورة حية فكشفت لابرهيم واسمعيل صلى الله عليهما
وسلم ما حول البيت من اساس البيت الاول وفي رواية ارسل الله سبحانه سحابة فيها راس فقال الراس يا ابرهيم ان ربك يامرك ان
تاخذ بقدر هذه السحابة فجعل ينظر اليها ويخط قدرها ثم قال الراس له قد فعلت قال نعم فارتفعت فليتامل الجمع بين هذه الروايات
وبينها وبين ما تقدم ان جبريل عليه السلام ضرب بجناحيه الارض فابرز عن اس الى اخره وجاء ان السكينة جعلت تسير
وهي ليلة الصرد وهو الطاير المعروف اي فهو طاير فوق العصفور وبعيد العصافير وعندها الان لم يصير اختلفا يصغر لكل
طاير بعيد بلغته فيدعوه الى القرب منه فاذا قرب منه فصد من ساعته واكله ويقال له الصوام لانه ورد انه اول
طير صام عاشورا نقل عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يديه صرد فقال
هذا اول طير صام عاشورا لكن قال الذهبي هو حديث منكر وقال الحاكم حديث باطل ويذكر ان خالد بن الوليد لما
قتل مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في زمنه صلى الله عليه وسلم وقوي امره بعد موته صلى الله عليه وسلم
قال خالد لبعض اصحابه ممن اسلم ما كان يقول لكم مسيلمة من الوحي فقال كان يقول والحمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن ملكنا
العراق والشام وقد سمع نبي الله سليمان الصرد يصوت فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وفي الكشاف ان ذلك حين

الهدهد ولا مانع ان يكون ذلك مباحا وسمع طاوسا يصوت فقال يقول كما تدين تدان وسمع هدهدا يصوت فقال يقول
من لا يرحم ويجمع بينه وبين ما تقدم بانه يجوز ان الهدهد تارة يقول استغفروا الله يا مذنبين وتارة يقول من لا
يرحم لا يرحم وسمع خطافا يصوت فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وسمع ديكا يصوت فقال يقول اذكروا الله يا غافلين
وسمع بلبلا يصوت فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا
وسمع رخمة تصوت فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وقال الحدا تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول
من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شئت اخرك الموت والعقاب يقول في
البعد عن الناس انس وعن سليمان صلوات الله وسلامه عليه ليس من الطيور انصح لبني ادم واشفق عليهم من البومة تقول
اذا وقفت عند خربة اين الذين كانوا يتنعمون بالدنيا ويسعون فيها ويل لبني ادم كيف ينامون وامامهم الشدائد تزودوا
يا غافلين وتهيئوا لسفركم وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فراينا طيرا
اعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتدري ما يقول قلت الله ورسوله اعلم فقال انه يقول اللهم انت
العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت فاقبلت جرادة فدخلت في فيه ثم ضرب بمنقاره الشجرة فقال عليه الصلوة والسلام
اتدري ما يقول قلت لا قال انه يقول من توكل على الله كفاه ويقال لما قال سليمان الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا قال
له الهدهد اذكر يا نبي الله وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان صلوات الله وسلامه عليه ذلك ارتعد فرقا وعفى
عنه اي فان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فلما افتقد سليمان الماء تفقد الهدهد فلم يجده فارسل
خلفه العقاب فراه مقبلا من جهة اليمن فلما راه الهدهد منقضا عليه قال له بحق الذي اقدرك على الا ما رحمتني قيل لابن عباس
يا سبحان الله الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ فقال اذا وقع القضاء عمي البصر وقيل عنى سيدنا سليمان صلى الله
عليه وسلم بالعذاب الشديد الذي يعذب به الهدهد النتف لريشه وبين العنق وقيل بالزامه خدمة اقرانه وقيل صحبة الاضداد
وقد قيل اضيق السجون عشرة الاضداد وقيل الزوجة العجوز قال تعالى عنه علمنا منطق الطير قال بعضهم عبر عن اصواتها بالمنطق
لما يتحصل منها من المعاني التي لو تدرك من النطق فسليمان صلوات الله وسلامه عليه فهم ما سمع من صوت طاير علم بقوته القدسية
الغرض الذي اراده ذلك الطاير وهذا في طاير لم يفصح بالعبارة فنوع من الغربان يفصح بقوله الله حق وعن بعضهم قال
شاهدت غرابا يقرا سورة السجدة واذا وصل الى محل السجود قال سجد لك سوادي وامن بك فؤادي والذرة تنطق
بالعبارة الفصيحة وقد وقع لي اني دخلت منزلا لبعض اصحابنا وفيه درة لم ارها فاذا هي تقول لي مرحبا يا شيخ البكري و
تكرر ذلك فعجبت من فصاحة عبارتها وكان يعرف نطق الحيوان غير الطير فقد جاء ان سليمان عليه الصلوة والسلام
سمع نملة وقد احست بصوت جنود سليمان تقول للنمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
فعند ذلك امر سليمان الريح فوقفت حتى دخل النمل مساكنها ثم جاء سليمان الى تلك النملة وقال لها حذرت النمل ظلمي
قالت اما سمعت قولي وهم لا يشعرون على اني لم ارد حطم النفوس اي هلاكها انما اردت حطم القلوب خشية الله ان
يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح اي فيضمن فقد جاء من هنا حال البهايم كلها وخشاش الارض في التسبيح فاذا انقضى
تسبيحها قبض الله ارواحها ويروى ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى وفي الحديث
الثوب يسبح فاذا اتسخ انقطع تسبيحه وفي رواية ان النملة قالت له انما خشيت ان تنظر الى ما انعم الله به عليك فتكفر
نعم الله عليها فقال لها عظيني قالت هل تدري لم جعل ملكك في خاتمك قال لا قالت اعلمك ان الدنيا لا تساوي
قطعة من حجر ومن عجيب صنع الله تعالى ان النملة تغتذي بشم الطعام لانها لا جوف لها يكون به الطعام ويذكر ان هذه

النملة

النملة التي خاطبت سليمان اهدت له نبقة وضعتها في كفه ويحكى من لطيفة لا اطيل بذكرها وفي فتاوى السيوطي قال الثعالبي
في زهرة الرياض لما قيل لسليمان عليه الصلوة والسلام الملك جاءه جميع الحيوانات يهنئون الا نملة واحدة فاتت بجرادة فعاتبها
النمل في ذلك فقال لها كيف اهنيه وقد علمت ان الله تعالى اذا احب عبدا زهده في الدنيا وحبب له الاخرة وقد شغل سليمان بامر
لا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية اولى من التهنية وجاءه في بعض الايام شراب من الجنة فقيل له ان شربته لم تمت فشاور
جنده فكل اشار بشربه الا القنفذ فانه قال له لا تشربه فان الموت في عز خير من البقاء في سجن الدنيا قال صدقت فاراق الشراب
في البحر قال وصار ابرهيم واسمعيل صلوات الله وسلامه عليهما يتبعان الصرد حتى وصلا الى محل البيت صارت السكينة
سحابة وقالت يا ابرهيم خذ قدر ظلي فابن عليه اي وفي لفظ لما امر ابرهيم ببناء البيت ضاق به ذرعا فارسل اليه السكينة
وهي ريح خجوج ملتوية فجعت بها اثر ابي الحديث فحفر ابرهيم واسمعيل عليهما الصلوة والسلام فابرزا عن اس
ثابت في الارض فبنى ابرهيم واسمعيل يتناولا الحجارة اي التي تاتي بها الملائكة كما سياتي حتى ارتفع البناء وانتهى اقول
يحتمل ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام لما اوحى الله اليه بذلك كان في مكة عند اسمعيل وانهما كانا يجهلان محل البيت و
يحتمل انهما كانا يعرفانها ثم جاء وقد قيل في قوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله الاية اي قايم مقام الامة لانفراده بعبادة
الله تعالى في ارضه لانه لم يكن على وجه الارض من يعبد الله سواه والله اعلم قال ثم لما ارتفع البناء جاء بالمقام اي وهو
الحجر المعروف فقام عليه وهو يبني وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وصار كلما ارتفع البناء ارتفع به
المقام في الهوى فاثر قدم ابرهيم في ذلك الحجر وقيل انما اثر في صخرة اعتمد عليها وهو قائم حين غسلت زوجة اسمعيل له
راسه لان سارة كانت اخذت عليه عهدا حين استاذنها في الذهاب الى مكة لينظر كيف حال اسمعيل وهاجر فحلف لها
انه لا ينزل عن دابته اي التي هي البراق ولا يزيد على السلام واستودع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد
على الصخرة ابقى الله فيها اثر قدمه اية وفيه كيف يعتمد بقدمه على الصخرة وهو راكب دابته الا ان يقال لما سال بشقه اعتمد
عليها باحدى رجليه مع ركوبه وهذا يدل على ان الموجود في المقام اثر قدميه لا قدمه وتوقفه عليه في حال البناء يدل على ان الحجر
فيه اثر قدميه فليتأمل وجعل ارتفاع البيت تسعة اذرع قيل وعرضه ثلاثين ذراعا قال بعضهم وهو خلاف المعروف
ولم يجعل له سقفا ولا ابنا يدروا وانما رصه رصا وجعل له بابا اي منفذا بالارض غير مرتفع عنها ولم ينصب عليه بابا اي يقفل وانما جعل
تبع الحميري بعد ذلك وحفر له بئرا داخله عند بابه اي على يمين الداخل منه يلقى فيها ما يهدى اليه وكان يقال له خزانة الكعبة
كما تقدم ولما اراد ان يجعل حجرا يجعله علما للناس اي يبتدئون الطواف منه ويختمون به ذهب اسمعيل عليه الصلوة والسلام
الى الوادي يطلب حجرا فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام بالحجر الاسود يتلالا نورا اي وكان نوره يضيء الى منتهى انصاب الحرم
من كل ناحية وفي الكشاف انه اسود لمس الحيض في الجاهلية وتقدم انه اسود من مسح ادم به دموعه وجاء ان خطايا
بني ادم سودته وانما شدة سواده فبسبب انه اثر الحريق اولا في زمن قريش وثانيا في زمن عبد الله ابن الزبير وقد كان
رفع الى السماء حتى غرقت الارض زمن نوح بناء على انه كان موجودا في تلك الخيمة كما تقدم وفي رواية ان ابرهيم لما
قال لاسمعيل يا بني اطلب لي حجرا حسنا اضعه ههنا قال يا ابت اني كسلان تعب اي تعب قال علي بذلك فانطلق وجاء جبريل
عليه السلام بالحجر من الهند وهو الحجر الذي خرج به ادم من الجنة اي كما تقدم فوضعه ابرهيم موضعه وقيل وضعه جبريل
وبنى عليه ابرهيم وجاء اسمعيل بحجر من الوادي فوجد ابرهيم قد وضع ذلك الحجر اي وبنى عليه فقال من اين هذا الحجر من
جاءك به قال ابرهيم عليه الصلوة والسلام من لا يكلني اليك ولا الى حجرك اي وفي لفظ جاءني به من هو انشط منك
وفي لفظ ان اسمعيل جاء بحجر من الجبل قال غير هذا فرده مرارا لا يرضى ما ياتيه به وجاء ان الله تعالى استودع الحجر ابا قبيس

حين اغرق الله الارض زمن نوح عليه الصلوة والسلام وقال اذا رايت خليلي يبني بيتي فاخرجه له فلما انتهى ابرهيم عليه الصلوة
والسلام لمحل الحجر نادى ابو قبيس ابرهيم فقال يا ابرهيم هذا الركن فجاء فحفر عنه فجعله في البيت وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه
اقول وفي لفظ قال يا ابرهيم يا خليل الرحمن ان لك عندي وديعة فخذها فاذا هو بحجر ابيض من يواقيت الجنة ومن ثم كان ابو قبيس
يسمى في الجاهلية الامين لحفظه ما استودع ويسمى ابا قبيس باسم رجل من جرهم اسمه قبيس هلك فيه وقيل باسم رجل من مذحج
بنى فيه فقال له ابو قبيس وقيل لان ابا قبيس هذا الحجر الاسود فسمي بذلك ويحتاج الى الجمع بين ما ذكر على تقدير صحته وما ذكر
من ان جد الياس احد اجداده صلى الله عليه وسلم انه اول من وضع الركن اي الحجر الاسود حين غرق البيت وانهدم
زمن نوح فكان اول من سقط عليه اي اول من علم به موضعه في زوايا البيت فليتامل ذلك والله اعلم اي وعن عبد الله
بن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال عند المقام اشهد بالله يكررها ثلاثا لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن والمقام
ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان طمسه لاضاء ما بين المشرق والمغرب اي ومن نورهما ولعل طمس
نور الحجر كان بسبب ما تقدم من الخطايا وجاء انهما يبعثان يوم القيمة وهما في العظم مثل ابي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفاء
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لولا ما مسهما من اهل الشرك ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله تعالى وعن جعفر الصادق
رضي الله تعالى عنه لما خلق الله تعالى الخلق قال لبني ادم الست بربكم قالوا بلى فكتب القلم اقرار ادم ثم القم ذلك الكتاب الحجر فهذا
الاستلام له انما هو بيعة اقرارهم الذي كانوا اقروا به قال علي رضي الله تعالى عنه وكان ابي يقول اذا استلم الحجر اللهم امانتي
اديتها وميثاقي وفيت به ليشهد لي عندك بالوفاء وفي كلام السهيلي ان العهد الذي اخذه الله على ذرية ادم حين مسح
ظهره ان لا يشركوا به شيئا كتبه في صك والقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك وقد
جاء الحجر الاسود يمين الله في الارض قال الامام ابن فورك كان ذلك سببا لاشتغالي بعلم الكلام فاني لما سمعت ذلك
سالت فقهاء كنت اختلف اليهم عن معناه فلم يحيروا جوابا فقال لي سل عن ذلك فلانا من المتكلمين فسالته فاجاب بجواب شاف فقلت
لا بد من معرفة هذا العلم فاشتغلت به وهذا الذي قاله السهيلي يروى عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه فعن سيدنا
عمر رضي الله تعالى عنه لما دخل المطاف قام عند الحجر وقال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك فقال له علي رضي الله تعالى عنه بلى يا امير المؤمنين هو يضر وينفع قال له لم قلت
ذلك قال له بكتاب الله قال له واين ذلك من كتاب الله قلت قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم
واشهدهم على انفسهم الاية وكتب ذلك في رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال افتح فاك فالقمه ذلك الرق
وجعله في هذا الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيمة فقال له عمر رضي الله تعالى عنه اعوذ بالله ان اعيش في قوم
لست فيهم يا ابا الحسن وعن قتادة قال لذكر لنا ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام بنى البيت من خمسة اجبل من طور سينا و
طور زيتا ولبنان والجودي وحراء وذكر لنا ان قواعده من حراء ووضعها ادم مع الملائكة اقول تقدم ان تلك القواعد
كانت من جبل لبنان ومن طور سينا ومن طور زيتا ومن الجودي ومن حراء الا ان يقال يجوز ان يكون معظم ذلك
كان من حراء فليتامل وذكر بعضهم انه كان له ركنان وهما اليمانيان اي لما جعله ابرهيم عليه الصلوة والسلام الا
الركنين المذكورين جعلت له قريش حين بنته اربعة اركان وذكر الحافظ ابن حجر ان ذا القرنين الاول وهو المذكور
في القران في قصة موسى عليه الصلوة والسلام وهو اسكندر الرومي قدم مكة فوجد ابرهيم واسمعيل عليهما الصلوة
والسلام يبنيان الكعبة فاستفهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مامودان فقال لهما من يشهد لكما فقامت خمسة اكبش فشهدت
اي قلن نشهد ان ابرهيم واسمعيل عبدان مامودان بالبناء فقال رضيت وسلمت وقال لهما صدقتما وعن ابن عباس

رضي الله

رضي الله تعالى عنهما ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام بمكة واقبل ذو القرنين عليهما فلما كان بالابطح قيل له في هذه البلدة
ابرهيم خليل الرحمن فقال ذو القرنين ما ينبغي لي ان اركب في بلدة فيها ابرهيم خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشى الى ابرهيم عليه
الصلوة والسلام فسلم عليه ابرهيم واعتنقه فكان هو اول من عانق عند السلام قال الفاكهي واظن الاكبش المذكورة اي التي
شهدت احجارا ويحتمل ان تكون غنما ووصف ذو القرنين بالاكبر احترازا من ذي القرنين الاصغر وهو الاسكندر اليوناني
فانه كان قريبا من زمن عيسى عليه الصلوة والسلام وبين عيسى وابرهيم عليهما الصلوة والسلام اكثر من الفي سنة وكان كافرا
والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما فرغ ابرهيم عليه الصلوة والسلام من بناء البيت قال يا رب قد فرغت قال
اذن في الناس بالحج قال اي رب وما يبلغ صوتي قال الله جل ثناؤه اذن وعلي البلاغ قال اي رب كيف اقول قال قل يا ايها
الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم عز وجل فوقف على المقام وارتفع به حتى كان اطول الجبال فنادى و
ادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه شرقا وغربا يمنا وشاما فقال ذلك ثلاثا اي وزويت الارض له يومئذ سهلها و
جبلها وبرها وبحرها وانسها وجنها حتى اسمعهم جميعا فقالوا لبيك اللهم لبيك وبدا بشق اليمن وحينئذ يكون اول اجابة
اهل اليمن وسياق التصريح بذلك في بعض الروايات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان اهل اليمن اكثر اجابة ومن ثم
جاء في الحديث الايمان يمان وقال صلى الله عليه وسلم في حق اهل اليمن يريد اقوام ان يضعوهم ويابى الله الا ان يرفعهم
وروى الطبري باسناده عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب اهل اليمن فقد
احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني وجاء اوحي الى ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه من علم ان [illegible]
وقد ذكر في تفسير قوله تعالى آيات بينات مقام ابرهيم ان هو مقام ابرهيم بما ذكر وقيل له البيت العتيق لانه اعتق من الجبابرة لم يدعه
اي جبار ينسب اليه جبار من الجبابرة الذين كانوا بمكة من العمالقة وجرهم وقال القاضي تبعا للكشاف لانه اعتق من تسلط الجبابرة
فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى واما الحجاج فانما كان قصده اخراج ابن الزبير عنه لما تحصن به دون التسلط عليه
كذا قال بعضهم وعن عبد الله ابن عمر ابن العاص انه قال انما سميت بكة اي بالموحدة لانها تبك اعناق الجبابرة ولم ينظر من
قصده ليهدمه من الجبابرة منذ ابرهيم رايت في المشرق ان ثلاثة عشرة قصدوا هدمه اثنان قتلتهما خزاعة ومنعتهما و
الثالث كان في اول زمان قريش اراد هدمه حسدا على شرف الذكر لقريش به وان يبني عنده بيتا يصرف حاج العرب اليه فلما
قارب مكة اظلمت الارض وابتلي بالهلاك فاقلع عن تلك النية ونوى ان يكسو البيت وينحر عنده فانجلت الظلمة ففعل ذلك وفيه
ان هذا الذي حصلت له الظلمة انما هو تبع الاول فانه لما قدم الى البيت يريد تخريبه ارسلت عليه ريح كتفت منه يديه ورجليه
واصابه وقوم من ظلمة شديدة وفي رواية اصابه داء تمخض منه راسه قيحا وصديدا اي نتن حتى لا يستطيع احد ان يدنو منه فدعا الاطبا
فسالهم عن دائه فهالهم ما راوا منه ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبر لعل الملك هممت بشيء في حق هذا البيت فقال نعم اردت هدمه
فقال له تب الى الله تعالى مما نويت فانه بيت الله وحرمه واحرم بتعظيم حرمته ففعل فبرا من دائه وقيل لانه اول بيت وضع
في الارض وقيل لانه اعتق من الغرق بسبب الطوفان في زمن نوح عليه الصلوة والسلام كذا في الكشاف وغيره و
فيه نظر ظاهر لما تقدم من دثوره بالطوفان ولما ذكر في قصة نوح انه لما بعث الحمامة من السفينة لتاتيه بخبر الارض
وقعت بوادي الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها الا ان يقال ان
معنى اعتق انه لم يذهب بالمرة بل بقي اثره وفي الخميس عن ابن هشام ان ماء الطوفان لم يصل الكعبة ولكن قام
حولها وبقيت هي في هواء السماء اي بناء على ان الكعبة هي الخيمة التي كانت على زمن ادم عليه الصلوة والسلام
وتقدم من الكشاف انها رفعت الى السماء الرابعة وانها البيت المعمور وهذا كما علمت يدل على ان المراد بالكعبة

الخيمة التي كانت لادم وقوله قام حولها يريد انه لم يعلم محل تلك الخيمة ولعله لا ينافيه ما تقدم في قصة نوح فليتأمل وفي رواية
ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام نادى يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج وفي لفظ ان ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم ان
تحجوه فاجيبوا ربكم كرر ذلك ثلاث مرات فاسمع من في اصلاب الرجال وارحام النساء فاجاب من كان سبق في علم الله ان يحج
الى يوم القيمة لبيك اللهم لبيك فليس حاج يحج الى ان تقوم الساعة الا من كان اجاب ابرهيم عليه الصلوة والسلام ومن لبى
تلبية واحدة حج حجة واحدة ومن لبى مرتين حج مرتين وهكذا وفي لفظ لما نادى ابرهيم عليه الصلوة والسلام فما
خلق الله من جبل ولا شجر ولا شيء من المطيعين له الا اجاب لبيك اللهم لبيك اقول لا يخفى انه يحتاج الى الجمع بين هذه
الروايات فيما نادى به ابرهيم عليه الصلوة والسلام ويسأتي ومعلوم ان اجابة غير العقلاء اجابة اجلال وتعظيم ولعل
المراد بالكتب مطلق الطلب لا خصوص الوجوب لانه لم يفرض الحج على هذه الامة الا بعد الهجرة في السنة السادسة وقيل التاسعة
وقيل العاشرة كما سيأتي واما بقية الامم من بعد ابرهيم فلم اقف على وجوب الحج عليها وقد ذكر بعض المتأخرين من اصحابنا
ان الصحيح انه لم يجب الا على هذه الامة واستغرب بعض الخصائص الصغرى وافترض عليهم اي على هذه الامة ما افترض
على الانبياء والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وهو يفيد انه كان واجبا على الانبياء والرسل
وفيه ان الاصل انما وجب حتى بنى بجنبه حتى امته الا ان يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية وقوله وهو الوضوء سيأتي ما في
الوضوء سيأتي والله اعلم اي ثم امر بالمقام فوضع قبلة اي ملصقا بالبيت على يمين الداخل وكان يصلى اليه مستقبل الباب اي
جهة وأول من اخره عن ذلك المحل ووضعه موضعه الآن عمر رضي الله تعالى عنه اي وقد تقدم ذلك عن ابن كثير اقول وقيل ان اول
من وضعه موضعه الآن النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وسيأتي الجمع بين هذين القولين ويأتي ما فيه وذكر الطبري اذا محله
اولا المنخفض اي الذي تسميه العامة المعجنة اي محل عجن الطينة للكعبة وذلك المنخفض هو محل صلاة جبريل عليه الصلوة والسلام به
صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس في اليومين كما سيأتي ونازع في ذلك العز بن جماعة وقال لو كان ذلك لشهر عليه
بالكتابة في الحجرة ورد بان ذلك ليس بلازم والناقل ثقة وهو حجة على من لم ينقل وذكر ابن حجر الهيتمي ان في رواية اخرى
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام صعد ابا قبيس وقيل صعد ثبيرا او اذن وان
اول من اجابه اهل اليمن اي لما تقدم انه بدأ بشق اليمن ولا مانع من تعدد ذلك او وقوعه على تلك الاماكن التي هي المقام
وابو قبيس وثبير ويجوز انه وقع لبعض تلك الاماكن ما لم ينقله في غيره ما تقدم فلا مخالفة بين تلك الروايات فيما نادى
به ابرهيم عليه الصلوة والسلام وجاء انه لما فرغ من دعائه ذهب به فاراه الصفا والمروة وحدود الحرم وامره ان ينصب عليها
الحجارة ففعل وعلمه المناسك اي مع اسمعيل عليهما الصلوة والسلام ففي العرائس خرج جبريل عليه الصلوة والسلام
بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم بات بهما حتى اصبحا فصلى بهما صلوة
الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى زالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من
عرفة فوقف بهما على الموقف الذي يقف عليه الناس الآن فلما غربت الشمس دفع بهما الى مزدلفة فجمع بين الصلاتين
المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلوة الغداة ثم وقف بهما على قزح حتى اذا اسفر افاض بهما
الى منى فاراهما كيف يرمي الجمار ثم امرهما بالذبح واراهما المنحر من منى وامرهما بالحلق ثم افاض بهما الى البيت فليتأمل ذلك
وفيه التصريح بان ابرهيم واسمعيل صليا مع جبريل جماعة الصلوات الخمس وجمعا تقديما بين الظهر والعصر وتأخيرا
بين المغرب والعشاء للنسك وهو خلاف المنقول انه لم تجمع الصلوات الخمس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ففي الخصائص
الصغرى وخص بمجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد وبالعشاء ولم يصلها احد وبالجماعة في الصلوة الا ان يدعى ان المراد

الجمع على جهة المداومة على ذلك لجواز ان يكون ابرهيم واسمعيل عليهما الصلوة والسلام لم يداوما على ذلك وفيه ما لا يخفى
وفي الوفا عن وهب قال اوحى الله الى ادم انا الله ذو مكة اهلها جيرتي وزوارها وفدي وفي كنفي اعمره باهل السماء واهل
الارض يأتونه افواجا شعثا غبرا يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية رجا ويثجون بالبكاء ثجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد
زارني وضافني ووفد الي ونزل بي وحق لي ان اتحفه بكرامتي اجعل ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وثناءه لنبي من
ولدك يقال له ابرهيم ارفع له قواعده واقضي على يديه عمارته وانيط له سقايته واريه حله وحرمه واعلمه مشاعره ثم
يعمره الامم والقرون حتى ينتهي الى نبي من ولدك يقال له محمد خاتم النبيين واجعله من سكانه وولاته وحجابه وسقايته
فمن سأل عني يومئذ فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم المقبلين على ربهم ولما دعا ابرهيم عليه الصلوة والسلام بقوله
تعالى وارزقهم من الثمرات اي بذلك دعا وهو على ثنية كذا بالمدمغ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابرهيم عليه
الصلوة والسلام حين قال فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات كان على الثنية العليا ذكره السهيلي
وعند ذلك نقل له الطائف من فلسطين من ارض الشام اي وببركة دعائه عليه الصلوة والسلام يوجد بمكة الفواكه المختلفة
الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ذكره في الكشاف ثم لما فرغ اي من بناء البيت وحج وطاف بالبيت
لقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه فقال لهم ما تقولون في طوافكم قالوا كنا نقول قبل ابيك ادم سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر فاعلمناه بذلك فقال زيدوا ولا حول ولا قوة الا بالله فقال ابرهيم زيدوا فيها العلي
العلي العظيم فقالت الملائكة ذلك وكان بناء ابرهيم للبيت بعد ما مضى من عمره مائة سنة ثم بناه العمالقة ثم بنته جرهم وقيل
عكسه وقد يتوقف في بناء العمالقة له اما في الاول فلان اول من نزل مكة مع هاجر وولدها اسمعيل جرهم وانهم بعد اسمعيل
بعض ولده كانوا ولاة البيت واما في الثاني فلان ولاية البيت كان لخزاعة بعد جرهم كما تقدم وكيف يبنون البيت ولا ولاية
لهم عليه الا ان يقال لا مانع ان يكونوا حينئذ اهل ثروة بخلاف جرهم وخزاعة ثم رأيت عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان
العمالقة كانوا في عز وكانت لهم اموال كثيرة وان الله سلبهم ذلك لما تظاهروا بالمعاصي وسلط عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا
وهلكوا والذر في النمل كالزنبور في النحل ففي تاريخ مكة للفاكهي ان العمالقة قدموا مكة لما قدم وقد عادوا للاستسقاء بالبيت وقيل
كانوا بعرفة ولما اخرج الله زمزم لاسمعيل بواسطة جبريل عليه السلام ففي ربيع الابرار ان جبريل عليه السلام اخرج ماء زمزم
مرتين مرة لادم ومرة لاسمعيل وعند ذلك تحولوا الى مكة للفاكهي ما يدل على تقدم بناء جرهم على بناء العمالقة ولا يبعد ذلك لاتفاقهم
على ان ولاية العمالقة على مكة كانت قبل ولاية جرهم وعلى انه لم يل مكة بعد جرهم الا خزاعة ولا يخفى عليك ان هذا صريح في ان
العمالقة بنته ولا يقدح ان بناءهم له كان قبل بناء جرهم له والعمالقة من ولد عملاق او عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلوة
والسلام قيل وهو اول من كتب بالعربية وقيل من ولد العيص بن اسحق بن ابرهيم عليهما الصلوة والسلام ثم بناه قصي جده صلى الله
عليه وسلم وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل ثم بنته قريش كما تقدم ثم بناه بعد قريش عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما
اي ويكنى ابا خبيب بضم المعجمة وفتح الباء الموحدة ويكنى بابي خبيب كان حبيبا كان رجلا ابا المدينة من النساء له طويل الصلوة
قليل الكلام اي وعبد الله رضي الله تعالى عنه كان مشابها له في ذلك فكني به هذا وفي كلام ابن الجوزي انه كان لعبد الله
بن الزبير ولد يقال له خبيب حيث قال خبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد مائة سوط فمات
لانه لما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص اربعين رجلا وفي رواية ثلاثين رجلا
وفي رواية اذا بلغ الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ بنو امية اربعين رجلا اتخذوا عباد الله تعالى خولا اي عبيدا
ومال الله دولا ودين الله دغلا وفي رواية بدل دين الله كتاب الله قال ابن كثير وهذا الحديث فيه ذكر بني امية وذكر

الاربعين منقطع ولما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة ان يضرب خبيبا هذا
مائة سوط ففعل ثم برد ماء في جرة وصبه عليه في يوم شات وحبسه فلما اشتد وجعه اخرجه وندم على ما فعل فلما مات
وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل ابشر قال كيف
ابشر وخبيب على الطريق اي عايق لي وذلك من دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت عند معوية ابن ابي سفيان ومعه ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما على السرير فدخل عليه مروان ابن الحكم فكلمه في حاجته وقال اقض حاجتي يا امير المؤمنين فوالله
ان مؤنتي لعظيمة فاني ابو عشرة وعم عشرة واخو عشرة فلما ادبر مروان قال معوية لابن عباس رضي الله تعالى عنهما
اشهد بالله يا ابن عباس اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا
مال الله بينهم دولا وعباد الله تعالى خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين واربعمائة كان هلاكهم
اسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجة فرد مروان ولده عبد الملك الى معوية فكلمه فيها فلما
ادبر عبد الملك قال معوية انشدك الله يا ابن العباس اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال ابو
الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس اللهم نعم فان اربعة من ولده ولوا الخلافة فليتامل هذا فانه ربما يدل على ان عبد الملك
صحابيا الا ان يقال ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفيه كلام ابن كثير هذا الحديث
فيه غرابة ونكارة شديدة هذا وقد رايت عن بعض حواشي الكشاف ان اعداء عبد الله ابن الزبير رضي الله تعالى
عنه هم الذين كانوا يكنونه بابي خبيب لان خبيبا كان من احسن اولاده ويرده قول بعضهم بغلب الشرف كالخبيب لخبيب ابن
عبد الله ابن الزبير واخيه مصعب وذكر ابن الجوزي ايضا ممن ضرب السياط من العلماء سعيد ابن المسيب ضربه عبد الملك ابن
مروان مائة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شات والبس جبة صوف ففعل به ذلك اي كما فعل بخبيب ثم رايت في تاريخ الحافظ
ابن كثير لما عهد عبد الملك لولده الوليد فجاءته وانتهت البيعة الى المدينة امتنع سعيد ان يبايع فضربه نائب المدينة
ستين سوطا والبسه ثيابا من شعر واركبه جملا وطاف به في المدينة ثم اودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك ارسل يعنف والي
المدينة على فعل ذلك ويامره باخراجه من الحبس هذا كلامه وفي كلام البلاذري وكان جابر ابن الاسود عاملا لابن الزبير على المدينة
وهو الذي ضرب سعيد ابن المسيب ستين سوطا ان لم يبايع لابن الزبير هذا كلامه الا ان يقال لا مانع ان يكون سعيد فعل به الامران
لان ولاية ابن الزبير سابقة على ولاية عبد الملك والد الوليد ثم رايت الحافظ ابن كثير صرح بذلك حيث ذكر ان سعيد ابن المسيب
ضرب بالسياط المذكورة فعل به ما تقدم لما امتنع من المبايعة لابن الزبير وفعل به ذلك ايضا لما امتنع من البيعة للوليد وفي
طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله في ترجمة سعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان حيث امتنع من مبايعته
والبسه المسوح ونهى الناس عن مجالسته فكان كل من جلس اليه يقول له قم لا تجالسنا فانهم قد جلدوني ومنعوا الناس عن مجالستي
هذا كلامه الا ان يقال المراد امتنع من قبول مبايعة عبد الملك لولده الوليد فلا تخالف وانما امتنع سعيد بن المسيب عن المبايعة
للوليد لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد فهو شر امتي من فرعون
لقومه وفي رواية هو اضر على امتي من فرعون على قومه زاد في رواية ليسدن به ركن من اركان جهنم وفي لفظ زاوية من
زوايا جهنم فكان الناس يرون انه الوليد ابن عبد الملك قال ابن كثير وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك لا الوليد ابن
عبد الملك الذي هو عمه وكان سعيد بن المسيب اعبر الناس للرؤيا قال له رجل رايت كاني ابول في يدي فقال
تحتك ذات محرم فنظر فاذا بينه وبين امراته رضاع واخذ سعيد التعبير عن اسماء بنت ابي بكر وهي اخذته
من والدها ابي بكر رضي الله تعالى عنهما وعن سعيد اخذ ابن سيرين ذلك وعن ابن سيرين كان ابو بكر اعبر هذه الامة

بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعبر الرؤيا في زمنه صلى الله عليه وسلم وفي مسند الدارمي عن الزهري رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم رؤيا فقصها على ابي بكر فقال رايت كاني استبقت انا وانت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك
الله الى مغفرة ورحمة واعيش بعدك سنتين ونصفا فكان كما عبر فقد عاش بعده صلى الله عليه وسلم سنتين وسبعة اشهر و
قال له رايتني اردفت غنما سودا ثم اردفتها غنما بيضا حتى ما ترى السود فيها فقال ابو بكر يا رسول الله اما الغنم السود فان
العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الاعاجم يسلمون حتى لا ترى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذلك عبرها الملك سحرا وسبب بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان يزيد ابن معوية لما وجه الجيش عشرين الف فارس وسبعة
الاف راجل وامر عليهم مسلم بن عقبة لقتال اهل المدينة لما علم انهم خرجوا عن طاعته اي واظهروا شتمه واعلنوا انه ليس له دين
لانه اشتهر عنه نكاح المحارم وادمان شرب الخمر وترك الصلوة وانه يلعب بالكلاب اي فقد ذكر بعض المؤرخين انه كان
له قرد يحضره مجلس شرابه ويطرح له وسادة ويقبله فيقتله كاسه ولغيره انا نام خشية ثم بعث له وضع لها سرجا من ذهب
يركب عليها ويسابق الخيل في بعض الايام وكان يلبس عليه قباء وقلنسوة من الحرير الاحمر وقد استفتي الكيا الهراسي من اكابر
ائمتنا معاشر الشافعية كان من رؤس الائمة ايام امام الحرمين نظير الغزالي عن يزيد هل هو من الصحابة وهل يجوز لعنه فاجاب
بانه ليس من الصحابة لانه تولد في ايام عمر بن الخطاب وللامام احمد قولان اي في لعنه تلويح وتصريح وكذا الامام مالك و
كذا الامام مالك وكذا لابي حنيفة ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد
بالفهود ومدمن الخمر وشعره في الخمر معلوم هذا كلامه وسئل الغزالي هل من صرح بلعن يزيد يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه
فاجاب بان من لعنه يكون فاسقا عاصيا لانه لا يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم فقد ورد النهي عن ذلك وحرمة المسلم اعظم
من حرمة الكعبة بنص النبي صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح امره بقتل الحسين ولا رضاه بقتله وما لا يصح منه ذلك
لا يجوز ان يظن به ذلك فان اساءة الظن بالمسلم حرام وانا لو نعرف حقيقة الامر وجب احسان الظن به ومع هذا فالقتل ليس
بكفر بل هو معصية واما الترحم عليه فهو جائز بل هو مستحب لانه داخل في المؤمنين في قولنا في كل صلوة اللهم اغفر للمؤمنين
والمؤمنات هذا كلامه وكان على ما افتى به الكيا الهراسي من جواز التصريح بلعنه استاذنا الاعظم الشيخ محمد البكري تبعا لوالده
الاستاذ الشيخ ابي الحسن وقد رايت في كلام بعض اتباع استاذنا المذكور في حق يزيد ما لفظه زاده الله خزيا وضعة وفي كلام ابن
الجوزي اجاز العلماء الورعون لعنه لعنه الله وصنف في اباحة لعنه مصنفا وقال السعد التفتازاني لا اشك في اسلامه بل في
ايمانه فلعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه وعلى هذا يكون مستثنى من عدم جواز لعن الكافر المعين بالشخص ولما
خلعوا اي اهل المدينة بيعة يزيد وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة واخرجوا الى يزيد من المدينة وهو مروان
بن الحكم وبني امية حتى قال بعضهم ما خرجنا عليه حتى خفنا ان نرمى بحجارة من السماء وكانت وقعة الحرة المشهورة التي كاد
تبيد اهل المدينة عن اخرهم قتل فيها الجم الكثير من الصحابة والتابعين وقيل المقتول فيها من الصحابة ثلاثة منهم عبد الله
بن حنظلة ونهبت المدينة وافتض فيها الف عذراء اي ولم تقم الجماعة ولا الاذان في المسجد النبوي مدة المقاتلة وهي ثلاثة
ايام وفي كلام بعضهم وقع من ذلك الجيش الذي جهزه يزيد للمدينة من القتل والفساد العظيم والسبي واباحة المدينة وقتل
من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن التابعين خلق كثير وكانت عدة المقتولين من قريش والانصار ثلاثمائة وستة
رجال ومن قرا القران نحو سبعمائة نفس وفي التنوير لابن دحية وقتل من وجوه المهاجرين والانصار الف وسبعمائة و
من حملة القران سبعمائة وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت بين القبر الشريف والمنبر واختفت
اهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم ولم يرض امير ذلك الجيش من اهل المدينة الا بان يبايعوه

لزيد على انهم حول ای عبيد له ان شا باع وان شا اعتق حتى قال له بعض اهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضرب عنقه وروى البخارى ان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما لما ارجف اهل المدينة بزيد جمع بنيه
ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسول الله وانه والله لا يبلغنى عن احد منكم انه
خلع يدا من طاعته الا كان الفصل بينى وبينه ثم لزم بيته ولزم ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه بيته ايضا فدخل
عليه جمع من الجيش بيته فقالوا له من انت ايها الشيخ فقال انا ابو سعيد الخدرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
قد سمعنا خبرك ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد اخذه الذين دخلوا قبلكم على وما عندى
شى فقالوا كذبت ونتفوا لحيته واما جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه خرج فى يوم من تلك الايام وهو اعمى يمشى فى بعض
ازقة المدينة فصار يعثر فى القتلا ويقول تعس من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل من الجيش من
اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخاف المدينة فقد اخاف
ما بين جنبى فحمل عليه جماعة من الجيش ليقتلوه فاجاره منهم مروان وادخله بيته قال السهيلى رحمه الله وقتل فى ذلك
اليوم من وجوه المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم الف وسبعمائة وقتل من اخلاط الناس عشرة الاف وسبعمائة
وقتل من اخلاط الناس عشرة الاف سوى النساء والصبيان فقد ذكر ان امراة من الانصار دخل عليها رجل من الجيش
وهو ترضع صبيها وقد اخذ ما وجده عندها ثم قال لها هات الذهب والا قتلتك وقتلت ولدك فقالت ويحك ان قتلته فابوه
ابو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا من النسوة اللاتى بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الصبى من
حجرها وثديها فى فمه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه فى الارض فما خرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلا فى الناس قال
السهيلى واحسب هذه المراة جدة للصبى الا انه اذ يبعد فى العادة ان يبايع امراة وتكون يوم الحرة من ترضع او ولدها صغير
الماوقعة الحرة هذه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم نفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف بهذه الحرة وقال يقتل
بهذه الحرة رجال هم خيار امتى بعد صحابى وعن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال لقد وجدت صفة هذه الوقعة فى كتاب يهود بن يعقوب
الذى لم يدخله تبديل وانه يقتل بها رجال صالحون يجيبون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم وهذه الوقعة كانت سنة
ثلاث وستين ويقال كان يزيد اعذر اهل المدينة قبل هذه الوقعة فيما ذكروه وبذل لهم من العطا اضعاف ما يعطى الناس
رغبة فى استمالتهم الى الطاعة وتخذيرهم من الخلاف ولكن يابى الله الا ما اراد وفى التنوير ان الله ابتلى امير هذا الجيش
الذى هو مسلم بن عقبة بعد ثلاثة ايام من اخذه بمرض صار ينبح منه كالكلب الى ان مات وولى امير الجيش بعده الحصين
بن نمير بامر يزيد فانه اوصى مسلم بن عقبة لما ولاه امر الجيش للحصين وهذا الذى وقع من يزيد فيه تصديق لقوله صلى الله
عليه وسلم لا يزال امر امتى قائما بالقسط حتى يثلمه رجل من بنى امية يقال له يزيد وقد جاء عن سعيد بن المسيب رضى الله
تعالى عنه لقد رايتنى ليالى الحرة وما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرى وما ياتى وقت صلاة الا سمعت
الاذان والاقامة من القبر الشريف وما يوثر عن سعيد بن المسيب الدنيا تذل تقبل الى الانذال ومن استغنى بالله
افتقر اليه الناس وممن جملة من خلع يزيد وقتل من الصحابة فى تلك الوقعة معقل بن سنان الاشجعى رضى الله تعالى
عنه وروى عن علقمة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه سئل عن رجل تزوج امراة ولم يسم لها صداقا و
لم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها مثل مهر نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام
معقل بن سنان قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بروع بنت واشق امراة منا مثل ما قضيت ففرح ابن
مسعود وسبب قتال عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما انه امتنع من المبايعة ليزيد ايضا هو والحسين رضى الله

تعالى عنهما لما ارسل اليهما بطلب المبايعة منهما له فامتنعا من ذلك وفرا من المدينة الى مكة ثم لما قتل الحسين رضى الله تعالى عنه اى لان
الحسين ارسل اليه اهل الكوفة ان ياتيهم ليبايعوه فاراد الذهاب اليهم فنهاه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وبين له غدرهم
وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه الحسن رضى الله تعالى عنه ونهاه ابن عمر وابن الزبير رضى الله عنهم فابى الا ان يذهب فبكى ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما وقال واحبيباه وقال له ابن عمر استودعك الله من قتيل فكان اخوه الحسن قال له اياك وسفها الكوفة
ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على اخيه الحسن ولم يبق بمكة الا من
حزن على مسيره وقدم امامه الى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة للحسين اثنى عشر الفا وقيل اكثر من ذلك ولما
شارف الكوفة جهز اليه اميرها من جانب يزيد وهو عبيد الله بن زياد عشرين الف مقاتل وكان اكثرهم ممن بايع له لاجل السحت العاجل
على الخير الاجل فلما وصلوا اليه وراى كثرة الجيش طلب منهم احدى ثلاث اما ان يرجع من حيث جاء او يذهب الى بعض الثغور او يذهب
الى يزيد فيفعل فيه ما اراد فابوا وطلبوا منه نزوله على الحكم بن زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه الى ان اثخنته الجراح فسقط الى
الارض فحزوا راسه وذلك يوم عاشورا احد وستين ووضع ذلك الراس بين يدى عبيد الله بن زياد ولما جا خبر قتل الحسين
رضى الله تعالى عنه قام ابن الزبير رضى الله تعالى عنه فى الناس فعظم قتل الحسين وجعل يظهر عيب يزيد ويذكر شربه الخمر و
غير ذلك ويثبط الناس عن بيعته ويذكر مساوى بنى امية ويطنب فى ذلك ولما بلغ يزيد ذلك اقسم ان لا يوتى به الا مغلولا
فجاء اليه رجل من اهل الشام فى خيل من خيل الشام وتكلم مع ابن الزبير وعظم على ابن الزبير الفتنة وقال لا يستحل الحرم بسببك فان
يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه وقد اقسم ان لا يوتى بك الا مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس فوقه الثياب وتبر قسم امير المومنين
فالصلح خير عاقبة واجمل بك وبه فقال له انظر فى امرى ثم دخل على امه اسما رضى الله تعالى عنهما فقالت يا بنى عش كريما ومت كريما
ولا تمكن بنى امية من نفسك فتلعب بك فامتنع وصار يبايع الناس سرا ثم اظهر المبايعة فاجتمع عليه اهل الحجاز ولحق به من
انهزم من وقعة الحرة فلما جاء الجيش الى مكة حاصر عبد الله ورمى بالمنجنيق منصوبا على ابى قبيس وعلى الاحمر وهما الجبلان
بمكة فاصاب الكعبة من ناره ما احرق ثيابها وسقفها فان الكعبة كانت فى زمن قريش مبنية مدماك من خشب الساج ومدماك من حجارة
كما تقدم وذكر فى المشرق ان الله تعالى بعث عليهم صاعقة بعد العصر فاحرقت المنجنيق واحرقت تحته ثمانية عشر رجلا ثم عملوا منجنيقا
اخر فنصبوه على ابى قبيس ويذكر ان النار لما اصابت الكعبة انت بحيث يسمع انينها كانين المريض اه وهذا من اعلام نبوته صلى الله
عليه وسلم كيف انتم اذا مرج الدين فظهرت الرغبة والرهبة وحرق البيت العتيق وفى المراسيل ان اول يوم تكلم الناس فى القدر ذلك
اليوم فقيل احراق الكعبة من قدر الله وقيل ليس من قدر الله والمتكلم بذلك حينئذ ابو معبد الجهنى وقيل ابو الاسود الدؤلى
وقيل غير ذلك وقوله اول يوم تكلم الناس فى القدر لعل المراد اول يوم اشتهر واستفيض به الكلام من الناس فى القدر فلا ينافى
ما ذكروا ان شيخا قال لعلى رضى الله عنه وهو راجع من صفين يا امير المومنين اخبرنا عن مسيرنا هذا اكان بقضاء الله وقدره فقال نعم
والذى خلق الحبة وبرا النسمة ما وطئنا موطئا ولا قطعنا واديا ولا علونا شرفا الا بقضائه وقدره والتكلم فى القدر ليس من خصايص
هذه الامة فقد تكلمت فيه الامم قبلنا ففى الحديث ما بعث الله نبيا الا فى امته قدرية يشوشون عليه امر امته الا وان الله
تعالى قد لعن القدرية على لسان سبعين نبيا وقد جاء فى ذم القدرية زيادة على ما تقدم منها القدرية مجوس هذه الامة
ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وجاء اتقوا القدرية فانه شعبة من النصرانية وجاء اخاف على
امتى التكذيب بالقدر وانما كانت القدرية تقول بان الخير من الله والشر من العبد وهولا الطائفة اشبه بالمجوس
القائلين بالاصلين النور والظلمة وان الخير من النور والشر من الظلمة وهم المانوية وانما كان القدر شعبة من
النصرانية لان اكثر القدرية على انه ليس من افعال العبد من خير وشر شيا عن اقدار الله تعالى له على ذلك بل

هو ناشئ عن تقدير العبد واختياره فقد اثبتوا الله تعالى شريكا كما ان الفارسي اثبتوا الشريك لله تعالى فهذه الفرقة من القدرية اشبهت الفارسي فكان القدر شعبة من النصرانية بعد الاعتبار وقد اوضحت ذلك في تعليقي المسمى بالمصباح المنير على الجامع الصغير وفيه اخر الكلام في القدر لشرار امتي في اخر الزمان فان الحق اسناد الفعل الى الله تعالى ايجادا وللعبد اكتسابا وقيل ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه للكعبة ان امراة بخرتها فطارت شرارات فعلقت ثيابها فحصل ذلك ولا مانع من التعدد وقد وقع ايضا احتراقها بتجمير المراة في زمن قريش ولا مانع من تعدد ذلك كما تقدم وعن بعضهم ان من البدع تجمير المسجد وان مالكا كره وقد روي ان مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يجمر المسجد النبوي اذا جلس عمر رضي الله تعالى عنه على المنبر ومع حرق الكعبة حرق قرن الكبش الذي فدي به اسمعيل فانهما كانا معلقين بالسقف اقول ولعل تعليقهما في السقف كان بعد تعليقهما في الميزاب فقد ذكر بعضهم جاء الاسلام وراس الكبش معلق بقرنيه في ميزاب الكعبة ويدل لتعليقهما في السقف ما جاء عن صفية بنت شيبة قالت لعثمان بن طلحة لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من البيت قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايت قرني الكبش في البيت فنسيت ان امرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل مصليا وذكر الجلال المحلي في قطعة التفسير ان الكبش المذكور هو الذي قربه هابيل جاء به جبريل فذبحه السيد ابرهيم عليه الصلوة والسلام مكبرا وحينئذ تكون النار التي نزلت فذهبت هابيل لم تاكله بل رفعته الى السماء وحينئذ يكون قول بعضهم فنزلت النار فاكلته على الصحيح يقدما ذكره الجلال لما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلوة والسلام ما كان ذبح ابرهيم اي مذبوحه قال الذي قربه ابن ادم قال بعضهم وهذا الحديث لم يثبت قيل ووصف بانه عظيم لانه رعى في الجنة اربعين عاما وقيل كان الكبش اروعا اخرجه الله هناك في ذلك الوقت قال بعضهم فقد فدي من الموت بصورة الميت وهذا كله بناء على ان الذي قربه هابيل كان كبشا وقيل كان جملا سمينا وعليه اقتصر القاضي فليتنظر الجمع على تقدير صحة كل وانصدع الحجر من تلك النار من ثلاثة اماكن وعند محاصرة الجيش لعبد الله جاء الخبر بموت يزيد ويقال ان ابن الزبير علم بموت يزيد قبل ان يعلم الجيش وهم اهل الشام فنادى فيهم يا اهل الشام قد هلك ان طاغيتكم يعني يزيد فمن احب منكم ان يدخل فيما دخل فيه الناس فعل ومن احب ان يرجع الى شامه فليفعل فقتل الجيش وبايع عبد الله بن الزبير جماعة بالخلافة ودخلوا في طاعته ظاهرا ويقال ان امير الجيش طلب من ابن الزبير ان يحدث فخرجا من الصفين حتى اختلفت رؤس فرسيهما وجعل فرس امير الجيش ينفر ويكفها فقال له ابن الزبير ما لك فقال ان حمام الحرم تحت رجليها فاكره ان اطا حمام الحرم فقال تفعل هذا وانت تقتل المسلمين فقال له ائذن لنا ان نطوف بالكعبة ثم نرجع الى بلادنا فاذن لهم فطافوا فقال له ان كان هذا الرجل قد هلك فانت احق الناس بهذا الامر يعني الخلافة فارحل معي الى الشام فوالله لا يختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير واغلظ عليه القول فكر راجعا وهو يقول اعده بالملك وهو يعدني بالقتل ومن ثم كان ابن الزبير خلال لا تصلح معها الخلافة منها سوء الخلق وكثرة الخلاف ودخل في طاعة ابن الزبير جميع اهل البلدان الا الشام ومصر فان مروان بن الحكم تغلب عليهما بعد موت معوية بن يزيد بن معوية فان معوية هذا مكث في الخلافة اربعين يوما وقيل عشرين يوما ثم ان مروان عزم على ان يبايع لابن الزبير بدمشق وقد كان ابن الزبير لما ولي الخلافة تهايا عنه بالمدينة امره باجلاء بني امية وفيهم مروان وابنه عبد الملك الى الشام فلما اراد مروان ان يبايع ابن الزبير مشى عمر بن ...؟ جماعة وقالوا له انت شيخ قريش وسيدها وقد فعل معكم ابن الزبير ما فعل فانت احق بهذا الامر فوافقهم ومكث تسعة اشهر في الخلافة فهو الرابع من خلفاء بني امية وقام بالامر بعده ولده عبد الملك وهو اول من سمي عبد الملك في الاسلام ثم عهد عبد الملك لاولاده الاربعة من بعده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وادعى عمرو بن سعيد ان مروان عهد اليه بعد ابنه عبد الملك فضاق عبد الملك بذلك ذرعا واستعمل امر عمرو بدمشق فلم يزل به عبد الملك حتى قتله وفي كلام

ابن ظفر ان عبد الملك لما خرج لمقاتلة عبد الله بن الزبير خرج معه عمرو بن سعيد وقد انطوى على فعل بنيه وفساد لو يابنه كما عبه في نيل الخلافة فلما ساروا عن دمشق اياما تمارض عمرو بن سعيد واستاذن عبد الملك في العود الى دمشق فاذن له فلما عاد ودخل دمشق صعد المنبر وخطب خطبة نال فيها من عبد الملك ودعا الناس الى خلافته فجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصنها وبذل الرغائب وبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير لان ابن الزبير لم يعطه طاعة ووثب على مكة فعاد الى دمشق وقصده لعمرو بن سعيد في صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان امانته وافسد رعيته فرجع الى دمشق وظفر بعمرو بن سعيد ويقال ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه للكعبة انه جاء سيل فطبقها فكان عبد الله رضي الله تعالى عنه يطوف سباحة اي ولا مانع من وجود الامرين الحرق والسيل فلما راى عبد الله ما وقع في الكعبة شاور من حضره من جملتهم عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما في هدمها فهابوا هدمها وقالوا نرى ان تصلح ما وهى ولا تهدم فقال لو ان بيت احدكم احترق لم يرض له الا بكمال اصلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها وقد حدثتني خالتي عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لها لو لا ان قومك حديثو عهد بكفر اي شرك لهدمت الكعبة فان قومك بنوها حتى بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابرهيم عليه الصلوة والسلام حين عجزت بهم النفقة ولا حدثان قومك بالجاهلية اي قرب عهدهم بها اي وفي لفظ لو لا ان الناس حديثو عهد بالجاهلية اي اقرب عهدهم بها اي وفي لفظ لو لا الناس حديثو عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائها لهدمتها وجعلت لها خلفا اي بابا من خلفها اي وفي لفظ لجعلت لها بابا يدخل منه وبابا يخرج الناس منه وفي لفظ وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا والصقت بابها بالارض الا كما كان عليه في زمن ابرهيم ولادخلت الحجر فيها اي وفي رواية لادخلت نحو ستة اذرع وفي رواية ستة اذرع وشيئا وفي رواية وشبرا وفي رواية قريبا من سبعة اذرع فقد اضطربت الروايات في العدد الذي اخرجته قريش وفي لفظ لادخلت فيها ما اخرج منها وفي لفظ لجعلتها على اساس ابرهيم عليه الصلوة والسلام ولزدت في الكعبة من الحجر وذلك ما اخرجته قريش ... صلى الله عليه وسلم ان تنكر قلوبهم هدم بنائها الذي يعد من اكمل شرفهم فربما حصل لهم الارتداد من الاسلام وقد ذكر بعضهم ان كل من بنى الكعبة بعد ابرهيم عليه الصلوة والسلام لم يبنها الا على قواعد ابرهيم عليه الصلوة والسلام غير ان قريشا نقصت من النفقة اي الحلال الحديث وهذا البناء على ان من بعد ابرهيم وقبل قريش بنا ما كلها وليس كذلك بل الحاصل منهم انما هو ترميم لها فقوله لم يبنها الا على قواعد ابرهيم ليس على ظاهره بل المراد انه ابقاها على ذلك قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لعبد الله دع بناء واحجارا اسلم عليها الناس وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم اي فانه يوشك ان ياتي بعدك من يهدمها فلا يزال يهدم ويبني فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها اي رممها فقال عبد الله اني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على امري فلما مضى الثلاث اجمع امره على ان ينقضها فتحاماها الناس وخشوا ان ينزل باول الناس يصعدها امر من السماء حتى صعدها رجل فالقى منها حجارة فلم ير الناس اصابه شيء تتابعوا اشقى اي وقيل ان اول فاعل لذلك عبد الله بن الزبير نفسه رضي الله تعالى عنه وخرج ناس كثير من مكة الى منى ومنهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاقاموا بها ثلاثا مخافة ان يصيبهم عذاب شديد بسبب هدمها وامر ابن الزبير جماعة من الحبشة بهدمها رجاء ان يكون فيهم الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه يهدمها ذكر صفته حيث قال كاني انظر اليه اسود افحج ينقضها حجرا حجرا وجاء في وصفه انه مع كونه افحج الساقين ازرق العينين افطس الانف كبير البطن ووصف ايضا بانه اصلع وفي لفظ اصلح وهو من ذهب شعر مقدم راسه ووصف بانه اصعل اي صغير الراس وبانه اصمع اي صغير الاذنين مع اصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر اي وفي لفظ ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر لعله لم يثبت عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف وهدم الحبشة لها يكون بعد موت عيسى عليه الصلوة والسلام ورفع القران من الصدور والمصاحف اي وورد انه قلما يرفع دوبته

صلى الله عليه وسلم في المنام والقرآن داود تعمر بربع من الارض المقدسة وقيل يكون هدمها في زمن عيسى عليه الصلوة والسلام
وجمع بانه يهدم بعضها في زمن عيسى عليه الصلوة والسلام فاذا جاءهم الصريخ هربوا فاذا مات عيسى عليه الصلوة والسلام عادوا
وكملوا هدمها فهدمها عبد الله الى ان انتهى الهدم الى القواعد اي التي هي الاساس قال وفي رواية كشف له عن اساس ابرهيم عليه
الصلوة والسلام فوجده داخلا في الحجر ستة اذرع وشيئا واحجار ذلك الاساس كانها اعناق الابل حجارة حمر الحق بعضها
في بعض مشبكة كتشبيك الاصابع واصاب منه قبر ام اسمعيل عليه الصلوة والسلام وهذا مما يدل على انه لم يصب قبر
اسمعيل وهو يؤيد القول بان قبره في حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود لا في الحجر كما ذكره الطبري وانه
تحت البلاطة الخضراء التي بالحجر كما تقدم فدعى عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما خمسين رجلا من وجوه الناس واشرافهم
واشهدهم على ذلك الاساس فادخل عبد الله بن المطيع عتلة كانت بيده من اركان البيت فتحركت الاركان كلها فارتج جوانب
البيت ورجفت مكة باسرها رجفة شديدة وطارت منه برقة فلم يبق دار من دور مكة الا دخلت فيها ففزعوا انتهى
اقول تقدم في بناء قريش انهم انتهوا الى حجارة خضر كالاسنمة اخذ بعضها ببعض وان رجلا ادخل عتلة بين حجرين منها ليحصل
نحو ما ذكر وقد يقال لا مخالفة بين كون تلك الحجارة كانت خضراء وبين كونها حمراء لانه يجوز ان تكون حمرة تلك الاحجار ليست
صافية بل هي قريبة من السواد ومن ثم وصفت بانها زرق كما تقدم والاسود يقال له الاخضر كما ان الاخضر غير الصافي
يقال له اسود والصافي يقال له ازرق والله اعلم وجعل عبد الله على تلك القواعد ستورا اطاف الناس بتلك الستور
حتى بني عليها وارتفع البناء وزاد في ارتفاعها على ما كانت عليه في بناء قريش تسعة اذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا [illegible]
وربع ذراع وبناها على مقتضى ما حدثته به خالته عائشة رضي الله تعالى عنها فادخل فيه الحجر اي لانه يجوز ان يكون ادخال
الحجر هو الذي سمعه من عائشة فحمل بعض حديثها على ذلك من الروايات المتقدمة الدالة على ان الحجر ليس من البيت وانما منه ستة اذرع
شبر او قريب من سبعة اذرع وعبارة ان هذا اي قوله فادخل فيه الحجر هو الموافق لما تقدم من ان قريشا اخرجت منها الحجر وهو وافق
الاركان وجعل الاساس خارجا من جميع الحجر واما اذا لم يكن خارجا من جميع الحجر كيف يتعداه ولا يبني عليه اعتمادا على ما حدثته عائشة
رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لها ان بدا لقومك من بعدي ان يبنوا الكعبة لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا من
ستة اذرع فليتامل وجعل لها خلفا اي بابا من خلفها والصق بابها بالارض كالمقابل له ولما ارتفع البناء الى مكان الحجر الاسود وكان
في وقت الهدم تصدعا بسبب الحريق كما تقدم شده بالفضة ثم جعله في ديباجة وادخله في تابوت واقفل عليه وادخله دار الندوة
فحين وصل البناء الى محله امر ابنه حمزة وشخصا اخر ان يحملاه ويضعاه في محله اذا وضعناه وهو في الصلاة فكبرا حتى اسمعكما فخفف صلاته لانه
صلى الله عليه وسلم صلى بالناس في المسجد اغتنم اشتغالهم عن وضعه لما احس منهم بالتنافس في ذلك اي ان كل واحد يريد ان يضعه
فخاف الخلاف فلما كبر تسامع الناس بذلك فغضب جماعة من قريش حيث لم يحضرهم وكون الحجر وجد متصدعا بسبب الحريق وكون ابن
الزبير شده كذلك بالفضة لا ينافي ما وقع بعد ذلك من ان ابا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين
يزعمون ان الغسل من الجنابة وحل الخمر وانه لا صوم في السنة الا يومي النيروز والمهرجان ويزيدون في اذانهم وان محمد بن الحنفية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وانضم لهم جماعة من الجهال واهل البوادي وقويت شوكتهم حتى انقطع
الحج من بغداد بسببه وبسبب ولده ابي طاهر فان ولده ابا طاهر بنى دارا بالكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على
البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرة اتباعه فجهز اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بني
العباس فانكسر وهو يحضر ان المقتدر سير ركب الحج الى مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفي جوف
الكعبة قتلا ذريعا والقى القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه ونزع كسوتها وشققها بين اصحابه

وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان اقام بها احد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقي عند القرامطة اكثر من عشرين سنة اي والناس
يضعون ايديهم على المنبرات ودفع لهم فيه خمسون الف دينار فابوا حتى اعيد في خلافة المطيع وهو الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس
فاعيد الحجر الى موضعه وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعون درهما ونصف قال بعضهم تاملت الحجر وهو
مقلوع فاذا السواد في راسه فقط وسائره ابيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة في سنة ثلاث عشرة واربعمائة قام
رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظايا مثل
الاظفار وخرج مكسره اسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات بالمسك واللك وحشوا
في تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك وجعل طول الباب احد عشر ذراعا والباب الاخر بازائه كذلك فلما فرغ من بنائها
خلقها من داخلها وخارجها بالخلوق اي الطيب والزعفران وكساها القباطي اي وهي ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر وفي
كلام بعضهم اول من كسى الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير اقول وبناء عبد الله للكعبة من جملة اعلام النبوة لانه من الاخبار
بالمغيبات نص حديث عائشة فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوه فهلمي لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا من ستة اذرع
وتقدم ان هذا قريبا من قول بعضهم وهذا اصل في انه صلى الله عليه وسلم صرح بالاذن في ان يفعل ذلك بعده صلى الله عليه وسلم عند
القدرة عليه والتمكن منه وقد قال المحب الطبري وهذا الحديث حديث عائشة رضي الله تعالى عنها يدل بتصريحه وتلويحه على
جواز التغيير في البيت اذا كان لمصلحة ضرورية او حاجة او مستحسنة قال الشهاب بن حجر الهيتمي ومن الواضح البين ان ما هي
وتشقق منها في حكم المنهدم او المشرف على الانهدام فيجوز اصلاحه بل يندب بل يجب هذا كلامه وفي شعبان سنة تسع وثلاثين
والف جاء سيل عظيم بعد صلوة العصر يوم الخميس العشرين من الشهر المذكور هدم معظم الكعبة واحاط معه في الجدار الشامي
الى حد الباب ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس وهدم اكثر بيوت مكة واغرق في المسجد جملة من الناس خصوصا الاطفال
فانه لما ارتفع الى ان سد الابواب وعند مجيء الخبر بذلك الى مصر جمع متوليها الوزير محمد باشاه وهو الوزير الاعظم الان اي في
سنة ثلاث واربعين والف جمعا من العلماء كنت من جملتهم ووقعت الاشارة للمبادرة للعمارة وقد جعلت للوزير المذكور في ذلك
رسالة لطيفة وقعت منه موقعا كبيرا واعجبه كثيرا حتى انه دفعها لمن عبر عنها باللغة التركية وارسل بها الحضرة مولانا السلطان مراد
اعز الله انصاره وذكرت فيها ان المحقق ان الكعبة لم تبن جميعها الا ثلاث مرات المرة الاولى بناء ابرهيم عليه الصلوة والسلام والثانية بناء قريش
وكان بينهما الفاسقة سبعمائة سنة وخمسة وسبعون سنة والثالثة بناء عبد الله بن الزبير اي وكان بينهما نحو اثنين وثمانين سنة
اي واما بناء الملائكة وبناء ادم وبناء شيث فلم يصح واما بناء جرهم والعمالقة وقصي فانما كان ترميما ولم تبن بعد هدمها جميعها الا مرتين في
زمن قريش ومرة زمن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وحينئذ يكون ما جاء في الحديث استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان
يرفع وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة معناه قد يهدم مرتين ويرفع في الهدم الثالثة من الابنية وذكر الامام البلقيني ان كون ابن الزبير اول
من كسا الكعبة الديباج اشهر من القول بان اول من كساها الديباج والله اعلم وكان كسوتها قبله في الجاهلية المسوح و
الانطاع فان اول من كساها تبع الحميري كساها الانطاع ثم كساها الثياب الحبرة اي وفي رواية كساها الوصائل وهي برود حمر فيها
خطوط خضر تعمل باليمن وفي كلام الامام البلقيني ويروى ان تبعا اليماني لما كساها الخصف انتفضت فزال ذلك عنها فكساها المسوح
والانطاع فانتفضت فزال ذلك عنها فكساها الوصائل فقبلتها قال والوصائل ثياب موصولة من ثياب اليمن وفي الكشاف كان تبع
الحميري مؤمنا وكان قومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه
عليه الصلوة والسلام ما ادري اكان تبع نبيا ام غير نبي هذا وقد نقل الشمس الحموي في كتابه المناهج الزهية والمباهج الرضية عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان نبيا وقيل اول من كساها عدنان بن ادد وكانت قريش تشترك في كسوة الكعبة حتى نشأ

ابو ربيعة بن المغيرة فقال لقريش انا اكسوا الكعبة سنة وحدي وجميع قريش سنة اى وقبل كان يخرج نصف كسوة الكعبة فى كل
سنة ففعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده فى كسوة الكعبة ويقال لبنيه بنو العدل وكانت كسوتها الانطاع
فكان كلما جدد كسوة يجعل فوق واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم كساها النبى صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية و
كلام بعضهم اول من كسا الكعبة القباطى النبى صلى الله عليه وسلم وكساها ابو بكر وعمر وعثمان القباطى وكساها معوية الديباج و
القباطى والحبرات فكانت تكسى الديباج يوم عاشورا والقباطى فى اخر رمضان والاقتصار على ذلك ربما يفيد ان عطف الحبرات
على القباطى من عطف التفسير فليتامل وكساها المامون الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطى فكانت تكسى الاحمر يوم
التروية والقباطى يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع وعشرين من رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسى
فى زمن المتوكل العباسى ثم فى زمن الناصر العباسى كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك الى الان فى كل سنة وكسوتها من غلة
قريتين يقال لهما بيسوس وسندبيس من قرى القاهرة وقفهما على ذلك الملك الصالح اسمعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة
نيف وخمسين وسبعمائة سنة وقيل وسبب كسوة ام عمر صلى الله عليه وسلم الديباج ان العباس ضل وهو صبى فنذرت ان
وجدته لتكسون الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج اى وكانت من بيت مملكة وقيل اول من كساها الديباج عبد الملك
بن مروان اى وهو المراد بقول ابن اسحق اول من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من امراء عبد الملك وقد سئل الامام البلقينى
هل يجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز اظهاره فى دوران المحمل الشريف فاجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم
لكسوتها الفاخرة التى ترجى بكسوتها الخلع السنية فى الدنيا والاخرة ويجوز اظهارها فى دوران المحمل الشريف فان فى ذلك
المناسبة للجمال المنيف هذا كلامه اى واول من حلا بابها بالذهب جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر بئر زمزم
وجد فيها من الاسياف والغزالين من الذهب فضرب الاسياف بابا لها وجعل فى ذلك الباب الغزالين فكان اول ذهب حليته الكعبة
على ما تقدم واول من ذهب الكعبة فى الاسلام عبد الملك بن مروان وقيل عبد الله بن الزبير جعل على اساطينها صفائح الذهب وجعل
الوليد بن عبد الملك الذهب على الميزاب يقال القرامطة ارسل لعامله على مكة سنة وثلاثين الف دينار وضرب منها على بابى الكعبة وعلى الميزاب
وعلى الاساطين التى داخلها وعلى اركانها من داخل وذكر ان الامين بن هرون الرشيد ارسل الى عامله بمكة بثمانية عشر الف
دينار ليضرب بها صفائح الذهب على بابى الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها ذلك وجعل مسمرها وحلقتى الباب
والعتب من الذهب وان ام المقتدر الخليفة العباسى امرت غلاما لها لؤلؤ ان يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل وقال
عبد الله بن الزبير لما فرغ من بنائها من كان عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ومن قدر ان ينحر بدنة فليفعل ومن لم يقدر
فشاة ومن لم يقدر فليتصدق بما تيسر واخرج مائة بدنة فلما طاف استلم الاركان الاربعة جميعا فلم تزل الكعبة على بناء عبد الله
ابن الزبير يستلم اركانها الاربعة اى لانها على قواعد ابرهيم عليه الصلوة والسلام ويدخل اليها من باب ويخرج من باب حتى
قتل اى قتله شخص من جيش الحجاج بحجر رماه به فوقع بين عينيه فقتل فعوا بالمسجد لان الحجاج كان امير على الجيش الذى ارسله
عبد الملك بن مروان لقتاله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج ان اهدم ما زاده ابن الزبير فيها اى يهدم البناء الذى جعله
على اثر الزيادة التى ادخلها فى الكعبة وكانت قريش اخرجتها بدليل قوله وردها الى ما كانت عليه زمن قريش واترك سائرها
الذى فتح اى وان يرفع الباب لاصلى الى ما كان عليه زمن قريش اى لانه اعتقد ان ابن الزبير وضع البناء على اس نظر اليه
العدول من اهل مكة اى عدم خمسين رجلا من وجوه الناس واشرافهم كما تقدم فكتب اليه عبد الملك لسنا من تحميط ابن الزبير فى شئ
فنقض الحجاج ما ادخل من الحجر وسد الباب الثانى اى الذى فى ظهر الكعبة عند الركن اليمانى ونقص من الباب الاول خمسة اذرع
اى ورفعه الى ما كان عليه فى زمن قريش مبنى بخمسة اربعة اذرع وشبرا وبنى داخلها الدرجة الموجودة اليوم وفى لفظ ان الحجاج

لما ظفر

لما ظفر بابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره ان ابن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس فيها واحدث فيها بابا اخر واستاذن فى رد
ذلك على ما كانت عليه فى الجاهلية فكتب اليه عبد الملك ان يسد بابها الغربى ويهدم ما زاد فيها من الحجر ففعل ذلك الحجاج فما بوها
قبل وقوع هذا الهدم بالسيل الواقع فى سنة تسع وثلاثين بعد الالف وبنيان على بناء ابن الزبير الا الجانب الذى يلى الحجر بالضم فانه
من بناء الحجاج اى والبناء الذى تحت العتبة وهو اربعة اذرع وشبر فان باب الكعبة كان على عهد العمالقة وجرهم وابرهيم
عليه الصلوة والسلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم وما سد به الباب الغربى والردم كان بالحجارة التى كانت داخل
ارض الكعبة اى التى وضعها عبد الله ابن الزبير اى ولعله انما وضع فى ذلك المحل الحجارة التى لا تصلح للبناء فلا ينافى ما جرى بعض الثقات
ان بعض بيوت مكة كان فيها بعض الحجارة التى اخرجت من الكعبة زمن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وهى سنة ثلاث وسبعين
وقيل ولما دخل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة اشهر وقيل سبعة اشهر وسبع عشرة ليلة على امه
اسماء رضى الله تعالى عنها قبل قتله بعشرة ايام وهى شاكية اى مريضة فقال لها كيف تجدينك يا امه قالت ما اجدنى الا شاكية فقال لها
ان فى الموت لراحة فقالت لعلك تتمنيه لى ما احب ان اموت حتى يأتى على احد طرفيك اما قتلت وما ظفرت بعدوك فتقر عينى وما
كان اليوم الذى قتل فيه دخل عليها فى المسجد فقالت له يا بنى لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل فوالله لضربة
بالسيف فى عز خير من ضربة بسوط فى ذل ويقال ان الناس لا يزالوا ينتقلون عن ابن الزبير الى الحجاج لطلب الامان وهو يؤمنهم حتى
خرج اليه قريب من عشرة الاف حتى كان من جملة من خرج اليه حمزة وحبيب ابنا عبد الله ابن الزبير واخذا لانفسهما امانا
من الحجاج فامنهما ودخل عبد الله الى امه فشكى اليها خذلان الناس له وخروجهم الى الحجاج حتى اولاده واهله وانه لم يبق معه
الا اليسير والقوم يعطونى ما شئت من الدنيا فما رايك فقالت يا بنى انت اعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق وتدعوا الى حق فاصبر
عليه فقد قتل اصحابك عليه ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بنى امية وان كنت انما اردت الدنيا فلبئس العبد انت اهلكت نفسك
واهلكت من قتل معك فى خلودك فى الدنيا قربا منها وقبل راسها فقال والله ما ركنت الى الدنيا ولا احببت الحيوة فيها وما دعانى الى
الخروج الا الغضب لله ان تستحل حرمته وبعد ان قتل وصلب على الجذع فوق الثنية ومضت ثلاثة ايام جاءت امه اسماء رضى الله
تعالى عنها تقاد لان بصرها قد كف حتى وقفت عليه فدعت له طويلا ولم يقطر من عينيها دمعة وقالت للحجاج اما ان لهذا الراكب ان
ينزل فقال لها الحجاج المنافق رايت كيف نصر الله الحق واظهره ان ابنك الحد فى هذا البيت وقد قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه
من عذاب اليم وقد اذاقه الله ذلك العذاب الاليم وفى كلام سبط ابن الجوزى ان ابن الزبير لما قال لعثمان رضى الله تعالى عنه
وهو محاصر ان عندى نجائب اعددتها لك فهل لك ان تتحول الى مكة فانهم لا يستحلونك بها قال له عثمان رضى الله تعالى عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل فى الحرم من قريش او بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم ولن اكون انا وفى رواية قال له
لا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف اوزار الناس هذا كلامه
وعندى ان المراد بعبد الله الحجاج لا ابن الزبير ولا مانع ان يكون الحجاج من قريش على ان الذى فى الصواعق لابن الحجر
الهيتمى رحمه الله ان القائل لعثمان ذلك المغيرة ابن شعبة ولما سمعت سيدتنا اسماء رضى الله تعالى عنها الحجاج يقول عن ولدها
المنافق قالت له كذبت والله ما كان منافقا ولكنه كان صواما قواما بارا كان اول مولود ولد فى الاسلام بالمدينة وسر به
صلى الله عليه وسلم وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحا به فكان من امرك يا كتاب الله حافظا لحرم الله
يبغض ان يعصى عز وجل قال ان تلك عجوز قد خرفت فقالت والله ما خرفت ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يخرج من ثقيف كذاب ومبير اما الكذاب فقد رايناه تعنى المختار بن ابى عبيد الثقفى والى العراق فانه لما قتل الحسين رضى الله
تعالى عنه اتفق مع طائفة من الثقيف ممن كان خذل الحسين فلما قتل بذم واطلع ذلك فوافقوا المختار على مقاتلة من قتل الحسين

من اهل الكوفة فتوجهوا اليه وقتلوا جميع من قاتل الحسين وملكوا الكوفة وشكر الناس المختار ذلك واما المبيرة فانه اودي به
لما بلغ عبد الملك ما فعله الحجاج لاسما كتب اليه يلومه على ذلك اي ومن ثم ارسل اليها الحجاج فابت ان تاتيه فاعاد عليها الرسول
اما ان تاتيني او لابعثن اليك من يسحبك بقرونك فابت وقالت والله لا اتيتك حتى تبعث الي من يسحبني بقروني فعند ذلك اخذ نعليه ومشى
حتى دخل عليها فقال يا امه ان امير المؤمنين اوصاني بك فهل لك من حاجة فقالت لست لك بام ولكني ام المصلوب على راس الثنية
وما لي من حاجة ولكن انتظر حتى احدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج
من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فقد رايناه واما المبير فانت فقال الحجاج مبير المنافقين ومن كذب المختار انه ادعى النبوة وانه
ياتيه الوحي وليس ذلك لاجابة دعوة لائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت اقوم بالسيف على راس المختار بن عبيد فسمعته يقول قام جبريل
عليه السلام عن هذه النمرقة يعني وسادة من على هذا الكرسي فاردت ان اضرب عنقه فذكرت حديثا حدثنيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا امن الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه ولعل هذا مستند ما نقل عن كتاب الام لامامنا
الشافعي رضي الله تعالى عنه من القول بان المسلم يقتل بالمستامن وقد كتب للاحنف بن قيس وجماعة وقد بلغني انكم تسمعون بالكذا
وقد كذب الانبياء من قبلي ولست بخير منهم وقد كان يقع منه امور تشبه الكهانة منها انه لما جهز جيشا لقتال عبيد الله بن زياد
المجهز الجيش لمقاتلة الحسين رضي الله تعالى عنه كما تقدم قال لاصحابه وعد بان الكم خبر النصر وقتل ابن زياد فكان كما اخبر وجيء براس ابن زياد
والقبه بين يدي المختار وكان قتله يوم عاشوراء اليوم الذي قتل فيه الحسين ثم قتل المختار وكان قتل المختار على يد مصعب ابن الزبير
حتى جيء براس المختار بين يدي مصعب لما ولي العراق من جانب اخيه لابيه عبد الله وحكي عن مصعب العجب من ابن ادم كيف يتكبر وقد جرى
في مجرى البول مرتين ثم قتل مصعب وقطعت راسه ووضعت بين يدي عبد الملك بن مروان ومن بعضهم انه حدث عبد الملك فقال
له امير المؤمنين دخلت القصر قصر الامارة بالكوفة فاذا راس الحسين على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله بن زياد على السرير
ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرايت راس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدي المختار والمختار على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك
بحين فرايت راس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ومصعب على السرير ثم دخلت بعد ذلك بحين فرايت راس مصعب ابن الزبير بين
يديك وانت على السرير فقال عبد الملك لا اراك الله الخامسة ثم امر بهدم ذلك القصر وعن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان
ابا الحجاج لما دخل بام الحجاج واقعها فراى قائلا يقول له في المنام ما اسرع ما انجبت بالمبير وفي كلام سبط ابن الجوزي ان ام الحجاج كانت
قبل ابيه مع المغيرة بن شعبة فطلقها بسبب انه كنت تخللين من طعام البارحة انك لقذرة وان كان من طعام اليوم انك لشرهة كنت
نبت لك والله ما فرحنا اذ كنا ولا اسفنا اذ بنا ولا هو شيء مما ظننت ولكني استكت فبادرت ان اتخلل من السواك فندم المغيرة على
طلاقها فخرج فلقي يوسف بن ابي عقيل والد الحجاج فقال له هل لك الى شيء ادعوك اليه قال وما ذاك قال اني نزلت عن سيدة
نساء ثقيف وهي الفارعة فتزوجها فولدت له الحجاج وفي حيوة الحيوان انها كانت قبل ابي الحجاج عند امية ابن ابي الصلت هذا
كلامه وقد يقال لا مانع انها تزوجت الثلاثة وان تزوجها لامية كان قبل المغيرة وكونها سيدة نساء ثقيف يبعد القول بانها
المتمنية التي امر بها سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وهي تنشد هل من سبيل الى خمر فاشربها الابيات خاتمة كان يعير بها فيقال
له ابن المتمنية وفي مدة صلب عبد الله بن الزبير صادف امه تقول اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته ودفعها اخوه عروة بن
الزبير الى عبد الملك بن مروان بسال في ان الرجل الخشبة فاجابه وانزله فقال لعامله كنا لا نتلاوى عضوا من اعضائه الا جامعنا
فكنا نغسل العضو ونضعه في اكفانه وقامت فصلت عليه امه وماتت بعده بجمعة ذكره ذلك في الاستيعاب وقيل بعده بمائة
يوم قال الحافظ ابن كثير وهو المشهور وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل وقتل مع ابن الزبير
مائتان واربعون رجلا منهم من سال دمه في جوف الكعبة وكان من جملة من قتل عبد الله بن صفوان بن امية الجمحي قتل يوم قتل

ابن الزبير

ابن الزبير الى المدينة مقتولهما وصادوا يفرحون داس عبد الله بن صفوان الى راس ابن الزبير كانه يساره يلعبون بذلك ثم بعثوا
بهما الى عبد الملك بن مروان ولما وضعت راس عبد الله بن الزبير بين يدي عبد الملك وقال والله كان احب الناس الي واشدهم
الي الفا ومودة ولكن الملك عقيم اي ان الرجل يقتل ابنه واخاه على الملك فاذا فعل ذلك انقطعت بينهما الرحم وسبب في مدحة
عبد الملك لعبد الله بن الزبير وتوبيخ امير الجيش الذي ارسله بن بدل المقاتلة وكان ابن الزبير قال لعبد الله بن صفوان اني قد
اقلتك بيعتي فاذهب حيث شئت فقال انما قاتلت عن ديني وكان سيدا شريفا مطاعا حليما كريما قتل وهو متعلق باستار الكعبة وحينئذ
يشكل كونه حرما امنا وقد يدل لما تقدم من ان عبد الله بن الزبير كان عنده سوء خلق ما حكي انه جاء اليه شخص فقال له ان الناس على
باب عبد الله بن عباس يطلبون العلم وان الناس على باب اخيه عبيد الله يطلبون الطعام فاحدهما يفقه الناس والاخر يطعم
الناس فما ابقيا لك مكرمة فدعا شخصا وقال له انطلق الى ابني العباس رضي الله تعالى عنهما وقل لهما يقول لكما امير المؤمنين اخرجا عني
والا فعلت وفعلت فخرجا الى الطائف اي وقيل انما خرج عبد الله بن عباس من مكة الى الطائف لان الله تعالى يقول ومن يرد
فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم فقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي اعلم ان الله تعالى عفا عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بمكة
لان الشرع تقرر ان الله تعالى يؤاخذ فيه من يرد فيه بالحاد بظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا
لنفسه لانه ليس في قدرة الانسان ان يدفع عن قلبه الخواطر قال بعضهم كان يقال من اراد الفقه والجمال والسخاء فليات دار
العباس الجمال للفضل والسخاء لعبيد الله والفقه لعبد الله قيل ولما حج عبد الملك اي وذلك في سنة خمس وسبعين قال له
الحارث انا اشهد لابن الزبير بالحديث الذي سمعه من خالته عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعته منها قال نعم
فجعل ينكت بالمخصرة فوق يقضيب كان في يده الارض ساعة ثم قال لوددت اني كنت تركته يعني ابن الزبير وما تحمل وفي رواية
ان عبد الملك كتب الى الحجاج وددت انك تركت ابن الزبير وما تحمل وهذا هو الموافق لما في تاريخ الازرقي ان الحارث
وفد على عبد الملك بن مروان في خلافته فقال له عبد الملك ما اظن ابا خبيب يعني ابن الزبير سمع من عائشة رضي الله تعالى عنها
ما كان يزعم انه سمع منها في بناء الكعبة قال الحارث انا سمعته منها قال لعبد الملك انت سمعته منها الحديث وكون عائشة
حدثت ابن الزبير بما ذكر لا ينافي ما في تاريخ ابن كثير عن بعضهم قال سمعت ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما يقول حدثتني
امي اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة
على اساس ابراهيم عليه الصلوة والسلام الحديث وفي رواية ان عائشة رضي الله تعالى عنها تدرت ان فتح الله مكة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصلى في البيت ركعتين فلما فتحت مكة اي وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فسالت النبي
صلى الله عليه وسلم ان يفتح لها باب الكعبة ليلا فجاء عثمان بن طلحة بالمفتاح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
انها لم تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها وادخلها الحجر وقال صلى الله عليه وسلم ههنا فان
الحطيم اي الحجر من البيت الا ان قومك قصرت بهم النفقة اي الحلال فاخرجوه من البيت ولولا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت
الكعبة واظهرت قواعد الخليل وادخلت الحطيم في البيت والصقت العتبة على الارض ولئن عشت الى قابل لافعلن ذلك و
لم يعش عليه الصلوة والسلام ولم تتفرغ الخلفاء لذلك وبما ذكر يعلم ما في قول الاصل فهدمها اي عبد الملك وبناها على
ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان الحجاج لم يبن الا الجانب الذي يلي الحجر والباب الذي
تحت العتبة والله اعلم الذي في باطنها واما التراب الذي جعل في باطنها فيحتمل انه يكون هو التراب الذي اخرجه ابن الزبير
باقيا فاعاده الحجاج ويحتمل انه غيره ولم اقف على بيان ذلك في كلام احد والشاذروان الذي اخرجه عبد الله بن الزبير
من عرض الاساس الذي بنته قريش لاجل مصلحة استمساك البناء وثباته ومن العجب ما حدث به بعضهم قال كنت امير على الجيش

الذي بعث به يزيد الى معوية الى عبد الله الزبير بمكة فدخلت مسجد المدينة فجلست بجانب عبد الملك بن مروان فقال لي عبد الملك انت
امير هذا الجيش قلت نعم قال ثكلتك امك انك تسير الى اول مولود ولد في الاسلام اي بالمدينة من اولاد المهاجرين والى
ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابن ذات النطاقين ونعم اسماء والى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله
ان جئته نهارا وجدته صائما وان جئته ليلا تجده قائما فلو ان اهل الارض اطبقوا على قتله لاكبهم الله في النار جميعا فلما صارت الخلافة
الى عبد الملك وجه اليه الحجاج حتى قتلناه وذكر بعضهم ان عبد الملك بن مروان لما راى جيش يزيد متوجها الى مكة قال اعوذ بالله
ابعث الجيش الى حرم الله فضرب منكبه شخص كان يهوديا واسلم وكان يقرا الكتب وقال لا جيشك اليه اعظم ويقال ان هذا اليهودي
مر على دار مروان والد عبد الملك هذا فقال ويل لامة محمد من اهل هذه الدار لان مروان كان سبب القتل عثمان وعبد الملك ابنه كان
سبب القتل عبد الله ابن الزبير وما وقع من الوليد بن يزيد بن عبد الملك الامور الفظيعة وسبب ولاية الحجاج على الجيش انه قال
لعبد الملك ابن مروان رايت في منامي اني اخذت عبد الله الزبير فسلخته فولني قتاله فولاه فارسله في جيش كثيف من اهل الشام
فحصروا ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق ولما رمى بها رعدت السماء وابرقت فخاف اهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وانا
ابنها ثم قام ورمى المنجنيق بنفسه فزاد ذلك ولم تزل صاعقة تتبعها اخرى حتى قتلت اثني عشر رجلا فخاف اهل الشام زيادة
قال بعضهم ولا زال الحجاج يحضهم على الرمي بالمنجنيق ولم تزل الكعبة ترمى بالمنجنيق حتى هدمت وحرقت استارها حتى صارت كالفحم اي و
مثله لو كانت هدمت او حرقت لاعيد بناؤها او اصلحت بالترميم ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله ولعل هذا التشبيه
على الرواة ظن ان الذي وقع من جيش يزيد وقع من الحجاج فان قيل هلا اهلك الله من نصب المنجنيق على الكعبة كما اهلك ابرهة
قلنا لان من نصب المنجنيق لم يرد هدم الكعبة خلاف ابرهة كما تقدم وعبارة ثم قد يشكل كون جرها امنا وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير اي وامره بان يخرج الى الطائف وبعده على ما تقدم قلت ابوه الزبير وامه اسماء وخالته
عائشة رضي الله تعالى عنها وجده ابو بكر وجدته صفية وفي رواية عنه انه قال اما ابوه فحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد الزبير واما جده فصاحب الغار يريد ابا بكر واما امه فذات النطاقين يريد اسماء واما خالته فام المؤمنين يريد عائشة
واما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلم يريد خديجة واما عمة النبي صلى الله عليه وسلم فجدته يريد صفية ثم عفيف في
الاسلام وقارئ للقران ولما قتل عبد الله ابن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فجمع الحجاج الناس وخطبهم وقال الا ان ابن الزبير
كان من خيار هذه الامة الا انه نازع الحق اهله ان الله خلق ادم بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه جنته فلما اخطا اخرجه
من الجنة بخطيئته وادم اكرم على الله من ابن الزبير والجنة اعظم حرمة من الكعبة اذكروا الله يذكركم ومن علامات نبوته
صلى الله عليه وسلم ما روي ان عبد الله بن الزبير لما ولد نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فلما سمعت بذلك امه اسكت
عن ارضاعه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضعيه ولو ما عينيك كبش بين ذئاب او ذئاب عليها ثياب ليمنعن
البيت او ليقتلن دونه وانما ادعا ذمه قالوا انس ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في الحلال المستقار ويقال ان الحجاج بعد قتل
ابن الزبير ذهب الى المدينة وعلى وجهه لثام فراى شيخا خارجا من المدينة فسأله عن حال اهل المدينة فقال شر حال قتل
ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتله قال الفاجر اللعين الحجاج عليه لعاين الله لم يرسله من قليل المراقبة
لله فغضب الحجاج غضبا شديدا ثم قال ايها الشيخ اتعرف الحجاج اذا رايته قال نعم ولا عرفه خيرا ولا وقاه شرا فكشف
الحجاج اللثام عن وجهه وقال ستعلم الان اذا سال دمك الساعة فلما تحقق الشيخ انه الحجاج قال ان هذا هو العجب يا حجاج
ان فلان اصرع من الجنون في كل يوم خمس مرات فقال الحجاج اذهب لا شفاه الله الا بعد من جنونه ولا عافاه وتخلص
هذا من يد الحجاج وكان يخبر عن نفسه ويقول ان اكبر لذاته سفك الدماء وقال لعبيهم ولا اصل في ذلك انه لما ولد لم يقبل

ثديا فتصور لهم ابليس في صورة الحرث ابن كلدة طبيب العرب وقال اذبحوا له تيسا اسود واطعموه من دمه واطلوا به وجهه ففعلوا به ذلك
فقبل ثدي امه وذكر انه اتي اليه بامراة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما فقال لها بعض اعوانه يكلمك الامير
وانت معرضة فقالت اني لاستحي ان انظر الى من لا ينظر الله اليه فامر بها فقتلت وقد احصي الذي قتل بين يديه صبرا فبلغ مائة الف و
عشرين الفا ما عدا الغازي وتقدم ان اسماء عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم وامرها بالصبر قالت وما يمنعني من الصبر وقد اهدي راس
يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل وقد جاء ان هذا البغي اول من يدخل النار ويقال ان عبد الله بن الزبير قال يوم قتل يا امه اني
مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي لامر الله فان ابنك لم يعمل لاتيان منكر ولا عمل بفاحشة وفي كون عبد الله بن عمر رضي الله
تعالى عنهما تاخر موته عن الزبير نظر فقد قيل ان عبد الله بن عمر مات قبل الزبير بثلاثة اشهر وسبب موته ان الحجاج سفه عليه فقال
له عبد الله انك سفيه مسلط فغيره ذلك عليه فامر الحجاج شخصا ان يسم زج رمحه ويضعه على رجل عبد الله ففعل به ذلك فالطواف
فمرض من ذلك اياما ومات ويذكر ان الحجاج دخل ليعوده فسأله عمن فعل به ذلك وقال له قتلني الله ان لم اقتله فقال له عبد الله
لست بقاتل لم قال ولم قال لانك الذي امرته وقول عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما للحجاج انك سفيه مسلط يشير الى قول امير
عمر رضي الله تعالى عنهما فانه لما بلغه ان اهل العراق حصبوا اميرهم اي رجموه بالحجارة خرج غضبان فصلى فسهى في صلاته فلما سلم قال
اللهم انهم لبسوا علي فلبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان
ذلك ذلك قبل ان يولد الحجاج ثم رايت في تاريخ ابن كثير لما مات ابن الزبير واستقر الامر لعبد الملك بن مروان بايعه عبد الله بن عمر و
يوافقه ما في الدلائل للبيهقي ان ابن عمر وقف على ابن الزبير وهو مصلوب فقال السلام عليك يا خبيب اما والله لقد كنت انهاك عن هذا
اما والله ان كنت ما علمت صواما قواما وصولا للرحم ويذكر انه كان لعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما مائة غلام لكل غلام منهم لغة لا
يشاركه غيره فيها وكان يكلم كل واحد منهم بلغته وهذا اغرب مما استغرب من ان ترجمان الواثق بالله من خلفاء بني العباس كان عارفا
بالسن كثيرة حتى قيل انه يعرف اربعين لغة ويادي غيرها وقد قال الحجاج لعروة بن الزبير يوما في كلام جرى بينهما لا ام لك فقال اتقول
هذا وانا ابن عجايز الجنة يعني جدته صفية وعمته خديجة وخالته عائشة وامه اسماء وقال الحجاج يوما لشخص ما تقول في عبد الملك بن
مروان فقال الرجل ما اقول في رجل انت سيئة من سيئاته ولما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة من بعد الحجاج سبعين
الفا حبسهم للقتل ليس لو احد منهم ذنب يوجب به الحبس وذكر انه كان يحبس الرجال مع النساء ولم يكن لحبسه بيوت
اخليه فكان الرجل يبول بجانب المراة والمراة تبول بجانب الرجل فتبدو العورات وكان كل عشرة في سلسلة ويطعمهم خبز الدخن
مخلوطا بالملح والرماد ومر يوم يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ما هذا فقيل له اهل السجن يقولون قتلنا الحر فقال قولوا لهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون فما عاش بعد ذلك الا اقل من جمعة واخر من قتله الحجاج من التابعين سعيد ابن جبير رضي الله تعالى عنه ولم يقتل
بعد ابن جبير الا رجلا واحدا وقال عمر ابن عبد العزيز لو جاءت كل امة بعتوها وجئنا نحن بالحجاج لغلبناهم وقال سليمان ابن
عبد الملك لرجل من احضا الحجاج بعد موت الحجاج ابلغ الحجاج قعر جهنم فقال يا امير المؤمنين يجيء الحجاج يوم القيامة بين ابيك عبد الملك
وبين اخيك هشام بن عبد الملك فضعضع من النار حيث شئت ومن غرائب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال مات رجل فلما وضع على مغتسله
استوى قاعدا وقال لقد رايت بعيني هاتين باهوى بيد بها لي عينيه الحجاج وعبد الملك في النار يسحبان بامعائهما ثم عاد ميتا كما كان
والحجاج متاصل في الظلم فقد حكى بعضهم انه يقال في المثل اظلم من ابن الجلندي وهو المشار اليه بقوله تعالى وكان وراءهم ملك ياخذ
كل سفينة غصبا وانه من اجداد الحجاج بينه وبينه سبعون جدا واستخلف الحجاج رجلا فامر فقال لا اد الذي انت بين يديه
غدا اذل مني بين يديك اليوم فقال له والله اني يومئذ لذليل واول من ضرب الدراهم في الاسلام الحجاج بامر عبد الملك بن
مروان وكتب عليها قل هو الله احد الله الصمد اي على احد وجهي الدرهم قل هو الله احد فعلى وجهه الثاني الله الصمد ولم توحيد

الدراهم الاسلامية الا في زمن عبد الملك بن مروان وكانت قبل ذلك رومية وكسروية وفي زمن الخليفة المستنصر بالله وهو
السابع والثلاثون من خلفاء بني العباس ضرب الدراهم وسماها النقرة وكانت كل عشرة بدينار وذلك في سنة اربع وعشرين وستمائة
ولما دخل سليمان بن عبد الملك المدينة سال هل بالمدينة احد ادرك احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ابا
حازم فارسل اليه فلما دخل عليه سأله فقال يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم اخربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا
من عمران الى خراب فقال وكيف القدوم على الله فقال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالابق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال
يا ليت شعري ما لنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله تعالى قال فاي مكان اجده فقال في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم فقال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال فاي عباد الله اكرم قال اولو المروءة وجاء اعرابي لسليمان
بن عبد الملك هذا فقال يا امير المؤمنين اني اكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ان قبلته ما تحب فقال الاعرابي فاني اطلق لساني بما خرست عنه
الالسن تادية لحق الله انه قد اكتنفك رجال قد اساءوا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك في الله
ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للاخرة وسلم للدنيا فلا تامنهم على ما استخلفك الله عليه فانهم لن يالوا الامانة وانت مسئول عما اجترحوا
فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع اخرته بدنيا غيره فقال له سليمان اما انت يا اعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك
قال اجل يا امير المؤمنين لك لا عليك ولما حج بالناس قال لولده ومعه عمر بن عبد العزيز الا ترى هذا الخلق الذين لا يحصي عددهم
الا الله تعالى ولا يسع رزقهم غيره فقال يا امير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم غدا خصماؤك عند الله فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال
بالله استعين وقال يوما لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه حين اعجبه ما اوتي اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا
امير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هالك وفرح لولا يعقبه ترح ولذات لولا تعقبون بافات
وكرامة لو صحبتها السلامة فبكى سليمان رحمه الله تعالى حتى اخضلت دموعه لحيته وولاية عمر بن عبد العزيز بشر بها جده لامه عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه وعنه رضي الله تعالى عنه انه قال ان من ولدي رجلا بوجهه شين وفي رواية علامة يملا الارض عدلا فكان ولده عبد الله
يقول كثيرا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في وجهه علامة يملا الارض عدلا وفي رواية عنه كان
يقول يا عجبا يزعم الناس ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من ال عمر يعمل بمثل عمل عمر لعينهم فاذا هو عمر بن عبد العزيز لان امه ابنة
عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومما يؤثر عن سليمان رحمه الله تعالى لما ولي الخلافة قام خطيبا فقال الحمد لله الذي
ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع وما شاء اعطى وما شاء منع ان الدنيا دار غرور تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف امنا
وتؤمن خائفا وقال في خطبة من خطبه ايضا ايها الناس ابن الوليد وابو الوليد وجد الوليد اسمعهم الداعي واستروا العوادي و
اضمحل ما كان لو يكن ذهب عنهم ثابت الحياة وفارقوا القصور واستبدلوا ابين المواطئ خشن التراب فمرهنا فينا الى يوم
الماب فرحم الله عبدا اعمل لنفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ولما ولي الخلافة ابو جعفر المنصور اراد ان يبني الكعبة
على ما بناه ابن الزبير وشاور الناس في ذلك فقال له الامام مالك بن انس انشدك الله اي بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة
اي اسالك بالله يا امير المؤمنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء احد منهم ان يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب
الناس فصرفه عن رايه فيه قال لعله ذكر الطبري في مناسك ان الذي اراد ذلك ونهاه مالك هو الرشيد انتهى اقول ويكون الرشيد
هو الذي ذكره المغربي واقتصر عليه ولان المنصور مات محرما ببئر ميمونة لست ايام خلون من ذي الحجة فلم يدخل مكة وقد يقال
يجوز ان يكون دخل المدينة قبل مسيره الى مكة واستشار الناس في المدينة فقال له الامام مالك ما تقدم وان الرشيد ايضا
اراد ذلك واستشار الامام مالك فاشار عليه بما ذكر ثم رايت في تاريخ ابن كثير لما كان في زمن المهدي بن المنصور استشار الامام
مالك في ردها اي الكعبة على الصفة التي بناها ابن الزبير فقال له اني اخشى ان تتخذها الملوك لعبة ورايت في كلام بعضهم

ان المنصور وانه لما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ولعل هذا كان في حجة غير هذه التي مات فيها ثم رايت في تاريخ
ابن كثير ان المنصور حج وهو خليفة اربع حجات غير الحجة التي مات فيها وكذا في القرى لقاصد ام القرى للطبري حيث ذكر انه مات في
الحجة الخامسة قبل يوم التروية بيومين حاجا محرما في بعض حجه من تقدم وقد ذكر الشيخ الصفوري ان المنصور بلغه ان سفيان الثوري
ينقم عليه في عدم اقامة الحق فلما توجه المنصور الى الحج وبلغه ان سفيان بمكة ارسل جماعة امامه وقال لهم حيث ما وجدتم سفيان
فخذوه واصلبوه فنصبوا الخشب ليصلبوا سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام راسه في حجر الفضيل بن عياض ورجلاه في
حجر سفيان بن عيينة فقيل له خوفا عليه يا ... لا تشمت بنا الاعداء فقام فتعلق ... ومشى حتى وقف بالملتزم وقال ورب هذه
الكعبة لا يدخلها يعني مكة المنصور وكان وصل الى الحجون فزلقت به راحلته فوقع من ظهرها ومات من فوره فخرج سفيان
وصلى عليه هذا كلامه وقد يقال لا تخالف بين هذا وبين ما تقدم ان كان ببئر ميمونة لانه يجوز ان يكون المراد بوصوله الحجون
وصول خيله وركبه قبله ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان المنصور لما خرج للحج وجاوز الكوفة بمراحل اخذه وجعه الذي مات فيه وهو داء
الاسهال وعند دخل مكة فتوفي بها ودفن ولعل هذا لا يخالف ما سبق لانه يجوز انه اطلق مكة على المحل القريب منها وان من انطلاق بطنه
زلقت به فرسه ... واخر ما تكلم به المنصور اللهم بارك لي في لقائك ومما يؤثر عنه اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وانقص
الناس عقلا من ظلم من هو دونه والله اعلم وتقدم ان قصيا لما امر قريشا ان تبني حول الكعبة بيوتها بنت بيوتها من جهاتها الاربع
وتركوا قدر المطاف واستمر الامر على ذلك زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ابي بكر رضي الله تعالى عنه فلما ولي عمر رضي الله تعالى
عنه راى ان يوسع حول الكعبة فاشترى دورا وهدمها ووسع حول الكعبة وبنى جدارا قصيرا على ذلك وجعل فيه ابوابا ثم وسعه
عثمان ثم عبد الله بن الزبير ثم ان عبد الملك ابن مروان رفع الجدران وسقفه بالساج ثم ان الوليد بن عبد الملك نقض ذلك ونقل
اليه الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وازر المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور ورخم الحجر ثم زاد فيه المهدي اولا
وثانيا حتى صارت الكعبة في وسط المسجد وفي ايام المعتضد ادخلت دار الندوة في المسجد وتسمى مكة نادران وتسمى قرية النمل لكثرة نملها
او لان الله سلط بها النمل على العماليق لما اظهروا فيها الظلم حتى اخرجهم من الحرم كما تقدم ولها اسماء كثيرة قد افردها صاحب القاموس بمؤلف
اقول سياتي عن الامام النووي انه ليس في البلاد اكثر اسماء من مكة والمدينة والله اعلم قال وعن ابي هريرة رضي الله عنه خلقت الكعبة
اي موضعها قبل الارض بالفي سنة كانت حشفة على الماء عليها ملكان يسبحان فلما اراد الله تعالى ان يخلق الارض دحاها منها فجعلها وسط
الارض انتهى وسئل الجلال السيوطي عن قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام هل كانت ايام ثم موجودة قبل
خلق السموات والارض فاجاب بان خلق السموات والارض وخلق الايام كان دفعة واحدة من غير تقديم لاحدهما على الاخر واستند
في ذلك الماثور المفسر في الحديث ان الله حرم مكة قبل ان يخلق السموات والارض الحديث وحينئذ فقوله صلى الله عليه وسلم ان
ابراهيم عليه الصلاة والسلام حرم مكة معناه اظهر حرمتها باب ما جاء من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احبار
اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب وعلى السنة الجان وعلى غير السنتهم وما سمع من الهواتف وعن بعض
الوحوش ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين من استراق السمع من مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره صلى الله عليه
وسلم وذكر صفته في الكتب القديمة وما وجد من اسمه مكتوبا من النباتات والاحجار وغيرهما قال ابن اسحق وكانت الاحبار من يهود
والاحبار من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه اما
الاحبار من يهود والرهبان والنصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه واما الكهان من العرب فجاءهم به الشياطين
بما يسترق من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والمبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض
اموره ولا تلقي العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التي كانوا يذكرون فعرفوها ولهذا ابتدع بان الملائكة

كانت تذكره صلى الله عليه وسلم في السماء وقبل وجوده ما قالته الاحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة
بن سلامة وكان من اصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بني عبد الاشهل فذكر اي عند قوم اصحاب اوثان القيمة والبعث
والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يا فلان اوترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها
جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال نعم والذي يحلف به ولود اي الشخص ان له بحظه من تلك النار اعظم تنور بحرته ثم يطلونه
اياه فيطبقونه عليه بان ينجوا من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما اية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد واشار بيده
الى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر الى وانا من احدثهم سنا فقال ان يستنفد اي يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة
والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه اي وذلك اليهودي بين اظهرنا فامنا به وكفر بغيا وحسدا
فقلنا له ويحك يا فلان الست الذي قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به ومن ذلك ما جاء عن عمرو بن عبسة
السلمي رضي الله تعالى عنه قال رغبت عن الهة قومي في الجاهلية اي ترك عبادتها قال فلقيت رجلا من اهل الكتاب من اهل تيماء
وهي قرية بين المدينة والشام فقلت اني امرؤ من يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم اله فيخرج الرجل منهم فياتي باربعة
احجار فينصب ثلاثة لقدره ان يستحسنها ويجعل احسنها الها فيعبده ثم لعله يجد ما هو احسن منه شكلا قبل ان يرتحل فيتركه
وياخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ما هو احسن منه تركه واخذ ذلك الاحسن فرايت انه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلني
على خير من هذا قال يخرج من مكة رجل يرغب عن الهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رايت ذلك فاتبعه فانه ياتي بافضل الدين
فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك الا مكة فاسأل هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسالت فقيل لي حدث رجل يرغب عن
الهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتي حتى قدمت منزلي الذي كنت انزله بمكة فسالت عنه فوجدته مستخفيا ورايت
قريشا عليه اشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسالته اي شيء انت قال نبي قلت من نبأك قال الله قلت وبم ارسلك
قال بعبادة الله وحده لا شريك له وبحقن الدماء وبكسر الاوثان وصلة الرحم وامان السبيل فقلت نعم ما ارسلت به قد امنت
بك وصدقتك اتامرني ان امكث معك او انصرف قال الا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع ان تمكث كذلك في اهلك
فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في اهلي حتى خرج صلى الله عليه وسلم الى المدينة سرت اليه فقدمت
المدينة فقلت يا نبي الله اتعرفني قال نعم انت السلمي الذي اتيتني بمكة ومن ذلك ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال
من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى لنا وهداه ما كنا نسمع من احبار يهود كنا اهل شرك اصحاب اوثان
وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان
نبي يبعث الان نقتلكم قتل عاد وارم اي نستأصلكم بالقتل فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمدا
صلى الله عليه وسلم اجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم اليه فامنا به وكفروا ففينا
نزلت هذه الايات في البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ومن ذلك ما حدث به شيخ من بني قريظة قال ان رجلا من يهود من
اهل الشام يقال له ابن الهيبان اي الجبان قدم الينا قبل الاسلام بسنين فحل بين اظهرنا والله ما راينا رجلا قط
لا يصلي الخمس افضل منه اي لا اظن احدا من غير المسلمين لان المسلمين يصلون الخمس فلا اصلية لا زائدة فاقام عندنا
فكنا اذا قحط المطر اي احتبس قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة
فنقول له كم فيقول صاعا من تمر او مدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر
السحاب ويسقى قد فعل ذلك غير مرة اي لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل اكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه

مبث قال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من ارض الخمر والخمير وباسكان الحم الشجر المنقلب والحير الى ارض البؤس والجوع
فقلنا انت اعلم قال انما قدمت هذه الارض اتوكف اي اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه اي اقبل وقرب كانه لقرب اظلهم اي الذي عليهم
ظلة وهذه البلد مهاجره وكنت ارجو ان يبعث فاتبعه فقد اظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء
وبسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال الهم نفر
من هدل بفتح الهاء وفتح الدال المهملة وقيل بسكونها اخوة بني قريظة وهم ثعلبة بن سعية واسد بن سعية ويقال اسيد
بالتصغير واسد بن عبيد وكانوا شبانا احداثا يا بني قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا واسلموا فاحرزوا دماءهم واموالهم و
اهليهم كما سياتي قال ومن ذلك خبر العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيهم ابو سفيان
بن حرب فورد كتاب حنظلة بن ابي سفيان ان محمدا قائم في ابطح مكة يقول انا رسول الله ادعوكم الى الله تعالى ففشى ذلك
في مجالس اهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال انشدك
الله هل كان لابن اخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده
فاردت ان اقول نعم فخشيت من ابي سفيان ان يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه قال ذبحت يهود وقتلت
يهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال ابو سفيان يا ابا الفضل ان يهود تفزع من ابن اخيك فقلت قد رايت لعلك
ان تؤمن به قال لا اومن به حتى ارى الخيل في كداء اي بالمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فمي الا اني اعلم ان الله تعالى
لا يترك خيلا تطلع على كدا قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر ابو سفيان الى الخيل قد طلعت من كدا
قلت يا ابا سفيان تذكر الكلمة قال اي والله اني لاذكرها انتهى اي ومن ذلك ما جاء عن امية بن ابي الصلت الثقفي قال
لابي سفيان اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت اظن اني هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف فنظرت
فلم اجد فيهم من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال ابو سفيان
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت له لامية فقال اما انه حق فاتبعه قلت له فانت ما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف
اني كنت اخبرهن اني هو ثم اصير تبعا لغلام من بني عبد مناف وسياتي في ذلك بابسط مما هنا واما اخبار الرهبان من النصارى فمنها ما تقدم
ذكره قال ومنها خبر طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا
الموسم هل فيكم احد من الحرم فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي
يخرج فيه اي الذي يبعث فيه وهو اخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة
فوقع في قلبي ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت ابا بكر بذلك فخرج ابو بكر رضي الله تعالى عنه حتى دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك واسلم طلحة فاخذ نوفل ابن العدوية ابا بكر وطلحة رضي الله تعالى عنهما فشدهما في حبل واحد
فلذلك سميا القرينين انتهى اقول ان هذا الراهب هو بحيرا ويحتمل ان يكون نسطورا لان كلا منهما كان ببصرى كما تقدم في سفره و
يحتمل ان يكون غيرهما وهو اولى لما تقدم اي كلا من بحيرا ونسطورا لم يدرك البعثة والله اعلم اي ومنها ما حدث به سعيد بن العاص
بن سعيد قال لما قتل ابي العاص يوم بدر كنت في حجر عمي ابان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شيء سال عنه ان قال ما فعل محمد قال له عمي عبد الله بن سعيد هو والله اعز ما كان واعلاه
فكف ولم يسبه كما يسبه ثم صنع طعاما وارسل الى سراة بني امية اي اشرافهم فقال لهم اني كنت بقرية فرايت بها راهبا يقال له
بكا لم ينزل الى الارض من سنة اي من سنين فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لي حاجة فقال ممن الرجل
فقلت اني من قريش وان رجلا هناك خرج يزعم ان الله ارسله قال ما اسمه قلت محمد قال منذ كم خرج فقلت عشرين سنة

قال الا اصفه لك قلت بلى فوصفه فما اخطا في صفته شيئا ثم قال لي والله انه نبي هذه الامة والله ليظهرن ثم
دخل صومعته وقال لي اقرئ عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية اي والحديبية سيأتي انها كانت سنة
ست في العشر من ذي القعدة اي ومنها ما حدث به حكيم ابن حزام بالزاي رضي الله تعالى عنه قال دخلت
الشام بتجارة قبل ان اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من اي
العرب انتم من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فقال حكيم فقلت يجمعني واياه الاب الخامس فقال هل انت صادقي
فيما انبأ لكم عنه فقلنا نعم فقال انتم ممن اتبعه ام ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن اشياء مما
جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه الى محل في قصره وامر بفتحه وجاء الى ستر فامر بكشفه
فاذا صورة رجل فقال اتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة ادم ثم تتبع ابوابا يفتحها ويكشف عن صور الانبياء ويقول اما هذا
صاحبكم فنقول لا فيقول لنا هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال اتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا
قال اتدرون متى صورت هذه الصور قلنا لا قال منذ اكثر من الف سنة وان صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه ولوددت اني عبده فاشرب ما
يغسل من قدميه ووقع نظير ذلك لجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه وانه راى صورة ابي بكر اخذت بعقب تلك الصورة واذا صورة عمر اخذة
بعقب صورة ابي بكر فقال اتعرف هذا الذي اخذ بعقبه قلنا هو ابن ابي قحافة فقال فهل تعرف الذي اخذ بعقبه قلت نعم هو عمر بن الخطاب قال
اشهد ان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذا هو الخليفة من بعده ومنها ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله تعالى
عنه قال كنت رجلا فارسيا من اهل اصبهان من قرية من قرى يقال لها جي بفتح الجيم وتشديد الياء اي وفي لفظ من قرية من قرى
الاهواز يقال لها رامهرمز وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها نشات واما ابي فمن اصبهان وكان ابي دهقان قريته اي كبير اهل قريته اي و
في لفظ كنت من ابناء اساورة فارس وكنت احب خلق الله تعالى اليه لم يزل حبه اياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية
حتى كنت قطن النار بفتح القاف وكسر الطاء المهملة ويروى بفتحها بمعنى قاطن اي خادمها الذي يوقدها لا يتركها تخبو اي تطفأ ساعة
وكانت لابي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنياني هذا اليوم فاذهب اليها وامرني فيها ببعض ما
يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني [illegible] كنت لا ادري ما امر الناس لحبس ابي اياي في بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم انظر ماذا
يصنعون فلما رايتهم اعجبتني صلاتهم ورغبت في امرهم وقلت والله هذا خير من الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس و
تركت ضيعة ابي فلم اتها ثم قلت لهم اين اصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته
قال اي بني اين كنت الم اكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا ابت مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فاعجبني ما رايت من دينهم فوالله ما زلت
عندهم حتى غربت الشمس قال اي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين ابائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني
اي خاف مني ان اهرب فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني
بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فاخبروني فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وارادوا الرجعة فاخبروني بهم فالقيت الحديد من رجلي
ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من افضل اهل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة بتخفيف الفاء وتشديدها
هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين فجئته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين واحببت ان اكون معك فاخدمك في كنيستك
واتعلم منك واصلي معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه اشياء منها اكتنزها
لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضا شديدا لما رايته يصنع ثم مات فاجتمعت النصارى
ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يامركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها
شيئا فقالوا لي وما علمك بذلك قلت انا ادلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا فلما رأوا

وجدوا

وجدوا [illegible] قالوا والله لا ندفنه ابدا فصلبوه ورجموه بالحجارة اي ولم يصلوا عليه مثلا انهم مع
ان هذا الراهب كان يصوم الدهر ولا ياكل شيئا من الشهوات ومن ثم قال في الفتوحات المكية اجمع اهل كل ملة على ان الزهد في الدنيا
مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا احب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التي حذرنا الله تعالى منها بقوله انما اموالكم واولادكم
فتنة هذا كلامه قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني ومن فوائد الرهبان انهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون فضة ولا ذهبا قال وقد رايت
شخصا قال لراهب انظر الى هذا الدينار هو من ضرب اي الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدنيا منهي عنه عندنا قال ورايت الرهبان مرة وهم
يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له اتلفت علينا الرهبان فسالت عن ذلك فقالوا اطلعوا على انه [illegible]
فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا اعندنا وعند نبيكم هذا كلامه وعند ذلك جاؤوا برجل اخر فجعلوه مكانه فما رايت رجلا لا
يصلي الخمس اراه افضل منه اي لا اظن احدا من غير المسلمين افضل منه ولا ازهد في الدنيا ولا ارغب في الاخرة ولا ادأب ليلا ونهارا
منه فاحببته حبا شديدا لم احبه شيئا قبله فاقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان اني كنت معك واحببتك حبا لم احبه
شيئا قبلك وقد حضرك من امر الله ما ترى تعالى فالى من توصي قال يا بني والله ما اعلم احدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا و
تركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فاخبرته
خبري وما امرني به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبه فاقمت مع خير رجل فلما احتضر قلت يا فلان ان
فلانا اوصى بي اليك وامرني باللحوق بك وقد حضرك من امر الله ما ترى فالى من توصي بي وبم تامرني قال يا بني والله ما اعلم رجلا
على مثل ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما
امرني به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت
فلما احتضر او حضرته الملائكة لتقبض روحه قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بي الى فلان ثم ان فلانا اوصى بي اليك فالى من توصي بي قال يا بني
والله ما اعلم بقي احد على امرنا امرك ان تاتيه الا رجلا بعمورية فانه على مثل ما نحن عليه فان احببت فاته فلما مات واخبرته خبري فقال اقم عندي
فاقمت عند خير رجل على هدي اصحابه وامرهم واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ثم نزل به امر الله تعالى فلما احتضر قلت له يا فلان اني
كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم اوصى بي فلان الى فلان ثم اوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تامرني قال اي بني والله ما اعلمه اصبح
على ما كنا عليه احد من الناس امرك ان تاتيه ولكنه قد اظل اي اقبل وقرب زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى ارض بين
حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب
اقول وهذا السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى اربعة وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون وفي النور انهم
بضعة عشر وان هذا اظهر والله اعلم قال سلمان ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم بقراتي هذه وغنمي
هذه فقالوا نعم فاعطيتموها اي اعطيتهم اياها وحملوني معهم حتى اذا بلغوا وادي القرى وهو محل من اعمال المدينة المنورة ظلموني فباعوني
من رجل يهودي فكنت عنده ورايت النخل فرجوت ان تكون البلدة التي وصف لي صاحبي ولم يحق عندي اي لم يتحقق ذلك فبينا انا عنده
اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة فوالله ما هو الا ان رايتها فعرفتها اي تحققتها بصفة صاحبي
فاقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ما اقام لا اسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله
اني لفي عذق اي نخل لسيدي اعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي اذ اقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال له يا فلان قاتل الله بني قيلة
اي ولد الاوس والخزرج لان قيلة امهما فقد جاء ان [illegible] العرب [illegible] يا بني قيلة الاوس والخزرج والله
انهم الان لمجتمعون بقباء بالمد والقصر [illegible] على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فلما
سمعتها اخذتني العرواء اي الحمى النافض اي الرعدة والبرحاء الحمى الصالب حتى ظننت اني ساسقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت اقول

لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ثم قال ما لك ولهذا اقبل على عملك فقلت لا شيء انما اردت ان استثبته فيما قال
وقد كان عندي شيء جمعته اي وهو محتمل لان يكون تمرا وان يكون رطبا فلما امسيت اخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك اصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان
عندي للصدقة فرأيتكم احق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك يده فلم يأكل
فقلت في نفسي هذه واحدة اي ومن ثم لما اخذ الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه وهو طفل تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فمه
قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ اما تعرف انا لا نأكل الصدقة رواه مسلم وتقدم ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال اني لا
انقلب الى اهلي فاجد التمرة ساقطة على فراشي ثم ارفعها لآكلها ثم اخشى ان تكون صدقة فالقيها وتقدم انه صلى الله عليه وسلم وجد
تمرة فقال لولا ان تكون من الصدقة لاكلتها وقال ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد انما هي اوساخ الناس وفي رواية ان هذه
الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد والراجح من مذهبنا حرمة الصدقتين عليه صلى الله عليه وسلم
دون صدقة الفرض ودون النفل على آله وقال الثوري لا تحل الصدقة لآل محمد لا فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم لان مولى القوم
منهم بذلك جاء الحديث قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا هو ايضا محتمل لان يكون تمرا وان يكون رطبا وتحول رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته فقلت اني رايتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية اكرمتك بها فاكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامر اصحابه فاكلوا معه فقلت في نفسي هاتان ثنتان اي ومن ثم روى مسلم كان اذا اتي بطعام سال عنه
فان قيل هدية اكل منها وان قيل صدقة لم يأكل منها قال سلمان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع
الغرقد وقد تبع جنازة رجل من اصحابه اي وهو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقباء لما قدم المدينة قبل وهو اول من دفن به وقيل اول من دفن به اسعد بن زرارة وقيل اول من دفن به عثمان ابن
مظعون وجمع بان اول من دفن من المهاجرين عثمان اي فقد مات في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة واول
من دفن به من الانصار كلثوم واسعد اي وفي الوفيات لابن بريد مات كلثوم ثم من بعده ابو امامة اسعد بن زرارة في
شوال من السنة الاولى من الهجرة ودفن بالبقيع هذا كلامه ولم يذكر الوقت الذي مات فيه كلثوم وفي النور عن الطبري
انه مات بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بايام قليلة واول من مات من الانصار البراء بن معرور مات قبل
قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا بشهر ولما حضره الموت اوصى ان يدفن ويستقبل الكعبة ففعلوا به ذلك ولما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبره هو واصحابه وكبر اربعا ولم اقف على محل دفنه وقولهم ان اول من
دفن بالبقيع كلثوم يدل على ان البراء لم يدفن بالبقيع الا ان يراد الاولية بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر ان
هذه اول صلاة صليت على القبر قال سلمان وكان عليه السلام شملتان وهو جالس في اصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى
ظهره هل ارى الخاتم الذي وصف لي فالقى الرداء عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وابكي فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثي قال ابن عباس فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك اصحابه
اي وفي شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فاتي بتاجر من
اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودي وحرف الترجمة
فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ان سلمان يشتمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفارسي جاء يؤذينا فنزل جبريل عليه
السلام وترجم عن كلام سلمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي الذي ترجم جبريل عليه السلام لليهودي فقال اليهودي يا محمد
ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الي فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت اعلمها من قبل والآن علمني جبريل عليه السلام اي كما

فقال

فقال اليهودي يا محمد قد كنت قبل هذا اتهمك والآن تحقق عندي انك رسول الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك
رسول الله ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام علم سلمان العربية فقال قل له يغمض عينيه ويفتح فاه
ففعل سلمان فتفل جبريل في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربي الفصيح وهذا السياق يدل على ان ذلك كان عند مجيئه في هذه
المرة الثالثة وحينئذ يشكل مجيئه اولا وثانيا وقوله ما تقدم بالعربية الا ان يقال ذلك الكلام سهل عليه ان يعبر عنه بالعربية
بخلاف حكاية حاله الكثير فلم يحسن ان يعبر عنه بالعربية لم تختلف الروايات عن سلمان في الشيء الذي جاء به الى النبي صلى الله
عليه وسلم اولا وثانيا فالرواية المتقدمة الاولى ظاهرها يقتضي انه تمر انتهى اي وفيه من اين ان ظاهرها ذلك بل هي محتملة و
وقد جاء التصريح بكونه تمرا في الاولى والثانية في بعض الروايات وسالت سيدي ان يهب لي يوما ففعلت فعملت في ذلك
اليوم على صاع او صاعين من تمر وجئت به الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رايته لا يأكل الصدقة سالت سيدي ان يهب لي
يوما آخر ففعلت فعملت على ذلك اي صاع او صاعين من تمر ثم جئت به النبي صلى الله عليه وسلم فقبله واكل منه اي والذي في كلام
السهيلي قال سلمان كنت عبدا لامرأة فسألت سيدتي ان تهب لي يوما الحديث وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عبر بسيدته بزوجها
لانه يقال لها سيدة في المتعارف بين الناس او ان المرأة هي التي اشترته ويدها باقية وزوج تلك المرأة يقال له في المتعارف بين
الناس سيده لعله قيل ان الذي جاء به اولا وثانيا رطب وفي رواية احتطبت حطبا فبعته واشتريت بذلك طعاما اي الطعام
خبز ولحم وفي رواية جئت بمائدة عليها رطب وفي رواية عليها رطب وجمع بانه اولا قدم الخبز واللحم الذي هو البطء والتمر ثم قدم الرطب
لم يجد المقدم وفي سند الامام احمد ان المرات ثلاث وان المقدم فيما عدا اشتمل اقول تقدم الرطب في المرة الثانية يخالف ما تقدم
انه في المرة الثانية كان تمرا والله اعلم ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد فكان اول
مشاهده الخندق كما سياتي وكان بعد ذلك يقال له سلمان الخير وكان معدودا من احصائه صلى الله عليه وسلم قال سلمان ثم قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة احييها له بالفقير على وزن فعيلة وهي النخلة
الصغيرة يقال لها الفسيلة احييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف اي الحفر اي ومن ثم قيل الحفير الفقير اي احفر لها واغرسها بتلك الحفرة
وتقريحه بتلك الحفرة اي احفر لها اغرسها بتلك الحفرة وتقريحه بتلك الحفرة وانعهدها الى ان تثمر والودية والفسيلة هي النخل
الصغيرة التي جرت العادة بان تنقل من المحل الذي نبتت فيه الى محل آخر لكن في كلام بعضهم اذا خرجت النخلة من النواة قيل لها غريسة
ثم يقال لها ودية ثم فسيلة ثم اشاءة فاذا فاتت اليد فهي جبارة ويقال للنخلة الطويلة عوانة بلغة عمان وفي الحديث اذا قامت
الساعة وبيد احدكم فسيلة فان استطاع ان يغرسها قبل ان يقوم فليغرسها وعلى اربعين اوقية اي من ذهب كما سياتي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعينوا اخاكم فاعانوني بالنخل الرجل بثلاثين والرجل بعشرين ودية والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر
يعني الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية قال وفي رواية انه كوتب على ان يغرس له خمسمائة فسيلة اي يحفر لها ويغرسها او يتعهدها الى
ان تثمر وعلى اربعين اوقية من ذهب كما سياتي قال سلمان فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر اي بالفاء
وفي رواية فنقر اي بالنون اي احفر لها فاذا فرغت فائتني اكن انا اضعها بيدي ففقرت وفي رواية فنقرت لها واعانني اصحابي
اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فاخبرته فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي فيضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده فما ماتت منها ودية واحدة فاديت النخل وبقي علي المال فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة اي
وفي رواية مثل بيضة الحمامة من ذهب من بعض المعادن ولعل هذه البيضة كانت مترددة بين بيضة الدجاجة وبين
بيضة الحمامة اي اكبر من بيضة الحمامة واصغر من بيضة الدجاجة فاختلف فيها التشبيه فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل
الفارسي المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان اي تكون بعضا مما عليك وحينئذ قد يتوقف في جواب

سلمان بقوله فقلت واين تقع هذه يا رسول الله مما علي لان الذي يؤدي بعضه وان قل ذلك البعض الا ان يقال العادة قاضية
بان ذلك البعض لا يقبل الا اذا كان له وقع لكثرة بالنسبة وقد اشار صلى الله عليه وسلم للرد على سلمان بان هذا الذي قلت
منه انه لا يحسن ان يكون بعضا مما عليك يوفي بها الله عنك جميع ما عليك حيث قال خذها فان الله سيؤدي بها عليك فاخذتها
فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده اربعين اوقية فاوفيتهم حقهم اي وبقي عندي مثل ما اعطيتهم قال وهذا اي سؤال
سلمان وجوابه صلى الله عليه وسلم كالصريح في ان الاواق التي كاتب عليها كانت ذهبا لا فضة وتقدم اي مما يدل على
ذلك في بعض الروايات ان سلمان لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم واين تقع هذه مما علي فقلبها صلى الله عليه وسلم على
لسانه ثم قال خذها فاوفهم منها وايضا اي ومما يدل على ذلك ايضا ان من المعلوم ان قدر بيضة الدجاجة من الذهب يعدل
اكثر من اربعين اوقية من الفضة انتهى اي بلا اخص قول سلمان واين تقع هذه مما يدل علي وقد صرح بذلك اي بكونها ذهبا
البلاذري عن القاضي في الشفاء فقال لا على اربعين اوقية من ذهب والى القصة اشار صاحب الهمزية بقوله ووفى بقدر بيضة
من نضار دين سلمان حين حان الوفا كان يدعي قنا فاعتق لما اينعت من نخيله الاقنا افلا تعذرون سلمان لما ان عرته من ذكره
العرواء اي ووفى قدر بيضة من بيض الدجاج او الحمام من ذهب دين سلمان وهو اربعون اوقية من ذهب حين قرب حلول الدين
وتقدم انه وفى دينه منها وبقي عنده منها قدر ما اعطاهم وسبب هذا الدين على سلمان انه كان يدعي قنا اي ارقا بالباطل كما تقدم
فكوتب على ذلك وعلى ان يغرس تلك النخل ويتعهدها الى ان تثمر واعتق باداء هذا الدين حين اينعت الغراس من نخيله التي غرسها
اي غرست له افلا توجدون لسلمان عذرا منكم من اجل انه حين غشيته قوة الحمام من اجل سماع ذكره صلى الله عليه وسلم قال
سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وغرس بيده اي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى
سلمان اي كان سبب الشراء اي المكاتبة من قوم اليهود بكذا وكذا درهما وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك
فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضي الله تعالى عنه فاطعم النخل كله الا تلك النخلة التي غرسها عمر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها فقالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فاطعمت من عامها
وذكر البخاري ان سلمان رضي الله تعالى عنه غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سايرها فعاشت كلها
الا التي غرسها سلمان قال لا يجوز ان يكون كل من سلمان وعمر غرس هذه النخلة احدهما قبل الاخر انتهى اقول وهذه الحايط الذي
غرس فيه لسلمان من حوايط بني النضير وكان يقال له الميثب وقد آل اليه صلى الله عليه وسلم كما سياتي ولا يخفى ان قول صاحب الهمزية
كان يدعي قنا يفيد انه لم يك حقيقة وقد تقدم ذلك وغيره انه لم يك حقيقة لما اقره على الرق وامره صلى الله عليه وسلم بالمكاتبة
وادى عنه وكونه فعل ذلك تطييبا لخاطر ساداته بعيد فليتامل فان قيل اذا رق حقيقة كيف جاز له صلى الله عليه وسلم ان يامر اصحابه
ان ياكلوا ما جاء به صدقة ويأكل هو مما جاء به هدية والرقيق لا يملك وان ملكه سيده على الاصح عندنا معاشر الشافعية بل و
عند باقي الائمة قلنا يجوز ان يكون الرقيق كان في صدر الاسلام يملك ما ملكه له سيده ثم نسخ فذلك على ان بعض اصحابنا ذهب
الى صحته وفي كلام السهيلي وذكر ابو عبيد ان حديث سلمان حجة على من قال ان العبد لا يملك هذا كلامه وانه صلى الله عليه
وسلم لم يجلوه حتى لا ان الاصل في الناس الحرية ولعدم تحقق رق سلمان وعدم مجيء مكاتبته على قواعد ائمتنا الرشيد لو اعلى
مشروعية الكتابة بقصة سلمان وفي كلام السهيلي ان في خبر سلمان من الفقه قبول الهدية وترك سؤال المهدي وكذلك الصدقة
وفي الحديث من قدم اليه الطعام فلياكل ولا يسال والله اعلم وعن سلمان رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اخبره بالقصة المتقدمة وزاد ان صاحب عمورية قال له ايت كذا وكذا من ارض الشام فان بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة
من هذه الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام فلا يدعو لاحد منهم الا شفي فاسأله عن هذا الدين فهو يخبرك به

قال

قال سلمان فخرجت حتى جئت وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيضتين الى
الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا منكبيه فتناولته فقال من هذا والتفت الي فقلت يرحمك الله اخبرني عن الحنيفية دين ابرهيم عليه الصلوة
والسلام فقال انك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم قد اظلك نبي يبعث بهذا الدين من اهل الحرم فاته فهو يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني لقد لقيت عيسى بن مريم والغيضة الشجر الملتف قال السهيلي هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول
ويقال ان الرجل هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف باجماع منهم وان صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه فقد ذكر الطبري ان المسيح عليه الصلوة
والسلام نزل بعدما رفع وامه وامرأة اخرى اي كانت مجنونة فابرأها المسيح عند الجذع الذي فيه الصليب يبكيان فاهبط اليهما فكلمهما وقال
لهما على من تبكيان فقالا عليك فقال اني لم اقتل ولم اصلب ولكن الله رفعني واكرمني وامرهما ان الله اوقع شبهه على الذي صلب وارسل
الى الحواريين ابي ثم بثوا في الارض وتلك المرأة بلغا الحواريين امره اذ يلقوني في موضع كذا ليلا فجاء الحواريون ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا
لنزوله فيه ثم امرهم ان يدعوا الناس الى دينهم وعبادة ربهم ووجههم الى الامم ولذا جاز ان ينزل مرة جاز ان ينزل مرارا لكن لا يعلم انه هو الا حقيقة
حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحاح هذا كلامه وروي انه اذا نزل تزوج امرأة من جذام فتلد له
باليمن ويولد له ولدان يسمي احدهما محمدا والاخر موسى ويمكث اربعين سنة وقيل خمسا واربعين وقيل وسبع سنين كما في مسلم وقيل ثمان سنين
وقيل تسع وقيل خمس اي وجمع بين كون مدة مكثه اربعين سنة او خمسا واربعين وبين كونها سبع سنين اي وما بعد ذلك بان المراد
بالاولى مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده والسبعة اي وما بعدها من الاقوال تكون بعد نزوله ويدفن اذا مات في روضة النبي
صلى الله عليه وسلم قال وقيل في حجرته صلى الله عليه وسلم اي بعند قبره الشريف وقيل في بيت المقدس انتهى اي وقيل ويدفن معه
صلى الله عليه وسلم في قبره ويؤيده ما ورد ويدفن معي في قبري فاقوم انا وعيسى من قبر واحد بين ابي بكر وعمر اقول وكما يقتل عيسى
عليه الصلوة والسلام الخنزير يقتل الدجال فعند مجيئه ينزل عيسى حكما مقسطا يحكم بشرعنا ويقتل الله الدجال عند صلوة الفجر فيصلي خلف المهدي
بعد ان يقول له المهدي تقدم يا روح الله فيقول له تقدم قد اقيمت لك وفي رواية ينزل بعد شروع المهدي في الصلوة فيرجع المهدي
القهقرى ليتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ويقول له تقدم فاذا فرغ من الصلوة اخذ حربته وخرج خلف الدجال فيقتله عند
باب لد الشرقي وورد ان المهدي يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال وقد جاء ان المهدي من عترة النبي صلى الله عليه وسلم
من ولد فاطمة رضي الله عنها قيل من ولد الحسين وقيل من ولد الحسن وقيل من ولد عمه العباس فعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ان امه ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فاتيني به قالت فلما ولدته اتيته به
فاذن في اذنه اليمين واقام في اليسرى والباه اي اسقاه اللبا من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بابي الخلفاء فاخبرت العباس
فاتاه فقال هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي اي الخليفة وهو ابو الرشيد بدليل قوله حتى
يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم اي وهو المهدي الذي يأتي اخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد وفي
رواية الا ليلة واحدة لطول الله ذلك حتى يبعثه ولظهوره يكون بعد ان يكسف القمر في اول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف
منه ومثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض عمره عشرون سنة وقيل اربعون سنة ووجهه كوكب دري على خده الايمن
خال اسود يخرج في زمان الدجال وينزل في زمانه عيسى بن مريم واما ما ورد لا مهدي الا عيسى عليه الصلوة والسلام فقد جاء لن
تهلك امة انا اولها وعيسى بن مريم اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال انظر هل ترى في السماء من شيء قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال اما انه سيملك هذه الامة بعددها من صلبك اي
وقد اختلف الناس في عددها المرئي فقيل سبعة انجم وقيل تسعة وجمع بينهما بان الاول يكون هو المرئي لغالب الناس ولغير حديد
البصر والثاني لمن يكون حديد البصر منهم واما المرئي له صلى الله عليه وسلم فقيل كان يرى احد عشر نجما وقيل اثني عشر نجما وجمعنا

بينهما بحمل الاول على ما اذا لو يمعن النظر والثاني على ما اذا امعن النظر وحينئذ يقتضي هذا ان تكون الخلفاء من بني العباس اثني عشر وعن سعيد بن
جبير سمعت ابن عباس يقول يكون منا ثلاثة اهل البيت السفاح والمنصور والمهدي ورواه الضحاك عن ابن عباس مرفوعا والمهدي في هذه
الرواية يحتمل ان المراد به ابو الرشيد ويحتمل ان يكون المنتظر وروى ابو نعيم بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم خرج متلقيا العباس فقال
الا ابشرك يا ابا الفضل قال بلى يا رسول الله قال ان الله فتح بي هذا الامر وبذريتك يختمه وفي رواية ويختمه بولدك وقد افردت ترجمة
المهدي المنتظر بالتاليف في مجلد حافل سماه [illegible] العواصم عن الفتن القواصم وقد رويت قصة سلمان رضي الله تعالى عنه على غير هذا الوجه
الذي تقدم فقد قال كان لي اخ اكبر مني وكان يستطعم شيئا بيده وجعل الجبل يفعل ذلك غير مرة فانكر انطلقت له انك تفعل كذا وكذا قال
لا تذهب بعد قال انت غلام وانا اخاف ان يظهر منك شيء قلت لا تخف ان في هذا الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله
ويذكرون الاخرة ويزعمون انا على غير دين فلما ذهب بي معه اليهم قال حتى استامرهم فاستامرهم فقالوا اجيء به فذهبت معه
البهم فاذا هم ستة او سبعة وكان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل ياكلون الشجر وما
وجدوا فقعدنا اليهم فحمدوا الله واثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والانبياء حتى خلصوا الى عيسى بن مريم قالوا
ولد بغير ذكر وبعثه الله رسولا وسخر له ما كان يفعل من احياء الموتى وخلق الطير وابراء الابرص والاعمى فكفر به قوم وتبعه قوم
ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وان لك معادا وان بين ذلك جنة ونارا اليهما مصيرا وان هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران اهل كفر
وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم فقالوا مثل ذلك واحسن فلزمتهم ثم اطلع عليهم
الملك فامرهم بالخروج من بلاده فقلت ما انا بمفارقكم فخرجت معهم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا اخوانهم ثم اتاهم رجل من كهف جبل
فسلم وجلس فحفوا به فقال لهم اين كنتم فاخبروه قال ما هذا الغلام فاثنوا علي خيرا واخبروه باتباعي اياهم ولم ار مثل اعظامهم له
فحمدوا الله واثنوا عليه ثم ذكر من ارسل الله من رسله وانبيائه وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر عيسى بن مريم ثم وعظهم و
قال اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تخالفوا فيخالف بكم ثم اراد ان يقوم فقلت ما انا بمفارقك فقال يا غلام انك لا تستطيع
ان تكون معي اني لا اخرج من كهفي هذا الا كل يوم احد قلت ما انا بمفارقك فتبعته حتى دخل الكهف فما رايته نائما ولا
طاعما الا راكعا وساجدا الى الاحد الاخر فلما اصبحنا خرجنا واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الاولى ثم رجع الى كهفه ورجعت
معه فلبثت ما شاء الله ان يخرج في كل يوم احد ويخرجون اليه ويعظهم ويوصيهم فخرج احد فقال مثل ما كان يقول ثم
قال يا هؤلاء اني كبرت سني ورق عظمي وقرب اجلي وانه لا عهد لي بهذا البيت يعني بيت المقدس منذ كذا وكذا سنة فلا بد لي من اتيانه
فقلت ما انا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى اتينا الى بيت المقدس فدخل وجعل يصلي وكان فيما يقول لي يا سلمان ان الله سوف
يبعث رسولا اسمه احمد يخرج من جبال تهامة علامته ان ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة و
هذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فاما انا فشيخ كبير لا احسبني ادركه فان ادركته انت فصدقه واتبعه فقلت و
ان امرني بترك دينك وما انت عليه قال وان امرك ثم خرج من البيت المقدس وعلى بابه مقعد فقال له ناولني يدك فناوله
يده فقال له قم باسم الله فقام كانما نشط من عقال فقال لي المقعد يا غلام احمل علي ثيابي حتى انطلق فحملت عليه ثيابه فذهب الراهب
وذهبت في اثره اطلبه كلما سالت عنه قالوا امامك حتى لقيني ركب من كلب فسالتهم فلما سمعوا لغتي اناخ رجل بعيره
وحملني خلفه حتى اذا بلغوا بلادهم باعوني فاشترتني امراة من الانصار فجعلتني في حائط لها او بستان وقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرت به فاخذت شيئا من تمر حائطي ثم اتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين يديه فقال
ما هذا قلت صدقة قال للقوم كلوا ولم ياكل هو ثم لبثت ما شاء الله ثم اخذت مثل ذلك ثم اتيته فوجدت عنده اناسا
فوضعت بين يديه فقلت هدية قال بسم الله واكل واكل القوم فقلت في نفسي هذه من اياته ويحتاج الى الجمع بين هذا الوجه

وبين

وبين ما تقدم على تقدير صحتها وفي الدر المنثور ان امراة من جهينة اشترته وصار يرعى غنما لها فبينا هو يرعى اذ اتاه صاحب له
فقال له اشعرت انه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم انه نبي فقال له سلمان اقم في الغنم حتى اتيك فهبط سلمان الى المدينة [illegible]
بدينار ببعضه شاة فشواها وببعضه خبزا ثم اتاه به فقال ما هذا قال سلمان هذه صدقة قال لا حاجة لي بها فاخرجها فاكلها
اصحابه ثم انطلق فاشترى بدينار اخر خبزا ولحما فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال هذه هدية قال فاقعد فكل فقعدوا
كلوا جميعا منها [illegible] خلفه ليقظ بي فاخرج ثوبه فاذا الخاتم في ناحية كتفه الايسر فتبينته ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله وهذه الرواية تخالف ما تقدم فليتامل ولينظر كيف الجمع ونقل بعضهم الاجماع على ان سلمان عاش
مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان ياخذ من بيت المال في كل سنة خمسة الاف وكان يتصدق بها ولا ياكل
الا من عمل يده وكان له عباءة يفرش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو امير على المداين وهو يعمل الخوص فقلت له لم تعمل
هذا وانت امير وهو يجري عليك رزق فقال اني احب ان اكل من عمل يدي وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فاكلوا معه
واول مشاهده الخندق كما تقدم وقيل شهد بدرا واحدا الا انه كان رقيقا وهو مكاتب فيكون اول مشاهده الخندق بعد عتقه والله اعلم
واما اخبار الكهان لا من السنة الجان فكثيرة منها ما تقدم في الجلد ولادته صلى الله عليه وسلم وفي ايام رضاعه قال ومنها ايضا خبر عمرو بن
معدي كرب رضي الله تعالى عنه قال والله لقد علمنا ان محمدا رسول الله قبل ان يبعث فقيل له وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا في امر نزل
بنا فقال الكاهن اقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الادراج والريح ذات العجاج ان هذا الامر لعلم من اجيج النار وهو النهار
ولقاح ذي نتاج فقالوا وما نتاجه فقال نتاج ظهور نبي صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا واين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر
بصلاح ويدعو الى فلاح ويبطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن كل امر قباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم
وعزه سرمد وخصمه يكيد انتهى ومنها خبر قس بن ساعدة الايادي وهو اول من قال البينة على المدعي واليمين على من انكر واول من اتكى على
عصا او قوس او سيف عند الخطبة وقيل ان اول من تكلم ان البينة على المدعي واليمين على من انكر داود عليه الصلوة والسلام وان
ذلك فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ايكم يعرف القس بن ساعدة الايادي قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال لما انساه بعكاظ على جمل احمر
وهو يقول ايها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو ات ات ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا اقسم قس
قسما حتما لئن كان في الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذي انتم عليه ما لي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام
فاقاموا ام تركوا هناك فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم ايكم يروي شعره فانشدوه له عليه الصلوة والسلام في الذاهبين الاولين من القرون لنا
بصائر ورايت قومي نحوها المنتهى الاصاغر والاكابر ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا في قومه وقيل له الجارود لانه غار على قوم من بني بكر بن وائل فجردهم اي اخذ جميع
اموالهم واليه الاشارة بقول الشاعر ودسناهم بالخيل من كل جانب كما جرد الجارود بكر بن وائل فلما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يا رسول الله قال
الجارود وانا بين القوم كنت اقفو اثره كان من اسباط العرب [illegible] عمر سبعمائة سنة وقيل ستمائة سنة ادرك
من الحواريين سمعان فهو اول من تاله من العرب وترك عبادة الاصنام واول من قال اما بعد وقيل اول من قال ذلك كعب بن
لوي كما تقدم [illegible] وقيل يعرب بن قحطان وقيل داود وهو فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته وبعد
لفظة عربية وفصل الخطاب الذي اوتيه هو فصل الخصومة [illegible] ما تقدم عنه انه اول من قال البينة على المدعي
واليمين على من انكر وتقدم ما فيه وجمع بان الاولية بالنسبة لداود حقيقية ولغيره اضافية فلكعب بن لوي بالنسبة للعرب

والعزم بالنية لقبلته وقس اول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود وكانى انظر اليه يقسم بالرب الذى هو له ليبلغن الكتاب اجله وليوفين
كل عامل عمله ثم انشا يقول هاج للقلب من جواه ادكار وليال خلالهن نهار وجبال شوامخ راسيات وبحار مياههن غزار ونجوم تلوح فى ظلم
الليل نراها فى كل يوم تدار الذى قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود
الرسل بكسر الراء التؤدة فلست انساه بسوق عكاظ اى وهو سوق بين بطن نخلة والطايف كان سوقا لثقيف وقيس عيلان
كان على جمل اورق اى يضرب لونه الى السواد وهو يتكلم بكلام ما اظن انى احفظه وفى لفظ تكلم بكلام له حلاوة لا احفظه الآن
فقال ابو بكر يا رسول الله فانا احفظه كنت حاضرا ذلك السوق بسوق عكاظ فقال فى خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا انه من
عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وارزاق واقوات وآباء وامهات واحياء واموات جمع واشتات وآيات
بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ليل داج اى مظلم وسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج ما لى ارى
الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو احب
اليه من دينكم الذى انتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه تبا لارباب
الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد اين الآباء والاجداد واين المريض والعواد واين الفراعنة
الشداد اين من بنى وشيد وزخرف ونجد اين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم
يكونوا اكثر منكم اموالا واطول منكم آجالا وابعد منكم آمالا طحنهم الثرى بكلكله اى بصدره ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم
خاوية عمرتها الذياب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشا يقول الابيات المتقدمة وفى رواية
لما قدم وفد اياد على النبى صلى الله عليه وسلم قال يا معشر وفد اياد ما فعل قس بن ساعدة الايادى قالوا هلك يا رسول الله قال
لقد شهدته يوما بسوق عكاظ على جمل احمر يتكلم بكلام معجب مونق لا اجدنى احفظه الآن فقام اعرابى من اقصى القوم فقال انا احفظه يا
رسول الله فسر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك كان يقول يا معشر الناس اجتمعوا فكل من مات فات وكل شىء آت آت ليل داج وسماء ذات
ابراج وبحر عجاج نجوم تزهر وجبال مرسية وانهار مجرية الحديث وفى رواية ابن المصيصى [illegible] ملك الخافقين واذل الثقلين
وعمر العين ثم كان ذلك [illegible] قال وفى رواية اخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق
عكاظ فقال سيأتيكم حق من هذا الوجه واشار بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل ابلج احور من ولد لوى بن غالب يدعوكم
الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفد فان دعاكم فاجيبوه ولو علمت انى اعيش الى مبعثه لكنت اول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة
من طرق متعددة قال الحافظ ابن كثير هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات اصل القصة وقال الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث كلها
ضعيفة وهو يرد قول ابن الجوزى فهو موضوع حديث قس بن ساعدة من جميع جهاته باطل انتهى اقول فى كون التوراة ان وقصة قس ما
يوصل الى التعدد مرة خطبه عليه الصلوة والسلام كلامه وكان قس على جمل احمر والثانية التى لم يحفظ صلى الله عليه وسلم فيها
كلامه وكان قس على جمل اورق قال لكن لا ادرى لى الرهين كانشا لا هذا كلامه وقد يقال النسيان جائز عليه صلى الله عليه وسلم
فيجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم نسى كلام قس بعد الاخبار به لا احفظه الآن او قيل الاخبار به فيكون
خبره صلى الله عليه وسلم متاخرا عن خبر ابى بكر فيكون ذلك دالا على التعدد ووصف الجمل بانه احمر ووصفه بانه اورق لا يدل على التعدد
لانه يجوز ان يكون شديد الحمرة وشدة الحمرة تميل الى السواد وهو الاورق فعبر عنه مرة بانه احمر ومرة بانه اورق وهذا السياق يدل على
تعدد مجىء وفد عبد القيس مرة جاؤا وحدهم ومرة جاؤا مع سيدهم الجارود وقد جاء رحمه الله قد اشكل على ابن ابى اسمعيل بن ابراهيم رحمه الله
اعلم وعن ذلك الجزء نافع الجرشى نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير [illegible] ان طائفة من اليمن كان
لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه فى اسفل جبل

فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما ومتكئا على قوس فرفع راسه الى السماء طويلا ثم قال يا ايها الناس ان الله اكرم محمدا و
اصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكث فيكم ايها الناس قليل واما اخبار الكهان على السنة الجان فكثيرة ايضا منها خبر سواد بن قارب رضى الله تعالى
عنه كان يتكهن فى الجاهلية وكان شاعرا ثم اسلم عن محمد بن كعب القرظى قال بينا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل
فقال له يا امير المؤمنين اتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذى اتاه رئيه اى تابعه من الجن الذى يرى له اتاه بظهور
النبى صلى الله عليه وسلم اى بمبعثه قال عمر رضى الله تعالى عنه على منبر النبى صلى الله عليه وسلم ايها الناس اينكم سواد بن قارب فلم يجبه
احد فلما كانت السنة المقبلة ولعل هذا كان فى زمن الحج للزيادة من الآفاق قال ايها الناس اينكم سواد بن قارب قال بعضهم يا امير المؤمنين
ما سواد بن قارب فقال ان سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيئا عجيبا قال فبينما نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فقال له
عمر رضى الله عنه فقال له انت سواد بن قارب قال نعم قال انت الذى اتاك رئيك بظهور النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم قال
قال فانت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلنى بهذا احد منذ اسلمت يا امير فقال له سبحان الله
ما كنا عليه من الشرك اى من عبادة الاصنام اعظم مما كنت عليه من كهانتك اى وفى رواية انه رضى الله عنه قال اللهم غفرا قد
كنا فى الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى اكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام اقول [illegible] ان
المتبادر ان غضب سواد انما هو بسبب ما فهم من نسبته الى الكهانة بعد الاسلام لا قبله بدليل قوله ما استقبلنى بهذا احد
منذ اسلمت وجواب سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه يدل على انه فهم ان غضب سواد بسبب نسبته للكهانة قبل الاسلام فلذلك
قال سبحان الله متعجبا منه وكلام السهيلى ان عمر رضى الله تعالى عنه مازح سوادا رضى الله عنه فقال له ما فعلت كهانتك يا سواد
فغضب وقال له سواد قد كنت انا وانت على شر من هذا من عبادة الاصنام واكل الميتات اتعيرنى بامر قد تبت منه فقال له عمر رضى الله
عنه اللهم غفرا لينا مل والله اعلم ثم قال لسواد اخبرنى ما انباك رئيك بظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال يا سواد حدثنا
ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا امير المؤمنين بينما انا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ اتانى رئيى فضربنى برجله وقال قم يا سواد بن
قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته
ثم انشد يقول عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس باقتابها تهوى الى مكة تبغى الهدى ما صادق الجن ككذابها فقلت دعنى انام
فانى امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية اتانى فضربنى برجله وقال يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل
انه قد بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول عجبت للجن وتجبارها وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى ما مؤمن الجن ككفارها فارحل الى الصفوة من هاشم بين روابيها واحجارها فقلت دعنى انام فانى امسيت
ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة اتانى فضربنى برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول
من لوى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول عجبت للجن وتحساسها وشدها العيس باحلاسها تهوى الى مكة تبغى الهدى
ما خير الجن كانجاسها فارحل الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى راسها فقمت فقلت قد امتحن الله قلبى فرحلت ناقتى ثم اتيت المدينة
وفى رواية حتى اتيت مكة وهى كما قال البيهقى اقرب الى الصحة من الاولى لان الجن انما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم للايمان به فى مكة
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله وفى لفظ والناس حوله وفى لفظ والناس عليه كعرف الفرس فلما دنا قال له مرحبا بك
يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتى يا رسول الله فقال هات فانشات اقول بدل
اقول اتانى نجيى بعد هدء ورقدة وفى لفظ اتانى رئيى بعد ليل وهجعة ولم يك فيما قد تلوت بكاذب ثلاث ليال قوله كل ليلة اتاك
رسول من لوى بن غالب فشمرت من ذيل الازار وفى لفظ عن ساق الازار ووسطت بى الذعلب الوجناء بين السباسب فاشهد ان الله
لا رب غيره وانك مأمون على كل غائب وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب فمرنا بما ياتيك يا خير

مرسل وان كان بما جاء شيب الذوائب وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب وفي رواية وكن لي شفيعا
يوم لا ذو قرابة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب قال ففرح النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى روي الفرح
في وجوههم او ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد وفي رواية عمر رضي الله تعالى عنه التزمه وقال لقد كنت
اشتهي ان اسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم قال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن اي وهذا السياق
يدل على ان سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره سواد فلما مات صلى الله عليه وسلم وخشي سواد
على قومه الردة قام فيهم خطيبا فقال يا معشر دوس سعادة القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم ان لا يتعظوا الا بانفسهم وانه من لم ينفعه
التجارب يضره ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما اسلمتم ولست ادري لعله يكون للناس جولة فان يكن فالسلامة
منها الاناة والله عليها فاجتبوه فاجابه القوم بالسمع والطاعة ومن ذلك ان امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها فاطمة كان لها تابع من الجن
فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له ما لك لا تدخل فتحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدث بذلك فكان اول
خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ما سمع من جوف الاصنام فكثير ايضا منها ... ما تقدم في
ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم خبر عباس ابن مرداس قال كان لمرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم
مخففة بعدها الف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداس الوفاة قال لعباس ولده اي بني اعبد ضمار فانه ينفعك ويضرك فبينا
عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول من للقبائل من سليم كلها اودى ضمار وعاش اهل المسجد ان الذي ورث
النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتد اودى ضمار وكان يعبد مدة قبل الكتاب الى النبي محمد فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي
صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان عباس بن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب
بيض فقال له يا عباس الم تر الى السماء قد كفت احراسها وان الحرب قد جرعت انفاسها وان الخيل وضعت احلاسها وان الذي نزل
عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوى فقال عباس فراعني ذلك فجئت وثنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله
ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه ابلغ القبائل من قريش كلها هلك الضمار وفاز اهل المسجد هلك الضمار وكان يعبد مدة قبل
الصلوة على النبي محمد ان الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي قال عباس فخرجت في قومي حتى جئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك فقصصت
عليه القصة فقال صدقت واسلمت انا وقومي ومن ذلك خبر مازن ابن الغضوبة قال كنت اسدن اي اخدم صنما بقرية يقال لها سمائل
بدعى سماء وسمائل يقال له باجر وفي لفظ باجر بالجيم المهملة فعترنا يوما عنده عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب خاصة
فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول يا مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر بدين الله الكبير فدع نحيتا من حجر تسلم
من حر سقر قال مازن ففزعت لذلك وقلت ان هذا العجيب ثم عترت بعد ايام عتيرة اي ذبيحة بجانب ذلك الصنم فسمعت صوتا
من الصنم يقول اقبل الي اقبل تسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل جاء بحق منزل فآمن به كي تعدل عن حر نار تشعل وقودها بالجندل
فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بي ... وفي بعض السير تقديم هذه الابيات على ما قبلها وان مازنا قال ثم سمعت صوتا
ابين من الاول وهو يقول يا مازن اسمع الى اخره والله اعلم قال مازن فبينا نحن كذلك اذ قدم رجل من اهل الحجاز فقلنا
ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له احمد يقول لمن اتاه اجيبوا داعي الله فقلت هذا نبأ ما سمعت فسرت الى الصنم و
كسرته جذاذا وركبت راحلتي واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام وقلت كسرت باجر ... وفي لفظ اخر
يا عزو ... اذ كان لنا ربا نطيف به ضلالا بتضلل بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه شيئا على بالي يا راكبا بلغن عمرا واخوتها
اني لما قال ربه ابدا ... قال مازن فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب اي مغرم به وشرب الخمر وبالهلوك اي الفاجرة من النساء

النبي

التي تمايل وتنثني عند جماعها وقيل الساقطة على الرجال او لشدة شبقها والحب او دامت علينا سنون اي اعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال
وهتكن الذراري والعيال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد ويأتيني بالحياء ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
ابدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر اي الزنا عفة الفرج واته بالحياء اي المطر وهب له ولدا قال
مازن فاذهب الله عني ما كنت اجد وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا واخصبت عمان يعني قرية وما حولها من قرى عمان وتزوجت اربع
حرائر ووهب لي حيان يعني ولدا وانشأت اقول اليك رسول الله حنت مطيتي تجوب الفيافي من عمان الى العرج لتشفع لي يا خير من
وطئ الحصى فيغفر لي ربي وارجع بالفلج اي بالفوز والظفر بالمطلوب الى معشر خالفت في الله دينهم فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم
شرجي اي بالشين والجيم اي لا شكلهم شكلي ولا طريقهم طريقي وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا شبابي حتى اذن الجسم بالنهج اي بالبلاء
فبدلني بالخمر خوفا وخشية وبالعهر احصانا فحصن لي فرجي فاصبحت همي في الجهاد ونيتي فلله ما صومي ولله ما حجي قال مازن فلما
رجعت الى قومي انبوني اي عنفوني ولاموني وشتموني وامروا شاعرهم فهجاني فقلت ان هجيتهم فانما اهجو نفسي فتنحيت عنهم و
اتيت مسجدا اتعبد فيه وكان لا يأتي هذا المسجد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ويدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعى ذو عاهة من برص او
غيره الا عوفي ثم ان القوم ندموا وطلبوا مني الرجوع فاسلموا كلهم وضعف هذا الحديث واما ما سمع من اجواف الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه قال كنا يوما في حي من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه اذ سمعنا صوتا من جوف
العجل ولا نرى شيئا يا ذريح امر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد ان لا اله الا الله اي والمراد بالذريح العجل ذبح لانه ملطخ بالدم
الاحمر ... اي شديد الحمرة والذي في البخاري يقول يا جليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح
ايضا لانه قد جلح اي كشف عنه جلده واما ما سمع من الهواتف على غير ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح
فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت اطلب بعيرا لي حتى
اذا عسعس الليل اي ادبر وكاد الصبح ان يتنفس هتف بي هاتف يقول يا ايها الراقد في الليل الاحم اي بالحاء المهملة الاسود قد بعث الله
نبيا بالحرم من هاشم اهل الوفاء والكرم يجلو دجنات الليالي والبهم اي الظلمات والامور المشكلة فادرت طرفي فما رأيت شخصا
فانشأت اقول يا ايها الهاتف في داجي الظلم اهلا وسهلا بك من طيف الم بين هداك الله في لحن الكلم من ذا الذي تدعو اليه
يغتنم فاذا انا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور اي بالسرور صاحب النجيب
الاحمر اي الكريم من الابل والتاج والمغفر والوجه الازهر اي الابيض والطرف الاحور اي شديد سواده صاحب قول شهادة
ان لا اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر اهل المدر والوبر اي العجم والعرب ثم انشأ يقول الحمد لله الذي لم يخلق
الخلق عبثا ارسل فينا احمد اخير نبي قد بعث صلى عليه الله ما حج له ركب وحثا والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله وتغنت بمدحه الجن
حتى اطرب الانس منه ذاك الغناء اي اطربت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة في صورة الغناء الذي تألفه النفوس ولا
تصبر عنها عند سماعه فتسمع لغيره وحتى اطرب الانس ذاك الغناء الذي سمعوه من الجن قال فلاح الصباح واذا بالفنيق
يشقشق والفنيق بفتح الفاء وكسر النون وسكون المثناة تحت ثم قاف الفحل الكريم من الابل ويشقشق بشينين معجمتين وقافين
اي يهدر الى النوق فملكت خطامه وعلوت سنامه حتى اذا لغب بالغين المعجمة والموحدة اي تعب فنزل في روضة خضراء فاذا انا
بقس بن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من اراك ينكت به الارض والنكت بالمثناة فوق وهو يقول ...
يا ناعي الموت والملحود في جدث اي قبر عليهم من بقايا بزهم خرق والبز الثياب دعهم فان لهم يوما يصاح بهم فهم اذا انتبهوا من نومهم
ارقوا اي خافوا حتى يعودوا بحال غير حالهم خلقا جديدا كما من قبله خلقوا منهم عراة ومنهم في ثيابهم منها الجديد
ومنها المنهج الخلق والمنهج من الثياب الذي اخذ في البلا قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام فاذا بعين خوارة

اي لما بها خولي اي صوت في الارض خوارة اي منعيقة وسجد بين قبرين واسد بن عظيمين يلوغان به واذا باحدهما قد سبق
الاخر الى الماء فتبعه الاخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذي في يده وقال ارجع ثكلتك امك اي فقدتك حتى يشرب الذي قبلك
ثم رجع ثم ورد بعده فقلت له ما هذان القبران قال هذان قبرا اخوين كانا لي يعبدان الله عز وجل معي في هذا المكان لا يشركان بالله
شيئا اي اسم احدهما شمعون والاخر سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما ثم نظر اليهما وانشد ابياتا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اني ارجو ان يبعثه الله امة وحده اي واحدا يقوم مقام جماعة كما تقدم واشار الى ذلك
الاصل بقوله وعند اخبر قس قوم فلقد لي بما سمعوه من ذكره شيئا ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاث بقرية يقال لها
روحين من اعمال الحلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف وعليهم خدام ومن ذلك ما ذكره الواقدي باسناده انه قال كان ابو هريرة
رضي الله تعالى عنه يحدث ان قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى اصنامهم اذ سمعوا هاتفا
يهتف ويقول يا ايها الناس ذوو الاجسام ومسندوا الحكم الى الاصنام اما ترون ما ترى امامي من ساطع يجلو دجى الظلام ذاك نبي سيد الانام
من هاشم في ذروة السنام مستعلن بالبلد الحرام جاء يهدم الكفر بالاسلام اكرمه الرحمن من امام قال ابو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا
ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثلاث حتى فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة اي جاءهم ذلك الخبر فلما اسلم الخثعميون حتى استاخر
اسلامهم وما ابطأهم عنه اصنامهم واما جزء بن عمرو العذري قال كان لبني عذرة وهي قبيلة من اليمن صنم يقال له حمام بالحاء المهملة المفتوحة
وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام بالحاء المهملة المفتوحة والراء وكان سادنه اي خادمه رجلا يقال له طارق قال
النحوي لا اعلم له ترجمة ولا اسلاما وكانوا يعترون اي يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يا بني هند
بن حرام ظهر الحق واودى حمام اي هلك ودفع الشرك والاسلام قال ففزعنا لذلك وهالنا اي افزعنا فمكثنا اياما ثم سمعنا صوتا
يقول يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق بوحي ناطق صدع صادع بارض تهامة لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة هذا
الوداع مني الى يوم القيامة فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويشهد له قوله هذا الوداع مني الى يوم القيامة فهو
من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زمل فابتعت راحلة ورحلت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع
نفر من قومي وانشدته اليك رسول الله اعملت نصها النص والغاية في السير اكلفها حزنا وقوزا من الرمل والحزن ما ارتفع من الارض والقوز
بالقاف والزاي اي التل الصغير لانصر خير الناس نصرا موزرا اي قويا واعقد حبلا من حبالك في حبلي والحبل العهد والميثاق واشهد ان الله
لا شيء غيره ادين له اي اخضع واطيع ما اثقلت نعلي ومن هذا النوع خبر تميم الداري اي ويكنى ابا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها
روى عنه صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الرجال على المنبر فقال حدثني تميم الداري وذكر القصة قال بعضهم وهذا اولى ما يخرج به
المحدثون في رواية الكبار عن الصغار وقد يكون من ذلك ما ذكر ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه قرأ على ابنته عائشة رضي الله تعالى عنها
فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء فقالت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر ان عيسى بن مريم
كان يعلمه اصحابه ويقول لو كان على احدكم جبل من ذهب دينا فقضاه الله عنه قال تقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين
رحمن الدنيا ورحيمها انت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن من سواك وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه كان علي دين وكنت
له كارها فلبثت الا يسيرا حتى قضيته قال تميم الداري رضي الله تعالى عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتي فادركني الليل فقلت انا في جوار عظيم هذا الوادي فلما اخذت مضجعي اذا مناد ينادي لا اراه عذ بالله
فان الجن لا تجير احدا على الله فقلت ايم تقول وايم بتشديد الياء وباسكانها وفتح الميم بمعنى او بما شيء تقول فقال قد خرج رسول
الاميين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون اي وهو مقبرة بمكة الخ فقال لها المعلاة كما تقدم واسلمنا واتبعناه
وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد صلى الله عليه وسلم فاسلم فلما اصبحت ذهبت الى دير ايوب فسالت راهبه

واجزته

واخبرته فقال اصدقك يخرج من الحرم الى مكة ومهاجره الحرم اي المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه قال تميم فالتمست
الشخوص اي الذهاب حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت اقول وهذا يدل ظاهرا على ان تميم الداري اسلم بمكة قبل
الهجرة فهو ما الكلام فيه بل رايت في نسخة الخرصري قال بمكة فغلبت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فامنت به ورايت بعضهم
قال وهذه الرواية غلط لان تميم الداري انما اسلم سنة تسع من الهجرة والله اعلم قال ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير
رضي الله تعالى عنه ان رجلا من بني تميم حدث عن بدء اسلامه قال اني لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادي
من الجن فرايت في منامي رجلا بيده حربة يريد ان يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم ار شيئا فقلت هذا
حلم ثم عدت فغفوت فرايت مثل ذلك واذا بناقتي ترعد ثم غفوت فرايت مثل ذلك فانتبهت فرايت ناقتي تضطرب
فالتفت فاذا برجل شاب كالذي رايته في منامي بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يرده عن ناقتي وبينما هما يتنازعان
اذ طلعت ثلاثة اثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ ايها شئت فداء لناقة جاري الانسي فقام الفتى واخذ منها
ثورا وانصرف ثم التفت الي الشيخ وقال يا فتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل اعوذ بالله رب محمد من هول هذا
الوادي ولا تعذ باحد من الجن فقد بطل امرها فقلت له ومن محمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي بعث يوم الاثنين قلت واين مسكنه قال يثرب ذات النخل
فركبت ناقتي وجشمت السير حتى اتيت المدينة فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل ان اذكر له شيئا ودعاني الى الاسلام
فاسلمت وهذا السياق يدل على ان هذه القصة بعد الهجرة لا عند المبعث الذي الكلام فيه ونظير هذا ما حدث به بعض الصحابة قال خرجت في طلب ابل
لي وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت اعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يهتف بي ويقول ويحك عذ
بالله ذي الجلال منزل الحرام والحلال ووحد الله ولا تبال ما كيد ذي الجن من الاهوال اذ يذكر الله على الاحوال وفي سهول الارض
والجبال وصار كيد الجن في سفال الا التقى وصالح الاعمال فقلت له يا ايها القائل ما تقول ارشد عندك ام تضليل فقال هذا
رسول الله ذو الخيرات جاء بيس وحاميمات وسور بعد مفصلات يامر بالصلاة والزكاة ويزجر الاقوام عن هنات قد كن في الاسلام
منكرات فقلت له من لي بمن يؤدي ابلي هذه الى اهلي لاتيته حتى اسلم فقال انا اؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله
عليه وسلم على المنبر وفي رواية فوافيت الناس يوم الجمعة وهم في الصلاة فاني انيخ راحلتي اذ خرج الي ابو ذر فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادخل فدخلت فلما راني قال ما فعل الرجل وفي لفظ ما فعل الشيخ الذي ضمن لك ان يؤدي ابلك اما انه قد اداها وقد وفى الله
تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان من الناس عليه قبل بعثته من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر
سفهائه بقوله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال اي يستعيذون برجال من الجن اي حين ينزلون في اسفارهم
بمكان مخوف يقول كل رجل اعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا اي فزادوا الجن اي سادتهم باستعاذتهم بهم طغيانا
يقولون سدنا الانس والجن اي ومن ذلك ما حكاه وائل بن حجر الحضرمي ويكنى ابا هنيدة كان قيلا من اقيال حضرموت وكان ابوه من ملوكهم
قال لما وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه بقدومي فقال ياتيكم وائل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا
في الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية ابناء الملوك قال وائل فما لقيني احد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه و
سلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بي وادناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداءه فاجلسني عليه
وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر واقامني بين يديه ثم قال ايها الناس هذا وائل بن حجر اتاكم من ارض
بعيدة من حضرموت راغبا في الاسلام فقلت يا رسول الله بلغني ظهورك وانا في ملك عظيم فمن الله علي ان رفضت ذلك كله واثرت دين الله
قال صدقت اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لي صنم
من العقيق فبينا انا نائم في الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذي به الصنم فاتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل

يقول واعجبا والمليس بن حجر فقال بيدي وهو ليس بيدي ماذا ابو جعفر بن عجيب صخر ليس يدنى نفع ولا ذى منو لو كان ذا حجر اطاع امري
قال فقلت اسمعت ايها الهاتف الناصح فماذا تامرني فقال ارحل الى يثرب ذات النخل تدين دين الصايم المصلى محمد النبي خير الرسل ثم خر الصنم
لوجهه قال فقمت عنه فرفت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى اتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث وفيه انه ان كان الصوت من جوف
الصنم فهو من غير هذا النوع ولوايل هذا حديث مع معوية تركنا المطول واما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به ابو سعيد الخدري
رضي الله تعالى قال بينا راع يرعى بالحرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فاقعى الذئب على
ذنبه فقال الا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله الي فقال الراعي عجب من ذئب يكلمني بكلام الانس فقال الذئب الا
الا اخبرك باعجب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفي رواية بيثرب يحدث الناس بانباء ما قد سبق وفي لفظ
يخبركم بما مضى وما هو كاين بعدكم فساق الراعي شياهه فاتى المدينة فقص على الرسول صلى الله عليه وسلم فحدث شيئا قال الذئب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذي نفس محمد بيده لا تقوم
الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله اي وهو احد سيورها الذي يكون على وجهها كما تقدم وعذبة سوطه اي طرفه وقيل
احد سيوره ويخبره بما فعل اهله اي وفي لفظ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلوة جامعة ثم خرج
فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم وفي رواية ان راعي الغنم كان يهوديا وفي رواية ان الذئب قال له انت اعجب مني واقفا
على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه قدرا وقد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما
بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي فقال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم اليه غنمه
ومضى اليه صلى الله عليه وسلم واسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح الذئب
شاة منها وقيل ان هذا وما تقدم من خبر سعيد بن جبير كما علمت بعد الهجرة لا عند المبعث الذي الكلام فيه قال لعل النور هذا الراعي
لا اعرف اسمه قال وكلم الذئب غير واحد نظرهم في تعليقي على البخاري اقول وذكر في حيوة الحيوان عن ابن عبد البر كلم الذئب من الصحابة
رضي الله تعالى عنهم ثلاثة رافع بن عميرة وسلمة بن الاكوع وعهبان بن اوس واما ما سمع من بعض الاشجار فقد روى عن ابي بكر رضي الله
تعالى عنه انه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيئا من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا انا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية
اذ تدلى علي غصن من اغصانها حتى صار على راسي فجعلت انظر اليه واقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة هذا النبي يخرج في وقت
كذا وكذا فكنت انت من اسعد الناس به والله اعلم واما تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع فقد قال ابن اسحق لما تقارب
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا
بالنجوم فعرف الجن ان ذلك حدث من الله في العباد يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ عجبوا
وانا لمسنا السماء اي طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا اي ملائكة اقويا يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى به او من يخطف
الخطفة منهم عقبته كثيرا يتبعه شهاب ثاقب يقتله او يحرق وجهه او يخبله قبل ان يلقيها الى الكاهن وقال لئلا يلتبس
امر الوحي بشيء من خبر الشياطين الى ان قال وبعد انقضا نبوته وموته صلى الله عليه وسلم فلئلا تدخل الشبهة على ضعفا العقول فربما توهموا
عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان امر رسالته صلى الله عليه وسلم قد انقضت الحكمة في حراسة السما في حيوته صلى الله
عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم وقد حدث بعضهم قال ان اول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها ثقيف
وانهم جاوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية وكان ادهى العرب وانكرها رايا اي ادهاها رايا وكان منجما وكان يخبرهم بالحوادث
فقالوا له يا عمرو الم تر اي تعلم ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم فقال بلى فانظروا فان كان معالم النجوم اي النجوم المشهورة

التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانوا من الصيف والشتا هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي
فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لامر اراد الله بهذا الخلق اي والانوا بالنون والهمزة ما يحصل عند سقوط نجم
في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوما وحقيقة النوا سقوط النجم وطلوع رقيبه
في المدة المذكورة وكانت العرب تضيف الامطار والارياح والحر والبرد الى الساقط منها او الى الطالع منها تقول مطرنا بنوء كذا وسيأتي
الكلام على ذلك في غزوة الحديبية وفي لفظ فما اراد الله وبني يبعث في العرب فقد تحدث بذلك لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك
وذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول المراد رجمت الان باكثر مما كان قبل ذلك وصارت تصيب ولا تخطي ومن ثم قال بعضهم قال عبد
النبي صلى الله عليه وسلم اي اقرب من بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فاتوا عبد ياليل بن عمرو وهو بمثناتين
تحتيتين وكسر اللام الاولى الثقفي وكان اعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد اعتقوا رقيقهم وسيبوا انعامهم فقال لهم لا تعجلوا
وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف اي وهي التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانوا فهي عند فنا الناس وان كانت
لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا نجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث اي وقد روى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم امنة
السماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعدون وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهبت اصحابي
اتى امتي ما يوعدون فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطايف ابو سفيان ابن حرب
فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي انه نبي مرسل وهذا قد يخالف ما ياتي عن ابن عمر لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السما بالشهب ولا مانع من تكرر سؤال ثقيف مرة لعمرو بن امية ومرة لعبد ياليل بن عمرو ولان
كلا منهما كان اعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سالوه فسماه بعضهم عمرو بن امية وبعضهم سماه عبد ياليل بن
عمرو وهذا كما ترى انما كان عند المبعث وبه يعلم ما في قول الماوردي الذي نقله عن شيخ بعض شيوخنا النجم الغيطي في معراجه واقره
وسببه اي رمي النجوم ان الله تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ففزع
اكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير وكان يخبرهم بالحوادث فسالوه عنها فقال انظروا البروج الاثنى عشر فان انقض منها
شيء فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا امر عظيم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
هو الامر العظيم فانه يقتضي ان المراد بعثته ولادته فكان يتعين اسقاط قوله قبل مولده كما علمت ان هذا اي كثرة تساقط النجوم
انما كان عند بعثته ونبوته لا عند ولادته ومن خبر ابي لهب لهب بن مالك اللهبي من بني لهب فزع وفي الفزع
ثقيف قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بابي وامي نحن اول من عرف بحراسة
السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة والراء ابن مالك وكان
في التوراة لا اعرف له ترجمة ولا اسلاما وكان شيخا كبيرا قد مضت عليه مايتا سنة وثمانون سنة وكان من اعلم كهاننا فقلنا له يا خطر
هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ايتوني بسحر اي قبيل الفجر اخبركم الخبر ام ضرر
او لامن او حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وجه السحر اتيناه فاذا هو قايم على قدميه شاخص في السماء بعينيه فناديناه
يا خطر يا خطر فاومى الينا ان امسكوا فامسكوا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته اصابه اصابه ويجع وصب بجبل وجال
فالمرء بقلبل بن الوادر خامره عقابه عاجله عذابه احرقه شهابه زايله جوابه يا ويله ما حاله بلبله بلباله الهم
باوده خباله فقطعت حباله وغيرت احواله ثم امسك طويلا ثم قال يا معشر بني قحطان اخبركم بالحق والبيان اقسم بالكعبة والاركان
والبلد المؤتمن السدان اي الخدام لقد منع السماء عتاة الجان بثاقب بكف ذي سلطان من اجل مبعوث عظيم الشان يبعث
بالتنزيل والفرقان وبالهدى وفاصل القرآن تبطل به عبادة الاوثان قال فقلنا له ويلك يا خطر انك لتذكر امرا عظيما فماذا ترى

لقومك فقال ادري العوى ما ادري لعقيل ابن يتبعوا خير بني الانس بوجها مثل شعاع الشمس بعث في مكة دار الحمس محكم التنزيل غير ملتبس
والحمس بفتح الحاء المهملة واسكان الميم والسين المهملة هم قريش وما ولدت من غيرها فانهم كانوا لا يزوجون بناتهم لاحد من اشراف العرب الا على
شرط ان يتحمس اولادهم فان قريشا من قبائل العرب دانوا بالتحمس وكذلك تركوا الغزو لما في ذلك من استحلال الاموال والفروج
ومالوا للتجارة ومن ثم يقال لقريش الحمس ثم سموا بذلك لتشددهم في دينهم لان الحماسة هي الشدة نقلنا لسيبا خطر ومن هو فقال والحجون
العيش انه لمن قريش ما في حكمه طيش اي عدول عن الحق من قولهم طاش السهم عن الهدف اذا عدل عنه ولا في خلقه هيش اي لين طبيعته
وسجيته قول قبيح يكون في جيش وابي جيش من ال قحطان وال ايش والقحطان هم الانصار قال صلى الله عليه وسلم رحى الايمان دايرة
في ولد قحطان وال ايش قبيلة من الجن المومنين ينسبون الى ابيهم ايش شخص من كبرا الجن وقيل اراد بهم المهاجرين اي دين المهاجرين
الذين يقال فيهم ايش لانه يقال في مقام المدح فلان ايش على معنى اي شيء هو اي شيء عظيم لا يمكن ان يعبر عن عظمته وجلاله الشروي
بل ابو ريش نقلنا السبيل الناس اي قريش فقال والبيت ذي الدعايم يعني الكعبة والركن يعني الحجر الاسود والاحكام يعني بني زمزم
او ان الاصل الحوايم فغيره ثلث كان الاصل فواعل عضادا فاعل والحوايم هي الطير التي تحوم على الماء والمراد حمام مكة اشار لمن نجل اي نسل
هاشم من معشر اكارم يبعث بالملاحم يعني الحروب ومقتل كل ظالم ثم قال هو البيان اخبرني به رئيس الجان ثم قال الله اكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن
الجن الخبر ثم سكت واغمي عليه فافاق الا بعد ثلاثة ايام فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لقد نطق عن مثل
نبوة اي وحي وانه ليبعث يوم القيامة امة واحدة اي مقام جماعة كما تقدم في نظيره قال ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما عن نفر من الانصار قالوا بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية اي قبل المبعث قالوا يا رسول الله كنا نقول حين رأيناه يرمى بها مات
ملك وولد مولود ومات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه وتعالى كان اذا قضى في خلقه امرا سمعه
حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى سماء الدنيا فيسبحوا ثم يقولون بعضهم
لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر الذي كان اي يكون في الارض فيهبط به من سماء الى سماء اي يقولونه
اهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهي الى سماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيحدثونهم
فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا اي وفي البخاري حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها
مسترقو السمع فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقولهم قال الحق اي ثم يذكرون لما تقدم
من قولهم قضى الله في خلقه كذا وكذا ولما ياتي وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمى بالنجوم الحراسة في زمن
من الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم وفي الغرر باق عن ابي بن كعب
رضي الله تعالى عنه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشيء فقالوا يا رسول الله انهم يحدثوننا احيانا بالشيء
يكون حقا قال تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني فيقذفها في اذن وليه فيخلطون بها اكثر من مائة كذبة ثم ان الله تعالى حجب
الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة اي وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ان
الملائكة تحدث في العنان اي في الغمام بالامر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في اذن الكاهن فيزيدون معها مائة
كذبة وعن ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى نبئ رسول الله صلى الله
عليه وسلم رمي بها فلما رات قريش امرا لم تكن تراه فزعوا العبد ياليل الحديث اقول وهذا يفيد انه لم يرم بها قبل مبعثه
صلى الله عليه وسلم اي قبل قربه الشامل لزمن الولادة فلا يخالف ما تقدم وان النجوم كان يرمى بها قبل ان يرفع عيسى
عليه الصلاة والسلام وذلك صادق بزمن ادم فمن بعده من الرسل وهو الموافق لقول الزهري المجيب لمسا قط

النجوم

النجوم كان موجودا قبل البعث في سالف الازمان اي في زمن الرسل لا في زمن الفترات بين الرسل لقول الكشاف وقول بعضهم ظاهر
الاخبار وتدل على ان الرجم للشياطين بالشهب كان في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام من الرسل وهو كذلك وعليه اكثر المفسرين
حراسة لما ينزل من الوحي على الرسل واما في الزمن الذي ليس فيه رسول اي وهو زمن الفترات بين الرسل فكانوا يسترقون السمع
في مقاعدهم ويلقون ما يسمعون للكهان اي لان الله تعالى ذكر فائدتين في خلق النجوم فقال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد وكونها انما جعلت رجوما
وحفظا ليس الا عند مبعثه صلى الله عليه وسلم خاصة دون بقية الرسل من ابعد البعيد وحيث كان الغرض من الرمي بالنجوم
منع من الشياطين من استراق السمع اقتضى ذلك انه لم يرم بها قبل مبعثه ومنذ زمن ولادته ويوافق ذلك قول ابن اسحق لما تقارب ام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين وقول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لما كان اليوم الذي تنبأ فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكروا ذلك لابليس فقال بعث اي لعله بعث نبي
عليكم بالارض المقدسة اي لانها محل الانبياء وهذا يدل على ان عند ابليس ان الرمي بالنجوم علامة على بعث الانبياء فذهبوا ثم رجعوا
فقالوا ليس بها احد فخرج ابليس يطلبه بمكة اي لانها مظنة ذلك بعد محل الانبياء فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا مع
جبريل عليه السلام فرجع الى اصحابه فقال بعث احمد ومعه جبريل وفي رواية ان ابليس قال لما اخبروه بانهم منعوا من خبر السماء ان
هذا الحديث حدث في الارض فاتوا من تربة كل ارض فاتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فنضوا
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث اقول ولا يخالف لا منافاة بين الروايتين لانه يجوز انهم لم يخبروه بمبعثه صلى الله عليه
وسلم لما وجدوه قد ذهب او ذهب بعد اخبارهم لم يذكر الاستنشاق وهذا يفيد ان الرمي بالنجوم انما كان عند مبعثه اي عند
تقاربه منه لا قبل ذلك الذي منه زمن ولادته وحينئذ يشكل حول مثل ذلك لابليس وجنوده عند مولده صلى الله عليه وسلم
ومن ثم تقدم انه يجوز ان يكون من خلط بعض الرواة وهذه الرواية تدل على ان ابليس لم يكن عنده علم بان سقوط النجم على الشياطين
علامة على مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والرواية التي قبلها تدل على ذلك كما علمت وكلا الروايتين تدل على انه لم يعلم عينه وكان
علمه والله اعلم وقد اشار صاحب الهمزية الى ان حجب الشياطين كان عند مبعثه صلى الله عليه وسلم بقوله بعث الله عند مبعثه الشهب
حراسا وضاق عنها الفضا تطرد الجن عن مقاعد السمع كما يطرد الذئاب الرعاء فمحت اية الكهانة ايات من الوحي ما لهن انمحاء اي ارسل الله
زمن ارساله صلى الله عليه وسلم الشعل من النار على الجن لاجل حراسة السماء منهم ولكثرة تلك الشعل ضاقت عنها الفضاءات
الواسعة حال كون تلك الشهب تطرد الجن عن امكنة قريبة يقعدون فيها لاجل ان يسمعوا شيئا من الملائكة المتكلمين بما يقع في
الارض من المغيبات وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين في الشدة كطرد الرعاة الذئاب عن الغنم اذا ارادت ان تعدو عليها فتسبب
ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء ومحت ايات من الوحي اية الكهانة التي هي الاخبار بالامور المغيبة ما لتلك الايات من الوحي
انمحاء اي ذهاب بل هي باقية الى يوم القيامة وعبارته لا تدل على كون الغرض من الرمي بالنجوم حفظ الوحي ان ذلك لا يكون الا عند مبعثه
صلى الله عليه وسلم ولا يكون قبل ذلك الذي منه وقت ولادته وايضا لو كان ذلك موجودا قبل مبعثه واستمر الى مبعثه
لم تفزع العرب منه عند مبعثه واجيب عن الاول بانه يجوز ان يكون الغرض الاصلي من الرمي بها حفظ الوحي ولا ينافي وجود
ذلك قبل ذلك عند ولادته ادعاما وتخويفا وكان هذا السؤال الثاني هو الحامل لابي ابن كعب على دعوى انه لم يرم بالنجوم منذ
رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمي بها وعن ثم قال فلما رات قريش امرا لم تكن
تراه فزعوا العبد ياليل واجاب بانه يجوز ان يكون الرمي بالنجوم عند المبعث مخالفا للرمي بها قبله اما في الكثرة واما لان
الرمي بها بعد المبعث كان من كل جانب وقبل كان من جانب واحد واما لان الرمي بها صار لا يخطي ابدا وقبل ذلك كان يخطي

تارة وبسبب اخرى فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله اى يصيره غولا يضل الناس فى البرارى فكان ذلك سبب الفزع العرب لانه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر وجعلى يقعود الشيطان الى كان يسترق السمع ويلقى ما يسترق الى كاهنه اى فلم ينقطع الكهانة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه صلى الله عليه وسلم وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال لا كهانة اليوم وهذا كله على تسليم رواية ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النجوم رمى بها عند ولادته صلى الله عليه وسلم وحفظ الوحى بالرمى بالشهب لا ينافى ما حكاه فى الاتقان عن سعيد بن جبير ما جاء جبريل بالقران الى النبى صلى الله عليه وسلم الا ومعه اربعة من الملئكة حفظة وسياتى عن الينبوع عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحى قط الا نزل معه من الملئكة حفظة يحيطون به وبالنبى الذى يوحى اليه يطردون الشياطين عنهم لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى ذلك النبى من الغيب الذى يوحى اليه فيبلغون الى اوليائهم وعن بعضهم قال سارية عن روجتى قالت فى على شيطان على صورتى وكلامى وساير حالاتى التى تعرفها منى قعدت من السفر لم تفرح بى لم تنشعها لى وكانت اذا قدمت من سفر تنشعها لى كانشعها العروس فقلت لها فى ذلك فقالت انك لم تعب عنا انا كذلك وقد ظهر لى الشيطان وقال انا رجل من الجن عشقت امراتك وكنت اتيها فى صورتك فلو تنكر ذلك فاخترا ما ان يكون ذلك الليل ولى النهار او لك النهار ولى الليل فراعنى ذلك اخترت النهار فلما كان فى بعض الليالى جاءنى وقال ليت الليلة عند اهلك فقد حرست نوبتى فى استراق السمع من السما فقلت انت تسترق السمع فقال نعم هل لك ان تكون معى قلت نعم فلما جاء الليل الثانى وقال حولد جهل تحولت وجهى فاذا هو فى صورة خنزير له جناحان فحملنى على ظهره فاذا له معرفة كمعرفة الخنزير فقال لى احسك بها فانك ترى امورا واهوالا فلا تفارقنى فتهلك ثم صعد حتى لصقت بالسما فسمعت قائلا يقول لا حول ولا قوة الا بالله ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن فهوى بى فوقع من وراء العمران فحفظت الكلمات فلما اصبحت اتيت اهلى فلما كان الليل جاء فقلتهن فاضطرب فلم ازل اقولهن حتى صار رمادا وان لم يحل وقوع ذلك قبل زمن الجاهلية كان كذبا لانهم اجابوا عن ايراد ان القول بقدرة الجن على التطور يلزم رفع الثقة بشئ لان من راى ولده وزوجته احتمل انه جنى تمثلك بان الله تكفل لهذه الامة بعصمتها عن ان يقع منها ما يودى الى ما يترتب عليه ريبة فى الدين فليتامل وقد جاء فى فضل لا حول ولا قوة الا بالله من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله والذى نفسى بيده ان لا حول ولا قوة الا بالله شفا من كل داء ادناها الهم والغم والحزن وفرق بين الغم والهم بان الغم يعرض من مضى النهر والهم والعرض يعرض من متوقع فى حكم الداو والعاقبة لك حتى وهم ساعة وعلم شيخنا لك الاطبا الهم يوهن القلب وفيه ذهاب الحياة كما ان فى الحزن ذهاب البصر وفى الحديث من كثر همه سقم بدنه فعلوا ان النجوم على تسليم انه كان يرمى بها قبل الولادة وبعدها الى البعثة بل قريبا من المبعث تصيب تارة ولا تصيب اخرى مع قلتها وعند البعثة تصيب ولا بد مع كثرتها وان الكثرة هى سبب الفزع لا دوام الاصابة والا فمجرد دوام الاصابة لا يكون سببا لقطع الكهانة او انها قبل البعثة كانت ترمى من كل جانب دون اخر وبعد البعثة ترمى من جميع الجوانب والى الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فكان ذلك سببا للفزع والمراد وجود ذلك مع دوام الاصابة فيكون سببا لقطع الكهانة والا فمجرد الرمى من كل جانب مع تلك الاصابة لا يكون سببا لقطع الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة حتى اسرعوا فى اموالهم اى فى اتلافها فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب يا ايها الناس امسكوا على اموالكم فانه لو ميت من فى السماء الستم ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر كذا فى كلام بعضهم ولعله لا يخالف ما تقدم من اول العرب فزع للرمى بالنجوم ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية ولرجل اخر يقال له عبد يا ليل لجواز ان يكون ما ذكر هنا صدر من بعضهم لبعض ثم اجتمعوا على عمرو وعبد يا ليل والله اعلم وظاهر القران والاخبار

ان الذى يرمى به الشياطين المسترقين نفس النجم وانه المعبر عنه بالكوكب وبالمصباح وبالشهاب وقيل الشهاب عبارة عن شعلة نار تنفصل من النجم اى كانه قبس فاطلق عليها لفظ النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى وجعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهى تلك الشهب ومعنى كونها حفظا باعتبار ما ينشا عنها من تلك الشهب وقالت الفلاسفة ان الشهب انما هى اجزاء نارية تحصل فى الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التى دون الفلك وقيل السحاب اذا اصطكت اجرامه تخرج منه نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود فقد حكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت قال فى الكشاف وتاويل ان الشعل منفصلة من النجوم ما جاء عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة فى سماء الدنيا كتعليق القناديل بالمساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدى ملائكة ويشهد لهذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت ان انتثارها يكون بموت من يحملها من الملائكة وقيل ان هذا يشبه السماء وقد وقع فى سنة تسع وتسعين من القرن السادس ان النجوم ماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وافزع الخلق فلجؤا الى الله تعالى بالدعاء قال بعضهم ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول وقد وقع نظير ذلك فى سنة احدى واربعين من القرن الثالث ماجت النجوم فى السماء وتناثرت الكواكب كالجراد اكثر الليل وكان امرا من عجائب ومثله وقع فى سنة ثلثمائة تناثرت النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله اعلم واما ما جاء من ذكره صلى الله عليه وسلم اى ذكر اسمه وصفته ومبعثه فى الكتب القديمة اى فى التورية المنزلة على موسى عليه الصلوة والسلام لست ليال خلون من شهر رمضان اتفاقا والانجيل المنزل على عيسى عليه الصلوة والسلام لثنتى عشرة خلت من رمضان وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة والزبور المنزل على داود لثنتى عشرة وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل لست خلت من رمضان وصحف شيعيا ويقال له اشعيا اى ومزامير داود وصحف شيث فقد انزل عليه خمسون صحيفة وقيل ستون وصحف ابرهيم فقد انزل عليه عشرون صحيفة وقيل ثلاثون اول ليلة من رمضان اتفاقا وفى كتاب شعيب ولم تذكر صحف ادريس وقد انزل عليه ثلثون صحيفة وذكر بعضهم ان موسى انزل عليه قبل التورية عشرون صحيفة وقيل عشر صحايف وهذا كما لا يخفى يزيد على ما اشتهر ان الكتب المنزلة مائة واربعة كتب وفى كلام بعضهم اتفقوا على ان القران انزل لاربع وعشرين ليلة خلت من رمضان وحينئذ يكون من محل الاتفاق فى التورية وصحف ابرهيم لم يطلع على هذا ولم يعتد به وقد اشار الى ذكره صلى الله عليه وسلم فى جميع الكتب المنزلة الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله وفى كتب الله تلك قد اتى بعثنا عليها مدة بعد مدة وهذا كما لا يخفى ابلغ من قول بعضهم من قبل مبعثه جاءت مبشرة به زبور وتورية وانجيل وقد اعترض على هذا القائل بعض الاغبياء بان التورية والانجيل قد صحت بشارة به صلى الله عليه وسلم واما الزبور فلا ندرى ولا نقول الا ما نعلم ويرده ما ذكره الامام السبكى وسنده قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين اى كتبهم فقد قال بعض المفسرين ان الضمير عائد على النبى صلى الله عليه وسلم لان الاصل فيه حيث لا عهد تحمل على العموم وسياتى ايضا التصريح بوجود اسمه فى الزبور وقد جاء ان اسمه فى التورية احمد يحمده اهل السماء والارض كما تقدم وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ان عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه دعى ابنى اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التورية انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد من امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت الاية ومنها ايضا محمد واسمه فيها ايضا حياطا وقيل حطا اى يحمى الحرم من الحرام واسمه فيها ايضا بيد فنك واسمه فيها ايضا احيد وقيل احيدا اى يحيد امته عن نار جهنم واسمه فيها الضحوك اى طيب النفس وفيها محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتورية اى على فرض ان تكون اسما عربيا ماخوذة من التورية وهى كتمان السر بالتعريض لان اكثرها معاريض من غير تصريح واسمه فى الانجيل المنحمنا والمنحمنا بالسريانية

محمد ابي وما جاء من سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما في حجر عمي فاخذت الانجيل فقرأته حتى مرت لي ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت
فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال مالك وفتح هذه الورقة وقرأتها فقلت فيها وصف النبي صلى الله
عليه وسلم احمد فقال انه لم يأت بعد اي الان وفي الانجيل ايضا اسمه حمنطا وصفه يا ابنه يركب الحمار والبعير وسياقه ان راكب الحمار
عيسى عليه الصلوة والسلام وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم وسياق الجواب في الانجيل ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا
اطلب الى ربي يعطيكم بارقليطا لا يجيئكم ما لم اذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به
ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب اي وما جاء بذلك واخبر بالحوادث والغيوب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والبارقليط او الفارقليط الحكيم والرسول قيل والانجيل اي على وزن ان يكون اسما عربيا ماخوذ من النجل وهو الخروج ومن ثم
سمي الولد نجلا لخروجه او مشتق من النجل وهو الاصل يقال لعن الله ناجليه اي اصوله فسمي هذا الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل
المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من النجلة وهي سعة العين لانه انزل لوسعتهم اي لان فيه تحليل بعض ما حرم عليهم ومن ذلك ما
جاء عن عطاء بن يسار رضي الله تعالى عنهما قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما فقلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية قال اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ اي سيء الخلق ولا غليظ اي شديد
القول ولا صخاب بالسين والصاد في الاسواق اي لا يصيح فيها وفي الحديث اشد الناس عذابا كل جبار جعار سخاب في الاسواق
ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء اي ملة ابرهيم التي غيرتها العرب
واخرجتها عن استقامتها بان يقولوا لا اله الا الله يفتح به عن اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا اي لا تفهم كانها في غلاف
قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما اختلفا في حرف الا ان في رواية كعب واعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به
اذانا صما ويقيم به السنة معوجة يعني المظلوم ويمنعه من ان يستضعف وفيها وصفه صلى الله عليه وسلم يسبق حلمه جهله ولا يزيده
شدة الجهل عليه الا حلما وعن بعض احبار اليهود انه قال لم يبق جميع ما وصف به صلى الله عليه وسلم في التورية وقد نقلت الا هذين الوصفين
وكنت اشتهي الوقوف عليهما فجاءه شخص يطلب منه ما يستعين به وذكر له انه لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها لي
تكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئته قبل الاجل بيومين او ثلاثة فاخذت بمجامع قميصه ورداءه ونظرت اليه بوجه غليظ
الا تقضيني يا محمد حتى انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال له عمر اي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينظر الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التباعة اي المطالبة
اذهب يا عمر فاقضه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته اي خوفته فاسلم اليهودي وذكر القصة وفي التورية لا يزال الملك في يهودا الى
ان يجيء الذي اياه تنتظر الامم اي لا يزال امرهم ظاهرا الى ان يجيء الذي ينتظره الامم اي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم
لانه المرسل لجميع الامم وما زعم اليهود بانه يوشع رد ببعض التورية في محل اخر ان الله تعالى يقيم نبيا من اخوتكم مثلي وقد قال
لي اني سوف اقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه واي انسان لم يطع كلامه انتقم منه لان قوله مثلي اي رسولا بكتاب
مشتمل على الاحكام والشرايع وذكر المبدا والمعاد ويوشع لم يكن له كتاب بل كان متابعا لشريعة موسى عليه الصلوة والسلام
في بني اسرائيل خاصة وايضا يوشع منهم لا من اخوتهم فلو كان يوشع لقال منكم وما زعم النصارى انه المسيح رد عليهم
بنصوص الانجيل التي منها ان الله يقيم لكم نبيا من اخوتكم لان المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود فهو ابن
داود سيولدك ولذا دعي له ابا ويدعى لي ابنا واخوة بني اسرائيل انما هم اولاد اسماعيل الذي هو اخو اسحق وبنو اسرائيل
منه وايضا لو كان المسيح لم يحسن ان يخاطب بهذا اللفظ وفي الانجيل جاء الله من طور سينا وظهور بساعير واعلن بفاران

اي عرف الله برسالة موسى عليه الصلوة والسلام وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم لان ظهور نبوة موسى كان في
طور سينا وتقدم ان جبل بالشام قيل هو الذي بين مصر وايليا وانزلت التورية عليه فيه وظهور نبوة عيسى كان في ساعير وهو
جبل القدس لان عيسى عليه الصلوة والسلام كان يسكن قرية بارض الخليل يقال لها ناصرة وباسمها سمي من اتبعه وانزل
عليه الانجيل بها وظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان في فاران وهي مكة وانزل عليه القران بها وفي التورية ان اسمعيل
اقام بقرية فاران وانما عبر في جانب موسى بالمجيء لانه اول المشرعين لان كتابه الذي هو التورية هو اول كتاب اشتمل على الاحكام
والشرايع بخلاف ما قبله من الكتب فانها لم تشتمل على ذلك وانما كانت مشتملة على الايمان بالله وتوحيده ومن ثم قيل لها صحف
واطلاق الكتب عليها مجاز ولما حصل بعيسى عليه الصلوة والسلام وبكتابه الذي هو الانجيل نوع ظهور عبر في جانبه بالظهور
الذي هو اقوى من المجيء ثم لما كان الظهور والمجيء بمحمد صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالاعلان الذي هو اقوى من مجرد الظهور وقد قيل في تفسير
قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم يامرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات وهي
الشحوم التي حرمت على بني اسرائيل والبحيرة والسايبة والوصيلة والحام التي حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التي كانت
تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وان يقطعوا ما اصابهم
من البول والله اعلم ومن ذلك ما جاء عن النعمان السباي رضي الله عنه وكان من احبار يهود باليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله
عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن اشياء ثم قلت له ان ابي كان يختم على سفر يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا
سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما اراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه انت خير
الانبياء وامتك خير الامم واسمك احمد صلى الله عليه وسلم وامتك الحامدون اي يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم اي
يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم في الجهاد واناجيلهم في صدورهم اي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم
يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي اذا سمعت به فاخرج اليه فآمن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب
ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم ثم قال اشهد اني رسول الله وقتل النعمان هذا قتله الاسود
العنسي الذي ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار ولم يحترق كما وقع للخليل
وقيل الذي القاه الاسود العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب او ابن وهيب فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لاصحابه فقال لهم
الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابرهيم الخليل وهذا السفر يحتمل ان يكون ملخصا من التورية وقوله الا وجبريل معهم دليل على ان جبريل
يحضر كل قتال صدر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم للكفار وبل ظاهره كل قتال صدر حتى من جميع الامة وفي رواية بعضهم نقلا عن سفر من
التورية ولا يلقون اعداءهم الا وبين ايديهم ملائكة معهم رماح وفي التورية في صفة امته صلى الله عليه وسلم زيادة على ما سبق
يوضئون اطرافهم ويأتزرون في اوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم وقد جاء ابشروا كما رايت الملائكة ليلة
الاسرى تاتزر اي تتزر عند ربها الى انصاف سوقها وقد جاء وعليكم بالعمايم وارخوها خلف ظهوركم فانها سيما الملائكة وكلا اي
لا تنزعوا وارخوا العذبة من خصايص هذه الامة وقد جاء ان العمايم تيجان المسلمين وفي رواية من سيماء المسلمين وعلى انها من المميزة
لهم عن غيرهم ويؤخذ من وصفهم بانهم يوضئون اطرافهم اذ الامم السابقة كانوا لا يوضئون ويوافقه قول الحافظ ابن حجر ان الوضوء
من خصايص الانبياء دون اممهم الا هذه الامة ويؤيده ما رواه ابن مسعود مرفوعا يقول الله تعالى افترضت عليهم ان يتطهروا
في كل صلوة كما افترضت على الانبياء اي ان يكونوا طاهرين اذ ان هذا اي وجوب التطهر لكل صلوة كان في صدر الاسلام ولم
ينسخ الا في فتح مكة كما سياتي ويخالف كون الوضوء من خصايص هذه الامة ما رواه الطبراني في الاوسط بسند فيه ابن لهيعة
عن بريدة قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ واحدة واحدة وقال هذا الوضوء الذي لا يقبل الله الصلوة

الابه ثم توضأ ثنتين ثنتين فقال هذا وضوء الامم قبلكم ثم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي فان هذا
يفيد ان الوضوء كان للامم السابقة لكن مرتين وللانبياء كان ثلاثا وعليه فالخاص بهذه الامة التثليث كوضوء الانبياء
اي كما اختصت هذه الامة عن عداها بالغرة والتحجيل وعلى هذا يحمل قول ابن حجر الهيتمي ان الوضوء من خصائص هذه الامة بالنسبة
لبقية الامم لا لانبيائهم وفي كلام ابن عبد البر ان سائر الامم كانوا يتوضؤون ولا اعرفه من وجه صحيح وفي كلام ابن حجر
فالذي من خصائصنا اما الكيفية المخصوصة او الغرة والتحجيل هذا كلامه وهو يفيد ان كون الكيفية المخصوصة ومنها الترتيب
من خصائصنا غير مقطوع به بل الامر فيه على الاحتمال ولا يخفى ان الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم هذا وضوء الامم يدل
على الترتيب فقد استدل ائمتنا على وجوب الترتيب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتوضأ الا مرتبا باتفاق اصحابه ولو كان جائز
الترك في بعض الاحايين وما اعترض به على دعوى الاتفاق بانه جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه وصف وضوءه
صلى الله عليه وسلم فتوضأ فغسل وجهه ثم يديه ثم رجليه ثم مسح راسه اجيب عنه بضعف هذه الرواية وعلى تقدير صحتها يحتمل ان يكون
ابن عباس نسي مسح الراس فذكره بعد غسل رجليه فمسح ثم اعاد غسل رجليه والراوي عن ابن عباس لم يقف على اعادة ابن عباس
غسل رجليه وفي التوراة في صفة امته صلى الله عليه وسلم دويهم في مساجدهم كدوي النحل وفي رواية اصواتهم بالليل في
جو السماء كاصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت
له عشر حسنات واذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويؤمنون بالكتاب الاول اي وهو التوراة او جنس الكتب السابقة والكتاب الاخر اي وهو القرآن وروى الامام احمد وغيره
باسناد صحيح قال الله تعالى لعيسى يا عيسى اني باعث من بعدك نبيا امته ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون
صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون ذلك لهم ولا حلم ولا علم قال اعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم
لهم كامل وان الله تعالى حلمهم وعلمهم من حلمه وعلمه ويدل لذلك ما ذكره بعضهم ان هذه الامة امتزاج الامم فكان العلم والحلم الذي قسم
بين كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم وقد جاء فلو لم يرى هذه الامة الا يسير من ذلك مع قصر اعمارهم ناعظام الله
من حلم وعلم وجاء انهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن وفي الانجيل علماء حلماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء وفي الطبراني ان
عمر قال لكعب الاحبار كيف تجد نعتي في التوراة قال خليفة قرن من حديد امير شديد لا يخاف في الله لومة لائم وزاد من جواب
السؤال ثم الخليفة من بعدك تقتله امة ظالمين له ثم يقع البلاء بعده وفي صحف شعيا اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين
وفيها اني باعث نبيا اميا افتح به آذانا صما وقلوبا غلفا واعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكي
للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة لو مر الى جنب السراج لم يطفه من سكينته ولو يمشي على القضيب الرعراع يعني اليابس لم يسمع
من تحت قدميه الى اخر الرواية فان فيها طولا وقد ساقها الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى وشعيا هذا كان بعد داود وسليمان
وقيل زكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام ولما نهى بني اسرائيل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له
ودخل فيها وادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما راوا ذلك جاؤوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها
وكان من جملة الرسل الذين اثنى عليهم الله تعالى بقوله وقفينا من بعده اي موسى بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة
اي وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكى له الخراب ابشر يأتيك راكب الحمار
يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وتقدم في وصفه صلى الله عليه وسلم انه يركب الحمار والبعير وقد يقال لا
مخالفة لانه يجوز ان يكون عيسى اختص بركوب الحمار غالبا ومحمد صلى الله عليه وسلم فانه كان يركبها معا نادرة وهذا احوج لقلبنا امل
ومن جملتهم ارميا وقيل هو الخضر والله اعلم واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاط حاط والفلاح الذي يمحق الله به الباطل

فارق وفارقا يفرق بين الحق والباطل وهو كما تقدم معنى فارقليط او بارقليط بالقاف في الاول والموحدة في الثاني وقيل معناه الذي
يعلم الاشياء الخفية وفي الينبوع ومن الالفاظ التي وضعوها لانفسهم يعني النصارى وتوجوها على اختيارهم ان المسيح عليه الصلاة
والسلام قال ان اسال الله ان يبعث اليكم بارقليط اخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شيء ويفسر لكم الاسرار وهو
يشهد لي كما شهدت له ويكون خاتم النبيين حولوا ليشهد له بالبراءة والصدق في النبوة بعده الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر صاحب
الدر المنظم باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه يا عمر اتدري من انا انا الذي بعثني الله في التوراة
لموسى وفي الانجيل لعيسى بن مريم وفي الزبور لداود ولا فخر اي لا اقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل الافتخار بل على سبيل
التحدث بالنعمة يا عمر اتدري من انا اسمي في التوراة احيد وفي الانجيل البارقليط وفي الزبور حاط وفي صحف ابراهيم
طاب طاب ولا فخر وذكر صاحب شفاء الصدور في مختصره ان من فضائله صلى الله عليه وسلم ما ذكره مقاتل بن سليمان قال لعبد
مكتوبا في زبور داود اني انا الله لا اله الا انا ومحمد رسولي ووصف في مزامير داود بانه يقوي الضعيف الذي لا ناصر له ويرحم
المساكين ويبارك عليه في كل وقت ويدوم ذكره الى الابد وبالجبار في نقلد ايها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى
وما انت عليهم بجبار اجيب بان الاول هو الذي يجبر الخلق على الحق والثاني هو المتكبر وفيها يا داود سياتي من بعدك نبي اسمه احمد
ومحمد صادقا لا اغضب عليه ابدا ولا يعصيني ابدا وقد غفرت له قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تاخر اي على فرض وقوع
ذلك الذنب والمراد به خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين امته مرحومة اعطيتهم من النوافل مثل ما اعطيت
يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء وفي بعض مزامير داود ان الله اظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة و
الاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي صحف شيث احمد ناح ومعناه صحيح الاسلام وهذا يدل على ان مزامير
داود نسختها مختلفة بالزيادة والنقص وفي صحف ابراهيم اسمه ماذ ماذ وقيل ان ذلك في التوراة ولا مانع من وجود الوصفين
في تلك الصحف وفي كتاب شعيا عبدي الذي يثبت شاني انزل عليه وحي فيظهر في الامم عدلي لا يضحك اي مع رفع الصوت
ومن ثم قال ولا يسمع صوته في الاصوات لان ضحكه كان التبسم يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما
اعطيه لا اعطيه احدا وفيها ايضا شفح بالشين المعجمة والفاء والحاء المهملة اي زاهي بحمد الله حمدا جديدا اي مخترعا لم يسبقه
اليه احد يا تي من اقصى الارض لعل المراد به مكة يفرح البرية وسكانها وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي
لا يطفى سلطانه على كتفه وذكر البرية وسكانها اشارة لدولة العرب والمراد بسلطانه على كتفه خاتم النبوة لانه علامة
وبرهان على نبوته اي وذكر ابن ظفر ان في بعض كتب الله المنزلة اني باعث رسولا من الاميين اسدده بكل جميل واهب له كل
خلق كريم واجعل الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام
ملته ارفع به من الوضيعة واهدي به من الضلالة واؤلف به بين قلوب متفرقة واهواء مختلفة واجعل امته خير الامم
واما ما جاء مما يدل على وجود اسمه الشريف اعني لفظ محمد مكتوبا في الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة
فكثير من ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم
سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا اله الا الله محمد رسول الله قال الحافظ ابن حجر ويغني عنه عن عبادة بن الصامت
رضي الله تعالى عنه مرفوعا ان فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا اي من السماء والقي اليه فوضعه في خاتمه اي وكان به
انتظام ملكه وكان نقشه انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وحينئذ يكون بما تقدم عن جابر وما يأتي يجوز ان يكون
مروي بالمعنى وكان ينزعه اذا دخل الخلاء واذا جامع وكان نزعه عند تزوجه بتلك المراة فلم ير الناس فلم يجد من نفسه ما كان يجده
قبل نزعه وفي الشفا للجليل كان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله ووجد على بعض الحجارة

القدر عند محمد نبي مصلح وسيد امين وفي جامع مدينة قرطبة بالمغرب عود احمر مكتوب فيه بقلم القدرة محمد وعن عمر ابن الخطاب رضي الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف ادم الخطيئة قال يا رب اسئلك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا غفرت
لي قال وكيف عرفت محمدا وفي لفظ كما في الوفاء وما محمد ومن محمد قال لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت على
قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك قال صدقت يا ادم ولولا محمد
ما خلقتك اي وفي لفظ كما في الشفاء قال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت
انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه
ما خلقتك وفي الوفاء عن ميسرة قلت يا رسول متى كنت نبيا قال لما خلق الله الارض واستوى الى السما فسواهن سبع سموات وخلق
العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التي اسكنها ادم وحوى وكتب اسمي اي موصوفا بالنبوة
او بما هو اخص منها وهو الرسالة على ما هو المشهور على الابواب والاوراق والقباب والخيام وادم بين الروح والجسد اي قبل ان
تدخل الروح جسده فلما احياه الله نظر الى العرش فراى اسمي فاخبره الله تعالى انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا
باسمي اليه اي فقد وصف صلى الله عليه وسلم بالنبوة قبل وجود ادم وعنه ايضا عن سعيد بن جبير اختصم ولد ادم اي الخلق اكرم على الله تعالى
فقال بعضهم ادم خلقه الله بيده واسجد له ملائكته وقال اخرون بل الملائكة لانهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لادم فقال لما
نفخ في الروح لم يبلغ قدمي حتى استويت جالسا فبرق لي العرش فنظرت فيه محمد رسول الله فذلك اكرم الخلق على الله عز وجل قيل وكان
يكنى ادم بابي محمد وبابي البشر فظاهره انه كان يكنى بذلك في الدنيا وتقدم انه يكنى بابي محمد في الجنة ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه قال لكعب الاحبار اخبرنا عن فضايل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا امير المؤمنين قرات ان ابراهيم
الخليل وجد حجرا مكتوبا عليه اربعة اسطر الاول انا الله لا اله الا انا فاعبدون والثاني انا الله لا اله الا انا محمد نبيي رسولي طوبى
لمن به واتبعه والثالث انا الله لا اله الا انا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي امن من عذابي ولم يذكر الرابع اي وذكر بعضهم في سنة اربع و
خمسين واربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال ودفنت منها الوحوش فظن الناس ان القيامة قد قامت و
ابتهلوا الى الله تعالى بالدعاء فنظروا فاذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تاملوا الوحوش فاذا هي منصرفة
الى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور فصاروا معها اليه فوجدوا به صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة اصابع وفيها ثلاثة
اسطر سطر فيه لا اله الا انا فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشي وسطر ثالث فيه ما حذروا واقترب المغرب فانها تكون
من سبعة او تسعة والقيامة قد انفتح اي قربت وجاء ان ادم عليه الصلوة والسلام قال طفت السموات فلم ار في السموات موضعا الا
رايت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم ار في الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رايت اسم محمد صلى الله عليه وسلم
على نحور الحور العين وعلى ورق اجام الجنة وعلى ورق قصب الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين اعين الملائكة وهذا الحديث
قد حكم بعض الحفاظ بوضعه اي وقد قيل ان اول شيء كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني انا الله لا اله الا انا
محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين و
في رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن بهذا ادخله الله الجنة وفي رواية
لما امر القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فتامل هذا فان كان المراد كما هو المتبادر
ان القلم لما امر ان يكتب ما ذكر كان اول شيء كتبه على سرادق العرش ما ذكر ثم تمم كتابة ما امر به لم يحتج الى ذلك لما كتب اولا
ما ذكر البسملة في اللوح المحفوظ ثم تمم كتابة ما امر به يلزم ان القلم كتب ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ وعلى سرادق العرش
ومن ذلك ما جاء عن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادم عليه السلام قال وجدت اسم

محمد صلى الله عليه وسلم على ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى اي وعلى ورق قصب اجام الجنة ومن ثم قال السيوطي
في الخصايص الكبرى من خصايصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها ولقد خلقت
العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب باسمه صلى الله عليه وسلم على سائر ما في الملكوت
اي من في السموات والجنان وما فيهن وفي الخصايص الصغرى له ايضا ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف على
العرش وكل سماء والجنان وما بها وسائر ما في الملكوت اقول ولا يخالف هذا اي ما تقدم عن ادم ما جاء على تقدير صحته ان ادم لما نزل
الى الارض استوحش فنزل عليه جبريل فنادى بالاذان الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا
رسول الله مرتين قال ادم من محمد قال جبريل هو اخر ولدك من الانبيا لجواز ان يكون عليه السلام اراد ان يستثبت هل هو محمد الذي
راى اسمه مكتوبا واخبر بانه اخر الانبياء من ذريته وانه لولاه ما خلقه واستشفع به وعرفه فليتامل وانما قلنا على تقدير صحته لان
الحافظ السيوطي ذكر في بدء الاذان ان في سند هذا الحديث مجاهيل وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره عن علي ابن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت ارضي ولا سمائي ولا رفعت
هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفي رواية عنه ولا خلقت سماء ولا ارضا ولا طولا ولا عرضا وبهذا يرد على من توقف على القائل
في مدحه صلى الله عليه وسلم لولاه ما كان لا فلك ولا فلك مثل هذا يحتاج الى دليل ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل
على ذلك فيقال له بل جاء في السنة ما يدل على ذلك والله اعلم ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعت في غيضة
فاذا فيها شجر عليه ورق احمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم رايت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق
كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة اثبتها الله بقدرته في الورقة ثلاثة اسطر الاول
لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعض اخوته لما دخلت بلاد الهند رايت في
بعض قراها شجر ورد اسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر
الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة كبيرة لم تنفتح فرايت فيها كما رايت في ساير الورق
وفي البلد منها شيء كثير واهل تلك البلد يعبدون الحجارة ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح
ونحن في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة فرايت فيها وردا احمر زكي الرائحة مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله
الا الله محمد رسول الله اي ومن ذلك ما حكاه عن بعضهم قال رايت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر
خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون
بها اذا منعوا الغيث هذا وفي مزيل الخفا الاقتصار على لا اله الا الله اي وحينئذ لا يكون شاهدا على ما ذكرنا اي ومن ذلك ما حكاه
الحافظ السلفي عن بعضهم ان شجرة ببعض البلاد لها اوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط اشد خضرة من لون الورق لا اله الا الله
محمد رسول الله وكان اهل تلك البلاد اهل اوثان وكانوا يقطعونها ويمحون اثارها فترجع الى ما كانت عليه في اقرب وقت فاذابوا الرصاص
وصبوه في اصلها فخرج من حول الرصاص اربع فروع على كل فرع لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون ويستشفون
بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران واجل الطيب ومن ذلك انه وجد في سنة سبع او تسع وثمانين ثمانية حبة عنب
فيها مخطط بارع بلون اسود محمد ومن ذلك ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها
الايسر محمد رسول الله قال فلما رايتها القيتها في النهر احتراما لها وعن بعض اخوته قال حكيت بحر المغرب ومعنا غلام معه سنارة فدلاها
في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فنظرنا فاذا مكتوب بالاسود على اذنها الواحدة لا اله الا الله وعلى قفاها وخلف اذنها
الاخرى محمد رسول الله فقذفناها في البحر وعن بعضهم انه ظهرت له سمكة بيضاء فاذا على قفاها مكتوب بالاسود لا اله الا الله

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطاير في فمه طرفة خضراء فالقاها فاخذها النبي صلى الله
عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوب عليها بالاخضر لا اله الا الله محمد رسول الله ومن ذلك ما حكاه بعضهم انه كان بطرستان
قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان ففي
يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشا حتى اخذت ما بين الخافقين واظلت بين السماء والبلد فلما
كان وقت الزوال ظهر في السحابة بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن
واسلم اكثر من كان بالبلد من اليهود والنصارى ومن ذلك ما جاء عن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال الغني في قوله تعالى وكان تحته كنز
لهما قال لوحا من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب عليه عجبا لمن ايقن بالموت اي بانه يموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالحساب اي انه
يحاسب كيف يضحك عجبا لمن ايقن بالقضاء اي ان الامور بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف
يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروى البيهقي عن علي رضي الله تعالى عنه ان الكنز الذي ذكره الله تعالى في كتابه
لوح من ذهب مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب اي يتعب عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن
ذكر الموت ثم يغفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفي لفظ لا اله الا انا وان محمدا عبدي ورسولي وفي تفسير القاضي البيضاوي
عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق اي ان الله رازقه كيف ينصب اي يتعب وعجبت لمن يؤمن بالله كيف يفرح
وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله اقول
قد يقال يجوز ان يكون ما ذكر اولا في احد وجهي ذلك اللوح وما ذكر ثانيا في الوجه الثاني او ان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم
روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح ابيهما وكان تاسع ابا لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله تعالى يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد
ولده وبقعته التي هو فيها والدويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره ويذكر ان بعض العلويين من ... الرشيد فقتله فلما
دخل عليه الوحد على سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله تعالى قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح ابيهما احفظني منه لصلاح
اباي كما في العرايس والله اعلم ومن ذلك ما جاء عن جابر رضي الله تعالى عنه قال مكتوب بين كتفي ادم محمد رسول الله خاتم النبيين اي
مذكر بعضهم انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله ومن ذلك ما
حكاه بعضهم قال لعله ... في عام اربعة وسبعين وستمائة صيدا اسود عليه بياضا على شكل الدائرة وفيها مكتوب محمد بخط في
غاية الحسن والبيان وما حكاه بعضهم قال شاهدت ببلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا بيهما من عينه اليمنى من اسفل مكتوب
بعرق احمر كتابة مليحة محمد رسول الله وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله ببركاته في كتابه لواقح الانوار القدسية في
قواعد السادة الصوفية وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رايت علما من اعلام النبوة وذلك ان شخصا اتاني براس خروف مشوي اها وكلها
واراني فيها مكتوبا بخط الهي الجبين لا اله الا الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشاء وقال الشيخ عبد الوهاب
وتكرير في ذلك حكمة فان الله لا يسهو اهذا كلامه وقد يقال لعل الحكمة التاكيد بعلو مقام الهداية كيف وهو المجابة لمقام الضلال لثر
والغواية وعن الزهري قال شخصت لهشام ابن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رايت حجرا مكتوبا عليه بالعبراني فارشدت الى شيخ يقرا فلما
قراه ضحك وقال امر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى
بن عمران باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قال وجاء في بعض الروايات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود اي وقيل غيره وانه
الذي في زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر اي ولعله غير الحجر الذي بازاء المرفق ذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكى عليه برفقه وهو الذي
يقال له زقاق المرفق وغير الحجر الذي اثر الاصابع ويروى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله تعالى كرامته بالنبوة كان

اذا خرج لحاجته اي لحاجة الانسان ابعد حتى لا يرى بيتا ويفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا وقال الصلوة
والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى احدا انتهى والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله لم يبق من حجر
مليء ولا شجر الا وسلم لدنا ما دعا والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله والجمادات افصحت بالذي اخرس عنه لاحمد الفصحاء اي الجمادات
التي لا روح فيها نطقت بكلام فصيح لا تلعثم فيه اي بالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولم تنطق به اهل الفصاحة والبلاغة وهم
الكفار من قريش وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل
ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اقول والى تسليم الحجر قبل البعثة يشير الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته
بقوله وما جزت بالاحجار الا وسلمت عليك بنطق شاهد قبل بعثة واما حديث عايشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وما ذكره بعضهم من ان الجن قالوا له
صلى الله عليه وسلم بمكة من يشهد انك رسول الله قال تلك الشجرة ثم قال لها من انا فقالت رسول الله فليس من المترجم له
وفي الخصايص الصغرى وخص بتسليم الحجر وبكلام الشجر وشهادتهما له بالنبوة واجابتها دعوته وفي كلام السهيلي يحتمل ان يكون نطق
الشجر والحجر كلاما مقرونا بحياة وعلم ويحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقترن بحياة وعلى كل هو امر علم من اعلام النبوة وفي كلام
الشيخ محيي الدين بن العربي اكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك بل
فاذا جاءهم عن نبي او ولي ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر
الحياة سار في جميع العالم وقد ورد ان كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم واطال
في ذلك وقال قد اخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل
في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا واسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك ان كان الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك
منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة ما تدكدك والله اعلم باب ما جاء في حين المبعث وعموم بعثته
صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس
اجمعين وكان الله قد اخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك
الى كل من امن بهم وصدقهم اي فهم وامتهم من جملة امته صلى الله عليه وسلم كما سيأتي عن السبكي وعن انس بن مالك رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على راس الاربعين قال وهذا هو المشهور بين اهل السير والعلم بالاثر
وقيل بزيادة سنتين ثلاث وهو شاذ واكثر منه شذوذا ما قيل انه بزيادة شهر وقيل بزيادة سنتين وما قيل انه بزيادة
خمس سنين قال بعضهم والاربعون هي سن الكمال وغاية بعث الرسل اي لا يرسلون دونها ومن ثم قال في الكشاف و
يروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة هذا كلام الكشاف واما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وهو ابن ثلاث
او ادم وثلاثين سنة اي ومعلوم انه دعا الى الله قبل ذلك فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى انتهى اي وعليه
جرى غير واحد من المفسرين بل قال في ينبوع الحياة لم يبلغني ان احدا من المفسرين ذكر في مبلغ سنه اذ رفع اكثر من ثلاث و
ثلاثين سنة هذا كلامه وفي الهدي واما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وله ثلاث وثلثون سنة فهذا لا يعرف به اثر
متصل يجب المصير اليه هذا كلامه وهو افضل ما تقدم عن المفسرين وما في العرايس نعم بعث لرسول عيسى عليه الصلوة والسلام
ثلاثون سنة اوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم ويعرب لا مثال لهم ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع
الشياطين ويذلهم ويدعوهم ففعل ما امر به واظهر المعجزات فمنها احياؤه سام بن نوح بعد ثلاثة ايام من موته وعبارة الجلال المحلي قطعه
النفس احيى عيسى عليه الصلوة والسلام اربعة عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح هذا كلامه وذكر البغوي

تصدق كل واحد فراجعه وكان عيسى عليه الصلوة والسلام يمشي الى الماء ومكث في الرسالة ثلاث سنوات ثم رفع ويوافق ذلك
ايضا قول ابن الجوزي واما حديث ما من نبي الا بنبي بعد الاربعين موضوع لان عيسى عليه الصلوة والسلام نبي ورفع الى السماء
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة اي نبي وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين بل قيل نبي وهو طفل في شرائط الاربعين
في حق الانبياء عليهم الصلوة والسلام ليس بشيء هذا كلامه اي وفيه ان هذا بمجرده لا يدل على وضع الحديث ويوافقه ايضا
قول القاضي البيضاوي ويحيى نبي وهو ابن خمسين سنة وقيل اربعين ويوافقه ايضا قول بعضهم ومما يدل على ان بلوغ الاربعين
ليس شرطا للنبوة قصة سيدنا يحيى صلوات الله وسلامه عليه بناء على ان الحكم في قوله تعالى واتيناه الحكم صبيا النبوة
لا الحكمة وفهم التورية كما قيل بذلك بل احكم اليه عقله في صباه واستنباه قيل كان ابن سنتين او ثلاث ولما ولي الخلافة المقتدر
وهو غير بالغ صنف الامام الصولي كتابا فيمن ولي الامر وهو غير بالغ واستدل على جواز ذلك بان الله بعث يحيى بن زكريا نبيا وهو
غير بالغ وذكر فيه كل من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم من الصبيان قال بعضهم وهو كتاب حسن فيه فوائد كثيرة وكان
فرح يحيى قبل رفع عيسى عليهما الصلوة والسلام بسنة ونصف سنة ومما يدل على ما تقدم على الهدى اي من انكار ان عيسى
عليه الصلوة والسلام رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم الاحاديث الصحيحة يدل انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين
سنة من تلك الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم في مرض موته لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها اخبرني جبريل انه
لم يكن نبي الا عاش نصف عمر الذي كان قبله واخبرني ان عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا اراني الا ذاهبا على راس الستين
وفي الجامع الصغير ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش النبي قبله وعلى كون كل نبي عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله يشكل
ان نوحا كان اطول الانبياء عمرا ومن ثم قيل له كبير الانبياء وشيخ المرسلين وهو اول من تنشق عنه الارض بعد نبينا الا ان عاش
نصف ما عاش الذي قبله وقال العماد بن كثير انه غريب وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع رجال من اصحابه يحرسونه اي ينتظرون فراغه من الصلوة لان تولى والله يعصمك من الناس
كان قبل هذا حتى اذا صلى وانصرف اليهم قال لهم لقد اعطيت الليلة خمسا ما اعطيهن احد قبلي فاذا في رواية لا اقول لهن فخرا اما اولهن
فارسلت الى الناس كلهم عامة اي من في زمنه وغيرهم ممن تقدم او تاخر ايد البشر والجن الى اخر ما يأتي وكان من قبلي وفي لفظ
وكان كل نبي انما يرسل الى قومه اي جميع اهل زمنه او جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح فانه كان مرسلا لجميع من كان في زمنه
من اهل الارض ولما اجيبت دعوته لم يؤمن منهم الا من امن معه وهم اهل السفينة وكانوا ثمانين او اربعين رجلا واربعين
امراة وفي عوارف المعارف اصحاب السفينة كانوا اربعمائة وقد يقال من الادميين وغيرهم فلا غالف فدعا على من عدا من ذكر ايضا
العذاب ثم كان الطوفان الذي كان به هلاك جميع اهل الارض الا من امن ولو لم يكن مرسلا اليهم ما دعى عليهم بسبب عدم ايمانهم له
في عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين اي حتى في الدنيا حتى نبعث رسولا وقد ثبت ان نوحا اول الرسل اي الى عبيد
الاصنام لان عبادة الاصنام اول ما حدث في قومه وارسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون اول الرسل
ادم ارسله الله تعالى الى اولاده بالايمان بالله تعالى وتعليم شرائعه وذكر بعضهم انه كان مرسلا الى زوجته حوى في الجنة
لان الله تعالى امره ان يامرها بنهيها في ثمن اخبار ما بامره وبهيه بقوله تعالى يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا
حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وذلك عين الارسال كما ادعاه بعضهم فعلوا ان عموم رسالة نوح عليه الصلوة والسلام لجميع
اهل الارض في زمنه لا يساوي رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت ان رسالته عامة حتى لمن يوجد بعد زمنه وحينئذ
يسقط السؤال عن عموم بقي بعد الطوفان الا مؤمن فصادفت رسالة نوح عليه الصلوة والسلام عامة ويسقط جواب الحافظ
ابن حجر عنه بان هذا العموم الذي حصل بعد الطوفان لم يكن من اصل بعثته بل طرا بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم قيل كان بين الدعوة والطوفان مائة عام وقد حققنا فيما سبق ان ادم ومن بعده دعى الى الايمان بالله
تعالى وعدم الاشراك به الا ان الاشراك به وعبادة الاصنام اتفق انه لم يقع الا من نوح ومن بعده واما قول اليهود
او وهم العيسوية طائفة من اليهود اتباع عيسى الاصفهاني انه صلى الله عليه وسلم انما بعث للعرب خاصة دون بني اسرائيل وانه
صادق فاسد لانهم اذا سلموا انه رسول الله لكل الناس او كل قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه لانه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه متكلما بلغتهم ليفهموا عنه اولا ثم يبلغ الشاهد الغايب ويحصل الافهام لغير اهل
تلك اللغة من الاعاجم بالتراجم الذين ارسل اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الكافة وان كان هو وكتابه عربيين كما كان
موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام مبعوثين لبني اسرائيل بكتابيهما العبراني يعني هو التورية والسرياني وهو الانجيل مع ان من
جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالاروام فان لغتهم اليونانية والله اعلم واشار الى الثانية من الخمس بقوله
ونصرت بالرعب على العدو ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر اي امامه وخلفه بل امتي رعبا اي يقذف الرعب في قلوب اعدائه صلى الله
عليه وسلم وجعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده وبين احد من اعدائه اي المحاربين له اكثر من شهر اي وجاء ان سيدنا سليمان عليه
الصلوة والسلام ذهب هو وجنده من الانس والجن وغيرهما الى الحرم وكان يذبح كل يوم خمسة الاف ناقة وخمسة الاف ثور وعشرين
الف شاة لان مساحة جنده كانت مائة فرسخ قال الخضر بن اشرف جنده هذا مكان يخرج منه نبي عربي يعطى النصر على جميع من ناواه
وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تاخذه في الله لومة لائم ثم قالوا فباي دين يا نبي الله يدين
قال بدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وامن به قال وكم بيننا وبين خروجه قال مقدار الف عام واشار الى الثالثة بقوله واحلت لي الغنايم
كلها وكان من قبلي اي ممن امر بالجهاد منهم يعظمون اكلها ويحرقونها لانهم كانوا يجمعونها اي والمراد ما عدا الحيوانات من الامتعة والاطعمة
والاموال فان الحيوانات تكون ملكا للغانمين دون الانبياء ولا يجوز للانبياء اخذ شيء من ذلك بسبب الغنيمة كذا في الوفا وجاء في بعض
الروايات والمعمة امتك الفي ولم احل امة قبلها اي والمراد بالفي ما يعم الغنيمة كما انه قد يراد بالغنيمة ما يعم الفي هذا وفي بعض الروايات
وكانت الانبياء يعزلون الخمس فتجي النار اي نار بيضاء من السماء فتاكله اي حيث لا غلول واحرقت اذا قسم في فقراء امتي وفي تكملة تفسير
الجلال السيوطي لتفسير الجلال المحلي ان ذلك لم يعهد قبل من عيسى عليه الصلوة والسلام ولعله لم يكن ممن امر بالجهاد فلا ينافي ما
سبق واشار الى الرابعة بقوله وجعلت لي الارض كلها مسجدا وطهورا اي ما ادركتني الصلوة تمسحت اي تيممت حيث لا ماء وصليت في اي محل
التيمم منها بموضع دون غيره وكان من قبلي لا يصلون ذلك اي الصلوة في اي محل ادركتهم وانما كانوا يصلون في كنائسهم و
بيعهم اي ولم يكن احد منهم يتيمم لان التيمم من خصائصنا وفي رواية جابر لم يكن احد من الانبياء يصلي حتى يبلغ محرابه وجاء في تفسير
قوله تعالى واختار موسى قومه الايات عن المارودي ان الله تعالى قال لموسى اجعل لكم الارض مسجدا فقال لهم موسى ان الله قد جعل
لكم الارض مسجدا قالوا لا نريد ان نصلي الا في كنايسنا فعند ذلك قال الله تعالى سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة الى
قوله المفلحون اي وهم امته صلى الله عليه وسلم وفيه انه قيل ان عيسى عليه الصلوة والسلام كان يسيح في الارض ويصلي حيث
ادركته الصلوة ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين ما تقدم من قوله لم يكن احد من الانبياء يصلي حتى يبلغ محرابه الا ان يقال
لا يصلي مع امته الا في محرابه واما عيسى فخص بانه يصلي حيث ادركته الصلوة وسيأتي في الخصايص الكلام على ذلك واشار
الى الخامسة بقوله صلى الله عليه وسلم قيل لي سل فان كل نبي قد سال فاخرت مسئلتي الى يوم القيمة فهي لكم ولمن شهد
ان لا اله الا الله وهي لاخراج من في قلبه ذرة من الايمان ليس له عمل صالح الا التوحيد اي اخراج من ذكر من النار
لان شفاعة غيره تنفع من في قلبه اكثر من ذلك قاله القاضي عياض اي وقد جاء في بيان من يشفع باذن الله له في
الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا شفع وفي رواية ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون

فيشفعهم الله تعالى وقد جاء ان اول شافع جبريل ثم ابرهيم ثم موسى ثم يقوم نبيكم رابعا لا يقوم بعده احد فيما يشفع فيه
وفي الحديث اني تحت العرش فاخر ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي
يا رب امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير من ايمان وفي لفظ حبة من خردل وفي لفظ ادنى ادنى ادنى
من مثقال حبة من خردل فاخرجه اي من النار فانطلق فافعل اي فاخرجه من النار وادخله الجنة ولا شفاعة قبل هذه في ادخال
اهل الجنة بعد مجاوزة الصراط ففي الحديث فاذا دخلت الجنة فنظرت الى ربي خررت ساجدا فياذن الله لي في حمده وتمجيده
ثم يقول ارفع راسك يا محمد واشفع تشفع واسال تعطه فاقول يا رب شفعني في اهل الجنة ان يدخلون الجنة فياذن الله
لي في الشفاعة الى اخر ما تقدم ومن هذا يعلم ان الشفاعة في الاخراج من النار انما تكون منه صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة
ما تقدم من قوله اني تحت العرش فاخر ساجدا الى اخره انما ذلك في الشفاعة في فصل القضا فهذا خلط من بعض الرواة اي غلط الشفاعة
في الموقف التي هي الشفاعة في فصل القضا بالشفاعة بعد مجاوزة الصراط في دخول اهل الجنة الجنة وبالشفاعة بعد دخول
اهل الجنة في اخراج اهل التوحيد من النار والشفاعة في فصل القضا هي المشار اليها في قوله صلى الله عليه وسلم واعطيت الشفاعة
فقد قال ابن دقيق العيد الاقرب ان اللام فيها للعهد والمراد الشفاعة العظمى في اراحة الناس من هول الموقف وهذا هو المقام
المحمود الذي يحمده ويغبطه فيه الاولون والاخرون المعني بقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وعن حذيفة يجمع الناس
في صعيد واحد فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين
يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقد جاءت فتنة كبيرة ببغداد بسبب هذه
الاية اعني عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة معناه يجلسه الله تعالى على عرشه وقال غيرهم بل هي الشفاعة العظمى
في فصل القضا فدام الخصام الى ان اقتتلوا فقتل كثيرون وهذه الشفاعة احدى الشفاعات الثلاث المعنية بقوله صلى الله عليه
وسلم لي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن وفي كلام بعضهم له صلى الله عليه وسلم تسع شفاعات اخر غير فصل القضا وفي اختصاص
بعضها خلاف وهي الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب قال النووي وجماعة هي مختصة به صلى الله عليه وسلم و
الشفاعة في اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها قال القاضي عياض وغيره ويشرك فيها من شاء الله تعالى والشفاعة في اخراج
من دخل النار من الموحدين وفي قلبه مثقال ذرة من ايمان وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في اخراج من ادخل
منهم النار وفي قلبه ادنى من ذرة من ايمان ويشاركه فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وظاهر هذا السياق ان المراد من في
قلبه مثقال ذرة من ايمان الى اخره عام في امته صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الامم وهو خلاف ما قاله بعضهم وجاء في الصحيح فاقول يا رب
ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال
لا اله الا الله ولا يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اتاني ات من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي وفي رواية
ثلثي امتي الجنة او بلا حساب ولا عقاب وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا فاخترت الشفاعة
وعلمت انها اوسع لهم لانا نقول المراد بالذين نالتهم شفاعته صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا خصوص امته واما
من قبله ليس فيه لبس في ذلك فهم الموحدون من الامم السابقة ملتبسا لما مع ما سبق من شفاعة الانبياء والملائكة والمؤمنين
والشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوز النووي اختصاصها به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في تخفيف
العذاب عن بعض الكفار كابي طالب وابي لهب كل يوم اثنين بالنسبة لابي لهب والشفاعة لمن مات بالمدينة الشريفة ولعل المراد انه لا يحاسب
فقد اوصل ابن القيم شفاعاته صلى الله عليه وسلم الى اكثر من عشرين شفاعة وفي رواية اعطيت ما لم يعطه احد من الانبياء
قبلي نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض اي وفي لفظ بينا انا نائم اذ اتيت او اتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدي

ولامنافاة

ولامنافاة لانه يجوز انه اعطي ذلك يقظة بعد ان اعطيه مناما وسميت احمد اي ومحمد اي لان احدا من الانبياء لم يسم بذلك فهو
من خصايصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة للانبيا كذا في الخصايص الصغرى وتقدم ان التسمية باحمد من خصايصه صلى الله عليه
وسلم على جميع الناس وفي وصفه صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر قول عيسى عليه الصلوة والسلام اني عبد الله الاية وقول سليمان عليه
الصلوة والسلام علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء الاية هو الاصل في ذكر العلما مناقبهم في كتبهم وهذا ماخوذ من قوله تعالى
واما بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمة الله شكر وقد تكرر قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم و
لئن كفرتم ان عذابي لشديد وصعد سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه المنبر فقال الحمد لله الذي صيرني ليس فوقي احد ثم نزل فقيل
له في ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضها للزوال
والحق في ذلك التفصيل وهو ان من خاف من التحدث بالنعمة واظهارها الريا فعدم التحدث بها وعدم اظهارها اولى ومن لم يخف
ذلك فالتحدث بها واظهارها اولى وفي الشفاعة انا احمد المحمود بيدي لوا الحمد يوم القيمة يحمده الاولون والاخرون لشفاعتي
لهم فيفيق انه سمي محمدا واحمد وتقدم ان هذا يوافق ما تقدم عن الهدى ان احمد ماخوذ من الفعل الواقع على المفعول وقد جاء انا محمد و
انا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعده نبي وجعلت امتي
خير الامم قال القاضي البيضاوي وفي التسمية بالاسماء العربية تنويه الى تعظيم المسمى هذا كلامه وفي رواية لما اسري بي الى
السماء قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين او ادنى فقال لي قد جعلت امتك اخر الامم لا فضح الامم عندهم اي بوقوفهم على
اخبارهم ولا افضحهم عند الامم اي لتاخرها عنهم والقصة في حق يعود اليه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ان دنى فتدلى الاية
عبارة عن تقربه تعالى وهو معنوي ليس حسيا وفي رواية نحن الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلايق
وفي رواية نحن اخر الامم واول من يحاسب تفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من اثر الطهور وفي رواية من اثار
الوضوء فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبيا كلها هذا وفي رواية غرا من اثر السجود محجلين من اثر الوضوء وورد
فضلت على الانبيا بست اي ولا مخالفة بين ذكر الخمس اولا وبين ذكر الست هنا لانه يجوز ان يكون اطلع اولا على بعض ما اختص به
ثم اطلع على الباقي هذا على اعتبار مفهوم العدد القايم ثم اشار الى بيان الست بقوله اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب و
احلت لي الغنايم وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة والخلق يشمل الانس والجن والملائكة والحيوانات
والنباتات والحجر قال الجلال السيوطي وهذا القول اي ارساله للملائكة رجحته في كتاب الخصايص وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين
السبكي وزاد انه مرسل لجميع الانبياء والامم السابقة من لدن ادم الى قيام الساعة ورجح ايضا البارزي وزاد
انه مرسل لجميع الحيوانات والجمادات وازيد على ذلك انه مرسل الى نفسه وذهب جمع انه لم يرسل للملائكة منهم
الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع وشنع عليه في شرح التقريب وحكى الفخر الرازي
في تفسيره والبرهان النسفي في تفسيره فيه الاجماع هذا كلامه وبهذا الثاني افتى والدنا شيخنا الرملي وعليه فيكون قوله صلى الله
عليه وسلم ارسلت الى الخلق كافة وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص او الذي اريد به الخصوص ولا يشكل عليه
حديث سلمان اذا كان الرجل بارض واقام الصلوة صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه
ويسجدون بسجوده لانه يجوز ان لا يكون ذلك صادرا عن بعثته صلى الله عليه وسلم اليهم ولا يشكل ما ورد بعثت الى
الاحمر والاسود لما تقدم ان المراد بذلك العرب والعجم وقال الشفا وقيل الحمر الانس والسود الجان واستدل للقول الاول
القايل بانه ارسله للملائكة بقوله تعالى ومن يقل منهم اي من الملائكة اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهي انذار
للملائكة على لسانه صلى الله عليه وسلم في القران العظيم الذي انزل عليه فثبت بذلك ارساله اليهم صلى الله عليه وسلم

دعوى الاجماع منازع فيها فهي دعوى غير مسموعة ثم رايت الجلال السيوطي ذكر هذا الاستدلال وهو واضح وذكر نبيه ادلة ايضا
وهي لا تثبت المدعى الذي هو ان الملائكة مكلفون بشرعه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على من تدبر ونقل عنهم بالوقوف عليها فعلم
انه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبياء وامهم على تقدير وجوده في زمنهم لان الله تعالى اخذ عليهم وعلى اممهم الميثاق
على الايمان به صلى الله عليه وسلم ونصرته مع بقائهم على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته اعم
واشمل وتكون شريعته في تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم ما جاءت به انبياؤهم لان الاحكام والشرائع باختلاف
الاشخاص والاوقات قاله السبكي اي فجميع الانبياء وامهم من جملة امته صلى الله عليه وسلم فقوله صلى الله عليه وسلم
لعمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه والذي نفسي بيده لو ان موسى عليه الصلوة والسلام كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني
اخرج احمد وغيره عن عبد الله بن ثابت قال لما جاء عمر رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اني مررت باخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التورية الا اعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر
رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد بيده لو اصبح
فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظي من الامم وانا حظكم من النبيين وفي التمهيد لابي حيان ان عبد الله بن سلام استاذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التورية في صلاته من الليل فلم ياذن له وكون جميع الانبياء وامهم من امته المراد امة
الدعوة لا امة الاجابة لانها مخصوصة بمن امن به بعد البعثة على ما تقدم ويأتي وبعثته صلى الله عليه وسلم رحمة حتى للكفار
بتاخير العذاب عنهم ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم المكذبة وحتى الملائكة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وقد ذكر في الشفاء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت
لثناء الله تعالى في القران بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين قال السيوطي ان هذا الحديث لم نقف له على سند
فهو صلى الله عليه وسلم افضل من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين ومن لفظه فضلت على الانبياء بست لم يعطهن احد
كان قبلي غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر واحلت لي الغنائم وجعلت امتي خير الامم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا و
اعطيت الكوثر ونصرت بالرعب والذي نفسي بيده ان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيمة تحته ادم فمن دونه وفي رواية
فما من احد الا وهو تحت لوائي يوم القيمة ينتظر الفرج وان معي لواء الحمد انا امشي ويمشي الناس معي حتى اتي باب الجنة الحديث
اقول قد سئلت عما حكاه الجلال السيوطي انه ورد الى مصر نصراني من الفرنج وقال لي شيخنا اذا ذكرتموها اسلمت فعقد
له النصراني والناس يسمعون اي افضل عندكم المتفق عليه او المختلف فيه فقال له النصراني قد اتفقنا نحن وانتم على نبوة عيسى
واختلفنا في نبوة محمد فليلزم ان يكون عيسى افضل من محمد فاطرق الشيخ عز الدين ساكتا من اول النهار الى الظهر حتى ارتج
المجلس واضطرب اهله ثم رفع الشيخ راسه وقال لعيسى قال لبني اسرائيل ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلزمك اذ شهد
فيما قال لعيسى باحمد الذي بشر به فقام الحجة على النصراني واسلم بانه كيف قام الحجة على كون محمد افضل من عيسى لانه يثبت ذلك
ان محمدا رسول الله فاجبت بانه حيث ثبت ان محمدا رسول الله وجب الايمان به وبما جاء به ومما جاء به انه افضل من جميع الانبياء
وقد سئل ابو الحسن الجمال المالكي من فقهائنا معاشر الشافعية محمد وموسى عليهما الصلوة والسلام ايهما افضل فقال
انه تعالى ادخل بينه وبين موسى كلام الملك فقال واصطنعتك لنفسي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ففرق بين من قام بوصفه وبين من اتى مرة مقام نفسه وفي رواية اذا كان يوم القيمة كان لي لواء الحمد
وكنت امام المرسلين وصاحب شفاعتهم وفي لفظ الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اكرم
الاولين والاخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع وانا اول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة

اي حلق بابها فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر اي وفي رواية اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح اي بتحريك
حلقة الباب او قرعه بها لا بصوت فيقول الخازن او هو رضوان من انت فاقول محمد وفي رواية انا محمد فيقول بك امرت
لا افتح وفي رواية لا افتح لاحد قبلك اذ في رواية ولا اقوم لاحد بعدك ولا افتح له ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم
ان رضوان لا يفتح الا له ولا يفتح لغيره من الانبياء وغيرهم وانما يتولى ذلك غيره من الخزنة وهي خصوصية عظيمة رتبه
عليه الغيطي الخضري وكون الفاتح له صلى الله عليه وسلم الخازن لا ينافي ما قبله من كون الفاتح له الحق سبحانه لما علم ان
الخازن انما فتح بامر الله فهو الفاتح الحقيقي وفي رواية انا اول من يفتح له باب الجنة ولا فخر فاني اخذ بحلقة الجنة فيقال له
من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار فاخر ساجدا اي في الكلام في يوم القيمة فلا يرد ادريس عليه الصلوة والسلام
بناء على ان دخوله الجنة مترتب على فتح الباب غالبا لان ذلك يقع يوم القيمة وفي يوم القيمة يخرج الى الموقف مع امته فيكون الحساب
ولا ينافيه ما جاء اول من يقرع باب الجنة بلال بن حمامة على تقدير صحته لانه يجوز ان يكون يقرع الباب لا اصل لا حلقة والاول
من الامة والله اعلم وفي الاوسط للطبراني باسناد حسن حرمت الجنة على الانبياء حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها
امتي وسياتي ان هذا من جملة ما اوحي اليه ليلة المعراج الذي اشار اليه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى ولعل هذا هو المراد
مما جاء في المرفوع عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حرمت الجنة على جميع الامم حتى ادخلها انا وامتي وان ظاهرها من انه
لا يدخلها احد من الانبياء الا بعده ولا هذه الامة لبس مرادا فهاتين الروايتين منقبة عظيمة لهذه الامة المحمدية وهي انه لا يدخل
احد من الامم السابقة ولو من صالحيها وعلمائها وزهادها حتى يدخل من كان يعذب في النار من عصاة هذه الامة بناء على انه لا بد
من تعذيب طائفة من هذه الامة في النار ولا بعد في ذلك لانه تقدم ان اول من يحاسب من الامم هذه الامة فيجوز ان الامم
لا يفرغ حسابهم ولا ياتوا الى باب الجنة الا وقد خرج من كان يعذب من هذه الامة في النار ودخل الجنة وجاء انه يدخلها
قبل من امته سبعون الفا من كل واحد سبعون لا حساب عليهم وذلك معارض لقوله صلى الله عليه وسلم انا اول من يدخل
الجنة الا ان يقال اول من يدخل الجنة من الباب وهؤلاء السبعون الفا فيرد انهم يدخلون من اعلا حائط في الجنة بلا معارضة
ولا يعارض ذلك ما جاء اول من يدخل الجنة ابو بكر لان المراد اول من يدخلها من رجال هذه الامة غير الموالي ولا يعارض ذلك ما تقدم
عن بلال انا اول من يقرع باب الجنة لانه لا يلزم من القرع الدخول وعلى تسليم ان القرع كناية عن الدخول فالمراد من الموالي
ولا يعارض ذلك ايضا ما جاء اول من يدخل الجنة بنتي فاطمة لا يخفى لان المراد اول من يدخلها من نساء هذه الامة فالاولية
اضافية وجاء لا شفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر وعن انس رضي الله تعالى عنه فضلت على الناس باربع بالسخا
والشجاعة وقوة البطش وكثرة الجماع اي بعض سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفاق نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه
الغسل لكل واحدة قيل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وما يدل على قوة بطشه صلى الله عليه وسلم ما وقع له مع ركانة
كما ياتي في الخصائص الصغرى وكان سيد العالمين فهو صلى الله عليه وسلم اجود بني ادم على الاطلاق كما انه افضلهم واشجعهم واعلمهم و
اكملهم في جميع الاخلاق الجميلة والاوصاف الحميدة قال ابن عبد السلام من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اخبره بالمغفرة
اي لما تقدم وتاخر ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبياء بمثل ذلك اي ولا غيرهم لو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله بل ومما اختص به
صلى الله عليه وسلم وقوع غفران نفس الذنب المتقدم والمتاخر كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان ما اختص به عن
الانبياء وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر اي ولا ينافي في ذلك قوله تعالى في حق داود فغفرنا له ذلك لان غفران الذنب احد
قال ابن عبد السلام بل الظاهر انه لم يخبرهم اي بغفران ذنوبهم بدليل قولهم في الموقف نفسي نفسي لا امتي الى ان قال وعن ابي
موسى رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بي من يهودي او نصراني ثم لم يسلم دخل النار اي

لانه لا يجب عليه ان يومن به اقول وفي الذي في مسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي او نصراني ثم يموت
ولم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار اي من سمع بنبينا صلى الله عليه وسلم ممن هو موجود في زمنه وبعده الى يوم
القيامة ثم مات غير مومن بما ارسل صلى الله عليه وسلم به كان من اصحاب النار اي ومن جملة من لو يسل به ان ارسل الى الخلق
كافة لا لخصوص العرب تأمل وانما خص اليهود والنصارى بالذكر تنبيها على غيرهما لانه اذا كان حالهما ذلك مع ان لهما كتابا
فغيرهم مما لا كتاب له كالمجوس اولى لان اليهود كتابهم التوراة والنصارى كتابهم الانجيل لان شريعة التوراة التي هي شريعة
موسى يقال لها اليهودية اخذا من قول موسى عليه الصلوة والسلام انا هدنا اليك اي رجعنا اليك فمن كان على دين موسى يسمى يهوديا
وشريعة الانجيل يقال لها النصرانية اخذا من قول عيسى عليه الصلوة والسلام من انصاري الى الله فمن كان على دين عيسى يسمى
نصرانيا وكان القياس ان يقال له انصاري وقيل النصراني نسبة الى الناصرة قرية من الشام نزل بها عيسى عليه الصلوة والسلام
كما تقدم ولا مانع من رعاية الامرين فقد جاء في رواية وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة اي والامم السابقة كانوا يصلون
متفرقين كل واحد على حدته وان امته صلى الله عليه وسلم حط عنها الخطا والنسيان وحمل ما لا تطيقه الذي اشارة اليه خواتيم
سورة البقرة وان شيطانه صلى الله عليه وسلم في الخصايص الصغرى واسلم قرينه وجميع تلك الخصال سبع عشرة خصلة قال الحافظ ابن
حجر ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع وذكر ابو سعيد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى ان عدد الذي اختص به نبينا
المصطفى صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ما ذا هي ستون خصلة اي ومن ذلك اي مما اختص به صلى الله
عليه وسلم في امته ان وصفه بالاسلام خاص بها لم يوصف به احد من الامم السابقة سوى الانبياء فقط شرفت به هذه الامة المحمدية
بان وصفت بالوصف الذي كان يوصف به الانبياء وهو الاسلام على القول الراجح نقلا ودليلا لما قام عليه من الادلة الساطعة قاله
الجلال السيوطي رحمه الله والله تعالى اعلم باب بدء الوحي له صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها اول
ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين اراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة
لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق او مثل فلق الصبح اي كضيائه وانارته ظاهرا لا يشك فيها كما لا يشك احد في ضياء ووضوح
وفي لفظ فكان لا يرى شيئا في المنام الا كان كما راه وجد في اليقظة كما راى فالمراد بالصالحة الصادقة وقد جاءت في رواية البخاري
في التفسير اي ولا يخفى ان رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وان كانت تأتي كما رآه يوم احد قال القاضي وغيره
انما ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذي هو جبريل عليه السلام بالنبوة اي الرسالة فلا تحتملها
القوى البشرية اي لان القوى البشرية لا تحتمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا
على ما يخبره لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيسا له والمراد بالملك جبريل عليه السلام لكن ذكر بعضهم ان من لطف الله تعالى
بنا عدم رؤيتنا الملائكة اي على الصورة التي خلقوا عليها لانهم خلقوا على احسن صورة فلو كنا نراهم لطارت اعيننا وارواحنا
لحسن صورهم ومن ثم قال ابن تليس اول ما يؤتى به الانبياء في المنام اي ما يكون في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي انتهى
اي في اليقظة لان رؤيا الانبياء وحي وصدق وحق لا اضغاث احلام ولا تخييل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم
نورانية فما يرونه في المنام له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون الا حقا ومن ثم جاء نحن معاشر الانبياء تنام
اعيننا ولا تنام قلوبنا اقول وحينئذ يكون في القول بان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجتماع انواع الوحي الثلاثة له
وعد منها الرؤيا في المنام وعد منها الكلام من غير واسطة وبواسطة جبريل نظر لما علمت ان الانبياء جميعهم مشتركون في
الرؤيا وموسى عليه الصلوة والسلام حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة جبريل وذكر بعضهم ان مدة الرؤيا
ستة اشهر اي فيكون ابتداء الرؤيا حصل في شهر ربيع الاول وهو مولده صلى الله عليه وسلم ثم اوحي اليه في اليقظة

اي في رمضان ذكره البيهقي وغيره وجاء في الحديث الرؤيا الصادقة وفي البخاري الرؤيا الحسنة اي الصادقة من الرجل الصالح
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال بعضهم معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث اقام بمكة ثلاث عشرة
سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحي اليه صلى الله عليه وسلم في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي اليه
في المنام اي التي هي الرؤيا ستة اشهر فالمراد خصوص رؤياه وخصوص نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا القول نقله في الهدى واقره
حيث قال قيل كانت الرؤيا ستة اشهر ومدة النبوة ثلاثة وعشرين سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا هذا كلامه و
حينئذ يكون المعنى رؤياي جزء من ستة واربعين جزءا من نبوتي ولا يخفى ان هذا لا يناسب الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح
اذ هو يقتضي ان مطلق الرؤيا الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته صلى الله عليه وسلم ونبوة غيره فليتأمل ولو اتفق في كلام احد
على مقدار احد من الانبياء عليهم الصلوة والسلام له صلى الله عليه وسلم في هاتين المدتين وحينئذ يحمل الخصوص الذي
ادعاه بعضهم على هذا ومما يدل على ان المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم ما جاء في
ذلك من الالفاظ التي بلغت خمسة عشر لفظا ففي رواية انها جزء من سبعين جزءا وفي رواية من اربعة واربعين وفي رواية انها جزء من
خمسين جزءا من النبوة وفي رواية من تسعة واربعين وفي اخرى انها جزء من ستة وسبعين وفي اخرى من خمسة وعشرين جزءا وفي اخرى
من ستة وعشرين جزءا وفي اخرى من اربعة وعشرين فان ذلك باعتبار الاشخاص لتفاوت مراتبهم في الرؤيا وذكر الحافظ ابن حجر
ان اصح الروايات مطلقا رواية ستة واربعين ويليها رواية انها جزء من سبعين جزءا فعلم ان الرؤيا المذكورة جزء من مطلق
النبوة اي كجزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب فلا ينافي انقطاع النبوة بموته صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء ذهبت النبوة
اي لا نبي بعدي وبقيت المبشرات اي مبشرات النبوة الا الرؤيا اي مجرد الرؤيا الخالية عن شيء من مبشرات النبوة بدليل
ما في لفظ لم يبق الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم اي لنفسه او ترى له لا يقال الرؤيا الصالحة قد تكون من الكافر وتقدم وهو خارج
بالرجل الصالح وبالمسلم لانا نقول لو فرض وقوع ذلك كان استدراجا وقيل انها واقعة وظاهر الحصر كما تكون الرؤيا مبشرة بخير
عاجل او اجل تكون منذرة بشر كذلك قال بعضهم ويتناول البشارة التي هي الخبر السار على ما يشمل النذارة التي هي الخبر الضار لعموم
البيان بان يراد بالبشارة ما يعود الى الخير لان النذارة ربما ادت الى الخير ومنه الاية التفكر وجاء رجل وهو ابو قتادة
الانصاري الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ارى في المنام الرؤيا تمرضني فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان فاذا رايت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان واتفل
عن يسارك ثلاث مرات فانها لا تضرك وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره وفي رواية اذا راى احدكم ما يكره
فليتعوذ بالله من شرها ومن الشيطان كان يقول اعوذ بالله من شر ما رايت ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث
بها احدا فانها لا تضره وزاد في رواية وان يتحول عن جنبه الذي كان عليه زاد في اخرى وليقم فليصل اي ليكون فعل ذلك
سببا للسلامة من المكروه الذي راه وفي البخاري اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها اي ولا
يخبر بها الا من يحب واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان اي لا حقيقة لها وانما هي تخييل يقصد به تخويف الانسان
والتهويل عليه فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفي الاذكار ثم ليقل اللهم اني اعوذ بك من عمل الشيطان
وسيئات الاحلام وفي الحديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان قيل في معناه لان صاحب الرؤيا يرى الشيء على ما هو
عليه بخلاف صاحب الحلم فانه يراه على خلاف ما هو عليه فان الحلم ماخوذ من حلم الجلد اذا فسد والرؤيا قيل انها امثلة
يدركها الرائي بجزء من القلب لم يشغل عليه النوم واذا ذهب النوم عن اكثر القلب كانت الرؤيا اصح وذكر الفخر الرازي
ان الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها اي اثرها عن قريب والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين والسبب فيه ان حكمة الله تعالى

تشتغل ان لا يحصل الاعلام بوصول البشر الا عند قربه بسهولة حتى يكون الحزن والغم اقل واما الاعلام بالخير فانه يحصل
ثقة ما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب تيقن حصول ذلك الخير اكثر وهذا جرى على ما هو الغالب الا انه قد
قيل لجعفر الصادق كم تتاخر الرؤيا فقال راى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه كان كلبا ابقع يلغ في دمه فكان اي ذلك الكلب الابقع
شمر الذي قتل الحسين وكان ابرص فكان تاخر الرؤيا بعد خمسين سنة وجاء عن عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لخديجة اذا خلوت سمعت نداء ان يا محمد يا محمد وفي رواية رايت ضوءا اي يقظة لا مناما واسمع صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا
امر وفي رواية والله ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيا قط ولا الكهان وانى لاخشى ان اكون كاهنا اي فيكون الذي يناديني
تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن ياتيه الجني بخبر السماء وفي رواية واخشى ان يكون بي جنون اي
لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي
رواية ان خلقك الكريم اي فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله تعالى عنها بما فيه من الصفات العلية والاخلاق
السنية على انه لا يفعل به الا خيرا لان من كان كذلك لا يجزى الا خيرا او فعل الله وروي عن الشعبي ان الله قرن اسرافيل عليه السلام
بنبيه ثلاث سنين وكان يرى شخصه ويعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن فكان في هذه المدة مبشرا له بالنبوة واهمله هذه المدة ليتاهب
الوحي وعينا انه لو كان في تلك المدة مبشرا بالنبوة لما قالت لخديجة رضي الله تعالى عنها ما تقدم الا ان يقال ما تقدم انما كان له
لخديجة في اول الامر وقيل لذلك ما قيل انه مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت احيانا ولا يرى شخصا وسبع سنين يرى نورا ولم ير
شيئا غير ذلك وان المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة اشهر من تلك المدة التي هي اثنان وعشرون سنة وهذا الشيء الذي كان يعلمه
له اسرافيل لم اقف على ما هو والله اعلم وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة التي يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق
فهي تفرغ القلب عن اشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه انوار المعرفة فلم يكن شيء احب اليه من ان يخلو وحده وكان
يخلو بغار حرا بالمد والقصر وهذا الجبل هو الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الي يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط
عني فاني اخاف ان تقتل على ظهري فاعذب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث اي يتعبد اي بغار حرا الليالي ذوات العدد ويروى
اولات العدد اي مع ايامها وانما غلب الليالي لانها انسب بالخلوة قال بعضهم وابهم العدد لاختلافه بالنسبة الى المدد فتارة كان
ثلاث ليال وتارة شهر رمضان وغيره وفي كلام بعضهم ما قد يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يخل اقل من شهر وحينئذ يكون قوله
في الحديث الليالي ذوات العدد محمولا على العدد الذي كان يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى ان يتم الشهر
كذا قول بعضهم فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليالي وتارة شهرا ولم يتضح انه اختلى اكثر من شهر قال السراج البلقيني في شرح البخاري
لم يجئ في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وسياتي بيان ذلك قريبا ثم اذا كمل
صلى الله عليه وسلم تلك الليالي اي وقد فرغ زاده يرجع الى خديجة رضي الله تعالى عنها فيتزود لمثلها اي قيل وكانت زوادته
صلى الله عليه وسلم الكعك والزيت وقيل ان الكعك والزيت يبقى المدة الطويلة فيمكث جميع الشهر الذي يختلي فيه ثم رايت
من الحافظ ابن حجر مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالي الشهر فاذا نفد ذلك الزاد رجع الى اهله فيتزود قدر ذلك
الزاد ولم يكونوا في سعة بل العسر من العيش وكان غالب ادمهم اللبن واللحم وذلك لا يدخر منه لكفاية شهر لئلا يسرع الفساد
اليه ولا سيما وقد وصف بانه صلى الله عليه وسلم كان يطعم من يرد عليه هذا كلامه وهو يشير الى ثلاثة اجوبة الاول
انه لم يكن في سعة بحيث يدخر ما يكفيه شهرا من الكعك والزيت الثاني ان غالب ادمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر
شهرا الثالث انه على فرض ان يدخر ما يكفيه شهرا اي من الكعك والزيت الا انه كان يطعم فربما نفد ما ادخره وانما
اختار الزيت للادم لان دسومته لا ينفر منها الطبع بخلاف اللبن واللحم ومن ثم جاء ائتدموا بالزيت وادهنوا به

فانه

فانه يخرج من شجرة مباركة وقوله ائتدموا من هذه الشجرة المباركة اي من عصارة ثمرة هذه الشجرة المباركة التي هي
الزيتونة وهو الزيت وقيل لها مباركة لانها لا تكاد تنبت الا في شريف البقاع التي بورك فيها كارض بيت المقدس
حتى جاءه الحق وهو في غار حرا اي في اليوم والشهر المتقدم ذكره وعن عبيد بن عمير رضي الله تعالى عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجاور في حرا في كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث فيه قريش في الجاهلية اي المتالهين منهم
اي وكان اول من تحنث فيه جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فقد قال ابن الاثير اول من تحنث بحرا عبد المطلب كان
اذا دخل شهر رمضان على فذلك من كان يتاله اي يتعبد كورقة بن نوفل وابي امية بن المغيرة وقد اشار الى تعبده صلى الله
عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله الف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا اي الف العبادة والخلوة في حال كونه طفلا ومثل هذا الشان
العلي شان الكرام وانما كان هذا شان الكرام لانها فاعلة الهداية قلبا نشطت الاعضاء في العبادة لان القلب رئيس
البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ولعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزال الناس والا فلم يعقل
زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم عند حليمة فقد تقدم عنها رضي الله عنها انها قالت لما ترعرع رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيجتنبهم ولا خصوص لاعتزال الناس في غار حرا اذ لا ينافي قوله طفلا ولا
ظاهر ما تقدم من ان خلوته صلى الله عليه وسلم بغار حرا كانت في زمن تزوجه بخديجة فكان صلى الله عليه وسلم
يجاور في ذلك الشهر يطعم من جاءه من المساكين اي لانه كان من نسك قريش في الجاهلية اي في ذلك المحل ان يطعم الرجل
من جاءه من المساكين وقد قيل ان هذا كان تعبده في غار حرا اي مع الانقطاع عن الناس والا فمجرد اطعام المساكين
لا يختص بذلك المحل الا ان كان ذلك المحل الاسعاد في ذلك الشهر مقصود المساكين دون غيره وقيل كان تعبده التفكر مع الانقطاع
عن الناس اي لا سيما ان كانوا على باطل لان في الخلوة يخشع القلب وينسى المالوف من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية
ومن ثم تبلغ الخلوة صفوة الصفوة وقول بعضهم كان يتعبد بالتفكر اي مع الانقطاع مما ذكرنا والا فمجرد التفكر لا يختص
بذلك المحل الا ان يدعى ان التفكر فيه اتم من التفكر في غيره لعدم وجود شاغل به وقيل تعبده صلى الله عليه وسلم كان
بالذكر ونحوه في سفر السعادة وقيل بغير ذلك من ذلك الغير انه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابرهيم وقيل بشريعة
موسى عليه السلام منها في شرعنا وقيل بكل ما صح انه شريعة لمن قبله غير ما نسخ من ذلك في شرعنا وفي كلام الشيخ محيي الدين بن
العربي تعبده صلى الله عليه وسلم قبل بعثته بشريعة ابرهيم حتى جاءه الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه
متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم
يصير الى ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك كان اول ما يبدأ به اذا انصرف قبل ان يدخل
بيته الكعبة فيطوف بها سبعا او ما شاء الله تعالى ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي اراد الله تعالى به ما اراد من كرامته
صلى الله عليه وسلم الوحي كما كان يخرج لجواره ومعه اهله اي عياله التي هي خديجة رضي الله تعالى عنها اما مع اولادها او بدونهم حتى
اذا كانت الليلة التي اكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشرة
وقيل كان ذلك ليلة ثمان من ربيع الاول اي وقيل ليلة ثالثة قال بعضهم القول بانه في ربيع الاول يوافق القول بانه
بعث على راس الاربعين لان مولده صلى الله عليه وسلم كان في ذلك ليلة او يوم السابع والعشرين من رجب فقد اخرج الحافظ
الدمياطي في سيرته عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين
شهرا وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة واول يوم هبط فيه جبريل هذا كلامه اي
اول يوم هبط فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل ذلك وسياتي في بعض الروايات ان جبريل نزل له بحرا

تلك الليلة التي هي ليلة الاثنين ويجوز ان يكون كل من تلك الليالي كانت ليلة الاثنين فقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال
لا يفوتك صوم الاثنين لاني ولدت فيه وبعثت فيه فذاك اي المخالفة بين كونه بعث في الليل وبين كونه بعث في اليوم لان وقت السحر قد يلحق بالليل
وفي كلام بعضهم اتاه جبريل ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان في حراء فجاءه فيما امر الله
تعالى وهذا القول اي البعث كان في رمضان قال به جماعة منهم الامام الصرصري حيث قال واتت عليه اربعون فاشرقت شمس النبوة
منه في رمضان واحتجوا ان اول ما اكرمه الله تعالى بنبوته انزل عليه القرآن واجيب بان المراد بنزول القرآن في رمضان
نزوله جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة في سماء الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني وانا نائم بنمط وهو ضرب
من البسط وفي جاءني وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب اي كتابة فقال اقرا اي اني لا احسن القراءة اي قراءة المكتوب ومطلقا
فغتني به اي غمني بذلك النمط بان جعله على فمي وانفي حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرا اي من غير هذا المكتوب فقلت ماذا
اقرا ما اقول ذلك الا افتداء منه اي تخلصا منه ان يعود لي بمثل ما صنع اي انما استفهمت عما اقرا خوفا ان يعود لي بمثل ما صنع
عند النفي اي وفي رواية فقلت والله ما قرات شيئا قط وما ادري شيئا اقرؤه اي لاني ما قرات شيئا فهو من عطف السبب على
المسبب قال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقراتها ثم انصرف عني
وهببت اي استيقظت من نومي فكانما كتب في قلبي كتابا اقول اي استقر ذلك في قلبي وحفظته ثم لا يخفى ان كلام هذا البعض و
هو انه جاءه ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له في يوم الاثنين يحتمل ان يكون اتاه بذلك النمط في ليلة السبت وليلة الاحد
ونحو يوم الاثنين وهو نائم لا يقظة لقوله ثم ظهر له فيحمل ذلك قوله ثم ظهر له بالرسالة اي اعلمه بما يكون سببا
للرسالة الذي هو اقرا الماء هذا اليقظة وحينئذ يكون تكرر مجيئه هو السبب في استقرار ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم
وحينئذ لا يبعد قوله في الليلة الثانية ما قرات شيئا لان المراد لم يتقدم لي قراءة قبل مجيئك الي ولا يبعد ايضا قوله ما ادري
ما اقرا لانه لم يستقر ذلك في قلبه لما علمت ان سبب الاستقرار التكرار ولم يستقر ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم في الليلة
الاولى وفي سيرة الشامي ان مجيء جبريل له بالنمط لم يتكرر وانه كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم غار حراء وهذا السياق
يدل على انه كان ببلده وفي سفر السعادة ما يقتضي انه جاءه بالنمط يقظة في حراء وعبارته فبينما هو في بعض الايام قائم على جبل حراء
اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد انا جبريل وانت رسول الله لهذه الامة ثم اخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها
في يده وقال اقرا فقال والله ما انا بقارئ ولا ادري في هذه الورقة شيئا كتابة اي لا اعلم ولا اعرف المكتوب فيها قال فضمني
اليه وغطني حتى بلغ مني الجهد فعل ذلك بي ثلاثا وهو يامرني بالقراءة ثم قال اقرا باسم ربك هذا كلامه فليتامل والله
اعلم قال فخرجت اي من الغار لان ذلك قبل مجيء جبريل اليه باقرا خلافا لما يقتضيه السياق حتى اذا كنت في وسط من
الجبل اي في جانب منه سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فاذا جبريل على
صورة رجل صاف قدميه اي وفي رواية واضعا احدى رجليه على الاخرى في افق السماء اي نواحيها يقول يا محمد انت
رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتاخر وجعلت اصرف وجهي عنه في افاق السماء فلا انظر في
ناحية منها الا رايته كذلك فما زلت واقفا ما اتقدم امامي وما اتاخر ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا
مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعا الى اهلي حتى اتيت خديجة اي في الغار
فجلست الى فخذها مضيفا اليها اي مستندا اليها فقالت يا ابا القاسم اين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة و
رجعوا الي اقول وهذا يدل على ان خديجة كانت معه بغار حراء وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه اهله اي خديجة رضي
الله تعالى عنها ما صنعت لها ثم ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلومه بحراء فارسلت في طلبه الى بيت اعمامه

واخواله فلم تجده فشق ذلك عليها فبينما هي كذلك اذ اتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثها بما راى وسمع فان هذا يدل
على انه لم يكن معه بحراء وقد يقال يجوز ان تكون خرجت معه اولا وارسلت رسلها اليه بحراء لاحتمال عوده اليه ثم ارسلت الى بيت اعمامه و
واخواله لما لم تجده فارسالها لما تكرر مرتين مع احتمال محلها ويكون قوله وانصرفت راجعا الى اهلي اي بمكة لا بحراء لانه يجوز ان يكون بعد
رجوع خديجة رضي الله تعالى عنها الى مكة هذا على مقتضى الجمع واما على ظاهر الرواية الاولى يكون رجوعه الى اهله بحراء كما ذكرنا
وهو يدل على ان ذهابه صلى الله عليه وسلم الى شط الجبل كان من غار حراء كما ذكرنا لا من مكة الذي يدل عليه قول الشمس الشامي
فخرج مرة لحوى الوحي كما ذكرنا قال فخرجت حتى اتيت الشط من الجبل سمعت صوتا الى اخره فليتامل والله اعلم قال ثم حدثتها بالذي
رايت اي من سماع الصوت ورؤية جبريل وقوله له يا محمد انت رسول الله فقالت له ابشر يا ابن عمي واثبت فوالذي
نفسي بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها اي التي تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة
بن نوفل فاخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى وسمع اي راى جبريل عليه السلام وسمع منه انت
رسول الله وانا جبريل فقال ورقة قدوس قدوس بالضم والفتح والذي نفسي بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس
الاكبر الذي يأتي موسى الذي هو جبريل وانه نبي هذه الامة فقولي له فليثبت والقدوس الطاهر المنزه عن العيوب وهذا يقال
للتعجب اي وجاء بدل قدوس سبوح سبوح وما جبريل يذكر في هذه الارض التي تعبد فيها الاوثان جبريل امين الله بينه
وبين رسله اي لان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من بلاد العرب فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف اي فرغ ما تقدم وليس المراد
انقضاء جواره بانقضاء الشهر لان ذلك كان قبل ان يجيء اليه جبريل عليه السلام باقرا باسم ربك يقظة كما تقدم اي و
ذلك كان في الشهر الذي اكرمه الله فيه برسالته فعند ذلك صنع كما كان يصنع بدءا بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن
نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال له يا ابن اخي اخبرني بما رايت وسمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه
ولتقاتلنه ولتخرجنه بها السكت ولا تكون الا ساكنة ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم ادنى
راسه صلى الله عليه وسلم منه وقبل يافوخه اي وسط راسه لان اليافوخ بالهمز وسط الراس اذا اشتد وقيل اشتد
كما في راس الطفل يقال له الغادية بالغاء ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله اي ولا مانع من تكرر اجتماع
ورقة قتادة قال قدوس زرارة قال سبوح سبوح او جمع ذلك في وقت واحد وبعض الرواة اقتصر على احد اللفظين وقد
جاء ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه دخل على خديجة اي وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيذكر فلما دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ ابو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة وذهب به الى ورقة فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هاربا في الارض فقال له لا تفعل اذا اتاك
فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني اي وهذا قبل ان يراه ويجتمع به ويجيء اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر رسول الله
ورقة ثلاث مرات المرة الاولى على يد ابي بكر رضي الله تعالى عنه وذلك قبل ان يرى جبريل عليه السلام والثانية
التي راى فيها جبريل وسمع منه ولم يجتمع به وذلك عند اجتماعه صلى الله عليه وسلم به في المطاف والثالثة التي
بعد مجيء جبريل له يقظة بالقرآن اي باقرا باسم ربك على المشهور من انه اول ما نزل في ذلك على يد خديجة رضي الله
تعالى عنها ولا ينافي ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر كما سياتي ان القصة واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد لان مراده قصة مجيء
جبريل عليه السلام له يقظة باقرا باسم ربك وسياتي ما فيه واتيانه لورقة له صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي قيل لانه

يجتمع مع عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم في قصي فكان عبد الله عنه بمنزلة الاخ لمرادانته قال ذلك توقيرا له وانما ذكر ورقة
موسى دون عيسى عليهما الصلوة والسلام مع ان عيسى اقرب منه لانه كان على دينه لانه كان على دين موسى ثم صار على دين عيسى عليهما
الصلوة والسلام اي كان يهوديا ثم صار نصرانيا لان نبوة موسى عليه الصلوة والسلام مجمع عليها اي على انها ما نسخها لما
قبلها وان شريعة عيسى عليه الصلوة والسلام قيل انها متممة ومقررة لشريعة موسى عليه الصلوة والسلام لا انها ناسخة لها قيل ولان
ورقة كان ممن تنصر اي كما علمت والنصارى لا يقولون بنزول جبريل عليه السلام على عيسى عليه الصلوة والسلام اي بل
كان يعلم الغيب لانهم يقولون فيه انه احد الاقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الاقنوم هو اقنوم الكلمة التي هي العلم
حل بناسوت المسيح واتحد به فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر بما في الغد اقول وفيه انه في رواية وانك على مثل موسى و
عيسى عليهما الصلوة والسلام اي وفي بعض الروايات جمع وفي بعضها اقتصر على موسى وفي الاقتصار على موسى عليه الصلوة والسلام
دون الاقتصار على عيسى عليه السلام ما علمت ثم رايت انه جاء في غير الصحيح الاقتصار على عيسى عليه الصلوة والسلام فقال هذا
الناموس الذي نزل على عيسى عليه الصلوة والسلام فهو كما جاء الجمع بينهما جاء الانفراد على كل منهما ولا ينافي ذلك اي مجيء جبريل
عليه الصلوة والسلام لعيسى عليه السلام ما تقدم عن النصارى من انهم لا يقولون بنزول جبريل عليه السلام على عيسى عليه الصلوة والسلام
لجواز ان يكون المراد لا ينزل عليه دائما وابدا بالوحي بل انه في بعض الاحيان وفي بعضها يعلم الغيب بغير واسطة ثم رايت في فتح الباري ان
عند اخبار خديجة له بالقصة قال لها هذا ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند اخبار النبي صلى الله عليه وسلم له
بالقصة قال له هذا ناموس موسى للمناسبة بينهما لان موسى ارسل بالنقمة على فرعون وقد وقعت النقمة على يد نبينا صلى الله عليه
وسلم على فرعون هذه الامة الذي هو ابو جهل هذا كلامه فليتأمل وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال في حق ابي جهل في يوم بدر هذا
فرعون هذه الامة والله اعلم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها جاءه الملك سحرا اي سحر يوم الاثنين يقظة لا مناما اي بغير غطه فقال له
اقرأ فقال ما انا بقارئ اي لا اجد القراءة قال فاخذني فغطني اي ضمني وعصرني وفي لفظ فاخذ بحلقي حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرأ ما انا بقارئ اي لا احسن القراءة او لا احفظ شيئا اقرأه فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا
بقارئ اي اي شيء اقرأه وفيه انه لو كان كذلك فقال ما اقرأ وما اقرأ الا ان يقال اطلق ذلك واراد لازمه الذي هو الاستفهام
خصوصا وقد تقدم قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق
الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اقول وقولنا اي بغير غط هو ظاهر الروايات
ويجوز ان يكون لفظ الغط سقط في هذه الرواية كغيرها من الروايات ويؤيده اقتصار السيرة الهشامية على مجيئه بالغط وايضا
كيف الجمع بين قوله هنا ما ذكر وبين قوله هناك فكانما كتبت في قلبي كتابا وما بالعهد من قدم الا ان يقال يجوز ان يكون النبي صلى
الله عليه وسلم جوز ان يكون جبريل يريد منه قراءة غير الذي قراه وكتب في قلبه ولا يخفى انه علم ان قول جبريل اقرأ امر بالقراءة
وفيه من التكليف بما لا يطاق اي نوع الحال عنه ثم ادعى بعضهم انه لمجرد التنبيه واليقظة لما يلقى اليه وهذا وفيه انه لو كان كذلك لم يحسن
ان يقال في جوابه ما انا بقارئ الذي معناه لا اجد القراءة الا ان يقال جبريل اراد التنبيه لا الامر وجوابه صلى الله عليه و
سلم اتاه على مقتضى ظاهر اللفظ وعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ما انا بقارئ في المواضع الثلاثة معناه مختلف فمعنى الاول معناه الاخبار
بعدم ايجاد القراءة والثاني معناه الاخبار بانه لا يحسن شيئا يقرأه وان كان ذلك هو مستلزم الاول والثالث معناه الاستفهام
عن اي شيء يقرأه وفيه ما علمت وبعضهم جعل قوله الاول لا اقرأ اي لا احسن القراءة بدليل انه جاء في بعض الروايات ما احسن ان
اقرأ وحينئذ يكون بمعنى الثاني فيكون تاكيدا لان الغرض منهما شيء واحد قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من علق والتعليم و
تعلم العلم ان ادنى مراتب الانسان كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله سبحانه وتعالى امتن على الانسان بنقله من ادنى المراتب وهي العلقة

الى اعلاها وهو تعلم العلم وقد اشتملت هذه الايات على براعة الاستهلال وهو ان يشتمل اول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير
الى ما سيق الكلام لاجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة والقراءة فيها باسم الله الى غير ذلك مما ذكره في الاتقان قال بعضهم ومن ثم قيل انها
جديرة ان تسمى عنوان القران لان عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في اوله وكون جبريل عليه السلام غطه ثلاثا اي الغط ثلاثا اخذ
منه بعض التابعين وهو القاضي شريح ان المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القران اكثر من ثلاث ضربات واورد الحافظ السيوطي من الكامل
لابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان لا يضرب المؤدب فوق ثلاث ضربات وذكر السهيلي ان في ذلك اي الغط
ثلاثا اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش
له الشعب والتضييق عليه صلى الله عليه وسلم والثانية اتفاقهم على الاجماع على قتله والثالثة خروجه من احب البلاد اليه
وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل اي قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى اخر ما تقدم في الكلام على الرضاع
ثم قال له جبريل اقرأ الحديث فعلم ان اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخاري وما ورد عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اقرأ باسم ربك قال الحافظ ابن كثير هذا الاثر غريب في اسناده ضعف وانقطاع فلا يستدل للقول
بان اول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره ويرد على الجلال السيوطي حيث قال وعندي
ان هذا لا يعد قولا برأسه فان من ضرورة نزول السورة اي سورة اقرأ نزول البسملة فهي اول اية نزلت على الاطلاق هذا
كلامه والله اعلم قال الحافظ ابن حجر هذا الذي وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتداء الوحي من خصائصه صلى الله عليه وسلم اذ لم ينقل
عن احد من الانبياء عليهم الصلوة والسلام انه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك فرجع قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك الاية يرجف بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التي بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع ويقال لها الفريصة والفرائص او وفي
رواية فؤاده اي قلبه ولا مانع من اجتماع الامرين لان تحرك البادرة ينشأ عن فزع القلب حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة
فقال زملوني زملوني اي غطوني بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء اي الفزع ثم اخبرها الخبر وقال لقد خشيت على
نفسي وفي رواية على عقلي كما في الامتاع قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا اي لا يفضحك انك لتصل الرحم و
تصدق الحديث وتحمل الكل اي الشيء الذي يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذي لا مال له لان
من لا مال له كالمعدوم اي توصل اليه المال الذي لا يجده عند غيرك وبهذا يعلم سقوط قول الخطابي الصواب المعدم بلا واو لان
المعدوم اي الشخص المعدوم لا يكسب اي لا يعطى الكسب وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق اي على حوادثه فانطلقت به خديجة
رضي الله تعالى عنها حتى اتت به ورقة بن نوفل فقالت له خديجة رضي الله تعالى عنها اي عم اسمع ابن اخيك اي وقولها اي عم صوابه
ابن عم لانها بنت عمه لا عمها كما وقع في مسلم قال ابن حجر وهو وهم لانه وان كان صحيحا لجواز ارادة التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها
متحد اي فلا يقال يجوز انها جاءت اليه بعد نزول الاية مرتين قال فمرة اي عم وفي مرة ابن عم قال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل على موسى اي صاحب سر الوحي وهو جبريل يا
ليتني فيها جذعا اي يا ليتني حين اكون في زمن الدعوة الى الله اظهارها الذي جاء به وانذارا واصل وجودها بناء على تاخر الدعوة
التي هي الرسالة عن النبوة بناء على ما ياتي شابا حتى ابالغ في نصرتها يا ليتني اكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم او مخرجي هم بتشديد الياء المفتوحة لانه جمع مخرج والاصل او مخرجوي حذفت النون للاضافة فصار مخرجوي قلبت الواو
ياء وادغمت ثم لم يات رجل بما جئت به الا عودي اي فيكون المعاداة سببا للاخراج وهذا يفيد بظاهره ان من تقدم من
الانبياء اخرجوا من اماكنهم للمعاداة قومهم لهم والا فمجرد المعاداة لا يقتضي الاخراج فلا يحسن ان يكون علة له عليه ويكون بعد ذلك

ما تقدم عند الكلام على بناء الكعبة ان كل نبي اخافه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وتقدم ما
فيه وفي كونه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئا في جواب قول ورقة ابن نوفل انك تكذب وتؤذى وتقاتل وقال في جواب قوله انه يخرج
او مخرجي هم استفهاما انكاريا دليل على شدة حب الوطن وعسر مفارقته خصوصا وذلك الوطن حرم الله وجوار بيته ومسقط
راسه قال ورقة وان ادركت يومك انصرك نصرا مؤزرا اى شديدا قويا من الازر وهو الشدة والذي في الحديث الصحيح
ان يدركني يومك وسياتي في بعض الروايات وان يدركني ذلك قال السهيلي وهو القياس لان ورقة سابق بالوجود والسابق
هو الذي يدركه ما ياتي بعده كما جاء اشقى الناس من ادركته الساعة وهو حي هذا كلامه اى وفي بعض الروايات انه قال لها
ان ابن عمك لصادق وان هذا البدء نبوة وفي لفظ انه لنبي هذه الامة اى وفي الشفا ان قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد
خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي بناء
على انه قاله قبل ذلك بعد لقاء الملك وقبل اعلامه بالنبوة فان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا اولوا العزم من الرسل وفي كلام الحافظ
ابن حجر اختلف العلماء في هذه الخشية على اثني عشر قولا واولاها بالصواب واسلمها من الارتياب ان المراد بها الموت او المرض
او دوام المرض هذا كلامه فليتامل مع رواية خشيت على عقلي اى وفي بعض الروايات ان خديجة رضي الله تعالى عنها قبل ان تذهب
به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلوة والسلام فقالت له يا عداس اذكرك
الله الا ما اخبرتني هل عندكم علم من جبريل اى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من ارض العرب كما تقدم فقال عداس
قدوس قدوس ما شان جبريل يذكر بهذه الارض التي اهلها اهل اوثان اى والقدوس المنزه عن العيوب حال هذا يقال للتعجب
كما تقدم فقالت اخبرني بعلمك فيه قال هو امين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام انتهى
وقد تقدم سياقه عند الكلام على ذهابه صلى الله عليه وسلم للطائف بعد موت ابي طالب يلتمس اسلام ثقيف اجتماعه بعداس الموصوف
بما ذكر لكن في تلك القصة ما قد يبعد معه كل البعد انه المذكور هنا فليتامل ثم رايت ان عداسا المذكور هنا كان راهبا وكان شيخا
كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وان خديجة قالت له انعم صباحا يا عداس فقال كان هذا الكلام كلام خديجة
رضي الله تعالى عنها سيدة نساء قريش قالت اجل قال ادني مني فقد ثقل سمعي فدنت منه ثم قالت له ما تقدم وهذا صريح في انه غير
عداس الاتي ذكره وانما اشتركا في الاسم والبلد والدين اى وكونهما غلامين لعتبة بن ربيعة ففي كلام ابن دحية عداس كان
غلاما لعتبة بن ربيعة من اهل نينوى عنده علم من الكتاب فارسلت اليه خديجة رضي الله تعالى عنها تساله عن جبريل فقال
قدوس قدوس الحديث ولا يخفى ان هذا الاشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك وفي رواية ان عداسا هذا قال لها يا خديجة ان
الشيطان ربما عرض للعبد فاراه امورا فخذي كتابي هذا فانطلقي به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان
من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هي برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام
يقرئه هذه الايات ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم
فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك ابي وامي امض
معي الى عداس فلما راه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقول قدوس قدوس والله
انك النبي الذي بشر بك موسى وعيسى الحديث وفيه ان هذا كان قبل ان تذهب به الى ورقة فيقتضي ان نزول ن قبل اقرا ولا
يحسن ذلك مع قوله لجبريل عليه السلام ما انا بقارئ اذ هو صريح في انه لم يقرا قبل ذلك شيئا ومن ثم كان المشهور اول ما نزل
اقرا وكون ن نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر في اسباب النزول انها نزلت لما وصفه المشركون بانه مجنون الا ان يقال
لا مانع من تعدد النزول وقد ذكر ابن دحية ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما اخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب

فسالته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش انى لك بهذا الاسم فقالت بعلي وابن عمي اخبرني بانه ياتيه
فقال لها انه السفير بين الله وبين انبيائه وان الشيطان لا يجترئ ان يتمثل به ولا يتسمى باسمه وهذه العبارة اى كون جبريل
هو السفير بين الله وبين انبيائه صدرت من الحافظ السيوطي وزاد لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة واعترض عليه بعضهم
بان اسرافيل كان سفيرا بين الله وبين نبيه صلى الله عليه وسلم فعن الشعبي انه جاءته صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن
اربعين سنة وقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فلما مضت ثلاث سنين تعالى عنه اسرافيل وقرن به جبريل اى وقد تقدم ان
اسرافيل قرن به قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشيء بعد الشيء الى اخره وحينئذ يلزم ان
يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين ايضا وسياتي عن بحث بعض الحفاظ انها مدة فترة الوحي فليتامل واجاب
الحافظ السيوطي عن ذلك بان السفير هو المرصد لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافي ذلك مجيء غيره من
الملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاحيان لشان تقول اذا المراد المجيء اليه بوحي من الله تعالى كما هو المتبادر
فليس في هذه الروايات ان اسرافيل كان ياتيه بوحي في تلك المدة وجواب الحافظ يقتضي ان اسرافيل وغيره من الملائكة كان ياتيه
بوحي من الله قبل مجيء جبريل عليه السلام له بوحي غير النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص باسم السفير وبان اسرافيل لم ينزل
لغير النبي صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما ثبت في الحديث فلم يكن السفير بين الله وجميع
انبيائه قيل وانما اختص بذلك لانه اول من سجد من الملائكة لادم ورد بانه سئل هل عيسى بعد نزوله يوحى اليه فاجاب بنعم
واورد حديث النواس بن سمعان الذي اخرجه مسلم واحمد وابو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وفيه التصريح بانه
يوحى اليه قال والظاهر ان الجائي اليه بالوحي جبريل قال بل هو الذي يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته وهو السفير
بين الله تعالى وبين انبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة ثم استدل على ذلك بما يطول قال وما اشتهر على السنة الناس
ان جبريل لا ينزل الى الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فهو شيء لا اصل له ومن زعم ان عيسى انما يوحى اليه وحي الهام ساقط
قال وحديث لا وحي بعدي باطل وويل لمن اشتغل كلام بعضهم جبريل ملك عظيم ورسول كريم مقرب عند الله امين على وحيه وهو
سفيره الى انبيائه وسماه روح القدس والروح الامين واخصه بوحيه من بين الملائكة المقربين قال وجاء في بعض التواريخ
ان جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم ستة وعشرين الف مرة ولم يبلغ احد من الانبياء هذا العدد والله اعلم وفي اسباب النزول
للواحدي عن علي رضي الله تعالى عنه لما سمع النداء يا محمد قال لبيك قال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم قال
قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة اى الى ان بلغ ولا الضالين فقال قل امين فقال امين
كما في رواية عند وكيع وابن ابي شيبة وجاء في حديث قال بعضهم اسناده ليس بالعليم اذا دعا احدكم فليختم بامين فان امين في الكل
مثل الطابع على الصحيفة وفي الجامع الصغير امين خاتم رب العالمين على لسان عباده المومنين اى خاتم دعاء رب العالمين اى يمنع من
ان يتطرق اليه رد وعدم قبول ومن ثم لما سمع صلى الله عليه وسلم رجلا يلح في الدعاء قال اوجب ان ختم بامين فاتى صلى الله
عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة ابشر ثم ابشر فاني اشهد انك الذي بشر بك عيسى بن مريم فانك على مثل
ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن ادركني ذلك لاجاهدن معك اقول هذا يدل للقول
بان الفاتحة اول ما نزل وعليه كما قال في الكشاف اكثر المفسرين ان يبعد كل البعد ان تكون هذه الرواية قبل نزول اقرا باسم
ربك ثم رايت عن البيهقي انه قال فيما تقدم عن اسباب النزول هذا مرسل رجاله ثقات فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون
خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرا والمدثر اى والمدثر نزلت بعد يا ايها المزمل ثم رايت الحافظ ابن حجر اعترض ما تقدم
عن الكشاف بقوله الذي ذهب اليه اكثر الائمة هو الاول اى القول بانه اقرا واما الذي نسبه الى الاكثر فلم يقل به الا

عدوا قل من القليل بالنسبة الى من قال بالاول هذا كلامه ثم رايت الامام النووي قال القول بان الفاتحة اول ما نزل
بطلانه اظهر من ان يذكر اي ومما يدل على ذلك ما جاء من طرق عن مجاهد ان الفاتحة نزلت بالمدينة رواه غير وكيع عن مجاهد
فاتحة الكتاب مدنية وبيانه انه جاء عن قتاده انها نزلت بمكة وعن علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه كما في اسباب التنزيل
للواحدي انها نزلت بمكة من كنز تحت العرش وفيها عنه لما قام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين قالت قريش رض الله فاك وفي الكشاف ان الفاتحة نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة فهي مكية مدنية
هذا كلامه ويتعين على ترجيح انها مكية القاضي البيضاوي حيث قال وقد صح انها مكية وفي الاتقان وذكر قوم منهم اي تكرر
نزول الفاتحة ثانيا الملة ولا يقال ذلك الا بانها نزلت مرتين اي بمكة ثم بالمدينة مبالغة في شرفها وقد اشار القاضي
البيضاوي الى ان تكرير نزولها ليس بمجزوم به وقيل نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة قال في الاتقان والظاهر ان النصف
الذي نزل بالمدينة النصف الثاني قال ولا دليل لهذا القول هذا كلامه واستدل بعضهم على انها مكية بانه لا خلاف ان سورة
الحجر مكية وفيها ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وهي الفاتحة فعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرئ عليه الفاتحة والذي نفسي بيده ما انزل الله في التورية ولا في الانجيل
ولا في الزبور مثلها انها لهي السبع المثاني والقران العظيم الذي اعطيته وقد حكى بعضهم الاتفاق على ان المراد بالسبع المثاني
في اية الحجر هي الفاتحة ويرد دعوى الاتفاق قول الجلال السيوطي وقد صح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تفسير السبع المثاني
في اية الحجر بالسبع الطوال ومما يدل على ان المراد بها الفاتحة ما ذكر في سبب نزولها وهو ان عيرا لابي جهل قدمت من الشام
بمال عظيم وهي سبع قوافل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظرون اليها واكثر الصحابة عري وجوع فخطر ببال النبي صلى الله
عليه شيء لحاجة اصحابه فنزلت اي اعطيناك سبعا من المثاني مكان سبع قوافل ولا تنظر الى ما اعطيناه لابي جهل وهو متاع
الدنيا الدنية ولا تحزن عليهم اي على اصحابك واخفض جناحك لهم فان تواضعك لهم اطيب لقلوبهم من ظفرهم بما يغنيهم من اسباب الدنيا
وفي فوائد الجامع الصغير ان فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان وجعل القران في الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القران
بسبع مرات وفي لفظ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وفي لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القران فليتامل وعد لها اثنان وعشرون
اسما وذكر بعضهم ان لها ثلاثين اسما وذكرها الاستاذ الشيخ ابو الحسن البكري في تفسيره الوسيط قال السهيلي ويكره ان يقال لها
ام الكتاب اي لما ورد لا يقولن احدكم ام الكتاب وليقل فاتحة الكتاب قال الحافظ السيوطي ولا اصل له في شيء من كتب الحديث
وانما اخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة تسميتها بذلك هذا كلامه ولا يخفى انه
جاء في تسمية الفاتحة ذكر المضاف تارة وهو سورة كذا واسقاطه اخرى وتارة جرى الامرين معا وهو يشكل على تسمية
السور توقيفي ثم رايت في الاتقان قال الزركشي في البرهان ينبغي البحث عن تعداد الاسماء هل هو توقيفي او
بما يظهر من المناسبات فان كان الثاني فلم يعدم الفطن ان يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق اسمائها وهو بعيد
هذا كلامه ويلزم القول بانها انما نزلت في المدينة ان مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة كان يصلي بغير الفاتحة قال في
في اسباب النزول وهذا مما تنبذه العقول اي لانه لم يحفظ انه كان في الاسلام صلوة بغير الفاتحة اي ويدل لذلك ما رواه الشيخان
لا صلوة لمن لا يقرا بفاتحة الكتاب وفي رواية لا تجزئ صلوة لا يقرا فيها الرجل بفاتحة الكتاب والمراد في كل ركعة لقوله
صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته اذا استقبلت القبلة فكبر ثم اقرا بام القران ثم اقرا بما شئت الى ان قال ثم اصنع ذلك
اي القراءة بام القران في كل ركعة وجاء على شرط الشيخين ام القران عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوضا ويدل لذلك ايضا وصف
بانها انما نزلت بالمدينة بانه هفوة من قائله لانه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه اي لان نزولها بعد فترة الوحي بعد

نزول

نزول يا ايها المدثر ويلزم على كونها بعد المدثر نزلت بعد فترة الوحي على ما سياتي وقد يقال لا ينافيه ما تقدم من انه لم يحفظ
انه لم يكن في الاسلام صلوة بغير الفاتحة لجواز ان يراد صلوة من الصلوة الخمس وما تقدم مما يدل على تعيين الفاتحة في الصلوة
يجوز ان يكون صدر منه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلوات الخمس وفي الامتاع انزل الملك يبشره بالفاتحة وبالايتين
من سورة البقرة يدل على انها نزلت بالمدينة فقد اخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال بينما جبريل عليه السلام
قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا اي صوتا من فوقه فرفع راسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم
نزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة هذا كلامه فليتامل وجه الدلالة من هذا على انه سياتي عن الكامل للهذلي ما يصرح بان خواتيم البقرة
نزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى بقاب قوسين ومما يدل على ان البسملة اية منها نزولها معها اي كما في بعض
الروايات والا فالرواية المتقدمة تدل على انها لم تنزل معها ويدل لكون البسملة اية من الفاتحة ايضا ما اخرجه
الدارقطني وصححه والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قراتم الحمد لله
فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى اياتها
وفيما اخرج الدارقطني عن علي رضي الله تعالى عنه سئل عن السبع المثاني فقال الحمد لله رب العالمين فقيل له انما
هي ست ايات فقال بسم الله الرحمن الرحيم اية وقيل لها السبع المثاني لانها سبع ايات وتثنى في الصلوة وقيل
المثاني كل القران لانه يثني فيه صفات المؤمنين والكفار والمنافقين وقصص الانبياء والوعد والوعيد وقال
بعضهم والوجيز ان يقال المراد بالسبع المثاني السبع الطوال اي كما انها المراد في قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني
على ما تقدم وهي البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة يونس وقيل براءة وقيل
الكهف وعن ام سلمة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم عد البسملة اية من الفاتحة وبهذا يعلم
ما في تفسير البيضاوي عن ام سلمة من انه صلى الله عليه وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين
اية فقد ذكر بعض الحفاظ ان هذا اللفظ لم يرد عن ام سلمة والذي رواه جماعة من الحفاظ عن ام سلمة بالفاظ تدل على ان
بسم الله الرحمن الرحيم اية وحدها منها انها ذكرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطعها فيقرا بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وفي رواية عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الصلوات بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وفي الاستدلال على ان البسملة اية من الفاتحة بكونها نزلت معها يقتضي ان البسملة ليست اية من
اقرا باسم ربك ومن ثم قال الحافظ الدمياطي نزول اقرا بدون بسملة يدل على ان البسملة ليست اية من كل سورة واستدل
به اي بعدم نزولها في اول سورة اقرا ايضا كما قال الامام النووي من يقول ان البسملة ليست بقران في اوائل السور اي و
انما نزلت وكتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها وهذا القول ينسب لقول امامنا في القديم وهو قول قدماء الحنفية
قال وجواب المثبتين اي لقرانيتها في ذلك انها نزلت في وقت اخر كما نزل باقي السورة اي سورة اقرا وجوابهم
ايضا بان الاجماع من الصحابة والسلف على اثباتها في مصاحفهم مع مبالغتهم في تجريدها عن كتابة كل غير القران
فيها حتى انهم لم يكتبوا امين فيها واستدل ايضا لعدم قرانيتها في اوائل السور بعدم تواترها في محلها ورد بان عدم
تواترها في محلها لا يقتضي سلب القرانية عنها فرد هذا الرد بان الامام الكابني قال الحق وعند المحققين من
علماء السنة وجوب التواتر اي في القران في محله ووضعه وترتيبه ايضا كما يجب تواتره في اصله اي وفي الفتوحات
البسملة من القران بلا شك عند العلماء بالله وتكرارها في السور كتكرار ما تكرر من القران من سائر الكلمات وهو

بظاهر يؤيد ما ذهب اليه امامنا من انها اية من اول كل سورة ويحتمل انها لم يقل السهيلي حيث قال نقول انها اية من كتاب الله مقترنة
مع السورة وفي كلام ابي بكر بن العربي زعم الشافعي انها اية من كل سورة وما سبقه الى هذا القول احد فانه لم يعدها احد
اية من سائر السورة نقل عن امامنا الشافعي انها اية من اول الفاتحة دون بقية السور فعن الربيع قال سمعت الشافعي
يقول اول الحمد بسم الله الرحمن الرحيم واول البقرة الم قال بعضهم وهو يدل على ان البسملة اية من اول الفاتحة دون
بقية السور فانها ليست اية من اولها بل هي اية فرد ولها اعادة لها وتكرير لفاتحتها يوافق ذلك قول الجلال السيوطي في
الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بالبسملة والفاتحة هذا كلامه وكونه صلى الله عليه وسلم خص بالبسملة
يخالف قوله في الاتقان عن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض الصحابة لاعلمنك اية لم تنزل على نبي
بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم كما سياتي وسياتي ما فيه قيل وانما تركت البسملة اول براءة لعدم المناسبة بين
الرحمة التي تدل عليها البسملة والبراءة التي يدل عليها اول براءة ورده في الفتوحات بانها جاءت في اوايل السور المبدوءة
بويل فاين الرحمة من الويل وذكر بعضهم ان الانفال وبراءة سورة واحدة فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال سالت عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه لم لم تكتبوا بين براءة والانفال سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كانت الانفال
من اول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر ما نزل بالمدينة وكان قصتها تشبه بالاخرى فظننت انها واحدة وفي كلام بعض
المفسرين عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان ان الضحى والم نشرح سورة واحدة فكانا يقرانهما في ركعة واحدة ولا
يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك لانهما رايا ان اولها شبيه لقوله الم يجدك يتيما فليس كذلك لان تلك حال
اغتمامه صلى الله عليه وسلم باذى الكفار فهي حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان
هذا كلامه وذكر ائمتنا انه يكفي في وجوب الاتيان بالبسملة في الفاتحة بالصلوة الظن المفيد له خبر الاحاد ولعدم التواتر بذلك
لا يكفر من نفى كونها اية من الفاتحة باجماع المسلمين وقد جهر بها صلى الله عليه وسلم كما رواه جمع من الصحابة قال ابن عبد البر
عدتهم وعشرون صحابيا واما ما رواه مسلم عن انس قال صليت مع النبي صلى الله عليه وابي بكر وعثمان وعمر فلم اسمع
احدا منهم بسم الله الرحمن الرحيم اجيب عنه بانه لم يسمع لا استماع ويجوز انهم تركوا الجهر بها في بعض الاوقات بيانا للجواز و
يؤيده قول بعضهم كانوا يخفون البسملة واما ما رواه البخاري وابو داود والترمذي وغيرهم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلوة بالحمد لله رب العالمين فمعناه سورة الحمد لا بغيرها من القران ولا يبعد هذا الحمل ما
في رواية عبد الله بن مغفل انه قال سمعني ابي وانا اقرا بسم الله الرحمن الرحيم فقال اي بني اياك والحدث فاني صليت مع النبي
صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يقوله فاذا قرات فقل الحمد لله رب العالمين فانه لما لم يسمع منهم
انهم لم ياتوا بها راسا فقال ذلك وكذا يقال فيما نعي كانوا لا يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم فعلى تقدير ثبوت تلك
الرواية ومحتها يجوز ان يكون الراوي فهم مما تقدم ترك البسملة فروى بالمعنى فاخطا ومما استدل به على ان البسملة
ليست من الفاتحة ما جاء ابو هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قسمت
الصلوة اي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال فاذا قال الحمد لله رب
العالمين قال الله تعالى حمدني واذا قال الرحمن الرحيم قال مجدني عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال فوض الي
عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فيقول عبدي اهدنا الصراط
المستقيم الى اخرها قال ابو بكر بن العربي الى اخرها فانتفى بذلك ان تكون بسم الله الرحمن الرحيم اية منها من جهتين احدهما
انه لم يذكرها في القسمة والثاني انها ان صارت في القسمة لما كانت نصفين بل يكون ما لله منها اكثر مما للعبد لان بسم الله

ثناء

ثناء على الله تعالى ليس للعبد فيه ثم ذكر ان التعبير بالصلوة عن الفاتحة يدل على ان الفاتحة من فروضها وانما لم في ذلك و
سياتي في الحديبية انه صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم موافقة للجاهلية قبل كتب ذلك فاربعة كتب واول
من كتبها امية ابن ابي الصلت فلما نزلت بسم الله مجريها ومرسيها كتب بسم الله ثم لما نزل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن كتب بسم الله الرحمن الرحيم كذا نقل عن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت
سورة النمل وهذا يفيد ان البسملة لم تنزل قبل ذلك في شيء من اوايل السور ويؤيده قول السهيلي ثم كان بعد ذلك
اي بعد نزول وانه بسم الله الرحمن الرحيم نزل جبريل عليه السلام ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة اي تميزا
لها عن غيرها وقد ثبت في سواد المصحف الاجماع من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على ذلك هذا كلامه وليتامل ما فيه فانه
يدل للقول ان البسملة ليست من اوايل السور وانما هي للفصل فقد علمت ان البسملة نزلت اول الفاتحة على ما في بعض
الروايات ونقل ابو بكر التونسي اجماع علماء كل امة على ان الله سبحانه وتعالى افتتح جميع كتبه ببسم الله الرحمن الرحيم وفي
الاتقان عن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض الصحابة لاعلمنك اية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري
بسم الله الرحمن الرحيم وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى ان البسملة من خصايصه صلى الله عليه وسلم على بقية
سليمان غيري يشكل عليه ان عيسى بين سليمان ونبينا صلى الله عليه وسلم وكتابه الانجيل وهو من جملة كتب الله المنزلة وعن
النقاش ان البسملة لما نزلت سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال قال السهيلي ان صح ما ذكره فانما سبحت الجبال
خاصة لان البسملة انما نزلت على ال داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود والله اعلم ثم لم يلبث ورقة ان توفي
قال سبط ابن الجوزي وهو اخر من مات في الفترة ودفن في الحجون فلم يكن مسلما ويؤيده ما جاء في رواية في سندها ضعف ان ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما انه مات على نصرانيته وهذا يدل على انه من ادرك النبوة وصدق بنبوته صلى الله عليه وسلم
ولم يدرك الرسالة بناء على تاخرها لا يكون مسلما بل من اهل الفترة فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد رايت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير والقس بكسر القاف رئيس النصارى وبفتحها تتبع الشيء هذا وفي القاموس
القس مثلث القاف تتبع الشيء وطلبه كالتقسس بالفتح صاحب الابل الذي لا يفارقها ورئيس النصارى في العلم وفي رواية ابصرته
في بطنان الجنة وعليه السندس وفي رواية فقد رايته فرايت عليه ثيابا بيضا واحسبه اي اظنه لو كان من اهل النار لم تكن
عليه ثياب بيض اقول صريح الرواية الثانية انه لم يره في الجنة فقد تعددت الرواية الثانية فلا تخالف الرواية الاولى
لان السندس من انواع الحرير فلا دلالة في ذلك على التعدد والله اعلم وفي رواية لا تسبوا ورقة فاني رايت له جنة
او جنتين لانه امن بي وصدقني اي قبل الدعوة التي هي الرسالة وحينئذ يكون معنى قوله جنة او جنتين حيث له جنة او جنتان
ولا مانع ان يكون بعض اهل الفترة من اهل الجنة اذ لو كان مسلما حقيقة بان ادرك الدعوة وصدق به لم يقل فيه صلى الله
عليه وسلم واحسبه لو كان من اهل الفترة النار لم يكن عليه ثياب بيض وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند
جهابذة الايمة اي بناء على انه ادرك الدعوة الى الله تعالى التي هي الرسالة اذ لا مانع ان ورقة مات في السنة الرابعة
من المبعث وهو انقطاع ما في سيرة ابن اسحاق وعن كتاب الخميس وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم لانه امن بي وصدقني
واضحا لكن ينازع في ذلك قوله واحسبه لو كان من اهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وسياتي عن الذهبي ما يخالف ايضا
ما تقدم عن سبط ابن الجوزي انه من اهل الفترة وعن يحيى بن ابي كثير قال سالت جابر بن عبد الله يعني عن ابتداء الوحي
فقال لا احدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت
فنظرت عن يميني فلم ار شيئا فنظرت عن يساري فلم ار شيئا فنظرت عن خلفي فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا بين

السماء والارض اى وفى رواية فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين نادى فى رواية يتعثر بها عليه وفى لفظ على عرش بين السماء والارض
فرعبت منه فاتيت خديجة رضى الله تعالى عنها فقلت دثرونى اى وفى رواية دثرونى دثرونى وصبوا على ماء باردا فدثرونى وصبوا على ماء
باردا فنزلت هذه الاية يا ايها المدثر اى المتلفف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل بعده فانذر وبشر لانه كان بعث للنذارة بعث
بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن امن ولم يكن احد امن قبل وهذا يدل على ان هذه الاية اول ما نزل او يقال قرا وان النبوة والرسالة
مقترنان قال الامام النووى والقول بان اول ما نزل يا ايها المدثر ضعيف باطل وانما نزلت بعد فترة الوحى اى ومما يدل على ذلك قوله
فاذا الملك الذى جاءنى بحراء ومما يدل على ذلك ايضا ما فى البخارى لكن فى رواية جابر انه صلى الله عليه وسلم حدث عن فترة
الوحى اى لا عن ابتداء الوحى فما تقدم من قول بعضهم يعنى عن ابتداء الوحى فيه نظر وكذا فى قول الراوى عن جابر جاورت بحراء فلما
قضيت جوارى هبطت لانه جاوره بحراء قبل فترة الوحى الا ان يقال الجابر جاء عن روايتان واحدة فى ابتداء الوحى واخرى
فى فترة الوحى وبعض الرواة خلط فى صدد الرواية يدل على ان ذلك كان عند ابتداء الوحى ومجيئها يدل على ان ذلك
كان فى فترة الوحى هذا وجوزنا ان يكون صلى الله عليه وسلم جاور بحراء فى مدة فترة الوحى ويؤيد ذلك ما فى البيهقى عن مرسل عبيد بن عمير
انه صلى الله عليه وسلم كان يجاور فى كل سنة شهرا وهو رمضان وكان ذلك فى مدة فترة الوحى وسياق الجمع بين الروايات فلا
ما تقدم عن اسمعيل ابن ابى حكيم مولى الزبير انه حدث عن خديجة رضى الله تعالى عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتستطيع
ان تخبرنى بصاحبك هذا الذى ياتيك اذا جاءك قال نعم اى وذلك قبل ان ياتيه بالقران اى بشئ منه وهو اقرا باسم ربك بناء على انه
اول ما نزل ولا ينافى فى ذلك قولها هذا الذى ياتيك اذا جاءك لان المعنى الذى يتراءى لك فاذا رايته فجاءه جبريل عليه السلام فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل عليه السلام قد جاءنى قد رايته لكن سياتى عن ابن حجر الهيتمى ان ذلك كان
بعد البعثة قالت قم يا ابن عمى فاجلس على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول
فاجلس فى حجرى فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها فقالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها ورسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عمى اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان
والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله اتاه فى بيتها جبريل ولذى اللب فى الامور ارتياء فاماطت عنها الخمار لتدرى اهو الوحى
ام هو الاغماء فاختفى عند كشفها الراس جبريل فما عاد او عيد الغطاء فاستبانت خديجة انه الكنز الذى حاولته والكيمياء اى
اتاه قال ابن حجر اى بعد البعثة اى النبوة واجتماعه به فى بيتها حامل الوحى جبريل ولصاحب العقل الكامل فى الاحوال التى
قد تشتبه استبصار فبسبب كمال استبصارها ازالت عن راسها ما يغطى به الراس لتعلم عين اليقين ان هذا الذى يعرض له
صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحى الذى كان ياتى به الانبياء عليهم الصلوة والسلام بل ام هو الاغماء الذى
هو بعض الامراض الجائزة عليهم عليهم الصلوة والسلام وفيه انه ينبغى ان يكون المراد بالاغماء الناشى عن لمة الجن فيكون من الكهان
لا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام الذى قال بسببه لخديجة لقد خشيت على نفسى وسياتى انه كان يعتريه وهو بمكة
قبل ان ينزل عليه القران ما كان يعتريه عند نزول الوحى عليه اى من الاغماء الى اخره فبسبب ازالتها ما تغطى به راسها
منها اختفى فلم يعد الى ان اعادت غطاء راسها عليه فاستبانت علمت علم اليقين انما يعرض له صلى الله عليه وسلم هو الوحى
اى لا الجن لان الملك لا يرى الراس المكشوف من المراة بخلاف الجن وشبه الناظم ذلك بالشئ النفيس والامر العظيم
لان كلا من الكنز والكيمياء لا يظفر به الا قليل من الناس لعزتهما اقول وفى الخصائص الكبرى ما يدل لما قلناه من ان ما
فعلته خديجة كان عند تزايده له صلى الله عليه وسلم وقبل اجتماعه به صلى الله عليه وسلم وقول بعضهم ان ذلك
من خديجة كان بارشاد من ورقة فانه قال لها اذهبى الى المكان الذى راى فيه ما راى فاذا راه فانكشفى فان يكن من عند الله

لا يراه

لا يراه اى فلا يراه وهو فى بيت خديجة رضى الله تعالى عنها ففعلت قالت فلما تحسرت تغيب جبريل عليه السلام فلم يره فجئت
فاخبرت ورقة فقال انه ليأتيه الناموس الاكبر وفى فتح البارى ان فى سيرة ابن اسحق ان ورقة بن نوفل كان يمر
ببلال رضى الله تعالى عنه وهو يعذب وذلك يقتضى انه تاخر الى زمن الدعوة والى ان دخل بعض الناس فى الاسلام
اى وفى كلام صاحب كتاب الخميس وفى الصحيحين ان الوحى تتابع فى حياة ورقة وانه امن به وتقدم ان الموافق لما
فى الامتاع من انه مات فى السنة الرابعة من البعثة وتقدم انه مخالف لما تقدم عن سبط ابن الجوزى ومخالف ايضا
لقول الذهبى الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة اى بناء على تاخرها وقيل لتاخرها ما تقدم من ورقة بالنبى فيها
وحينئذ فقد تقدم ان المراد بالنبى اكون فى زمن الدعوة اى ممن ادرك النبوة ولم يدرك البعثة لا يكون مسلما بل هو
كما تقدم من اهل الفترة لان الايمان النافع عند الله تعالى الذى يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود فى النار
التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم اى بما ارسل له وان لم يقر بالشهادتين مع التمكن
من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وقيل لا بد مع ذلك من الاقرار بالشهادتين للمتمكن منه وحيث ادرك الرسالة فقد
اسلم وحينئذ يكون صحابيا ونقل بعضهم عن الحافظ ابن حجر انه فى الاصابة تردد فى ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل قال لكن
المفهوم من كلامه فى شرح النخبة ثبوتها وانه يفرق بينه وبين بحيرا بان ورقة ادرك البعثة وان لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا
وهو ظاهر والتعريف السابق يشمله هذا كلامه وتعريف السابق للصحابى هو من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا وعبارة
شرح النخبة هل يخرج اى من تعريف الصحابى من لقى النبى مؤمنا به من لقيه مؤمنا بانه سيبعث ولم يدرك البعثة محل نظر
ولا يخفى عليك ان ما فى شرح النخبة لا يدل لهذا البعض على انه تقدم ان ابن حجر فى الاصابة قال فى بحيرا ما ادرى ادرك
البعثة ام لا ولا يخفى عليك ما تقدم عن ابن حجر من ان ورقة ادرك البعثة وان لم يدرك الدعوة فانه يقتضى ان البعثة
عبارة عن النبوة لا عن الرسالة فوان الرسالة هى الدعوة لا البعثة ووقع لابن اسحق من شيوخه انه صلى الله عليه وسلم
كان يرقى من العين وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القران فلما نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك هذا يدل على انه
صلى الله عليه وسلم كان يصيبه قبل نزول القران ما يشبه الاغماء بعد حصول الدعوة وتغميض عينيه وتزبد وجهه
ويغط كغطيط البكر فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا ولو اتفق على من كان يرقيه ولا على ما كان
يرقى به واشتهر على بعض الالسنة امنة يعنى انه صلى الله عليه وسلم رقت النبى صلى الله عليه وسلم من العين ولعل
مستند ذلك ما تقدم عن امه انها لما كانت حاملا به جاءها الملك وقال لها قولى اذا ولدتيه اعيذه بالواحد من شر
كل حاسد والظاهر انها قالت ذلك وعن اسماء بنت عميس رضى الله تعالى عنها انها قالت يا رسول الله ان ابنى جعفر
اى ولديها من جعفر بن ابى طالب تصيبهما العين افنسترقى لهما قال نعم لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فان قيل جهل الاول
علم صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك لا جنى فى ابن حلوا انه يتكلم عن الله تعالى الجيب بانه على تسليم ان قول ورقة المذكور
وما تقدم عنه لا يفيده العلم فقد يقال خلق الله تعالى فيه صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بعد ذلك علم به ان جبريل
عليه السلام وانه يتكلم عن الله تعالى كما خلق فى جبريل علما ضروريا بان الموحى اليه هو الله جل جلاله وقد ذكر بعض المفسرين
انه صلى الله عليه وسلم انه كان له عدو من شياطين الجن يقال له الابيض كان ياتيه فى صورة جبريل عليه السلام و
اعترض بانه يلزم عليه عدم الوثوق بالوحى واجيب عنه بمثل ما هنا وهو ان الله تعالى جعل فى النبى صلى الله عليه وسلم
علما ضروريا يميز به بين جبريل وبين هذا الشيطان ولعل هذا الشيطان غير قرينه الذى اسلم وفى كلام ابن العماد شيطان
الانبياء يسمى الابيض والانبياء معصومون منه وهذا الشيطان هو الذى اغوى برصيصا الراهب العابد بعد عبادته

خمسمائة سنة وهو المعنى بقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك هذا كلامه والله اعلم وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان من الانبياء من يسمع الصوت اي ولا يرى مصوتا فيكون بذلك
نبيا قال بعضهم يحتمل ان يكون صوتا خلقه الله تعالى في الجو اي ليس من جنس الكلام وخلق لذلك النبي علم المراد به عند سماعه
ويحتمل ان يكون من جنس الكلام المعهود فيتضمن كون كذلك الشخص صار نبيا قال صلى الله عليه وسلم وان جبريل عليه
السلام ليأتيني فيكلمني كما يأتي احدكم صاحبه فيكلمه ويبصره من غير حجاب وفي رواية كنت اراه احيانا كما يرى الرجل صاحبه من
وراء الغربال ولا يخفى ان هاتين الحالتين كل منهما حالة من حالات الوحي وحينئذ اما ان يكون جبريل عليه السلام صورة
دحية الكلبي وهو بكسر الدال المهملة على المشهور وحكي فتحها او على صورة غيره ومنه ما وقع في حديث عمر رضي الله تعالى
عنه بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد
الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد الحديث ورواية البخاري تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه الا في
اخر الامر ويرده ما جاء في بعض جبريل عليه السلام في صورة لم اعرفها الا في هذه المرة وفي صحيح ابن حبان والذي نفسي بيده
ما اشتبه علي منذ اتاني قبل مرتي هذه وما عرفته حتى ولى وبهذا يعلم ما في كلام الامام السبكي حيث قسم الوحي الى ثلاثة
اقسام حيث قال في تائيته ولازمك الناموس اما بشكله واما بشخص وبحلية دحية نقلنا مثل قيل كان اذا اتاه على صورة الادمي يأتيه
بالموعد والبشارة فان قيل جاء جبريل عليه السلام على صورة الادمي دحية او غيره هل هي الروح متشكل بذلك وعليه هل يصير جسده
الاصلي حيا من غير روح او يصير ميتا اجيب بان الجائز يجوز ان لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل
في الملائكة قدرة على التطور والتشكل باي شكل ارادوه كالجن فيكون الجسد واحدا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر ان تمثل الملك
رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تانيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد
لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط واخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع ولا بعد ان الحق سبحانه
وتعالى يظهر في صورة علي رضي الله تعالى عنه واولاده اي الائمة الاثني عشر وهم الحسن والحسين وابن الحسين
زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن محمد الباقر جعفر الصادق وابن جعفر الصادق موسى الكاظم وابن موسى
الكاظم علي الرضى وابن علي الرضى محمد الجواد وابن محمد الجواد علي النقي والحادي عشر حسن العسكري والثاني عشر
ولد حسن العسكري وهو المهدي صاحب الزمان وهو حي باق الى الان يجتمع بسيدنا عيسى عليه الصلوة والسلام على ما
نقله قال عبد الله بن سبا يوما لعلي رضي الله تعالى عنه انت انت يعني انت الاله فنفاه علي الى المدائن وقال لا تساكني في بلد
ابدا وكان عبد الله بن سبا هذا يهوديا كان من اهل صنعا وامه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء فكان اول
من اظهر سب الشيخين ونسبهما للافتيات على سيدنا علي رضي الله تعالى عنه ولما قيل لسيدنا علي لولا انك تضمر ما اعلن به هذا ما
اجترى على ذلك فقال علي معاذ الله ان اضمر لهما ذلك لعن الله من اضمر لهما الا الحسن الجميل فارسل الى ابن سبا فاظهر الاسلام
في اول خلافة عثمان بن عفان وقيل في خلافة عمر وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام وخذلان اهله وكان
يقول قبل اظهار الاسلام في يوشع بن نون مثل ما قال في علي وكان يقول في علي انه حي لم يقتل وان فيه الجزء الالهي وانه
يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل بعد ذلك الى الارض فيملاها عدلا كما ملئت جورا وظلما وعبد الله هذا كان
يظهر امر الرجعة اي انه صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا
ويكذب برجعة محمد وقد قال الله تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد فمحمد احق بالرجوع من عيسى واظهر امر الوصية
ان عليا رضي الله تعالى اوصى له صلى الله عليه وسلم بالخلافة وكان هو السبب في اثارة الفتنة التي قتل فيها عثمان رضي الله تعالى

عنه كما سياتي ومن غلاة الشيعة من قال بالوهية اصحاب الكساء الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن و
الحسين رضي الله تعالى عنهم ومنهم من قال بالوهية جعفر الصادق والوهية ابائه وهم الحسين وابنه زين العابدين
وابن زين العابدين محمد الباقر وهولاء الشيعة موافقون في ذلك لمن يقول بالحلول وهم الحلاجية اصحاب حسين بن منصور
الحلاج كانوا اتخذوا صورة جميلة زعموا ان معبودهم حل فيها ومن زعم الحلول حتى ادعى الالوهية المقنع عطا الخراساني
وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة ادعى ان الله عز وجل حل في صورة ادم ثم في صورة نوح ثم الى ان حل في صورته
فافتتن به خلق كثير بسبب التمويهات التي اظهرها لهم فانه كان يعرف شيئا من السحر والنيرنجيات فقد اظهر قمرا يراه الناس
من مسافة شهرين من موضعه ثم بعد لما اشتهر امره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه وجاؤا الى القلعة التي كان متحصنا
بها فلما علم ذلك اسقى اهله سما فماتوا ومات ودخل الناس تلك القلعة فقتلوا من بقي بها من اتباعه والقول بالاتحاد
كفر فقد قال العز بن عبد السلام من زعم ان الاله يحل في شيء من اجسام الناس او غيره فهو كافر واشار اليه انه كافر
اجماعا من غير خلاف وانه لا يجري فيه الخلاف الذي جرى في تكفير المجسمة ومن ثم ذكر القاضي عياض في الشفاء ان من
ادعى حلول الباري في احد الاشخاص كان كافرا باجماع المسلمين وقول بعض العارفين وهو ابو يزيد البسطامي سبحاني ما اعظم
شاني وقوله اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وقوله انا ربي الاعلى وقوله انا الحق وهو انا وانا هو ليس من دعوى الحلول
في شيء وانما قوله سبحاني اني انا الله محمول على الحكاية اي لذلك على لسان الحق من باب حديث ان الله تعالى قال على
لسان عبده سمع الله لمن حمده وقوله انا ربي الاعلى وانا الحق الى اخره انما قال ذلك لانه انتهى سلوكه الى الله تعالى بحيث
استغرق في بحر التوحيد بحيث غاب عن كل ما سواه سبحانه وصار لا يرى في الوجود غيره الذي هو مقام الفنا وهو النفس
وتسليم الامر كله له تعالى وترك الارادة منه والاختيار فالعارف اذا وصل الى هذا المقام ربما قصرت عبارته عن بيان
ذلك الحال الذي ناله فصدرت عنه تلك العبارة الموهمة للحلول وقد اصطلحوا على تسميته هذا المقام الذي هو مقام الفنا
بالاتحاد ولا مشاحة في الاصطلاح لانه لم يعد اراده مراد محبوبه فصار المرادان واحدا لفناء ارادة المحب في مراد المحبوب
فقد فني عن هوى نفسه وحظوظها فصار لا يحب الا الله ولا يبغض الا الله ولا يوالي الا الله ولا يعادي الا الله ولا
يمنع الا الله ولا يرجو الا الله ولا يستعين الا بالله فيكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وفي كلام سيدي علي
وفا رضي الله عنه حيث اطلق القول بالاتحاد في كلام القوم من الصوفية فمرادهم فناء مرادهم في مراد الحق جل وعلا
كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما على وفق مراد الاخر ولله المثل الاعلى هذا كلامه رضي الله تعالى عنه
ورضي عنا به وهذا المقام غير مقام الوحدة المطلقة الخارجة عن دائرة العقل التي ذكر السعد السيد ان القول بها باطل
وضلال اي لانه يلزم عليها القول بالجمع بين الضدين فقد قال بعض العلماء حضرة الجمع عبارة عن شهود اجتماع الرب
والعبد في حال فناء العبد فيكون العبد معدوما موجودا في آن واحد ولا يدرك ذلك الا من اشهده الله الجمع بين الضدين
ومن لم يشهده ذلك انكره ويجوز ان يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن ان يجعل الله لروح الملك قوة يقدر بها على
التصرف في جسد اخر غير جسدها المعهود مع تصرفها في ذلك الجسد المعهود كما هو شان الابدال لانهم يرحلون الى مكان و
يقيمون في مكانهم شبحا اخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه وقد ذكر ابن السبكي في الطبقات ان كرامات الاولياء انواع وعد
منها ان يكون له اجساد متعددة قال وهذا الذي يسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره اي كواقعة الشيخ عبد القادر
الطحطوطي نفعنا الله به فقد ذكر الجلال السيوطي رحمه الله تعالى انه رفع اليه سؤال في رجل حلف بالطلاق ان ولي الله الشيخ
عبد القادر الطحطوطي بات عنده ليلة كذا فحلف اخر بالطلاق انه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما

ثالثة رسلت قاصدا الى الشيخ عبد القادر الطحطوطي فسأله عن ذلك فقال ولو قال اربعة او ستة عندهم لصدقوا فانه ثبت انه لا حنث على واحد منهم لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان وقد قيل في الابدال انهم انما سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم الاول شبحا اخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه و يقال له عالم المثال كما تقدم هو عالم متوسط بين عالم الاجساد وعالم الارواح هو الطف من عالم الاجساد و اكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر في صورة مختلفة من عالم الامثال قال وهذا الجواب اولى مما تكلف بعضهم في الجواب عن جبريل بانه كان يندمج بعضه في بعض اي الذي اجاب به الحافظ ابن حجر ومما يدل على وجود المثال رؤيته صلى الله عليه وسلم للجنة والنار في عرض الحائط وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه بانه مثل له يعقوب بمصر وهو بالشام ومن ذلك ابو يزيد البسطامي والشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ ابرهيم المتبولي نفعنا الله تعالى ببركاتهم ولعل مجيء جبريل في صورة دحية كان في المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها اذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه قال الشيخ الاكبر رضي الله تعالى عنه دحية الكلبي كان اجمل اهل زمانه واحسنهم صورة فكان الغرض من تنزل جبريل عليه السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في صورته اعلاما من الله تعالى انه ما بيني وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهي التي لك عندي فيكون ذلك تبشرى له ولا سيما اذا اتى بامر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا ياتيه الا على تلك الصورة الان يدعى ان من حين اتاه على صورة دحية لم ياته على صورة ادمي غيره وتكون واضحة سيدنا عمر سابقة على ذلك لكن تقدم انه كان اذا اتاه على صورة الادمي ياتيه بالوعد و البشارة اي لا بالوعيد والزجر فليتامل وفي البرهان للزركشي في التنزيل اي تلقي القران طريقان احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية واخذه من جبريل عليه السلام اي لان الانبياء يحصل لهم الانسلاخ من البشرية الى الملائكية بالفطرة الالهية من غير اكتساب فيما هو اقرب من لمح البصر والثاني ان الملك انخلع من الملكية الى البشرية حتى اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه هذا كلامه والراجح ان المنزل اللفظ والمعنى تلقفه جبريل من الله تعالى تلقفا روحانيا او ان الله تعالى خلق تلك الالفاظ اي الاصوات الدالة عليها في الجو واسمعها جبريل وخلق فيه علما ضروريا انها دالة على ذلك المعنى القديم القائم بذاته تعالى واوحاه اليه صلى الله عليه وسلم كذلك او حفظه جبريل من اللوح المحفوظ ونزل به وعلم انه من حالات الوحي النفث اي انه كان ينفث في روعه الكلام نفثا قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس اي المخلوق من الطهارة يعني جبريل عليه السلام نفث اي القى والنفث في الاصل النفخ اللطيف الذي لا ريق معه في روعي بضم الراء اي قلبي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب اي عاملوا بالجميل في طلبكم وتمنيه ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله تعالى اي كالكذب فان ما عند الله لن ينال الا بطاعته وفي كلام عطاء الله الاجمال في الطلب يحتمل وجوها كثيرة منها ان لا يطلبه بكليته مشتغلا عن الله به ومنها ان يطلبه من الله ولا يعين قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين قدرا او وقتا فقد تحكم على ربه واحاطت الغفلة بقلبه ومنها ان يطلبه وهو شاكر لله تعالى اذا اعطى شاهد حسن اختياره اذا منع ومنها ان يطلب من الله ما فيه رضاه ولا يطلب ما فيه حظوظ دنياه ومنها ان يطلبه ولا يستعجل الاجابة وفي حديث ضعيف اطلبوا الحوائج بعزة النفس فان الامور تجرى بالمقادير ومن حالات الوحي انه كان ياتيه في مثل صلصلة الجرس وهي اشد الاحوال عليه صلى الله عليه وسلم اي لما قيل انه كان ياتيه في هذه الحالة بالوعيد والنذارة اقول يعني الشيخان

عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه وهو اخو ابي جهل لابويه وكان يضرب به المثل في السودد حتى قال الشاعر احسبت ان اباك حين تسبني في المجد كان الحارث بن هشام اولى قريش بالمكارم والندا في الجاهلية كان وفي الاسلام اسلم يوم الفتح وسياتي انه استجار في ذلك اليوم بام هاني اخت علي بن طالب واراد علي قتله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد اجرنا من اجرت يا ام هاني وحسن اسلامه وشهد حنينا وكان من المؤلفة كما سياتي سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي اي حامله الذي هو جبريل عليه السلام قال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فيفصم بالفاء اي يقلع عني وقد وعيت ما قال وفي رواية ياتيني احيانا صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لي الملك اي الذي هو حامل الوحي رجلا اي يتصور بصورة الرجل وفي رواية في صورة الفتى فيكلمني فاعي ما يقول وروي انه في الحالة الثانية يتفلت منه ما يعيه فلا في الحالة الاولى وفي هذه الرواية كان الوحي ياتيني على نحوين ياتيني جبريل فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل فذلك يتفلت مني وياتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذلك الذي لا يتفلت مني قيل وانما كان يتفلت منه في الحالة الاولى لشدة ثانية بحامله لانه ياتيه في صورة بعدها فيخاطبه بلسان يعهده فلا يتثبت فيما القي اليه بخلافه في الحالة الثانية لان سماع مثل هذا الصوت الذي يفزع منه القلب مع عدم رؤية احد يخاطبه اذا علم انه وحي اضطر الى التثبت في ذلك وقوله اي حامله يخالف قول الحافظ ابن حجر حيث ذكر ان قوله مثل صلصلة الجرس بين بها صفة الوحي لا صفة حامله وفيه ان ذلك لا يناسب قوله وقد وعيت ما قال وقول بعضهم الصلصلة المذكورة هي صوت الملك بالوحي وقوله ياتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل له الملك رجلا وكان صلى الله عليه وسلم يجد ثقلا عند نزول الوحي ويتحدر جبينه عرقا في البرد كانه الجمان وربما غط كغطيط البكر محمرة عيناه وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه كان اذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك ومرة وقع فخذه على فخذي فوالله ما وجدت شيئا اثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اوحي اليه وهو على راحلته فترعد حتى يظن ان ذراعها ينفصم وربما بركت اي وجاء انه لما نزلت سورة المائدة عليه صلى الله عليه وسلم كان على ناقته فلم تستطع ان تحمله فنزل عنها وفي رواية فاندق كتف راحلته العضباء من ثقل السورة ولا يخالف ما قبله لانه جاز ان يكون حصل لها ذلك فكان سببا لنزوله ثم رايت في رواية ما يصرح بذلك وجاء ما من مرة يوحى الي الا ظننت ان نفسي تقبض منه وعن اسماء بنت عميس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يكاد يغشى عليه وفي رواية يصير كهيئة السكران اقول اي يقرب من حال المغشي عليه لتغيره عن حالته المعهودة تغيرا شديدا حتى تصير صورته صورة السكران اي مع بقاء عقله وتمييزه و لا ينافي ذلك قول بعضهم ذكر العلماء انه صلى الله عليه وسلم كان يوخذ عن الدنيا لانه يجوز ان يكون مع ذلك على عقله وتمييزه على خلاف العادة وهذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا ينتقض وضوءه ثم رايت صاحب الوفا قال فان قيل ما كان يجري عليه صلى الله عليه وسلم من البرحاء حين نزول الوحي هل ينقض وضوءه والجواب لا لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا في منامه تنام عيناه ولا ينام قلبه فاذا كان النوم الذي يسقط فيه الوكاء لا ينقض وضوءه فالحالة التي اكرم فيها بالمسارة والقاء الهدى الى قلبه اولى لكونه فيها معصوما من الاذى هذا كلامه وما ذكرناه اولى مما تقرر لان الاغماء ابلغ من النوم فليتامل وفي كلام الشيخ محيي الدين ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم وجميع من ياتيه الوحي من الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم ان الوارد الالهي الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانساني عن تدبيره

فلم يبق الجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فزج الى اصله وهو لصوقه بالارض وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف راسه بالحناء قيل وهو محمل قول بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم
كان يخضب بالحناء الا انه عليه الصلوة والسلام لم يخضب لانه لم يبلغ سنا يخضب فيه وقيل انه امر بالخضاب للشباب لم نشرح قال
صلى الله عليه وسلم سالت ربي مسئلة وددت اني لم اكن سالته قلت يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال
يا محمد الم اجدك يتيما فاويت وضالا فهديت وعائلا فاغنيت وشرحت لك صدرك وحططت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك
فلا اذكر الا وتذكر معي انتهى اقول قد يقال لا يلزم من النزول في قاب قوسين ان يكون مشافهة من غير حجاب وقوله فقال يا محمد
الم اجدك الى اخره ليس هذا نص التلاوة وان هذا ظاهر في ان المتلو الدالة على ما ذكر نزل قبل ذلك وان هذا تذكير به والله اعلم ومن
حالات الوحي انه اوحي اليه بلا واسطة ملك مناما كما في حديث معاذ اتاني ربي وفي لفظ رايت ربي في احسن صورة اي خلقة فقال
فيم يختصم الملاء الاعلى يا محمد قلت انت اعلم اي رب فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والارض
اي وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه هذا علم خاص الاهي فوق من القوى الحسية او المعنوية
فهذا لا يبعد ان يقع مثله للاولياء بطريق الارث ان تجلى له الحق بالتجلي الخاص الذي ما ذكر عبارة عنه وفي رواية فعلمت علم الاولين
والاخرين اي ومن حالات الوحي رؤيا النوم قال صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبياء وحي كما تقدم ومن حالاته العلم
الذي يلقيه الله تعالى في قلبه عند الاجتهاد في الاحكام بناء على ثبوته لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث في
الروع وبذكر هذه الانواع للوحي يعلم ما تقدم من حصره في الحالتين المذكورتين عند سؤال الحارث له اغلبي او
ان ما عداهما وقع بعد سؤال الحارث له صلى الله عليه وسلم وفي ينبوع الحيوة عن ابن جبير ما نزل جبريل بوحي قط الا
وينزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبي الذي يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه
جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب الذي يوحيه اليه فيلقوه الى اوليائهم ثم رايته في الاتقان
ذكر ان من القران ما نزل معه ملائكة مع جبريل عليه السلام تشيعه من ذلك سورة الانعام تشيعها سبعون الف ملك وفاتحة
الكتاب شيعها ثمانون الف ملك واية الكرسي شيعها ثمانون الف ملك وسورة يس شيعها ثلاثون الف ملك واسال
من ارسلنا من قبلك من رسلنا شيعها عشرون الف ملك ولعل هذا لا ينافي ما تقدم من ان الغرض من تساقط النجوم
عند البعث حراسة السماء من استراق الشياطين لما يوحى لجواز ان يكون هذا الحفظ لما يوحى من استراقه في الارض بين
السماء والارض وعن النخعي ان اول سورة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك قال الامام النووي
وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف هذا كلامه ولا يخفى ان مراد النخعي بالسورة هنا القطعة من القران اي
اول ايات نزلت فلا ينافي ما تقدم من رواية عمرو بن شرحبيل مما يدل على ان اول سورة انزلت فاتحة الكتاب لان المراد اول
ما نزل يا ايها المدثر لان المراد بذلك اول سورة كاملة نزلت في شان الانذار بعد فترة الوحي اي فانها نزلت قبل تمام نزول
سورة اقرا وهذا الجمع تقدم الوعد به اي لكن يشكل عليه ما في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القران
الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة فان
هذا السياق يدل على انه لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم سورة كاملة الا براءة وقل هو الله احد ونقل القرماني في الاتقان
ان مما نزل جملة سورة الفاتحة وسورة الكوثر وسورة تبت وسورة لم يكن وسورة النصر والمرسلات والانعام
لكن ذكر ابن الصلاح ان هذا روي بسند فيه ضعف ولم ار له اسنادا صحيحا وقد روي ما يخالفه في الاتقان انما نزلت جملة
سورة براءة وذكر ان المعوذتين نزلتا دفعة واحدة وحينئذ يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الا اية اية وحرفا حرفا

اي كلمة

اي كلمة والمراد بها ما قابل السورة والا فقد انزل عليه ثلاث ايات واربع ايات وعشر ايات كما انزل عليه اية وبعض اية فقد صح
نزول غير اولي الضرر منفردة وهي بعض اية وفي الاتقان عن جابر بن زيد قال اول ما انزل الله من القران بمكة اقرا باسم ربك
ثم ن والقلم ثم يا ايها المزمل ثم يا ايها المدثر ثم الفاتحة الى اخر ما ذكر ثم قال قلت هذا السياق غريب وفي هذا الترتيب نظر
وجابر بن زيد من علماء التابعين هذا كلامه وذكر بعض المفسرين ان سورة والتين اول ما نزل من القران والله اعلم
وما تقدم من نزول يا ايها المدثر كان في شان الانذار بعد فترة الوحي لانه بعد نزول جبريل عليه السلام عليه باقرا باسم
ربك مكث مدة لا يرى جبريل عليه السلام اي وانما كان كذلك ليذهب ما كان يجده من الرعب ويحصل له التشوق الى
العود ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما وافى بذروة كي يلقي نفسه منها
يبدو له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه اي قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة
الوحي عاد لمثل ذلك فاذا وافى بذروة جبل يبدو له مثل ذلك وفي رواية انه لما فتر الوحي عنه صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا
حتى يغدو الى ثبير مرة والى حراء اخرى يريد ان يلقي نفسه منه فكلما وافى ذروة جبل منها كي يلقي نفسه يبدو له جبريل عليه السلام
فقال يا محمد انت رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك وكان تلك
المدة اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل اثني عشر يوما وقيل ثلاثة ايام قال بعضهم وهو الاشبه بحاله عند الله تعالى انتهى
اقول ويبعد هذا الاشبه قوله فاذا طالت عليه فترة الوحي والله اعلم وفي الاصل وهذه الفترة لم يذكر لها ابن اسحق مدة
معينة اقول في فتح الباري ان ابن اسحق جزم بانها ثلاث سنين والله اعلم قال ابو القاسم السهيلي وقد جاء في بعض الاحاديث
المسندة ان مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصف سنة اي وفي كلام الحافظ ابن حجر وهذا الذي اعتمده السهيلي لا يثبت وقد
عارضه ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان مدة الفترة كانت اياما اي واقلها ثلاثة اي وقد تقدم ما فيه قال
بعض الحفاظ والظاهر والله اعلم انها اي مدة الفترة كانت بين اقرا ويا ايها المدثر التي قرن معه فيها اسرافيل كما قال الشعبي
انتهى اقول ويوافق ذلك ما في الاستيعاب لابن عبد البر ان الشعبي قال انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين وقرن
بنبوته اسرافيل عليه الصلوة والسلام ثلاث سنين وقد تقدم ذلك وفي الاصل عن الشعبي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي ولم ينزل القران اي شيء منه على لسانه
ثم وكل به جبريل عليه السلام فجاءه بالوحي والقران وهو موافق لما في ذلك كما في سيرة شيخنا الحافظ الدمياطي حيث قال قال
بعض العلماء وقرن به اسرافيل ثم قرن به جبريل عليه السلام وهو ظاهر في ان قرن اسرافيل به كان بعد النبوة
ويبعد قوله ويأتيه بالكلمة من الوحي ويحتمل ان يكون ذلك قبل النبوة فيوافق ما تقدم عن الماوردي لكن تقدم انه كان
يسمع حسه ولا يرى شخصه الا ان يقال لا يلزم من كونه يتراءى له ان يراه وقوله يأتيه بالكلمة من الوحي هو معنى قوله
يأتيه بالشيء بعد الشيء ثم رايت الواقدي انكر على الشعبي كون اسرافيل قرن به اولا وقال لم يقرن به من الملائكة
الا جبريل عليه السلام اي بعد النبوة ويحتمل مطلقا قال بعضهم ما قاله الشعبي هو الموافق لما هو المشهور المحفوظ الثابت
في الاحاديث الصحيحة وخبر الشعبي مرسل او معضل فلا يعارض ما في الاحاديث الصحيحة هذا كلامه ثم رايت
الحافظ ابن حجر نقل عن كلام الواقدي بان المثبت مقدم على النافي الا ان صحب النافي دليل نفيه فيقدم هذا كلامه الا ان يقال
قد وجد الدليل فقد جاء بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا اي هدة من السماء
فرفع جبريل بصره الى السماء فقال يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل الى الارض قط قال جماعة من العلماء ان هذا الملك اسرافيل
لانا نقول هذا مجرد دعوى لا دليل عليها ولا يحسن ان يكون مستندهم في ذلك ما في الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على احد بعدي وهو اسرافيل
فقال انا رسول ربك الحديث ومن ثم عد النبي صلى الله عليه وسلم من خصائصه صلى الله عليه وسلم هبوط اسرافيل
عليه اذ ليس في ذلك دليل على ان اسرافيل لم يكن نزل اليه قبل ذلك حتى يكون دليلا على ان اقتران جبريل عليه السلام به
سابق على اقتران اسرافيل به هذا وفي كلام الحافظ السيوطي ان مجيء اسرافيل كان بعد ابتداء الوحي بسنتين فلكما يعرف ذلك
من سائر طرق الاحاديث وهو ظاهر مع ما في سفر السعادة انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ تسع سنين امر الله تعالى اسرافيل
ان يقوم بملازمته ولما بلغ احدى عشرة سنة امر جبريل عليه السلام بملازمته صلى الله عليه وسلم فلازمه لتسع وعشرين
سنة فليتأمل وعن يحيى ابن كثير ما خلق الله خلقا في السموات احسن صوتا من اسرافيل فاذا قرأ في السماء يقطع اهل
السماء ذكرهم وتسبيحهم ثم رايت في فتح الباري ليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين اي على ما تقدم ما بين نزول
اقرأ ويا ايها المدثر عدم مجيء جبريل اليه بل تأخر نزول القران عليه فقط هذا كلامه اي فكان جبريل عليه السلام يأتي اليه بغير قران
بعد مجيئه اليه باقرأ ولم يجئ اليه بالقران الذي هو يا ايها المدثر الا بعد الثلاث سنين على ما تقدم ثم في تلك المدة
مكث اياما لا يأتيه اصلا ثم جاءه بيا ايها المدثر فكان قبل تلك الايام يتخلف اليه هو واسرافيل وهذا السياق كما لا
يخفى يؤخذ منه عدم المنافاة بين كون مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما يقول ابن اسحق وسنتين ونصف كما يقول السهيلي
وسنتين كما يقول الحافظ السيوطي وبين كونها اياما اقلها ثلاثة واكثرها اربعون كما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
لان تلك الايام هي التي كانت لا يرى فيها جبريل اصلا على ما تقدم اي ولا يرى فيها اسرافيل ايضا وفي غير تلك الايام كانت
يأتيه بغير القران وحينئذ لا يحسن رد الحافظ فيما سبق على السهيلي وينبغي ان تكون تلك الايام التي لا يرى فيها جبريل واسرافيل
هي التي يريد ان يلقي فيها نفسه من رؤس شواهق الجبال وهذا السياق ايضا يدل على ان النبوة سابقة على الرسالة بناء على ان الرسالة
كانت بيا ايها المدثر ويصرح به ما تقدم من قول بعضهم نباه بقوله اقرأ باسم ربك وارسله بقوله يا ايها المدثر قم فانذر وربك
فكبر وثيابك فطهر وان بينهما فترة الوحي وعليه اكثر الروايات وقيل النبوة والرسالة مقترنان ولعل من يقول بذلك يقول يا ايها
المدثر دلت على طلب الدعوة الى الله تعالى وهذا غير اظهار الدعوة والمناجاة بها الذي دل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وقال
وذكر السهيلي ان من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفه الحق سبحانه وتعالى
بقوله يا ايها المدثر فبذلك علم رضاه الذي هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله
صلى الله عليه وسلم لعلي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وقد نام وترب جبينه قم يا ابا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة
في غزاة احد وقد نام الى الاسفار قم يا نومان وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر اعلم ان الدثور
انما يكون من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك ان الملك اذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم بعلم او حكم تلقى ذلك الروح
الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتشتعل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة
وانفتحت لذلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتحلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن
هذا ملخص كلامه وذكر بعضهم في تفسير قوله تعالى وثيابك فطهر ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي نفعنا الله ببركاته قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا ابا الحسن طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالى في كل نفس فقلت
يا رسول الله ما ثيابي فقال ان الله كساك حلة التوحيد وحلة المحبة وحلة المعرفة قال ففهمت حينئذ قوله تعالى
وثيابك فطهر وجاء في وصف اسرافيل في بعض الاحاديث لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة
فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأ

من

من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كانه الوضع فهو عند نزوله يكون حاملا لزاوية العرش او يخلفه غيره
من الملائكة في ذلك. باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم اول البعثة اي اول الارسال اليه
باقرأ او قوله في المواهب انه روي ان جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد
ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الانس والجن فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب
برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل عليه السلام ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل عليه السلام وامره ان يصلي معه
فعلمه الوضوء والصلاة الحديث وقوله فعلمه الوضوء يحتمل ان يكون بفعله المذكور ويحتمل ان يكون علمه بقوله افعل
كذا في وضوئك وصلاتك ويدل للاول ما سيأتي وفيه ان قول جبريل عليه السلام المذكور انما كان بعد امره باظهار
الدعوة والمناجاة بها الى الله تعالى بعد فترة الوحي كما سيأتي فالجمع بينه وبين قوله ثم ضرب برجله الارض الى اخره
لا يحسن لانه سيأتي ان ذلك كان في يوم نزول اقرأ باسم ربك ولعله من تصرف بعض الرواة والله اعلم وعن ابن
اسحق حدثني بعض اهل العلم ان الصلاة حين افترضت على النبي صلى الله عليه وسلم اي قبل الاسراء اتاه جبريل
عليه السلام وهو باعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيف الطهور اي الوضوء للصلاة اي غسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح براسه وغسل
رجليه الى الكعبين كما في بعض الروايات اي وفي رواية فغسل كفيه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثم
غسل يديه الى المرفقين ثم مسح راسه ثم غسل رجليه ثلاثا ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ مثل وضوئه
اقول وبهذه الرواية يرد قول بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم زاد في الوضوء التسمية وغسل الكفين
والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الراس والتخليل ومسح الاذنين والتثليث الا ان يقال مراد هذا البعض انما
ذكر زاده على ما في الاية وفي كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويداومون على المضمضة و
الاستنشاق والسواك والله اعلم ثم قام جبريل عليه السلام فصلى به صلى الله عليه وسلم ركعتين يحتمل ان تلك الصلاة
كانت بالغداة قبل طلوع الشمس ويحتمل انها كانت بالعشي اي قبل غروب الشمس وفي الامتاع وانما كانت الصلاة قبل
الاسراء صلاة بالعشي اي قبل غروب الشمس ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين اي ركعتين بالغداة
وركعتين بالعشي اي والعشي هو العصر ففي كلام بعض اهل اللغة العصر العشا والعصران الغداة والعشا وكانت
صلاته صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة واستقبل الحجر الاسود اي جعل الحجر الاسود قبالته وهذا يدل على انه
لم يستقبل في تلك الصلاة بيت المقدس لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا اذا صلى بين الركنين الاسود و
اليماني كما كان يفعل بعد فرض الصلوات الخمس وهو بمكة كما سيأتي انه كان يصلي بين الركنين الركن اليماني والحجر
الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام اي بينه وبين بيت المقدس اي صخرته الا ان يقال يجوز ان يكون
عند صلاته الى الكعبة كان بينهما الا انه كان الى الحجر الاسود اقرب منه الى اليماني فقيل استقبل الحجر الاسود
فلا مخالفة لكن سيأتي ما قد يفيد انه لم يستقبل بيت المقدس الا في الصلوات الخمس اي بعد الاسراء وقبل ذلك
كان يستقبل القبلة اي اي جهة من جهاتها ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل عليه السلام
قال جبريل هكذا الصلاة يا محمد ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة و
اخبرها فغشي عليها من الفرح فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما اراه جبريل عليه السلام فتوضأت كما توضأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل عليه السلام

وفي سيرة الحافظ الدمياطي ما يفيد ان ذلك كان في يوم نزول جبريل عليه وسلم له باقرا باسم ربك حيث قال بعث
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى فيه وصلت خديجة اخر يوم الاثنين ويوافقه ظاهر ما جاء
اتاني جبريل فدعا لي فعلمني الوضوء والصلوة فلما فرغ الوضوء اخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه اي ورش بها
فرجه اي محل ما يخرج من الانسان استدل عليه بانه ليس ذكرا ولا انثى وفيه نظر لانه يجوز ان يكون له الة تليق
كالة الذكر ولا كالة الانثى كما قيل في الخنثى ويقال لغير ذلك فرج وفي بعض شراح الحديث حمل الفرج على ما يقابل الفرج من
الازار وبذلك استدل ائمتنا على انه ينبغي لمن استنجى بالماء ان ياخذ بعد الاستنجا كفا من ماء ويرش في ثيابه التي تحاذي
فرجه حتى اذا خيل له ان شيئا خرج ووجد بللا احاله انه من ذلك الماء ولعل هذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل
الوضوء وامرني ان انضح تحت ثوبي مما يخرج من البول بعد الوضوء اي دفعا للتوهم خروج شي من البول بعد الوضوء لوجود
بلل بالمحل وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان ينضح سراويله ببللها وما جاء انه لما اقراه اقرا باسم ربك قال
له جبريل عليه السلام انزل عن الجبل فنزل معه الى قرار الارض قال فاجلسني على درنوك بالدال المهملة والراء
والنون اي وهو نوع من البسط واخمل ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا منها جبريل الحديث يفيد ان
الوضوء كان مع مشروعية الصلوة التي هي غير الخمس وان ذلك كان في يوم نزول جبريل باقرا وهو مخالف لقول ابن
حزم لم يشرع الوضوء الا بالمدينة ومما يرد ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد البر اتفاق اهل السير على انه لم يصل
صلى الله عليه وسلم قط الا بوضوء قال وهذا مما لا يجهله عالم هذا كلامه الا ان يقال مراد ابن حزم انه لم يشرع
وجوبا الا في المدينة وهو الموافق لقول بعض المالكية انه كان قبل الهجرة مندوبا اي وانما وجب بالمدينة باية المائدة
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الاية ويرده ما في الاتقان ان هذه الاية
مما تاخر نزوله عن حكمه يعني قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة الى قوله لعلكم تشكرون فان الاية مدنية
اجماعا وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلوة اي فالوضوء على هذا مكي بالعرض مدني بالتلاوة قال والحكمة في
ذلك اي في نزول الاية بعد تقدم العمل ليدل عليه ان تكون قرانية متلوة هذا كلامه وقوله مع فرض الصلوة يحتمل
ان المراد صلوة الركعتين بناء على انهما كانتا واجبتين عليه صلى الله عليه وسلم وهو الموافق لما تقدم عن ابن اسحق
ويحتمل ان المراد الصلوات الخمس اي ليلة الاسرا وهو الموافق لما اقتصر عليه شيخنا الشمس الرملي حيث قال وكان فرضه
مع فرض الصلوة قبل الهجرة بسنة هذا كلامه وحينئذ يكون قبل ذلك مندوبا حتى في صلوة الليل وقول صاحب المواهب
ما ذكر من ان جبريل علمه الوضوء وامره به يدل على ان فرضية الوضوء كانت قبل الاسرا فيه نظر ظاهر اذ لا دلالة في ذلك
على الفرضية اذ يحتمل ان يكون اللفظ الصادر من جبريل له امرتك ان تفعل كفعلي وصيغة امر مشتركة بين الوجوب والندب
وذكر بعضهم ان الغرض من نزول اية المائدة بيان ان من لم يقدر على الوضوء والغسل لمرض او لعدم الماء يباح له التيمم
ففرضية الوضوء والغسل سابقة على نزولها ويؤيد ذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها في الاية فانزل الله تعالى
اية التيمم ولم تقل اية الوضوء وهي محل ان الوضوء كان مفروضا قبل ان توجد تلك الاية ويوافقه ما ذكره ابن عبد البر
من اتفاق اهل السير على ان الغسل من الجنابة فرض كان مع فرض الصلوات ليلة الاسرا ففعلها وحينئذ كانت الصلوة
خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال حتى جعل الصلوات خمسا و
الغسل من الجنابة مرة قال بعض فقهائنا ونفاه ابعد وقد لم يضعفه وهو اما صحيح او حسن قال ذلك البعض ويجوز ان
يكون المراد بها اي الغرض من نزولها فرض غسل الرجلين في قراة من قرا وارجلكم بالنصب فان حديث جبريل ليس

فيه

فيه الا سيما اي وهو ان جبريل اول ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي توضا فغسل وجهه ويديه الى المرفقين
ومسح راسه ورجليه الى الكعبين وسجد سجدتين او ركع ركعتين مواجهة البيت ففعل النبي صلى الله عليه وسلم
كما راى جبريل عليه السلام يفعله هذا كلامه وفيه نظر لان اكثر الروايات وغسل رجليه كما تقدم ورجليه في
هذه الرواية معطوفة على وجهه كما ان ارجلكم في الاية على قراة الجر معطوفة على الوجوه وانما جر بالمجاورة
وان كان الجر بالمجاورة في غير النعت قليلا او عبر عن الغسل الخفيف بالمسح وفي كلام الشيخ محيي الدين مسح الرجلين في
الوضوء بظاهر الكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال ويحتمل العدول عن الظاهر بناء على ان المسح فيه يقال للغسل
فيكون من الالفاظ المترادفة ونصب ارجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية وجاء انه
صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل صلوة اي عملا بظاهر قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة الاية فلما كان يوم الفتح
صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته
يا عمر اي للاشارة الى جواز الاقتصار على وضوء واحد للصلوات الخمس وجواز ذلك ظاهر في نسخ وجوب الوضوء
عليه لكل صلوة ويوافقه قول بعضهم قيل كان ذلك الوضوء لكل صلوة واجبا عليه ثم نسخ هذا كلامه اي ويؤيد ذلك
ظاهر ما جاء انه امر بالوضوء لكل صلوة طاهرا كان او غير طاهر فلما شق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وضع عنه الوضوء الا من
حدث اي ويكون وقت المشقة يوم فتح مكة لما علمت انه لم يترك الوضوء لكل صلوة الا حينئذ وهذا السياق يدل
على ان وجوب الوضوء لكل صلوة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما روي عن انس رضي الله تعالى
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا لكل صلوة قيل لهم كيف تصنعون اي هل كنتم تفعلون كفعله صلى الله
عليه وسلم قال يجزي احدنا الوضوء ما لم يحدث اي فوجوب الوضوء لكل صلوة من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ثم نسخ
وذكر فقهاؤنا ان الغسل كان واجبا عليه لكل صلوة فنسخ بالنسبة للحدث الاصغر تخفيفا فصار الوضوء بدلا عنه ثم نسخ الوضوء
لكل صلوة فظاهر سياقهم يقتضي ان وجوب الغسل ثم الوضوء لكل صلوة كان عاما في حقه صلى الله عليه وسلم وحق
امته ويحتاج الى بيان وقت نسخ وجوب الغسل في حقه صلى الله عليه وسلم وحق الامة وبيان وقت نسخ وجوب الوضوء
لكل صلوة في حق الامة ومنه يعلم ان نسخ وجوب الوضوء لكل صلوة يكون بالنسبة للامة ثم بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم
وحينئذ لا يشكل قول فقهائنا ان الاية تقتضي وجوب الطهر بالماء والتراب لكل صلوة خرج الوضوء بالسنة اي بما تقدم من
فعله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وبتجويزه صلى الله عليه وسلم للامة ان يصلي الواحد منهم الصلوات بوضوء وبقي التيمم
على مقتضى الاية فقد وقع النسخ اولا بالنسبة للامة ثم ثانيا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم ولعل وجوب الغسل لكل
صلوة كان بوحي غير قران او باجتهاد ولا يخفى ان كون ظاهر الاية يقتضي وجوب الوضوء والتيمم لكل صلوة انما هو بقطع
النظر عما نقله امامنا رضي الله عنه عن زيد بن اسلم ان الاية فيها تقديم وحذف وان التقدير اذا قمتم الى الصلوة من النوم
او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فاغسلوا وجوهكم الاية والله اعلم وعن مقاتل بن سليمان فرض الله تعالى
في اول الاسلام الصلوة ركعتين بالغداة اي قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشي اي قبل غروب الشمس اقول
ان كان المراد باول الاسلام نزول جبريل عليه السلام باقرا يرد ما تقدم عن الامتاع ان اول ما وجب ركعتان
بالعشي ثم صارت صلوة بالغداة وصلوة بالعشي ركعتين الا ان يراد الاولية الاضافية وفي بعض الاحاديث
ما يدل على ان وجوب الركعتين كان خاصا به صلى الله عليه وسلم دون امته منها قوله صلى الله عليه وسلم اول ما فرض
الله على امتي الصلوات الخمس وفيما انه افترض عليها قبل ذلك صلوة الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس وفي الامتاع كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى الكعبة اول النهار ويصلي صلوة الضحى وكانت صلوة لا تنكرها قريش وكان
صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادى ومثنى اي يصلون صلوة العشي وكانوا يصلون
الضحى والعصر ثم نزلت الصلوات الخمس هذا كلامه وهو يفيد ان الركعتين الاوليين كان يصليهما وقت الضحى لا قبل العشي
فليتامل والله اعلم ثم فرضت الخمس ليلة المعراج وذهب جمع الى انه لم يكن قبل الاسرا صلوة مفروضة اي لا عليه ولا على
امته الا ما وقع الامر به من صلوة الليل من غير تحديد اي بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر اي صلوا اول وهو الناسخ لما
وجب قبل ذلك من التحديد في اول السورة الحاصل بقوله قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه
وقد نسخ ذلك بالصلوات الخمس ليلة الاسرى ولم يذكر ائمتنا وجوب صلوة الركعتين عليه صلى الله عليه وسلم بل قالوا
اول ما فرض عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في اخرها
ثم نسخ بالصلوات الخمس وهو مخالف لما تقدم عن ابن اسحق من وجوب صلوة الركعتين عليه ويوافق قول ابن كثير في قولهم
ماتت خديجة رضي الله تعالى عنها قبل ان تفرض الصلوة مرادهم قبل ان تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسرا قال بعضهم
وانما قال ذلك لان اصل الصلوة قد فرض في حياة خديجة رضي الله تعالى عنها الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي
وفي كلام ابن حجر الهيتمي لم يكلف الناس الا بالتوحيد فقط ثم استمر على ذلك مدة مديدة ثم فرض عليهم من الصلوة ما ذكر
في سورة المزمل ثم نسخ ذلك كله بالصلوات الخمس ثم لم تكثر الفرايض وتتابع الا بالمدينة ولما ظهر الاسلام
وتمكن في القلوب وكان كلما ازداد ظهورا وتمكنا ازدادت الفرايض وتتابعت هذا كلامه ولم اقف على ما كان
يقرا في صلوة الركعتين قبل فترة الوحي وبعدها وقبل نزول الفاتحة بناء على تاخر نزولها عن ذلك كما هو الراجح ثم رايته
في الاتقان ذكر ان جبريل عليه السلام حين حولت القبلة اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الفاتحة ركن
في الصلوة كما كانت بمكة هذا كلامه وينبغي حمله على الصلوات الخمس وحينئذ يكون ما تقدم من قول بعضهم لم يحفظ
انه كان قبل الاسلام صلوة بغير الفاتحة محمول على ذلك ايضا وقد تقدم ذلك والله اعلم باب ذكر اول الناس
ايمانا به صلى الله عليه وسلم اي بعد البعثة اي الرسالة التي هي المرادة عند الاطلاق بناء على انها مقارنة للنبوة لا يخفى
انه صلى الله عليه وسلم لما بعث اخفى امره وجعل يدعو الى الله تعالى سرا واتبعه ناس جاءتهم ضعفاء من الرجال و
النساء والى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء
ولا يخفى ان اهل الاثر وعلماء السير على ان اول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم على الاطلاق خديجة رضي الله تعالى
عنها اقول نقل الثعلبي المفسر اتفاق العلماء عليه وقال النووي انه الصواب عند جماعة من المحققين وقال ابن الاثير خديجة
اول خلق الله تعالى اسلم باجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امراة وقيل ان بناته الاربع موجودات عند البعثة و
يبعد تاخر ايمانهن الا ان يقال خديجة تقدم لها اشراك فجلا فتى اخذا مما ياتي وعن ابن اسحق ان خديجة رضي الله
تعالى عنها كانت اول من امن بالله ورسوله وصدقت ما جاء به عن الله تعالى وكان لا يسمع شيئا يكرهه من قومه الا
فرج الله عنه بها اذا رجع اليها واخبرها به ثم علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وفي المرفوع عن سلمان رضي الله تعالى
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول هذه الامة ورودا على الحوض اولها اسلاما علي بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه وجاء انه لما زوجه فاطمة قال لها زوجتك سيدا في الدنيا والاخرة انه لاول اصحابي اسلاما واكثرهم علما و
اعظمهم حلما وكان لم يبلغ الحلم كما سياتي حكاية الاجماع عليه وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه ليطعمه
ويقوم بامره لان قريشا كان اصابهم قحط شديد وكان ابو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه

العباس ان اخاك ابا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله ناخذ واحدا وانا واحدا فجاءا
اليه وقالا انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما ابو طالب اذا تركتما لي عقيلا قيل وطالبا فاصنعا
ما شئتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله تعالى عنه فضمه اليه واخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا
فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خصائص العشرة للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم تولى تسميته بعلي وعقيقته
وتغذيته اياما من ريقه المبارك بمصه لسانه فعن فاطمة بنت اسد ام علي رضي الله تعالى عنها انها قالت لما ولدته سماه صلى الله
عليه وسلم عليا وبصق في فيه ثم انه القمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي احد
فدعونا له محمدا صلى الله عليه وسلم فالقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله عز وجل هذا كلامه فليتامل وعنها رضي الله تعالى عنها
انها في الجاهلية ارادت ان تسجد لهبل وهي حامل بعلي فتقوس في بطنها فمنعها من ذلك وكان علي رضي الله تعالى عنه اصغر اخوته فكان
بينه وبين اخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر واخيه عقيل كذلك وبين عقيل واخيه طالب كذلك ايضا فكل اكبر من الذي بعده بعشر سنين
فاكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي اي وكلهم اسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم
قال لعقيل لما اسلم يا ابا يزيد اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم لحب عمي اياك وكان عقيل اسرع الناس جوابا
وابلغهم في ذلك قال له معوية يوما اين ترى عمك ابا لهب من النار فقال اذا دخلتها يا معاوية فهي على يسارك مفترشا
عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولما وفد على معاوية وقد غضب من اخيه علي لما طلب منه عطاه وقال له ان امرا
يخرج عطاك مع المسلمين فاعطيك فقال له لاذهبن الى رجل هو اوصل لي منك فذهب الى معاوية فاعطاه معاوية مائة
الف درهم ثم قال له معاوية اصعد المنبر فاذكر ما اولاك علي وما اوليتك فصعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس اني اخبركم
اني اردت عليا على دينه فاختار دينه واني اردت معاوية على دينه فاختارني على دينه وفي رواية ان معاوية قال
لجماعته يوما بحضرة عقيل هذا ابو يزيد يعني عقيلا لولا علمه باني خير له من اخيه لما اقام عندنا وترك فقال عقيل اخي خير لي في ديني وانت
خير لي في دنياي واسال الله خاتمة الخير توفي عقيل في خلافة معاوية قال وسبب اسلام علي كرم الله وجهه انه دخل على النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضي الله تعالى عنها وهما يصليان سرا فقال ما هذا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فادعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر
باللات والعزى فقال علي هذا امر لم اسمع به قبل اليوم فلست بقاض امرا حتى احدث ابا طالب وكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يفشي عليه سره قبل ان يستعلن امره فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى
هداه للاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم انتهى اقول وذلك في اليوم الثاني من صلوته
صلى الله عليه وسلم هو وخديجة وهو يوم الثلاثا كما في سيرة الدمياطي اي لانه تقدم ان صلوته صلى الله عليه وسلم
مع خديجة رضي الله تعالى عنها كانت اخر يوم الاثنين وهذا انما ياتي على القول بان النبوة والرسالة تقارنتا لا على ان الرسالة
تاخرت عن النبوة وان بينهما فترة الوحي على ما تقدم وفي اسد الغابة ان ابا طالب راى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا
يصليان وعلي على يمينه فقال لجعفر رضي الله عنه صل جناح ابن عمك وصل عن يساره وكان اسلام جعفر بعد اسلام اخيه
علي بقليل والله اعلم قال بعضهم وانما صح اسلام علي اي مع انهم اجمعوا على انه لم يكن بلغ الحلم اي ومن ثم نقل عنه انه قال
سبقتكم الى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت اوان حلمي اي كان عمره ثمان سنين على ما سبق لان الصبيان كانوا اذ ذاك
مكلفين لان القلم انما رفع عن الصبي عام خيبر وعن البيهقي ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ في عام الخندق وفي لفظ
عام الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز هذا وقد ذكر انه لم يحفظ عن علي رضي الله عنه انه قال شعرا وقيل لم يقل

الا ثنين اي ولعل احدهما ما تقدم ثم رايت عن القاموس ان البين مما قول تكلم قريش ثمان لتقتلني فلا وربك ما يوطا
ولا تظفروا فان ملكت فهي مبحي لهم بذات ودفين لا تبقي ولا تذر اي ذات ودين هي الداهية وتقدم ان الزبير
بن العوام اسلم وهو ابن ثمان سنين وقيل ابن خمسة عشر سنة وقيل ابن اثنتي عشرة سنة وقيل ابن ستة عشر سنة ومما يدل للاول
ما جاء عن بعضهم كان علي والزبير وطلحة وسعد بن ابي وقاص ولدوا في عام واحد ومن العجب ان الزمخشري في خصايص العشرة اقتصر
على ان سن الزبير حين اسلم ستة عشر سنة وذكر بعد ذلك بأسطر انه اول من سل سيفا في سبيل الله وهو ابن اثنتي عشر سنة مقتصرا
على ذلك ومما يدل للاول ايضا ما جاء في كلام بعض اخر اسلم علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه والزبير بن العوام وهما ابنا ثمان
سنين واجماعهم على ان عليا لم يكن بلغ الحلم يرد القول بان عمره اذ ذاك عشر سنين اي بناء على ان سن امكان الاحتلام
تسع سنين كما تقول به ايمتنا وبوافقه ما حكاه بعضهم ان الراشد بالله وهو الحادي والثلاثون من خلفاء بني العباس لما كان
عمره تسع سنين وطى جارية حبشية فحملت منه وولدت ولدا حسنا ويرد القول بان سنه اذ ذاك كان ثلاثة عشر او خمسة عشر او
ستة عشر سنة اقول قال بعض متاخري اصحابنا وانما صحت عبادة الصبي المميز ولم يصح اسلامه لان عبادته نفل والاسلام
لا يتنفل به وعلى هذا مع ما تقدم يشكل ما في الامتاع واما علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه فلم يكن مشركا بالله ابدا لانه كان
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفالته كاحد اولاده يتبعه في جميع اموره فلم يحتج ان يدعى للاسلام فيقال اسلم هذا
كلامه فليتامل فان عليا رضي الله تعالى عنه كان تابعا لابيه في دينه ولم يكن تابعا له صلى الله عليه وسلم كاولاده وقوله فلم يحتج
ان يدعى للاسلام يرده ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم ادعوك الى الله وحده الى اخره ثم رايت في الحديث ما يدل لما
يدل لما في الامتاع وهو ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن ال يس وعلي بن ابي طالب واسية امراة فرعون والذي في العرايس يروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن ال فرعون وحبيب النجار صاحب يس
وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو افضلهم الا ان يراد بعدم كفرهم انهم لم يسجدوا لصنم ويدل انه لا يخالف ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم له وادعوك الى الكفر باللات والعزى وانه قيل ايضا ان ابا بكر لم يسجد لصنم قط وتقدم ان ابن الجوزي من رفض عبادة
الاصنام في الجاهلية اي لم يات بها ابا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث
وورقة ابن نوفل ورباب بن البراء واسعد بن كريب الحميري وقس بن ساعدة الايادي وابا قيس بن صرمة ولا يخفى ان عدم
السجود للاصنام لا ينافي الحكم بالكفر على من لم يسجد لها لكن في كلام السبكي الصواب ان يقال الصديق لم يثبت عنه حال كفر
بالله تعالى فلعل حاله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل واضرابه فلذلك خص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة
هذا كلامه وهو واضح اذا لم يكن احد من جميع من ذكر اسلم وفي كلام الحافظ ابن كثير الظاهر ان اهل بيته صلى الله عليه
وسلم امنوا قبل كل احد خديجة وزيد وزوجته زيد ام ايمن وعلي رضي الله تعالى عنهم فليتامل قوله امنوا قبل كل احد
وكذا يتامل قول ابن اسحق اما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن ادركن الاسلام فاسلمن والله اعلم وعن ابن اسحق
ذكر بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلوة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي
مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا امسيا رجعا كذلك ثم ان ابا طالب عثر اي اطلع عليهما يوما وهما يصليان ابي بنخلة
المحل المعروف فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي ما هذا الذي اراك تدين به فقال هذا دين الله
وملائكته ورسله ودين ابينا ابرهيم بعثني الله به رسولا الى العباد وانت احق من بذلت له النصيحة ودعوته
الى الهدى واحق من اجابني الى الله تعالى واعانني عليه فقال ابو طالب اني لا استطيع ان افارق دين ابائي
وما كانوا عليه وفي رواية انه قال له ما بالذي تقول من باس لكن والله لا تعلوني استي ابدا وهذا كما لا يخفى

ينبغي ان يكون صدر منه قبل ما تقدم من قوله لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما راى النبي صلى الله
عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن يعرف ان عليا رضي الله تعالى عنه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت
ابا طالب حين فرضت الصلوة وراني اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال ما هذا الفعل الذي ارى فلما اخبرناه
قال هذا حسن ولكن لا افعله ابدا لاني لا احب ان تعلوني استي فلما تذكرت الان قوله ضحكت وقوله حين فرضت الصلوة
يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي وهذا يؤيد القول بان ذلك كان واجبا وذكر ان ابا طالب قال لعلي اي بني ما هذا
الذي انت عليه فقال يا ابت امنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له اما انه لم يدعك الا الى
خير فالزمه اي ويذكر عنه انه كان يقول اني لاعلم انما يقوله ابن اخي لحق ولولا انني اخاف ان تعيرني نساء قريش لا
تبعته وعن عفيف الكندي رضي الله تعالى عنه قال كنت امرا تاجرا فقدمت للحج واتيت العباس بن عبد المطلب لابتاع
منه بعض التجارة وكان العباس لي صديقا وكان يختلف الى اليمن يشتري العطر ويبيعه ايام الموسم فبينا انا عند العباس
بمنى اي وفي لفظ بمكة في المسجد اذا رجل مجتمع اي بلغ اشده خرج من خبا قريب منه فنظر الى الشمس فلما راها مالت توضا
فاسبغ الوضوء اي اكمله ثم قام يصلي اي الى الكعبة كما في بعض الروايات ثم خرج غلام مراهق اي مقارب البلوغ فتوضا ثم قام
الى جنبه يصلي ثم جاءت امراة من ذلك الخبا فقامت خلفهما ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت المراة فقلت ويحك يا عباس
ما هذا الدين قال هذا دين محمد بن عبد الله اخي يزعم ان الله بعثه رسولا وهذا ابن اخي علي ابن ابي طالب وهذه امراته خديجة
قال عفيف بعد ان اسلم يا ليتني كنت رابعا اي ولعل زيد بن حارثة لم يكن موجودا عندهم في ذلك الوقت فلا ينافي انه كان
يصلي معهم او ان ذلك كان قبل اسلامه لانه سياتي قريبا ان اسلامه كان بعد اسلام علي وكذا ابو بكر لكن في الاستيعاب لابن
عبد البر ان العباس قال لعفيف الكندي لما قال له ما هذا الذي يصنع قال يصلي وهو يزعم انه نبي ولم يتبعه على امره الا امراته وابن عمه
هذا الغلام وفيه ان عليا قال لقد عبدت الله قبل ان يعبده احد من هذه الامة خمس سنين اي ولعل المراد انه عبده بغير الصلوة
وقوله في هذا الحديث نظر الى الشمس فلما راها مالت توضا وصلى قد يخالف ما تقدم ان من فرض الصلوة كانت ركعتين بالغداة
وركعتين بالعشي قبل غروب الشمس فقط اقول قد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان تكون صلوته في الوقت ليست تمام فرض عليه
والجماعة في ذلك نافلة وتكون فعلها صلى الله عليه وسلم في النفل المطلق وهذا يدل على ان الجماعة كانت مشروعة بمكة حتى في
صدر الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس وفي كلام بعض فقهائنا انها لم تشرع الا في المدينة يعني بمكة لقهر الصحابة رضي الله
تعالى عنهم الا ان يقال المراد بمشروعيتها طلبها فكانت في المدينة مطلوبة استحبابا او وجوبا كفاية او عينا على الخلاف عندنا
في ذلك وفي مكة كانت مباحة لكن في بعض اخر من فقهائنا ان الجماعة لم تفعل بمكة لقهر الصحابة وفيه ان القهر انما ينافي اظهار
الجماعة لا فعلها الا ان يقال تركت خشية الباب وفيه انه يبعد تركها وهم مستخفون في دار الارقم فليتامل والله اعلم ثم بعد
اسلام علي رضي الله عنه اسلم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم زيد بن حارثة بن شرحبيل وقال ابن هشام شراحيل مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة رضي الله تعالى عنها اي لما تزوجها صلى الله عليه وسلم اي وكان اشتراه لها ابن اخيها
حكيم بن حزام ممن سباه من الجاهلية اي فان عمته خديجة امرته ان يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا
يباع وعمره ثمان سنين فان اسر من عنده اخواله على ما ذكره السهيلي فانه امه خرجت به لتزيره اهلها فاصابته خيل فباعوه
فاشتراه اي وقيل اشتراه من سوق عكاظ حباشة بالباء اي بسبعمائة درهم وقيل بستمائة درهم فلما راته خديجة رضي الله تعالى
عنها اعجبها فاخذته ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة اي اشتراه لها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم وهو عندها
اعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحي اي وقيل اشتراه صلى الله عليه وسلم

لما فاشتراه جاء الى خديجة فقالت رأيت غلاما بالبطحاء قد اوقفوه ليبيعوه ولو كان لي ثمنه لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة
درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاذهب فاشتره فاشتراه فجاء به اليها فقال انه لو كان لي لاعتقته قالت هو لك فاعتقه وقيل بل اشتراه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام لخديجة رضي الله تعالى عنها حين توجه مع ميسرة فوهبته له فليتأمل ذلك وزعم
ابو عبيدة ان زيد بن حارثة لم يكن اسمه زيدا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك باسم جده قصي حين تبناه ثم انه خرج
في ابل لابي طالب الى الشام فمر بارض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من انت يا غلام قال غلام من اهل مكة قال من انفسهم قال لا قال فحر انت
ام مملوك قال مملوك قال اعربي انت ام اعجمي قال بل عربي قال من اهلك قال من كلب قال من اي كلب قال من بني عبد ود قال ويحك ابن
من انت قال ابن حارثة بن شراحيل قال واين اصبت قال في اخوالي قال ومن اخوالك قال طي قال ما اسم امك قال سعدى
فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا اباه فقال يا حارثة هذا ابنك فاتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه قال كيف صنع مولاك
اليك قال يؤثرني على اهله وولده ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ما شئت فركب معه ابوه وعمه واخوه حتى قدموا
ان ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا واعلموا اباه ووصفوا له مكانه فجاء ابوه وعمه وقد يقال لا مخالفة
لجواز ان يكون اجتماع عمه وابيه كان بعد اخبار اولئك الناس فلما جاء اهله في طلبه ليفدوه خيره صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده
والرجوع الى اهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه فقد ذكر انهم لما جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه اي وفي لفظ لما قدم ابوه وعمه في فدائه سألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل
هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه انتم اهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني
العاني وتطعمون الجائع جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا واحسن في فدائه فانا سندفع لك فقال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة فقال
او غير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على الذي اختارني احدا
قالوا زدتنا على النصف وفي لفظ رددتنا على النصف واحسنت فدعاه فقال تعرف هؤلاء قال نعم ابي وعمي ولعل سكوته
عن اخيه استغناء بالنسبة لابيه وعمه على ان اكثر الروايات اقتصار على مجيء ابيه وعمه وفي كلام السهيلي ان زيدا لما جاء
للنبي صلى الله عليه وسلم لدى هذان فقال هذا ابو حارثة بن شراحيل وهذا كعب بن شراحيل عمي فعند ذلك قال
صلى الله عليه وسلم له من انا منك وقد رأيت صحبتي لك فاخترني او اخترهما فقال هذا زيد ما انا بالذي اختار عليك احدا انت
مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك واهل بيتك قال نعم ما انا بالذي اختار عليه
احدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ما رأى اخرجه الى الحجر الذي هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابني ارثه ويرثني فطابت
انفسهما وانصرفا وفي كلام ابن عبد البر انه حين تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنه ثمان سنين وانه حين تبناه
طاف به على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك و
هدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف
السدس من ميراث الحليف اي من حالفه فنسخ ذلك وهذا الذي ذكره ابن عبد البر من انه صلى الله عليه وسلم حين تبناه كان عمره ثمان
سنين يدل على ان ذلك كان عقب ملكه صلى الله عليه وسلم له قبل الوحي وان ذلك كان قبل مجيء ابيه وعمه وحينئذ يكون هو التخيير
والتبني بعد مجيء ابيه وعمه الجهاد لما تقدم فليتأمل وفي اسد الغابة ان حارثة اسلم وفي كلام بعضهم لم يثبت اسلام حارثة
الا المنذري ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر في القران من الصحابة احد
باسمه الا هو كما سيأتي قال ابن الجوزي الا ما يروى في بعض التفاسير ان السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب
اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ومما ابدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القران وهي انه لما نزل قوله تعالى ادعوهم

لابائهم

لابائهم صار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع منه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القران دون غيره من
الصحابة فصار اسمه يتلى في المحاريب ولا يخفى انه يأتي في زيد ما تقدم في علي ولم يذكر في القران امراة باسمها الا مريم ولزيد اخ
اسمه جبلة اسن منه سئل جبلة من اكبر انت ام زيد فقال زيد اكبر مني وانا ولدت قبله اي لان زيدا افضل منه لسبقه في
الاسلام ثم اسلم من الصحابة ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال بعضهم في سبب اسلامه انه كان صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر
غشيانه في منزله ويحادثه وكان سمع قول ورقة لما ذهب معها اليه كما تقدم فكان متوقعا لذلك فهو مع حكيم بن حزام في
بعض الايام اذ جاءت مولاة لحكيم وقالت ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان زوجها نبي مثل موسى فانسل حتى اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له بالرسالة فقال صدقت بابي انت وامي واهل
الصدق انت انا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال سماه يومئذ الصديق وهذا السياق ربما يدل على ان اسلام
ابي بكر تاخر الى ما بعد فترة الوحي بناء على ما تقدم وكونه سماه يومئذ الصديق لا ينافي في ذلك ما سيأتي انه سمي بذلك
صبيحة الاسراء لما صدقه وكذبته قريش لجواز انه لم يشتهر بذلك الا حينئذ وقد جاء في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق
وصدق به ابو بكر رضي الله عنه قال لما اسلمت خديجة رضي الله تعالى عنها قالت لابي بكر رضي الله تعالى عنه فخرجت عليها خمارا
احمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن ابي قحافة واسمه عبد الله اي سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولقبه
قبل ذلك عبد الكعبة فابو بكر رضي الله تعالى عنه اول من غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولقبه عتيق لحسن وجهه
او لانه عتيق من الذم والعيب اي او نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا عتيق من النار فهو اول لقب وجد
في الاسلام اي وقيل سمته بذلك امه اي لانه كان لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت
اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش قيل ويدل له ما ذكره بعضهم ان امه كانت اذا هزته تقول عتيق وما عتيق
ذو المنظر الانيق وفي كلام ابن حجر الهيتمي وصح ان الملقب له به النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه في بيت عائشة رضي الله تعالى
عنها فانه غلب عليه من يومئذ قال لعبد ربه فمن الملقب له ابوه وزعم انه امه هذا كلامه وليتأمل في قوله في بيت عائشة مع ما
تقدم وما في كلام السهيلي قيل وسمي عتيقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين اسلم انت عتيق من النار وكان
ابو بكر رضي الله عنه صدرا معظما في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق من رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان من اعف
الناس وكان رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان اعلم الناس بتعبير الرؤيا ومن ثم قال ابن سيرين
وهو المقدم في هذا العلم اتفاقا كان ابو بكر خير هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان اعلم الناس بانساب العرب
فقد جاء عن جبير بن مطعم البالغ النهاية في ذلك انه قال انما اخذت النسب من ابي بكر لا سيما انساب قريش فانه كان
اعلم قريش بانسابها وبما كان فيها من خير وشر وكان لا يعد مساويهم فمن ثم كان محببا فيهم بخلاف عقيل بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه فانه كان بعد ابي بكر اعلم قريش بانسابها وبآبائها وما فيها من خير وشر لكن كان مبغضا اليهم لانه يعد مساويهم
وكان عقيل يجلس اليه في المسجد النبوي لاخذ علم الانساب وايام العرب عقب يعهم وفي كلام بعضهم كان ابو بكر عند اهل
مكة من خيارهم يستعينون به فيما نابهم وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها احد قال الزمخشري ولعله كني بابي بكر
لابتكاره الخصال الحميدة وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وكان نقش عمر رضي الله تعالى عنه كفى بالموت واعظا
يا عمر وكان نقش خاتم عثمان امنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم علي الملك لله وكان نقش خاتم ابي عبيدة ابن الجراح
الحمد لله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة اي وقفة
وتامل وتردد الا ما كان من ابي بكر وفي رواية ما كلمت احدا في الاسلام الا ابى وراجعني في الكلام الا ابن ابي قحافة

فانى لم احكم فى شئ الا قبله واستقام عليه اى ومن ثم كان اشد الصحابة رايا واكملهم عقلا وفى خبر تمام اتانى جبريل فقال
ان الله امرك ان تستشير ابابكر ونزل فيه وفى عمر وشاورهم فى الامر كان ابو بكر رضى الله تعالى عنه بمكان الوزير من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره فى اموره كلها وقد جاء ان الله تعالى ايدنى باربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبريل
وميكائيل واثنين من اهل الارض ابى بكر وعمر وفى حديث رواته ثقات ان الله يكره ان يخطى ابو بكر وفى رواية ان
الله يكره فى السماء ان يخطى ابو بكر الصديق فى الارض وجاء الحسن بن على وهو صغير الى ابى بكر وهو يخطب على المنبر
فقال انزل عن مجلس ابى فقال مجلس ابيك والله لا مجلس ابى فاجلسه فى حجره وبكى فقال على والله ما هذا عن رايى
فقال والله ما اتهمتك ووقع نظير ذلك لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه مع سيدنا الحسين فانه قال له وهو يخطب انزل عن منبر ابى
فقال له منبر ابيك لا منبر ابى من امرك بهذا فقام على فقال ما امره بهذا احد ثم قال للحسين لاوجعنك يا غدر فقال عمر لا
توجع ابن اخى صدق منبر ابيه قال وسبب مبادرته الى التصديق ما علمه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين
صدق دعوته قبل دعوته وقد كان ذلك لرؤيا اراها قبل ذلك وهى انه راى القمر نزل الى مكة ثم تفرق فدخل فى كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه فى حجره
فقصها على بعض اهل الكتاب فعبرها له بانه يتبع النبى المنتظر الذى قد اظل زمانه وانه يكون اسعد الناس به ولعل هذا الذى
من اهل الكتاب هو بحيرا فقد رايت ان ابا بكر راى رؤيا فقصها على بحيرا فقال له ان صدقت رؤياك فانه سيبعث نبى من
قومك تكون انت وزيره فى حياته وخليفته بعد مماته واخرج ابو نعيم عن بعض الصحابة ان ابا بكر امن بالنبى صلى الله عليه
وسلم قبل النبوة اى علم انه النبى المنتظر لما مر عن بحيرا الراهب ولما سمعه من شيخ عالم من الازد قد قرا الكتب فى
اليمن فقال له احسبك حرميا فقال ابو بكر نعم فقال احسبك قرشيا قال نعم فقال له احسبك تيميا قال نعم قال له بقيت لى فيك
واحدة قال وما هى قال تكشف لى عن بطنك فقال له لا افعل على امره فتى وكهل فاما الفتى فخواض غمرات دفاع معضلات واما الكهل
فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة اى مع كونه حرميا قرشيا تيميا بدليل قوله حرميا احسبك قرشيا
احسبك تيميا وما عليك ان تريني ما سالتك فقد تكاملت فيك الصفة اى كونه حرميا قرشيا تيميا ابيض نحيفا الا ما خفى
على فقال ابو بكر فكشفت له عن بطنى فراى شامة سوداء فوق سرتى اى وجدا فى العلامة على الفخذ الايسر فقال انت هو ورب الكعبة
قال ابو بكر فلما قضيت اربى من اليمن اتيته لاودعه فقال الحافظ ابياتا من الشعر قلتها فى ذلك النبى قلت نعم فذكر ابياتا قال ابو بكر
فقدمت مكة وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فجاءنى صناديد قريش كعقبة بن ابى معيط وشيبة وربيعة وابى جهل وابى
البخترى فقالوا يا ابا بكر يتيم ابى طالب يزعم انه نبى ولولا انتظارك ما انتظرنا به فاذ قد جئت فانت الغاية والكفاية اى لان
ابا بكر كما تقدم كان صديقا له صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر فصرفتهم على احسن شئ ثم جئته صلى الله عليه وسلم فقرعت
عليه الباب فخرج لى فقال لى يا ابا بكر انى رسول الله اليك والى الناس كلهم فامن بالله فقلت وما دليلك على ذلك قال
الشيخ الذى افادك الابيات قلت ومن اخبرك بهذا يا حبيبى قال الملك العظيم الذى ياتى الانبياء قبلى قلت مد يدك فانا
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال ابو بكر رضى الله عنه فانصرفت وما بين لابتيها اشد سرورا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم باسلامى وفى لفظ اشد سرورا منى باسلامى ولا مانع من صدق الامرين منه رضى الله تعالى
عنه ويحتاج الجمع بين هذا وبين ما تقدم من انه كان مع حكيم بن حزام يوما اذ جاءه على تقدير صحة الروايتين وما
جاء من شعر حسان رضى الله تعالى عنه من ان ابا بكر اول الناس اسلاما حيث يقول فيه واول الناس منهم صدق
الرسلا وانه صلى الله عليه وسلم سمع ذلك منه ولم ينكره بل قال صدقت يا حسان كما سياتى عند الكلام على
الهجرة وقول بعض الحفاظ ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه اول الناس اسلاما هو المشهور عند الجمهور من اهل السنة

لا ينافى ما تقدم من ان عليا اول الناس اسلاما بعد خديجة ثم مولاه زيد بن حارثة لان المراد اول رجل بالغ من الموالى اسلم ابو بكر
اى وعبارة ابن الصلاح والاورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار غير الموالى ابو بكر ومن الصبيان على ومن النساء
خديجة ومن الموالى زيد بن حارثة وهذا وما قبله يدل على ان اسلام زيد بن حارثة كان بعد البلوغ والا لما احتج لزيادة ليس
من الموالى تامل وان مراد من قال ان ابا بكر سبق عليا فى الاسلام اى فى اظهاره لانه حين اسلم اظهر اسلامه بخلاف فقد جاء
عن على رضى الله تعالى عنه انه قال ان ابا بكر رضى الله عنه سبقنى الى اربع وعد منها اظهار الاسلام وقال وانا اخفيه
ولعله لا ينافى ذلك ما جاء بسند حسن ان اول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لان ذلك كان عند اختفائه
صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فى دار الارقم كما سياتى فان ولينا اظهار الاسلام اما فتنة قال ابن كثير وورد عن على رضى الله
تعالى عنه انه قال انا اول من اسلم ولا يصح اسناد ذلك اليه قال وقد روى فى هذا المعنى احاديث كثيرة اوردها ابن عساكر
كلها منكرة لا يصح شئ منها هذا كلامه وعلى تقدير صحتها يراد اول من اسلم من الصبيان فالاولية اما نسبية ومما يؤثر
عن على رضى الله تعالى عنه لا تكن ممن يرجو الاخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الامل يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم البشاشة فخ المودة
والصبر قبر العيوب والطالب بالظلم مخلوب العجب ممن يدعو ويستبطئ الاجابة وقد سد طرقها بالمعاصى واول من اسلم من
من النساء بعد خديجة رضى الله تعالى عنها ام الفضل زوج العباس واسماء بنت ابى بكر وام جميل فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن
الخطاب وينبغى ان تكون ام ايمن سابقة فى الاسلام على ام الفضل على ما تقدم وقول السراج البلقينى موافقة للزين بن العراقى ان اول
رجل اسلم ورقة بن نوفل لقوله للنبى صلى الله عليه وسلم انا اشهد انك الذى بشر بك عيسى بن مريم وانك على مثل ناموس
موسى وانك نبى مرسل قد علمت ما فيه وانه انما كان من اهل الفترة كما صرح به الحافظ الذهبى وهو يرد القول المتقدم
بان وفاة ورقة تاخرت عن البعثة فوق فترة ونحوه كبحيرا ونسطورا من اهل الفترة لا من اهل الاسلام ويؤيده ما تقدم ان باجماع
المسلمين لم يتقدم خديجة فى الاسلام رجل ولا امراة لكن هو لا من القسم الذى تمسك بدين قبل نسخه وامن وصدق بانه
صلى الله عليه وسلم الرسول المنتظر وذلك نافع له فى الاخرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لما توفى ورقة لقد رايت القس
يعنى ورقة فى الجنة وعليه ثياب الحرير لانه امن بى وصدقنى الى اخر ما تقدم وعلى تسليم انه لا يشترط فى المسلم ان يؤمن ويصدق
برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها بل يكون ولو قبل ذلك تلبيس ورقة صحابى لان الصحابى من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم
بعد الرسالة مؤمنا بما جاء به عن الله تعالى اى محكوما بايمانه ومن ثم رد الحافظ الذهبى على ابن منده اى ومن وافقه كالزين العراقى فى
عده له من الصحابة اى كما عد منهم بحيرا ونسطورا بقوله الاظهر ان من مات بعد النبوة وقبل الرسالة فهو من اهل الفترة هذا كلام
الحافظ الذهبى والمراد بالرسالة نزول يا ايها المدثر لا اظهارها ونحو لعله تعالى فاصدع بما تؤمر بناء على تاخر الرسالة عن
النبوة وحين اسلم ابو بكر رضى الله تعالى عنه دعى الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم من وثق به من قومه فاسلم بدعائه
عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية والدعوتان فى وقعة كانا فقال له عمه الحكم ترغب عن ملة ابائك الى دين محمد والله لا احلك
حتى تدع ما انت عليه فقال عثمان والله لا ادعه ابدا ولا افارقه فلما راى الحكم صلابته فى الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع
فارجع دو كلام ابن الجوزى ان المعذب بالدخان ليرجع عن الاسلام الزبير بن العوام هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك
وجاء لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان واسلم بدعاء ابى بكر ايضا الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه
وكان عمره ثمان سنين على ما تقدم وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه اى وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وقيل
عبد الكعبة وقيل عبد الحارث فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان امية بن خلف لى
صديقا فقال لى يوما ارغبت عن اسم سماك به ابواك فقلت نعم فقال لى اما لا اعرف الرحمن ولكن اسميك بعبد الاله

فكان ينادينى بذلك قال وسبب اسلام عبد الرحمن بن عوف ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت على
عسكان بن عواكن الحميرى فكان السنة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت اليمن فنزلت عليه الى
اخر القصة وعن على رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف انت امين فى اهل
الارض امين فى اهل السماء وجاء انه وصفه بالصادق الصالح البار واسلم بدعا ابى بكر رضى الله تعالى عنه ايضا سعد بن ابى
وقاص اى فان ابا بكر لما دعاه الى الاسلام لم يسعد واتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن امره فاخبره فاسلم وكان عمره
تسع عشرة سنة وهو رضى الله تعالى عنه من بنى زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد اقبل عليه سعد خالى فليرنى امرؤ خاله
وفى كلام السهيلى انه عم امنة بنت وهب ام النبى صلى الله عليه وسلم وكرهت امه اسلامه وكان بارا بها فقالت والله لا اكلت طعاما
ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد او حتى اموت فابى فكانوا يفتحون فاها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فانزل الله تعالى ووصينا
الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الاية وفى رواية انها مكثت يوما وليلة لا تاكل فاصبحت
وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تاكل ولا تشرب قال سعد فلما رايت ذلك قلت لها تعلمين والله يا امه لو كان لك مائة نفس فخرجت
نفسا نفسا ما تركت دين هذا النبى صلى الله عليه وسلم فكلى ان شئت ولا تاكلى فلما رات ذلك اكلت وفى الانساب للبلاذرى عن
سعد قال اخبرت امى انى كنت اصلى العصر الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشى فجئت فوجدتها على بابها تصيح الا اعوان يعينونى
عليه من عشيرتى او عشيرته فاحبسه فى بيت واطبق عليه بابه حتى يموت او يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت
وقلت لا اعود اليك ولا اقرب منزلك ولا تضيفون الناس فهجرتها حينا ثم ارسلت الى ان عد الى منزلى ولا تضيفن الناس فانا
عاد فرجعت الى منزلى فرة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى بالشر وتعيرنى باخى عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما اسلم
عامر لقى منها ما لم يلق احد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت يوما والناس مجتمعون على امى وعلى اخى عامر فقلت
ما شأن الناس فقالوا هذه امك قد اخذت اخاك عامرا تعطى الله عهدا لا يظلها نخل ولا تاكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع
صبأته فقلت لها والله يا امه لا تستظلين ولا تاكلين ولا تشربين حتى تتبوئ مقعدك من النار وجاء انه صلى الله عليه وسلم
امر سعد بن ابى وقاص ان ياتى الحارث بن كلدة طبيب العرب ليتوصف فى مرض نزل به وكان ذلك فى حجة الوداع فجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعود عبد الرحمن بن عوف فلما نزل به فوجد عنده الحارث فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن
انى لارجو ان يشفيك الله حتى يضربك قوم وينتفع بك اخرون ثم قال للحارث بن كلدة عالج سعدا مما به وكان سعد حاضرا
بالمجلس فقال والله انى لارجو شفاءه فيما ينفعه فى رحله معكم من هذه التمرة العجوة شئ قال نعم فخلط ذلك التمر ثم اوسعها عينا
ثم احساه اياها فكانما انشط من عقال وهذا استدل به على اسلام الحارث بن كلدة لان حجة الوداع لم يحج فيها مشرك فهو معدود
من الصحابة وانكر بعضهم اسلامه وجعله دليلا على جواز استشارة اهل الطب فى الكفر اذا كانوا من اهله وممن اسلم بدعاء
ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ايضا طلحة بن عبيد الله فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجاب له
فاسلم اى ولما تظاهر ابو بكر وطلحة بالاسلام اخذهما نوفل العدوية وكان يدعى اسد قريش فشدهما فى حبل واحد ولم يمنعهما
بنو تيم ولذلك سمى ابو بكر رضى الله تعالى عنه وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية اقول سبب اسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه ما تقدم انه قال حضرت سوق
بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم هل ثم من اهل الحرم احد فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد بعد
قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو اخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى
ارض ذات نخل وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبى ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث

قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو الى الله وقد تبعه ابن ابى قحافة فخرجت حتى دخلت على ابى بكر رضى الله تعالى عنه فاخبرته بما
قال الراهب فخرج ابو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فسر بذلك واسلم طلحة وطلحة هذا احد العشرة
المبشرين بالجنة وقد شاركه رجل اخر فى اسمه واسم ابيه ونسبه وهو طلحة بن عبيد الله التيمى وهو الذى نزل فيه قوله تعالى
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية لانه قال لئن مات محمد رسول الله لاتزوجن عائشة وفى لفظ يتزوج محمد بنات عمنا
ويحجبهن عنا لئن مات لاتزوجن عائشة بعده فنزلت الاية قال الحافظ السيوطى وقد كنت فى وقفة شديدة من هذا
الخبر لان طلحة احد العشرة اجل مقاما من ان يصدر منه ذلك حتى رايت انه رجل اخر شاركه فى اسمه واسم ابيه ونسبه هذا كلامه
والحاصل ان ابا بكر اسلم على يديه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة
الجود والزبير وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو ابو عبيدة بن الجراح وكان كل من ابى بكر وعثمان
بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن ابى وقاص يصنع النبل والله اعلم ثم دخل الناس فى
الاسلام ارسالا من الرجال والنساء وذكر فى الاصل جماعة من السابقين للاسلام منهم عبد الله بن مسعود وان سبب اسلامه ما حدث
به قال كنت فى غنم لال عقبة بن ابى معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر بن ابى قحافة فقال النبى صلى الله عليه وسلم
هل عندكم لبن فقلت نعم ولكنى مؤتمن قال فهل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فاتيته بشاة شصوص لا ضرع لها فمسح
النبى صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا كذا فى الاصل وفى الصحاح كما فى النهاية الشصوص التى
ذهب لبنها وحينئذ يكون قول الاصل لا ضرع لها اى لا لبن لها ويدل لذلك قول ابن حجر الهيتمى فى شرح الاربعين فمسح ضرعها
وقول ابن مسعود فمسح مكان الضرع اى محل اللبن فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبى صلى الله
عليه وسلم فسقى ابا بكر وسقانى ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان اى لا وجود له على ظاهر ما فى الاصل او لا لبن
فيه على ما فى النهاية كالصحاح والى ذلك اشار الامام السبكى فى تائيته بقوله .... ودرت عناق ما ترى الفحل
فوقها سحت عليها باليمين فدرت قال ابن مسعود فلما رايت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله
علمنى فمسح راسى وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم انتهى فان قيل قول ابن مسعود ولكنى مؤتمن وفعله صلى الله
عليه وسلم من ذات اللبن الحرها يخالف ما سياتى فى حديث المعراج والهجرة ان العادة كانت جارية باباحة مثل ذلك
اللبن لابن السبيل اذا احتاج اليه ذلك فكان كل راع ماذونا له فى ذلك واذا كان ذلك امرا متعارفا مشهورا يبعد حفاده
فلما قد يقال لا انما تغفر لابن السبيل المسافر وجاز ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى الله تعالى عنه لم يكونا مسافرين
ويجاز ان تكون تلك الغنم التى كان فيها ابن مسعود ببعض نواحى مكة القريبة منها التى لا يعتد قصدها سفرا ولعله
لا ينافى ذلك ما سياتى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ابيح له اخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما
اذا احتاج صلى الله عليه وسلم اليهما وانه يجب على مالكهما بذل ذلك له وكان عبد الله بن مسعود يعرف بانه ابن
ام عبد وكان قصيرا جدا طوله نحو ذراع نحيف اللحم ولما ضحكت الصحابة رضى الله تعالى عنهم من دقة رجليه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل عبد الله فى الميزان اثقل من احد وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه رضيت
لامتى ما رضى لها ابن ام عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن ام عبد وقوله لرجل عبد الله فى الميزان يدل للقول بان الموزون
الانسان نفسه لا عمله وكان صلى الله عليه وسلم تكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه و
سلم وكان يمشى امامه صلى الله عليه وسلم ومعه وسترة اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا
جلس ادخلهما فى ذراعيه ولذلك كان مشهورا بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم بانه صاحب رسول الله صلى الله

عليه وسلم وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولو اتفق على انه اسلم حين احتلبنا الشاة لكن قول العلامة
ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين اسلم قديما بمكة لما نزل به صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما الى اخره يدل على انه اسلم
حينئذ ثم يؤثر عنه الدنيا كلها هموم فما كان منها من سرور فهو ربح والله اعلم وذكر في الاصل ان من السابقين ابي
ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما قال وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل ان القى النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله اتوجه حيث وجهني ربي فبلغنا ان رجلا خرج بمكة يزعم انه نبي فقلت لاخي انيس
انطلق الى هذا الرجل فكلمه وائتني بخبره فلما جاء انيس قلت له ما عندك فقال والله رايت رجلا يامر بخير وينهى عن الشر
وفي رواية رايتك على دينك يزعم ان الله ارسله ورايته يامر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن
ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفني حتى اذهب فانظر قال نعم ولكن على حذر من اهل مكة فحملت جرابا وعصا
ثم اقبلت حتى اتيت مكة فجعلت لا اعرفه وكرهت ان اسال عنه فمكثت في المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان طعام الا ماء زمزم
فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على بطني سخفة جوع والسخفة بالتحريك قيل خفة يجدها الانسان من الجوع ففي ليلة
لم يطف بالبيت احد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه فطافا بالبيت ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
قضى صلاته اتيته فقلت السلام عليك يا رسول الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فرايت الاستبشار في
وجهه ثم قال من الرجل قلت من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت هنا قلت كنت من ثلاثين بين ليلة ويوم ما قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لي
طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما اجد على بطني سخفة جوع قال مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم اي وجاء ماء زمزم لما شرب
له ان شربته لتشتفي شفاك الله وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته لتقطع ظماك قطعه الله وهي هزمة جبريل عليه
السلام وسقيا الله اسماعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء اية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون
من ماء زمزم وذكر ابو ذر اول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك التي هي تحية الاسلام هو اول من حيى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع صلى الله عليه وسلم ان لا ياخذه في الله لومة لائم وعلى ان يقول الحق
ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اظلت الخضراء اي السماء ولا اقلت الغبراء اي الارض اصدق من ابي ذر وقال
صلى الله عليه وسلم ابو ذر يمشي في الارض على زهد عيسى بن مريم وفي الحديث ابو ذر ازهد امتي واصدقها وقد هاجر ابو ذر
الى الشام بعد وفاة ابي بكر واستمر بها الى ان ولي عثمان فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية منه واسكنه الربذة فكان بها حتى
مات فان ابا ذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان لقيا ابا ذر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كان بدلالة علي رضي الله تعالى عنه وانه قال له ما اقدمك هذه البلد فقال له ابو ذر ان كتمت علي
اخبرتك وفي رواية ان اعطيتني عهدا وميثاقا ان ترشدني اخبرتك ففعل فقال ابو ذر فاخبرته فارشدني وفي رواية وارسلني
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمت وفي الامتاع ان عليا استضاف ابا ذر ثلاثة ايام لا يسأله عن شيء وهو لا يخبره
ثم في الثالثة قال له ما امرك وما اقدمك هذه البلدة قال له ان كتمت علي اخبرتك قال فاني افعل قال له بلغنا انه خرج هاهنا
رجل يزعم انه نبي فارسلت اخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فاردت ان القاه فقال له اما انك قد رشدت هذا وجهي
اي خروجي اليه فاتبعني ادخل حيث ادخل فان رايت احدا اخافه عليك قمت الى الحائط كاني اصلح نعلي وفي لفظ كاني
اريق الماء فامض انت قال ابو ذر فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض علي
الاسلام فعرضه علي فاسلمت مكاني الحديث وما تقدم من ما كان لي طعام الا ماء زمزم يبعد ان يكون علي رضي الله تعالى
عنه اضاف ابا ذر ولم ياكل عنده وكذا يبعده ما جاء ان ابا بكر قال يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة قال ابو ذر فانطلق

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وانطلقت معهما ففتح ابو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك اول
طعام اكلته الا ان يحمل الطعام على خصوص الزبيب ويمكن التوفيق بين الروايتين اي رواية دخوله على النبي صلى الله
عليه وسلم مع علي فاسلم ورواية اجتماعه به في الطواف فاسلم بان يكون ابو ذر دخل عليه اولا مع علي ثم لقيه في الطواف
يكون المراد حينئذ بالاسلام الثاني الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره في عدم اجتماعه به في المسجد مدة ثلاثين يوما
عدم خلو المطاف كما يرشد لذلك قوله ففي ليلة لم يطف بالبيت احد الى اخره والا فيبعد ان يكون صلى الله عليه وسلم
لم يدخل المسجد للطواف مدة ثلاثين يوما ويبعد هذا الجمع قوله صلى الله عليه وسلم له من الرجل الى اخره ثم قال صلى الله عليه
وسلم لابي ذر يا ابا ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فاخبرهم فاذا بلغك ظهورنا فاقبل فقلت والذي بعثك
بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال لعلك في اول الاسلام خامسا وفي رواية رابعا ولعل المراد من الاعراب فلا ينافي
ما ياتي في وصف خالد بن سعيد فلما اجتمعت قريش بالمسجد ناديت باعلى صوتي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابي فضربت لاموت وفي لفظ فمال علي اهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى
خررت مغشيا علي فاكب علي العباس ثم قال ويلكم الستم تعلمون انه من غفار وانه طريق تجارتكم عليهم فخلوا عني قال
فجئت زمزم فغسلت عني الدماء فلما اصبحت الغداة رجعت لمثل ذلك فصنع بي مثل ما صنع وادركني العباس وكان
مشركا الامس فخرجت واتيت انيسا فقال ما صنعت فقلت قد اسلمت وصدقت فقال ما لي رغبة عن دينك فاني
قد اسلمت وصدقت فاتينا امنا فقالت ما لي رغبة عن دينكما فاني اسلمت وصدقت ثم اتينا قومنا غفار فاسلم نصفهم وقال
نصفهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلمنا فلما جاء المدينة اسلم نصفهم الثاني اي لانه صلى الله
عليه وسلم قال لابي ذر قد وجهت لي ارض ذات نخل لا اراها الا يثرب فهل انت مبلغ قومك عسى الله ان ينفعهم بك و
يوجرك فيهم وجاءت اسلم القبيلة المعروفة فقالوا يا رسول الله نسلم على الذي اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وقد ذكر ان ابا ذر وقف يوما عند الكعبة اي في حجة حجها او عمرة اعتمرها
فاكتنفه الناس فقال لهم لو ان احدكم اراد سفرا اليس يتخذ زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة ابعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم
قالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظايم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور
وممن اسلم خالد بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه قيل كان حين اسلم رابعا وقيل ثالثا وقيل خامسا وهو اول
من اسلم من اخوته ويمكن ان يكون ذلك محمل قول ابنته ام خالد اول من اسلم ابي اي من اخوته وسبب اسلامه انه راى
في النوم النار وراى من سعتها واهوالها امرا مهولا وراى انه على شفيرها وان اباه يريد ان يلقيه فيها وراى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذ بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وقال احلف بالله ان هذه لرؤيا حق وعلم ان نجاته
من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى ابا بكر رضي الله تعالى عنه فذكر له ذلك فقال له اريد بك خير
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فاتاه فقال يا محمد ما تدعو قال ادعو الى الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله وتخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فاسلم خالد وفي الوفا عن ام خالد
بنت خالد بن سعيد انها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائما قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رايت كانه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينما هو كذلك اذ خرج نور من زمزم ثم علا في السماء فاضاء في البيت ثم اضاء
مكة كلها ثم تحول الى يثرب فاضاءها حتى اني لانظر الى البسر في النخل فاستيقظت فقصصتها على اخي عمرو بن سعيد وكان
جزل الراي فقال يا اخي ان هذا الامر يكون في بني عبد المطلب الا ترى انه خرج من حفر ابيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله

صلى الله عليه وسلم اى بعد بعثته فقال يا خالد والله ذلك النور وانا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فاسلم خالد وعلم
ابوه وهو سعيد ابو احيحة وكان من عظماء قريش كان اذا اعتم لا يعتم قرشى اعظاما له الى ان مات قال قيل القائل ابا احيحة من يعتم عمته يضرب
وان كان ذا مال وعدد وعند اسلام ولده ارسل فى طلبه فانتهره وضربه اى بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على راسه ثم قال اتبعت
محمدا وانت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب ابوه
وقال اذهب يا لكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت قال ان منعتنى فان الله يرزقنى ما اعيش به فاخرجه وقال
لبنيه ولم يكونوا اسلموا لا يكلمه احد منكم الا صنعت به ما صنعت به فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه و
يعيش معه ويغيب عن ابيه فى نواحى مكة حتى خرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة فى الهجرة الثانية فكان خالد اول
من هاجر اليها وذكر ان والده سعيدا مرض فقال لئن رفعنى الله من مرضى هذا لا يعبد اله ابن ابى كبشة بمكة ابدا فقال ابنه خالد
عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفى فى مرضه ذلك وخالد هذا اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم واسلم اخوه عمرو بن سعيد بن
العاص رضى الله تعالى عنه قيل وسبب اسلامه انه راى نورا خرج من زمزم اضاءت له منه نخل المدينة حتى راى البسر فيها فقص
رؤياه فقيل له هذه بئر بنى عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤيا وقعت لخالد
وكانت سبب اسلامه وانه قصها على اخيه عمرو والمذكور هنا من غلط بعض الرواة الا ان يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد
ولاخيه عمرو وانها كانت سببا لاسلامهما واسلم من بنى سعيد ايضا ابان والحكم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى وهو من السابقين للاسلام وصهيب كان ابوه عاملا لكسرى اغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير
فنشأ فى الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب جاءوا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم بعض اهل مكة اى وهو عبد الله
بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر
فقال له عمار بن ياسر اين تريد يا صهيب قال اريد ان ادخل الى محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وانا اريد ذلك فدخلا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وتلا عليهما القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده
يومهما ذلك حتى امسيا خرجا مستخفيين فدخل عمار على امه وابيه فسألاه اين كان فاخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام
وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن فى يومه ذلك فاعجبهما فاسلما على يده فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب
وكان اسلام صهيب وعمار رضى الله تعالى عنهما بعد بضع وثلاثين رجلا واسلم ايضا حصين والد عمران ابن حصين رضى
الله تعالى عنهما بعد اسلام ولده عمران وسبب اسلامه ان قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا
هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبى صلى الله عليه وسلم ودخل حصين
فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال اوسعوا للشيخ وعمران ولده فى الصحابة قال حصين ما هذا الذى بلغنا عنك
انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة فى الارض وواحدا فى السماء فقال فاذا اصابك
الضر من تدعو قال الذى فى السماء قال فاذا هلك المال من تدعو قال الذى فى السماء قال فيستجيب لك وحده وتشركهم معه
ارضيته فى الشرك يا حصين اسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى النبى صلى الله
عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما اسلم وفى حقه فدخلنى
من ذلك الرقة فلما اراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة
الباب اى عتبته رأته قريش فقالوا صبا وتفرقوا عنه

باب استخفائه صلى الله عليه وسلم واصحابه فى دار الارقم
بن ابى الارقم رضى الله تعالى عنهما ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام جهرة وكلام قريش لابى طالب فى ان يخلى بينهم

وبينه

وبينه وما لقى هو واصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة رضى الله تعالى عنه عن ابن اسحق ان مدة ما اخفى صلى الله عليه وسلم
امره اى الملة التى صار يدعو الناس اليها خفية بعد نزول يا ايها المدثر ثلاث سنين اى فكان من اسلم اذا اراد الصلاة يذهب الى
بعض الشعاب يستخفى بصلاته من المشركين اى كما تقدم فبينما سعد بن ابى وقاص فى نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد
بن ابى وقاص رجلا منهم بلحى بعير فشجه فهو اول دم هريق فى الاسلام ثم دخل صلى الله عليه وسلم هو واصحابه مستخفين
فى دار الارقم اى بعد هذه الواقعة فان جماعة اسلموا قبل دخوله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ودار الارقم
هى المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا اشتراها الخليفة المنصور واعطاها ولده المهدى ثم اعطاها المهدى
للخيزران ام ولديه موسى الهادى وهارون الرشيد ولا نعرف امرأة ولدت خليفتين الا هذه وولادة جارية عبد الملك
بن مروان فانها ام الوليد وسليمان وقد روت الخيزران عن زوجها المهدى عن ابيه عن جده عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله وقاه الله كل شىء فكان صلى الله عليه وسلم يقيم الصلاة بدار
الارقم ويعبدون الله تعالى فيها الى ان امره الله تعالى باظهار الدين اى هذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم اقام
مستخفيا واصحابه فى دار الارقم الى ان اظهر الدعوة واعلن صلى الله عليه وسلم فى السنة الرابعة اى وقيل مدة استخفائه صلى الله
عليه وسلم فى الخامسة وقيل انه مكث فى تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون وقد يقال الاقامة شهرا مخصوصة بالعدد
المذكور فلا منافاة واعلانه صلى الله عليه وسلم كان فى الرابعة او الخامسة بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
وبقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اى اظهر ما تؤمر به من الشرائع وادع الى الله
تعالى ولا تبال بالمشركين وخوف عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب اى وبنو عبد شمس وبنو نوفل اولاد
عبد المطلب بل قبل ما يأتى قال بعضهم آية فاصدع بما تؤمر اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها واحكامها وحلالها وحرامها
وقال بعضهم انما عبر بالصدع لغلبة الرحمة عليه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم انه لما نزلت عليه صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين مكث شهرا او نحوه جالسا فى بيته حتى ظن عماته انه شاك اى مريض فدخلن عليه
عائدات فقال صلى الله عليه وسلم ما اشتكيت شيئا لكن الله امرنى بقوله وانذر عشيرتك الاقربين فاريد ان اجمع
بنى عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى قلن فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنين عمه ابا لهب فانه غير مجيبك الى ما
تدعوه اليه وخرجن من عنده صلى الله عليه وسلم اى وكنى عبد العزى بابى لهب لجمال وجهه ونضارته لونه كان وجهه
ووجنتاه كلهب النار اى خلافا لما زعم بعضهم ان ولده عقيرا الاسد كان اسمه لهبا قال فى الاتقان ليس فى القرآن
من الكنى غير ابى لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى اى الصنم لانه حرام شرعا هذا كلامه وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله
وفى كلام بعضهم ما يفيد ان الاستعمال حرام ايضا الا ان يشتهر بذلك كما فى الاوصاف المنقصة كالاعمش وفى كلام القاضى
وانما كناه والكنية تكرمة اى بالعدول عن الاسم اليها لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى الذى هو الصنم فاستكره
ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار وكانت الكنية اوفق بحاله فى الاخرة فهى كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال هذا يخالف
قولهم ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الا لخوف فتنة او تعريف لان ذلك خاص بالكنية التى تفيد المدح لا الذم ولم
يشتهر بها صاحبها قال فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بنى عبد المطلب فحضروا وكان فيهم ابو لهب فلما
اخبرهم بما انزل الله عليه اسمعه ما يكره قال تبا لك ألهذا جمعتنا اى واخذ حجرا ليرميه به وقال له ما رأيت احدا جاء
بنى ابيه وقومه باشر مما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فى ذلك المجلس

وفي الامتاع ان ابا لهب ظن ان النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان ينزع عما يكرهون الى ما يحبون فقال له هؤلاء عمومتك وبنو عمك
فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم انه ليس لقومك بالعرب طاقة واني احق من اخذك وحسبك اسوتك وبنو ابيك ان
اقمت على امرك فهو ايسر عليك من ان يثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن اخي احدا قط جاء بني ابيه وقومه بشر مما
جئتهم به وعند ذلك انزل الله تعالى تبت اي خسرت وهلكت يدا ابي لهب اي خسرت وهلكت بجملته اي والمراد جملته عبر عنها
باليدين مجازا والمراد به الدعاء وبالثاني الخبر على حد قولهم اهلكه الله وقد هلك اي وقد كان لما قال ابو لهب عند نزول تبت يدا
ابي لهب وتب ان كان ما يقوله محمد حقا افتديت منه بمالي وولدي نزل ما اغنى عنه ماله وما كسب اي ولده لان الولد
من كسب ابيه اي وفي رواية وهو في الصحيحين انه دعا قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي انقذوا انفسكم
من النار يا بني مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار اي وبه انه انما امر بالانذار لعشيرته الاقربين ثم قال صلى الله عليه وسلم
يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة
انقذي نفسك من النار يا صفية عمة محمد انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكم من الله شيئا وفي لفظ لا املك لكم من الدنيا
منفعة ولا من الاخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله اي لا ينفعوا على كفركم الا ان لكم رحما سابلها ببلالها اي صلها بالدعاء اي والبلال بالفتح كقطام ما يبل الحلق او
الاعمال وترك الاتكال غير ان لكم رحما سابلها ببلالها اي اصلها بالدعاء اي والبلال بالفتح كقطام ما يبل الحلق او
اللبن ويلدها اذا وصلها وبلوا ارحامكم نديها بالصلة وفي الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها الى وقد ذكر امتنا خابط
الصلة وفي تخصيصه صلى الله عليه وسلم فاطمة من بين بناته مع انها اصغرهن وقيل اصغرهن رقية وتخصيصه صلى الله عليه
وسلم صفية من بين عماته حكمة لا تخفى ومن الغريب ما في الكشاف من زيادة يا عائشة بنت ابي بكر يا حفصة بنت عمر وهذه
اذ ذكر عائشة وحفصة بل وفاطمة هذا من غلط بعض الرواة وان هذا ذكره صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فذكره بعض الرواة
هنا فان المراد بالانقاذ من النار الاتيان بالاسلام بدليل قوله صلى الله عليه وسلم الا ان المراد تقولوا لا اله الا الله مع انه
تقدم ان بناته عليه الصلوة والسلام لم يكن كفارا اصليا ثم مكث صلى الله عليه وسلم اياما ونزل عليه جبريل عليه السلام وامره
بامضاء امر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب اهله والله لو كذبت الناس
جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله
لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها الجنة ابدا
والنار ابدا والله يا بني عبد المطلب ما اعلم شابا جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بامر الدنيا والاخرة فتكلم القوم
كلاما لينا غير ابي لهب فانه قال يا بني عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل ان ياخذ على يديه غيركم فان
اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له اخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله تعالى
عنها اي اخي ايحسن بك خذلان ابن اخيك فوالله ما زال العلماء يخبرون انه يخرج من ضئضئ اي اصل عبد المطلب نبي فهو
هو هذا والله الباطل والاماني وكلام النساء في الحجال اذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قوتنا بهم فوالله ما
نحن عندهم الا اكلة رأس فقال ابو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على
الصفا وقال ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح بالنون والحاء المهملة اي اصل وفي لفظ سفح بالفاء والحاء المهملة هذا
الجبل تريد ان تغير عليكم اكنتم تكذبوني قالوا ما جربنا عليك كذبا فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني
لا اغني عنكم من الله شيئا اني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد انتهى اي وفي لفظ انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راى
العدو فانطلق يريد اهله فخشي ان يسبقوه الى اهله فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه اتيتم اتيتم ومن امثاله صلى الله

عليه وسلم انا النذير العريان اي الذي ظهر صدقه من قولهم عري الامر اذا ظهر وقولهم الحق عار اي ظاهر وقيل الذي جرده
العدو فبقي عريانا ينذر بالعدو وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما انه حفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل
واختلفت الروايات في محل قوله في رواية وقف على الصفا كما تقدم وفي رواية وقف على اصم من جبل فعلى اعلاها حجرا فهتف
يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فالرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا الحديث وفي رواية
صاح على ابي قبيس يا آل عبد مناف اني نذير فدعوا انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين جمع بني عبد المطلب فدعا ابو طالب
وهم اربعون رجلا وامرأتان فصنع لهم علي طعاما اي شاة مع مد من البر وصاعا من لبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا باسم الله فاكلوا
حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا وفي رواية حتى رووا وفي رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول العقب
الذي فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم ياكل الجذعة وفي رواية يشرب العس من الشراب في مقعد واحد فقهرهم ذلك فلما
اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم وفي رواية محمد وفي رواية ما رأينا
كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام
والشراب قال علي ففعلت ثم جمعتهم له صلى الله عليه وسلم فاكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا ثم قال لهم يا بني عبد المطلب ان الله
قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وانذر عشيرتك الاقربين وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين
في الميزان شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الامر ويوازرني اي يعاونني على القيام به قال علي انا يا رسول الله
وانا احدثهم سنا وسكت القوم ثانيا فصمتوا فقام علي وقال انا يا رسول الله فقال اجلس ثم اعاد القول على القوم ثالثا
فلم يجبه احد منهم فقام علي فقال انا يا رسول الله فقال اجلس فانت اخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي
قال الامام ابو العباس ابن تيمية اي في الزيادة المذكورة انها كذب وحديث موضوع من له ادنى معرفة في الحديث
يعلم ذلك وقد رواه اي الحديث مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي باسناد فيه ابو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه
وقال احمد انه ليس بثقة عامة احاديثه بواطيل وقال ابن المديني كان يضع الحديث وفي رواية عن علي رضي الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر خديجة فصنعت لي طعاما ثم قال لي ادع لي بني عبد المطلب فدعوت اربعين
رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز ان يكون علي فعل ذلك عند خديجة وجاءت به الى بيت ابي طالب ولعل
جميع هذا كان شاغلا عن جمعهم مع غيرهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق فعل ذلك حرصا على اسلام اهل بيته فلما
دعا قومه لم يردوا عليه ولم يعيبوه اي وفي رواية صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان صلى الله عليه وسلم
اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دابهم حتى عاب الهتهم اي وسفه
عقولهم وضلل اباهم اي حتى انه مر عليهم يوما وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم
ملة ابيكم ابراهيم فقالوا انما نعبد الاصنام حبا لله لتقربنا الى الله فانزل الله تعالى عليه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله فتناكروه واجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم وجاؤوا الى ابي طالب وقالوا يا ابا طالب ان
ابن اخيك قد سب الهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا اي عقولنا ونسبنا الى قلة العقل وضلل اباءنا فاما ان تكفه
عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم ابو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا
عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شيء والى ذلك اشار صاحب
الهمزية رحمه الله تعالى بقوله .... ثم قام النبي يدعو الى الله، وفي الكفر شدة واباء ....
.... انما اشربت قلوبهم الكفر، فداء الضلال فيهم عياء .... اي ثم قام صلى الله عليه وسلم يدعو اجابة قومه

الى الله تعالى بان يقولوا لا اله الا الله حسما امر فقد جاء ان جبريل عليه السلام بشر النبي صلى الله عليه وسلم في احسن
صورة واطيب رائحة وقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى
قول لا اله الا الله فدعاهم والحال ان في اهل الكفر قوة ثابتة وامتناعا على اتباعه اختلط الكفر بقلوبهم وتمكن
فيها حبه حتى صاروا لا يقبلون غيره وبسبب ذلك صادوا الضلال اى داموا الضلال فيهم فضلال يقينا الا قليلا او انهم
وحصول امرهم ثم شرى الامر بالشين المعجمة وكسر الراء وفتح المثناة تحت كثر وتزايد وانتشر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال
وتضاغنوا اى اضمروا العداوة والحقد واكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وتذامروا عليه بالذال المعجمة
وحض اى حث بعضهم بعضا عليه اى على حربه وعداوته ومقاطعته ثم انهم مشوا الى ابى طالب مرة اخرى فقالوا يا ابا طالب ان لك
سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهى ابن اخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم ابائنا وتسفيه
احلامنا اى عقولنا وعيب الهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على ابى طالب
فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بان يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخي ان قومك قد جاءوني فقالوا
كذا وكذا فابق على وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا اطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عمه خاذله وانه ضعف عن نصرته
والقيام معه فقال له يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى او اهلك
فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اى حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه
ابو طالب فقال اقبل يا ابن اخي فاقبل عليه فقال اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت فوالله لا اسلمك وانشد ابياتا منها والله لن
يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا وحكمة تخصيص الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لان
الشمس النير الاعظم واليمين اليق به والقمر النير المحو واليسار اليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به
نور يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ومن غريب التعبير ان رجلا كان عاملا لسيدنا عمر رضي الله
تعالى عنه رايت في المنام كان الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال له عمر مع ايهما كنت قال مع القمر قال كنت
مع الاية الممحوة اذهب فلا تعمل لي عملا فاتفق ان هذا الرجل كان مع معاوية يوم صفين وقتل ذلك اليوم فلما عرفت قريش
ان ابا طالب قد ابى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا ابا طالب هذا
عمارة بن الوليد بن المغيرة انهد اى اشد اقوى فتى في قريش واجمله فخذه فلك ولده اي بان تتبناه واسلم الينا ابن اخيك
هذا الذي خالف دينك ودين ابائك وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل فقال لهم ابو طالب والله
لبئس ما تسومونني اتعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون ابدا اي حقا ارايتم ناقة تحن الى غير فصيلها
قال المطعم بن عدي والله يا ابا طالب تريد ان تقبل منهم شيئا فقال له ابو طالب والله ما انصفوني ولكن قد اجمعت اى قصدت خذلاني
ومظاهرة القوم اي معاونتهم على فاصنع ما بدا لك فقد مات عمارة بن الوليد هذا على كفره بارض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار في
البراري والقفار كما سياتي ومات المطعم بن عدي المذكور على كفره ايضا فعند علم بقول ابي طالب ما اوردوه اشتد الامر فلما راى ابو
قريش ما راى دعى بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجابوه الى
ذلك غير ابي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من امن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى من اسلم معه فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عمه العباس رضي الله
تعالى عنه قال كنت يوما في المسجد فاقبل ابو جهل فقال لله على ان رايت محمدا ساجدا ان اطأ عنقه فخرجت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ابي جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم من الحائط

وقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ شان ابي جهل كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى ان
بلغ اخر السورة سجد فقال انسان لابي جهل يا ابا الحكم هذا محمد قد سجد فاقبل ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال ابو جهل
الا ترون ما ارى لقد سد افق السماء علي وفي رواية رايت بيني وبينه خندقا من نار وسياتي ان قوله تعالى ارايت الذي
ينهى عبدا اذا صلى الى اخر السورة نزلت في ابي جهل ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكر ان ابا جهل بن هشام قال يوما
لقريش يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون من عيب دينكم وشتم الهتكم وتسفيه احلامكم وسب ابائكم اني اعاهد الله
لاجلسن له يعني النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا اطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني
فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء ابدا فامض لما تريد فلما اصبح ابو جهل اخذ حجرا كما وصف ثم
جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة اى وكانت
قبلته صلى الله عليه وسلم الى الشام اى صخرة بيت المقدس فكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه
وبين الشام على ما تقدم وقريش جلوس في انديتهم وهم ينتظرون ما ابو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتمل ابو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه اى متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع وقد
يبست يداه على حجره حتى قذف من يده اي بعد ان عالجوا انكره من يده فلم يقدروا كما سياتي وقامت اليه رجال من قريش
فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل والله ما رايت مثل
هامته قط هم بي ان ياكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لاخذه والى ذلك
اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله ...... وابو جهل اذ راى عنق الفحل اليه كانه العنقاء اى وابو جهل الذي هو اشد
الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ان هم ان يلقي الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ابصر عنق الفحل
وقد برزت اليه كانه الداهية العظيمة اى فرجع عند ذلك الوقت بذلك الحجر اى وفي رواية ان ابا جهل قال رايت بيني
وبينه لخندقا من نار ولا مانع ان يكون وجد الامرين معا وذكر في سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
فهي الى الاذقان فهم مقمحون اي انا جعلنا ايديهم مغلولة باعناقهم واصلة الى اذقانهم ملصقة بها رافعون رؤسهم لا
يستطيعون خفضها مع غض البصر وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ان
الاية الاولى نزلت في ابي جهل لما حمل الحجر ليرضخ به راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد يبست يداه الى عنقه
ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه اخبرهم فلم يمكنوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والاية الثانية نزلت في اخر لما
راى ما وقع لابي جهل قال انا القي هذا الحجر عليه فذهب اليه صلى الله عليه وسلم فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع
صوته ولا يراه فرجع اليهم فاخبرهم بذلك وعن الحكم بن ابي العاص ابي مروان بن الحكم ان ابنته قالت له ما رايت
قوما كانوا اسوء رايا واعجز في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني امية فقال لها لا تلومينا يا بنية اني لا
احدثك الا ما رايت لقد اجمعنا ليلة على اغتياله صلى الله عليه وسلم فلما رايناه يصلي ليلا جئنا خلفه فسمعنا صوتا
فظننا انه ما بقي بتهامة جبل الا تفتت علينا اى ظننا انه تفتت وانه يقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته صلى الله عليه
وسلم ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فلما جاء نهضنا اليه فرايت الصفا والمروة التصقت احدهما على الاخرى فحالت
بيننا وبينه وفيما قيل هذا لان صلاته صلى الله عليه وسلم انما تكون عند الكعبة وليست بين الصفا والمروة وفي رواية
كان النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فانزل الله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى
اخر السورة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته تدرؤه ابو جهل اي انتهره وقال انك لتعلم ما بها ناد

اكثر منى فانزل الله تعالى فليدع نادية سندع الزبانية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو دعى نادية لاخذته زبانية الله
اى فقال يوما وقد لقى النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم لقد علمت انى امنع اهل البطحا وانا
العزيز الكريم فانزل الله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم كذا قال الواحدى اى تقول له الزبانية عند العذاب فى النار
ما ذكر توبيخا له ومن ذلك ما حدث به بعضهم فقال لما انزل الله تعالى سورة تبت يدا ابى لهب جاءت امراة ابى لهب وهى
ام جميل واسمها العوراء وقيل اسمها اروى بنت حرب اخت ابى سفيان بن حرب ولها ولولة وفى يدها فهر اى بكسر الفاء وسكون
الهاء حجر يملأ الكف عن طول يدق به الهاون الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضى الله تعالى عنه فلما رآها قال
يا رسول الله انها امراة بذية تاتى بالفحش من القول فلو قمت لئلا توذيك فقال صلى الله عليه وسلم انها لن ترانى فجاءت فقالت
يا ابا بكر صاحبك هجانا اى وفى لفظ ما شان صاحبك ينشد فى الشعر قال لا وما يقول الشعر اى يشبهه وفى لفظ لا ورب هذا البيت
ما هجاك والله ما هو بشاعر وما يدرى ما الشعر اى لا يحسن انشاده قالت انك عندى لمصدق وانصرفت اى وهى تقول قد علمت
قريش انى بنت سيدها اى يعنى عبد مناف جد ابيها ومن كان جده سيدا فاباه لا ينبغى لاحد ان يتجاسر على ذمه قلت يا رسول الله
لم ترك قال لم يزل ملك يسترنى بجناحيه اى فقد جاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر قل لها هل ترين عندى احدا فسالها ابو بكر
فقالت اتهزء بى والله ما ارى عندك احدا اقول وفى الامتاع انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه
ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وفى يدها فهر فلما وقفت على النبى صلى الله عليه وسلم اخذ الله على بصرها فلم تره
ورأت ابا بكر وعمر فاقبلت على ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقالت اين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغنى انه
هجانى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فمه فقال عمر رضى الله تعالى عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت انى لا اكلمك
يا ابن الخطاب اى لما تعلم من شدته ثم اقبلت على ابى بكر لما تعلم من تواضعه ولينه فقالت والثواقب اى النجوم انه لشاعر
وانى لشاعرة اى وكما هجانى لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لم تراك فقال انها لن ترانى جعل
بينى وبينها حجابا اى لانه قرا قرانا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة
حجابا مستورا وفى رواية اقبلت ومعها فهر وهى تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا فقالت اين الذى هجانى
وهجا زوجى والله لئن رايته لاضربن انثييه بهذين الفهرين قال ابو بكر فقلت لها يا ام جميل والله ما هجاك ولا هجا
زوجك قالت والله ما انت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم تراك فقال
النبى صلى الله عليه وسلم حال بينى وبينها جبريل عليه السلام ولعل حجبها قد تكرر فلا منافاة بين ما ذكر وكذا ما ياتى
وكما يقال فى الحمد محمد يقال فى الذم مذمم لانه انما يقال ذلك لمن ذم مرة بعد اخرى كما ان محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد اخرى
كما تقدم وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الا تعجبون كيف يصرف الله تعالى عنى شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون
مذمما وانا محمد وفى الدر المنثور انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى الملا فقالت يا محمد علام تهجونى قال انى
والله ما هجوتك ما هجاك الا الله قالت هل رايتنى احمل حطبا او رايت فى جيدى حبلا من مسد وهذا ربما يؤيد ما قال بعض المفسرين
ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على اى ينم لانها كانت تمشى بين الناس بالنميمة وتغرى زوجها وغيره بعداوته
صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه احاديث لتحثهم بها على عداوته وان الحبل عبارة عن الحبل من نار كما روى
عن عروة بن الزبير مسد النار السلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله اعلم والى ذلك اشار صاحب الهمزية
رحمه الله تعالى بقوله ...... واعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كانها الورقاء ...... ثم جاءت غضبى تقول
أفى مثلى من احمد يقال الهجاء ...... وتولت وما رأته ومن اين ترى الشمس مقلة عمياء ...... اى وجاءت

حمالة

حمالة الحطب الفهر ولقبت بذلك لانها كانت تحتطب اى تجمع الحطب وتعطيه لبخلها ودناءة نفسها او كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه
فى طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف الثلاثة لكن استفهامها يبعد الوصفين الاخيرين والفهر الحجر
الذى يملأ الكف كما تقدم لتضرب به النبى صلى الله عليه وسلم والحال انها جاءت فى غاية السرعة والعجلة كانها فى شدة السرعة
الحمامة الشديدة الاسراع حالة كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها فى سورة تبت يدا ابى لهب تقول افى مثلى وانا بنت
سيد بنى مخزوم يقال الهجاء والسب حالة كونه من احمد وتولت والحال انها ما رأته وكيف ترى الشمس عين عمياء اقول فى ينبوع
الحياة انها لما بلغها سورة تبت يدا ابى لهب جاءت الى اخيها ابى سفيان فى بيته وهى مضطربة اى متحرقة غضبى فقالت
له ويحك يا احمس اى شجاع اما تغضب ان هجانى محمد فقال ساكفيك اياه ثم اخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت هل قتلته فقال لها يا اخية ايسرك
ان راس اخيك فى فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كان ذلك يكون الساعة انى رأيت ثعبانا لو قربت منه لالتقم راسى ولما نزلت
هذه السورة اى سورة تبت يدا ابى لهب قال ابو لهب لابنه عتبة اى بالتكبير رضى الله تعالى عنه فانه اسلم يوم الفتح كما ياتى راسى من راسك
حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعنى رقية رضى الله تعالى عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها ووقع فى كلام بعضهم طلقها لما
اسلم فليتامل وكان اخوه عتيبة بالتصغير متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم ام كلثوم ولم يدخل بها فقال اى وقد اراد الذهاب
الى الشام لآتين محمدا فلاوذينه فى ربه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اى وفى لفظ برب النجم اذا هوى وبالذى دنى
فتدلى ثم بصق فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفى
رواية اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها ابو طالب وقال ما كان اغناك يا ابن اخى عن هذه الدعوة
فرجع عتيبة الى ابيه ابى لهب فاخبره بذلك ثم خرج هو وابوه الى الشام فى جماعة فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من دير فقال
لهم ان هذه الارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم سنى وحقى فقالوا اجل يا ابا لهب فقال اعينونا يا معاشر قريش
هذه الليلة فانى اخاف على ابنى دعوة محمد فاجمعوا امتعتكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابنى عليها ثم افرشوا حولها ففعلوا ثم جمعوا جمالهم
واناخوها حولهم واحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفى رواية فضغم راسه وفى رواية ثنى ذنبه
ووثب فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال قتلنى ومات مكانه وفى رواية فضغمه ضغمة كانت اياها فقال وهو باخر رمق الم اقل لكم
ان محمدا اصدق الناس لهجة ومات فقال ابوه قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد اقول وحلفه بالنجم اذا هوى يدل
على ان ذلك كان بعد الاسراء والمعراج ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق وقيل هذا فلان ينشد الناس هجاكم يعنى اهل البيت
بالكوفة فقال لذلك القائل هل علقت من قوله بشئ قال نعم فانشد بقوله ...... صلبنا لكم زيدا على راس نخلة ولم ار مهديا
على الجذع يصلب ...... وقستم بعثمان عليا سفاهة وعثمان خير من على واطيب ...... فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال اللهم
ان كان كاذبا فسلط عليه كلبا من كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الاسد وسمى الاسد كلبا لانه يشبه الكلب فى انه اذا بال رفع رجله ومن ثم
قيل ان كلب الكهف كان اسدا وقيل كان رجلا منهم جلس عند الباب طليعة لهم فسمى باسم الكلب لملازمته لهم اى وضعف ببسط
الذراعين لان ذلك من صفة الكلب الذى هو الحيوان وقد جاء اشتمال الجنة من الحيوان الا على كلب اهل الكهف وحمار
العزير وناقة صالح والله اعلم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به ابن مسعود رضى الله تعالى عنه
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو يصلى وقد نحر جزور وبقى فرثه اى روثه فى كرشه فقال
ابو جهل الا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد وفى رواية قال قائل الا تنظرون الى هذا المرائى ايكم يقوم
الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجئ به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفى رواية ايكم ياخذ
سلا جزور بنى فلان لجزور ذبحت من يومين او ثلاث فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام شخص من المشركين وفى لفظ اشقى

القوم وهو عقبة بن ابي معيط وجاء بذلك الفرث فالقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد اي فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض
اي من شدة الضحك قال ابن مسعود وقمت انا اي خفت ان تلقيه عنه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ وانا قائم انظر لو كانت لي منعة لطرحته
عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها اي بعد ان ذهب اليها انسان واخبرها بذلك واستمر
صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واستمراره في الصلوة عند فعلهم ذلك لعدم علمه بنجاسة ما القي عليه ولما القته عنه
اقبلت عليهم تشتمهم فقام صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلي اللهم اشدد وطأتك اي عقابك الشديد على
مضر سنين كسني يوسف اللهم عليك بابي الحكم بن هشام يعني ابا جهل وعتبة بن ربيعة وعقبة بن ابي معيط وامية بن خلف زاد
بعضهم وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة بالمثناة فوق لا بالقاف كما وقع في رواية لمسلم فقد اتفق العلماء على انه غلط لانه لم يكن
ذلك الوقت موجودا وكان صغيرا جدا وعمارة بن الوليد اي وهو المتقدم ذكره الذي ارادوا ان يجعلوه عوضا عنه صلى الله عليه وسلم
اقول والذي في المواهب فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثا ثم
قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الضحك وهابوا دعوته
ثم قال اللهم عليك بابي جهل بن هشام الحديث وان ابن مسعود قال والله لقد رايتهم وفي رواية رايت الذين سمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر واعترض بان عمارة بن الوليد مات بالحبشة كما تقدم
ويأتي وبان عقبة بن ابي معيط لم يقتل ببدر وانما اخذ اسيرا منها وقتل بعرق الظبية كما سيأتي وبان امية بن خلف
لم يطرح بالقليب واجيب بان قول ابن مسعود رايتهم اي رايت اكثرهم وقد يقال لا مانع ان يكون صلى الله عليه وسلم اتى
بهذا الدعاء وهو قائم يصلي وبعد الفراغ من الصلوة فلا منافاة والله اعلم والمراد بسني يوسف تخفيفا لياء ويجوز سنين باثبات
النون مع الاضافة القحط والجدب اي فاستجاب الله دعاءه فاصابتهم سنة فاكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز وهو
الوبر والدم اي يخلط الدم باوبار الابل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع
دعاه صلى الله عليه وسلم جمع من المشركين فيهم ابو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم انك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله
لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا
علينا فانحدرت السحابة وجاء انهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اي لا نعود لما كنا عليه فلما كشف عنهم ذلك عادوا اي
وفيه ان هذا انما كان بعد الهجرة فسياتي انه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع راسه من ركوع الركعة الثانية من صلوة
الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين
من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة
الاخيرة من صلوة العشاء وسياتي ما فيه وقد يقال لا مانع ان يكون حصل لهم ذلك قبل الهجرة وبعد الهجرة مرة اخرى وسياق الكلام
عليها ثم رايت في الخصائص الكبرى ما يوافق ذلك حيث قال قال البيهقي في قصة ابي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة
ولعله كان مرتين اي وسياتي في السرايا ان ثمامة لما منع عن قريش الميرة اي ما ياتي من اليمن حصل لهم مثل ذلك وكتبوا
في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري لما استعصت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم
بسنين كسني يوسف فحبست السماء سبعا لا تمطر وفي رواية فيه ايضا لما ابطؤوا على النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام
قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابتهم سنة حصت كل شيء الحديث وفي رواية اللهم اعني عليهم
بسبع سنين كسبع يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة
الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم فاتى ابو سفيان

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فاستسقى صلى الله عليه وسلم فقال
تسقوا فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم بدر
ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف
بالبيت ويده في يد ابي بكر وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن ابي معيط وابو جهل بن هشام وامية بن خلف
فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلما حاذاهم اسمعوه بعض ما يكره فعرفت ذلك في وجه النبي صلى الله
عليه وسلم فدنوت منه حتى وسطته اي جعلته وسطا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين ابي بكر
وادخل اصابعه في اصابعي وطفنا جميعا فلما حاذاهم قال ابو جهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وانت تنهى
ان نعبد ما كان يعبد اباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط
الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع ناهضوه اي قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب ابو جهل
يريد ان ياخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعته في صدره فوقع على استه ودفع ابو بكر امية بن خلف ودفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال اما والله
لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه ان ينزل عليكم عاجلا قال عثمان فوالله ما منهم رجل الا وقد اخذته الرعدة فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم انتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم اقبل علينا بوجهه
فقال ابشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله على ايديكم عاجلا
ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بايدينا يوم بدر اي يوم بدر اقول ولا يخالف ذلك كون عقبة بن ابي معيط حمل اسيرا من بدر
وقتل بعرق الظبية مرجعهم راجعون من بدر لان عثمان بن عفان لم يحضر بدرا والله اعلم وفي رواية ان عقبة بن ابي معيط
وطئ على رقبته صلى الله عليه وسلم الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان اي وفي رواية دخل عقبة بن ابي معيط الحجر فوجده
صلى الله عليه وسلم يصلي فيه فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر رضي الله تعالى عنه حتى اخذ بمنكبه
ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم اي وفي البخاري
عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر رضي الله تعالى عنه فاخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث ولعل اشد بذلك باعتبار ما بلغ عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما او ما رواه وعنه رضي الله تعالى
عنه قال ما رايت قريشا اصابت من عداوة احد ما اصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد
اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صبرنا على امر كصبرنا على هذا الرجل قط ولقد سفه احلامنا
وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا لقد صبرنا منه على امر عظيم فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر بهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثانية
فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فلمزوه فوقف عليهم وقال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده
لقد جئتكم بالذبح فاخذت القوم كلمته صلى الله عليه وسلم تلك وما بقي رجل منهم الا كانما على راسه طائر واقع حتى صاروا يقولون يا
ابا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم
وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه

وبثيابه رجل واحد مما طافوا به وهم يقولون انت الذي تقول كذا وكذا يعني عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم انا الذي اقول ذلك فاخذ
رجل منهم بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر دونه وهو يبكي ويقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فانطلقوا عنه
ووقعت الهيبة في قلوبهم فانصرفوا عنه فتلك اشد ما رايتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية الست تقول
في آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به باجمعهم فاتى الصريخ الى ابي بكر فقيل له ادرك صاحبك فخرج ابو بكر حتى دخل المسجد
فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على ابي بكر يضربونه قالت بنته اسماء فرجع الينا
فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا اجابه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام وجاء انهم جذبوا راسه صلى الله
عليه وسلم ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اي وهو
يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا ابا بكر فو الذي نفسي بيده اني بعثت اليهم بالذبح ففرجوا عنه
صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضي الله عنها قالت اجتمع مشركو قريش في الحجر فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل واحد
منا ضربة فسمعت فدخلت على ابي فذكرت ذلك له اي قالت له وهي تبكي تركت الملا من قريش قد تعاقدوا في
الحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة واساف ونائلة اذا هم راوك يقومون اليك فيضربونك باسيافهم فيقتلونك
فقال صلى الله عليه وسلم يا بنية اسكتي وفي لفظ لا تبكي ثم خرج صلى الله عليه وسلم اي بعد ان توضأ فدخل عليهم
المسجد فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا فاخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما اصاب رجلا منهم
الا قتل يوم بدر اي وكانوا اعداءه صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابو لهب والحكم بن ابي العاص بن امية والد مروان
وعقبة بن ابي معيط فكانوا يطرحون عليه صلى الله عليه وسلم الاذى فاذا طرحوه اخذه وخرج به ووقف على
بابه ويقول يا بني عبد مناف اي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق ولم يسلم ممن ذكر الا الحكم وكان اسلامه في شيء وتقدم
انه صلى الله عليه وسلم نفاه الى وج الطائف وانه سيأتي المتسبب في نفيه واشار صاحب الهمزية الى ان هذه الاذية له صلى الله
عليه وسلم لا يظن ظان انها منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هي رفعة له ودليل على فخامة قدره وعلو رتبته وعظيم رفعته و
مكانته عند ربه لكثرة صبره وحلمه واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه
وسلم اشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين عليهم الصلوة والسلام بقوله لا تخل
جانب النبي مضاما حين مسته منهم الاسواء كل امر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء لو يمس النضار هون من
النار لما اختير للنضار الصلاء اي لا تظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم وقت مسته الاذيات حالة
كونها صادرة منهم لان كل امر من الامور العظيمة اصاب النبيين فالشدة التي تحصل لهم منه محمودة لانها الرفع الاعلى
والعقبة التي تحصل لهم ايضا محمودة لا تظن كان يمس الذهب هوان ادخاله النار ولما اختير له العرض على النار فالانبياء عليهم
الصلوة والسلام كالذهب والشدائد التي تصيبهم كالنار التي يعرض عليها الذهب فان ذلك لا يزيد الذهب الا حسنا
فكذا الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة قال ومما وقع لابي بكر رضي الله تعالى عنه من الاذية ما ذكر بعضهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله تعالى ومن معه من اصحابه فيها سرا اي كما تقدم وكانوا
ثمانية وثلاثين رجلا الح ابو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور اي الخروج الى فقال
يا ابا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه الى المسجد وقام ابو بكر في الناس
خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو خطيب دعا الى الله تعالى وثار المشركون

على

على ابي بكر وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ ابو بكر بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة
يضرب ابا بكر بنعلين مخصوفتين اي مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف انفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فاجلت
المشركين عن ابي بكر وحملوه في ثوب الى ان ادخلوه ولا يشكون في موته اي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات ابو بكر
لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى ابي بكر وصار والده ابو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان اخر النهار تكلم وقال ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت امه والله ما لي علم بصاحبك فقال اذهبي الى ام جميل
بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب اي فانها كانت اسلمت رضي الله تعالى عنها كما تقدم وهي تخفي اسلامها فاسأليها عنه
فخرجت اليها فقالت ان ابا بكر سأل عن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا اعرف محمدا ولا ابا بكر ثم قالت
اتريدين ان اخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى ان جاءت الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان
قوما نالوا هذا منك لاهل فسق واني لارجو ان ينتقم الله منهم فقال لها ابو بكر ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له
هذه امك تسمع قال فلا عين عليك منها اي لا تخشي منها قالت سالم قال فاين هو قالت في دار الارقم فقال والله لا اذوق
طعاما ولا اشرب شرابا او اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت امه فامهلناه حتى اذا هدات الرجل وسكن الناس خرجنا
به يتكئ علي حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة واكب عليه يقبله واكب عليه المسلمون كذلك فقال
بابي انت يا رسول الله ما بي من باس الا ما نال الناس من وجهي وهذه امي برة بولدها فعسى الله ان يستنقذها بك من النار
فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فاسلمت انتهى هذا وذكر الزمخشري في كتابه خصائص العشرة
ان هذه الواقعة بعيد ومما وقع لابن مسعود رضي الله تعالى عنه من الاذية ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش القرآن جهرا الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن رجل يسمعهم القرآن جهرا فقال
عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه انا فقالوا انا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعوني فان الله
يمنعني منهم ثم انه قام عند المقام وقت الضحى وقريش في انديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن
واستمر بها فتاملته قريش وقالوا ما بال ابن ام عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد ثم قاموا اليه يضربون وجهه
وهو مستمر في القراءة حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى اصحابه وقد ادمت قريش وجهه فقال له اصحابه هذا الذي
خشينا عليك منه فقال والله ما رايت اعداء الله اهون علي مثل اليوم ولو شئتم لاتينهم بمثلها غدا قالوا لا
قد اسمعتهم ما يكرهون ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية انه كان اذا قرأ القرآن تقوم له جماعة عن يمينه
وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا وقالوا لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه حتى كان من اراد منهم سماع القرآن اتى خفية واسترق السمع خوفا منهم ومما وقع له صلى الله
عليه وسلم من الاذية ما كان لاسلام عمه حمزة رضي الله تعالى عنه وهو ما حدث به ابن اسحاق قال حدثني رجل
من اسلم ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا اي وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه
ما يكره اي وقيل انه صب التراب على راسه اي وقيل القى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى نادي قريش اي محل تحدثهم في المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة ان اقبل متوشحا بسيفه راجعا
من قنصه اي من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى اهله الا بعد ان يطوف بالبيت فمر
على تلك المولاة فاخبرته الخبر اي فقالت له يا ابا عمارة لو رايت ما لقي ابن اخيك محمد صلى الله عليه وسلم انفا

من ابي الحكم ابن هشام يعني ابي جهل وجده ههنا جالسا فاذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله
عليه وسلم اي وقيل التي اخبرته مولاة اخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على راسه و
القى عليه فرثا ووطى برجله على عاتقه وعلى القا الفرث عليه اقتصر ابو حيان في النهر فقال لها حمزة انت رايت هذا الذي
تقولين قالت نعم وفي رواية فلما رجع حمزة من صيده اذا امراتان يمشيان خلفه فقالت احديهما لو علم ذا ما صنع
ابو جهل بابن اخيه اقصر عن مشيه فالتفت اليهما فقال ما ذاك قال ابو جهل فعل محمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد
الاخبار من المراتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فراى ابا جهل جالسا في القوم فاقبل نحوه حتى قام على
راسه رفع القوس فضربه فشجه شجة منكرة ثم قال اتشتمه فانا على دينه اقول ما يقول فرد على ذلك ان استطعت اي وفي لفظ
ان حمزة لما قام على راس ابي جهل بالقوس صار ابو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا فقال
ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقامت رجال
من بني مخزوم اي من عشيرة ابي جهل الى حمزة لينصروا ابا جهل فقالوا ما نراك الا قد صبات فقال حمزة ما يمنعني وقد استبان
لي منه انا اشهد انه رسول الله وان الذي يقوله حق والله لا انزع فامنعوني ان كنتم صادقين فقال لهم ابو جهل دعوا
ابا عمارة اي ويكنى ايضا بابي يعلى اسم ولده ولده ايضا فاني والله لقد سببت ابن اخيه شيا قبيحا وتم حمزة على اسلامه اي استمر اي بعد ان
وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته انت سيد قريش اتبعت هذا الصابي وتركت دين ابائك الموت خير لك مما صنعت
ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي والا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت مثلها من وسوسة
الشيطان حتى اصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي اني وقعت في امر لا اعرف المخرج منه و
اقامة مثلي على ما لا ادري اهو رشد ام غي شديد فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه
وبشره فالقى الله في قلبه الايمان بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهد انك لصادق فاظهر يا ابن اخي دينك
فقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هذه الواقعة سبب لنزول قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس يعني حمزة كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يعني ابا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه و
سلم باسلام حمزة سرورا كثيرا لانه كان اعز فتى في قريش واشدهم شكيمة اي اعظمهم في عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما
عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه صلى الله عليه وسلم
واقبلوا على بعض اصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم اي لا ناصر لهم فان كل قبيلة عدت على
من اسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك اي حتى ان الواحد منهم ما يقدر
ان يستوي جالسا من شدة الضرب الذي به وكان ابو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا اسلم وله شرف ومنعة
جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رايك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك و
ان كان ضعيفا اغرى به حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحارث بن ربيعة بن الاسود وابي قيس بن الوليد بن
المغيرة وعلي بن ابي امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هولاء قتلوا على كفرهم يوم بدر وممن فتن عن دينه وثبت عليه ولم
يرجع للكفر بلال رضي الله تعالى عنه وكان مملوكا لامية بن خلف وعن بعضهم ان بلالا كان يجعل في عنقه حبل ويدفع الى الصبيان
يلعبون به ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد بالرفع والتنوين او بغير تنوين اي الله احد او يا احد فهي اشارة لعدم
الاشراك وتعاقب الحبل في عنقه وعن ابن اسحق ان امية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه
يوما وليلة فيطرحه على ظهره في الرمضاء اي الرمل اذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يامر بالصخرة العظيمة

فوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعبد اللات والعزى اي وقيل كان
بلال مولدا من مولدي مكة وكان عبد الله بن جدعان التيمي وكان من جملة مائة مملوك مولدة له فلما بعث الله نبيه صلى الله
عليه وسلم امر بهم فاخرجوا من مكة اي خوفا اسلامهم فاخرجوا الا بلالا فانه كان يرعى غنمه فاسلم بلال وكتم اسلامه فسلح بلال
يوما على الاصنام التي حول الكعبة ويقال انه صار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدكن فشعرت قريش فشكوه الى عبد الله
وقالوا له اصبوت قال ومثلي يقال له هذا فقالوا له ان اسودك صنع كذا وكذا فاعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام وكنهم من
تعذيب بلال فكانوا يعذبونه بما تقدم من ان امية بن خلف كان يتولى تعذيبه وما ياتي من ان ابا بكر اشتراه منه ويقال
انه صلى الله عليه وسلم مر عليه وهو يعذب فقال لينجينك احد احد اي يقل وقد مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول احد
احد فقال نعم احد احد والله يا بلال ثم اتى الى امية وقال له والله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا اي لاتخذن
قبره منسكا ومسترحما لانه من اهل الجنة وتقدم ان هذا يدل على ان ورقة ادرك البعثة التي هي الرسالة وتقدم
ما فيه فكان بلال يقول احد احد يمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذا وقع له رضي الله تعالى عنه انه لما
احتضر وسمع امراته تقول واحزناه صار يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه فكان بلال يمزج مرارة
الموت بحلاوة اللقا وقد ذكر بعضهم ان هذا قاله ابو موسى الاشعري ومن معه لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم وهو في
خيبر اي صاروا يقولون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه ومر به ابو بكر رضي الله تعالى عنه يوما وهو ملقى على
ظهره في الرمضاء وعلى صدره تلك الصخرة فقال لامية بن خلف الا تتقي الله تعالى في هذا المسكين حتى متى تعذبه
قال انت افسدته فانقذه مما ترى قال ابو بكر عندي غلام اسود اجلد منه واقوى اي على دينك اعطيكه به قال قد قبلت هو
لك فاعطاه ابو بكر غلامه ذلك واخذ بلالا واعتقه وفي تفسير البغوي قال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال
لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في بلال حين قال اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس يعني عبدا لابي بكر رضي الله تعالى
عنه كان صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجوار ومواشي وكان مشركا يابى الاسلام فاشتراه ابو بكر به هذا
كلامه وفي الامتاع لما ساوم ابو بكر امية بن خلف في بلال قال امية لاصحابه لالعبن بابي بكر لعبة ما لعبها احد باحد ثم تضاحك
وقال اعطني عبدك نسطاس فقال ابو بكر ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك ثم قال لا والله حتى تعطيني معه
امراته قال ان فعلت قال نعم قد فعلت ذلك فتضاحك ثم قال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امراته قال ان فعلت تفعل
قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تزيد في معه مائتي دينار فقال له ابو بكر انت رجل لا تستحي من الكذب قال
واللات والعزى لئن اعطيتني لافعلن فقال هي لك فاخذه هذا كلامه وقيل اشتراه بتسع وقيل بخمس اواق اي ذهبا اي وقيل
ببردة وعشرة اواق من فضة وفي رواية برطل من ذهب ويدعى ان سيده قال لابي بكر لو ابيت الا اوقية اي لو قلت لا اتركه
الا باوقية لبعناكه فقال لو طلبت مائة اوقية لاخذته بها ولما قال المشركون انما اعتق ابو بكر بلالا ليد كانت له عنده فكافاه
بها انزل الله تعالى والليل اذا يغشى السورة فالاتقى ابو بكر رضي الله تعالى عنه والاشقى امية بن خلف قال الامام فخر الدين
اجمع المفسرون هنا على ان المراد بالاتقى ابو بكر وذهب الشيعة الى ان المراد به علي رضي الله تعالى عنه ويرده وصف الاتقى
بقوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى لان هذا الوصف لا يصدق على علي رضي الله تعالى عنه لانه كان في تربية
النبي صلى الله عليه وسلم اي كما تقدم فكان صلى الله عليه وسلم منعما عليه نعمة يجب عليه جزاؤها اي نعمة دنيوية لانها
التي يجازى عليها بخلاف ابي بكر فانه لم يكن له صلى الله عليه وسلم نعمة دنيوية وانما كان له نعمة الهداية وهي نعمة
لا يجازى عليها قال الله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا فتعين حمل الاية على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فيلزم من ذلك

ان يكون ابا بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية الانبياء عليهم الصلوة والسلام افضل الخلق لان الله
تعالى يقول ان اكرمكم عند الله اتقيكم والاكرم هو الافضل وبين ذلك الفخر الرازى بان الامة مجمعة على ان
افضل الخلق بعد النبى صلى الله عليه وسلم واما ابو بكر واما على فلا يمكن حمل الاية على على لما تقدم تعين حملها على
ابى بكر وذكر بعض اهل المعانى اى المبين لمعانى القران كالزجاج والفراء والاخفش ان المراد بالاشقى والاتقى الشقى
والتقى فوقع افعل التفضيل موضع فعيل فهو عام فى امية بن خلف وابى بكر وغيرهما وان كان السبب خاصا والذى
بخل واستغنى المراد به ابو سفيان لانه كان عاتب ابو بكر فى انعامه واعتاقه فرد قال له امنعت مالك والله لا تفيضه
ابدا وقيل المراد به امية بن خلف ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ان ابا بكر اشترى بلالا قال له الشركة يا ابا بكر
فقال اعتقته يا رسول الله اى لان بلالا قال لابى بكر حين اشتراه ان كنت اشتريتنى لنفسك فامسكنى وان كنت
انما اشتريتنى لله عز وجل فدعنى لله فاعتقه هذا وقد ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم لقى ابا بكر رضى الله تعالى عنه
فقال لو كان عندنا مال اشترينا بلالا فانطلق العباس رضى الله تعالى عنه فاشتراه فبعث به الى ابى بكر اى ملكه له فاعتقه
فلينظر الجمع بين هذا وما تقدم وقد اشترى ابو بكر رضى الله تعالى عنه جماعة اخرين ممن كان يعذب فى الله منهم حمامة ام بلال
ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب فى الله تعالى حتى لا يدرى ما يقول وكان لرجل من بنى تيم من ذوى قرابة ابى بكر
رضى الله تعالى عنه ومنهم ابو فكيهة كان عبدا لصفوان ابن امية اسلم حين اسلم بلال فمر به ابو بكر رضى الله تعالى
وقد اخذه امية ابو صفوان وامر به نصف النهار فى شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فخرج لسانه
واخو امية يقول له زده عذابا حتى يأتى محمد صلى الله عليه وسلم فيخلصه بسحره فاشتراه ابو بكر رضى الله تعالى عنه ومنهم
امرأة وهى زنيرة بزاى فنون مشددة مكسورتين فمثناة تحتية ساكنة وهى فى اللغة الحصاة الصغيرة عذبت فى الله
تعالى حتى عميت فقال لها ابو جهل يوما ان اللات والعزى فعلا بك ما ترين فقالت له كلا والله لا تملك اللات والعزى نفعا
ولا ضرا هذا امر من السماء وربى قادر على ان يرد على بصرى فاصبحت تلك الليلة وقد رد الله تعالى عليها بصرها فقالت
قريش هذا من سحر محمد صلى الله عليه وسلم فاشتراه ابو بكر رضى الله تعالى عنه واعتقها اى وكذا ابنتها وفى السيرة
الشامية ام عبيس بالنون او الباء الموحدة فمثناة تحتية فسين مهملة امة لبنى زهرة كان الاسود بن عبد يغوث
يعذبها ولم يصفها بانها بنت زنيرة فاشتراها ابو بكر رضى الله تعالى عنه واعتقها وكذا النهدية وابنتها وكانتا
للوليد بن المغيرة وكذا امرأة يقال لها لطيفة وكذا اخت عامر بن فهيرة او امة كانت لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه وهو يعذب جارية اسلمت استمر يضربها حتى مل قبل ان يسلم ثم قال لها انى اعتذر اليك فانى لم اتركك حتى
مللت فقالت له كذلك يعذبك ربى ان لم تسلم فاشتراها منه واعتقها وفى السيرة الشامية وصفها بانها جارية
بنى المؤمل ابن حبيب كان يقال لها لبينة فجملتهم سبعة ومن فتن عن دينه فثبت عليه خباب بن الارت بالثاء
المثناة فوق فانه سبى فى الجاهلية فاشترته ام انمار وكان قينا اى حدادا وكان صلى الله عليه وسلم يالفه ويأتيه
فلما اسلم واخبرت بذلك مولاته صارت تاخذ الحديدة وقد احمتها بالنار فتضعها على رأسه فشكى ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوى
فكان خباب ياخذ الحديدة قد احماها فيكوى رأسها وفى البخارى عن خباب قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ولقد لقينا يعنى معاشر المسلمين من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله
الا تدعو الله لنا فقعد صلى الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط احدهم بامشاط الحديد

ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على فرق رأس احدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه و
ليتمن الله تعالى هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه قال وعن
خباب رضى الله تعالى عنه انه حكى عن نفسه قال لقد رأيتنى يوما وقد اوقدوا لى نارا ووضعوها على ظهرى فما اطفأها
الا ودك ظهرى اى دهنه وممن فتن عن دينه فثبت عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه كان يعذب بالنار وفى كلام
ابن الجوزى كان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب بالنار فيمر يده على رأسه ويقول يا نار كونى بردا وسلاما
على عمار كما كنت على ابرهيم هذا كلامه ثم ان عمارا كشف عن ظهره فاذا هو قد برص اى صار اثر النار ابيض كالبرص
ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه صلى الله عليه وسلم بان النار تكون بردا وسلاما عليه وعن ام هانئ رضى الله
تعالى عنها ان عمار بن ياسر واباه ياسرا واخاه عبد الله وسمية ام عمار رضى الله تعالى عنهم كانوا يعذبون فى الله تعالى
فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر وقد قتلت فمات ياسر فى العذاب واعطيت سمية لابى جهل اى
اعطاها له عمه ابو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاة له فطعنها فى قبلها فماتت اى بعد ان قال لها انما امنت بمحمد لانك عشقته لجماله
ثم طعنها بالحربة فى قبلها حتى قتلها فهى اول شهيد فى الاسلام انتهى وعن بعضهم كان ابو جهل يعذب عمار بن ياسر وامه ويجعل
لعمار درعا من حديد فى اليوم الصائف فنزل احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وجاء ان عمارا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال النبى له النبى صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان اى صبر ثم قال
له النبى صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان اللهم لا تعذب احدا من آل عمار بالنار وقد يجمع بان حضر بدرا ولم يحضرها من
ابواه مؤمنان الا هو اى من المهاجرين فلا ينافى ان بشر بن البراء بن معرور الانصارى حضر بدرا وابواه مؤمنان ومما اوذى به ابو بكر
رضى الله تعالى عنه ما نقل عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما ابتلى المسلمون باذى المشركين اى وحصروا بنى هاشم والمطلب
فى شعب عبد المطلب واذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة وهى الهجرة الثانية خرج ابو بكر رضى الله تعالى عنه مهاجرا
نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد بالغين المعجمة موضع باقصى هجر وقيل موضع وراء مكة بخمس ليال اى وفى رواية حتى اذا
سار يوما او يومين لقيه ابن الدغنة بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون وهو سيد القارة اى اسم الحارث
والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل فى قوة الرمى ومن ثم قيل لهم رماة الحدق لا سيما ابن الدغنة والقارة اكمة سوداء نزلوا
عندها فسموا بها وقال له اين تريد يا ابا بكر قال ابو بكر اخرجنى قومى فاريد ان اسيح فى الارض واعبد ربى قال ابن الدغنة فان
مثلك يا ابا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وانا لك جار فارجع
فاعبد ربك ببلدك فرجع مع ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة فى اشراف قريش فقال لهم ان ابا بكر لا يخرج مثله اتخرجون رجلا
يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق وهو فى جوارى فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة
اى لم ترد جواره وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء الله ولا يؤذونا بذلك ولا يستعلن به
فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لابى بكر فمكث ابو بكر يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا
يقرأ فى غير داره ثم ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلى فيه ويقرأ القران وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القران فكانت
نساء قريش يتقصفن عليه فافزع ذلك كثيرا من اشراف قريش اى من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا
اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا
ان يفتن نساءنا وابناءنا بهذا فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه فى داره فعل وان ابى ان يعلن بذلك فسله ان يرد
اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك اى نزيل خفارتك اى ننقض جوارك ونبطل عهدك فاتى ابن الدغنة الى ابى بكر

فقال قد علمت الذي قد عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت
اي ازيلت حقا دني في رجل عقدت له فقال له ابو بكر فاني ارد عليك جوارك وارضى بجوار الله تعالى قال ولما رد جوار ابن
الدغنة لقيه بعض سفهاء قريش وهو عابر الى الكعبة فحثى على راسه ترابا فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين فقال له
ابو بكر الا ترى ما صنع هذا السفيه فقال له انت فعلت بنفسك فصار ابو بكر يقول رب ما احلمك قال ذلك ثلاثا انتهى
او في كلام بعضهم وينبغي لك ان تتامل فيما وصف به ابن الدغنة ابا بكر من اشراف قريش بتلك الاوصاف الجليلة المساوية
لما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يطعنوا فيها مع ما هم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته بسبب
الاسلام فان هذا منهم اعتراف اي اعتراف بان ابا بكر كان مشهورا بينهم بتلك الاوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن احدا ان
ينازع فيها ولا ان يجحد شيئا منها والا لبادروا الى جحدها بكل طريق امكنهم لما تخلوا من قبيح العداوة له بسبب ما كانوا يرون
منه من صدق موالاته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له وحمايته عنه رضي الله تعالى عنه صنائع المعروف
تقي مصارع السوء ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر باب [illegible] عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم
شيئا من خوارق العادات وغير العادات ليكف عنهم لما راوا المسلمين يزيدون ويكثرون وسؤالهم له اشياء من خوارق
العادات وغير العادات معنتات وغير معنتات وبعثهم الى احبار يهود بالمدينة يسالونهم عن صفة النبي صلى الله عليه
وسلم وعن ما جاء به وحديث الزبيدي وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ومن حديثهم حديث الاراشي
ومن قصد اذيته صلى الله عليه وسلم بنحو الحجر حدث محمد بن كعب القرظي قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا مطاعا
في قريش قال يوما وهو جالس في نادي قريش اي مجتمعهم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش
الا اقوم لمحمد صلى الله عليه وسلم واكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه ايها ويكف عنا قالوا يا ابا الوليد
نعم الينه فكلمه قال وفي رواية ان نفرا من قريش اجتمعوا وفي اخرى اشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا وقالوا ابعثوا الى محمد
حتى تقلدوه [illegible] فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فلياتي هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت امرنا
وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد فقالوا لا نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة انتهى فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب اي من الوسط
اي الخيار حسبا ونسبا وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت الهتهم ودينهم وكفرت
من مضى من ابائهم قال وزاد بعضهم انه قال له ايضا انت خير ام عبد الله انت خير ام عبد المطلب فسكت ان كنت تزعم
ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الالهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فقل يسمع لقولك لقد افضحتنا في العرب
حتى طار فيهم ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا ما تريد الا ان يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى اسمع
مني اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع فقال
يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا
سودناك علينا لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا اي نصيره الامر والنهي هو اخص مما قبله وان
كان هذا الذي ياتيك رئيا من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى
نبريك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه
قال لقد فرغت يا ابا الوليد قال نعم فاسمع مني قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فيها يقراها عليه وقد انصت عتبة لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه صلى الله
عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف عن ذلك ثم انتهى الى السجدة فيها فسجد ثم قال قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت
وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم
قالوا له ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا
بالكهانة يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها لي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي
سمعت منه نبا فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به
قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رايي فيه فاصنعوا ما بدا لكم قال وفي رواية ان عتبة لما قام
من عند النبي صلى الله عليه وسلم ابعد عنهم ولم يعد اليهم فقال ابو جهل والله يا معشر قريش ما نرى عتبة الا قد
صبا الى محمد صلى الله عليه وسلم واعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فاتوه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما جئناك
الا انك قد صبوت الى محمد صلى الله عليه وسلم واعجبك امره فقص عليهم القصة فقال والله الذي نصبها بيته يعني الكعبة
ما فهمت شيئا مما قال غير انه انذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه فناشدته الرحم ان يكف وقد علمت ان محمدا
صلى الله عليه وسلم اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية ما تدري ما قال
قال والله ما سمعت مثله والله ما هو بالشعر الى اخر ما تقدم فقال والله سحرك يا ابا الوليد لهذا رايي فيكم فاصنعوا
ما بدا لكم انتهى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا اي اشرافهم وشيخهم منهم الاسود بن عبد المطلب والاسود
بن زمعة والوليد بن المغيرة وامية بن خلف والعاص بن وائل وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو سفيان
والنضر بن الحارث وابو جهل وفي الينبوع ان الوليد بن المغيرة في اربعين رجلا من الملأ اي من السادات منزل ابي طالب
وسالوه ان يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامره بما شكاه ما يشكون منه اي ان يزيل ما شكوا منه و
يجيبهم الى امر فيه الالفة والاصلاح فاحضره وقال يا ابن اخي هؤلاء الملأ من قومك فاشكهم وثنا الغيهم فعابوا
النبي صلى الله عليه وسلم على تسفيه احلامهم واحلام ابائهم وعيب الهتهم الحديث اي قالوا له يا محمد انا بعثنا اليك لنكلمك فانا والله
لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسبيت الالهة وسفهت الاحلام
وفرقت الجماعة ولم يبق امر قبيح الا اتيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا
حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك وان كان هذا الذي ياتيك تابعا من الجن
قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلبك وفي رواية انهم لما اجتمعوا ودعوه صلى الله عليه وسلم جاءهم مسرعا طمعا في هدايتهم حتى
جلس اليهم وعرضوا عليه الاموال والشرف والملك فقال صلى الله عليه وسلم ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا
الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم
رسالات ربي ونصحت لكم وان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله تعالى
حتى يحكم الله بيني وبينكم وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما دعت قريش النبي صلى الله عليه وسلم
الى ان يعطوه مالا فيكون اغنى رجل بمكة ويزوجوه ما اراد من النساء ويكف عن شتم الهتهم ولا يذكرها بسوء
فقد ذكروا ان عتبة بن ربيعة قال له ان كان انما بك الباءة فاختر اي نساء قريش شئت فنزوجك عشرا وقالوا له ارجع
عن دينك واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج اليه في دنياك واخرتك وقالوا انا [illegible]

فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وما هي قالوا تعبد الهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وانت في الامر فان كان الذي نعبده خيرا مما كنت اخذت منه بحظك وان كان الذي تعبده خيرا مما نعبد كنا قد اخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى انظر ما ياتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم السورة وعن جعفر الصادق ان المشركين قالوا له اعبد معنا الهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا الهتنا شهرا نعبد معك الهك سنة فنزلت اي لا اعبد ما تعبدون يوما ولا انتم عابدون ما اعبد عشرة ولا انا عابد ما عبدتم شهرا ولا انتم عابدون ما اعبد سنة روى ذلك النقيب جعفر ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا لو اطعنا في القران لوقلنا لامرئ القيس قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وكررنا ذلك اربع مرات في نسق لما كان عيبا فكيف وقع في القران قل يا ايها الكافرون السورة وهي مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولي دين نسخ باية القتال وبقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل الي كتابا هو هذا القران قالوا ايت بقران غير هذا او بدله نزل قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين للرد عليهم قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي الاية ثم رايت في الكشاف ما يوافق ذلك وهو لما غاظهم ما في القران من ذم عبادة الاوثان والوعيد الشديد قالوا ائت بقران اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها نزل قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله الاية قال وجلس النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم ابو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وامية بن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم اليس حسنا ما جئت به فيقولون بلى والله وفي لفظ هل ترون بما اقول باسا فيقولون لا فجاء عبد الله بن ام مكتوم وهو ابن خال خديجة ام المؤمنين وهو ممن اسلم بمكة قديما والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل باولئك القوم وقد راى منهم مواساته وطمع في اسلامهم فصار يقول يا رسول الله علمني مما علمك الله واكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم فاعرض عن ابن ام مكتوم ولم يكلمه انتهى اي وفي رواية اشار صلى الله عليه وسلم الى قائد ابن ام مكتوم بان يكفه عنه حتى يفرغ من كلام فكفه القائد فدفعه ابن ام مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم واعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله تعالى في ذلك بقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى السورة اي على المجيء مع العمى يقتضي مزيد الرفق به وتجشم الكلفة والمشقة في المجيء ومن كان هذا شانه فحقه الاقبال عليه لا الاعراض عنه فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه بل وبهذا يسقط ما للقاضي ابي بكر بن العربي هنا انتهى اقول لعل القائل هو ما ذكره تلميذه السهيلي وهو ان ابن ام مكتوم لم يكن اسلم حينئذ والا لم يسمه بالاسم المشتق من العمى دون الاسم المشتق من الايمان لو كان دخل في الايمان قبل ذلك وانما دخل فيه بعد نزول الاية ويدل على ذلك قوله للنبي صلى الله عليه وسلم استدنيني يا محمد ولم يقل استدنيني يا رسول الله ولعل في قوله تعالى لعله يزكى الترجي والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم قبل هذا لخرج من حد الترجي والانتظار للتزكي هذا كلامه وعن الشعبي قال دخل رجل على عائشة رضي الله تعالى عنها وعندها ابن ام مكتوم وهي تقطع له الاترج وتجعله في العسل وتطعمه فقيل لها في ذلك فقالت ما زال هذا له من ال محمد منذ عاتب الله عز وجل فيه نبيه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وفي فتاوى الجلال السيوطي من جملة اسئلة رفعت اليه فاجاب عنها بانها باطلة ان ابا جهل قال يا محمد ان اخرجت لنا طاوسا من الصخرة فذا امنت بك فدعا ربه عز وجل فصارت الصخرة تان كانين المراة الحبلى ثم انشقت عن طاوس صدره من ذهب وراسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت وريشه من جوهر فلما راى ذلك ابو جهل اعرض ولم يؤمن ومما سالوه صلى الله عليه وسلم من الايات غير المعينات على ما رواه الشيخان او معينة كما في رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما وسياتي ما يعلم منه انهم سالوه صلى الله عليه وسلم الاية غير معينة ثم عينوها ملا فالغير فقد ذكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا سالت النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية اي وفي رواية عن ابن عباس اجتمع المشركون اي عني منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وزمعة بن الاسود والنضر بن الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان ويكون نصفه بالمشرق ونصفه الاخر بالمغرب وكانت ليلة اربعة عشر اي ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما سالوا فانشق القمر نصفا على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان وفي لفظ فانشق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ولعل الفرقة التي كانت فوق الجبل كانت جهة المغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا ولا منافاة بين الروايتين ولا بينهما وبين ما جاء في رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب اي ثم ان كان الانشقاق قبل الفجر فواضح والا فمعجزة اخرى لان القمر ليلة اربعة عشر يستمر جميع الليل وسياق عن ابن القمر انه عاد بعد غروبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا والفرقتان هما المرادتان بالمرتين في بعض الروايات التي اخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقي فقال انما انشق مرتين لان المرة قد تستعمل في الاعيان وان كان الاصل وضعها للافعال فقد قال ابن القيم كون القمر انشق مرتين مرة بعد مرة في زمانين من له خبرة باحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته يعلم انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة اي وابو كبشة احد اجداده صلى الله عليه وسلم من قبل امه لان وهب بن عبد مناف بن زهرة جد ابي امنة امه يكنى ابا كبشة او هو من قبل مرضعته حليمة لان والدها او جدها كان يكنى بذلك او كان لها بنت تسمى كبشة فكان زوجها الذي هو ابوه من الرضاعة يكنى بذلك البنت كما تقدم في الرضاع وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم قال حدثني حاضني ابو كبشة انهم لما ارادوا دفن سلول وكان سيدا معظما حفروا له فوقفوا على باب مغلق ففتحوه فاذا سرير عليه رجل وعليه حلل عدة وعند راسه كتاب انا ابو شمر ذو النون ماوى المساكين ومستفاد الغارمين اخذني الموت غصبا وقد اعيى الجبابرة قيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذو النون هو سيف بن ذي يزن الحميري وقيل ابو كبشة جده صلى الله عليه وسلم لابيه لان ابا ام جده عبد المطلب كان يدعى ابا كبشة وكان يعبد النجم الذي يقال له الشعرى وترك عبادة الاصنام مخالفا لقريش فهم يشيرون بذلك الى انه في مخالفته سلفا وقيل الذي عبد الشعرى وترك عبادة الاصنام رجل من خزاعة فشبهوه صلى الله عليه وسلم به في مخالفته لهم في عبادة الاصنام اي ومما قد يؤيد هذا الاخير ما في الاتقان حيث مثل بهذه الاية للنوع المسمى بالتنكيت وهو ان يخص المتكلم شيئا من بين الاشياء بالذكر لاجل نكتة كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو سبحانه وتعالى رب كل شيء لان العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن ابي كبشة عبد الشعرى ودعا خلقا الى عبادتها فانزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية هذا كلامه وكبشة ليس مؤنث كبش لان مؤنث الكبش ليس من لفظه فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر اي بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها اي جميع اهل الارض وفي رواية ان كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم فسالوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وفي رواية ان ابا جهل قال هذا سحر فسالوا اهل الافاق وفي لفظ انظروا ما ياتيكم به السفار حتى تنظروا هل راوا ذلك ام لا فاخبروا اهل الافاق وفي لفظ فجاء السفار وقد قدموا من كل وجه فاخبروهم انهم راوه منشقا فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر اي مطرد

فهو اشارة الى ذلك والى ما قبله من الآيات وفي لفظة قالوا هذا سحر ابحر السحرة فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا
آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي مطرد كما تقدم او محكما وقوي شديدا او ما ذهب لا يبقى وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على انه تحقق
برؤية القمر منشقا اهل مكة بل جميع اهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك اهل الارض كلهم
في معرفته ولم يختص بها اهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بانه طلبه جماعة خاصة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بانه قد يكون
القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض ولا بقول بعضهم ان انشقاق القمر آية ليلية جرى مع
طائفة في جنح ليلة ومعظم الناس نيام وفي فتح الباري حنين الجذع والانشقاق نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند
من يطلع على طرق الحديث اقول والى انشقاق القمر اشار صاحب الهمزية رحمه الله بقوله شق عن صدره وشق له
البدر ومن شرط كل شرط جزاء اي شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفي نسخة مثله وكل منهما صحيح لانه شق صدره اولا ثم شق
قلبه ثانيا وشق لاجله القمر ليلة اربعة عشر وانما شق له صلى الله عليه وسلم لانه من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره
صلى الله عليه وسلم جوزي على ذلك باعظم شاء له في الصورة وهو شق القمر الذي هو من اظهر المعجزات بل اعظمها بعد القران وقد اشار
الى ذلك ايضا الامام السبكي في تائيته بقوله وبدر الدياجي انشق نصفين عندما اردت قريش منك اظهار آية اي فانهم ابتهروا فانهم بهتهم
فاتفقوا على ان يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم انشقاق القمر الذي هو بعيد عن الاطماع في غاية الامتناع اي فعل
سالوه او لا عن معينة ثم عينوها وفي الاصابة عن بعضهم قال وانا ابن سبع عشرة سنة سافرت مع ابي وعمي من خراسان الى الهند
في تجارة فلما بلغنا اوائل بلاد الهند وصلنا الى ضيعة من الضياع فخرج اهل القافلة نحوها فسأل الناس عن ذلك فقالوا هذه ضيعة
الشيخ زين الدين المعمر فراينا شجرة خارج الضيعة تظل خلقا كثيرا وتحتها جمع عظيم من اهل تلك الضيعة فلما رأونا رحبوا بنا
فراينا زنبيلا معلقا في بعض اغصان تلك الشجرة فسأل الناس فقالوا في هذا الزنبيل الشيخ زين الدين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودعا له بطول العمر ست مرات اي فبلغ ستمائة سنة كل دعوة بمائة سنة فسأل الناس ان ينزلوا الشيخ ليسمعوا كلامه وحديثه فتقدم
شيخ منهم فانزل الزنبيل فاذا هو مملوء بالقطن والشيخ في وسط القطن وهو كالفرخ فوضع فمه على اذنه وقال يا جداه هؤلاء قوم قد جاؤا
من خراسان وقد سألوا ان تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قال لك فعند ذلك تنفس الشيخ
وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت مع ابي وانا شاب من هذه البلاد الى الحجاز في تجارة فلما بلغنا بعض
اودية مكة وكان المطر قد ملأ الاودية وقد حالت السيل بينه وبين ابله وهو يخشى من خوض الماء لقوة السيل فعلمت حاله
فاتيت الجمل وحملته وخضت به السيل الى عند ابله من غير معرفة سابقة فلما وضعته عند ابله نظر الي فدعا لي ثم علينا الى بلادنا
وتطاولت المدة فبينما نحن جلوس في ضيعتنا هذه في ليلة مقمرة ليلة البدر والبدر في كبد السماء اذ نظرنا اليه قد انشق نصفين
فغرب نصف في المشرق وخفي نصف في المغرب واظلم الليل ساعة ثم طلع النصف من المشرق والثاني من المغرب الى التقيا في وسط
السماء كما كان اول مرة فتعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا فسألنا الركبان عن سببه فاخبرونا ان رجلا
هاشميا ظهر بمكة ودعا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كافة العالم وان اهل مكة سألوه معجزة واقترحوا عليه
ان يأمر القمر فينشق في السماء ويغرب نصفه في المشرق ونصفه في المغرب ثم يعودا الى ما كان عليه ففعل لهم ذلك فاشتقت
الى رؤيته فذهبت الى مكة وسألت عنه فدلوني على موضعه واتيت الى منزله واستاذنت فاذن لي في الدخول فدخلت
عليه فلما سلمت عليه نظر الي وتبسم وقال ادن مني وبين يديه طبق فيه رطب فتقدمت وجلست واكلت من الرطب وصار
يناولني الى ان ناولني ست رطبات ثم نظر الي وتبسم وقال لي الم تعرفني قلت لا فقال الم تحملني عام كذا في السيل ثم قال
امدد يدك فصافحني وقال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقلت ذلك فسر وقال لي عند خروجي

من

من عنده بارك الله في عمرك قال ذلك ست مرات فبارك الله في عمري بكل دعوة مائة سنة فعمري اليوم ستمائة سنة واني
في المائة السادسة شرف على تمامها انتهى وسئل الحافظ السيوطي عن مثل هذا الحديث وهو الحديث الذي رواه معمر الذي
يزعم انه صحابي وانه يوم الخندق صار ينقل التراب بغلقتين وبقية الصحابة بغلق واحد فضرب النبي صلى الله عليه وسلم
بكفه الشريف بين كتفيه اربع ضربات وقال له عمرك اليوم يا معمر فعاش بعد ذلك اربعمائة سنة ببركة الضربات
التي ضربها بين كتفيه كل ضربة مائة سنة وقال له بعد ان صافحه من صافحك الى ست الى سبع لم تمسه النار
هل هو صحيح ام هو كذب وافتراء لا تجوز روايته فاجاب بانه باطل وان معمرا هذا كذاب دجال لانه ثبت في الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم قال قبيل موته ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر
الارض احد فقال اهل الحديث ونحن نزعم ان من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم فهو كذاب ومعلوم
ان آخر الصحابة مطلقا موتا ابو الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة ثبت ذلك في صحيح مسلم واتفق عليه العلماء فمن ادعى
الصحبة بعد ابي الطفيل فهو كذاب ومما سالوه صلى الله عليه وسلم من الآيات العنادية ما حدث به بعضهم قال ان قريشا قالت له صلى الله
عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويخرق فيها انهارا كانهار الشام والعراق و
ليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدوق فنسأله عما تقول احق هو ام باطل قال
زاد في رواية فان صدقوك وصنعت ما سالناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله تعالى وانه بعثك الينا رسولا كما
تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثني به انتهى ثم قالوا فاسال ربك
يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا عنك اي وفي لفظ قالوا له لم لا ينزل علينا الملائكة تخبرنا بان الله ارسلك
او نرى ربنا فيخبرنا بانه ارسلك فنؤمن حينئذ بك وقال له اخر يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله والملائكة قبيلا واساله
ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس
المعاش كما نلتمسه اي فلا بد ان تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا اي وفي لفظ قالوا ان محمدا
ياكل الطعام كما ناكل نحن ويمشي في الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمس نحن فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما انا بالذي يسال ربه هذا وانزل الله تعالى وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في
الاسواق ولما قالوا الله اعظم ان يكون رسوله بشرا ثم قالوا فاسقط السماء علينا كسفا اي قطعا كما زعمت ان ربك ان شاء
فعل فقد بلغنا انك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن ابدا اي وقد عنوا بالرحمن
مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بان الرحمن المعلم له هو الله تعالى بقوله قل هو
اي الرحمن ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب اي توبتي ورجوعي وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم حزينا
اسفا على ما فاته من هدايتهم التي طمع فيها وقال له عبد الله بن عمته عاتكة بنت عبد المطلب قبل ان يسلم رضي الله تعالى
عنه يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سالوك امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك
ويتبعوك فلم تفعل ثم سالوك ان تعجل بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لن نؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما
ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تاتيها ثم تاتي معك اي بكتاب معك اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وايم الله
انك ان فعلت ذلك ما ظننت اني اصدقك فانزل الله تعالى عليه الآيات التي فيها شرح هذه المقالات في سورة الاسرا
ومنها الاشارة الى ان الله تعالى خيره بين ان يعطيه جميع ما سالوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استاصلهم بالعذاب كالامم السابقة
وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثاني لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير

منهم العناد وانهم لا يومنون وان حصل لهم ما سالوا فيستاصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة وعن محمد ابن كعب ما حاصله ان الملاء من قريش اقسموا للنبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل انهم يومنوا
به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعوا الله تعالى ان يعطيهم ما سالوه فاتاه جبريل عليه السلام فقال له ان شئت كان ذلك ولكنى
لم ارسل قوما باية فكفروا بها فلم يومنوا بها الا امرت بتعذيبهم وقد انه حينئذ يشكل رواية سوالهم انشقاق القمر وفي
رواية اتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت ان نجعل لهم الصفا ذهبا ونفتح لهم
باب الرحمة والتوبة فقال لا بل ان تفتح لهم باب التوبة والرحمة وفي رواية ان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال صلى الله
عليه وسلم بل حتى يتوب تائبهم وايضا وافق على فتح باب الرحمة والتوبة لانه صلى الله عليه وسلم علم ان سوالهم لذلك
جهل لانه خفيت عليهم حكمة ارسالة الرسل وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر
واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن اعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضروري فلا
يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وايضا لم يسالوا ما سالوا من تلك الايات الا تعنتا واستهزاء لا على
جهة الاسترشاد ودفع الشك والى سوالهم تلك الايات وارتيابهم في القران وقولهم فيه انه سحر وافترا اي سحر يوثره اي ياخذه عن
مثله وعن اهل بابل يفرق به بين المرء واخيه وبين المرء ونعجه وبين المرء وعشيرته ان هو الا قول البشر
الى قول ابي جهل ايضا تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نومن به ولا نتبعه
ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه وهي كما يقيد قوله تعالى واذا جاءتهم اية قالوا لن نومن لك حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله والى هذا اشار
صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذي فيه للعقول اهتداء والذي يسالون منه كتاب منزل
قد اتاهم وارتقاء اي اعجب عجبا من حال الكفار حال كونهم زادوا ضلالا بالقران الذي فيه اهتداء العقول واعجب عجبا ايضا من الامر
الذي يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم وهو كثير من جملته كتاب منزل معه عليهم من السماء وهو القران او لم يكفهم من الله
ذكر فيه رحمة وشفاء اعجز الانس ابه منه والجن فلا اتى به البلغاء كل يوم يهدى الى سامعيه معجزات من لفظه القرا
تجلى به المسامع والافواه فهو الحلى والحلوا رق لفظا ورق معنى فجاءت في حلاها وحليها الخنساء وارتنا
فيه غوامض فضل رقة من زلاله وصفاء انما تجتلى الوجوه اذا ما جليت عن مراتها الاصداء سورا منه اشبهت
صورا منا ومثل النظاير النظراء والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء كم ابانت اياته من علوم من
حروف ابان عنها الهجاء فهي كالحب والنوى اعجب الزراع منها سنابل وزكاء فاطالوا فيه التردد والريب فقالوا
سحر وقالوا افتراء واذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء
اي او لم يكفهم عما سالوه عنادا اذ كروا اصل اليهم حال كونه من الله رحمة وشفاء للناس والجن والملائكة اعجز الانس والجن
اية منه فلا ياتي بتلك الاية اهل البلاغة كل وقت يهدى قراوه الى سامعيه معجزات من لفظه ولذلك تجلى بسماعه المسامع
من التحلية التي هي لبس الحلي وتحلى بالفاظه الافواه من الحلوى والحلى والحلوا الحسن من جهة اللفظ ونصفى من شوايب
النفس من جهة المعنى فارتنا دقة من زلاله وصفا من ذلك الزلال خبايا فضل فيه وهي العلوم المستنبطة منه وانما تظهر
الوجوه ظهورا واضحا لا خفاء معه يوجد اذ قوبلت بمراة وقد جلا الاصدا من تلك المراة سورا اشبهت صورا منا من
حيث اشتمال كل صورة منا على عقل وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره والاقاويل الصادرة من الكفار في القران كالصور التي
يصورها المصورون فانه لا وجود لها في الحقيقة فما قالوه في القران باطل قطعي البطلان فاحذر الخطبا ان توقع في
دهمك ان ما ياتي به يغادي القران كم اوضحت اياته علوما حال كونها متولدة من حروف قبلية كشف عنها التهجي

كالحب الذي يلقيه الذراع والنوى الذي يلقيه الغارس بها اعجب الذراع والغراس منها اي من تلك الحبوب والنوى سنابل
وثمار ونمو فاق الحصر فطالوا في تلك الصور الشك فقالوا سحر وتمويه لا حقيقة له وقالوا مرة اخرى اساطير الاولين واذا
كانت الحجج والبراهين لم تفدهم شيئا من الهدى فطلب الهدى منهم من تلك الحجج تعب لا يفيد شيئا واذا ضلت العقول عن طرق الحق مع علم
منها بتلك الطرق فاي شيء تقول لهم النصحا اي وقال الوليد بن المغيرة يوما ابنزل القران على محمد واترك انا وانا كبير قريش
وسيدها ويترك ابو مسعود الثقفي سيد ثقيف ونحن عظما القريتين اي مكة والطايف فانزل الله تعالى وقالوا لولا اي هلا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي اعظم واشرف من محمد صلى الله عليه وسلم ورد الله تعالى عليهم بقوله ام يقسمون رحمة
ربك الاية وفي لفظ قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من اهل مكة او عروة بن مسعود الثقفي من اهل الطايف
ثم لا يخفى ان كفار قريش بعثوا من النضر بن الحارث بن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلا لهم عن محمد وصفا لهم
صفته واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول اي التوراة لانه قبل الانجيل وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسالا
احبار يهود اي قالوا لهم اتيناكم لامر حدث فينا منا غلام يتيم فقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ
رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفته قالوا فمن يتبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم وقالوا هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه
اشد الناس له عداوة قالت لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول
سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول اي وهم اهل الكهف ما كان من امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل
طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها اي وهو ذو القرنين ما كان نباه وسلوه عن الروح ما هي فان اخبركم بذلك اي بحقيقة
الاولين ومعارض من حوادث التي لا شيء منه كونها من امر الله فاتبعوه فانه نبي فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئناكم بفصل
ما بينكم وبين محمد واخبراهم الخبر فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وسالوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلوة والسلام اخبركم غدا ولم يستثن
اي لم يقل ان شاء الله تعالى فانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة ايام وقيل اربعة ايام لا ياتيه
الوحي وتكلمت قريش في ذلك بما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه اي ومن جملة من قال ذلك
له صلى الله عليه وسلم ام جميل امراة عمه ابي لهب قالت له ما ارى صاحبك الا قد ودعك وقلاك اي تركك وبغضك وفي رواية
قالت امراة من قريش ابطا عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل عليه السلام بسورة الكهف و
فيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم اهل الكهف ويروى انهم يكونون مع عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام اذا نزل ويحجون البيت
وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين اي وهو اسكندر ذو القرنين كان له قرنان صغيران من لحم تواريهما العمامة وفي لفظ كان
له شبه القرنين في راسه وقيل غديرتان من شعر وقيل لانه قرن ما بين طلوع الشمس ومغربها اي بلغ قطري المشرق والمغرب
وقيل ضرب على قرنه واسرفات ثم احيي ثم ضرب على قرنه الاخر فمات ثم احيي وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه انقرض
في زمنه قرنان من الناس والقرن زمان مائة سنة وكان ذو القرنين رجلا صالحا من اهل مصر من ولد يونن وفي لفظ
يونان بن يافث بن نوح وكان من الملوك العادلة وكان الخضر صاحب لواية الاكبر وقيل كان نبيا قاله الضحاك وجاءه
صلى الله عليه وسلم جبريل بالجواب عن الروح المذكور لك في سورة الاسرا وهي ان الروح من امر الله اي قل لهم الروح
من امر ربي اي من علمه لا يعلمه الا هو اي وكان في كتبهم ان الروح من امر الله اي مما استاثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه
احد من خلقه ومن ثم جاء في بعض الروايات ما تقدم ان اجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبي والا بان اجابكم عنها بانها
من امر الله فهو نبي ولعل هذا هو المراد كما جاء في بعض الروايات سلوه عن الروح فان اخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم
فهو نبي اقول اذا كان في كتبهم ان حقيقة الروح مما استاثر الله تعالى بعلمه كيف يسالونه نخبركم بذلك الا ان يكون

المراد ان اجابكم بغير قوله من امر ربي فاعلموا انه غير نبي فانه يحاول ان يخبركم عن حقيقتها وحقيقتها لا يعلمها الا الله تعالى عبر واقفه
ما في ماثور التفسير من امر ربي من علم ربي لا علم لي به وفي بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سالوه عن الروح
التي نفخ الله تعالى في ادم فانه قال لكم من الله تعالى فقولوا له كيف يعذب الله في النار شيئا هو منه وحاصل الجواب التي
اشارت اليه الاية ان الروح امر يعني مامور اي مامور من ماموراته وخلق من خلقه لا انها جزء منه والله اعلم اي وهذا
يدل على ان المسؤل عنه روح الانسان التي هي سبب في افادة الحيوة للجسد وفي كلام الامام الغزالي ان الروح روحان حيواني
وهو الذي تسميه الاطباء المزاج وهو جسم لطيف بخاري معتدل سار في البدن الحامل لقواه من الحواس الظاهرة الجسمانية وهذه
تفنى بفناء البدن وتنعدم بالموت وروح روحاني وهي التي يقال لها النفس الناطقة ويقال اللطيفة الربانية ويقال لها العقل ويقال
لها الروح ويقال لها القلب من الالفاظ الدالة على معنى واحد لها تعلق بقوى النفس الحيواني وهذه الروح لا تفنى بفناء البدن وتبقى
بعد الموت هذا كلامه وفي كلام بعضهم والروح عند اكثر اهل السنة جسم لطيف مغاير للاجسام ماهية وهيئة متصرف في البدن
حال فيه حلول الدهن في الزيتون يعبر عنه بانا وانت واذا فارق البدن مات وذهب جمع منهم الغزالي والامام الرازي وفاقا
للحكماء والصوفية الى انه مجرد عن حال بالبدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق يدبر امره على وجه لا يعلمه الا الله انتهى
ورايت في كلام الشيخ الاكبر ان الامام ركن الدين السمرقندي لما فتح المسلمون بلاد الهند خرج بعض علمائها لمناظرة المسلمين فسال
عن العلماء فاشار الى الامام ركن الدين السمرقندي فقال له الهندي ما تعبدون قالوا نعبد الله بالغيب قال من اخبركم قالوا احمد
قال فما الذي قال في الروح قال هو من امر ربي فقال صدقتم فاسلم وليس المراد بالروح خلق من الملائكة على صورة بني ادم
او ملك عظيم عرض شحمة اذنه خمسمائة عام الى غير ذلك مما قيل قال بعضهم ثلث كذا في هذه الرواية انهم سالوه اي مشركوا مكة
عن الروح وحديث ابن مسعود يدل على ان السؤال عن الروح ونزول الاية كان بالمدينة اي عن اليهود هذا كلامه وفيه انه
سيأتي جواز تكرار السؤال وتكرر نزول الاية الى اخر ما يأتي وبه يعلم ما في الاتقان حيث تعقب قول بعضهم ان اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم سالوه عن الروح وعن ذي القرنين بقوله تلك السائل عن الروح وذي القرنين مشركوا مكة او اليهود كما في اسباب النزول
لا الصحابة وفي الاتقان قد يعدل عن الجواب اصلا اذا كان السائل قصده التعنت نحو ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي
قال صاحب الافصاح انما سال اليهود تعجيزا وتغليطا اذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الانسان والقران وعيسى وجبريل
وملك اخر وصنف من الملائكة فقصد اليهود ان يسالوه صلى الله عليه وسلم فبأي مسمى اجابهم قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا وكان
هذا الاجمال كيدا يرد به كيدهم وفي سورة الكهف ايضا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا
نسيت اي اذا اردت ان تقول ما تفعله شيئا فيما يستقبل من الزمان تقول ان شاء الله فان نسيت التعليق بذلك ثم تذكرت فأت
بها فذكرها بعد النسيان كذكرها بعد القول قال جمع منهم الحسن ما دام في المجلس وظاهره وان طال الفصل وفي الخصائص الصغرى ان هذا
اي الاتيان بالمشيئة بعد التذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم وليس لاحد منا ان يستثني اي ياتي بالمشيئة الا في صلة يمينه اقول
كان ينبغي ان يقول في صلة اخباره لان سياق الاية في الاخبار لا في الحلف فان قيل هو عام في الخبر والحلف قلنا كان ينبغي حينئذ ان
يقول في صلة كلامه وحينئذ يقتضي كلامه انه لا تذكر في الخبر دون الحلف والله اعلم ثم لا يخفى انه قيل سبب احتباس الوحي
انه لم يقل ان شاء الله تعالى وهو المشهور وقيل لانه كان في بيته كلب وفي لفظ تحت سريره جرو ميت فقد جاء انه صلى الله
عليه وسلم لما ابطا جبريل عليه السلام في اتيانه قال اما علمت ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب اي فانه صلى الله عليه
وسلم قال لخادمته خولة يا خولة ما حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل لم ياتيني قالت فقلت في نفسي
لو كنست البيت فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاخرجت الجرو ميتا اقول قال ابن كثير قد ثبت في الحديث المروي

في الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تدخل الملائكة بيتا
فيه صورة ولا كلب ولا جنب وقد ورد بعض الفاظه زيادة سوى الا وهو اذا كانت الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب او صورة اي صورة التماثيل
التي فيها الارواح يلزم ان لا يموت من فيه كلب او صورة وان لا يكتب عمله واجيب عنه بان المراد لا تدخل ذلك البيت دخول
اكرام لصاحبه وتحصيل بركة له فلا ينافي دخولهم لكتابة الاعمال وتبعض الارواح والله اعلم وقيل لانه صلى الله عليه
وسلم زجر سائلا ملحا وقد كان قبل ذلك يرد السائل بقوله اتاكم الله من فضله اي وربما سكت فقد روى الشيخان ما سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا قال الحافظ ابن حجر المراد بذلك انه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده
شيء اعطاه والا سكت وهذا هو المراد بما جاء انه صلى الله عليه وسلم ما رد سائلا قط اي بشيء فيه بالرد وقد حكى بعضهم
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله استغفر لي فسكت فقلت يا رسول الله ان ابن عيينة
حدثنا عن جابر انك ما سئلت شيئا قط فقلت لا فتبسم صلى الله عليه وسلم واستغفر لي اي تكلم ما يأتي بالاول
حيث لا يكون المقام يقتضي الاقتصار على السكوت ولعل هذا في غير رمضان فلا يخالف ما رواه البزار عن انس رضي الله تعالى
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان اطلق كل اسير واعطى كل سائل وبين الشيخ ابن الجوزي في النشر
سبب الحاح هذا السائل ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدي اليه قطف عنب قبل اوانه فهم ان ياكل منه فجاءه سائل فقال اطعموني
مما رزقكم الله فسلم اليه ذلك القطف فلقيه بعض الصحابة فاشتراه منه واهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد السائل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فاعطاه اياه فلقيه رجل اخر من الصحابة فاشتراه واهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد
السائل فانتهره وقال انك ملح قال وهذا سياق غريب جدا وهو معضل وقيل سبب ذلك غير ذلك من ذلك العزا ان جبريل
عليه السلام لما قال له صلى الله عليه وسلم ما حبسك عني قال كيف ناتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تنقون براجمكم
ولا تاخذون شعوركم ولا تستاكون اقول وفي اختلاف هذه الاسباب ظاهرة في ان الواقعة متعددة ولا ينافيه قوله ونزلت
اية سورة والضحى ردا عليهم في قولهم ان محمدا قلاه ربه وتركه وهي ما ودعك ربك وما قلى اي ما قطعك قطع المودع وما
ابغضك لانه يجوز ان يكون مما تكرر نزوله لاختلاف سببه ويمكن ان يقال يجوز ان تكون الواقعة واحدة وتعددت اسبابها
ولا ينافيه اخبار جبريل عليه السلام تارة بان سبب احتباسه عدم قص الاظفار وما ذكر معه وتارة بان الملائكة لا تدخل
بيتا فيه كلب وتارة بقوله وما نتنزل الا بامر ربك الاية تقريبا لما سبق في قصة الايات لكن قال الحافظ ابن حجر قصة ابطاء
جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الاية اي ما ودعك ربك وما قلى غريبة بل شاذ مردود بما في الصحيح هذا كلامه اقول
ومما يدل على ان واقعة الجرو كانت بالمدينة ما في بعض التفاسير ان هذا الجرو كان للحسن والحسين وما رواه مسلم عن عائشة رضي
الله تعالى عنها قالت واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في ساعة ان ياتيه فجاءت تلك الساعة ولم ياته قالت
وكان بيده عصا فطرحها من يده وهو يقول ما يخلف الله وعده ولا رسله ثم التفت فاذا كلب تحت السرير فقال متى دخل
هذا الكلب فقلت والله ما دريت به فامر به فاخرج فجاءه جبريل عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدتني
فجلست لك ولم تات فقال منعني الكلب الذي كان في بيتك انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وفي زيادة الجامع الصغير
اتاني جبريل فقال له اني كنت اتيتك البارحة فلم يمنعني ان اكون دخلت عليك البيت الذي كنت فيه الا انه كان
على الباب تماثيل وكان في البيت ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب فمر براس التمثال الذي في البيت فليقطع فيصير
كهيئة الشجرة وامر بالستر فليقطع فيجعل منه وسادتين منبوذتين توطان وامر بالكلب فاخرج ومعلوم ان مجيء جبريل
عليه السلام له صلى الله عليه وسلم اكرام وتشريف له صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما تقدم بل يتأمل وما نزلت

السورة المذكورة كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي واستمر صلى الله عليه وسلم لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل
واما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر صلى الله عليه وسلم ايضا وكان ذلك سببا للتكبير في افتتاح السورة التي بعدها وفي ختمها
الى اخر القران وعن ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه انه قرا كذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بعد امره له بذلك فانه
كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله اكبر هذا قيل ابتداء التكبير من اول الم نشرح لا من اول والضحى وقيل ان التكبير
انما هو لاخر السورة وابتداؤه من اخر سورة والضحى الى اخر سورة قل اعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير في الاول والاخر
جمع بين الروايتين الروايتين التي جاءت بانه كبر في اول السورة المذكورة والرواية الاخرى انه كبر في اخرها ومما يدل على ان
التكبير اول سورة والضحى ما جاء عن عكرمة ابن سليمان قال قرات على اسمعيل بن عبد الله فلما بلغت والضحى قال كبر فاني قرات على عبد الله
بن كثير احد القراء السبعة فلما بلغت والضحى قال لي كبر حتى تختم واخبرني ابن كثير انه قرا على مجاهد فامره بذلك واخبره ان ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي ابن كعب امره بذلك واخبره ابي رضي الله تعالى عنه انه قال لا اخر اذا
تركت التكبير اي من الضحى الى الحمد في الصلوة وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك صلى الله عليه وسلم لكن في كلام
الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك اي التكبير عند نقل سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف وقد ذكر الشيخ ابو المواهب
الشاذلي عن شيخه ابي عثمان انه قال انما نزلت سورة الم نشرح عقب قوله واما بنعمة ربك فحدث اشارة الى ان من حدث
بنعمة الله فقد شرح الله صدره قال كانه تعالى يقول اذا حدثت بنعمتي ونشرتها بين عبادي فقد شرحت صدرك وعن ابن
اسحق ذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست عني يا جبريل وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين
ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا اي لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره
ومشيئته على مقتضى حكمته وما كان ربك تاركا لك كما زعم الكفار بل كان ذلك لحكمة واما واما حديث الزبيدي فقد حدث
بعضهم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش
حلقة بعد اخرى وهو يقول يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المادة او يجلب اليكم جلب او يحل بغنم الحاء اي ينزل بساحتكم تاجر وانتم
تظلمون من دخل عليكم في حرمكم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه فقال له من ظلمك فذكر انه قدم بثلاث
اجمال خيرة ابله اي احسنها فسامه بها ابو جهل ثلث اثمانها ثم لم يسمه بها لاجله سيام قال فاكسد على سلعتي فظلمني فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم واين اجمالك قال هذه بالحزورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام اصحابه فنظروا
الى الجمال فراى جمالا احسانا فساوم ذلك الرجل حتى الحقه برضاه واخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن
وافضل بعيرا باعه واعطى ارامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وابو جهل جالس في ناحية من السوق ولا يتكلم ثم اقبل اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا عمرو اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى مني ما تكره فجعل يقول لا اعود
يا محمد لا اعود يا محمد لا اعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل على ابي جهل امية بن خلف ومن حضر ومن معه
من القوم فقالوا له ذللت في يد محمد فاما ان تكون تريد ان تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا اتبعه ابدا ان الذي رايتم مني لما رايته رايت معه رجالا عن يمينه وشماله معهم رماح يشرعونها الي
لو خالفته لكانت اياها اي لاتوا على نفسي ونظير ذلك ان ابا جهل كان وصيا على يتيم فاكل ماله وطرده فاستعان اليتيم بالنبي صلى الله
عليه وسلم على ابي جهل فمشى اليه ورد عليه ماله فقيل له في ذلك فقال خشيت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت ان
اعطيه لطعنني واما حديث المستهزئين فمما استهزئ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث به بعضهم ان ابا جهل
بن هشام ابتاع من شخص يقال له الاراشي بكسر الهمزة نسبة الى اراش بطن من خثعم جمالا فمطله باثمانها فدلته قريش على النبي
صلى الله عليه وسلم لينصفه من ابي جهل استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بانه لا قدرة له على ابي جهل اي بعد ان وقف

على ناديهم فقال يا معشر قريش من رجل يعينني على ابي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له اترى ذلك
الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع
ابي جهل اي قال له يا ابا عبد الله ان ابا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله وانا غريب وابن سبيل وقد سالت هؤلاء القوم
عن رجل يأخذ لي بحقي منه فاشاروا اليك فخذ حقي منه يرحمك الله فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى ابي جهل و
ضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه اي تغير وصار كلون النقع الذي هو التراب وهو الصفرة مع
كدرة كما تقدم فقال له اعط هذا حقه قال نعم لا تبرح حتى اعطيه الذي له فدفعه اليه قال ثم ان الرجل اقبل حتى وقف على
ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد والله اخذ لي بحقي وقد كانوا ارسلوا رجلا ممن كان معهم
خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انظر ماذا يصنع فقالوا للذي ذلك الرجل ما رايت قال رايت عجبا من العجب والله ما هو الا
ان ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى اخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه
فاعطاه اليه فعند ذلك قالوا لابي جهل ويلك ما راينا مثل ما صنعت قال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب علي بابي وسمعت
صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسه فحلا من الابل ما رايت مثله قط لو ابيت او تاخرت لاكلني والى هذه القصة
اشار صاحب الهمزية بقوله واقتضاه النبي دين الاراشي وقد ساء بيعه والشراء ورأى المصطفى اتاه بما لم ينج منه دون الوفا النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن ما على مثله يعد الخطا اي وطلب صلى الله عليه وسلم من ابي جهل ان يؤدي دين الاراشي
وقد ساء بيعه وشراؤه مع ذلك الرجل وراى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اتاه بفحل من الابل لم ينج منه دون الوفا
لذلك الدين كثير النجا وذلك الذي اتاه به هو الفحل الذي قد راه من قبل اي لما اراد ان يلقي عليه صلى الله عليه وسلم الحجر و
هو ساجد كما تقدم لكن ما على مثله نقلا عنه يعد الخطا الا ان خطاه لا ينحصر اي ومن استهزاء ابي جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم انه
في بعض الاوقات سار يخلف النبي صلى الله عليه وسلم يخلج بانفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك
الى ان مات قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المستهزئين الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين ابو جهل وابو لهب وعقبة بن ابي معيط و
الحكم بن العاص بن امية وهو والد مروان بن الحكم الخليفة عم عثمان بن عفان والعاص بن وائل فمن استهزاء ابي جهل ما تقدم ومن
استهزاء ابي لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح العذرة على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي يوم من الايام
راه اخوه حمزة رضي الله تعالى عنه قد فعل ذلك فاخذه وطرحه على راسه فجعل ابو لهب ينفض راسه ويقول صابئ احمق ومن استهزاء
عقبة بن ابي معيط به صلى الله عليه وسلم انه كان يلقي العذرة ايضا على بابه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقد قال صلى الله عليه
وسلم كنت بين شر جارين ابي لهب وعقبة بن ابي معيط اذا كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي كما تقدم ومن استهزائه انه
بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه برصا اي فانه صلى الله عليه وسلم كان يكثر مجالسة عقبة بن
ابي معيط فقدم عقبة يوما من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من اشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم
الطعام ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياكل فقال ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله فقال عقبة
اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس
وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فاخبر الناس ابيا بمقالة عقبة فاتى اليه وقال يا عقبة صبوت فقال والله ما صبوت ولكن دخل
منزلي رجل شريف فابى ان ياكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له والشهادة ليست في نفسي
فقال له ابي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة
لقي النبي صلى الله عليه وسلم ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله

عليه وسلم بلغ وصلنا الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان اثر الحرق في وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بقوله فيما نقل نعاد بصاقه برصا في وجهه اي صار كالبرص وانزل الله تعالى فيه حقه ويوم يعض الظالم على يديه اي في النار يأكل احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى فيأكلها وهكذا ومن استهزأ الحكم ابن العاص انه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يختلج وانفه يغمز بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك اي كما تقدم نظير ذلك لابي جهل واستمر الحكم بن العاص يختلج بانفه وفمه بعد ان مكث شهرا مغشيا عليه مات اسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه شيء اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه صلى الله عليه وسلم بالعنزة وقيل بمدرة في يده والمدرة كالمسلة يفرق بها شعر الراس وقال من عذيري من هذا الوزغة لو ادركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة الى الطائف فلم يزل حتى ولي ابن اخيه عثمان رضي الله تعالى عنه الخلافة فدخل المدينة بعد ان سال عثمان ابا بكر في ذلك فقال لا احل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سال عمر لما ولي الخلافة فقال له مثل ذلك ولما ادخله عثمان انتقم عليه الصحابة بسبب ذلك فقال اني كنت شفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده اي ان ارده وليا في ذلك سؤال عثمان لابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في ذلك كما لا يخفى لانه يحتمل ان يرده عثمان اما بنفسه او بسؤاله وسياق ذلك في جملة امور انتقمها عليه الصحابة وعن هند بن خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بابي الحكم فجعل يغمز بالنبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفي رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقدي استاذن الحكم بن ابي العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ايذنوا له لعنة الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ما هم ومكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم في الاخرة من خلاق وكان لا يولد لاحد ولد بالمدينة الا اتي به للنبي صلى الله عليه وسلم فاتي اليه بمروان لما ولد فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون وعلى هذا فهو صحابي ان ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل ان اتي به اليه صلى الله عليه وسلم فلم ياذن بادخاله عليه ومما يدل لذلك قوله هو الوزغ الى اخره وفي كلام بعضهم ان مروان ولد بمكة وفي كلام بعض اخر انه ولد بالطائف بعد ان نفي ابوه الى الطائف ولم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابي ومن ثم قال البخاري مروان ابن الحكم لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت لمروان نزل في ابيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك اي العاص بن امية انتم الشجرة الملعونة في القران وولي مروان الخلافة تسعة اشهر وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت لمروان بن الحكم حيث قال لاخيها عبد الرحمن بن ابي بكر لما بايع معاوية لولده قال لمروان سنة ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بل سنة هرقل وقيصر وامتنع من البيعة ليزيد بن معاوية فقال له مروان انت الذي انزل الله فيك والذي قال لوالديه اف لكما فبلغ ذلك عايشة رضي الله تعالى عنها فقالت كذب والله ما هو به ثم قالت له اما انت يا مروان فاشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اباك وانت في صلبه وعن جبير بن مطعم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن ابي العاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل لامتي مما في صلب هذا قال بعضهم وكون النبي صلى الله عليه وسلم مع ما هو عليه من الحلم والاغضاء على ما يكره فعل بالحكم ذلك يدل على امر عظيم ظهر له في الحكم واولاده وعن حمران بن جابر الحنفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبني امية ثلاث مرات اي ممن يلي منهم الخلافة اربعة عشر رجلا اولهم معاوية بن ابي سفيان واخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهي الف شهر قال بعضهم لا يزيد ذلك يوما ولا ينقص يوما قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفيه

نقل لان معاوية حين تسلم الخلافة من الحسن كان ذلك سنة اربعين او احدى واربعين واستمر الامر في بني امية الى ان نقل الى بني العباس سنة ثنتين وثلاثين ومائة ومجموع ذلك ثنتان وتسعون سنة والف شهر تعدل ثلاثا وثمانين سنة واربعة اشهر هذا كلامه ومن استهزأ العاص بن وائل انه كان يقول غر محمد نفسه واصحابه ان وعدهم ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث اي ومن استهزائه ان خباب بن الارت رضي الله تعالى عنه كان قينا بمكة اي حدادا يعمل السيوف وقد كان باع العاص سيوفا فجاءه يتقاضاه ثمنها فقال له يا خباب اليس يزعم محمد هذا الذي انت على دينه في الجنة ما ابتغى اهلها من ذهب او فضة او ثياب وخدم او ولد قال خباب بلى قال فانظرني الى يوم القيامة يا خباب حتى ارجع الى تلك الدار فاقضيك هناك حقك والله لا تكون انت وصاحبك اثر عند الله مني ولا اعظم حظا في ذلك وفي لفظ ان العاص قال له لا اعطيك حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال دعني حتى اموت ثم ابعث فسوف اوتى مالا وولدا فاقضيك فانزل الله تعالى فيه افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وياتينا فردا وفي كلام ابن حجر الهيتمي وفي البخاري عن عدة طرق ان خبابا رضي الله تعالى عنه طلب من العاص ابن وائل السهمي دينا له عليه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقال لا اكفر به حتى يميتك الله ثم يبعثك وفيه ان هذا تعليق للكفر بممكن اي وتعليق الكفر ولو بمحال عادي وكذا شرعي او عقلي على احتمال كفر لانه ينافي عقد التصميم الذي هو شرط في الاسلام واجيب بانه لم يقصد التعليق قطعا وانما اراد تكذيب ذلك اللعين في انكار البعث ولا ينافيه قوله حتى لانها تاتي بمعنى الا المنقطعة فتكون بمعنى لكن التي صرحوا بان ما بعدها كلام مستانف وعليه خرج ابن هشام الخضراوي حديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه اي لكن ابواه وعد بعضهم من المستهزئين الحارث بن عيطلة ويقال ابن عيطل ينسب الى امه وكان من استهزائه ما تقدم عن العاص بن وائل وابي جهل من الاختلاج خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد منهم الاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا راى المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر اي لان الصحابة كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم اما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما اشبه هذا القول وعد منهم الاسود بن المطلب ومن استهزائه انه كان هو واصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه ويصفرون اذا راوهم وعد منهم النضر بن الحارث فلان غالبهم قبل الهجرة بضروب من البلاء اقول والذي ينبغي ان يكون المراد بالمستهزئين في الاية وهي انا كفيناك المستهزئين الوليد بن المغيرة والدخلاء اي جهل فانه كان من عظماء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس ايام منى حيسا وينهى ان توقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على الحاج نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه كانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا وببركته صلى الله عليه وسلم اصابته الجوائح والافات في امواله حتى ذهبت باسرها ولم يبق له في ايام الحج ذكر وكان المقدم في قريش فصاحة وكان يقال له الوحيد اي في الشرف والسودد والجاه والرياسة قال بعضهم بل هو وحيد في الكفر والخبث والعناد والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث ابن عيطلة وفي لفظ ابن الطلاطلة في اللغة الداهية قال بعضهم وهو اشتباه لان ابن الطلاطلة اسمه مالك لا الحارث بن العيطلة كان احد اشراف قريش في الجاهلية واليه كانت الحكومة والاموال التي تجعل للالهة وذكره بن عبد البر في الصحابة قال في اسد الغابة لم ار احدا ذكره في الصحابة الا ابا عمر يعني ابن عبد البر والصحيح انه كان من المستهزئين وهؤلاء الخمسة الذين اقتصر عليهم القاضي البيضاوي لما يروى ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد يطوف بالبيت وقال له امرت ان اكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال له يا محمد كيف تجد

هذا فقال بئس عبد الله فاومأ الى سبابة الوليد ومر العاص بن وائل فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاشار الى اخمصه
وقال كفيته ثم مر الاسود بن المطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاومأ الى عينيه وقال كفيته ثم مر الاسود بن
عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاومأ الى راسه وقال كفيته ثم مر الحارث بن عيطلة فقال كيف تجد هذا
يا محمد قال عبد سوء فاومأ الى بطنه وقال كفيته وحينئذ يكون معنى كفاية هذا له صلى الله عليه وسلم انه لم يتبع ولم يتكلف
في تحصيل ذلك شيئا والى هذا اشار الامام السبكي في تائيته بقوله وجبريل لما استهزأت فرقة الردى اشار الى كل بافتح ميتة
والله اعلم قال الدميري ذكر الزهري ان الاسود بن عبد يغوث خرج من عند اهله فاصابته السموم فاسود وجهه فاتى اهله فلم يعرفوه و
اغلقوا دونه الباب وسلط عليه العطش فلا زال يشرب الماء حتى انشق بطنه وهذا يناسب ما سياتي عن الهمزية ولا يناسب
ان جبريل اشار الى راسه وفي كلام البلاذري عن عكرمة ان جبريل اخذ بعنق الاسود بن عبد يغوث فحنى ظهره حتى احقوقف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالي اي لانه كما تقدم ابن خاله فهو اما على حذف المضاف او لاجل مراعاة ابيه اي يراعي
ابيه الذي هو خالي فقال جبريل يا محمد دعه وفي رواية قال له جبريل خذ عنك ثم حناه حتى قتله وهذا لا يناسب كون جبريل اشار
الى راسه والمناسب لذلك ما ذكره بعضهم انه امتخض راسه قيحا ثم لم يزل يضرب براسه اصل شجرة حتى مات واما الحارث بن عيطلة ايضا في كلام
القاضي وحارث بن قيس وفي تكملة المدارك للسيوطي عدي بن قيس فقد اكل حوتا مملحا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقد بطنه وهذا
المناسب لما ذكر هنا ان جبريل اشار الى بطنه لكن لا يناسب ما في كلام القاضي البيضاوي انه اشار انه اشار الى انفه فامتخض
قيحا واما الاسود بن المطلب فقد عمي بصره فقد ذكر انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس في ظل
شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمي فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا احد يصنع بك شيئا اي وقيل
من به بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول ها هو ذا طعن بالشوك في عيني فيقال له ما نرى شيئا وقيل اتى شجرة فجعل ينطح راسه
بها حتى خرجت عيناه اي ولكل فعل ذلك لا ينافي ما هو ذو فاشار جبريل الى وجهه فعمي بصره في الحال يجوز ان يراد بالحال
الزمن القريب وفي رواية انه كان يقول دعا علي محمد بالعمى فاستجيب له ودعوت عليه بان يكون طريدا شريدا فاستجيب وسياتي عن
بعضهم في غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود بن المطلب بالعمى وفقد اولاده فحصل له العمى وفقد اولاده ببدر
واما الوليد بن المغيرة فمر بنخفض يعمل النبل فتعلق بثوبه سهم فلم ينقلب ليخرجه تعاظما فاصاب السهم عرقا في ساقه فقطعه فمات
واما العاص بن وائل فدخلت شوكة في اخمصه فانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ومات والى الخمسة الذين ذكرنا انهم المراد بقوله
تعالى انا كفيناك المستهزئين اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله وكفاه المستهزئين وكم ساء نبيا من قومه استهزاء
خمسة كلهم اصيبوا بداء والردى من جنوده الادواء فدهى الاسود بن مطلب اي عمى ميت به الاحياء ودهى الاسود بن عبد يغوث
ان سقاه كاس الردى استسقاء واصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء وقضت شوكة على مهجة العاص فلله
النقعة الشوكاء وعلى الحارث القيوح وقد سال بها راسه وساء الوعاء خمسة طهرت بقطعهم الارض فكف الاذى بهم شلاء
اعدي كفى الله محمدا رسول صلى الله عليه وسلم المستهزئين به ومرات كثيرة احزن نبينا صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبياء استهزاء
قومه به وهؤلاء المستهزئون به صلى الله عليه وسلم خمسة كلهم اصيبوا بداء عظيم والهلاك من جملة جنوده الامراض فاهلك
بن مطلب عمى عظيم الاحياء اموات بسببه وهو المناسب لكون جبريل عليه السلام اشار الى عينيه ودهى ايضا الاسود بن
عبد يغوث استسقا سقاه كاس الموت وهذا لا يناسب كون جبريل عليه السلام اشار الى راسه واصاب الوليد اثر سهم
في ساقه قصرت عنه الحية الرقطاء اي سمها وقضت شوكة على مهجة العاص دخلت في رجله فلله من النقعة الخشنة اللمس و
نفث على الحارث القيوح والحال انه قد سال به راسه وقبح ذلك الوعاء الذي فيه القيوح وهذا هو المناسب لكون جبريل الى بطنه

وخمسة طهرت بهلاكهم الارض فكف الاذى بهم شلا في قلة الحركة وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هؤلاء الخمسة
هلكوا في ليلة واحدة فعلوا ان هؤلاء هم المراد بقوله تعالى عنهم انا كفيناك المستهزئين كما ذكرنا وان كان المستهزئون غير
منحصرين فيهم فلا ينافي ما في عقبة ونبيه ابني الحجاج منهم فقد قيل كانا ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانا اذا لقياه يقولا اما وجد الله من يبعثه غيرك انا ها هنا من هو اسن منك وايسر فان كنت صادقا فائتنا بملك يشهد
لك ويكون معك واذا ذكر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه اهل الكتاب ما ياتي به ولا ينافي عد ابي جهل
وغيره منهم كما تقدم وفي سيرة ابن المحدث قال عليه الصلاة والسلام من قرا سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد
من استهزا بمحمد واصحابه ومن استهزا ابي جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم ايضا انه قال يوما القرايش يا معشر قريش يزعم محمد ان
جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وانتم اكثر الناس عددا افيعجز كل رجل منكم من واحد منهم اي وفي رواية ان
بعض قريش وكان شديد القوى البأس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد
ولا يتزحزح عنه قال له انا اكفيك سبعة عشر واكفوني انتم اثنين ويقال ان هذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان
صرعتني امنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن اي وفي رواية ان ابا جهل قال انا اكفيكم عشرة فاكفوني تسعة
فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي لا يطاقون كما تتوهمون وما جعلنا عدتهم الا فتنة ضلالا للذين
كفروا الآيات اي بان يقولوا ما ذكروا ويقولوا لم كانوا تسعة عشر وما اراد الله بهذا العدد اي وذلك العدد لحكمة استاثر
الله تعالى بعلمها وقد ابدى بعض المفسرين بذلك حكمة تراجع وقد جاء في وصف تلك الملائكة ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم
كالصياصي اي القرون ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة مثل قوة
الثقلين نزعت الرحمة منهم واخرج العيني في عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق ملكا وخلق له اصابع على عدد اهل النار
ما من اهل النار معذب الا ومالك يعذبه باصبع من اصابعه فوالله لو وضع مالك اصبعا من اصابعه على السماء لاذابها و
هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء لكل واحد اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو اي وهؤلاء
الاتباع منهم ما اخرج هناد عن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة الف ملك اي والمستفاد ان هؤلاء من
خزنتها وفي كلام بعضهم لم يثبت للملائكة النار عدد معين سوى ما في قوله تعالى عليها تسعة عشر واتما ذلك لسقر التي احد
دركات النار لقوله تعالى قبل ذلك سأصليه سقر وقد يكون على كل واحدة منها مثل هذا العدد او اكثر قيل وبسم الله
الرحمن الرحيم عدد حروفها على عدد هؤلاء الزبانية التسعة عشر من قراها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف
منها واحدا منهم أقول ومن استهزا ابي جهل ايضا انه قال يوما القرايش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم انها
في النار فقال له شجرة الزقوم والنار تاكل الشجرة انما الزقوم التمر والزبد وفي لفظ العجوة تثرب بالزبد فهاتوا تمرا
وزبدا وتزقموا فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي منبتها في اصل الجحيم ولا تسلط للجحيم عليها اما علموا ان
من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق بها قال ابن سلام
رضي الله تعالى عنه انها تحيى باللهب كما تحيى شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مرة زفرة واخرج الترمذي وصححه النسائي
والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة
من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اي وقال يا محمد لتكفن
سب الهتنا او لنسبن الهك الذي تعبده فانزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا
بغير علم فكف عن سب الهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ثم رايت في الدر المنثور في تفسير انا كفيناك المستهزئين

قيل نزلت في جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل عليه
السلام فغمز جبريل عليه السلام باصبعه في اجسادهم فصارت جروحا وانتنت فلم يستطع احد ان يدنوا منهم حتى ماتوا والمتبادر
الجمع على تقدير الصحة وقد يدعى انهم طائفة اخرون غير من ذكر لا انهم المستهزءون ذلك الوقت اي فقد تكرر نزول الاية
والله اعلم قال وممن استهزأ النضر بن الحارث انه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه
ويحذرهم ما اصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فاني والله يا معشر قريش
احسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم احاديثهم ويقول ما حديث محمد
الا اساطير الاولين ويقال انه الذي قال سانزل مثل ما انزل الله انتهى اي لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها
احاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كاحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك
كان سببا لنزول قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال في الينبوع والمشهور انها نزلت في شراء المغنيات قال
ولا يبعد ان تكون الاية نزلت فيهما معا للتحقيق العلقمي قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اي فان هذا الوصف
الثاني انما النضر فليتامل ولما يحكي عليهم صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن الحارث لو شاء لقلنا مثل
هذا ان هذا الا اساطير الاولين فانزل الله تعالى تكذيبا له قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا له وجاء ان جماعة من بني مخزوم منهم ابو جهل والوليد بن
المغيرة تواطؤا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي سمعوا قراءته فارسلوا الوليد
ليقتله فانطلق حتى اتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم واعلمهم بذلك فاتوه فلما سمعوا
قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فانزل الله تعالى وجعلنا من بين
ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وتقدم في سبب نزولها غير ذلك ويمكن ان يدعى انها نزلت لوجود
الامرين فليتامل وجاء ان النضر بن الحارث اتى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا اسفل ثنية الحجون فقال لا اجده ابدا اخلى
منه الساعة فاغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله فراى اساود تضرب باذنابها على راسه فاتحة افواهها
فرجع على عقبه مرعوبا فلقي ابا جهل فقال له من اين فاخبره النضر الخبر فقال ابو جهل هذا بعض سحره ومما نعتوا به انه لما نزل
قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي وقودها وحصب بالزنجية حطب اي حطب جهنم وقد قراتها عائشة
رضي الله تعالى عنها كذلك انتم لها واردون لو كان هؤلاء الهة ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش و
قالوا لعبد الله بن الزبعرى يزعم محمد انا وما نعبد من الهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعرى انا اخصم لكم محمدا ادعوه لي فدعوه
له فقال يا محمد هذا شيء لالهتنا خاصة ام لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى
خصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة الست تزعم يا محمد ان عيسى عبد من دون الله وكذا عزير والملائكة عبدت
النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة ففرح الكفار وضجوا فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها مبعدون يعني عيسى وعزيرا والملائكة

باب الهجرة الاولى الى ارض الحبشة

وسببه رجوع من
هاجر اليها من المسلمين الى مكة واسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل
بالمسلمين من توالي الاذى عليهم من كفار قريش مع عدم قدرته على انقاذهم تمام بيته قال لهم تفرقوا في الارض فان الله
تعالى سيجمعكم قالوا الى اين نذهب قال ههنا واشار بيده الى جهة ارض الحبشة قال وفي رواية قال لهم اخرجوا الى
جهة ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم عليه انتهى اي

ويجوز ان يكون قال ذلك عند استقراره صلى الله عليه وسلم من محل اشارته وقد جاء في الحديث من فر بدينه من ارض الى ارض وان
كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم خليل الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهاجر اليها ناس ذوو عدد
مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه فمن هاجر باهله عثمان بن عفان رضي الله تعالى
عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان اول خارج وقيل اول من هاجر الى الحبشة حاطب بن ابي عمرو
وقيل سليط بن عمرو ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط اي وحينئذ قال اني مهاجر الى ربي
فهاجر الى عمه ابراهيم الخليل ثم هاجرا عليهما الصلوة والسلام حتى اتيا حران ثم هاجر الى ان نزل ابراهيم عليه الصلوة والسلام
فلسطين ونزل لوط عليه الصلوة والسلام المؤتفكة ووجه المنافاة ان كلا من حاطب وسليط يجوز ان يكون هاجر بغير اهله
وكان مع رقية ام ايمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وكانت رقية رضي الله تعالى عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضي الله
تعالى عنه ومن ثم كانت النساء يغنينها يقولون احسن شيء ما يرى عثمان رقية وبعلها عثمان ومن ثم ذكر انه صلى الله عليه وسلم
بعث رجلا الى عثمان ورقية رضي الله تعالى عنهما فاحتبس عليه الرسول فلما جاء اليه فقال له صلى الله عليه وسلم ان
شئت اخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما اي ومعلوم ان ذلك كان قبل اية الحجاب
ويذكر ان نفرا من الحبشة كانوا ينظرون اليها فتاذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء في وصف حسن عثمان رضي
الله تعالى عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل ان اردت ان تنظر من اهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر
الى عثمان بن عفان وسياق ذلك مع زيادة وابو سلمة هاجر ومعه زوجته ام سلمة اي وقيل هو اول من هاجر باهله
وهو مخالف للرواية السابقة ان عثمان اول من هاجر باهله ويمكن ان تكون الاولية فيه اضافية فلا ينافي ما سبق من
عثمان وعامر بن ربيعة هاجر ومعه امراته ليلى رضي الله تعالى عنهما كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من
اشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيري اريد ان اتوجه الى ارض الحبشة اذا انا بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
فقال الى اين يا ام عبد الله فقلت قد اذيتمونا في ديننا فنذهب في ارض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله ثم ذهب فجاء
زوجي عامر فاخبرته بما رايت من رقة عمر فقال ترجين ان يسلم عمر والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب اي استبعادا لما كان
يرى من قسوته وشدته على اهل الاسلام وهذا دليل على ان اسلام عمر كان بعد الهجرة الاولى للحبشة وهو كذلك
اي خلافا لما قال انه كان تمام الاربعين من المسلمين اي وممن اسلم اي وعثمان المهاجرين الى ارض الحبشة كانوا فوق
ثمانين كما قال بعضهم قال العلامة الا ان يقال انه كان تمام الاربعين بعد رجوع المهاجرين الى ارض الحبشة وربما يدل
لذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الصديق وفي ضرب قريش له صلى الله عليه وسلم لما قام خطيبا في
المسجد الحرام وقد تقدمت حيث قالت وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا لكن في الرواية انهم اتوا مواضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا وقد كان حمزة بن عبد المطلب اسلم يوم ضرب ابي بكر
فليتامل وفي لفظ عن ام عبد الله زوج عامر قالت انا لنرحل الى ارض الحبشة وقد ذهب عامر يعني زوجها لبعض حاجته
اذ اقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وكنا نلقى منه الاذى والبلاء والشدة علينا فقال انه للرحيل يا ام عبد الله فقلت
والله لنخرجن الى ارض فقد اذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا وفرجا فقال صحبكم الله ورايت له رقة لم اكن
اراها ثم انصرف وتعرست فيه حزنا لخروجنا وقلت لعامر يا ابا عبد الله لو رايت ما وقع من عمر وذكرت ما تقدم وممن هاجر ابو سبرة
وهو اخو ابي سلمة رضي الله تعالى عنهما لامه امه برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ومعه
امراته ام كلثوم وممن هاجر بنفسه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنهما اي وكان اميرا عليهم كما قيل

وجزم به ابن المحدث في سيرته وقال الزهري لم يكن لهم امير وسهيل بن البيضا اي والزبير بن العوام وعبد الله بن
مسعود رضي الله تعالى عنهم وقيل انما كان عبد الله بن مسعود في الهجرة الثانية فخرجوا سرا اي متسللين منهم الراكب ومنهم
الماشي حتى انتهوا الى البحر فوفق الله لهم سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار اي وفي المواهب وخرجوا مشاة الى البحر فاستاجروا
سفينة بنصف دينار وهذا كالامر فليتامل وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من النبوة فخرجت قريش في اثارهم حتى
جاؤا الى البحر فلم يجدوا احدا منهم ولعل خروجهم سرا لا ينافي ما تقدم عن ليلى امراة عامر بن ربيعة من سؤال عمر لها واخبارها
له بانها تريد ارض الحبشة فلما وصلوا الى ارض الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار فمكثوا في ارض الحبشة بقية رجب وشعبان
الى رمضان فلما كان شهر رمضان قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين سورة والنجم اذا هوى اي وقد انزلت
عليه في ذلك الوقت فعن كلام بعضهم جلس صلى الله عليه وسلم يوما مع المشركين وانزل الله تعالى سورة والنجم اذا هوى
فقراها عليهم اذا بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان بكلمتين فتكلم بهما ظانا انهما
من جملة ما اوحي اليه وهما تلك الغرانيق العلى اي الاصنام وان شفاعتهن لترتجى وفي لفظ هي التي ترتجى شبهت الاصنام
بالغرانيق التي هي طير الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم نون مفتوحة او غرنوق بضم الغين والنون ايضا
او غرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركي ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور ان تلك الطيور تعلوا
وترتفع في السماء فالاصنام شبهت بها في علو القدر وارتفاعه ثم مضى يقرا السورة حتى بلغ السجدة فسجد وسجد القوم جميعا
اي المسلمون والمشركون [illegible] قال بعضهم ولم يكن المسلمون سمعوا الذي القى الشيطان وانما سمع ذلك المشركون
فسجدوا لتعظيم الهتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين معهم من غير ايمان قال بعضهم والنجم هي اول سورة نزل
فيها سجدة اي اول سورة نزلت علنا كاملة فيها سجدة فلا ينافي ان اقرا باسم ربك سورة نزلت فيها سجدة لان النازل اولها
كما علمت وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قرا يوما اقرا باسم ربك فسجد في اخرها وسجد معه المؤمنون فقام المشركون على
رؤسهم يصفقون وقد روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم سجد في النجم اي غير سجدته المتقدمة
التي سجد فيها معه المشركون ومجموع ذلك يرد حديث ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يسجد
في شيء من المفصل قبل ان يتحول الى المدينة لان سورة النجم من المفصل لان عند ائمتنا ان اول المفصل الحجرات
على الراجح من اقوال العشرة لا يقال لعل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ممن يرى ان النجم ليس من المفصل لانا
نقول اقرا باسم ربك من المفصل اتفاقا وعلى ما قال ائمتنا يكون في المفصل ثلاث سجدات في النجم والانشقاق
واقرا باسم ربك وهي اي النجم اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وذكر الحافظ الدمياطي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان راى قومه كذا عنه اي تركا وعدم [illegible] فجلس خاليا فتمنى فقال ليته لم ينزل علي شيء ينفرهم عني وفي
رواية تمنى ان ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصا على اسلامهم وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ودنى
منهم ودنوا منه فجلس يوما مجلسا في ناد من تلك الاندية حول الكعبة فقرا عليهم والنجم اذا هوى الى اخر ما تقدم والله اعلم
ومن جملة من كان مع المشركين حينئذ الوليد بن المغيرة لكنه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على
السجود وقيل الذي فعل ذلك سعيد بن العاص ويقال كلاهما فعل ذلك وقيل الفاعل لذلك امية بن خلف وصحح وقيل
عتبة بن ربيعة وقيل ابو لهب وقيل المطلب وقد يقال لا مانع ان يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك
عجزا وممن فعل ذلك تكبرا ابو لهب فقد جاء وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير ابي لهب فانه
رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفي هذا ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود ولقد رايته قتل كافرا اي الفاعل

لذلك

لذلك فقتل كافرا لانه يجوز ان يكون المراد بقتل مات فعند ذلك قال المشركون له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا ان الله
تعالى يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده فاما اذا جعلت لها نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجلس في البيت ودنا انه كيف يكبر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك مع انه موافق لما تمناه من الله ان ينزل عليه
ما يقارب بينه وبين المشركين حرصا على اسلامهم المتقدم ذلك عن سيرة الدمياطي الا ان يقال هذا كان بعد عرض
السورة على جبريل وقال ما جئتك بهاتين الكلمتين المذكورتين ذلك في قولنا قال فلما امسى صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل
فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها فقال جبريل عليه السلام ما جئتك بهاتين الكلمتين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلت على الله ما لم يقل اي فكبر عليه ذلك فاوحى الله اليه ما في سورة الاسرى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا
اليك لتفتري علينا غيره بموافقتك لهم على مدح الهتهم بما لم يرسل به اليك واذا لو فعلت اي شيئا عليه لاتخذوك خليلا
الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي مانعا يمنع العذاب عنك وهذا يدل لما تقدم انه تكلم بذلك ظانا انه من جملة ما اوحي
اليه وقيل نزل ذلك لما قال له اليهود حسدا له صلى الله عليه وسلم على اقامته بالمدينة لئن كنت نبيا فالحق بالشام لانها
ارض الانبياء حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج بعد مرحلة فنزلت فرجع اي بدليل ما بعدها وقيل ان التي بعدها نزلت في
اهل مكة وقيل ان اية وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا
لا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا
باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل نزلت في قريش
قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وقد علمت ان هذا مما تعددت اسباب نزوله والقاضي البيضاوي اقتصر
على ما عدا الاول والله اعلم قال وقيل ان هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ارتصد الشيطان
قوله الاخرى فقال لهما حاكيا نغمته صلى الله عليه وسلم فظنهما النبي صلى الله عليه وسلم كما في شرح المواقف ومن سمعه انهما
من قوله صلى الله عليه وسلم اي حين قال قلت على الله ما لم يقل وتباشر بذلك المشركون وقالوا ان محمدا قد رجع الى
ديننا اي دين قومه حتى ذكر ان الهتنا لتشفع لنا وعند ذلك انزل الله تعالى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى قرا القى الشيطان في امنيته اي قراءته ما ليس من القران اي مما يرضاه المرسل اليهم وفي البخاري اذا حدث
القى في حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان يبطله ثم يحكم الله اياته اي يثبتها والله اعلم بالقاء الشيطان ما ذكر حكيم في
تمكنه من ذلك يفعل ما يشاء ليميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه ولم اقف على بيان احد من الانبياء والمرسلين
وقع له مثل ذلك وعليه كيف يجري الشيطان على التكلم بشيء من الوحي ومن ثم قيل بهذه القصة طعن في صحتها جمع وقالوا
انها باطلة وضعها الزنادقة اي ومن ثم اسقطها القاضي البيضاوي ومن جملة المنكرين لها القاضي عياض فقد قال هذا الحديث
لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب
اي وقال البيهقي رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم وقال الامام النووي نقلا عنه واما ما يرويه الاخباريون والمفسرون
ان سبب سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى على لسانه من الثناء على الهتهم فباطل لا يصح منه شيء
لا من جهة النقل ولا من جهة العقل لان مدح اله غير الله كفر ولا يصح نسبة ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا ان يقول الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك اي ولا يلزم عليه عدم الوثوق
بالوحي وقال الفخر الرازي هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى اي والشيطان لا يجترئ ان ينطق بشيء من الوحي وقال بعضهم جمع منهم خاتمة الحفاظ الشهاب ابن حجر قال لعد القاضي

عياض لا فائدة فيه ولا يعول عليه هذا كلامه وفشى امر تلك السجدة في الناس حتى بلغ ارض الحبشة ان اهل مكة اى عظماهم قد سجدوا
واسلموا اخص الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص وفى كلام بعضهم والقائل لاسلامهم انه لما راى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اعتقد انهم اسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع معهم فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة
فظنوا صحة ذلك فقال المهاجرون بها من بقى بمكة اذا اسلم هولاء عشايرنا احب الينا فخرجوا اى خرج جماعة منهم من ارض الحبشة
راجعين الى مكة اى وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وذلك في شوال
حتى اذا كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا فسألوهم عن قريش فقال الركب ذكر محمد الهتهم بخير فتابعه الملا ثم عاد الى
الهتهم وعادوا له بالشر ونحن تركناهم على ذلك فايتمر القوم في الرجوع الى ارض الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل ننظر ما
قريش ويحدث عهد من اراد باهله ثم نرجع فدخلوا مكة اى بعضهم بجوار وبعضهم مستخفيا قال في الامتاع ويقال انه رجع من كان
مهاجرا بالحبشة الى مكة كان بعد الخروج من الشعب هذا كلامه وفيه نظر ظاهر ويرشد الى النظر ولانهم مكثوا في الشعب ثلاث
سنين او ستين ومكث هولاء عند النجاشي حينئذ كان دون ثلاثة اشهر كما علمت وايضا الهجرة الثانية للحبشة انما كانت
بعد دخول الشعب كما سياتي قال في الاصل ولم يدخل احد منهم الا بجوار الا ابن مسعود فانه مكث يسيرا ثم رجع الى ارض الحبشه
اى وهذا من صاحب الاصل تصريح بان ابن مسعود كان في الهجرة الاولى وهو موافق في ذلك لشيخه الحافظ الدمياطي لكن الحافظ الدمياطي
جزم بان ابن مسعود كان في الهجرة الاولى ولم يحك خلافا وصاحب الاصل حكى خلافا انه لم يكن بينها وبه جزم ابن اسحق حيث
قال ابن مسعود انما كان في الهجرة الثانية فكان ينبغى للاصل ان يعول على ما تقدم هذا وفى كلام بعضهم فلم يدخل احد منهم
مكة الا مستخفيا او بجوار دخلوا مكة الا عبد الله بن مسعود فانه رجع الى ارض الحبشة وقد يقال لعله لم يطل مكث ابن مسعود
بمكة ظن بانه لم يدخلها فلا ينافى ما سبق ويجوز ان يكون اكثرهم دخل مكة بلا جوار فاطلقوا على الكل انهم دخلوا مستخفين
فلا يخالف ما سبق ايضا ولما رجعوا لقوا من المشركين اشد ما عهدوا قال لعمى من دخل بجوار عثمان بن مظعون دخل في جوار الوليد
بن المغيرة ولما راى ما يفعل بالمسلمين من الاذى قال لعا والله ان غدوى ورواحى امنا بجوار رجل من اهل المشرك واصحابى
واهل دينى يلقون من الاذى في الله ما لا يصيبنى لنقص كبير فمشى الى الوليد فقال يا ابا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت
اليك جوارك قال له يا ابن اخى لعله اذاك احد من قومى وانت في ذمتى فاكفيك ذلك قال لا والله ما اعرض لى احد ولا اذانى
ولكن ارضى بجوار الله عز وجل واريد ان لا استجير بغيره قال انطلق الى المسجد فاردد الى جوارى علانية كما اجرتك علانية
فانطلقا حتى اتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى فقال عثمان صدق وجدته وفيا كريم الجوار ولكنى لا استجير
بغير الله عز وجل فقد رددت عليه جواره فقال الوليد اشهدكم انى برى من جواره الا ان يشاء ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة
بن مالك في مجلس من قريش ينشدهم قبل اسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد الا كل شى ما خلا الله باطل فقال عثمان صدقت
فقال لبيد وكل نعيم لا محالة زايل فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش ما كان يوذى جليسكم
فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه في سفاهته فارق ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد
عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال اما والله يا ابن اخى كانت عينك
عما اصابها لغنية ولقد كنت في ذمة منيعة فخرجت عنها وكنت عن الذى لقيت غنيا فقال عثمان رضى الله تعالى عنه بل
كنت الى الذى لقيت فقيرا والله ان عينى الصحيحة التى لم تلطم لفقيرة الى مثل ما اصاب اختها في الله عز وجل ولى فيمن هو احب
الى منكم اسوة وانى لفى جوار من هو اعز منك انتهى فعثمان فهم ان لبيدا اراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الاخرة ومن ثم قال له
نعيم الجنة لا يزول لا يقال لولا ان لبيدا يريد مطلق النعيم الشامل لنعيم الاخرة لما تشوش من الرد لانا نقول يجوز ان يكون

تشوش

تشوش من مشافهة عثمان له بقوله كذبت على ان هذا السياق دال على ان لبيدا قال هذا الشعر قبل اسلامه ويؤيده ما قبل اكثر
اهل الاخبار على ان لبيدا لم يقل شعرا منذ اسلم وبه يرد ما في الاستيعاب ان هذا اى قوله الا كل شى الخ شعر حسن فيه ما يدل على
انه قاله في الاسلام وكذلك قوله وكل امرى يوما سيعلم سعيه اذا كشفت عند الاله المحاصل وقد يقال لا يلزم من قوله
المذكور الذى لا يصدر غالبا الا من مسلم ان يكون قاله في حال اسلامه كما وقع لامية ابن ابى الصلت حيث قال في شعره ما لا يقوله
الا مسلم مع كفره ومن ثم قال في حقه صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه وفى رواية كاد يسلم وذكر الشيخ محيى الدين بن العربى في
قوله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قالته العرب وفى رواية اشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد الا كل شى ما خلا الله باطل اعلم
ان الموجودات كلها وان وصفت بالباطل فهى حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اذا غلب على صاحبه يرى ما سوى الله تعالى باطلا
من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم وهذا معنى قول بعضهم قوله باطل اى كالباطل لان العالم قايم بالله تعالى لا بنفسه فهو
من هذا الوجه باطل والعارف اذا وصل الى مقامات القرب في بداية عرفانه ربما تلاشت هذه الكليات وغيب عن شهودها بشهود
الحق لانها زالت من الوجود بالكلية ثم اذا كمل عرفانه يشهد الحق تعالى والخلق معا في آن واحد وما كل واحد يصل الى هذا المقام فان
غالب الناس ان شهد الحق لم يشهد الخلق وان شهد الخلق لم يشهد الحق كما تقدم عند الكلام على الوحدة انه لا يدركها الا من ادرك
اجتماع الضدين ولعل من المشهد الاول قول الاستاذ الشيخ ابى الحسن البكرى رضى الله عنه استغفر الله مما سوى الله لان الباطل يستغفر
من اثبات وجوده لذاته ويوافق قول اكثر اهل الاخبار قول السهيلى واسلم لبيد وحسن اسلامه وعاش في الاسلام ستين
سنة لم يقل فيها بيت شعر فسأله عمر رضى الله تعالى عنه اى في خلافته عن ترك الشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد ان علمنى الله
تعالى البقرة وال عمران فزاده عمر في اعطايه خمسمائة من اجل هذا القول فكان عطاوه الفين وخمسمائة وقيل انه قال
بيتا واحدا في الاسلام وهو الحمد لله الذى لم ياتنى اجلى حتى اكتسيت من الاسلام سربالا قال لعمى من دخل بجوار ابى سلمة بن عبد الاسد
بن عمته صلى الله عليه وسلم فانه دخل في جوار خاله ابو طالب فلما اجاره مشى اليه رجال من بنى مخزوم فقالوا يا ابا طالب منعت منا
ابن اخيك فما لك ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجار بى وهو ابن اختى وانا ان لم امنع ابن اختى لم امنع ابن اخى فقام ابو لهب على اولئك الى ان قال
لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه والله لتنتهن او لاقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى
يبلغ ما اراد قالوا بل ننصرف عما تكره يا ابا عتبة اى لانه كان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر اى
فطمع ابو طالب في ابى لهب حتى سمعه يقول ما ذكر ورجا ان يقوم معه في شانه صلى الله عليه وسلم وانشد ابياتا يحرضه فيها
على نصرته صلى الله عليه وسلم وممن اوذى في الله بعد اسلامه ووقع له نظير ما وقع لعثمان بن مظعون عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه اتحبون ان اعلمكم كيف كان بدو اسلامى اى ابتداوه والسبب فيه قلنا نعم قال كنت من اشد الناس
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقينى رجل من قريش
اى وهو نعيم بن عبد الله النحام بالحاء المهملة قيل له ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال لعمر لقد سمعت نحمة في الجنة اي
صوته وحسه كان يخفى اسلامه خوفا من قومه واخبرنى ان اختى اى ام جميل واسمها فاطمة كما تقدم وقيل زينب وقيل
امنة قد صبت اى اسلمت وكذا زوجها وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل احد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن
عم عمر وكانت اخت سعيد عاتكة عند عمر فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين
اذا اسلما عند الرجل به قوة يكونان معه يصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج اختى رجلين منهما اسلم احدهما خباب بن
الارت بالتاء المثناة فوق والاخر لم اقف على اسمه في السيرة الهاشمية الاقتصار على خباب وانه كان يختلف
اليهما يعلمها القران فجئت حتى قرعت الباب فقيل من بالباب قلت ابن الخطاب وكان القوم جلوسا يقرون صحيفة

معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا أي واستخفوا ونسوا الصحيفة فقامت المرأة ففتحت لي فقلت لها يا عدوة نفسها
قد بلغني أنك قد صبوت وضربتها بشيء كان في يدي فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل
فقد أسلمت فدخلت وجلست على السرير فنظرت فإذا بالصحيفة في ناحية من البيت فقلت ما هذا الكتاب أعطينيه أي فإن عمر كان
كاتبا فقالت لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر وهذا لا يمسه إلا المطهرون فلم أزل بها حتى
أعطتنيه أي بعد أن اغتسل كما في بعض الروايات وفي بعض الروايات قالت له يا أخي إنك نجس على شركك فإنه لا يمسه
إلا المطهرون وقولها لا تغتسل من الجنابة ربما يخالف قول بعضهم إن أهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة وكون
عمر كان يخالفهم في ذلك من البعد وكون هذا منها يحمل على أنه لم يغتسل غسلا يعتد به يخالفه ما تقدم عن بعض الروايات
أنه لما اغتسل وفعل ذلك الوضوء وفي لفظ قالت له إنا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها
إذا قرأها فدفعتها إليه وطمعت في إسلامه فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال فلما مررت على بسم الله الرحمن الرحيم
ذعرت أي فزعت ورميت الصحيفة من يدي ثم رجعت إلى نفسي فأخذتها فإذا فيها سبح لله ما في السموات والأرض
وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ثم ترجع إلي نفسي فأخذها حتى بلغت آمنوا
بالله ورسوله إلى قوله إن كنتم مؤمنين فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فخرج القوم
يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا مني وحمدوا الله ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فإن رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا فقال اللهم أعز الإسلام وفي لفظ أيد الإسلام بأحد الرجلين إما بأبي جهل بن هشام وإما بعمر بن
الخطاب أي وفي لفظ بأحب هذين الرجلين إليك بأبي الحكم عمرو بن هشام يعني أبا جهل وعمر بن الخطاب أي وفي رواية
بعمر بن الخطاب من غير ذكر أبا جهل وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت إنما قال صلى الله عليه وسلم اللهم
أعز عمر بالإسلام لأن الإسلام يعز ولا يعز أي ولعل قول عائشة رضي الله تعالى عنها ما ذكر نشأ عن اجتهاد منها بدليل
تعليلها واستبعادها أي يعز الإسلام بعمر وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس
قال عمر رضي الله تعالى عنه فلما عرفوا مني الصدق قلت أخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خباب و
ابن عمه سعيد معه قال عمر فلما قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب فما اجترأ أحد أن يفتح لي الباب لما عرفوه من شدتي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا بإسلامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فإن يرد الله به
خيرا يهده وفي لفظ يهديه بإثبات الياء وهي لغة ففتحوا لي أي والذي أذن في دخوله حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فإن
إسلام عمر كان بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام وقيل بثلاثة أشهر وكان إسلام عمر وهو ابن ست وعشرين سنة قال وأخذ رجل
بعضدي حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فأرسلوني فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم
فأخذ بمجامع قميصي فجذبني إليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله
فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة أي وفي الأوسط للطبراني ورواه الحاكم بإسناد حسن عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضرب بصدر عمر بيده ثلاث مرات وهو يقول اللهم أخرج ما في صدر عمر من غل وأبدله إيمانا أي ولعل خبابا وسعيدا
لم يدخلا معه ولا لبثا بإسلام عمر وفي رواية لما ضرب الباب وسمعوا صوته قام رجل فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا
سيفه أي ولم ير معه خبابا ولا سعيدا فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا
سيفه نعوذ بالله من شره فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان جاء يريد شرا
قتلناه وفي لفظ إن يرد بعمر خيرا يسلم وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ائذن

ائذن له فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في صحن الدار فأخذ بحجزته وجذبه
جذبة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة وفي لفظ أخذ بمجامع
ثوبه وحمائل سيفه وقال ما أنت منته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل الله بالوليد بن المغيرة
أي أحد المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فقال عمر يا رسول الله جئت لأومن بالله ورسوله أشهد أنك
رسول الله وفي رواية أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فكبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرفت وفي رواية سمعها أهل المسجد وفي رواية لما جاء دفع الباب فوجد بلالا على الباب
فقال بلال من هذا فقال عمر بن الخطاب فقال حتى أستأذن لك على رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يرد الله
به خيرا أدخله في الدين فقال لبلال افتح له وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضبعيه فهزه وفي رواية
أخذ بساعده وانتهره فارتعد عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس وفي لفظ أخذ بمجامع ثيابه ثم
نتره نترة فما تمالك عمر أن وقع على ركبتيه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الإسلام
بعمر بن الخطاب ما الذي تريد وما الذي جئت له فقال عمر اعرض علي الذي تدعو إليه فقال تشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم عمر مكانه أقول ولا ينافي هذا ما تقدم من إسلامه وإتيانه بالشهادتين
في بيت أخته قبل مجيئه إليه صلى الله عليه وسلم وقوله ولم يعلموا بإسلامي لاحتمال أن يكون مراده جئت لأومن
جئت لأظهر إيماني عندك وعند أصحابك أي وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم يا ابن الخطاب
الخ وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض علي الذي تدعو إليه يجوز أن يكون عمر جوز أن الذي يدعو إليه ويصير به
المسلم مسلما أخص مما نطق به من الشهادتين والله أعلم قال عمر وأحببت أن يظهر إسلامي وأن يصيبني ما يصيب من أسلم من العز
والإهانة فذهبت إلى خالي وكان شريفا في قريش وأعلمته أني صبوت أي وهو أبو جهل وقد جاء في بعض الروايات قال عمر لما أسلمت تذكرت
أي أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت فذكرت أبا جهل فجئت له فدققت
عليه الباب فقال من الباب قلت عمر بن الخطاب فخرج إلي وقال مرحبا وأهلا يا ابن أختي ما جاء بك قلت جئت لأخبرك وفي لفظ
لأبشرك ببشارة فقال أبو جهل وما هي يا ابن أختي فقلت إني قد آمنت بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت
ما جاء به فضرب الباب في وجهي أي أغلقه وهو بمعنى أجاف الباب كما في بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به
أي وإنما كان أبو جهل خال عمر رضي الله تعالى عنه قيل لأن أم عمر أخت أبي جهل وقيل لأن أم عمر بنت هشام بن المغيرة
والد أبي جهل فأبو جهل خال أم عمر وقيل إن أم عمر بنت عم أبي جهل وصححه ابن عبد البر وعصبة الأم أخوال الابن
قال عمر وجئت رجلا آخر من عظماء قريش وأعلمته أني صبوت فلم يصبني منهما شيء فقال لي رجل تحب أن يعلم إسلامك
قلت نعم قال إذا جلس الناس يعني قريشا في الحجر واجتمعوا فأت فلانا الشخص كان لا يكتم السر أي وهو جميل بن معمر رضي الله
تعالى عنه أسلم يوم الفتح وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حنينا وكان يسمى ذا القلبين وفيه نزلت ما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه ومات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وحزن عليه عمر حزنا شديدا فقل له فيما بينك وبينه إني قد صبوت
قال فلما اجتمع الناس في الحجر جئت الرجل فدنوت منه وأخبرته فرفع صوته بأعلاه فقال ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ فما زال
الناس يضربونني وأضربهم فقام خالي يعني أبا جهل على الحجر فأشار بكمه ألا إني قد أجرت ابن أختي فانكشف الناس عني فصرت أي بعد
ذلك لا أرى الواحد من المسلمين يضرب إلا أضرب فقلت ما هذا بشيء حتى يصيبني ما يصيب المسلمين فأمهلت حتى جلس الناس
في الحجر وصلت إلى خالي فقلت له جوارك عليك رد فقال لا تفعل يا ابن أختي فقلت بل هو ذاك فما زلت أضرب وأضرب حتى

اعز الله الاسلام اي وفي السيرة الهشامية فبينا القوم يقاتلونه ويقاتلهم اذ اقبل شيخ من قريش عليه حبرة وقميص قومسي
فوقف عليهم اي وهو العاص بن وائل فقال ما شانكم قالوا صبا عمر قال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون اترون بني عدي
بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل فانفرجوا عنه كانما ثوب كشط عنه اي وفي البخاري لما اسلم عمر اجتمع الناس
عند داره وقالوا صبا عمر فبينا عمر في داره خائفا اذ جاءه العاص بن وائل فقال له ما لك قال زعم قومك انهم سيقتلونني
ان اسلمت اي اذا اسلمت قال امنت لا سبيل اليك فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال اين تريدون فقالوا
نريد هذا عمر بن الخطاب الذي صبا قال لا سبيل اليه فانا له جار فكسر الناس وتصدعوا عنه ويذكر ان عتبة بن ربيعة
وثب عليه فالقاه عمر الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وادخل اصبعه في عينيه فجعل عتبة يصيح وصار لا يدنو
منه احد الا اخذ بشراسيفه وهو اطراف اضلاعه وعن عمر رضي الله تعالى عنه في سبب اسلامه قال خرجت اتعرض لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت اتعجب من تاليف القرآن
فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرا انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا
ما تذكرون الى اخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع اي ومن ذلك ما في السيرة الهشامية عن عمر رضي الله تعالى عنه قال
جئت المسجد اريد ان اطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي وكان اذا صلى استقبل الشام اي صخرة
بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين الشام فكان مصلاه صلى الله عليه وسلم بين الركن الاسود والركن اليماني اي لانه
لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا حينئذ كما تقدم قال فقلت حين رايته صلى الله عليه وسلم لو اني استمعت لمحمد الليلة
حتى اسمع ما يقول قال فقلت لئن دنوت منه استمع لاروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها يعني الكعبة فجعلت
امشي رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فقرا صلى الله عليه وسلم الرحمن حتى قمت في قبلته مستقبله
ما بيني وبينه الا ثياب الكعبة فلما سمعت القران رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فلم ازل قائما في مكاني ذلك
حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف فتبعته فلما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبني عرفني
فظن اني انما تبعته لاوذيه فنهمني اي زجرني ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قلت جئت لاومن بالله وبرسوله
وبما جاء من عند الله وفي رواية ضرب اختي المخاض ليلا فخرجت من البيت فدخلت في استار الكعبة فجاء النبي صلى الله عليه
وسلم فدخل الحجر فصلى فيه ما شاء الله ثم انصرف فسمعت شيئا لم اسمع مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا فقلت عمر قال
يا عمر ما تدعني ليلا ولا نهارا فخشيت ان يدعو علي فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال يا عمر استره
قلت لا والذي بعثك بالحق لاعلننه كما اعلنت الشرك فحمد الله تعالى ثم قال هداك الله يا عمر ثم مسح صدري ودعا لي
بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته ويحتاج للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها
ثم رايت العلامة ابن حجر الهيتمي قال ويمكن الجمع بتعدد الواقعة قبيل اسلامه هذا كلامه فليتامل ما فيه قال وعن ذلك
اي مما كان سببا لاسلام عمر ان ابا جهل بن هشام قال يا معشر قريش ان محمدا قد شتم الهتكم وسفه احلامكم وزعم ان
من مضى من اباءكم يتهافتون في النار الا ومن قتل محمدا فله علي مائة ناقة حمرا وسودا والف اوقية من فضة اي وفي لفظ جعلوا لمن يقتله
كذا وكذا اوقية من الذهب وكذا وكذا اوقية من الفضة وكذا وكذا نافجة من المسك وكذا وكذا ثوب وغير ذلك فقال عمر انا لها
فقالوا انت لها يا عمر وتعاهد معهم على ذلك قال عمر فخرجت متقلدا سيفي متنكبا كنانتي اي جعلتها في منكبي اريد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل يذبح فسمعت من جوفه صوتا يقول يا ال ذريح امر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلت في نفسي ان هذا الامر لا يراد به الا انا فذريح اسم العجل المذبوح

وقيل

وقيل له ذلك من اجل الدم لان الذبيح شديد الحمرة يقال احمر ذريحي اي شديد الحمرة ثم مر بعجل اسلم وكان يكتم اسلامه
خوفا من قومه فقال له نعيم اي ابن عبد الله النحام كما تقدم فقال اين تذهب يا ابن الخطاب قال اريد هذا الصابي الذي فرق
امر قريش وسفه احلامها وسب الهتها فاقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على
وجه الارض وقد قتلت محمدا افلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم قال واي اهل بيتي قال ختنك اي زوج اختك وابن اختك
وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل واختك فقد اسلما فعليك بهما وانما فعل ذلك نعيم ليصرفه عن اذية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل القائل له ذلك سعد بن ابي وقاص فقال له اين تريد يا عمر فقال اريد ان اقتل محمدا قال له انت اصغر واحقر من ذلك
تريد ان تقتل محمدا او تدعك بنو عبد مناف ان تمشي على الارض فقال له عمر ما اراك الا وقد صبات فابدا بك فاقتلك فقال
سعد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الاخر حتى كادا ان يختلطا
ثم قال سعد لعمر ما لك لا تصنع هذا بختنك واختك فقال صبيا قال نعم فتركه عمر وسار الى منزل اخته اي ولا مانع ان يكون لقي كلا
من نعيم وسعد بن ابي وقاص وقال له كل منهما ما ذكر وفي هذه الرواية وجد عندهم خباب بن الارت معه صحيفة فيها سورة طه
يقرؤها عليهما وانه دق عليهم الباب فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب اي ووارت الصحيفة فلما دخل عمر قال لاخته ما هذه
الهينمة التي سمعت قالت له ما سمعت شيئا غير حديث تحدثنا به بيننا قال بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتما محمدا
على دينه وبطش بزوج اخته فالقاه الى الارض وجلس على صدره واخذ بلحيته فقامت اليه اخته لتكفه
عن زوجها فضربها فشجها اي فلما رات الدم قالت له يا عدو الله تضربني على ان اوحد الله تعالى لقد اسلمت على رغم انفك فاصنع
ما انت صانع فلما راى عمر ما باخته من الدم ندم وقال لاخته اعطيني هذه الصحيفة انظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان
عمر كاتبا فقالت له اخته انا نخشاك عليها فحلف لها ليردنها اذا قراها اليها فقالت له يا اخي انك نجس ولا يمسه الا الطاهر فقام واغتسل
اي وفي لفظ فذهب فاغتسل فخرج اليها خباب فقال اتدفعين كتاب الله تعالى الى عمر وهو كافر قالت نعم اني ارجو ان يهدي
الله اخي ورجع خباب الى محله ودخل عمر فاعطته تلك الصحيفة فلما قراها عمر وبلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها و
اتبع هواه فتردى قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله انتهى اي وفي رواية انه لما قرا الصحيفة قال
ما احسن هذا الكلام واكرمه اي وقيل انه لما انتهى الى قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري
قال ينبغي لمن يقول هذا ان لا يعبد معه غيره فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال يا عمر اني لارجو ان يكون الله تعالى
قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فاني سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام بابي الحكم بن هشام
او بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك دلني يا خباب على محمد حتى اتيه فاسلم عنده وعند اصحابه فلا
ينافي ما في الرواية الاولى انه اسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه نفر من اصحابه فجاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث انتهى كلامه ويمكن الجمع بين هاتين الروايتين حيث كانت القصة واحدة ولم تتعدد بانه يجوز
ان يكون زوج اخته اختفى اولا مع خباب ورفيقه ثم ظهر فوقع به ما ذكر واختصر ما ذكر وان في الرواية الاولى اقتصر على
ذكر اخذه الصحيفة تعددت واحدة فيها سبح لله ما في السموات والارض والثانية فيها طه اقتصر في الرواية الاولى
على احداهما وهي التي فيها سبح لله وفي الرواية الثانية على الاخرى وهي التي فيها طه وانه في الرواية الاولى
اسلم وفي الرواية الثانية سكت عن ذلك والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما اسلم عمر رضي الله
تعالى عنه نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد استبشر اهل السماء باسلام عمر قال و
روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر انتهى زاد بعضهم عن ابن مسعود

والله لقد رابنا وما نستطيع ان نصلي بالكعبة اي عندها ظاهرين امنين حتى اسلم فقاتلهم حتى تركونا فصلينا وجهروا بالقراءة وكانوا قبل ذلك لا يقرءون الا سرا كما تقدم وعن صهيب لما اسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا وفي كلام ابن الاثير مكث صلى الله عليه وسلم مستخفيا في دار الارقم ومن معه من المسلمين الى ان كملوا اربعين بعمر بن الخطاب وعند ذلك خرجوا وتقدم ما في ذلك ومما يؤثر عن عمر رضي الله تعالى عنه من اتقى الله وقاه ومن توكل على الله كفاه السيد هو الجواد حين يسال الحليم حين يستجهل اشقى الولاة من شقيت به رعيته اعقل الناس اعذرهم للناس وفي مختصر تاريخ الخلفاء لابن الجوزي المبني ان عمر اول من قال اطال الله تعالى بقاءك وايدك الله قال ذلك لعلي رضي الله تعالى عنه وهو اول من استقضى القضاة في الامصار ويروى ان الارقم هذا لما كان بالمدينة بعد الهجرة تجهز ليذهب ليصلي في بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يودعه فقال ما يخرجك اي من المدينة احاجة ام تجارة قال لا يا رسول الله بابي انت وامي ولكن اريد الصلاة في بيت المقدس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فجلس الارقم ولم يذهب لبيت المقدس ولما حضرته الوفاة اوصى ان يصلي عليه سعد بن ابي وقاص فلما مات كان سعد بالعقيق فقال مروان يحبس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غائب واراد الصلاة عليه فابى ولده ذلك على مروان ووقع بينهم كلام ثم جاء سعد وصلى على الارقم اي وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه ما سبب تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق قال لما اسلمت والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مختفون قلت يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق ما بقي مجلس كنت اجلس فيه بالكفر الا اظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف والذي بعثك بالحق لتخرجن وخرجنا في صفين حمزة في احدهما وانا في الاخر له كديد ككديد الطحين اي له اي لذلك الجمع غبار ثائر من الارض لشدة وطء الاقدام لان الكديد التراب الناعم اذا وطئ ثار غباره قال حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى حمزة فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها اي فطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم رجع ومن معه الى دار الارقم فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق فرق بي بين الحق والباطل اي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم خرج في صفين حمزة في احدهما وعمر في الاخر لهم كديد ككديد الطحين وفي رواية ان عمر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله لا ينبغي ان تكتم هذا الدين اظهر دينك وفي رواية والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم فخرج رسول الله صلى الله عليه ومعه المسلمون وعمر امامهم معه سيفه ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعا لقريش كل من تحرك منكم لامكنن سيفي منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا حول الكعبة وقرءوا القران جهرا وكانوا كما تقدم لا يقدرون على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقران وفي المنتقى على ما نقله بعضهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر امامه وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما حتى طاف بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار الارقم وفيه ان صلاة الظهر لم تكن فرضت حينئذ الا ان يقال المراد بصلاة الظهر الصلاة التي وقعت في ذلك الوقت اي ولعل المراد بها صلاة الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة مثلا ما في وقت الظهر وعن عمر رضي الله تعالى عنه وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت اي وقد قال لبعض نسائه صلى الله عليه وسلم يا عمر اما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي على عبد الله بن ابي بن سلول وفي البخاري لما توفي عبد الله بن ابي بن سلول جاء ولده عبد الله

رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه وهذا لا يخالف ما في تفسير القاضي البيضاوي من ان ابن ابي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل له صلى الله عليه وسلم قميصه بعد موت ابيه قال في الكشاف فان قلت كيف جاز ذلك صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه اي ولان الضنة بعدم ارسال القميص مما ذكر ليس من خلق الكرم وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكن ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واكرمه لابنه وفي تفريج بان ابن ابي كان مع المسلمين في بدر وفي الحديبية ثم ان ابنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي على ابيه فقال له اسالك ان تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء اي بعد ذلك بعد سؤال والده له صلى الله عليه وسلم كما تقدم من القاضي البيضاوي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر رضي الله تعالى عنه فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرت فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وساريد على السبعين وفي رواية اتصلي على ابن ابي وقد قال يوم كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اني خيرت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون ولينظر ما معنى التخيير في الاية واما الجمع بين قوله ساريد على السبعين وقوله لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ثم رايت القاضي البيضاوي قال في وجه التخيير وقوله سازيد على السبعين انه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير بقوله في الاية الاخرى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم هذا كلامه وحينئذ يشكل قوله لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فان هذا مقتضى لعدم الصلاة عليه لا للصلاة عليه فليتامل وقد قال علي رضي الله تعالى عنه ان في القران لقرانا من راي عمر قال الناس في شيء وقال فيه عمر الا جاء القران بنحو ما يقول عمر وقد اوصل بعضهم موافقاته اي التي نزل القران على وفق ما قال وما اراد الى اكثر من عشرين اي وقد افردها بعضهم بالتاليف وقد سئل عنها الجلال السيوطي فاجاب عنها نظما قال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ما نزل بالناس امر فقال الناس وقال عمر الا نزل القران على نحو ما قال عمر وعن مجاهد كان عمر يرى الراي فينزل به القران وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ومن موافقاته ما سياتي في اسارى بدر ومنها انه لما سمع قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية قال فتبارك الله احسن الخالقين فنزلت كذلك ومنها ان بعض اليهود قال له ان جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فنزلت كذلك واستاذن رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له وقال له يا اخي لا تنسانا من دعائك اي وفي رواية يا اخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسانا فقال عمر ما احب ان لي بقوله يا اخي ما طلعت عليه الشمس وجاء لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وجاء اول من يصافحه الحق عمر بن الخطاب واول من يسلم عليه وجاء ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وفي

نزل القرآن على وفق ما قال مصعب بن عمير ايضا رضي الله تعالى عنه كان اللواء بيده يوم احد وسمع الصوت ان محمدا قد قتل
صار يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فنزلت باب اجتماع المشركين على منابذة بني هاشم وبني
عبد المطلب ابن عبد مناف وكتابة الصحيفة لما اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
قد افسد ابناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة وليقتله رجل من غير قريش وتريحونا وتريحوا انفسكم ابى
قومه فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بني هاشم وبني عبد المطلب واخراجهم من مكة الى شعب ابي طالب فخرج بان
شعب ابي طالب كان خارجا عن مكة والتضييق عليهم بمنع حضورهم الاسواق وان لا يناكحوهم وان لا يقبلوا لهم صلحا
ابدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل اي وفي لفظ لا تنكحوا اليهم ولا تبيعوهم شيئا ولا تبتاعوا
منهم شيئا ولا تقبلوا منهم صلحا الحديث وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة اي تأكيدا على انفسهم وقيل كانت عند خالة
ابي جهل وقد يجمع بانه يجوز ان تكون كانت عندها قبل ان تعلق في الكعبة على انه سيأتي انه يجوز تعددت وكان اجتماعهم و
تعاقدهم في خيف بني كنانة بالابطح ويسمى محصبا وهو باعلى مكة عند المقابر فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم
الشعب الا ابا لهب فانه كان ظاهر عليهم قريشا وكان سنه صلى الله عليه وسلم حين دخل الشعب ستة واربعين سنة
وفي الصحيح انهم في الشعب جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفي كلام السهيلي كانوا اذا قدمت العير مكة يأتي احدهم السوق ليشتري
شيئا من الطعام يقتاته فيقوم ابو لهب فيقول يا معشر التجار غالوا على اصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي
فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها اضعافا حتى يرجع الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به فيغدو التجار
على ابي لهب فيجبرهم هذا كلامه ولا منافاة بين خروج احدهم للسوق اذا جاء العير بالميرة الى مكة وكونهم منعوا من الاسواق والمبايعة
لهم كما لا يخفى وكان دخولهم الشعب هلال المحرم سنة سبع من النبوة وحينئذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المسلمين
ان يخرجوا الى ارض الحبشة اي ثانيا وفي رواية ان خروج بني هاشم وبني المطلب الى الشعب لم يكن باخراج قريش لهم وانما خرجوا اليه
لان قريشا لما قدم عليهم عمرو بن العاص من عند النجاشي خائبا وقد ردت معه هديتهم وقتل صاحبه الذي هو عمارة بن الوليد وبلغهم
اكرام النجاشي لجعفر ومن معه من المسلمين اي كما سيأتي وظهور الاسلام في القبائل كبر ذلك عليهم واشتد اذاهم على المسلمين
واجمع رأيهم على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى ابو طالب ذلك جمع بني هاشم والمطلب مؤمنهم وكافرهم وامرهم
ان يدخلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب ويمنعوه ففعلوا اي بنو هاشم وبنو المطلب كافروا شيئا واخذوا واعتزل
عنهم عمهم عبد شمس ونوفل وفي ذلك يقول ابو طالب في قصيدة له جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل
وقال في قصيدة اخرى جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما فلما علمت قريش ذلك اجمع رأيهم
على ان يكتبوا عهودا ومواثيق على ان لا يجالسوهم الحديث وفيه انه سيأتي ان خروج عمرو بن العاص الى الحبشة انما كان
بعد الهجرة الثانية وهي بعد دخول بني هاشم والمطلب الى الشعب والله اعلم باب الهجرة الثانية الى
ارض الحبشة لا يخفى انه لما وقع ما ذكر انطلق الى الحبشة عامة من آمن بالله ورسوله اي غالبهم فكانوا عند النجاشي
ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة وهذا بناء على ان عمار بن ياسر كان منهم وقد اختلفوا في ذلك وكلام يميل
[illegible] فكان في الرجال جعفر بن ابي طالب معه زوجته اسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن
مسعود وعبيد الله بن جحش ومعه امرأته ام حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر هناك ثم مات على النصرانية اي وبقيت امرأته
رضي الله تعالى عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي وعن ام حبيبة رضي الله تعالى عنها قالت
رأيت في المنام كان عبيد الله بن جحش زوجي باسوء حال وتغيرت صورته ففزعت فاذا هو يقول حين اصبح يا ام حبيبة اني نظرت

فهذا

فهذا الدين فلم ار دينا خيرا من دين النصرانية وقد كنت دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم رجعت الى دين النصرانية فقلت والله
ما خير لك واخبرته بما رأيت فلم يحفل بذلك واكب على الخمر حتى مات فرأيت في المنام كان آتيا يقول لي يا ام المؤمنين ففزعت
واولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك اي وذكر ابن اسحق ان ابا موسى الاشعري هاجر الى الحبشة
ومراده انه هاجر اليها من اليمن لا من مكة كما فهم الواقدي فانه عد ذلك عليه في ذلك فان ابا موسى انه بلغه مخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة
الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفرا واصحابه فامرهم جعفر بالاقامة واستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم وجعفر عند
فتح خيبر كما سيأتي وبهذا يندفع قول بعضهم ما ذكره ابن اسحق من ان ابا موسى الاشعري هاجر من مكة الى الحبشة من الغريب جدا ولعله
مدرج من بعض الرواة فلما قاموا بجوار [illegible] وبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عمارة بن الوليد بن المغيرة
اللذان ارادت قريش دفعهما لابي طالب ليكون بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قتلوه بهدية للنجاشي والهدية فرس و
جبة ديباج اي واهدوا لعظماء الحبشة هدايا ليرد من جاء اليه من المسلمين فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر
عن شماله وفي كلام بعضهم فجلس عمرو بن العاص على سريره وقبل يديه فقالا له ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك فرغبوا
عنا وعن آلهتنا اي ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا اي الملك فيهم اشرافهم لتردهم
اليهم قالوا ابا رضك فارسل في طلبهم اي وقال لعظماء الحبشة ادفعهم اليهما فهما اعرف بحالهم فقال لا والله
حتى اعلم على اي شيء هم فقال عمرو هم لا يسجدون للملك اي وفي لفظ لا يحيونك ولا يحيونك كما يحييك الناس اذا دخلوا عليك
رغبة عن دينكم وسنتكم فلما جاؤوا قال لهم جعفر رضي الله تعالى عنه انا خطيبكم اليوم اي فانه لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا
ثم قال انما نقول ما علمنا وما امرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع يكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا اساقفته وامرهم بنشر مصاحفهم
حوله فلما جاء جعفر واصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بامان الله وذمته فدخل
عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال له الملك ما لك لا تسجد وفي لفظ ان عمرا قال لعمارة الا ترى كيف يكنون بحزب الله وما اجابهم به فان عمرا
قال للنجاشي الا ترى ايها الملك انهم مستكبرون لم يحيوك بتحيتك فقال النجاشي ما منعكم ان لا تسجدوا وتحيوني بتحيتي التي احيا بها فقال
جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل واخبرنا ان تحية اهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا اي وعرف النجاشي
ذلك لانه كذلك في الانجيل كما قيل اي وامرنا بالصلاة اي غير الخمس لانها لم تكن فرضت بل التي هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي
اي ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها على ما تقدم والزكوة اي مطلق الصدقة لا زكوة المال لانها انما فرضت بالمدينة
اي في السنة الثانية او المراد بالزكوة الطهارة قال عمرو بن العاص للنجاشي انهم يخالفونك في ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله عز وجل
قال فما تقولون في ابن مريم وامه قال نقول كما قال الله عز وجل روح الله وكلمته القاها الى مريم العذراء اي البكر البتول اي المنقطعة
من الازواج التي لم يمسها بشر ولم يفرضها اي يثقبها ويخرج منها ولد الا عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم فقال
النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما يزيدون على ما تقولون اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى في
الانجيل اي ومعنى كونه روح الله انه حاصل من نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله تعالى انه قال له كن
فيكون اي حصل من غير واسطة وفي لفظ ان النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان انشدكم الله الذي انزل الانجيل
على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا اي صفته ما ذكره هؤلاء فقالوا اللهم نعم قد بشر به عيسى فقال من
آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما انا فيه من الملك لاتبعته فاكون انا الذي
احمل نعليه واوضيه اي اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم سيوم بارضي اي آمنون بها وامر لهم بما يصلحهم من الرزق

وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي لفظ ثم قال اذهبوا فانتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا اى اربع
دراهم وضعها كما جاء في بعض الروايات وامر بهدية عمرو وعمارة فردت عليهما وفي لفظ ان النجاشي قال لما احب ان يكون لي دبر من
ذهبا اى جبلا واني اذيت رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما اخذ الله تعالى مني الرشوة حين رد علي ملكي
فآخذ الرشوة وما اطاع الناس في فاطيعهم فيه وكان النجاشي اعلم النصارى بما انزل على عيسى وكان قيصر يرسل اليه
علما النصارى ليأخذوا عنه العلم اى وقد جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها السبب في قول النجاشي ما اخذ الله مني الرشوة
حين رد علي ملكي وهو ان والد النجاشي كان ملكا للحبشة فقتلوه وولوا اخاه الذي هو عم النجاشي فنشأ النجاشي
في حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما رات الحبشة نجابة النجاشي خافوا ان يتولى
عليهم فيقتلهم بقتلهم لابيه فمشوا الى عمه في قتله فابى واخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة حرقت على عمه صاعقة فمات فلما رات
الحبشة ان لا يصلح امرها الا النجاشي ذهبوا وجاؤا به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة
وفي رواية ما يقتضي ان الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج امر الحبشة و
ضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه واتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سياتي من انه عند وفاته بعد ان ارسل خلف من عنده
من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ما هذا ايها الملك فقال انا نجد في الانجيل
ان الله تعالى اذا احدث لعبده نعمة وجب على العبد ان يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد احدث الينا واليكم نعمة عظيمة
وهي ان محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو واعداؤه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت ارعى فيه الغنم لسيدي وهو من بني ضمرة
وان الله تعالى قد هزم اعداءه فيه ونصره عليهم وذكر السهيلي ان بكاءه عندما تليت عليه سورة مريم اى كما سياتي حتى اخضل
لحيته يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما فهم به تلك السورة قال عن جعفر بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها خير جار امنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ
ذلك قريشا ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان اعجب ما ياتيه
منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا اهدوا له هدية اى غير الهدية ولا يخالف
ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز ان يكون بعض الادم منهم الى ذلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم
فرق على اتباعه لبطارقته على ما جاء ٥ والاقتصار على الفرس والجبة في الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم
بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص وطلبا من النجاشي ان يسلمنا لهم اى قبل ان يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهما
لما اوصلا هداياهم اليهم قالوا لهم انما نحن كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا قبل ان يكلمهم اى موافقة لما
وصت عليه قريش فقد ذكر انهم قالوا لهما ادفعوا الى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدما للنجاشي هداياه ثم اسالاه ان
يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فلما جاءوا الى الملك قالا له ايها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا
في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انت اى جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه
منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم اعلم بما عابوا عليهم فقالوا بطارقته صدقوا
ايها الملك قومهم اعلم بهم فاسلمهم لهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي فقال لاها الله اى لا والله لا اسلمهم ولا
يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان من امرهم فان كان كما
يقولون سلمتهم اليهما والا منعتهما منهم واحسنت جوارهم ما جاوروني ثم ارسل لنا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال
من حضره ما لكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله عز وجل فقال النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم

ولم تدخلوا في ديني ولا في دين احد من الملل فقلنا ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع
الارحام ونسيء الجوار ياكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله فينا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف
نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع اى نترك ما كان يعبد اباؤنا من دونه من الحجارة و
الاوثان وامرنا ان نعبد الله وحده وامرنا بالصلاة اى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وبالزكاة اى مطلق الصدقة والصوم
ثلاثة ايام من كل شهر اى وهي البيض واى ثلاثة على الخلاف في ذلك وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام
وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء اى ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه
وامنا به واتبعناه على ما جاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا
علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك فقال
النجاشي لجعفر هل عندك مما جاء به شئ قلت نعم قال فاقراه علي فقرات عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي
حتى اخضل اى بل لحيته وبكت اساقفته وفي لفظ هل عندك مما جاء به عن الله شئ فقال جعفر نعم قال فاقراه علي
قال البغوي فقرا عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه واعين اصحابه بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا
الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذي جاء به موسى اى وفي رواية ان هذا والذي جاء به
موسى ليخرج من مشكاة واحدة اى وهذا كما قيل يدل على ان عيسى كان مقررا لما جاء به موسى وفي رواية بدل موسى
عيسى ويؤيده ما في لفظ انه قال ما زاد هذا على ما في الانجيل الا هذا العود لعود كان في يده اخذه من الارض وفي لفظ ان
جعفر قال للنجاشي سلهما اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل احرار فقال
جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال
النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما ابدا زاد في رواية ولو اعطيتموني
دبرا من ذهب اى جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي اى اتاه في غد ذلك اليوم وقال انهم يقولون في عيسى قولا
عظيما اى يقولون انه عبد اى وانه ليس ابن الله اى وفي لفظ ان عمرو قال للنجاشي ايها الملك انهم يشتمون عيسى وامه في
كتابهم فسالهم فذكر له جعفر ما تقدم في الرواية الاولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان
وهو حصر عجيب فليتامل وروى الطبراني عن ابي موسى الاشعري بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر
بعمارة بن الوليد اى للعداوة التي وقعت بينه وبينه في سفرهما اى من ان عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان
مقيرا ذميما وكان عمارة رجلا جميلا فتمنى امراة عمرو وهويته تنزل معه اياما في السفينة دفعاه عمارة حتى ادخله السفينة فقال له
عمارة امراتك فلتقبلني فقال له عمرو الا تستحي فاخذ عمارة ورمى به في البحر فجعل عمرو يصيح وينادي اصحاب السفينة ويناشد
عمارة حتى ادخله السفينة واضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامراته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه
فلما اتيا ارض الحبشة مكر به عمرو فقال انك رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها ان تشفع لنا عنده
ففعل عمارة ذلك وتكرر تردده عليها حتى اهدت اليه من عطرها اى وصار يدخل عندها فلما راى عمرو ذلك اتى النجاشي واخبره بذلك
فقال له ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد اهلك وهو عندها الان فاعلم علم ذلك فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امراته فقال
لولا انه جاري لقتلته ولكن ساتغل به ما هو شر من القتل فدعا بسواحر فنفخن في احليله فتوحش وصار هائما على تلك الحال انتهى اى
ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد   اذا المرء لم يترك طعاما يحبه   ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما   قضى وطرا منه و
غادر سبة   اذا ذكرت امثالها تملا الفما   ولا زال عمارة الى ان كان زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

وان بعض الصحابة وهو ابن عم عبد الله بن ابي ربيعة اي وهو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما استاذنه في المسير اليه
لعله يجده فاذن له عمر رضي الله تعالى عنه فسار عبد الله الى ارض الحبشة واكثر الشدة عنه والفحص عن امره حتى اخبر انه
في جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وامسكه فجعل يقول له ارسلني والا اموت الساعة
فلم يرسله فمات من ساعته وسياق بعض غزاة بدر انهم ارسلوا للنجاشي عمرو بن العاص ايضا وعبد الله بن ابي ربيعة
هذا وكان اسمه قبل ان يسلم بحيرا فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وابو ربيعة الذي هو ابو عبد الله كان يقال
له ذو الرمحين وام عبد الله هي ام ابي جهل بن هشام فهو اخو ابي جهل لامه ارسلوهما اليه ليدفع لهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم
بمن قتل من بدر العجب ان صاحب المواهب ذكر ان ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة ومعهما عمارة بن
الوليد في الهجرة الاولى للحبشة وانما كان عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وابن ابي ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن
ان يكون عبد الله بن ابي ربيعة ارسلته قريش مرتين الا انه بعيد ويبعده قول بعضهم ان قريشا ارسلت عمرا في امر مهاجري الحبشة
مرتين الاولى ارسلت عمرو بن العاص وعمارة والثانية ارسلت عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة فليتامل ومكث بنو هاشم
في الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين في اشد ما يكون من البلاء وضيق العيش وولد عبد الله بن عباس في الشعب فمن قريش
من سره ذلك ومنهم من ساءه وقالوا انظروا ما اصاب كاتب الصحيفة اي من شلل يده كما تقدم وصاروا لا يتركون احدا ان يوصل اليهم
طعاما ولا اداما حتى ان ابا جهل لقي حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي معه في
الشعب فتعلق به وقال اتذهب بالطعام الى بني هاشم والله لا تذهب انت وطعامك حتى افضحك بمكة فقال له ابو البختري
بن هشام مالك وماله فقال ابو جهل انما يحمل الطعام لبني هاشم فقال ابو البختري طعام كان لعمته عنده وارسلت اليه فيه افتمنعه ان ياتيها
خل سبيل الرجل فابى ابو جهل حتى نال احدهما من صاحبه فاخذ ابو البختري لحي بعير اي العظم الذي تنبت عليه الاسنان
فضربه به فشجه ووطئه وطئا شديدا وابو البختري بالخاء المعجمة وفي مختصر اسد الغابة بالحاء المهملة ممن قتل ببدر كافرا
وحكي ان هشام بن عمرو بن الحارث العامري رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ادخل عليهم في ليلة ثلاثة احمال
طعاما فعلمت بذلك قريش فمشوا اليه حين اصبح وكلموه في ذلك فقال اني غير عائد لشيء خالفكم ثم ادخل عليهم ثانيا
حملا وقيل جملين فغلظت به قريش فقال القوم اي اغلظوا له القول وهمت به فقال ابو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل
رحمه اما اني احلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان احسن بنا وكان ابو طالب في كل ليلة يامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ياتي فراشه ويضطجع به فاذا نام الناس امر احد بنيه او غيرهم اي من اخوته او بني عمه ان يضطجع
مكانه خوفا عليه ان يغتاله احد ممن يريد به السوء وفي الشعب ولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم اطلع الله
رسوله صلى الله عليه وسلم على ان الارضة اي وهي سوسة تاكل الخشب اذا مضى عليها سنة نبت لها جناحان نظير
ما هي التي دلت الجن على موت سليمان على نبينا وعليه افضل الصلوة والسلام اكلت ما في الصحيفة من ميثاق و
عهد اي الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة الرحم ولم تدع فيها اسما لله تعالى الا اثبتته فيها وفي رواية ولم تترك
الارضة في الصحيفة اسما لله عز وجل الا لحسته وبقي ما فيها من شرك او ظلم او قطيعة رحم اي والرواية الاولى اثبت
من الثانية قال لو جمع بين الروايتين فانهم كتبوا نسخا فاكلت الارضة من بعض النسخ اسم الله تعالى واكلت من بعض
النسخ ما عدا اسم الله تعالى لئلا يجتمع اسم الله تعالى مع ظلمهم اي والنسخة التي علقت في الكعبة هي التي لحست الارضة
ما فيها من اسم الله تعالى كما يدل عليه ما ياتي في ذكر ذلك لعمه ابي طالب فقال له عمه والثواقب اي النجوم لانها تثقب
الشياطين وقيل التي تثقب لانها تثقب الظلام بضوئها وقيل الثريا خاصة لانها اشد النجوم ضوءا ما كذبتني قط اي ما حدثتني

كذبا

كذبا وفي رواية انه قال له اربك اخبرك بهذا قال نعم فانطلق في عصابة اي جماعة من قومه اي من بني هاشم وبني المطلب اي وفي رواية
ان ابا طالب ذكر ذلك لاهله قالوا فما ترى قال ارى ان تلبسوا احسن ثيابكم وتخرجوا الى قريش فتذكروا ذلك لهم قبل ان يبلغهم الخبر
فخرجوا حتى اتوا المسجد على خوف من قريش فلما راتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
للقتل فتكلم منهم ابو طالب فقال قد جرت بيننا وبينكم امور لم تذكر في صحيفتكم التي فيها مواثيقكم فلعله ان يكون بيننا وبينكم صلحا اي
فخرجا يكون سببا للصلح وانما قال ابو طالب ذلك خشية ان ينظروا في الصحيفة قبل ان ياتوا بها اي فلا ياتون بها فاتوا بصحيفتكم
لا يشكون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم اي لانه الذي وصلت عليه العهود والمواثيق فوضعوها
بينهم وقالوا لابي طالب اي توبيخا له ولمن معه قد آن لكم ان ترجعوا عما احدثتم علينا وعلى انفسكم فقال ابو طالب انما اتيتكم في امر نصف
بيننا وبينكم اي امر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم ان ابن اخي اخبرني ان هذه الصحيفة التي في ايديكم قد بعث الله عليها دابة لم تترك
اسما لله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم اي وهذا على الرواية الثانية واما على الرواية الاولى
التي هي اثبت فيكون قوله لم تترك اسما الا اثبتته ولحست مواثيقكم وعهدكم ثم رايت ابن الجوزي ذكر ذلك فقال ان
ابا طالب قال ان ابن اخي قد اخبرني ولم يكذبني قط ان الله قد سلط على صحيفتكم التي كتبتم الارضة فلحست كلما كان فيها من
جور او ظلم او قطيعة رحم وبقي فيها كلما ذكر به الله تعالى وفي الينبوع ان ابا طالب قال لما حضرت الصحيفة ان صحيفتكم هذه
صحيفة اثم وقطيعة رحم وان ابن اخي اخبرني ان الله تعالى سلط عليها الارضة فلم تدع ما كتبتم الا باسمك اللهم والله
اعلم قال ابو طالب فان كان الحديث كما يقول فافيقوا اي وفي رواية فانتهوا اي ارجعوا من سوء رايكم وان لم ترجعوا فوالله
لا نسلمه حتى نموت من عند اخرنا وان كان الذي يقول باطلا دفعناه اليكم فقتلتموه او استحييتم فقالوا قد رضينا بالذي
تقول اي وفي رواية انصفتنا ففتحوا الصحيفة فوجدوا الامر كما اخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فلما رات قريش صدق
ما جاء به ابو طالب قالوا اي قال اكثرهم هذا سحر ابن اخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وبعضهم ندم وقال هذا بغي منا على اخواننا
وظلم لهم اي وعند ما جاء ان ابا طالب قال لهم اي بعد ان وجدوا الامر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان
الامر وتبين انكم اولى بالظلم والقطيعة والاساءة ودخلوا بين استار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع ارحامنا
واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا الى الشعب وعند ذلك مشى طائفة منهم وهم خمسة في نقض الصحيفة اي ما تضمنته وهم هشام
بن عمرو بن الحارث وزهير بن امية بن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وقد اسلم بعد ذلك كما تقدم ثم نقضه
والمطعم بن عدي مات كافرا كما تقدم وابو البختري بن هشام قتل ببدر كافرا كما تقدم وزمعة بن الاسود قتل ببدر كافرا
واختلف في كاتب الصحيفة فعند ابن سعد انه بغيض بن عامر فشلت يده ولا يعرف له اسلام وعند ابن اسحق ان الكاتب
لها هشام بن عمرو المتقدم ذكره قال وقيل ان الكاتب لها منصور بن عكرمة اي فشلت يده فيما يزعمون كذا في النور نقلا عن
سيرة ابن هشام وقيل النضر بن الحارث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت بعض اصابعه اي وهو ممن قتل على
كفره منصرفه صلى الله عليه وسلم من بدر وقيل الكاتب لها طلحة بن ابي طلحة العبدري قال ابن كثير رحمه الله والمشهور
انه منصور وجمع بين هذه الاقوال باحتمال ان يكون كتب بها نسخ اي كل كتب نسخة اشعراي وينبغي ان يكون الذي شلت
يده هو كاتب الصحيفة التي علقت في الكعبة ولعلها هي التي كتبت اولا والى اكل الارضة الصحيفة والى عد الخمسة الذين
سعوا في نقض الصحيفة اشار صاحب الهمزية بقوله فديت خمسة الصحيفة بالخمس   اذ كان للكرام فداء   فتية
بيتوا على فعل خير   حمد الصبح امرهم والمساء   يا لامر اتاه بعد هشام   زمعة انه الفتى الاتاء   وزهير والمطعم
بن عدي   والبختري من حيث شاؤا   نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليهم من العدا الانداء   اذ كرتنا باكلها اكل منساة

سليمان الا ارضة الحرسا وبها اخبر النبي وكم اخرج خبال الغيوب خبا اي فلبث خمسة الصحيفة اي الناقضين لها بانحنث
المستهزئين السابق ذكرهم فتية بيتوا وتعاهدوا واستعدوا بالحجون ليلا على نقض الصحيفة حمد الصباح والمسا
منهم ذلك الفعل بالامر عظيم وهو نقض الصحيفة عبد هشام وزمعة بن الاسود وانه الكريم في قومه لا نا اي المبالغ في الابا
الجزء واتاه زهير واتاه المطعم بن عدي واتاه ابو البختري من المكان الذي قصدوه فنقضوا ابرم الصحيفة اي الامر الذي ابرمته
اذ كرتنا الا ارضة الحرسا باكلها تلك الصحيفة منساة اي عصاة سليمان وباكلها للصحيفة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ومرات كثيرة اخرج النبي صلى الله عليه وسلم مشاهدا الغيوب لرسالته والمراد ان كل واحد من هؤلاء الخمسة الذين
نقضوا الصحيفة فدى باولئك الخمسة المستهزئين من الافول الذين اصابهم المتقدم ذكره فلا ينافي ان بعض هؤلاء
الذين نقضوا الصحيفة مات كافرا قال لعله ان هشام بن عمرو بن الحارث رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك كما تقدم
مشى الى زهير بن امية بن عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا كما تقدم فقال له يا زهير ارضيت
ان ناكل الطعام ونلبس الثياب واخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاعون فقال ويلك يا هشام فماذا اصنع انما انا رجل
واحد والله لو كان معي رجل اخر لقمت لانقضها يعني الصحيفة قال وجدت رجلا قال من هو قال انا فقال زهير ابغنا رجلا
ثالثا فذهب الى المطعم بن عدي فقال له يا مطعم ارضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف يعني بني هاشم وبني المطلب
وانت شاهد على ذلك فقال له ويحك ماذا اصنع انما انا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قلت انا قال ابغنا ثالثا قال
قد فعلت قال من هو قلت زهير بن امية قال ابغنا رابعا فذهبت الى ابي البختري بن هشام فقلت له نحو ما قلت للمطعم فقال
هل معين على هذا الامر قلت نعم قال من هو قلت زهير بن امية والمطعم بن عدي وانا معك قال ابغنا خامسا فذهبنا الى زمعة بن الاسود
فكلمته فقال وهل من احد يعين على ذلك فسميت له القوم ثم ان هؤلاء اجتمعوا ليلا عند الحجون واجمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام
في نقض الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير انا ابدؤكم فاكون اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير وعليه
حلة فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم اي والمطلب هلكى لا يباعون
ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال ابو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود انت
والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال ابو البختري صدق زمعة قال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما
كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال ابو جهل هذا امر قضي بالليل فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة فشقها انتهى
اي هذا ايضا للرواية الدالة على ان الارضة لحست اسم الله تعالى واثبتت ما فيها من العهود والمواثيق ولا بعد انما
قال منها لا معنى لشقها وفي كلام بعضهم فيحمل ان ابا طالب انما اخبرهم بعد سعيهم في نقضها قال ابن حجر الهيتمي ويبعده ان الاخبار
بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم وبني المطلب فامروهم بالخروج
الى مساكنهم

باب ذكر خبر وفد نجران

ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وفد نجران وهم قوم من النصارى ونجران بلدة
بين مكة واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى فكانوا نحو عشرين رجلا حين بلغهم خبر من هاجر من المسلمين الى الحبشة
فوجدوه صلى الله عليه وسلم في المسجد فجلسوا اليه وسالوه وكلموه ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما
فرغوا من مسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلا
عليهم القران فلما سمعوه فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وامنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به في كتابهم فلما قاموا
عنه اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون اي تنظرون
الاخبار لهم لتاتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا احمق اي اقل عقلا

منكم

منكم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه ويقال نزل فيهم قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
الى قوله لا نبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق
وذكر في الوفا وفود ضماد الازدي عليه صلى الله عليه وسلم فقال عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ضمادا قدم مكة
وكان من ازد شنوءة وكان يرقي من الريح اي يعالج المراد به اللمم من الجن فسمع سفهاء من اهل مكة يقولون ان محمدا
مجنون فقال لو اني رايت هذا الرجل لعل الله ان يشفيه على يدي قال فلقيته فقلت يا محمد اني ارقي من الريح فان
الله يشفي على يدي من شاء فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله
فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال له
ضماد اعد علي كلماتك هؤلاء فاعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة و
قول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء هات يدك ابايعك على الاسلام فبايعه وقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي

باب ذكر وفاة ابي طالب عمه صلى الله عليه وسلم وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله تعالى عنها

لتعلم انهما ماتا في عام واحد اي بعد خروج بني هاشم والمطلب من الشعب
بثمانية وعشرين يوما والى موتهما في عام واحد اشار صاحب الهمزية بقوله وقضى عمه ابو طالب والدهر فيه
السراء والضراء ثم ماتت خديجة ذلك العام ونالت من احمد الحنا وذلك قبل الهجرة الى المدينة بثلاث سنين
وبعد مضي عشر سنين من بعثته صلى الله عليه وسلم اي من مجيء جبريل عليه السلام له بالوحي وهو يرد قول ابن اسحق
ومن تبعه ان خديجة رضي الله تعالى عنها ماتت بعد الاسرا وافاد كلام صاحب الهمزية ان موت خديجة كان بعد موت
ابي طالب وقيل كانت وفاة خديجة رضي الله تعالى عنها قبل ابي طالب بخمس وثلاثين ليلة وقيل بعده بثلاثة ايام ويؤيد
ما في الهمزية قول الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور انه مات قبل خديجة رضي الله تعالى عنها اي بثلاثة ايام ودفنت بالحجون
ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولها من العمر خمس وستون سنة ولم تكن الصلوة على الجنازة شرعت وذكر الفاكهاني
المالكي في شرح الرسالة ان صلاة الجنازة من خصائص هذه الامة لكنه ذكر ما يخالفه في الشرح المذكور حيث قال روي ان
ادم عليه الصلوة والسلام لما توفي اتي بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملائكة فغسلته وكفنته في وتر من الثياب وحنطوه
وتقدم ملك منهم فصلى عليه والملائكة خلفه ثم اقبروه والحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث عليه الصلوة والسلام
الذي هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك واخوتك فانها سنتكم هذا كلامه اي ويبعد ان لا يفعل
ذلك بعدا لقول المذكور له ويحتمل ان المراد بالصلوة مجرد الدعا لا هذه الصلوة المعروفة المشتملة على التكبير لكن يبعده ما في العرائس
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ادم لما مات قال ولده شيث لجبريل صل عليه فقال له جبريل انت تقدم فصل على ابيك
فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة وقد اخرج الحاكم نحوه مرفوعا وقال صحيح الاسناد ومنه يعلم ان الغسل والتكفين والصلوة
والدفن واللحد من الشرائع القديمة بناء على ان المراد بالصلوة الصلوة المشتملة على التكبير لا مجرد الدعا وحينئذ لا يحسن القول
بان صلوة الجنازة من خصائص هذه الامة الا ان يقال لا يلزم من كونها من الشرائع القديمة معروفة لقريش اذ لو كانت كذلك
لفعلوا ذلك ولو سيا فعنهم انهم لم يفعلوا ذلك ايضا لو كانت معروفة لم يصل صلى الله عليه وسلم على خديجة رضي الله تعالى عنها
ومن مات قبلها من المسلمين كالسكران ابن عم سودة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها الذي هو زوجها وسياتي انه صلى الله
عليه وسلم لما قدم المدينة وجد البراء بن معرور قد مات فذهب هو واصحابه فصلى على قبره وانها اول صلوة صليت على الميت
في الاسلام ومعرور معناه بني الاصل مقصود لا يقال يجوز ان يكون المراد بتلك الصلوة مجرد الدعاء لانا نقول قد جاء

ابن كر في صلاة اشار بها وقد دوى هذه الصلاة لشعث من الصحابة ذكرهم السهيلي وسبق في الامتاع لو اجد في شيء من السير متى
فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على اسعد بن زرارة وقد مات في السنة الاولى ولا على عثمان بن
مظعون وقد مات في السنة الثانية وفي كلام بعضهم صلاة الجنازة فرضت في السنة الاولى من الهجرة واول من صلى عليه صلى الله
عليه وسلم اسعد بن زرارة فليتامل وفي كلام بعضهم كانوا في الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون عليهم وهو
ان يقوم ولي الميت بعد ان يوضع على سريره ويذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن اي وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن ولزم بيته واقل الخروج وكانت مدة اقامتها معه صلى الله
عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح ويذكر انه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة رضي الله تعالى عنها
وهي مريضة فقال لها يا خديجة اتكرهين ما ارى منك وقد يجعل الله في الكره خيرا اشعرت ان الله قد اعلمني انه سيزوجني معك في دار
اما علمت ان الله قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت موسى وهي التي علمت ابن عمها قارون الكيميا وآسية امراة
فرعون فقالت الله اعلمك بهذا يا رسول الله وفي رواية الله فعل ذلك يا رسول الله قال نعم قالت بالرفا والبنين
زاد في رواية انه صلى الله عليه وسلم اطعم خديجة رضي الله تعالى عنها من عنب الجنة وقولها بالرفا والبنين هو دعاء
كان يدعى به في الجاهلية عند التزويج والمراد منه الموافقة والملايمة ماخوذ من قولهم رفات الثوب ضممت بعضه الى بعض و
لعل هذا كان قبل ورود النهي عن ذلك هذا كلامه وفي الامتاع ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جاء الى
مجلس المهاجرين الاولين في الروضة فقال رفئوني فقالوا ماذا يا امير المومنين قال تزوجت ام كلثوم بنت علي هذا كلامه
ولعل النهي لم يبلغ هولاء الصحابة حيث لم ينكروا قوله كما لم يبلغ سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وفي الشهر الذي ماتت
فيه خديجة رضي الله تعالى عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بايام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران
بن عمها وهاجر بها الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله
عليه وسلم واصدقها اربعمائة درهم وقد رات في نومها ان النبي صلى الله عليه وسلم وطئ عنقها فاخبرت زوجها فقال
ان صدقت رؤياك اموتن ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رات في ليلة اخرى ان قمرا انقض عليها من السماء وهي
مضطجعة فاخبرت زوجها فقال لا البث حتى اموت فمات من يومه ذلك وعقد صلى الله عليه وسلم على عائشة رضي الله تعالى عنها
وهي بنت ست او سبع سنين في شوال نحو خولة بنت حكيم امراة عثمان بن مظعون قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله
الا تتزوج قال ومن قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت احب خلق الله اليك بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما
قال ومن الثيب قلت سودة بنت زمعة قد امنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما علي قالت فدخلت
على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك قالت ارسلني رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ادخلي على ابي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا قد تخلف عليه وحييته بتحية الجاهلية
فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال ما شانك قلت ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة قال كفو كريم قال ما تقول
صاحبتك قالت تحب ذلك قال ادعيها الي فدعوتها فقال اي بنية ان هذا يزعم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد ارسل
يخطبك وهو كفو كريم اتحبين ان ازوجك منه قالت نعم قال ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها اباها
ولما قدم اخوها عبد بن زمعة وقد بلغه ذلك صار يحثو على راسه التراب اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة
[illegible] وذهبت خولة الى ام رومان ام عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت لها ماذا ادخل الله عليكم من البركة والخير
قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قالت انظري ابا بكر حتى ياتي فجاء ابو بكر فقلت ماذا

ادخل الله عليكم من الخير والبركة قال وما ذاك قلت قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قال
وهل تصلح اي تحل له انما هي بنت اخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولي
له انا اخوك وانت اخي في الاسلام وابنتك تصلح لي فرجعت فذكرت ذلك له قالت ام رومان رضي الله تعالى عنها ان
مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه جبير ووعده والله ما وعد وعدا قط فاخلفه يعني ابا بكر فدخل ابو بكر على مطعم وعنده امراته
ام ابنه المذكور فكلمت ابا بكر بما اوجب ذهاب ما كان في نفسه من عدته للمطعم اي فان المطعم لما قال له ابو بكر ما تقول في امر هذه الجارية
اقبل المطعم على امراته وقال لها ما تقولين يا هذه فاقبلت على ابي بكر وقالت لعلنا ان انكحنا هذا الفتى اليك تصبيه وتدخله
في دينك الذي انت عليه فاقبل ابو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول انت فقال انها لتقول ما تسمع فقال ابو بكر وليس في نفسه
من الموعد شيء فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجها اباها وعائشة حينئذ بنت ست
سنين وهو الاقرب فعلم ان العقد على سودة تقدم على العقد على عائشة لان العقد على سودة كان في رمضان الشهر الذي ماتت
فيه خديجة وعلى عائشة كان في شوال ومعلوم ان الدخول بسودة كان بمكة وعلى عائشة كان بالمدينة ثم رايت بعضهم ذكر ان
خولة ذهبت الى طلب عائشة وان النبي صلى الله عليه وسلم عقد عليها ولا تخفى المخالفة الا ان يراد بالعقد على سودة الدخول بها
وفيه انه لا يحسن ذلك مع قوله قبل ذهابها لسودة ولما اشتكى ابو طالب اي مرضا وبلغ قريشا ثقله اي اشتداد المرض به قال
بعضهم لبعض ان عمر وحمزة قد اسلما وقد فشا امر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا الى ابي طالب فلياخذ لنا على ابن اخيه وليعطه
منا فانا والله ما نامن ان يبتزونا امرنا اي يسلبونه منا تقول من عز بز اي من غلب اخذ السلب اي وهو الثياب التي هي البز وفي
لفظ انا نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء اي قتل محمد كما في بعض الروايات فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى اذا مات
عمه تناولوه فمشى اليه اشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وامية بن خلف وابو سفيان رضي الله تعالى عنه
فانه اسلم ليلة الفتح كما سياتي وارسلوا رجلا يدعى المطلب فاستاذن لهم على ابي طالب فقال هولاء شيخة قومك و
سرواتهم يستاذنون عليك قال ادخلهم فدخلوا عليه فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك
وقد علمت الذي بيننا وبين ابن اخيك فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه
ودينه فبعث اليه ابو طالب فجاءه قال ولما دخل صلى الله عليه وسلم على ابي طالب وكان بين ابي طالب وبين القوم فرجة
تسع الجالس فخشي ابو جهل ان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الفرجة فيكون ارق منه فوثب ابو جهل فجلس
فيها فلم يجد صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب ابي طالب فجلس عند الباب انتهى وفي الوفاء انه صلى الله عليه وسلم
قال خلوا بيني وبين عمي فقالوا ما نحن بفاعلين وما انت باحق به منا ان كانت لك قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك
فقال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي هولاء اشراف قومك وفي لفظ هولاء شيخة قومك وسرواتهم
وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك وفي لفظ سالوك النصف وفي لفظ اعط سادات قومك ما سالوك فقد انصفوك
ان تكف عن شتم الهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتكم ان اعطيتكم ما سالتم هل تعطوني
كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم اي تطيع وتخضع فقال ابو جهل نعم وابيك عشر كلمات وفي لفظ
لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بايديهم ثم قالوا
يا محمد اتريد ان تجعل الالهة الها واحدا ان امرك لعجب فانزل الله تعالى ص والقران ذي الذكر الى اخر الايات
وفي لفظ قالوا ايسع لحاجاتنا جميعا اله واحد وفي لفظ قالوا اسالنا غير هذه الكلمة وفي لفظ ان ابا طالب قال له يا ابن اخي
هل من كلمة غيرها فان قومك قد كرهوها قال يا عم ما انا بالذي يقول غيرها ثم قال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما

ما انا لتكم عنها ثم قال بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين ابائكم حتى يحكم
الله بينكم وبينه وفي لفظ قال لعنه قيامهم والله لنشتمنك والهك الذي يامرك بهذا اي وفي لفظ لتكفن عن سب الهتنا
او لنسبن الهك الذي يامرك بهذا قال في الينبوع وهذه العبارة احسن من الاولى لانهم كانوا يعرفون انه يعبد الله
وما كانوا ليسبوا العالمين لكنهم ما كانوا يعرفون ان الله امره بذلك وذكر ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم هذا وفي النهر ان سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا لابي
طالب اما ان تنهى محمدا عن سب الهتنا والغض منها واما ان نسب الهه ونهجوه قال غيره وحكم هذه الاية باق في هذه الامة
فاذا كان الكافر في منعة وخيف ان يسب الاسلام او الرسول فلا يحل للمسلم ذم دين الكافر ولا يتعرض لما يؤدي الى
ذلك لان الطاعة اذا كانت تؤدي مفسدة خرجت عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها كما ينهى عن المعصية هذا كلامه
وعند ذلك قال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن اخي ما رايتك سالتهم شططا اي بالمهملة والطاء المهملتين امرا بعيدا
فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول اي عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة اي لو ارتكبت
ذنبا بعد قولها والا فالاسلام يجب ما قبله فلما راى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن اخي لولا مخافة السبة
اي العار عليك وعلى بني ابيك من بعدي وان تظن قريش انما قلتها جزعا اي بالجيم والزاي وخوفا من الموت وهذا هو المشهور
وقيل بالخاء المعجمة والراء اي ضعفا لقلتها وفي رواية لاقررت بها عينك لما ارى من شدة وجدك لكني اموت على ملة
الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فانزل الله تعالى انك لا تهدي من احببت الاية اي وجاء ان ابا طالب قال
عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم
وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله فقال يا ابن اخي قد علمت انك صادق
لكني اكره ان يقال [illegible] قال في الهدي وكان من حكمة احكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن
تاملها اي كما اقرباؤه وبنو اعمامه تاخر اسلام من اسلم منهم ولو اسلم ابو طالب وبادر اقرباؤه وبنو اعمامه الى الايمان به
لقيل قوم ارادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى ان الشخص يقتل اباه
واخاه علم ان ذلك انما هو عن بصيرة صادقة ويقين ثابت وذكر انه لما تقارب من ابي طالب الموت نظر العباس اليه فراه
يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخي لقد قال اخي الكلمة التي امرته بقولها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اسمع ويرده
لم يثبت ان العباس ذكر ذلك بعد الاسلام وايضا نزول الاية حيث ثبت نزولها في حق ابي طالب يرد ذلك ويرده ايضا ما في الصحيحين
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قلت يا رسول الله ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته
اي كشف لي عن حاله وما يصير اليه يوم القيامة فوجدته في غمرات من نار فاخرجته الى ضحضاح اي وفي لفظ اخر قال نعم هو اي يوم
القيامة في ضحضاح من النار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار ولو كانت الشهادة المذكورة عند العباس ما سال
هذا السؤال ولا اداها بعد الاسلام اذ لو اداها لنقلت وقد يقال انما سال هذا السؤال ولم يعد الشهادة بعد الاسلام لانه
لما قال له صلى الله عليه وسلم لم اسمع لم يعتد بها فسال هذا السؤال وعلم ان اعادة الشهادة بعد اسلامه لا تفيد شيئا ويرده ايضا
ما جاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم لما اكد على ابي طالب ان يقول كلمة الشهادة وهو يابى الى ان قال هو على دين
عبد المطلب قال صلى الله عليه وسلم اما والله لاستغفرن لك ما لم انه عن ذلك اي عن الاستغفار لك فانزل الله عز وجل
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اي وتقدم ان
سبب نزول هذه الاية طلب الاستغفار لامه عند زيارة قبرها الا ان يقال لا مانع من تكرر سبب النزول لجواز

انه صلى الله

انه صلى الله عليه وسلم جوز الفرق بين امه وعمه لان امه لم تدرك الاسلام بخلاف عمه وفي منع استغفاره لامه ما
تقدم ولا يشكل على ذلك قوله يوم احد اللهم اغفر لقومي لان ذلك اي غفران الذنوب مشروط بالتوبة اي الاسلام
فكانه دعا لهم بالتوبة التي هي الاسلام ويؤيده رواية اللهم اهد قومي اي للاسلام قال وايضا جاء في صحيح ابن
حبان عن علي رضي الله تعالى عنه قال لما مات ابو طالب اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
ان عمك الضال قد مات قال اذهب فواره قال علي رضي الله تعالى عنه فلما واريته جئت اليه فقال لي اغتسل اقول
اي لانه غسله وبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من غسل ميتا فليغتسل استدل ائمتنا على ان من غسل ميتا مسلما
او كافرا استحب له ان يغتسل روى البيهقي خبر ان عليا رضي الله تعالى عنه غسله بامر النبي صلى الله عليه وسلم
له لكن ضعفه وفي رواية عن علي رضي الله تعالى عنه لما اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموت ابي طالب بكى وقال
اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه واما ما روي انه صلى الله عليه وسلم عارض جنازة عمه ابي طالب فقال وصلتك
رحم وجزيت خيرا يا عم فقال الذهبي هو خبر منكر والله اعلم وجاء ايضا انه ذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي
وفي رواية لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار اي مقدار ما يغطي بطون قدميه وفي رواية في ضحضاح من
النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي لفظ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة شفعت
لابي وامي وعمي ابي طالب واخ لي كان في الجاهلية يعني اخاه من الرضاعة من حليمة كما في رواية ثانية اقول يجوز ان يكون
ذكر شفاعته لابويه قبل احيائهما وايمانهما به كما تقدم جوابا عن نهيه عن الاستغفار لهما والله اعلم وفي لفظ اخر شفعت
في ابي وعمي ابي طالب واخي من الرضاعة يعني من حليمة ليكونوا من بعد البعث هباء ومما يستانس به لايمان ابويه ما جاء انه صلى
الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها وقد عزت قوما من الانصار في ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى بالدال
المهملة اي المقابر يعني القبور فقالت لا فقال لو كنت بلغت معهم الكدى ما رايت الجنة حتى يراها جد ابيك
يعني عبد المطلب لم يقل جدك يعني اباه الذي هو عبد الله وتقدم القول بان حليمة واولادها اسلموا وعليه فيجوز
ان يكون هذا منه صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم اخوه من الرضاعة كما تقدم مثل ذلك في ابيه وامه وفي رواة الحديث
الاول من هو منكر الحديث وفي الثاني من هو ضعيف وقال فيه ابن الجوزي انه موضوع بلا شك اي وهذا اي قبول شفاعته صلى الله
عليه وسلم في عمه ابي طالب عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم فلا يشكل بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اذ لا تنفعهم
شفاعة الشافعين في الاخراج من النار بالكلية اي وفي هذا الثاني انه لا يناسب ان شفاعته لهم ان يكونوا من بعد البعث هباء
الا ان يقال انه لم يستجب له فيه وتقدم ما فيه وجاء ايضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اهون اهل النار اي وهم الكفار عذابا ابو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه اي وفي رواية كما يغلي المرجل اي القدر من
النحاس حتى يسيل دماغه على قدميه وفي رواية كما يغلي المرجل بالقمقم قيل والقمقم هو بكسر القافين البسر الاخضر يطبخ في
المرجل استعجالا لنضجه يفعل ذلك اهل الحاجة وذكر السهيلي الحكمة في اختصاصه بتعذيبه بالعذاب وذكر بعض غلاة الرافضة ان
ابا طالب اسلم واستدل له باخبار واهية ردها الحافظ ابن حجر في الاصابة اي وقد وقفت على جزء جمعه بعض اهل الرفض اكثر
فيه من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام ابي طالب ولم يثبت من ذلك شيء وروى ابو طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال حدثني محمد ان الله امره بصلة الارحام وان يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره وقال سمعت ابن اخي الامين يقول اشكر ترزق
ولا تكفر فتعذب انتهى وفي المواهب عن شرح الشيخ العراقي ان ابا طالب عرف من ظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع
لانه كان يقول اني لاعلم انما يقوله ابن اخي حق ولولا اني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته فهذا تصريح باللسان الا انه

بلا اله الا الله ولم يوجد ذلك منه كما علمت وتقدم ان الايمان النافع عند الله الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة
ناجيا من الخلود في النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يقر بالشهادتين
مع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وابو طالب طلب منه ذلك وامتنع وقد روى الطبراني عن ام سلمة ان
الحارث بن هشام يعني اخا ابي جهل بن هشام اتى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال انك تحث على صلة
الرحم والاحسان الى الجار وايواء اليتيم واطعام الضيف واطعام المسكين وكل هذا كان يفعله هشام يعني والده
فما ظنك به يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قبر لا يشهد صاحبه ان لا اله الا الله فهو جذوة
من النار وقال وجدت عمي ابا طالب في طمطام من النار فاخرجه الله لمكانه مني واحسانه الي فجعله في ضحضاح من النار وذكر
ان ابا طالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجوه قريش واوصاهم وكان من وصيته ان قال يا معشر قريش انتم صفوة الله من
خلقه وقلب العرب فيكم المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا احرزتموه
ولا شرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة اوصيكم بتعظيم هذه البنية يعني
الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منسأة اي فسحة في الاجل وزيادة في
العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعي واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات
وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش
اي وهو الصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن اي البغض وايم
الله كاني انظر الى صعاليك العرب واهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا
كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا
اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة
ولحزبه حماة والله لا يسلك احد منكم سبيله الا رشد ولا ياخذ احد بهديه الا سعد وفي لفظ انه لما حضرته الوفاة
دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا ولما مات ابو طالب نالت
قريش من النبي صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على راس النبي
صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على راسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله
عنه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيئا اكرهه اي اشد الكراهة حتى مات ابو طالب وتقدم
وسياتي بعض ما اوذي به قال ولما راى قريشا تهجموا قال يا عم ما اسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ ابا لهب ذلك قام ابو لهب
بنصرته اياما وقال له يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذ كان ابو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل
اليك حتى اموت واتفق ان ابن العيطلة اي وهو احد المستهزئين المتقدم ذكرهم سب النبي صلى الله عليه وسلم فنال
عليه ابو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعني ابا لهب فاقبلت قريش على ابي لهب فقال لهم
ما فارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقت وفي لفظ قالوا اصبوت قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكني امنع ابن
اخي ان يضام حتى يمضي لما يريد قالوا قد احسنت واجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك اياما لا يتعرض له احد من قريش وهابوا ابا لهب الى ان جاء ابو جهل وعقبة بن ابي معيط الى ابي لهب فقالا له اخبرك
ابن اخيك اين مدخل ابيك اي المحل الذي يكون فيه يزعم انه في النار فقال له ابو لهب يا محمد يدخل عبد المطلب النار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب في النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهى

اي وفي لفظ قال له يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج ابو لهب الى ابي جهل وعقبة فقال قد سالته فقال مع قومه فقالا
لا يزعم انه في النار فقال يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ولا يخفى ان عبد المطلب من اهل الفترة
وتقدم الكلام عليهم باب ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف سميت بذلك لان رجلا من حضرموت نزلها
فقال لاهلها الا ابني لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمي الطائف وقيل غير ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش من النبي
صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته منه في حياته كما تقدم خرج الى الطائف اي وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش
من قرابته وعشيرته خصوصا من ابي لهب وزوجته ام جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قال
لما توفي ابو طالب لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون انت الذي جعلت الالهة الها واحدا
قال فوالله ما دنا منا احد الا ابو بكر يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وخروجه صلى الله عليه وسلم
الى الطائف كان في شوال سنة عشر من النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا وان
يسلموا وان ينصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه قال في الامتاع لانهم كانوا اخواله اي لبعضهم ومن ثم
ابي بانه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستانسا لمن ضاق صدره
من اهل مكة كذا قال لعمي كلام غيره ولا جرم جعل الله الطائف مستانسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهي راحة
الامة ومتنفس كل ذي ضيق وغم سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فلينا مل فلما انتهى صلى
الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى سادات ثقيف واشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة احدهم عبد ياليل اي واسمه كنانة لم يعرف
له اسلام واخوه مسعود اي وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام لم يعرف له اسلام ايضا وحبيب قال الذهبي في صحبته نظر اي وهم
اولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي فجلس اليهم وكلمهم فيما جاءهم به اي من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من
قومه فقال احدهم يمرط ثياب الكعبة اي ينتفها ويقطعها اي وقيل يسرقها ان كان الله ارسلك وقال له الاخر اما وجد الله
احدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا اي قدرا
من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد ايس من خير ثقيف
قال لهم اكتموا علي وكره ان يبلغ قومه ذلك فيشتد امرهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس
وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما اي
دقوهما بالحجارة حتى ادموا رجليه صلى الله عليه وسلم اذا اذلقته الحجارة اي عض الما قعد الى الارض فياخذون
بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة اي بناء على انه كان معه يقيه بنفسه حتى
لقد شج راسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه تسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم اي بستان من بساتينهم فاستظل في
حبلة بفتح الباء الموحدة وتسكينها غير معروف شجرة كرم وقيل لها حبلة لانها تحمل بالعنب وقد فسر عنه صلى الله عليه وسلم
عن بيع حبل الحبلة ببيع العنب قبل ان يطيب قال السهيلي وهو غريب لم يذهب اليه احد في تاويل الحديث فجاء الى ذلك المحل وهو مكروب
موجع اي وقد جاء النهي عن ان يقال لشجر العنب الكرم في قوله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم الكرم فان الكرم قلب المؤمن
ولكن قولوا حدائق العنب قيل وسبب النهي عن تسميتها كرما لان الخمر تتخذ من ثمرتها وهو يحمل على الكرم فاشتقوا لها اسما من الكرم وفي
لفظ ثم ان هؤلاء الثلاثة اي عبد ياليل واخويه اغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس
والجاوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه قال وذكر انه صلى الله عليه وسلم دعا بدعاء منه اللهم اني
اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني ان لم يكن

غضب علي فلا ابالي الى اخره واذا في الحايط اي البستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة وقد رايا ما لقي من سفها اهل الطايف فلما
راياه كذلك تحركت لما يعلمون من عداوتهما لله ولرسوله فلما راياه وما لقي تحركت له رحمهما فدعيا غلاما نصرانيا يقال له عداس معدود في
الصحابة مات قبل الخروج الى بدر فقالا له خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل
منه وهذا الاتيان في كون زيد بن حارثة كان معه لا يخفى ففعل عداس ثم اقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده الشريفة قال بسم الله ثم اكل اي لانه صلى الله
عليه وسلم كان اذا وضع يده في الطعام قال بسم الله ويامر الآكل بالتسمية وامر من نسي التسمية اوله ان يقول بسم الله
اوله واخره فنظر عداس وقال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي
البلاد انت وما دينك يا عداس قال نصراني وانا من اهل نينوى بكسر النون الاولى وفتح الثانية وقيل بضمها قرية على
شاطي دجلة في ارض الموصل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل قرية اي وفي رواية من مدينة الرجل الصالح
يونس بن متى اسم ابيه كما في حديث ابن عباس وفي تاريخ حماة انه اسم امه قال ولم ينتسب باسم امه غير يونس وعيسى عليهما الصلوة و
السلام اي وفي ذيل الخفا ان ... في الصحيح لا تفضلوني على يونس بن متى ونسبه الى ابيه وهو يقتضي ان متى ابوه لا امه واجيب بانه
من مدرج في الحديث من كلام الصحابي لبيان يونس بما اشتهر به لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان ذلك موهما ان
الصحابي سمع هذه النسبة من النبي صلى الله عليه وسلم دفع الصحابي ذلك بقوله ونسبه الى ابيه لا الى امه هذا كلامه وعند
ذلك قال عداس وما يدريك ما يونس بن متى فاني والله لقد خرجت منها يعني نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن اين
عرفت ابن متى وانت امي وفي امة امية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي امي وفي رواية انا رسول
الله والله اخبرني خبره وما وقع مع قومه اي حيث وعدهم العذاب اي بعد اربعين ليلة لما دعاهم فابوا ان يجيبوه وخرج عنهم وكانت عادة
الانبياء اذا واعدت قومها العذاب خرجت عنهم فلما فقدوه قذف الله في قلوبهم التوبة اي الايمان بما دعاهم اليه يونس وقيل كما
في الكشاف انه قال لهم يونس اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة اطبقت
السماء غيما اسود يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم فعند ذلك لبسوا المسوح واخرجوا المواشي وفرقوا بين النساء
واولادها وبين كل بهيمة وولدها فلما اقبل عليهم العذاب جاروا الى الله تعالى وبكى الناس والولدان ورغت الابل
وفصلانها وخارت البقر وعجاجيلها وثغت الغنم وسخالها وقالوا يا حي حين لا حي يا محيي الموتى لا اله الا انت وعن
الفضيل انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن
اهله وفي الكشاف انهم عجوا اربعين ليلة وعلم الله تعالى منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب بعد ان صار بينه
وبينهم قدر ميل فمر رجل على يونس فقال له ما فعل قوم يونس فحدثه بما صنعوا فقال لا ارجع لقوم قد كذبتهم قيل وكان
في شرعهم ان من كذب قتل فانطلق مغاضبا للقوم وظن ان لن نقضي عليه بما قضي به عليه اي من الغم وضيق الصدر قال
تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه وكانت التوبة عليهم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة
اي وفي كلام بعضهم كشف العذاب عن قوم يونس يوم عاشوراء واخرج فيه يونس من بطن الحوت وهو يؤيد القول بانه نبذ
من يومه وهو قول الشعبي التقمه ضحوة ونبذه عشية اي بعد العصر وقاربت الشمس للغروب ويذكر ان الحوت لم ياكل ولم
يشرب مدة بقاء يونس في بطنه لئلا يضيق عليه وقال السدي مكث اربعين يوما وقال جعفر الصادق سبعة ايام وقال قتادة ثلاثة
ايام وذلك بعد ان نزل السفينة فلم تسر فقال لهم ان معكم عبدا ابقا من ربه وانها لا تسير حتى تلقوه في البحر واشار الى نفسه فقالوا
لا نلقيك يا نبي الله ابدا قال فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقوه فالتقمه الحوت وقيل قايل ذلك بعض الملاحين وحين

خرجت

خرجت القرعة عليه ثلاثا القى بنفسه في البحر وهذا السياق يدل على ان رسالته كانت قبل ان يلتقمه الحوت وقيل انما ارسل بعد
نبذ الحوت له وفيه كيف يدعوهم ويعدهم العذاب وهو غير مرسل لهم وعن وهب بن منبه وقد سئل عن يونس فقال كان عبدا
صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها فالقاها عنه وخرج هاربا اي فقد تقدم ان للنبوة اثقالا
لا يستطيع حملها الا اولوا العزم من الرسل وهم نوح وهود وابرهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اما نوح فلقوله
يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله واما هود فلقوله اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون
من دونه الاية واما محمد صلى الله عليه وسلم فلقول الله تعالى له فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فصبر صلى الله عليه
وسلم فعند ذلك اكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل راسه ويديه وقدميه اي فقال احدهما اي عتبة و
شيبة للاخر اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قال له احدهما ويلك ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال
يا سيدي ما في الارض خير من هذا لقد اعلمني بامر لا يعلمه الا نبي قال له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك اقول وقد تقدم
قالا له ما شانك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته باحد منا قال هذا رجل صالح اخبرني بشيء عرفته من شان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الينا يدعى يونس بن متى فضحكا به وقالا لا يفتننك عن نصرانيتك فانه رجل خداع
ودينك خير من دينه وقد تقدم في بعض الروايات ان خديجة رضي الله تعالى عنها قبل ان تذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم
لورقة بن نوفل ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلوة والسلام وتقدم
انه غير هذا خلافا لمن اشتبه عليه به وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس و
ثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنت فيه وقست اثر رجل واحد منهم في الارض فرايت طول قدمه ثلاثة اشبار
وثلثي شبر والله اعلم وفي الصحيح عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم
اشد من احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال اي والمناسب لما سبق
اسقاط عبد الاولى والاتيان بواو العطف موضع ابن الثانية اي فقال عبد ياليل وكلال اي وعبد كلال ويكون خصهما بالذكر دون
اخيهما حبيب لانهما كانا اشرف واعظم قدرا ولانهما كانا المجيبين له صلى الله عليه وسلم بالقبيح دون حبيب الا ان يثبت ان ابا
هولاء الثلاثة شخصا يقال له عبد ياليل وعبد كلال وحينئذ يكون المراد هولاء الثلاثة لان ابن مفرد مضاف ثم رايته
في النور ذكر ما يفيد ان لفظ ابن ثابتة في الصحيح والذي في كلام ابن اسحق وابو عبيد وغيرهما اسقاطه ثم رايت الشمس
الشامي قال الذي ذكره اهل المغازي ان الذي كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه لا ابنه وعند اهل السير ان
عبد كلال اخوه لا ابوه اي او ابنه كما لا يخفى فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب
اي ويقال له قرن المنازل وهو ميقات اهل نجد الحجاز او اليمن بينه وبين مكة يوم وليلة وفي لفظ هو موضع على ليلة من مكة
وراقرن بسكون الراء ووهم الجوهري في تحريكها وفي قوله ان اويسا القرني منسوب اليه وانما هو منسوب الى قرن قبيلة من مراد
كما ثبت في مسلم فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال قد سمع قول
قومك لك اي اهل ثقيف كما هو المتبادر وما ردوا عليك به وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه
ملك الجبال وسلم عليه وقال له ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت اي وهما جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة
الى منى من الاولى وهما ابو قبيس وقعيقعان وقيل الجبل الاحمر الذي يقابل ابا قبيس المشرف على قعيقعان ومن
الثانية الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد وحينئذ فيقال ليس المراد بل الجبلان خارجان عنهم فكيف
يطبقهما عليهم وفي لفظ ان شئت خسفت بهم الارض او دمدمت عليهم الجبال اي التي تلك الناحية ثم رايت الحافظ

ابن حجر قال المراد بقوم عايشة فى قوله لقد لقيت من قومك قريش اى لا اهل الطايف الذين هم ثقيف لانهم كانوا هم السبب
الحامل على ذهابه صلى الله عليه وسلم لثقيف لا نهم قوم عايشه رضى الله تعالى عنها وعليه فلا اشكال ويوافقه قول الهدى
فارسل عبده تبارك وتعالى اليه صلى الله عليه وسلم ملك الجبال يستامره ان يطبق على اهل مكة الاخشبين وهما جبلاها
التى هو بينهما وعبارة الهدى فى محل اخر وفى طريقه صلى الله عليه وسلم ارسل الله تعالى اليه ملك الجبال فامره بطاعته وان يطبق على قومه
اخشبى مكة وهما جبلاها ان اراد وهذا كلامه ولا يخفى ان هذا خلاف السياق ان قوله وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة
اذ عرضت نفسى الخ اخره وقول جبريل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك به ظاهر فى ان المراد بهم ثقيف لا قريش
ويوافق هذا الظاهر قول ابن الشحنة فى شرح منظومة جده بعد ان ساق دعاه المتقدم بعضه فارسل الله عز وجل جبريل ومعه
ملك الجبال فقال ان شيت اطبقت عليهم الاخشبين وحينئذ يكون المراد انما يطبقهما عليهم بعد نقلهما من محلهما الى محل ثقيف
الذى هو الطايف لان القدرة صالحة وعند قول ملك الجبال له ما ذكر قال النبى صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى
وفى رواية استانى بهم لعل الله ان يخرج من اصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيئا وعند ذلك قال له ملك الجبال انت
كما سماك ربك رؤف رحيم قال الحافظ ابن حجر لم اقف على اسم ملك الجبال والى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم واشار
صاحب الهمزية بقوله جهلت قومه عليه فاغضى واخو الحلم دابه الاغضاء وسع العالمين علما وحلما فهو بحر
لم تعيه الاعباء اى جهلت قومه صلى الله عليه وسلم عليه فاذوه اذية الاطاق فاغضى عنهم حلما واخو الحلم اى
وصاحب عدم الانتقام شانه التغافل فانه عليه وسع علوم العالمين ووسع حلمهم فهو واسع العلم والحلم لم تعيه
الاعباء اى لم تتعبه الاثقال لكن تقييده بقومه السياق يدل على ان المراد به ثقيف وقد علمت ما فيه فليتامل وعند
منصرفه صلى الله عليه وسلم المذكور من الطايف نزل نخلة وهى محلة بين مكة والطايف قريبة نفر سبعة وقيل تسعة من جن نصيبين
اى وهى مدينة بالشام وقيل باليمن اثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله رفعت الى نصيبين حتى رايتها
فدعوت الله تعالى ان يعذب نهرها ويطيب ثمرها ويكثر مطرها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل
اى وسطه يصلى وفى رواية يصلى صلوة الفجر وفى رواية هبطوا على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرا القران ببطن نخلة
فلعله كان يقرا فى الصلوة والمراد بصلوة الفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس ولعله صلاهما عقب الفجر و
ذلك ملحق بالليل وفى قوله جوف تجوز من الراوى او صلى صلوتين صلوة فى جوف الليل وصلوة بعد الفجر وقرا فيهما او جمع
بين القراة والصلوة وان الجن استمعوا للقراتين واطلاق صلوة الفجر على الركعتين المذكورتين سايغ وبهذا يندفع قول بعضهم
صلوة الفجر لم تكن وجبت وكان صلى الله عليه وسلم يقرا سورة الجن وفيه ان فى الصحيحين ان سورة الجن انما نزلت بعد استماعهم
وقد يقال سياق ما يعلم منه انه ليس المراد بالاستماع الاستماع المذكور هنا بل استماع سابقا على ذلك وهو المذكور فى رواية
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الاتية وفى رواية صلوة الفجر هنا ذكرها الكشاف كالفجر والا فالروايات التى وقفت عليها
فيها الاقتصار على صلوة الليل وصلوة الفجر كانت فى ابتداء البعث فى بطن نخلة عند ذهابه واصحابه الى سوق عكاظ كما
سياتى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فامنوا به وكانوا يهودا لقولهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى
الا ان يكون قالوا ذلك بناء على ان شريعة عيسى مقررة لشريعة موسى لا ناسخة لها ولا يخفى انهم علموا ما نزل من الكتاب على ما لم ينزل
لانهم لم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا فال قال وانكر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اجتماع النبى صلى الله عليه
وسلم بالجن اى باحد منهم ففى الصحيحين عنه قال ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طايفة من اصحابه عامدين الى
سوق عكاظ اى وكان بين الطايف ونخلة كان لثقيف وقيس عيلان كما تقدم وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء

وارسلت

وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما
ذاك الا من شىء قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمر النفر جاعة اخذوا نحو تهامة فاذا هم بالنبى صلى الله
عليه وسلم وهو بنخلة عامد الى سوق عكاظ يصلى باصحابه صلوة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا
وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله
عليه وسلم قل اوحى الى اى قل اخبرت من الله تعالى انه استمع لقرائتى نفر من الجن اى جن نصيبين اقول تقدم ان اطلاق صلوة
الفجر على الركعتين اللتين كان يصليهما قبل طلوع الشمس سايغ فان ذلك باعتبار الزمان لا لكونهما احدى الخمس المفترضة ليلة الاسرى
وقوله باصحابه يجوز ان تكون الباء بمعنى مع ويجوز ان يكون صلى بهم اماما لان الجماعة فى ذلك جايزة ولا يخفى ان هذه القصة التى
تضمنتها رواية ابن عباس غير قصة انصرافه صلى الله عليه وسلم من الطايف يدل لذلك قوله انطلق فى طايفة من اصحابه عامدين الى سوق
عكاظ لانه فى تلك القصة التى هى قصة الطايف كان وحده او معه مولاه زيد بن حارثة على ما تقدم وكان مجيبه من الطايف قاصدا
مكة وفى هذه كان ذهابه من مكة قاصدا سوق عكاظ وانه قرا فى تلك اى مجيبه من الطايف سورة الجن وفى هذه قرا غيرها ثم
نزلت تلك السورة وان هذه القصة التى تضمنتها رواية ابن عباس سابقة على تلك القصة لان قصة ابن عباس
كانت فى ابتداء الوحى لان الحيلولة بين الجن وبين خبر السماء بالشهب كانت فى ذلك الوقت وتلك كانت بعد ذلك بسنين
عديدة وسياق كل من القصتين يدل على انه لم يجتمع الجن به صلى الله عليه وسلم ولا قرا عليهم وانما استمعوا قراته من غير
ان يشعر بهم وقد صرح ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى هذه وصرح به الحافظ الدمياطى فى تلك حيث قال فى سيرته فلما انصرف
صلى الله عليه وسلم من الطايف راجعا الى مكة ونزل نخلة قام يصلى من الليل فصرف اليه نفر من الجن ولم يشعر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران هذا كلامه وتقدم ما ذكر ما كان بعد
انصرافهم فقد قال ابن اسحاق فلما فرغ من صلوته ولوا الى قومهم منذرين قد امنوا واجابوا الى ما سمعوا فقص الله تعالى
خبرهم على النبى صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم ما فى سفر السعادة ولما وصل صلى الله عليه وسلم فى رجوعه الى نخلة جاءه الجن
وعرضوا اسلامهم عليه وكذا يعلم ما فى المواهب من قوله ولما انصرف عن اهل الطايف ونزل نخلة صرف اليه سبعة
من جن نصيبين الى ان قال وفى الصحيح ان الذى اذنه صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سالوه الزاد
فقال كل عظم الخ لان ابتداء الحلم له صلى الله عليه وسلم الزاد فرع اجتماعهم وقد ذكر هو انهم لم يؤذنه صلى الله عليه
وسلم بهم الا الشجرة هناك وعلى جواز ان الشجرة اذنته بهم قبل انصرافهم اى اعلمته بوجودهم وذلك كان سببا لاجتماعهم
به صلى الله عليه وسلم وان دعوى ذلك لا ينافى انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر باستماعهم للقران الا لما نزل عليه
من القران فسوالهم له صلى الله عليه وسلم الزاد كان فى قصة اخرى غير هاتين القصتين كانت بمكة سياق الكلام
عليها ثم رايت عن ابن جرير انه تبين من الاحاديث ان الجن سمعوا قراة النبى صلى الله عليه وسلم بنخلة واسلموا فادلهم
الى قومهم منذرين اذ لا جاير ان يكون ذلك فى اول البعث لما تقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
وحينئذ يؤيد الاحتمال الذى ذكرناه من انه يجوز انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم بعد ان اذنته بهم الشجرة وقوله
فارسلهم الى قومهم منذرين لم اقف فى شىء من الروايات على ما هو صريح فى ذلك اى ان ارساله لهم كان من نخلة عند
رجوعه من الطايف ولعله يؤخذ ذلك من قوله تعالى ولوا الى قومهم وغاية ما رايت ان ابن جرير والطبرانى رويا عن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الجن الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة كانوا تسعة نفر من اهل نصيبين
فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وهذا ليس صريحا فى انه صلى الله عليه وسلم كان عند رجوعه

من الطائف لا يقال يعني ذلك انكار ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالجن المرة الاولى التي كانت
عند البعث لاحتمال انه صلى الله عليه وسلم كان في بطن نخلة مرة اخرى ثالثة ثم رايت في النور ما يخالف ما تقدم عن ابن عباس
من قوله انه لم يجتمع صلى الله عليه وسلم بالجن حين خرج قاصدا الى سوق عكاظ حيث قال الذي في الصحيح وغيره انه اجتمع
بهم وهو خارج من مكة الى سوق عكاظ ومعه اصحابه فليتامل قال وقد ذكر انه صلى الله عليه وسلم اقام بنخلة اياما بعد ان اقام بالطائف
عشرة ايام وشهرا لا يدع احدا من اشرافهم اي زيادة على عبد ياليل واخويه الا جاء اليه وكلمه فلم يجبه احد فلما اراد
الدخول الى مكة قال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم يعني قريشا وهم قد اخرجوك اي كانوا سببا لخروجك وخرجت تستنصر
فلم تنصر فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه ثم انتهى صلى الله عليه وسلم الى
حراء ثم بعث الى الاخنس بن شريق اي رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ليجيره اي ليدخل مكة في جواره فقال انا حليف
والحليف لا يجير اي في قاعدة العرب لحطه عنهم واصطلاحهم فبعث الى سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك
ايضا فقال ان بني عامر لا تجير على بني كعب وفيه انه لو كان كذلك لما سالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه صلى الله
عليه وسلم لم يكن يعرف هذا الاصطلاح بعيد الا ان يقال جوز صلى الله عليه وسلم خلاف هذه الطريقة فبعث الى المطعم ابن عدي
اي وهو مات كافرا قبل بدر وعمره بضع وتسعون سنة يقول له اني داخل مكة في جوارك فاجابه الى ذلك فدخل له فقبلنا فرجع اليه
صلى الله عليه وسلم مكة ثم تسلح المطعم هو واهل بيته وخرجوا حتى اتوا المسجد فقام مطعم بن عدي على راحلته فنادى يا معشر
قريش اني قد اجرت محمدا فلا يهجه احد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف
الى منزله اي ومطعم ابن عدي وولده محيطون به صلى الله عليه وسلم قال وقد ذكر انه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة
فلما اصبح خرج المطعم وقد لبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة او سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا
بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم واقبل ابو سفيان على المطعم فقال امجير ام تابع فقال بل مجير فقال
اذن لا نخفر اي لا نزيل خفارتك اي جوارك قد اجرنا من اجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه
انتهى اي ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في امان كافر لان حكمة الحكيم القادر قد تخفى وهذا السياق يدل على ان
قريشا كانوا ازمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهله اي ولفعل المعروف
فعله المطعم قال صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له وفي رواية
في اسد الغابة ان جبيرا ولد المطعم رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بين الحديبية والفتح وقيل يوم الفتح جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو كافر في اسارى بدر فقال لو كان ابوك الشيخ حيا فاتانا فيهم لشفعناه كما سياتي اي لانه
فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى في نقض الصحيفة كما تقدم قال وعن كعب الاحبار رضي الله
تعالى عنه لما انصرف النفر السبعة من اهل نصيبين من بطن نخلة جاءوا قومهم منذرين ثم جاءوا مع قومهم وافدين الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وهم ثلاثمائة فانتهوا الى الحجون فجاء واحد من اولئك النفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك فوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من الليل بالحجون انتهى وعن
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني امرت ان اقرا على اخوانكم من الجن
فليقم معي رجل منكم ولا يقم رجل في قلبه مثقال حبة خردل من كبر فقمت معه اي بعد ان كرر ذلك ثلاثا ولم يجبه احد
منهم ولعلهم فهموا ان من الكبر ما ليس منه وهو محبة الترفع في نحو الملبس الذي لا يكاد يخلو منه احد وقد بين الكبر
في الحديث ببطر الحق وغمط الناس اي استصغارهم وعدم رؤيتهم شيئا بعد ان قالوا له يا رسول الله انا الرجل يحب ان يكون

ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمط الناس بالطاء المهملة كما في رواية ابي داود
وجاء لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار احد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان قال
الخطابي المراد بالكبر هنا اي في هذه الرواية كبر الكفر لانه قابله بالايمان قال ابن مسعود وذهب صلى الله عليه وسلم
في بعض نواحي مكة اي باعلاها بالحجون فلما برز خط لي خطا اي برجله وقال لا تخرج فانك ان خرجت لم ترني ولم ارك الى
يوم القيامة وفي رواية لا تحدثن شيئا حتى اتيك لا يروعنك اي لا يخوفنك ويفزعنك ولا يهولنك اي يعظم عليك شيء
تراه ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجال سود كانهم رجال الزط وهم طائفة من السودان الواحد منهم زطي كانوا كما
قال الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا اي كاللبد في ركوب بعضهم بعضا حرصا على سماع القران منه صلى الله عليه وسلم
فاردت ان اقوم فاذب عنه فذكرت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت ثم انهم تفرقوا عنه صلى الله عليه وسلم
فسمعتهم يقولون يا رسول الله ان شقتنا اي ارضنا التي نذهب اليها بعيدة ونحن منطلقون فزودنا اي لانفسنا ودوابنا ولعله
كان نفد زادهم وزاد دوابهم فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما كان لحما رواه مسلم وفي رواية الا وجد عليه لحمه
الذي كان عليه يوم اكل وكل بعر علف لدوابكم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انهم لما سالوه صلى الله عليه وسلم الزاد قال لهم
لكم كل عظم عراق ولكم كل روثة خضرة والعراق بضم العين وفتح الراء العظم الذي اخذ عنه اللحم وقيل الذي اخذ عنه اللحم وقيل الذي
اخذ عنه معظم اللحم قلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم اي عن انفسهم وعن دوابهم بدليل قوله فقال انهم لا يجدون عظما
الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت وفي رواية وجدوه اي الروث والبعر شعيرا فهذه الرواية
تدل على ان الروثة مطعوم دوابهم ويوافقه ما جاء ان الشعير يعود خضرا لدوابهم ويحتاج للجمع بين كون الروث كالبعر يعود حبا
يوم اكل وبين كونه يكون شعيرا وبين كونه يعود خضرا هذا وفي رواية لابي نعيم ان الروث يعود لهم تمرا وهي تدل على ان
الروث من مطعومهم ويحتاج الى الجمع وجمع ابن حجر الهيتمي بان الروث يكون تارة علفا لدوابهم وتارة يكون طعاما لهم انفسهم اي
وفي لفظ سالوني المتاع فمتعتهم بكل عظم حائل وكل روثة وبعرة والحائل البالي بمرور الزمن لانه لو لم يخرج بذلك عن كونه مطعوما
لهم كما لو خرج بذلك عن كونه مطعوما لهم لو حرق وصار فحما ولعل الغرض من ذكر الحائل الاشارة الى ان زادهم العظم ولو كان حائلا لا انه
لو منعتهم الا الحائل وقوله الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل يدل على ان المراد عظم المذكاة وبدليل ذكر الله تعالى عليه فلا ياكلون
ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من عظم اي وكذا من طعام الانس سرقة كما جاء في بعض الاخبار هذا ولكن في رواية ابي داود كل عظم
لم يذكر اسم الله عليه قال السهيلي واكثر الاحاديث تدل على معنى رواية ابي داود وقال بعض العلماء رواية ذكر اسم الله عليه
في حق الجن المؤمنين ورواية لم يذكر اسم الله عليه في حق الشياطين منهم وهذا قول صحيح يعضده الاحاديث هذا كلامه اي التي
من تلك الاحاديث ان ابليس قال يا رب ليس احد من خلقك الا جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقي قال كل ما لم يذكر عليه
اسمي ومعلوم ان ابليس ابو الجن وان ما لم يذكر اسم الله عليه يشمل عظم الميتة ومقابلة الشياطين بالمؤمنين يدل على ان المراد
بهم شقتهم لا الكفار منهم لان في كون الكفار من الجن اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين وان كلا من الفريقين ساله
الزاد وانه خاطب كلا بما يليق به بعد لا يخفى مع ما تقدم عن ابن مسعود وما ياتي من قوله اخوانكم من الجن ومن ثم قال بعضهم
ان السائلين له صلى الله عليه وسلم الزاد كانوا مسلمين فليتامل وعلى ما ذكر صلى الله عليه وسلم لهم العظم والروث قالوا
يا رسول الله ان الناس يقذرونه علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم او بروثة بقوله فلا يستنجين
احدكم اذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة لانه زاد اخوانكم من الجن وفي رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم
انه امتك عن الاستنجاء بهما فان الله تعالى قد جعل لنا فيهما رزقا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالعظم

والبعر اي ورميه عن البول او التغوط عليهما افهم من ذلك بالاولى ومنه يعلم ان مرادهم بالتغذي والتنجيس لا ما يشمل التغذي
بالظاهر كالبصاق والمخاط وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
امشي اذ جاءت حية فقامت الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم وادنت فاها من اذنه وكانها تناجيه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم نعم فانصرفت قال جابر فسالته فاخبرني انه رجل من الجن وانه قال له مر امتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة اي
العظم لان الله تعالى جعل لنا في ذلك رزقا ولعل هذا الرجل من الجن لم يبلغه انه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ولا
يخفى ان سؤال الزاد يقتضي ان ذلك لم يكن زادهم وفادوا به قبل ذلك وحينئذ يسال ما كان زادهم قبل ذلك وقد
يقال هو كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام الادميين وحينئذ يكون ما تقدم في خبر ابليس لم اراد به ما لم يذكر اسم الله
عليه من العظم فليتامل والنهي عن الاستنجاء يدل على ان ذلك لا يختص بحالة السفر بل هو زادهم بعد ذلك دائما وابدا وفي قصة
جابر هذه سياق في غزاة تبوك نظيرها وهو ان حية عظيمة الخلقة عارضتهم في الطريق فانحاز الناس عنها فاقبلت حتى وقفت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت
قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا احد الرهط الثمانية من الجن
الذين وفدوا الي يستمعون القران قال في المواهب وفي هذا رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب وانما يتغذون بالشم
اقول ــ ذكرت في كتابي عقد المرجان فيما يتعلق بالجان ان في اكل الجن ثلاثة اقوال قيل ياكلون بالمضغ والبلع ويشربون
بالازدراد والثاني لا ياكلون ولا يشربون بل يتغذون بالشم والثالث انهم صنفان صنف ياكل ويشرب وصنف لا ياكل
ولا يشرب وصنف لا ياكل ولا يشرب وانما يتغذون بالشم وهو خلاصتهم والله اعلم قال لابن مسعود فلما ولوا قلت من هؤلاء قال جن نصيبين
وفي رواية تواري عني حتى لم اره فلما سطع الفجر اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اراك قائما فقلت ما قعدت
فقال ما عليك لو فعلت اي قعدت قلت خشيت ان اخرج منه فقال اما انك لو خرجت لم تامن ولم اراك الى يوم القيامة اي وفي
رواية لم امن عليك ان يختطفك بعضهم وفيه ان القعود لا ينشأ عن القعود حتى يخشى منه الخروج وفي رواية قال لي ما شانك
فقلت لا ما الله يا رسول الله ولقد هممت مرارا ان استغيث بالناس اي لما تراكموا عليك وسمعت منهم لغطا شديدا حتى خفت
عليك الى ان سمعتك تقرعهم بعصاك وتقول اجلسوا وساله عن سبب اللغط الشديد الذي كان منهم فقال ان الجن تداعت
في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فحكمت بينهم بالحق وفي رواية عن سعيد بن جبير اي وعن ابن مسعود قال لهم اولئك جن
نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك اي ولا ينافي في ذلك ما جاء عن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه انه افتتح القران لان المراد بالقران القراءة زاد ابن مسعود على ما في بعض الروايات ثم شبك اصابعه في اصابعي
وقال اني وعدت ان تؤمن بي الجن والانس اما الانس فقد امنت واما الجن فقد رايت اقول ــ في هذا ان ابن مسعود لم يخرج
من الدائرة التي خطها له صلى الله عليه وسلم وفي السيرة الهشامية ما يقتضي انه خرج منها حيث قال عن ابن مسعود بجنبهم ورايت
الرجال ينحدرون عليه صلى الله عليه وسلم من الجبال فازدحموا عليه الخ فليتامل ونعلم ان هذه القصة بعد كل من قصتي
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف فان قصة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت
في اول البعث وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف بعدها بمدة مديدة كما علمت وهذه القصة كانت بعدها
بمكة والله اعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود هل معك وضوء اي ما اتوضأ به قلت لا فقال ما هذه الاداوة
اي وهي اناء من جلد قلت فيها نبيذ قال تمرة طيبة وماء طهور فصب علي فصببت عليه فتوضأ واقام الصلوة وصلى اقول ــ
وهو محمول عند ائمتنا معاشر الشافعية على ان الماء لم يتغير بالتمر تغيرا كثيرا يسلب اسم الماء ومن ثم قال له ماء طهور وقول ابن مسعود

رضي الله

رضي الله تعالى عنه فيها نبيذ اي منبوذ الذي هو التمر وسماه نبيذا باعتبار الاول على حد قوله تعالى اني اراني اعصر خمرا
وهذا بناء على فرض صحة الحديث والا فقد قال بعضهم حديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين وفي كلام الشيخ محيي الدين
بن عربي رضي الله تعالى عنه الذي اقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروي فيه ولو ان الحديث صح لم يكن
في الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال تمرة طيبة وماء طهور اي قبل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك كان
الله تعالى ما شرع الطهارة عند فقد الماء الا بالتيمم بالتراب خاصة قال ومن شرف الانسان ان الله تعالى جعل له التطهير
بالتراب وقد خلقه الله من تراب فامره بالتطهير ايضا به تشريفا له وعند احمد ومسلم والترمذي عن علقمة قلت لابن مسعود
هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد فقال ما صحبه منا احد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا استطير او اغتيل
وطلبناه فلم نجده فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل الحجون وفي لفظ من قبل حراء فقلنا يا رسول الله انا فقدناك
فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة فقال اتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرات عليهم القران فانطلق فارانا اثارهم
واثار نيرانهم وهذه القصة يجوز ان تكون هي المنقولة عن كعب الاحبار والمتقدم ذكرها وهي سابقة على القصة التي كان
فيها ابن مسعود ويجوز ان تكون غيرها وهي المرادة بقول عكرمة انهم اثنا عشر الفا من جن نصيبين وحينئذ يحتمل ان تكون هذه القصة
سابقة على القصة التي كان فيها ابن مسعود ويحتمل ان تكون متاخرة عنها وعلى ذلك يكون اجتماع الجن به صلى الله عليه وسلم في
مكة ثلاث مرات مرة كان معه فيها ابن مسعود ومرتين لم يكن معه ابن مسعود فيهما قال في الاصل ويكفي في امر الجن ما في سورة الرحمن
وسورة قل اوحي الي وسورة الاحقاف اقول ــ فعلم ان الجن سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ولم يجتمعوا به ولا شعر بهم في
المرة الاولى وهو ذاهب من مكة الى سوق عكاظ في ابتداء الوحي المتقدمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على ما تقدم وكذا في
المرة الثانية عند منصرفه من الطائف بنخلة على ما قدمناه فيه وعلم ان الروايات متفقة على استماعهم لقراءته صلى الله عليه
وسلم في المرتين وبه يعلم ما في المواهب عن الحافظ بن كثير ان كون الجن استمعوا له صلى الله عليه وسلم في نخلة عند منصرفه
من الطائف فيه نظر وانما استماعهم له كان في ابتداء البعث كما يدل عليه حديث ابن عباس اي من ان ذلك كان عند ذهابه الى
ذهابه الى سوق عكاظ وعلم انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم واقرا عليهم واسلموا به في مكة مرتين او ثلاثة بعد ذلك والله
اعلم وقد اخرج البيهقي في شعب الايمان عن قتادة انه قال لما اهبط ابليس قال اي رب قد لعنته فما علمه قال السحر قال فما قراءته
قال الشعر قال فما كتابه قال الوشم قال فما شرابه قال كل مسكر قال فاين مسكنه قال الحمام قال فاين مجلسه قال في الاسواق قال
فما صوته قال المزمار قال فما مصايده قال النساء في الحمام فيها ذكر كل من لم يؤمن من الجن باب ــ ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسي
واسلامه رضي الله تعالى عنه كان الطفيل بن عمرو الدوسي شريفا في قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا
له يا ابا الطفيل كنوه بذلك تعظيما له فلم يقولوا يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا قد اعضل امرنا اي اشتد و
فرق جماعتنا وشتت امرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابيه وبين الرجل واخيه اي وبين الرجل وزوجته وانا نخشى
عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال الطفيل فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت اي قصدت وعزمت ان لا اسمع
منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا وهو بضم الكاف وسكون الراء ثم سين مهملة مضمومة ثم فاء اي
قطنا فرقا اي خوفا من ان يبلغني شيء من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة
فقمت قريبا منه فابى الله الا ان اسمع بعض قوله اي فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي انا ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني
ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي ياتي به حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت
يا محمد ان قومك قالوا لي كذا وكذا حتى سددت اذني بكرسف حتى لا اسمع قولك فاعرض علي امرك فعرض علي الاسلام

وتلى عليه القران اى قرا عليه قل هو الله احد الى اخرها وقل اعوذ برب الفلق الى اخرها وقل اعوذ برب الناس الى اخرها وفيه
انه سياتى ان نزول قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس بالمدينة عند ما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ان يقال يجوز ان يكون ذلك مما تكرر نزوله فقال والله ما سمعت قولا قط احسن من هذا ولا امرا اعدل منه فاسلمت
فقلت يا نبى الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانا راجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع الله ان يكون لى عونا عليهم قال اللهم
اجعل له اية فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر اى وهم النازلون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان
ذلك فى ليلة مظلمة وقع نور بين عينى مثل المصباح فقلت اللهم فى غير وجهى فانى اخشى ان يظنوا انه مثلة تحول فى راسى سوطى
فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلق اى ومن ثم عرف بذى النور والى ذلك اشار الامام السبكى فى تائيته بقوله
وفى وجه الدوسى ثم بسوطه جعلت ضياء مثل شمس منيرة قال فاتانى ابى فقلت له اليك عنى يا ابت فلست منى ولست منك فقال له
يا بنى قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال اى بنى دينى دينك فاسلم اى بعد ان قال له اغتسل وطهر ثيابك
فغعل ثم جاء فعرض عليه الاسلام ثم اتتنى صاحبتى فذكرت مثل ذلك اى قلت لها اليك عنى فلست منك ولست منى
قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت دينى دينك فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطوا على ثم جئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد غلبنى دوس اى وفى رواية قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم
فقال اللهم اهد دوسا قال فاد وفى رواية رايت بم فقال الطفيل فرجعت فلم ازل بارض قومى ادعوهم حتى هاجر النبى صلى الله
عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق اسلموا ثم قال فقدمت بمن اسلم من قومى عليه صلى الله عليه وسلم وهو
بخيبر بسبعين او ثمانين بيتا من دوس اى ومنهم ابو هريرة فاسهم لنا مع المسلمين اى مع عدم حضورهم القتال انتهى اقول
قال فى النور وفى الصحيح ما ينبغى هذا وانه لم يعط احدا لم يشهد القتال الا اهل السفينة الجائين من ارض الحبشة جعفر ومن
معه اى ومنهم الاشعريون ابو موسى الاشعرى وقومه فقد تقدم انهم هاجروا من اليمن الى الحبشة ثم جاؤا المدينة ومنه
انه سياتى انه صلى الله عليه وسلم سال اصحابه ان يشركوهم فى الغنيمة ففعلوا وسياتى انه انما اعطى اهل السفينة اى
والدوسيين على ما علمت من الحصنين اللذين فتحا صلحا فقد اعطاهم مما افاء الله عليه لا من الغنيمة وسوال الصحابة
فى اعطائهم من المشورة العامة المامور بها فى قوله تعالى وشاورهم فى الامر لا لاستنزالهم من شىء من حقهم والله اعلم

باب ذكر الاسرى والمعراج وفرض الصلوات الخمس اعلم انه لا خلاف فى الاسرى به صلى الله عليه وسلم
اذ هو نص القران على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح اعاجيبه احاديث كثيرة من جماعة من الصحابة من الرجال
والنساء نحو الثلاثين اى ومن ثم ذهب الحاتمى الصوفى الى الاسرى وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة بجعل كل حديث
اسرى واتفق لا على ان الاسرى كان بعد البعثة انتهى اى الاسرى الذى كان فى اليقظة بجسده صلى الله عليه وسلم
ثلاثا فى حديث البخارى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان الاسرى كان قبل ان يوحى اليه صلى الله عليه وسلم لان
ذلك كان فى نوم روح وكان هذا الاسرى توطية له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة
وفى كلام الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ان اسراءه صلى الله عليه وسلم كانت اربعا وثلاثين واحد بجسمه والباقى
بروحه وتلك الليلة اى التى كانت بجسمه صلى الله عليه وسلم كانت ليلة سبع عشرة وقيل بسبع وعشرين خلت من
شهر ربيع الاول وقيل خلت من رمضان اى ليلة تسع وعشرين وقيل ليلة سبع وعشرين خلت من ربيع الاخر وقيل
من رجب واختار هذا الاخير الحافظ عبد الغنى المقدسى وعليه عمل الناس وقيل فى شوال وقيل فى ذى الحجة وفى كلام
الشيخ عبد الوهاب ما يفيد ان اسراءه صلى الله عليه وسلم كلها كانت فى تلك الليلة وقع بينها هذا الخلاف فليتامل

ذلك قبل الهجرة بسنة وبه جزم وادعى فيه الاجماع وقيل بسنتين وقيل بثلاث سنين وكل من الاسرى والمعراج كان
بعد خروجه صلى الله عليه وسلم للطائف كما دل عليه السياق وعن ابن اسحق ان ذلك كان قبل خروجه صلى الله عليه وسلم
الى الطائف وفيه نظر ظاهر واختلف فى اليوم الذى يسفر عن ليلتها قبل الجمعة وقيل السبت قال ابن دحية يكون يوم الاثنين
ان شاء الله تعالى ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة اى لانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين
وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين فليتامل وعن ام هانى بنت ابى طالب رضى الله
تعالى عنها اى واسمها على الاشهر فاختة وسياتى فى فتح مكة انها اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة الى نجران ومات
بها على كفره قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلس اى فى الظلام بعد الفجر وانا على فراشى فقال اشعرت
اى علمت انى نمت الليلة فى المسجد الحرام اى عند البيت او فى الحجر وهو المراد بالحطيم الذى وقع فى بعض الروايات وفى رواية فرج
سقف بيتى قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون السر فى ذلك اى فى انفراج السقف التمهيد لما يقع من شق صدره صلى الله
عليه وسلم مكان الملك اراه بانفراج السقف والتيامه فى الحال كيفية ما يصنع به لطفا به وتثبيتا له صلى الله عليه وسلم
اى زيادة تمهيد وتثبيت له والا فشق صدره صلى الله عليه وسلم تقدم له غير مرة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم نام فى بيت
ام هانى قالت ففقدته من الليل فامتنع منى النوم مخافة ان يكون عرض له بعض قريش اى وحكى ابن سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم
فقد تلك الليلة فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ووصل العباس الى ذى طوى وجعل يصرخ يا محمد فاجابه لبيك لبيك
فقال يا ابن اخى عنيت قومك فاين كنت قال ذهبت الى بيت المقدس قال من ليلتك قال نعم قال هل اصابك الا خير قال ما اصابنى
الا خير ولعله صلى الله عليه وسلم نزل على البراق فى ذلك المحل وعن ام هانى رضى الله تعالى عنها انها قالت ما اسرى برسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة فصلى العشاء الاخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبل الفجر اهبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اى ايقظنا من نومنا ونبهنا ثم جاء وفى رواية فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا ام هانى لقد صليت
معكن العشاء الاخرة كما رايت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكن الان كما ترين والمراد
انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاته التى كان يصليها وهى الركعتان فى الوقتين المذكورين والا فصلوة العشاء وصلوة الصبح
التى هى صلوة الغداة لم يكونا فرضا وفى قولها وصلينا معه نظر لما تقدم ويأتى انها لم تسلم الا يوم الفتح ثم رايت فى حزب الحنفا واما
قولها يعنى ام هانى وصلينا فاردت به لو هبنا انه لما يحتاج اليه فى الصلوة كذا اجاب واقرب منه انها تكلمت على لسان غيرها
او انها لم تظهر اسلامها الا يوم الفتح فليتامل فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتانى وفى رواية اسرى بى من
شعب ابى طالب قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم نام فى بيت ام هانى وبيتها عند
شعب ابى طالب ففرج عن سقف بيته الذى هو بيت ام هانى لانه صلى الله عليه وسلم كان نائما به فنزل الملك واخرجه
الى المسجد وكان به اثر النعاس اى فاضطجع فيه عند الحجر فصح قوله صلى الله عليه وسلم بت الليلة فى المسجد الحرام
وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وميكائيل ومعهما ملك اخر اى وهو مضطجع فى المسجد فى الحجر
بين عمه حمزة وابن عمه جعفر رضى الله تعالى عنهما فقال احدهم خذوا سيد القوم الاوسط بين الرجلين فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم
فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل عليه السلام فشق من ثغرة نحره وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين الى اسفل بطنه اى
وفى رواية الى مراق بطنه وفى رواية الى شعرته اى عانته وما ادرى ذلك فانشق فلم يكن الشق فى المرات كلها بالة ولم يسيل
منه دم ولم يجد لذلك المالما تقدم التصريح به فى بعض الروايات لانه من خرق العادات وظهور المعجزات ثم قال جبريل
عليه السلام لميكائيل ائتنى بطست من ماء زمزم كيما اطهر قلبه واشرح صدره فاستخرج قلبه اى شقه فغسله ثلاث

مرات ونزع ما كان فيه من اذى وهذا الاذى يحتمل ان يكون من بقايا تلك العلقة السوداء التي نزعت منه صلى الله عليه وسلم
وهو مسترضع في بني سعد بناء على غريبتها كما تقدم في المرة الثانية وهو ابن عشر سنين والثالثة عند البعث لا يحتاج
ان العلقة السوداء انتزعت منه صلى الله عليه وسلم في المرة الاولى وهو مسترضع في بني سعد ويحتمل ان يكون المراد اخراجها د
القائها والذي ينبغي ان يكون نزع تلك العلقة انما هو في المرة الاولى والواقع في غيرها انما هو اخراج الاذى وانه غير
تلك العلقة والمراد به ما يكون في الجبليات البشرية ونكرر اخراج ذلك الاذى ليستاصل الردع بالغسل ما فيه وذكر العلقة
في غير المرة الاولى وقول الملك هذا حظ الشيطان وهم من بعض الرواة واختلف اليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء
زمزم ثم اتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا اي بشيء الحكمة والايمان لان المعاني قد تمثل بالاجسام او فيه ما هو سبب
لحصول ذلك والمراد كمالهما فلا ينافي ما تقدم في قصة الرضاع وانه ملئ حكمة وايمانا ووضعت فيه السكينة ثم اطبقه ثم
ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وتقدم في قصة الرضاع ان في رواية ان الختم كان في قلبه وفي اخرى انه كان في صدره وفي
اخرى انه كان بين كتفيه وتقدم الكلام على ذلك وانكر القاضي عياض شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى
وقال انما كان وهو صلى الله عليه وسلم مسترضع في بني سعد وهو يقتضي انكاره شقه عند البعث ايضا اي والتي قبلها وهو صلى
الله عليه وسلم ابن عشر سنين ورده الحافظ ابن حجر بان الروايات تواترت بشق صدره صلى الله عليه وسلم في تلك
الليلة وعند البعث اي زيادة على الواقع له صلى الله عليه وسلم في بني سعد وابدى لكل من الثلاثة حكمة وتقدم انه شق
صدره صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين وانه صلى الله عليه وسلم شق صدره وهو ابن عشرين سنة وتقدم
ما فيه اقول ويمكن ان يكون انكار القاضي عياض لشق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج على الوجه الذي جاء في بعض
الروايات انه اخرج من قلبه علقة سوداء وقال الملك هذا حظ الشيطان منك لان هذا انما كان وهو صلى الله عليه وسلم
مسترضع في بني سعد فيحتمل تكون الغاء تلك العلقة السوداء كما قدمنا في قول الملك هذا حظ الشيطان منك الا ان
يقال المراد انه من حظ الشيطان اي بعض حظ الشيطان فليتامل فذلك الاولى ما قدمناه في ذلك ثم لا يخفى انه [illegible]
غسل صدره في رواية قلبي وقد يقال الغسل وقع لهما معا كما وقع الشق لهما معا فاخبر صلى الله عليه وسلم بما حد بهما مرة اخرى
اي وتقدم في مبحث الرضاع في رواية شق صدره ثم قلبه وفي اخرى الاقتصار على شق بطنه وفي اخرى على شق صدره وفي
اخرى الاقتصار على شق قلبه وتقدم ان المراد بالبطن الصدر وليس المراد باحدهما القلب ففي كل غير واحد ما يقتضي ان
المراد بالصدر القلب ومن ثم قيل هل شق صدره وغسله مخصوص به صلى الله عليه وسلم او وقع لغيره من الانبياء و
اجيب بانه جاء في قصة تابوت بني اسرائيل الذي انزل الله تعالى على آدم حين اهبطه الى الارض فيه صور الانبياء من
اولاده وفيه بيوت بعدد الرسل وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ياقوتة حمراء ثلاثة اذرع في ذراعين
وقيل كان نوع من نوع الخشب يتخذ منه الامشاط مموها بالذهب فكان عند آدم الى ان مات ثم عند شيث ثم توارثه اولاد
آدم الى ان وصل الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم كان عند اسمعيل ثم عند ابنه قيدار فنازعه ولد اسحق ثم امر من
السماء ان يدفعه الى ابن عمه يعقوب اسرائيل الله فحمله الى ان اوصله له ثم وصل الى موسى عليه الصلاة والسلام
فوضع فيه التورية وعصاه وعمامة هارون ورضاض الالواح التي تكسرت لما القاها وانه كان فيه الطست
من ذهب من الجنة التي غسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك مقتضى لعدم الخصوصية وكان
هذا التابوت اذا اختلفوا في شيء سمعوا منه ما يفصل بينهم وما تقدموه امامهم في حرب الا نصروا وكان كل من تقدم
عليه من الجيش لا بد ان يقتل او ينهزم الجيش وفي الخصائص للسيوطي ومما اختص به صلى الله عليه وسلم من جميع الانبياء

ولم يوتها

ولم يوتها نبي قبله شق صدره في احد القولين وهو الاصح وجمع بعضهم بحمل الخصوصية على تكرر شق الصدر لان تكرر
شق صدره الشريف ثبت في الاحاديث وشق صدر غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما اخذ من قصة
التابوت وليس فيها تعرض للتكرار ولو جمع بان شق الصدر مشترك وشق القلب واخراج العلقة السوداء مختص به
صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بالقلب في قصة التابوت الصدر وبالصدر في كلام الخصائص القلب لم يكن بعيدا اذ ليس في قصة
التابوت ما يدل على ان تلك العلقة السوداء اخرجت من غير قلب نبينا صلى الله عليه وسلم ولم اقف على ان ذلك وغسل قلب
الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس من لازم الشق بل يجوز ان يكون غسله من خارج وقد احلنا على هذا الجمع في مبحث
الرضاع ويؤيده ما قدمناه من قول الشمس الشامي الراجح المشاركة وادا لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد فليتامل
ثم رايته ذكر انه جمع جزءا سماه البدر فيما جاء في شق الصدر ولم اقف عليه والله اعلم قال ثم ان جبريل عليه الصلاة والسلام ذهب بي
الى باب المسجد اي من الحجر قوله له رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام
فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا فاخذ بعضدي فقمت معه
فخرج بي الى باب المسجد وفيه انه اذا لم ير شيئا من اخذ بعضده الا ان يقال ثم راه عند اخذه بعضده فاذا دابة ابيض
اي بدون ثم قيل له البراق بضم الموحدة لشدة بريقه وقيل قيل له ذلك لسرعته اي فهو كالبرق وقيل لانه كان ذا لونين
ابيض واسود اي يقال شاة برقاء اذا كان خلال صوفها الابيض طاقات سوداء اي وهي العفراء ومن ثم جاء في الحديث
ابرقوا فان دم عفراء عند الله ازكى من دم سوداوين اي ضحوا بالبرقاء وهي العفراء لكن في الصحاح الاعفر الابيض وليس
بالشديد البياض وشاة عفراء يعلو بياضها حمرة ولعله باعتبار شعره على سواده احمر قيل ابيض ولغلبته سواد شعر
لم يكن حالكا بل كان قريبا من الحمرة ووصف بانه احمر وهذا لا يتم الا اذا كان البراق كذلك اي شعره ابيض واخله طاقات
سوداء وحمر ولعله كان كذلك ويدل له قول بعضهم انه ذو لونين بياض وسواد كما علمت اذا اصفى شبه بالاحمر وهذه الرواية
لم يعطها ذكر انه كان بين حمرة وحمرة وانه جاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملك ازام واشهم احتملوه الى زمزم وشق جبريل عليه
الصلاة والسلام الى اخر ما تقدم وذلك البراق فوق الحمار ودون البغل مضطرب الاذنين اي طويلهما اي كان مسرجا
ملجما كما في بعض الروايات فركبته فكان يضع حافره منتهى بصره اي حيث ينتهي بصره اي وفي رواية ينتهي طرفها اذا اخذ في هبوط
طالت يداه وقصرت رجلاه واذا اخذ في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه اي وهذا كهذا الوصف في فرس فرعون
موسى فقد قيل انه [illegible] عجائب يذكر منها ان الجنة كانت [illegible] ثمانية اشبار وكانت [illegible] الطول عشرة شبر وكان له فرس
وقيل بقرون وقامته سبعة اشبار اذا صعد الجبل قصرت يداه وطالت رجلاه واذا انحدر يكون على ضد ذلك وفي رواية
ان البراق خطوه مد البصر قال ابن المنير فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض
يقع على السماء فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات انتهى اي لان بصر من يكون في سماء الدنيا يقع على السماء فوقها وهكذا
بناء على انه عرج به صلى الله عليه وسلم على المعراج راكب البراق وسياتي ما فيه قال صلى الله عليه وسلم فلما دنوت منه اشماز اي
نفر وفي رواية فاستصعب ومنع ظهره اي يركب فقال جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على الله من محمد وفي رواية فحركها
اي تلك الدابة هو البراق جبريل بان يخفق بهما او يدفع بهما رجليها في اللغة الحث والاعجال فلما دنوت لاركبها شمست
اي نفرت ومنعت ظهرها وفي رواية شمس وفي رواية صرت اذنيها اي جمعتهما وذلك شان الدابة ان انفرت فوضع
جبريل عليه الصلاة والسلام يده على معرفتها ثم قال الا تستحين يا براق مما تصنعين والله ما ركب عليك احد وفي رواية
عبد الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم اكرم على الله منه فاستحيت حتى ارفضت عرقا اي كثر عرقها وسال ثم قرت حتى

ركبها اي وفي رواية فقال لجبريل عليه الصلوة والسلام صه يا براق فوالله ما ركبك مثله من الانبياء اي لان الانبياء
عليهم الصلوة والسلام كانت تركبها قبله صلى الله عليه وسلم نفي البيهقي وكانت الانبياء تركبها قبله وعند النسائي وكانت
تسخر للانبياء قبلي وبعد عليها العهد من ركوبهم لانها لم تكن ركبت في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام كما ذكره
ابن بطال وهو يقتضي انه لم يركبه احد ممن كان بين عيسى ومحمد من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وجاء التصريح
بذلك في بعض الروايات او والمراد منها انما الذي بينه وبين عيسى عليهما الصلوة والسلام فيكون عيسى ممن ركبها
دون من بعده من الانبياء عليهم الصلوة والسلام على تقدير ثبوت وجود انبياء بعد عيسى وتقدم من النهر انه
كان بينهما الف نبي وقوله لان الانبياء ظاهره يدل على ان جميع الانبياء اي عيسى ومن قبله ركبوه قال الامام النووي القول باشتراك
جميع الانبياء في ركوبها يحتاج الى نقل صحيح هذا كلامه ومما يدل على ان الانبياء كانت تركبه قبله صلى الله عليه وسلم ما تقدم
وظاهر ما سياتي في بعض الروايات فربطه بالحلقة التي توثق بها الانبياء وانما قلنا ظاهر لانه لم يذكر الموثوق بفتح المثلثة
اذ يحتمل ان الانبياء كانت تربط غير البراق من دوابهم بها ثم رايت في رواية البيهقي فاوثقته اي يعني البراق التي
كانت الانبياء تربطها فيه ومن ثم قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى ما من رسول الا وقد اسري به راكبا على ذلك
البراق هذا كلامه وقد تقدم ان ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه حمل هو وهاجر وولدها اسمعيل على البراق الى مكة وفي تاريخ
الازرقي وكان ابرهيم يحج كل سنة على البراق وعن عن سعيد بن المسيب وغيره ان البراق هو دابة ابرهيم عليه الصلوة والسلام
التي كان يزور عليها البيت الحرام وعلى تسليم انه لم يركب البراق احد قبله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن دحية ووافقه الامام
النووي فقول جبريل عليه الصلوة والسلام ما ركبك ونحوه لا ينافيه لان السالبة تصدق بنفي الموضوع ومن ثم قال في الخصائص
الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بركوبه البراق في احد القولين اي وقيل ان الذي خص به ركوبه مسرجا ملجما وفي المنتقى ان
البراق وان كان يركبه الانبياء الا انه لم يكن يضع حافره عند منتهى طرفه الا عند ركوب النبي صلى الله عليه وسلم وجاء في غريب
التفسير ان البراق لما شمس قال له جبريل عليه الصلوة والسلام لعلك يا محمد مسست الصفراء اليوم وهو صنم كان بعضه من ذهب
وبعضه من نحاس كسره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال له صلى الله عليه وسلم ما مسسته الا اني مررت به وقلت تبا
لمن يعبدك من دون الله فقال جبريل عليه الصلوة والسلام وما شمس الا لذلك اي لمجرد مرورك عليه وهذا حديث
موضوع كما نقل عن الامام احمد وقال الحافظ ابن حجر انه من الاخبار الواهية وزاد مغلطاي لا ينبغي ان يذكر ولا يعزى لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ويقال الفرس شموس اي صعبه ولا يقال شموسة وذكر لاستصعاب البراق غير ذلك من الحكم لا نطيل بذكره قال
وعن الثعلبي بسند ضعيف في صفة البراق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل
واظلاف وذنب كالبقر اي وحينئذ يكون اطلاق الحافر على ذلك في الرواية السابقة بقوله يضع حافره حيث منتهى طرفه مجازا
لانه مع كون لها قوائم كقوائم الابل لا خف لها بل ظلف وهو الحافر وفي كلام بعضهم في صفة البراق وجه كوجه الانسان
وجسد كجسد الفرس وقوائم كقوائم الثور وذنب كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى انتهى اي ومن ثم وصف بوصف المذكر
تارة وبوصف المونث اخرى فهي حقيقة ثالثة ويكون خارجا عن قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين كما خرجت من
ذلك الملائكة فانهم ليسوا ذكورا ولا اناثا وذكر بعضهم ان اذنيها كاذني الفيل وعنقها كعنق البعير وصدرها كصدر الفيل
كانه من ياقوت احمر لها جناحان كجناح النسر فيهما من كل لون قوائمها كقوائم الفرس وذنبها كذنب البعير ويحتاج الى
الجمع بين الروايتين على تقدير الصحة قال صلى الله عليه وسلم ثم سرت وجبريل عليه الصلوة والسلام لا يفارقني اي و
في رواية انه ركب مع البراق وعن الشفا ما زايلا ظهر البراق حتى رجعا وفي رواية ركب البراق خلف جبريل عليه الصلوة والسلام

اي وفي صحيح ابن حبان وحمله جبريل عليه الصلوة والسلام على البراق رديفا له قال وفي الشرف كان الاخذ بركابه جبريل
وبزمام البراق ميكائيل عن يساره انتهى اقول ولا منافاة لجواز ان يكون جبريل تارة ركب رديفا له صلى الله عليه وسلم
وتارة اخذ بركابه من جهة اليمين وميكائيل تارة اخذ بالزمام وتارة لم ياخذه وكان جهة يساره وكان اخذ بالزمام
من جهة اليسار ولا يخالف هذا الجمع قول الشفاء ما زايلا ظهر البراق لامكان حمله على غالب المسافة هذا وفي حياة الحيوان
ان الظاهر عندي ان جبريل لم يركب مع النبي صلى الله عليه وسلم البراق ليلة الاسرى لانه المخصوص بشرف الاسرى
هذا كلامه فليتامل والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم انتهيت الى بيت المقدس فاوثقته بالحلقة اي التي بالباب
اي باب المسجد التي كانت الانبياء عليهم الصلوة والسلام توثق اي تربط بها اي تربطه بها على ما تقدم عن رواية البيهقي
وفي رواية ان جبريل عليه الصلوة والسلام خرق باصبعه الحجر اي الذي هو الصخرة وفي كلام بعضهم فادخل جبريل يده
في الصخرة فخرقها وشد بها البراق اقول ولا منافاة لجواز ان يكون المراد ومع الخرق باصبعه او بيده لعروض انسداد
وان هذا الخرق هو المراد بالحلقة التي في الباب لان الصخرة بالباب وقيل لهذا الخرق حلقة لاستدارته وفي الامتاع
وغادرت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين فربط دابته والناس يلمسون ذلك الموضع الى اليوم هذا كلامه وجمع بعضهم
بانه صلى الله عليه وسلم ربطه بالحلقة خارج باب المسجد الذي هو مكان الانبياء عليهم الصلوة والسلام تادبا فاخذه
جبريل عليه الصلوة والسلام فربطه في زاوية المسجد في الحجر الذي هو الصخرة التي خرقها باصبعه وجعله داخلا عن
باب المسجد فكانه يقول المالك لست ممن يكون مركوبه على الباب بل يكون داخلا وفي حديث ابي سفيان قبل اسلامه لقيصر انه
قال لقيصر يحط من قدره صلى الله عليه وسلم الا اخبرك ايها الملك عن خبر اعلم انه يكذب قال وما هو قال انه يزعم انه خرج من ارضنا
ارض الحرم فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في ليلة واحدة فقال بطريق انا اعرف تلك الليلة فقال له قيصر ما علمك بها قال اني كنت
لا ابيت ليلة حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب كلها غير باب واحد وهو الباب الفلاني غلبني
فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نقدر فقالوا ان البناء نزل عليه فاتركوه الى غد حتى ياتي بعض النجارين فيصلحه فتركته
فلما اصبحت غدوت فاذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوبا اي زيادة على ما كان عليه على ما تقدم واذا فيه مربط الدابة اي التي
هي البراق اي ولم اجد بالباب ما يمنعه من الاغلاق فعلمت انه انما امتنع لاجل ما كنت اجده في العلم القديم ان نبيا يصعد من
بيت المقدس الى السماء وعند ذلك قلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا هذا الامر وسياتي في ذلك عند الكلام على
كتابه صلى الله عليه وسلم لقيصر ولا يخفى ان المراد بالصخرة الحجر الذي بالباب لا الصخرة المعروفة كما هو المتبادر من بعض العبارات
وهي فاتى جبريل عليه السلام الصخرة التي في بيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق لان الذي في بابه يقال انها
فيه ولا يخفى ان عدم انغلاق الباب انما كان ايذانا والا فجبريل عليه الصلوة لا يمنعه باب مغلق ولا غيره وفي رواية عن شداد
بن اوس انه قال ثم انطلق بي جبريل عليه الصلوة والسلام حتى دخلنا المدينة اي مدينة بيت المقدس من بابها اليماني
فاتى قبلة المسجد فربط فيها دابته قد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون ذلك الحجر الباب كان بجانب قبلة المسجد ولعل
هذا الباب هو الباب اليماني الذي فيه صورة الشمس والقمر ففي رواية ودخل المسجد من باب فيه تمثال الشمس والقمر اي مثالهما
فيه والله اعلم وانكر حذيفة رضي الله تعالى عنه رواية ربطه البراق بالحلقة وقال لم يعز عنه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة ورد
عليه بان الاخذ بالحزم لا ينافي صحة التوكل فعن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك
قال وهب وجدته في سبعين من كتب الله القديمة اي ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل ومن ثم كان صلى الله عليه
وسلم يتوقى في اسفاره ويعد السلاح في حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين في غزوة احد قال لعل في رواية فلما استوى النبي صلى الله

عليه وسلم في صخرة المسجد قال يا جبريل يا محمد هل سألت ربك ان يريك الحور العين قال نعم قال جبريل عليه الصلوة
والسلام فانطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن فرددن عليه السلام فقال من انتن فقلن خيرات حسان نساء قوم ابرار
نقوا فلم يدرنوا واقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا انتهى اقول في كلام بعضهم انه لم يختلف احد انه صلى الله عليه وسلم عرج به من عند القبة
التي يقال لها قبة المعراج من عند يمين الصخرة وقد جاء صخرة بيت المقدس من صخور الجنة وفي لفظ سيدة الصخور صخرة بيت
المقدس وجاء صخرة بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من انهار الجنة وتحت النخلة اسية امراة فرعون ومريم ابنة
عمران ينظمان سموط اهل الجنة الى يوم القيمة قال الذهبي اسناده مظلم وهو كذب ظاهر قال الامام ابو بكر بن العربي
في شرحه لموطا مالك صخرة بيت المقدس من عجايب الله تعالى فانها صخرة شعثاء في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من
كل جهة لا يمسكها الا الذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه في اعلاها من جهة الجنوب قدم النبي
صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق وقد مالت من تلك الجهة بهيبته صلى الله عليه وسلم وفي الجهة الاخرى
اصابع الملائكة امسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة اي فهي معلقة بين السماء والارض وامتنعت
لهيبتها من ان ادخل تحتها لاني اخاف ان تسقط علي بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرايت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة
فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شيء ولا بعض الجهات اشد انفصالا من بعض وهذا الذي ذكره بن العربي
ان قدمه صلى الله عليه وسلم اثر في صخرة بيت المقدس حين ركب البراق وان الملائكة امسكتها لما مالت قال بن الحافظ ناصر
الدين الدمشقي حيث قال في معراجه المسمى ... ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعلاها فصعد من جهة المشرق اعلاها فاضطربت
تحت قدم نبينا صلى الله عليه وسلم ولانت فامسكتها الملائكة لما تحركت ومالت وقول ابن العربي حين ركب البراق يقتضي
انه عرج به على البراق وسياق الكلام يرده وتقدم ان الجلال السيوطي سيل عن وطء قدمه صلى الله عليه وسلم في الحجر هل
له اصل في كتب الحديث فاجاب لم يقف لذلك على اصل ولا ادري من خرجه في شيء من كتب الحديث وتقدم ما يرده وفي
وفي العرايس قال ابي بن كعب ما من عذب الا وينبع من تحت الصخرة ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله سبحانه اعلم
قال صلى الله عليه وسلم فنشر لي بفتح النون وكسر الشين المعجمة اي احيي لي بعد الموت رهط من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
لان نشر الميت احياؤه والرهط ما دون العشرة من الرجال فيهم ابرهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام اي و
حكمة تخصيص هؤلاء بالذكر لا تخفى فصليت بهم وكلمتهم اي فالمراد نشروا عند دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد وصلى
بهم ركعتين ووصفهم بالنشور واضح في غير عيسى عليه الصلوة والسلام لانه لم يمت ووصف الانبياء عليهم الصلوة
والسلام بالاحياء بعد الموت سياتي في قصة بدر في الكلام على اصحاب القليب ما يعلم منه بان المراد باحياء الانبياء بعد
الموت شدة تعلق ارواحهم باجسادهم حتى انهم في البرزخ بسبب ذلك احيا كحياتهم في الدنيا وقد ذكرنا هناك الكلام على
صلوتهم في البرزخ وحجهم وغير ذلك وفي رواية ثم صلى صلى الله عليه وسلم هو وجبريل عليه وسلم كل واحد ركعتين
فلم يلبثا الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير اي مع اولئك الرهط فلا مخالفة بين الروايتين فعرفت النبيين من بين قايم وراكع
وساجد ثم اذن مؤذن واقيمت الصلوة اقول ... ذكر ابن حبيب انه اية واسال من ارسلنا من قبلك الاية نزلت ببيت
المقدس ليلة الاسرى ويجوز ان يكون قوله واقيمت الصلوة من عطف التفسير فالمراد بالاذان الاقامة وليس المراد بالاقامة
الالفاظ المعروفة الان لما سيذكر في الكلام على مشروعية الاذان والاقامة بالمدينة وعلى انه من عطف المغاير ويدل له
ما في بعض الروايات فلما استويا في المسجد اذن مؤذن ثم اقام الصلوة فليس من لازم ذلك ان يكون كل من التاذين
والاقامة باللفظين المعروفين الان لانهما كما علمت لم يشرعا الا في المدينة اي في السنة الاولى من الهجرة وقيل

فالثانية

في الثانية كما سيأتي وحديث لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء اوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به فعلمه بلالا قال
الحافظ ابن رجب موضوع وحديث علم رسول صلى الله عليه وسلم الاذان ليلة اسري به في اسناده متهم وفي الخصايص الكبرى
انه صلى الله عليه وسلم علم الاقامة ليلة الاسرى فقد جاء لما اراد الله عز وجل ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الاذان
اي الاقامة عرج به الى ان انتهى الى الحجاب الذي يلي الرحمن اي يلي عرشه خرج ملك من الحجاب فقال الله اكبر الله اكبر فقيل من وراء
الحجاب صدق عبدي لا اله الا انا فقال الملك اشهد ان محمدا رسول الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا ارسلت محمدا
فقال الملك حي على الصلوة حي على الفلاح قد قامت الصلوة قد قامت الصلوة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فاخذ الملك
بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام باهل السموات قال في الشفاء والحجاب انما هو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم
المحجوبون قال فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل ان في غير هذا الموطن بعد رفع الحجاب عن بصره حتى
راه وجاء انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن ذلك الملك فقال جبريل عليه السلام ان هذا الملك ما رايته قبل ساعتي
هذه وفي لفظ والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه وفيه ان هذا
المكان وسياتي انه تخلف عنه عند سدرة المنتهى فليتامل والله اعلم ولما اقيمت الصلوة والسلام بيده صلى الله عليه وسلم فقدمه
فصلى بهم ركعتين اي واما حديث لما اسري بي اذن جبريل عليه الصلوة والسلام فظنت الملائكة انه يصلي بهم فقدمني فصليت بالملائكة
قال الذهبي منكر بل موضوع والغرض من تلك الصلوة الاعلام بعلو مقامه صلى الله عليه وسلم وانه المقدم لا ينافي الامامة
وفي رواية ثم اقيمت الصلوة فتدافعوا اي دفعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم اي ولا مخالفة لانه يجوز ان يكون جبريل عليه
الصلوة والسلام قدمه صلى الله عليه وسلم بعد دفعهم وتقديمهم له صلى الله عليه وسلم وفي رواية فاذن جبريل عليه الصلوة
والسلام اي اقام الصلوة ونزلت الملائكة من السماء وحشر الله له المرسلين اي جميعهم وقد نزلت الملائكة وحشر له الانبياء اي
جميعهم بدليل ما في بعض الروايات بعث له آدم فمن دونه فهو تعميم بعد تخصيص بناء على ان الرسول اخص من النبي لا بمعناه وهذا هو
المراد بقول الخصايص الصغرى ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم احيا الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وصلوته اماما
بهم وقد علمت معنى احيايهم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه الصلوة والسلام يا محمد اتدري من صلى خلفك
قال لا قال كل نبي بعثه الله تعالى اي والنبي غير الرسول بعثه الله تعالى الى نفسه اقول ولا يخالف ما سبق من انه عرف
النبيين من بين قايم وراكع وساجد لجواز ان يكون عرف معظمهم او انه عرفهم بعد هذا القول وذكر القرطبي في تفسيره عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس جمع الله له الانبياء
آدم فمن دونه وكانوا سبع صفوف ثلاث صفوف من الانبياء المرسلين واربعة من ساير الانبياء وكان خلف ظهره
ابرهيم الخليل وعن يمينه اسماعيل وعن يساره اسحق صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والله اعلم وفي رواية
ثم دخل اي مسجد بيت المقدس فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا الذي معك قال هذا محمد
رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه اي للمعراج بناء على انه كان في ليلة الاسرى قال نعم قالوا حياه الله
من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة وهذه الرواية مقيد قال لا تخالف ما سبق من انه صلى الله عليه وسلم صلى بالملائكة مع
الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لانه يجوز ان يكون انما افردهم بالذكر لسؤالهم وفيه ان سؤالهم
يدل على ان نزولهم من السماء لبيت المقدس لم يكن لاجل الصلوة معه صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض والاظهر ان صلوته
صلى الله عليه وسلم يعني بنبينا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين في بيت المقدس كانت قبل العروج اي كما يدل
على ذلك سياق القصة وقال الحافظ بن كثير صلى بهم في بيت المقدس قبل العروج وبعده فان في الحديث ما يدل

على ذلك ولا مانع منه قال ومن الناس من يزعم انه انما امهم في السماء اي لا في بيت المقدس اي وهذا الزاعم هو حذيفة فانه انكر صلوته
صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلوة والسلام في بيت المقدس قال بعضهم والذي تظافرت به الروايات صلوته صلى الله
عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلوة ببيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم اليه اي فلم يصل بهم في بيت
المقدس الا مرة واحدة وانها بعد نزوله صلى الله عليه وسلم لانه لما مر بهم في منازلهم جعل يسال جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره
اي ولو كان صلى بهم اولا لعرفهم بل تقدم انه صلى الله عليه وسلم عرف النبيين ما بين قائم وراكع وساجد وعهدهم بالعهد بمن تقدم
وهذا هو اللائق لانه صلى الله عليه وسلم اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي اي بناء على ان المعراج كان في ليلة الاسرى
وحيث كان مطلوبا لذلك اللائق انه لا يشتغل بشيء عنه فلما من ذلك اجتمع هو صلى الله عليه وسلم واخوته من النبيين ثم اظهر
شرفه عليهم فقدمه في الامامة هذا كلامه اقول يحتمل ان صلوته صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس لم تكن الا بعد رجوعه
صلى الله عليه وسلم من العروج والاستدلال على ذلك لسواله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام
واحدا واحدا في السماء وان ذلك هو اللائق فيه نظر ظاهر لانه لا بحث مع وجود النقل بخلافه وبمجرد الاستحسان العقلي
لا يرد النقل فقد تقدم عن الحافظ ابن كثير انه ثبت في الحديث ما دل على انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم ببيت المقدس
قبل العروج وبعده وكونه سال عن الانبياء في السماء لا ينافي صلوته بهم وانه عرفهم بناء على تسليم ان معرفته لهم كانت عند صلوته
بهم اولا انه عرفهم كلهم لا معظمهم على ما قدمناه لانه يجوز ان يكونوا في السماء على صور لم يكونوا عليها ببيت المقدس لان البرزخ
عالم مثال كما تقدم وبهذا يعلم ما قول بعضهم رؤيته صلى الله عليه وسلم للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم محمولة على رؤية
ارواحهم الا عيسى وادريس عليهما الصلوة والسلام ورؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في بيت المقدس يحتمل ان المراد ارواحهم ويحتمل
اجسادهم ويدل للثاني وبعث له آدم فمن دونه من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وفي رواية فنشر له الانبياء من سمى الله
ومن لم يسم فصلى بهم صلى الله عليهم والاشتغال عن الجناب العلوي المدعو اليه بما فيه تانيس له وهو اجتماعه صلى الله عليه وسلم
بالانبياء عليهم الصلوة والسلام وصلوته بهم مناسب لا يخل بالحال والله اعلم والله اعلم واختلف في هذه الصلوة فقيل العشاء اي الركعتان
اللتان كان صلى الله عليه وسلم يصليهما بالعشي بناء على انه صلى ذلك قبل العروج وقيل انه صلى تلك الصلوة بمكة وعلى ذلك تكون
معادة وقيل الصبح اي الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة اي وهذا يدل على ان الفجر طلع وهو صلى الله عليه وسلم ببيت
المقدس بعد العروج وتقدم وسياتي انه صلى الغداة بمكة وعليه تكون معادة بمكة قال والذي يظهر والله اعلم انها كانت من النفل
المطلق انتهى اي ولا يضر وقوع الجماعة فيها وبقولنا اي الركعتان الخ يسقط ما قيل القول بانها العشاء او الصبح ليس بشيء
لان اول صلوة صلاها من الخمس مطلقا الظهر ومن حمل الاولية على مكة اي ويكون صلى الصبح ببيت المقدس فعليه الدليل
اي دليل يدل على ان تلك الصلوة احدى الصلوات الخمس وفي زمن العقص كان ذهابه صلى الله عليه وسلم ومجيئه ثلاث
ساعات وقيل اربع ساعات اي بعيض من تلك الليلة لكن في كلام السبكي ان ذلك كان في مقدار لحظة حيث قال في تائيته
وعدت وكل الامر في كل لحظة اي ولا بدع لان الله تعالى قد يطيل الزمن القصير كما يطوي الطويل لمن يشاء وقد فسح الله
في الزمن القصير لبعض اولياء امته ما يتفرق في الازمنة الكثيرة وفي ذلك حكايات شهيرة قال صلى الله عليه وسلم
واوتيت باناءين احمر وابيض فشربت الابيض فقال لي جبريل شربت اللبن وتركت الخمر لو شربت الخمر لارتدت
امتك اي غويت وانهمكت في الشر بدليل الرواية الاخرى وهي رواية البخاري اتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة اسري به بايليا بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فاخذ اللبن فقال جبريل عليه الصلوة والسلام الحمد لله
الذي هداك للفطرة اي الاستقامة لو اخذت الخمر غوت امتك ولم يتبعك منهم الا القليل اي يكونوا على

ما انت عليه من ترك ذلك فالمراد بالامتداد الرجوع ثم ما هو الصواب واثباته بذلك وهو في المسجد ببيت المقدس وسياتي ما يدل
على انه اتى له صلى الله عليه وسلم بذلك ايضا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من قبل العروج قال صلى الله عليه وسلم واشربت
على ظهر البراق فما كان باسرع من ان اشرقت ومعي جبريل فصليت به الغداة ثم قال صلى الله عليه وسلم لام هانئ بعد ان
اخبرها بذلك انا اريد ان اخرج الى قريش فاخبرهم بما رايت قالت ام هانئ فتعلقت بردائه صلى الله عليه وسلم وقلت انشدك
الله اي بفتح الهمزة اسالك بالله ابن عم اي يا ابن عم ان تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفي رواية اني اذكرك
الله عز وجل انك تاتي قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فاخاف ان يسطوا بك فضرب بيده الشريفة على ردائه فانتزعه من
يدي فارتفع عن بطنه صلى الله عليه وسلم فنظرت الى عكنه اي طبقات بطنه من السمن فوق ردائه صلى الله عليه وسلم
وكان طي القراطيس اي الورق واذا نور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بفتح الطاء وربما كسرت بصري فخررت ساجدة
فلما رفعت راسي اذا هو قد خرج فقلت لجاريتي نبعة اي وكانت حبشية معدودة في الصحابة رضي الله تعالى عنها اتبعيه
وانظري ماذا يقول فلما رجعت اخبرتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش في الحطيم هو ما بين
باب الكعبة والحجر الاسود وفي كلام بعضهم بين الركن والمقام سمي بذلك لان الناس يحطم بعضهم بعضا فيه من الازدحام لانه من
مواطن اجابة الدعاء قيل ومن حلف فيه اثما عجلت عقوبته وربما اطلق كما تقدم على الحجر بكسر الحاء اولئك النفر الذين انتهى النبي
صلى الله عليه وسلم اليهم فيهم المطعم بن عدي وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني صليت الليلة العشاء اي اوقعت صلوة في ذلك الوقت والا فصلوة العشاء لم تكن فرضت كما تقدم واثبت فيما بين ذلك
بيت المقدس اي لا يقال كان المناسب لذلك ان يقول في لحظة او ساعات على ما تقدم فيما بين ذلك ببيت المقدس ولم يوسع لهم
الزمن لانا نقول اوسع لهم الزمن لان الطباع لا تنفر منه نفرتها من تلك فليتامل قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما دخل
المسجد تقطع وعرف ان الناس تكذبه اي وما احب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه صلى الله
عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد صلى الله عليه وسلم حزينا فمر به عدو الله ابو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه
وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شيء قال نعم قال اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين
ظهرانينا قال نعم قال فلم ير انه يكذبه مخافة ان يجحده الحديث ان دعى قومه اليه قال ارايت ان دعوت قومك اتحدثهم
بما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لوي فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس الحديث الى ان قال ونشر لي رهط من الانبياء
منهم ابرهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام وصليت بهم وكلمتهم فقال ابو جهل كالمستهزئ صفهم فقال اما عيسى عليه
الصلوة والسلام فوق الربعة ودون الطويل اي لا طويل ولا قصير عريض الصدر ظاهر الدم اي لونه احمر وفي رواية يعلوه
حمرة كانما يتحادر من لحيته الجمان وفي رواية كانه خرج من ديماس اي حمام واصله الكن الذي يخرج من الانسان وهو عرقات
واصله الظلمة يقال ليل دامس والحمام لفظ عربي واول واضع له الجن وصنعته لسيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلوة والسلام
وقيل الواضع له بقراط وقيل شخص سابق على بقراط استفاده من رجل كان به تعقيد العصب فوقع في ماء دافئ حب
فسكن فصار يستعمله حتى برأ وجاء من طرق عديدة كلها ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضا ان سليمان عليه الصلوة والسلام
لما دخله ووجد حره قال اواه من عذاب الله لان دخول الحمام يذكر النار ولان الحمام اشبه شيء بجهنم لان النار اسفله
والسواد والظلمة اعلاه وقد قيل خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه قال بعضهم ويصير قديما بعد
سبع سنين قال بعضهم ولم يعرف الحمام في بلاد الحجاز قبل البعثة وانما عرفه الصحابة بعد موته صلى الله عليه وسلم بعد ان

ان تفتحوا بلاد العجم وفيه ان في البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا
بيتا يقال له الحمام قالوا يا رسول الله انه يذهب بالدرن وينفع المريض قال فاستتروا وفي رواية انه لما قال صلى الله عليه وسلم
اتقوا بيتا يقال له الحمام فقالوا يا رسول الله انه يذهب بالوسخ ويذكر النار قال ان كنتم لا بد فاعلين فمن دخله فليستتر وهو صريح في
ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم عرفوه في زمنه صلى الله عليه وسلم الا ان يقال جاز ان يكونوا عرفوه من غيرهم بهذا الوصف لهم
والمنفي في كلام هذا البعض معرفتهم له بالدخول فيه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فلا يرد لانه على تقدير صحته
فالمراد به انه محل للاغتسال فيه لا بالهيئة المخصوصة وكذا لا يرد ما في معجم الطبراني الكبير عن ابي رافع انه قال مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بموضع فقال نعم موضع الحمام هذا فبني فيه حمام لجواز ان يكون بني ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم فهو من اعلام نبوته
قال بعضهم ولعله قال ذلك لفتح الموضع اي ففعل بعضهم ويكفي ذلك في فضيلة الحمام ليس في محله وفيه ان هذا البعض لم يعول
في الفضيلة على هذا فقط بل عليه وعلى ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الذي فيه انه يذهب بالدرن وينفع
المريض ولا يرد ايضا ما في مسند احمد عن ام الدرداء رضي الله تعالى عنها انها خرجت من الحمام لان في مسنده ضعيفا ومتروكا
ولانه يجوز ان يكون المراد انه محل الاغتسال لا انه المبني على الهيئة المخصوصة كما تقدم وبه يجاب ايضا عن ما في الفردوس
ان صح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقد خرجا من الحمام طاب
حمامكما قال ابن القيم ولم يدخل المصطفى صلى الله عليه وسلم حماما قط ولعله ما رآه بعينه هذا كلامه وعن فرقد السبخي اول من دخل
الحمام نبي قط وقد يشكل عليه ما تقدم عن سليمان عليه الصلاة والسلام واعترض بعضهم قول ابن القيم لعله صلى الله عليه
وسلم ما راى الحمام بعينه بانه صلى الله عليه وسلم دخل الشام وبها حمامات كثيرة فيبعد انه ما رآها نعم لم ينقل انه صلى الله
عليه وسلم دخل شيئا منها وفيه انه قد يقال هو صلى الله عليه وسلم لم يدخل من بلاد الشام الا بصرى وجاز ان لا يكون
بها حمام حين دخوله صلى الله عليه وسلم اليها وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا شر البيوت
الحمام تعلو فيه الاصوات وتكشف فيه العورات فمن دخله لا يدخله الا مستترا ورجاله رجال الصحيح الا شخص منهم فيه
مقال وما احسن قول الامام الغزالي ورد نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذهب الدرن ويذكر النار وبئس البيت الحمام
يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفائدته ولا باس بطلب الفائدة مع التحرز عن الآفة والحاصل
ان الحمام تعتريه الاحكام الخمسة فيكون واجبا وحراما ومندوبا ومكروها والاصل فيه عند معاشر الشافعية الاباحة
للرجال مع ستر العورة مكروه للنساء مع ستر العورة حيث لا عذر وهو محمل ما جاء من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من نسائكم
فلا يدخل الحمامات ومع عدم ستر العورة حرام وهو محمل ما جاء الحمام حرام على نساء امتي واول من اتخذ الحمام في القاهرة
العزيز بن المعز العبيدي احد الفواطم قال بعضهم ليس في بنيان الحمام ما يعول عليه الا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم
في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام كانما خرج من ديماس وقال غيره اصح حديث في هذا الباب اتقوا بيتا يقال له الحمام
فمن دخله فليستتر وقال ابن عمر في وصف عيسى عليه الصلاة والسلام انما هو آدم وحلف بالله ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يقل في عيسى انه احمر اي وانما قال انه آدم وانما اشتبه على الراوي واجاب الامام النووي بان الراوي لم يرد على
حقيقة الحمرة بل ما قاربها اي على الحمرة المقاربة لها اي الادمة ويقال لها ادمة اي كما يقال لها حمرة فلا منافاة قال صلى الله
عليه وسلم جعد الشعر اي في شعره تثن وتكسر اقول ينبغي حمل الجعد الذي جاء في بعض الروايات واذا هو بعيسى جعد على هذا
ثم رايت النووي قال قال العلماء المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر والله تعالى
اعلم تعلوه صهبة اي يعلو شعره شقرة كانه عروة ابن مسعود الثقفي رضي الله تعالى عنه فانه بعد اسرائه صلى الله عليه

وسلم

وسلم عن الطائف ولحق به قبل ان يدخل المدينة واسلم ثم جاء الى قومه ثقيف يدعوهم للاسلام فقتلوه وقال صلى الله عليه وسلم
في حقه ان مثله في قومه كصاحب يس كما سياتي ذلك واما موسى عليه الصلاة والسلام فضخم آدم اي اسمر ومن ثم كان خروج
يده بيضاء مخالفا لونها السائر لون جسده اي طويل كانه من رجال شنوءة طايفة من اليمن اي ينسبون الى شنوءة وهو عبد الله
بن كعب بن اولاد الازد لقب بذلك لشنآن كان بينه وبين اهله وقيل لانه فيه شنوءة وهو التباعد عن الادناس وفي رواية كانه
من رجال ازد عمان هو ابو حي من اليمن وعمان هذه بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت بذلك لان عمان بن لوط
سكنها وكما يقال ازد عمان ازد شنوءة ورجال الازد معروفون بالطول قال صلى الله عليه وسلم كثير الشعر غاير العينين
متراكب الاسنان مقلص الشفتين خارج اللثة اي وهو اللحم الذي بين الاسنان عابس واما ابرهيم عليه الصلاة والسلام
فوالله انه لاشبه الناس بي خلقا وخلقا وفي رواية لم ار رجلا اشبه بصاحبكم ولا صاحبكم اشبه به منه يعني نفسه صلى الله
عليه وسلم فضجوا واعظموا ذلك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على راسه تعجبا فقال المطعم بن عدي ان امرك قبل اليوم
كان امما اي يسيرا غير قولك اليوم وانا اشهد انك كاذب نحن نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا اتزعم
انك اتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا اصدقك وما كان هذا الذي تقول قط وقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا مطعم بئس
ما قلت لابن اخيك جبهته اي استقبلته بالمكروه وكذبته وانا اشهد انه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا
اسلموا اي وحينئذ يقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر الا ان يراد من ثبت على الاسلام وفي رواية سعى
رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قال نعم قال لئن قال ذلك
لقد صدق قالوا اتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه في خبر السماء
في غدوة اي وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس او روحة اي وهي اسم للوقت من الزوال الى الليل اي وهذا تعبير لهما بحسب الاصل
والا فالمراد به انه يخبرني ان الخبر ياتيه من السماء الى الارض في ساعة من ليل او نهار فاصدقه فهذا اي مجيء الخبر له من السماء
بواسطة الملك ابعد مما تعجبون منه اي وحينئذ يجوز ان يكون قول ابي بكر للمطعم ما تقدم كان بعد هذا القول اي قاله بعد ان
اجتمع به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغه مقالته فلا مخالفة بين الروايتين والاسري به صلى الله عليه وسلم من
المسجد الحرام الى الاقصى وعلم قريشا بذلك اشار صاحب الهمزية بقوله   خص بالمسجد الحرام بمسراه   ولم ينس حظه ايلياء
ثم وافى يحدث الناس شكرا   اذ اتته من ربه النعماء   اي جميع حرم مكة حصل له الحظ الاوفر بمسراه صلى الله عليه وسلم ببيت
المقدس بل شرفه الله تعالى بمشيه فيه ايضا فتفضل على ما عدا المسجدين اي مسجد مكة ومسجد المدينة ثم وافى صلى الله عليه و
سلم مكة يحدث الناس لاجل قيامه بالشكر لله تعالى او حال كونه شاكرا له تعالى وقت او لاجل ان اتته من ربه النعماء في تلك الليلة
ثم قال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس وفيه القايل له ذلك ابو بكر قال له صفه لي فاني قد جئته اراد بذلك اظهار صدقه صلى الله
عليه وسلم لقومه فقال دخلته ليلا وخرجت منه ليلا فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بصورته في جناحه اي جاء بصورته و
مثاله في جناحه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول باب منه كذا في موضع كذا وباب منه كذا في موضع كذا وابو بكر رضي الله تعالى
عنه يقول صدقت اشهد انك رسول الله حتى اتى على اوصافه اي ومعلوم ان من ذهب بيت المقدس من قريش يصدق
على ذلك ايضا وفي رواية لما كذبتني قريش اي وسالتني عن اشياء تتعلق ببيت المقدس لم اثبتها اي قال لو الركم المسجد من
باب فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط قمت في الحجر فجلى الله عز وجل لي بيت المقدس اي وجلى بتشديد اللام وربما
خففت كشفه لي اي بوجود صورته ومثاله في جناح جبريل وفي رواية فجيء بالمسجد اي بصورته وانا انظر اليه حتى وضع
اي موضع محله الذي هو جناح جبريل عليه الصلاة والسلام فلا مخالفة بين الروايات وهذا من باب التمثيل ومن رؤيته

الجنة والناقوص الحايط الا من باب طى المسافة وزوى الارض ورفع الحجب المانعة من الاستطراق الذى ادعى الجلال السيوطى
انه احسن ما يحمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبى صلى الله عليه وسلم بكذا حال وصفه اياه لقريش صبيحة الاسرى
اذ ذلك لا يجامع مجيئ صورته فى جناح جبريل عليه الصلوة والسلام وانما قلنا ان ذلك من باب التمثيل لان من المعلوم ان
اهل بيت المقدس لم يفقدوه تلك الساعة من بلدهم فرفعه انما هو برفع علمه الذى هو جناح جبريل عليه الصلوة والسلام ثم رايت ابن
حجر الهيثمى قال الاظهر انه رفع بنفسه كما جيئ بعرش بلقيس الى سليمان عليه الصلوة والسلام فى طرفة عين ولك ان تتوقف فيه
لان عرش بلقيس نقد بخلاف بيت المقدس وكان ذلك النخل عند دار عقيل تقدم انها عند الصفا وانها استمرت فى يد اولاد عقيل
الى ان باعها الى يوسف اخى الحجاج وان زبيدة او الخيزران جعلتها مسجد المساجد كما تقدم وتقدم ما فيه قال صلى الله عليه و
سلم فطفقت اى جعلت اخبرهم عن اياته اى علاماته وانا انظر اليه اى وذلك قبل ان تحول الابنية بين الحجر وتلك الدار
اى لقوله صلى الله عليه وسلم فقمت فى الحجر وهم يصدقونه صلى الله عليه وسلم على ذلك ومن ثم قيل ان حكمة تخصيص الاسرى
الى المسجد الاقصى لان قريشا تعرفه فيسالونه عنه فيخبرهم بما يعرفونه مع علمهم انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس
قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع واما قول المواهب ولهذا لم يسالوه صلى الله عليه وسلم عما راى فى السماء لانهم
لا عهد لهم بذلك يقتضى سياقه انه اخبرهم بالمعراج عند اخباره لهم بالاسرى وسياق ما نقله على انه سياق انه قيل ان المعراج
كان بعد الاسرى فى ليلة اخرى وقيل فى حكمة ذلك ايضا ان باب السماء الذى يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس ليحصل
العروج مستويا من غير تعويج قال الحافظ ابن حجر وفيه نظر لورود ان فى كل سماء بيتا معمورا وان الذى فى سماء الدنيا حيال
الكعبة فكان المناسب ان يصعد من مكة ليصل الى البيت المعمور من غير تعويج هذا كلامه ويقال عليه وان سلم ذلك لكن لم يكن الباب
فى تلك الجهة فان ثبت ان فى السماء بابا يقابل الكعبة اتجه سؤاله قالت نبعة جارية ام هانى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يومئذ يا ابا بكر ان الله قد سماك الصديق اى ومن ثم كان على رضى الله تعالى عنه يحلف بالله ان الله تعالى انزل
اسم ابى بكر من السماء الصديق واما ما رواه اسحق بن بشر بسنده الى ابى ليلى الغفارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول سيكون بعدى فتنة فاذا كان ذلك فالزموا على بن ابى طالب فانه اول من يرانى واول من يصافحنى يوم القيمة وهو الصديق
الاكبر وهو فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين قال فى الاستيعاب
اسحق بن بشر لا يحتج بنقله اذا انفرد لضعفه ونكارة احاديثه هذا كلامه وفى مسند البزار بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى
ابن ابى طالب انت الصديق الاكبر وانت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل وفى رواية ان كفار قريش لما اخبرهم بالاسرى الى
بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما اية ذلك يا محمد اى ما العلامة الدالة على هذا الذى اخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط اى هل
رايت فى مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك اى لان وصفك لبيت المقدس يحتمل ان يكون حفظته عمن ذهب
اليه قال اية ذلك انى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فانفرهم اى انفر عنهم حس الدابة يعنى البراق فند لهم بعير اى شرد
فدللتهم عليه وانا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم
اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان اى وفى كلام بعضهم فعثرت الدابة يعنى
البراق فنقلب بحافره القدح الذى فيه الماء الذى كان يتوضى به صاحبه فى القافلة وشرب الماء الذى للغير جائز
لانه كان عند العرب كاللبن مما يباح لكل مجتاز من ابناء السبيل على من حضر يصح صلى الله عليه وسلم ان له ان ياخذ
ما يحتاج اليه من مالكه المحتاج اليه ويجب على مالكه حينئذ بذله واما الجواب عن ذلك بانه مال حربى غير صحيح لان
هذا كان قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ

سالتهم

سالتهم ولانهم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم قال ابن حجر فى شرح الهمزية لكن فى قطعة التفسير للجلال المحلى فى تفسير قوله تعالى فرددناه
الى امه كى تقر عينها ان امه ارضعته باجرة وساغ لها اخذها لانها مال حربى اى من مال فرعون الا ان يقال ذلك اى اخذ مال الكافر
كان جائزا فى شريعتهم قال صلى الله عليه وسلم واية ذلك اى علامة المصدقة لما اخبر به صلى الله عليه وسلم ان عيرهم الان
تصوب من الثنية يقدمها جمل اورق هو بياض الى سواد وهو اخبث الابل لحما عند العرب واحسنها جملا عندهم اى ليس يحمد
عندهم فى عمله وسيره عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء اى فيها بياض وسواد كما تقدم فابتدر القوم الثنية
فاول ما لقيهم الجمل الاورق عليه الغرارتان فسالوهم عن الاناء وعن نفاد العير وعن ند البعير وعن الشخص الذى
دلهم عليه فصدقوا قوله اقول فعلم ان العير التى نفرت وند منها البعير ودلهم عليه مر عليها صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى
الشام والعير التى كان بها الاناء الذى كان به الماء الذى شربه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهو راجع الى مكة وهى التى صوبت
من الثنية وحينئذ لا يحسن السؤال لاهلها عما وقع لاهل تلك العير وتصديقهم له صلى الله عليه وسلم فى العود اجتمعت فى
عودها بتلك العير الذاهبة الى الشام واخبروهم بما ذكروا والله اعلم وفى رواية قالوا يا مطعم دعونا نسأله عما هو اغنى لنا
عن بيت المقدس اى يقولهم ذلك كان بعد ان اخبرهم بيت المقدس يا محمد اخبرنا عن عيرنا اى عيراتنا الذاهبة والاتية هل
لقيت منها شيئا فقال نعم اتيت على عير بنى فلان بالروحاء اى وهو محل قريب من المدينة اى بينه وبين المدينة ليلتان قد اضلوا ناقة
لهم فانطلقوا فى طلبها فانتهيت الى رحالهم ليس بها منهم احد واذا قدح ماء فشربت منه فسالوهم عن ذلك فقالوا هذه واللات والعزى
اية اى علامة اقول وهذه العير هى التى مر عليها صلى الله عليه وسلم فى العود وهى قادمة الى مكة وفى هذه الرواية
زيادة انهم اضلوا ناقة وتقدم فى تلك الرواية انه صلى الله عليه وسلم وجدهم نياما وفى هذه الرواية انه ليس بها احد
قد يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز ان يكون الراوى اسقط منها هذه الزيادة وهى اضلال الناقة وان قوله صلى
الله عليه وسلم ليس بها منهم احد اى مستيقظ بل بعضهم ذهب فى طلب تلك الناقة وبعضهم كان نائما لكن فى هذه الرواية
انه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهى بالروحاء وهو لا يناسب قوله فى تلك انها الان تصوب من الثنية لان كونها تاتى من
الروحاء الى مكة فى ليلة واحدة من ابعد البعيد الا ان يقال ان الروحاء مشترك بين المحل المعروف المتقدم ذكره ومحل اخر قريب
من مكة والله اعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم فانتهيت الى عير بنى فلان فنفرت منها اى من الدابة التى هى البراق الابل
اى التى هى العير وبرك منها جمل احمر عليه جوالق مخطط ببياض لا ادرى اكسر البعير ام لا وهذه الرواية يحتمل انها ثالثة
ويمكن ان يكون هى الاولى اسقط من تلك قوله فى هذه وبرك منها جمل الخ كما اسقط من هذه قوله فى تلك فند لهم بعير وفى رواية
ثم انتهيت الى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذت البعير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر اى
واضلوا بعيرا لهم قد جمعوا فلان اى بكلا التى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فسالوهم عن ذلك فعلم ان هذه
الرواية والتى قبلها هى الاولى غاية الامر زيد فى هذه قوله فسلمت عليهم فقالوا هذه واللات والعزى اية قال صلى الله
عليه وسلم ثم انتهيت الى عير بنى فلان بالابواء اى وهو كما تقدم غير مرة انه محل بين مكة والمدينة يقدمها جمل
اورق اى بياضه الى سواد كما تقدم ها هى تطلع عليكم من الثنية فانطلقوا لينظروا فوجدوا الامر كما قال صلى الله
عليه وسلم فقالوا صدق الوليد فيما قال اى فى قوله انه ساحر وانزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك
الا فتنة للناس وهذا يدل على ان المراد رؤيا الاسرى وانها رؤيا العين وانه يقال انه مصدر مما رؤيا بالالف
كما يقال رؤية بالتاء خلافا لمن انكر ذلك اذ لو كان رؤيا الاسرى مناما لما انكر عليه فى ذلك اى وقيل نزلت
فيما راى النبى صلى الله عليه وسلم ولى الحكم بن ابى العاص او مروان وهم بنو امية على منبره كانهم القردة فقد

رايت بني مروان يتعاورون منبري وفي لفظ ينزون على منبري نزو القردة زاد في رواية فما استجمع صلى الله عليه وسلم ضاحكا
حتى مات وانزل الله تعالى في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وفي رواية فنزل انا اعطيناك الكوثر
وفي رواية فنزل انا انزلناه في ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر قال بعضهم اي خير من الف
يملكها بعدك بنو امية فان مدة ملك بني امية كانت اثنين وثمانين سنة وهي الف شهر وكان جميع من ولي الخلافة منهم اربعة
عشر رجلا اولهم معاوية واخرهم مروان بن محمد وقد قيل لبعضهم ما سبب زوال ملك بني امية مع كثرة العدد والعدد و
الاموال والموالي فقال ابعدوا اصدقائهم ثقة بهم وقربوا اعدائهم جهلا منهم فصار الصديق بالابعاد عدوا ولم يصر العدو صديقا
بالتقريب له وحديث رايت بني مروان قال الترمذي هو حديث غريب وقال غيره منكر قال صلى الله عليه وسلم ورايت بني
العباس يتعاورون منبري منبري في ذلك وقيل ان هذه الاية اي اية وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس انما انزلت
في رؤيا الحديبية حيث راى النبي صلى الله عليه وسلم انه واصحابه يدخلون المسجد محلقين رؤسهم ومقصرين ولم يوجد ذلك
بل صدهم المشركون وقال بعض الصحابة له صلى الله عليه وسلم الم تقل انك تدخل مكة امنا قال بلى افقلت لكم من عامي هذا قالوا
لا قال فهو كما قال جبريل عليه الصلوة والسلام كما سياتي ذلك في قصة الحديبية وقيل انما انزلت هذه الاية في رؤيا
وقعة بدر حيث اراه جبريل عليه الصلوة والسلام مصارع القوم ببدر فاري النبي صلى الله عليه وسلم الناس مصارعهم فتسامعت
بذلك قريش فسخروا منه اي ولا مانع من تعدد نزول الاية لهذه الاية فقد يتعدد نزول الاية لتعدد اسبابها قال ابن حجر الهيتمي
ان اتحاد النزول لا ينافي تعدد اسبابه اي وذلك اذا تقدمت الاسباب ويوقف نزولها الى اليوم الذي تقدم فيه العير اي
قالوا ومتى يجيء قال لهم يا قوم يوم كذا وكذا يقدمها جمل ادم عليه مسح ادم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش
ينظرون ذلك وقد ولى النهار ولم يجيء حتى كادت الشمس ان تغرب اي دنت للغروب فدعا الله تعالى فحبس الشمس عن
الغروب حتى قدم العير اي كما وصف صلى الله عليه وسلم اقول يجوز ان يكون هذا بالنسبة لبعض العيران التي مر
عليها فلا يخالف ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم قال في بعض العيرات انها الان تصوب من الثنية والى حبس الشمس
عن المغيب اشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها فما غربت بل
وافقتك بوقفة وجاء في بعض الروايات انها حبست له صلى الله عليه وسلم عن الطلوع ففي رواية ان بعضهم قال له
اخبرنا عن عيرنا قال مررت بها في التنعيم قالوا فما عدتها واحمالها ومن فيها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم قيل له ذلك فاخبر
بعدتها وعدة احمالها ومن فيها وقال تطلع عليكم عند طلوع الشمس فحبس الله تعالى الشمس عن الطلوع حتى قدمت
تلك العير فلما خرجوا ينتظرون فاذا قائل يقول هذه الشمس قد طلعت وقال اخر هذه العير قد اقبلت فيها فلان وفلان كما اخبر
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى تقدير صحة هذه الرواية يجاب عنها بمثل ما تقدم والله اعلم وحبس الشمس وقوفها عن السير
اي عن الحركة بالكلية وقيل بطؤ حركتها وقيل ردها الى ورائها قالوا ولم تحبس الشمس له صلى الله عليه وسلم الا في ذلك اليوم
واما قيل انها حبست له صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن الغروب ايضا حتى صلى العصر معارض بما ثبت انه صلى الله عليه وسلم
صلى العصر بعد الغروب وقال شغلونا عن الصلوة الوسطى كما سياتي ثم رايت في كلام بعضهم ما يؤخذ منه الجواب وهو ان وقعة
الخندق كانت اياما فحبست الشمس في بعض تلك الايام الى الاصفرار او الاصفرار وحينئذ وفي بعضها لم تحبس بل صلى بعد
الغروب وقال ذلك البعض ويؤيده ان دعاء التاخير الى الغروب لداود عليه الصلوة والسلام وذكر البغوي انها حبست كذلك لسليمان
عليه الصلوة والسلام اي فعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان الله امر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على
سليمان حتى صلى العصر في وقتها وهذا يدل لها الاحبس لها عن غروبها الذي الكلام فيه والذي في كلام بعضهم اتمام ب سليمان

سوق خيله واعناقها حيث الهاه عرضها عليه عن صلوة العصر حتى كادت الشمس ان تغرب ولم يتصدق بها مبادرة لتعظيم امر الله تعالى
بالصلوة في وقتها لان التصدق يحتاج الى زمن في عرضها واخذها وحبست كذلك ليوشع بن اخت موسى عليه الصلوة والسلام
وهو ابن نون بن يوسف الصديق عليه الصلوة والسلام اي وهو الذي قام بالامر بعد موسى عليه الصلوة والسلام لان موسى عليه الصلوة
والسلام لما وعده الله تعالى ان يورثه هو وبني اسرائيل الارض المقدسة التي هي ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون
وامره بقتالهم ولئك الجبارين وهم العماليق سار بمن معه وهم ستمائة الف مقاتل حتى نزل قريبا من مدينتهم وهو اريحا فبعث
اليهم اثني عشر رجلا من كل سبط واحد لناتوه بخبر القوم فدخلوا المدينة فراوا امرا عظيما من عظم اجسادهم فقد ذكر بعضهم انه راى في
فجاج اي تفرق عين رجل منهم ضبعة ولبعضها اي بجالسه هي وادلادها جحلها والفجاج في الاصل الطريق الواسع واستظل سبعون
رجلا من قوم موسى في قحف رجل منهم اي في عظم اعلا راسه وفي العرائس وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة انفس منهم ويدخل في قشر
الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس او اربعة وان رجلا من العماليق اخذ الاثني عشر وجعلهم في كمه مع فاكهة كانت فيه وجاء بهم الى
ملكهم فسالهم فقالوا نحن من موسى فقال ارجعوا واخبروه وفي العرائس ان عوج بن عنق من ولد ادم عليه السلام من صلبه ويقال انه
اول من ولد في الارض وفي العرائس انه لما لقيهم كان على راسه حزمة حطب فاخذ الاثني عشر فجعلهم في حجزته وانطلق بهم لامراته وقال انظري
الى هولاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقال امراته لا ولكن خل عنهم
حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل ذلك فلما رجعوا اخبروا موسى عليه الصلوة والسلام فقال اكتموا خوفا ان بني اسرائيل يفشلوا ويقعدوا
عن موسى فلم يفعلوا واخبر كل واحد سبطه بنبيه ما راه من امرهم الهائل ففشلوا وجبنوا عن القتال الا رجلان لم يخبرا سبطهما
هما يوشع بن نون من سبط يوسف وكالب بن يوقنا من سبط بنيامين وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هيهنا قاعدون
فدعا عليهم وقال رب اني لا املك الا نفسي واخي اي فانه لم يبق معه موافق يثق به غير اخيه هرون وكالب ويوشع وهما
المذكوران بقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان
الله منجز وعده وانا قد خبرناهم فوجدنا اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وحينئذ
يكون مراد موسى بقوله واخي واخاه ووافقه لا خصوص هرون ثم دعا بقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي باعد
بيننا وبينهم فضرب عليهم التيه فتاهوا اي تحيروا في ستة فراسخ في الارض يمشون النهار كله ثم يمسون حيث اصبحوا
ويصبحون حيث امسوا وانزل الله تعالى عليهم المن والسلوى لانهم شغلوا عن المعاش وابقيت عليهم ثيابهم لا تخلق
ولا تتسخ وتطول مع الصغير اذا طال وظلل عليهم الغمام من الشمس ولما راى موسى عليه الصلوة والسلام ما بهم من التعب
ندم على دعائه عليهم وفي حيوة الحيوان لما عبد بنو اسرائيل العجل اربعين يوما عوقبوا بالتيه اربعين سنة لكل يوم سنة
فاوحى الله تعالى اليه فلا تاس اي لا تحزن على القوم الفاسقين اي الذين فسقوا اي خرجوا عن امرك قال في انس الجليل ومن عجيب
الاتفاق ان ريحا هذه كانت في زمن بني اسرائيل منزلة الجبارين وفي زمن الاسلام منزل حكام الشرطة فانها الان قرية
من قرى بيت المقدس ثم مات موسى وهرون بالتيه مات هرون اولا ثم موسى بعده بسنتين وفي ذلك رد على من قال ان
قبر هارون اخي موسى باحد كما سياتي وفيه رد ايضا على من يقول موسى مات قبل هرون وانشد فقيل ان هرون راى
سريرا في بعض الكهوف فنام عليه فمات وان بني اسرائيل قالوا اقتل موسى هرون حسد الرحمة بني اسرائيل له فقال لهم موسى
ويحكم كان اخي ووزيري افترون اني اقتله فلما اكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير الذي نام عليه فمات حتى نظروا
اليه بين السماء والارض فصدقوه وعلى الاول انه لما انطلق ببني اسرائيل الى قبره ودعا الله ان يحييه فاحياه الله تعالى
واخبرهم انه مات ولم يقتله موسى وعند ذلك قام بالامر يوشع بن نون المذكور اي فان موسى لما احتضر اخبرهم بان يوشع بعدي

بتمعان الله امره بقتال الجبابرين فسار بهم يوشع وقاتل الجبابرين وكان يوم الجمعة فلما كان ان يفتحها كادت الشمس ان تغرب فقال
للشمس انك مامورة وانا مامور بحرمتي عليك الا ركدت اي مكثت ساعة من النهار وفي رواية قال اللهم احبسها فحبسها الله
تعالى حتى افتتح المدينة اي قال ذلك خوفا من دخول السبت المحرم عليهم فيه المقاتلة وقد عبر الامام السبكي عن حبسها ليوشع بردها
في قوله ردت عليك الشمس بعد مغيبها كما انها قدما ليوشع ردت ولولا قوله بعد مغيبها لما اشكل واسكن ان يراد بالرد
وقوفها وعدم غروبها ومن ثم ذكر ابن كثير انه تاد يخبران في حديث رواه الامام احمد وهو على شرط البخاري ان الشمس لم تحبس
لبشر الا ليوشع عليه السلام ليالي سار الى بيت المقدس وفيه دلالة على ان الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون لا موسى
وان حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا في فتح اريحا هذا كلامه وهو خلاف السياق وفي العرايس ان موسى عليه الصلوة والسلام
لم يمت في التيه بل سار ببني اسرائيل الى اريحا وعلى مقدمته يوشع فدخل يوشع وقتل الجبابرين ثم دخل موسى عليه الصلوة و
السلام ببني اسرائيل فاقام فيها ماشاء الله ثم قبض ولا يعلم موضع قبره من الخلق احد قال وهذا اولى الاقاويل بالصدق و
اقربها الى الحق وذكر بعد ذلك ان موسى لما حضرته الوفاة قال يا رب ادنني من الارض المقدسة برمية حجر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو اني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال ابن كثير وقوله صلى الله عليه وسلم
لم تحبس لبشر يدل على ان هذا من خصايص يوشع عليه الصلوة والسلام فيدل على ضعف الذي رويناه ان الشمس رجعت اي بعد مغيبها
اي في خيبر كما سنذكره هنا حتى صلى علي بن ابي طالب العصر بعد ما فاته بسبب نوم النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وهو حديث
منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان وهو مما توفر الدواعي على نقله وتفردت بنقله امراة من اهل البيت مجهولة لا يعرف
حالها هذا كلامه وسياتي قريبا ما يرد على ان قوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر اي غيره صلى الله عليه وسلم وقد علمت
ان الحبس لها يكون منعا لها عن مغيبها والرد لها يكون بعد مغيبها فليتامل وفي كلام سبط ابن الجوزي ان قيل حبسها وردها
مشكل لانها لو تخلفت او ردت لاختلت الافلاك ولفسد النظام قلنا حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في
خرق العادات وذكر انه وقع لبعض الوعاظ ببغداد انه قعد يعظ بعد العصر ثم اخذ في ذكر فضايل ال البيت فجاءت سحابة غطت
الشمس فظن الناس الحاضرون عنده ان الشمس غابت فارادوا الانصراف فاشار اليهم ان لا يتحركوا ثم ادار وجهه الى ناحية
المغرب وقال لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحي لال المصطفى ولنجله ان كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لولده ولنسله
فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمي عليه من الحلي والثياب هذا كلامه فلما افتتحوا المدينة التي هي اريحا اصابوا بها اموالا عظيمة وكانوا
اي الامم السابقة اذا اصابوا الغنايم قربوها فتجيء النار فتاكلها اي اذا لم يكن فيها غلول كما تقدم فمجيء النار واكلها دليل على قبولها ولم تحل
الا لنبينا صلى الله عليه وسلم فلما اصابوا تلك الغنايم قربوها فلم تجئ اليها النار فقالوا له يا نبي الله ما لها لا تقبل قربانا قال
فيكم الغلول فمر راس كل سبط وصافحه فلصق كف واحد منهم في كف يوشع عليه السلام فقال الغلول في سبطك فقال كيف
اعلم ذلك قال تصافح واحدا بعد واحد فلصقت كفه بكف واحد منهم فسأله فقال نعم رايت راس بقرة من ذهب عيناها من
ياقوت واسنانها من لؤلؤ فاعجبني فغللتها فجاء بها ووضعها في الغنيمة فجاءت النار فاكلتها وذكر البغوي ان الشمس حبست عن
الطلوع لموسى عليه الصلوة والسلام كما حبست كذلك لنبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكذا القمر حبس لموسى عليه الصلوة
والسلام عن الطلوع لما خرج عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى حين امر موسى عليه الصلوة والسلام بالسير ببني اسرائيل
الى بيت المقدس امره ان يحمل معه عظام يوسف عليه الصلوة والسلام وان لا يخلفها بارض مصر وان يسير بها حتى يضعها بارض
المقدسة اي وفاء بما اوصى به يوسف عليه الصلوة والسلام فقد ذكر ان يوسف عليه الصلوة والسلام لما ادركته الوفاة
اوصى ان يحمل الى مقابر ابائه فمنع اهل مصر اولياءه من ذلك فسال موسى عليه الصلوة والسلام عمن يعرف موضع قبر يوسف

فما وجدنا احدا يعرف قبره الا عجوزا من بني اسرائيل فقالت له يا نبي الله انا اعرف مكانه وادلك عليه ان انت اخرجتني معك ولم تخلفني
بارض مصر قال افعل وفي لفظ انها قالت اكون معك في الجنة وكانه ثقل عليه ذلك فقيل له اعطها فاعطاها وقد كان موسى عليه الصلوة و
السلام وعد بني اسرائيل ان يسير بهم اذا طلع القمر فدعا ربه ان يؤخر طلوعه حتى يفرغ من امر يوسف عليه الصلوة والسلام ففعل
فخرجت به العجوز حتى اوقفته اياه في ناحية من النيل وفي لفظ في مستنقعة ماء وتلك المستنقعة في ناحية من النيل فقالت لهم انضبوا
عنها الماء اي ازيلوه عنها ففعلوا قالت احفروا فحفروا واخرجوه وفي لفظ انها انتهت به الى عمود على شاطئ النيل وفي ناحية
منه لا يخالف ما سبق في اصله سكة من حديد فيها سلسلة اي ويجوز ان يكون حفرهم الواقع في تلك الرواية كان على اظهار تلك
السكة فلا مخالفة ووجدوه في صندوق من حديد وسط النيل في الماء فاستخرجه موسى عليه الصلوة والسلام وهو في صندوق من
مرمر اي داخل ذلك الصندوق الذي من الحديد فاحتمله وفي انس الجليل ان موسى عليه الصلوة والسلام جاءه شيخ له ثلثمائة سنة
فقال له يا نبي الله ما يعرف قبر يوسف الا والدتي فقال له موسى قم معي الى والدتك فقام الرجل ودخل منزله واتى بقفة فيها
والدته فقال لها موسى انك علم بقبر يوسف فقالت نعم ولا ادلك على قبره الا ان دعوت الله تعالى ان يرد علي شبابي الى سبعة
عشر سنة ويزيد في عمري مثل ما مضى فدعى موسى لها وقال لها كم عمرك قال لها تسعمائة سنة فعاشت الف وثمانمائة سنة فادلته
قبر يوسف عليه الصلوة والسلام وكان في وسط نيل مصر ليمر النيل عليه فيصل الى جميع مصر فيكونون شركاء في بركته واما عود
الشمس بعد غروبها فقد وقع له صلى الله عليه وسلم في خيبر فعن اسماء بنت عميس انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوحى اليه وراسه في حجر علي ولم يسر على النبي صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وعلي لم يصل العصر اي فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصليت العصر فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد
عليه الشمس قالت اسماء فرايتها طلعت بعدما غربت قال بعضهم لا ينبغي لمن سبيله العلم ان يتخلف عن حفظ هذا الحديث لانه من اجل اعلام
النبوة وهو حديث متصل وقد ذكر في الامتاع انه جاء عن اسماء من خمسة طرق وذكرها وبه يرد ما تقدم عن ابن كثير بانه تفردت
بنقله امراة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها وبه يرد على ابن الجوزي حيث قال فيه انه حديث موضوع بلا شك لكن في
الامتاع ذكر في خامس الطرق ان عليا اشتغل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي صليت العصر قال لا يا رسول الله
فتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس
فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وذلك يخالف لساير الطرق الا ان يدعى ان هذه الطريق فيها حذف والاصل اشتغل مع النبي
صلى الله عليه وسلم في قسمة غنايم خيبر ثم وضع راسه في حجر علي ونام فاستيقظ حتى غابت الشمس فلا يخالف قال وجاء انه صلى الله
عليه وسلم قبل وصوله الى بيت المقدس سار واخذ حتى بلغوا ارض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل ههنا ففعل ثم ركب فقال اتدري
اين صليت قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة وسياتي ما فيه في الكلام على الهجرة فانطلق البراق يهوي يقع حافره حيث ادرك
طرفه حتى اذا بلغ ارضا فقال له جبريل عليه السلام انزل فصل ههنا ففعل ثم ركب فقال له جبريل اتدري اين صليت قال لا قال
صليت بمدين اي وهي قرية تلقاء غزة عند شجرة موسى سميت باسم مدين بن ابراهيم لما نزلها ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم
قال انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له اتدري اين صليت صليت ببيت لحم اي وهي قرية تلقاء بيت المقدس حيث ولد عيسى عليه الصلوة و
السلام اي في الهدى وقيل انه نزل ببيت لحم وصلى فيه ولا يصح عند ذلك البتة وبينا هو يسير على البراق اذ راى عفريتا من الجن
يطلبه بشعلة من نار كلما التفت راه فقال له جبريل الا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفيت شعلته وخر لفيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال جبريل عليه السلام قل اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل

والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن اى فقال ذلك فانكب لفيه وطفيت شعلته وراى حال المجاهدين
فى سبيل الله اى كشف له عن حالهم فى دار الجزاء بضرب مثال لغزاة فهم يزرعون فى يوم اى فى وقت ويحصدونه فى يوم اى فى ذلك
الوقت كما يرشد اليه الحال كلما حصدوه عاد كما كان فقال يا جبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة
بسبعمائة ضعف وما انفقوا من خير فهو يخلفه هذا الثانى هو المناسب لحالهم دون الاول فالاولى الاقتصار عليه الا ان يدعى
انه صلى الله عليه وسلم شاهد الحصاد والعود المذكور الذى هو سبعمائة مرة على ان المضاعفة المذكورة لا تختص بالمجاهدين فقد
جاء كل عمل بن ادم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا ان يقال المراد تكرر الجزاء العدد المذكور للمجاهدين امر لا
لا يكاد يتخلف فى غيرهم بخلافه فيعجل صلى الله عليه وسلم ريح ماشطة بنت فرعون وراى داعى اليهود وداعى النصارى فاما الاول فقد راى
من يمينه داعى يقول يا محمد انظرنى اسالك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا داعى اليهود اما انك لو اجبته لتهودت امتك اى تمسكوا
بالتوراة والمراد غالب الامة واما الثانى فقد راى عن يساره داعيا يقول يا محمد انظرنى اسالك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا داعى النصارى اما انك لو اجبته لتنصرت امتك اى لتمسكت بالانجيل وحكمة كون داعى اليهود على اليمين وداعى النصارى على
اليسار لا تخفى وراى صلى الله عليه وسلم حال الدنيا اى كشف عن حالها بضرب مثال فراى امراة حاسرة عن ذراعيها كان ذلك
شان المحتقر لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى اى ومعلوم ان النوع الواحد من الزينة يجذب القلوب اليه فكيف بجميع
سائر انواع الزينة فقالت يا محمد انظرنى اسالك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال تلك الدنيا اما انك لو اجبتها لاختارت
امتك الدنيا على الاخرة وراى عجوزا على جانب الطريق فقالت يا محمد انظرنى اسالك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل فقال
انه لم يبق من عمر الدنيا الا ما بقى من عمر تلك العجوز اى قربتها لا ينبغى الالتفات اليها لانها على عجوز شوها لم يبق من عمرها
الا القليل ولينظر لم يقل تلك الدنيا ولم يبق من عمرها الخ وفى كلام بعضهم الدنيا تارة يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق
بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها الاول وهو حقيقتها انها من اول وجود هذا النوع الانسانى الى ايام ابرهيم صلوات الله و
سلامه عليه بعدها تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كهلة ومن بعد ذلك الى يوم
القيمة تسمى عجوزا واعترض بان الائمة صرحوا بان الشباب ومقابله انما يكون فى الحيوان واجاب بان الغرض من ذلك التمثيل
وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يقبل الامانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثال فاتى على رجل جمع حزمة حطب
عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون عنده امانات الناس لا يقدر
على ادائها ويريد ان يتحمل عليها وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الصلوة المفروضة فى دار الجزاء فاتى على
قوم ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال يا جبريل ما هؤلاء قال هؤلاء الذين
تتثاقل رؤسهم عن الصلوة المكتوبة اى المفروضة عليهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الزكوة
الزكوة الواجبة عليه ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم وياكلون
الضريع وهو اليابس من الشوك والزقوم ثمر شجر مر له زفرة قيل انه لا يعرف شجر الدنيا وانما هو شجرة النار وهى
المذكورة فى قوله تعالى انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم اى منبتها فى اصل الجحيم وتقدم الكلام عليها عند الكلام على السفرتين
وياكلون رضف جهنم اى حجارتها المحماة لان الوصف بالضاد المعجمة الحجارة المحماة التى يكوى بها فقال من هؤلاء يا جبريل
قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات اموالهم المفروضة عليهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال الزناة بضرب مثال
ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج فى قدر ولحم نى ايضا فى قدر خبيث فجعلوا ياكلون من ذلك النى الخبيث ويدعون
النضيج الطيب فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون عنده المراة الحلال الطيب فياتى امراة خبيثة

فيبيت عندها حتى يصبح والمراة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح وكشف له صلى الله
عليه وسلم عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال ثم اتى على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شئ الا خرقته فقال ما هذه يا جبريل قال
مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وكشف له صلى الله عليه وسلم
عن حال من ياكل الربوا اى حالته التى يكون عليها فى دار الجزاء فراى رجلا يسبح فى نهر من دم يلقم الحجارة فقال من هذا يا جبريل
قال اكل الربوا وقد شبهه الله تعالى فى القران بقوله الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان
من المس اى اذا بعث الناس يوم القيمة خرجوا مسرعين من قبورهم الا اكلة الربوا فانهم لا يقومون من قبورهم الا مثل قيام الذى
يصرعه الشيطان فكلما قاموا سقطوا على وجوههم وجنوبهم وظهورهم كما ان المصروع حاله ذلك اى فهذه حالته فى الذهاب الى المحشر
زيادة على حالته المتقدمة التى تكون فى دار الجزاء وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يخطب ولا يتعظ ثم اتى على قوم تقرض السنتهم
وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء خطباء الفتنة
خطباء امتك يقولون ما لا يفعلون وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال المغتابين للناس فمر على قوم لهم اظفار من نحاس يخمشون
وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين ياكلون الناس ويقعون فى اعراضهم وكشف له صلى الله
عليه وسلم عن حال من يتكلم بالفحش بضرب مثال فاتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث يخرج
فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا الرجل من امتك يتكلم الكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها و
كشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من احوال الجنة فاتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال
يا جبريل ما هذا قال هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتنى بما وعدتنى اى ولا ترد يجوز ان يكون محل الجنة فوق السماء السابعة
مقابلا لذلك الوادى وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من احوال النار فاتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا
خبيثة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتنى بما وعدتنى اى وليست جهنم بذلك الوادى مقابل لذلك
كما ياتى ان الوادى كما ياتى ان الوادى الذى هى به هو الذى ببيت المقدس ولعل هذا الوادى مقابل لذلك الوادى و
ينبغى ان لا يكون هذا هو المراد بما فى الخصايص الصغرى للسيوطى وخص صلى الله عليه وسلم بالاطلاع على الجنة والنار بل
بل المراد بذلك رؤيته ذلك فى المعراج وعند وصوله صلى الله عليه وسلم الى الوادى الذى ببيت المقدس بالنسبة للنار
وراى صلى الله عليه وسلم الدجال يشبه بعبد العزى بن قطن اى وهو من هلك فى الجاهلية اى قبل البعثة وراى صلى الله
عليه وسلم على شخص متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد قال له جبريل سر يا محمد قال له من هذا قال هذا عدو الله ابليس اراد
ان تميل اليه وفى رواية لما دخلت بيت المقدس وصليت فيه ركعتين اى اماما بالانبياء والملائكة اخذنى العطش
اشد ما اخذنى فاتيت باناءين فى احدهما لبن وفى الاخر عسل فهدانى الله تعالى فاخذت اللبن فشربت وبين يدى
شيخ متكئ على منبر له فقال اخذ صاحبك الفطرة انه لمهدى فلما خرجت جاءنى جبريل عليه السلام باناء
من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة اى الاستقامة التى بسببها الاسلام ومنه
كل مولود يولد على الفطرة اى على الاسلام وفى رواية اخرى فاتى بانية ثلاثة مغطاة افواهها فاتى باناء منها فيه
ماء فشرب منه قليلا وفى رواية انه لم يشرب منه شيئا وانه قيل له لو شربت الماء اى جميعه لغرقت امتك
اى وفى رواية انه سمع قائلا يقول ان اخذ الماء غرق وغرقت امته ثم رفع اليه اناء اخر فيه لبن فشرب منه حتى روى
اى وفى رواية سمع قائلا يقول ان اخذ اللبن هدى وهديت امته ثم رفع اليه اناء فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا اريده
قد رويت فقال له جبريل عليه السلام انها ستحرم على امتك اى بعد اباحتها لهم وفى رواية انه قيل له لو شربت الخمر

لفوت امتك ولو تبعتها اي لا يكون على طريقتك منهم الا القليل اي وفي رواية انه سمع قائلا يقول ان اخذ الخمر
غوى وغوت امته اقول وهذه الرواية محتملة لان تكون وهو في بيت المقدس ولان تكون وهو خارج عنه و
من هذا كله تعلم انه تكرر عليه عرض اللبن والخمر داخل بيت المقدس وخارجه ولا مانع من تكرر عرض انيتي الخمر واللبن قبل
عروجه من قبل العروج ولا تعارض بين الاخبار بان احديهما كان فيه عسل مع اللبن وبين الاخبار باواني ثلاثة لانه
يجوز ان يكون بعض الرواة اقتصر على اثنين ولا بين كون الاناء الثالث كان فيه عسل وما لا انه يجوز ان يكون احدى
الاواني الثلاثة كان فيها عسل ثم جعل فيها الماء بدل العسل او مزج العسل به وغلب الماء على العسل او تكون الاواني
اربعة وبعض الرواة اقتصر وقد قال ابن كثير مجموع الاواني اربعة فيها اربعة اشيا من الانهار الاربعة التي تخرج من اصل
سدرة المنتهى ولكن لم يسقط اللبن في رواية بخلاف غيره فانه تارة ذكر معه الخمر فقط وتارة ذكر معه العسل فقط
وتارة ذكر معه الماء والخمر وعلى الاحتمال الاول ينقل عن سر عدم ذكر جبريل عليه السلام حكمة عدم الشرب من العسل
والله اعلم ومر على موسى عليه الصلوة والسلام وهو يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر وهو يقول برفع صوته اكرمته
وفضلته اوفي رواية سمعت صوتا وتذمرا اي بالذال المعجمة المفتوحة فسلم عليه السلام فقال يا جبريل من هذا قال هذا موسى
بن عمران عليه الصلوة والسلام قال ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قال اويرفع صوته على ربه العتاب مخاطبة فيها
ادلال وهذا يدل على ان الصوت الذي سمعه كان مشتملا على عتاب وتذمر مع رفعه وفي رواية على من كان تذمره اي
حدته قال على ربه قلت اعلى ربه قال جبريل ان الله عز وجل قد عرف له حدته وهذا كما علمت كان كالذي بعده قبل وصوله
الى مسجد بيت المقدس والله اعلم وجاء ليلة اسري بي مر بي جبريل عليه السلام على قبر ابراهيم فقال انزل فصلي هنا ركعتين قال
ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله فقال من هذا يا جبريل فقال هذا ابوك ادم عليه الصلوة والسلام فسلم عليه فرد عليه السلام
فقال من هذا الذي معك يا جبريل فقال هذا ابنك احمد قال مرحبا بالنبي العربي الامي ودعا له بالبركة اي فموسى مر به ثم بيا
عنه وابو هيم لم يمر به فسال عنه لكن في السيرة الشامية ان موسى عليه الصلوة والسلام ساله ايضا فقال من هذا يا جبريل
فقال هذا احمد فقال مرحبا بالنبي العربي الذي نصح امته ودعا له بالبركة وقال اسال لامتك اليسر والظاهر ان قبر ابراهيم
عليه الصلوة والسلام كان تحت تلك الشجرة او قريبا منها فلا مخالفة بين الروايتين وسار صلى الله عليه وسلم حتى اتى
الوادي الذي في بيت المقدس فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي اي وهي النمارق اي الوسايد فقيل يا رسول الله كيف
وجدتها قال مثل الحمة اي الفحم انتهى قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء اي من الصخرة كما تقدم اي على
المعراج بكسر الميم وفتحها الذي تعرج ارواح بني ادم فيه وهو كما في بعض الروايات سلم له مرقاة من فضة ومرقاة من
ذهب اي عشر مراق وهو المراد بقول بعضهم كانت المعاريج ليلة الاسرى عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة
المنتهى والتاسع الى المستوى والعاشر الى العرش والرفرف فاطلق على كل مرقاة معراجا وهذا المعراج لم ير الخلايق
احسن منه اما رايت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء اي بعد خروج روحه فان ذلك عجبه بالمعراج الذي نصب
لروحه ليعرج عليه وذلك شامل للمؤمن والكافر الا ان المؤمن يفتح لروحه باب السماء دون الكافر فترد بعد عروجها
تحسيرا او ندامة ونكتة الدوذلك المعراج اتى به من جنة الفردوس وانه منضد باللولو اي جعل فيه اللولو بعضه على بعض
عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فصعد هو وجبريل عليهما الصلوة والسلام قال الحافظ بن كثير ولم يكن صعوده
على البراق كما توهمه بعض الناس اي ومنهم صاحب الهمزية كما سياتي عنه حتى انتهى الى باب من ابواب سماء الدنيا اي و
يقال له باب الحفظة عليه ملك يقال له اسماعيل اي وهذا لم يسكن الهوى لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض

قط الا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة وتحت يده اثنى عشر الف ملك اي وفي رواية ان تحت يده سبعين الف
ملك تحت يد كل ملك سبعون الف ملك فاستفتح جبريل فقيل من انت وفي رواية فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل سماء
الدنيا اي حفظتها من هذا قال جبريل فقيل ومن معك اي فانهم راوهما ولم يعرفوهما ولعل جبريل عليه السلام على الصورة التي
يعرفونه بها قال محمد وفي رواية قال معي احد يجوز ان يكون هذا القائل لم يرهما ويكون الجواب له معظم الحفظة قال نعم معي محمد قيل
وقد بعث اليه اي للاسرى والعروج اي لانه كان عندهم علم بانه سيعرج به الى السموات بعد الاسرى به الى بيت المقدس و
الا فبعثته صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الخلق يبعد ان تخفى على اولئك الملائكة الى هذه المدة وايضا لو كان هذا مراد هم
لقالوا او قد بعث ولم يقولوا اليه فان قيل قد جاء في حديث انس ان ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل عليه السلام وقد بعث قلنا
تقدم ان حديث انس كان قبل ان يوحى اليه وانه كان نوما لا يقظة قال السهيلي ولم اجد في رواية من الروايات ان الملائكة
قالوا وقد بعث اليه ففتح لنا قال صلى الله عليه وسلم فاذا انا بادم فرحب بي ودعا لي بخير والخلف في لفظ ادم فقيل اعجمي ومن ثم منع
الصرف وقيل عربي كانه مشتق من الادمة التي هي السمرة والمراد بها هنا لون بين البياض والحمرة حتى لا ينافي كونه احسن الناس
اذ هو مشتق من اديم الارض اي وجهها لانه مخلوق منه وعلى انه عربي يكون منع صرفه للعلمية ووزن الفعل وفي رواية
تعرض عليه ارواح بنيه فيسر بمومنها اي عند رؤيته ويعبس بوجهه عند رؤية كافرها قال وفي رواية فاذا فيها ادم كيوم
خلقه الله تعالى على صورته اي على غاية من الحسن والجمال فاذا هو تعرض عليه ارواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة
ونفس طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين وتعرض عليه ارواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة
خرجت من جسد خبيث اجعلوها في سجين اقول وهذا وان انتفى كون ارواح العصاة من المؤمنين في عليين كارواح
الطائعين منهم لكن لا يقتضي تساويهما في الدرجة كما لا يخفى وفي رواية تعرض عليه اعمال ذريته وهو اما على حذف المضاف
اي صحف اعمال التي وقعت منهم وهي التي في صحف الحفظة او التي ستقع منهم وهي ما في صحف الملائكة غير الحفظة او تعرض
نفس اعمال متجسمة لما سياتي ان المعاني تجسم فهي كل من الروايات اقتصار والله اعلم وفي رواية سندها ضعيف كما
قاله الحافظ بن حجر وعن يمينه اسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله اسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة
فاذا نظر عن يمينه اي الى تلك الاسودة ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله اي الى تلك الاسودة حزن وبكى فسلم
عليه صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذا فقال
هذا ابوك ادم اي وزاد في الجواب قوله وهذه الاسودة نسم اي ارواح بنيه فاهل اليمين اهل الجنة واهل الشمال
اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله حزن وبكى زاد في الجواب ايضا قوله وهذا الباب الذي عن
يمينه باب الجنة اذا نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر من يدخله
من ذريته حزن وبكى انتهى اي اذا نظر الى ارواح من يدخلهما ويرد ان الجنة فوق السماء السابعة والنار في الارض
السابعة وهي محيطة بالدنيا فكيف يكون بابهما في سماء الدنيا وان ارواح الكفار لا تفتح لها ابواب السماء كما تقدم
واجيب عن الثاني بان عرضها اي ارواح ذريته الكفار عليه نظرة اليها وهي دون السماء لانها شعا فذا دمن
ذلك الباب اي وكونها عن يساره الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم اي في جهة يساره ويجاب عن الاول بان الباب
الذي عن يمينه يجوز ان يكون محاذيا لموضع الجنة من السماء السابعة ولهذا قيل له باب الجنة وكذا يقال في باب
جهنم لان الاضافة تاتي لادنى ملابسة وبما اجيب عن كون ارواح ذريته الكفار عن جهة يساره يعلم انه لا حاجة
في الجواب عن ذلك الى قول الحافظ بن حجر ويحتمل ان يقال ان النسم المرئية هي الارواح التي لم تدخل الاجساد بعد اي الآن

وستنزها من بين ادم وشماله وقد علم بما يبصرون اليه بناء على ان الارواح مخلوقة قبل اجسادها على انه لا يناسب قوله روح
طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب الخ ولا حاجة لما نقل عن القرطبي في الجواب عن ذلك من ان الكفار التي لا تفتح لها ابواب السماء
المشركون دون الكفار من اهل الكتاب فيجوز ان تكون تلك الاسودة ارواح كفار اهل الكتاب فهو مقتضى ان المراد بارواح
بنيه في الروايتين السابقتين الارواح التي خرجت من اجسادها قال صلى الله عليه وسلم ورايت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل
اي في ايديهم قطع من نار كالافهار اي الحجارة التي كل واحد منها ملء الكف يقذفونها في افواههم فتخرج من ادبارهم ثلث من هؤلاء
يا جبريل قال هؤلاء اكلة اموال اليتامى ظلما وهؤلاء لم يتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في الارض ناء ولعل المراد بالرجال
الاشخاص او خصوا بذلك لانهم اولياء الايتام غالبا قال صلى الله عليه وسلم ثم رايت رجالا لهم بطون لم ار مثلها قط وفي رواية
امثال البيوت زاد في رواية فيها حيات ترى من خارج البطون بسبيل اي طريق آل فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون
على النار لا يقدرون على ان يتحولوا من مكانهم ذلك اي فتطاهم ال فرعون الموصوفون بما ذكر المقتضي لشدة وطيهم لهم والمهيومة التي اصابها
الهيام وهو داء ياخذ الابل فتهيم في الارض ولا ترعى وفي كلام السهيلي الابل المهيومة العطاش والهيام شدة العطش اي وفي رواية
كلما نهض احدهم خر اي سقط قال قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اكلة الربا وتقدمت رؤيته لهم صلى الله عليه وسلم في الارض لا
بهذا الوصف بل ان الواحد منهم يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة اي ولا مانع من اجتماع الوصفين لهم اي يخرجون من ذلك النهر
ويلقون في طريق من ذكر وهكذا عذابهم قال صلى الله عليه وسلم ثم رايت رجالا بين ايديهم لحم سمين طيب الى جنبه لحم خبيث
منتن ياكلون من الغث اي الخبيث المنتن ويتركون السمين الطيب قال قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يتركون ما احل
لهم من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن اي وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم اي الرجال والنساء و[...]
بنحو هذا الوصف وفي رواية اي اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخرى عليها لحم منتن عليها ناس ياكلون قال يا جبريل
ما هذا قال هؤلاء الذين يتركون الحلال وياكلون الحرام اي من الاموال الاعم مما قبله اي وهؤلاء لم يتقدم رؤيته صلى الله
عليه وسلم لهم في الارض قال صلى الله عليه وسلم ثم رايت نساء معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اللاتي
ادخلن على الرجال ما ليس من اولادهم اي بسبب زناهن اي وهؤلاء لم يتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهن في الارض
والذي تقدم رؤيته لهن الزانيات لا بهذا القيد وهو ادخالهن على ازواجهن ما ليس من اولادهم على انه يجوز ان يكون
المراد مطلق الزانيات لان الزنا سبب في حصول ما ذكر غالبا ولا مانع من اجتماع الوصفين لهن قال ثم مضى هنيئة فاذا هو باقوام
تقطع اللحوم من جنوبهم فيلقمونه فيقال له كل واحد منهم كل كما كنت تاكل لحم اخيك قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون
من امتك اللمازون اي المغتابون للناس النمامون لهم اي ولم تتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم للمغتابين في الارض بغير
هذا الوصف اي وروي انه صلى الله عليه وسلم راى في هذه السماء النيل والفرات يطردان اي يجريان وعنصرهما اي اصلهما
وهو يخالف ما ياتي انه صلى الله عليه وسلم راى في اصل سدرة المنتهى اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران وان الظاهرين
النيل والفرات واجيب بانه يجوز ان يكون منبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما وهو المراد بعنصرهما الذي هو اصلهما في سماء
الدنيا اي بعد مرورهما في الجنة ومن سماء الدنيا نزلا الى الارض فقد جاء في تفسير قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه
في الارض انهما النيل والفرات نزلا من الجنة من اسفل درجة منها على جناح جبريل عليه السلام فاودعهما بطون الجبال
ثم ان الله سبحانه وتعالى سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع القران وذهاب الايمان وذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به
لقادرون ذكره السهيلي وفي زيادة الجامع الصغير ان النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يسيح لوجدتم فيه من ورقها
قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك

قال

قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه
على نبينا وعليهما السلام اي يشبه احدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا لي بخير وفي بعض
الروايات التي حكم عليها بالشذوذ انهما في السماء الثالثة وقد ذكرها الجلال السيوطي في اوايل الجامع الصغير وذكر
بعضهم انها رواية الشيخين عن انس والشذوذ لا ينافي الصحة المطلقة نعم قال شيخ الاسلام في شرح الفية العراقي عند قوله من
غير ما شذوذ خرج الشاذ وهو ما خالف فيه الراوي من هو ارجح منه ولا يرد عليه الشاذ الصحيح عند بعضهم لان التعريف للصحيح
المجمع على صحته لا مطلقا هذا الكلام وفي كلام السخاوي نقلا عن شيخه الحافظ بن حجر من تامل الصحيحين وجد فيهما امثلة من ذلك اي من
الصحيح الموصوف بالشذوذ اقول وكونهما ابنا الخالة اي ان ام كل خالة الاخر هو المشهور وعليه قول ابن السكيت يقال ابناء الخالة ولا يقال
ابناء عمة ويقال ابناء عم ولا يقال ابنا خال لكن في عيون المعارف للقضاعي ان يحيى انما هو ابن خالة مريم ام عيسى لا ابن خالة عيسى لان ام
يحيى اخت ام مريم وكذا في كلام ابن اسحق ان عمران وزكريا كلاهما من ذرية سليمان عليهم الصلوة والسلام وانهما تزوجا اختين فزوجة
زكريا ولدت يحيى قبل عيسى بستة اشهر ثم ولدت مريم عيسى وزوجة عمران ولدت مريم فام يحيى اخت ام مريم فعيسى ابن بنت خالة
يحيى وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم فاذا انا بابني الخالة على التجوز وكذا قول عيسى ليحيى يا ابن الخالة كما في تفسير القشيري
على التجوز ففيه حكي عن يحيى وعيسى عليهما الصلوة والسلام انهما خرجا يمشيان فصدم يحيى امراة فقال له عيسى يا ابن الخالة لقد اخطيت
اليوم خطيئة ما ارى الله عز وجل يغفرها لك قال وما هي قال امراة صدمتها قال والله ما شعرت بها قال عيسى سبحان الله بدنك
معي فاين قلبك قال معلق بالعرش ولو ان قلبي اطمان الى جبريل صلوات الله وسلامه عليه طرفة عين لظننت اني ما عرفت الله عز وجل
ووجه التجوز انه اطلق على بنت الاخت لفظ الاخت قال بعضهم وهو كثير شايع في كلامهم ثم رايت المولى ابا السعود ذكر ما يجمع بين
القولين وهو انه قيل ان ام يحيى اخت مريم من الام واخت ام مريم من الاب فلعلها [...] بناء على تحريم نكاح المحارم لان
ام مريم حينئذ بنت موطوءة ابيها لانها ربيبته الا ان يكون في شريعتهم جواز ذلك ثم رايت بعضهم ذكر ذلك حيث قال
لا يبعد ان عمران تزوج اولا ام حنة فولدت له ايشاع اي التي هي ام يحيى ثم تزوج حنة بعد ذلك التي هي ربيبته بنت
موطوءته فجاء منها مريم بناء على جواز ذلك في شريعتهم وعبارته تقدم ان نوحا عليه الصلوة والسلام بعث بتحريم
نكاح المحارم الا ان يقال المراد محارم النسب دون المصاهرة ولم يسم احد بيحيى قبل يحيى هذا الا يحيى بن خلاد الانصاري
حنكه به النبي صلى الله عليه وسلم يوم ولد فحنكه بتمرة وقال لاسمينه باسم لم يسم به بعد يحيى بن زكريا فسماه يحيى ومما يدل
على شرف سيدنا يحيى بن زكريا ما في الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته وموسى بتكليم الله تعالى اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبياء اي فدخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم
بها اي في الحديث ما من احد الا ويلقى الله عز وجل وقد هم بمعصية او عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها
ما في ذلك وقد ذكر ان والده زكريا لامه على كثرة العبادة والبكاء فقال له انت امرتني بذلك يا ابت الست انت القائل
ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله عز وجل فقال بلى فجد واجتهد وقد جاء في الحديث ان
يحيى هو الذي يذبح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة تكون في يده والناس ينظرون اليه اي فان الموت يكون
في صورة كبش املح يوقف بين الجنة والنار ويقال لاهلهما اتعرفون هذا فيقولون نعم هو الموت اي يلقي الله عز وجل
معرفته في قلوبهم وتجسم المعاني جاء به الحديث الصحيح على انه جاء في تفسير قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة لان الموت

في سورة كبش لا يمر على احد الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس لا تمر على شيء الا حيي وهو يدل على ان الموت جسم وان الميت يهلك
حلول الموت به وقيل الذي يذبح الموت جبريل عليه السلام وقيل ان في هذه السماء الثانية ادريس وهو قول شاذ وقيل يوسف وفيه
برواية ذكرها الجلال السيوطي في اوايل الجامع الصغير وذكر فيها ان ابني الخالة في السماء الثالثة كما تقدم وتقدم ان بعضهم
ذكر انها رواية الشيخين عن انس قال ابو حيان وعيسى لفظ اعجمي والظاهر انه مثله يحيى هذا كلامه وفي كلام غيره ان يحيى عربي
ومنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل في عيسى انه عربي مشتق من العيس وهو بياض يخالطه صفرة وعلى انه اعجمي قيل عبراني
وقيل سرياني ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قيل جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه الصلوة والسلام اي ومعه نفر من قومه واذا هو اعطي شطر الحسن اي وفي رواية
صورته صورة القمر ليلة البدر والمراد بشطر الحسن نصف الحسن الذي اعطيه الناس وفي الحديث اعطي يوسف ثلث حسن الدنيا
واعطي الناس الثلثين ويحتاج للجمع بينها وبين ما جاء في رواية قسم الله ليوسف من الحسن والجمال ثلثي حسن الخلق وقسم
بين ساير الخلق الثلث وعن وهب بن منبه الحسن عشرة اجزاء تسعة منها ليوسف وواحد بين الناس وفي كلام بعضهم
كان فضل يوسف في الحسن على الناس كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار في ازقة مصر يرى تلالا على الجدران كما
يرى تلالا نور الشمس وضوء القمر على الجدران والمراد بالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لان حسن نبينا صلى الله عليه وسلم
لم يشاركه فيه شيء منه كما اشار اليه صاحب البردة بقوله فجوهر الحسن فيه غير منقسم خلافا لابن المنير حيث ادعى ان يوسف اعطي
شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وتبعه على ذلك شارح تائية الامام السبكي وعبارته فاذا هو اي يوسف
عليه الصلوة والسلام اعطي شطر الحسن الذي اعطيه كله صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل ان يوسف ورث الحسن من
سارة التي هي امه وسارة اعطيت سدس الحسن وورثت ذلك من حوا اي وفي رواية في وصف يوسف عليه الصلوة
والسلام وانه احسن ما خلق الله تعالى فضل الناس والحسن كالقمر ليلة البدر على ساير الكواكب اي كفضل القمر ليلة البدر
على بقية الكواكب الليلة والمراد بخلق الله عز وجل وبالناس غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما علمت انه اعطي شطر الحسن الذي
لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ولان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه على ما فيه وقد جاء ان يوسف عليه الصلوة والسلام اعطي
نصف حسن ادم وفي رواية ثلث حسن ادم وقد جاء كان يوسف يشبه ادم يوم خلقه ربه عز وجل وفي الخصايص الصغرى
للسيوطي وخص بانه صلى الله عليه وسلم اوتي كل الحسن ولم يعط يوسف الا شطره فلينظر الجمع بين هذه الروايات على تقدير
صحتها وقد جاء ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا قال صلى الله
عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير وفي بعض الروايات ان في هذه السماء ابني الخالة يحيى وعيسى ثم عرج بنا الى السماء الرابعة
فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس
عليه الصلوة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير وفي رواية قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي رواية زيادة مرحبا بالابن
الصالح قال بعضهم وهو القياس لانه جده الاعلى لانه من ولد شيث بينه وبين شيث اربعة ابا ارسل بعد موت ادم بماية سنة
وهو اول من اعطي الرسالة من ولد ادم وهو يقتضي ان شيث لم يكن رسولا ونوح من ولده بينه وبينه اثنان فادريس في عمود نسبه
صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قوله بالاخ الصالح في تلك الرواية محمولا على التواضع مستدلا لمن تمسك بذلك على ان ادريس
ليس جد النوح ولا هو من ابا النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا اي حال حيوته لانه رفع الى السماء وهو
من معه بعد ان عرج منها فدار الارض كلها فعاد اليها ودعا الخلايق الى الله تعالى باثنين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم و
علمهم العلوم وهو اول من استخرج علم النجوم اي علم الحوادث التي تكون في الارض باقتران الكواكب قال الشيخ محيي الدين

بن العربي

بن العربي وهو علم صحيح لا يخطئ في نفسه وانما الناظر في ذلك هو الذي يخطئ لعدم استيفاء النظر وقد عبر عن ادريس عليه الصلوة و
السلام الخلايق بذلك لانه كان رسولا وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي لم يجيء مفرع في القرآن بنصا ان ادريس بل قيل فيه
صديقا نبيا واول شخص امتحن بها الى ان نوح عليه الصلوة والسلام ومن كان قبله انما كانوا انبياء كل واحد على شريعة من
ربه فمن شاء دخل معه في شرعه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا وقال ادريس عليه الصلوة والسلام حب الدنيا
والاخرة لا يجتمعان في قلب ابدا الناس اثنان طالب لا يجد وواجد لا يكتفي من ذكر عاد العصيحه هان عليه الدنيا خير الاخوان
من انبئ في ذنبك ومعرفة عند ربك فعد قبض روحه في هذه السماء الرابعة وصلت عليه الملائكة وقد قيل بها تصلي عليه
الملائكة كلما هبطت وحينئذ لا يقال من كان في السماء الخامسة والسادسة والسابعة ارفع منه على انه قيل لما مات
احياه الله تعالى وادخله الجنة وهو فيها الان اي يتقلب في احواله في الجنة فلا ينافي وجوده في السماء المذكورة في تلك الليلة
لان الجنة ارفع من السموات لانه فوق السماء السابعة ولا ما جاء في الحديث انه في السماء الرابعة هرون ثم عرج بنا
الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه فاذا
انا بهرون عليه الصلوة والسلام اي ونصف لحيته بيضا ونصف لحيته سودا تكاد تضرب الى سرته من طولها وحوله قوم من بني
اسرائيل وهو يقص عليهم فرحب بي ودعا لي بخير اي وفي رواية فقال يا جبريل من هذا قال هذا الرجل المحبب في قومه هرون بن عمران
اي لانه كان الين لهم من موسى عليهما الصلوة والسلام لان موسى عليه السلام كان فيه بعض الشدة عليهم ومن ثم كان له منهم بعض
الايذاء ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قيل جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى عليه الصلوة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير اي وفي رواية جعل يمر بالنبي والنبيين معهم
القوم والنبي والنبيين ليس معهم احد ثم مر بسواد عظيم فقال من هذا قيل موسى وقومه المناسب هذا قوم موسى كما لا يخفى
ولكن ارفع راسك فاذا هو بسواد عظيم قد سد الافق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل هولاء امتك وهولاء سبعون الفا
يدخلون الجنة بغير حساب اي منهم بدليل ما جاء في رواية قيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب
ولا عذاب هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة لان هذا الرجل كان منافقا
فلم يقل له صلى الله عليه وسلم لست منهم لانك منافق بل اجابه بما فيه الستر عليه والقول بان ذلك الرجل هو سعد بن عبادة
مردود وهذا تمثيل اي مثل له صلى الله عليه وسلم امته اي وامة موسى ايضا اذ يبعد وجودها حقيقة في السماء السادسة
وهذا السياق يدل على ان الذين مر بهم من النبي والنبيين والسواد العظيم فاذا موسى بن عمران رجل ادم طوال كانه من رجال
شنوءة كثير الشعر اي مع صلابته لو كان عليه قميصان لنفذ الشعر منهما اي وكان اذا غضب يخرج شعر راسه من قلنسوته
وربما اشتعلت قلنسوته نارا لشدة غضبه وفي كلام بعضهم كان اذا غضب خرج شعره من مدرعته كشكل النخل و
لشدة غضبه لما فر الحجر بثوبه صار ضربه حتى ضرب ست ضربات او سبع مع انه لا ادراك له ووجه بانه لما فر صار كالدابة
والدابة اذا جمحت بصاحبها يؤدبها بالضرب فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح ثم دعا له ولامته بخير وقال تزعم الناس اني اكرم على الله من هذا بل هذا اكرم على الله مني فلما جاوزه
بكى فقيل له ما يبكيك فقال ابكي لان غلاما بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخل الجنة من امتي اي بل ومن ساير الامم
فقد ذكر الجلال السيوطي في الخصايص الصغرى ان مما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم في امته في الاخرة ان اهل الجنة
من الامم مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون وساير الامم اربعون وجاء في المرفوع كل امة بعضها في الجنة
وبعضها في النار الا هذه الامة فانها كلها في الجنة وفي العرايس عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه لما كلم الله عز وجل

موسى عليه الصلوة والسلام كان بعد ذلك يسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ وفي
الحديث ليس احد يدخل الجنة الا جرد مرد الا موسى بن عمران فان لحيته الى سرته ثم عرج بنا الى السماء السابعة واسمها
عريبا واسم الارض السابعة جريبا وروى الخطيب باسناد صحيح ان وهب بن منبه قال من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة
كان له ثواب يملأ ما بين عريبا وجريبا فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال نعم قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابرهيم عليه الصلوة والسلام اي رجل اشمط وفي لفظ كهل وكانه ايما في غير تلك
ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في صفته انا اشبه بها بجكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا جالس
عند باب الجنة اي في جهتها كما تقدم وان الجنة فوق السماء السابعة على كرسي مسند ظهره الى البيت المعمور وهو من حيثق
ويقال له الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء وفي آخره حاء مهملة من ضرح اذا بعد ويقال له الضريح اي وفي كلام
الحافظ ابن حجر يقال له الضراح والضريح وجاء انه مسجد بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها اي هو في تلك السماء في محل محاذاة الكعبة
اي وقيل في السماء الرابعة وبه جزم في القاموس وقيل في السادسة وقيل في الاولى ونقدم ان في كل سماء بيتا
معمورا وان كل بيت منها بحيال الكعبة واذا هو يدخله كل يوم الف ملك لا يعودون اليه اقول ... عن بعضهم ان
البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك وفي رواية سبعون وجها كل وجه سبعون الف ملك والوجه
الرئيس ولعله صلى الله عليه وسلم علم ذلك باعلام جبريل عليه السلام والا فرؤيته صلى الله عليه وسلم له في تلك
الليلة لا تقتضي ذلك ثم رايت الشيخ عبد الوهاب الشعراني اشار الى ذلك حيث قال وسمي له البيت المعمور فنظر اليه
ودخله وصلى فيه ركعتين وعرفه جبريل عليه الصلوة والسلام انه يدخله كل يوم سبعون الف ملك من الباب الواحد
ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها والظاهر ان دخول هؤلاء
الملائكة خاص بالذي في السماء السابعة وقال السهيلي وقد ثبت في الصحيح ان اطفال المؤمنين والكافرين في كفالة
ابرهيم عليه الصلوة والسلام وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين رآهم مع ابرهيم عليه الصلوة والسلام
من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا قال له واولاد الكافرين خرجه البخاري في الحديث
الطويل في كتاب الجنائز وخرجه في موضع آخر فقال فيه اولاد الناس وقد روي في اطفال الكافرين ايضا انهم خدم
لاهل الجنة هذا كلامه وجاء في حديث مرفوع لكن سنده ضعيف ان في السماء الرابعة نهرا يقال له الحيوان يدخله
جبريل كل يوم اي سحرا كما في بعض الروايات فينغمس ثم يخرج فينتفض فيخرج عنه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة
ملكا وفي لفظ يخلق الله عز وجل من كل قطرة كذا وكذا الف ملك يؤمرون ان ياتوا البيت المعمور فيصلون فيه ثم البيتين فيصلون
في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه ابدا يولي عليهم احدهم يؤمر ان يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله عز وجل الى ان تقوم الساعة
وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان جبريل عليه السلام اخبره بذلك في تلك الليلة والله اعلم وفي رواية واذا انا بامتي
شطرين شطر عليهم ثياب بيض كانها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمدة فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب
البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت انا ومن معي في البيت المعمور والظاهر ان ليس المراد بالشطر
النصف التي تكون العصاة من امته بقدر الطائعين منهم وان الصلوة محتملة للدعاء ولذات الركوع والسجود ويناسب
ما تقدم من قوله ركعتين وان ابرهيم عليه الصلوة والسلام قال له يا بني انك لاق ربك الليلة وان امتك
اخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك في امتك فافعل وفي السيرة الهشامية ان سيدنا ابرهيم عليه
الصلوة والسلام قال له صلى الله عليه وسلم ذلك في الارض قبل وصوله بيت المقدس حيث قال له هنا امتك

فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وارضها واسعة فقال له وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية
اقرئ امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وقد يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز ان يكون غراس الجنة مجموع ما ذكر وان بعض
الرواة اقتصر قال صلى الله عليه وسلم واستقبلتني جارية لعساء وقد اعجبتني فقلت لها يا جارية انت لمن قالت لزيد بن
حارثة اي ولعل تلك الجارية خرجت من الجنة فيكون استقبالها له صلى الله عليه وسلم بعد مجاوزة السماء السابعة
لكن في رواية فرايت فيها اي الجنة جارية الحديث وقد يقال يجوز ان يكون رآها من خارج الجنة وداخلها ويكون
سؤالها في المرة الاولى واللعس لون الشفة اذا كانت تقرب الى السواد قليلا وذلك مستملح قاله في الصحاح وفي رواية فلما
انتهى الى السماء السابعة راى فوقه رعدا وبرقا وصواعق اي وهذه الرواية ظاهرة في انه صلى الله عليه وسلم راى ذلك في
السماء السابعة فعلمه الا ان يكون راه قبل دخولها وحينئذ يكون قوله ثم اتيت بانا من خمر واناء من لبن واناء من عسل على
الاحتمالين المذكورين وعند عرض تلك الاواني عليه صلى الله عليه وسلم اخذ اللبن فقال جبريل عليه السلام اصبت
اي باخذ اللبن الذي هو الفطرة اصاب الله عز وجل بك امتك على الفطرة اي اوجدهم على الفطرة ببركتك وفي رواية
هذه الفطرة التي انت عليها وامتك اي وتقدم ان المراد بها الاسلام وورد ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام في
السماء السادسة وموسى في السماء السابعة وهذه الرواية في البخاري عن انس وتقدم ان ذلك كان في الاسرى بروحه
صلى الله عليه وسلم لا بجسده وفيه ان رؤيا الانبياء حق فالاولى الجمع بين الروايات بالانتقال وان بعض الانبياء
تنزل من علاه الى ما تحته لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند صعوده وبعضهم خرج عن محله وصعد الى ما فوقه لملاقاته صلى الله عليه
وسلم عند هبوطه فاخبر عنه صلى الله عليه وسلم تارة بانه في سماء كذا وتارة بانه في سماء كذا والحافظ ابن حجر لا يرى الجمع بل
يحكم على ما خالف الصحيح من الروايات بانه لا يعول به قال والجمع انما هو مجرد استرواح لا ينبغي المصير اليه هذا كلامه وعندي فيه
نظر ظاهر والجمع اولى من اثبات المعارضة لا سيما بين الاصح والصحيح وان كان الصحيح شاذا لانا لا نقدم الاصح او
الصحيح على غيره الا حيث تعذر الجمع فليتامل وعلى المشهور من الروايات الذي مشينا به ابدى بعضهم الاختصاص هؤلاء
الانبياء بملاقاته صلى الله عليه وسلم واختصاص كل واحد منهم بالسماء التي لقيه فيها حكمة يطول ذكرها قال صلى الله عليه و
سلم ثم ذهب بي جبريل عليه السلام الى سدرة المنتهى واذا اوراقها كآذان الفيلة اي وفي رواية مثل آذان الفيول
وفي رواية الوان الورقة منها تظل الخلق وفي رواية تكاد الورقة تغطي هذه الامة وفي رواية الوان الورقة الواحدة
ظهرت لعظمة هذه اللفظة ويكون المراد بكونها كآذان الفيلة في الشكل وهو الاستدارة لا في السعة واذا ثمرها
كالقلال وفي رواية كقلال هجر قرية بقرب المدينة والواحدة من تلالها تسع قربتين وينسب من قرب الحجاز و
القرية تسع من الماء مائة رطل بغدادي فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت اي صار لها حالة من الحسن غير
تلك الحالة التي كانت عليها فما احد من خلق الله عز وجل يستطيع ان ينعتها من حسنها اي لان رؤية الحسن تدهش
الرأي وهذا السياق يدل على ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة وهو قول الاكثر وفي بعض الروايات ان
اغصانها تحت الكرسي وعن وهب بن منبه ان العرش والكرسي فوق السماء السابعة قال وينبغي ان يكون سدرة
المنتهى كالشاد والماكول له في انه يذبل ويعقبه غيره وهذا الذابل يوكل او يسقط اي فلا يوكل انتهى قال صلى الله
عليه وسلم ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اي باء مهملة قباب اللؤلؤ وفي لفظ حبايل اللؤلؤ اي العقود والقلائد
واذا ترابها المسك فيعما تقال للكلاء وطيرها كالبخت فدخوله صلى الله عليه وسلم الجنة كان قبل ان يعرج في السحابة

وفي الحديث ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظلة والذي نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من
الجنة فتصل الى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرا منها وهذا القسم يرشد الى ان ثمرة الجنة كلها حلوة تؤكل وانها تكون
على صورة ثمرة الدنيا المرة وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة اي تؤكل من غير قطع
اي يؤكل منها فالاكل موجود والعين باقية في غصن الشجرة وليس المراد ان الفاكهة غير مقطوعة في شتاء ولا صيف
او يخلق مكان قطعها اخرى على العود كما زعم بعضهم فعين ما ياكل العبد هو عين ما يشهد وما قال في ذلك كان لم يقف على هذا
الحديث او لم يثبت عنده فليتامل قال ويخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران باطنان اي يبطنان ويغيبان في الجنة
بعد خروجهما من اصل تلك الشجرة ونهران ظاهران اي يستمران ظاهرين بعد خروجهما من اصل تلك الشجرة فيجاوزان الجنة فقال
ما هذه الانهار يا جبريل قال اما الباطنان ففي الجنة اي يبطنان ويغيبان في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات انتهى
اقول قول جبريل عليه السلام اما الباطنان ففي الجنة لا يحسن ان يكون جوابا عن هذا السؤال اي الذي هو سؤال
عن بيان الحقيقة واما الباطنان فنهر كذا ونهر كذا وهذا السياق يدل على ان النيل والفرات يمران في الجنة ويجاوزانها
وان ما عداهما السيحان وجيحان بناء على انهما ينبعان من اصل شجرة المنتهى يغيبان فيها ولا يجاوزانها والنيل نهر مصر
والفرات نهر الكوفة ويحتمل ان النهرين الذين هما ما عدا النيل والفرات بناء على انهما سيحان وجيحان يبطنان في الجنة ولا
يظهران الا بعد خروجهما منها لوجودهما في الخارج بخلاف النيل والفرات فانهما يستمران ظاهرين فيها الى ان يخرجا منها
وقد جاء في حديث ما من يوم الا وينزل فيه من الجنة في الفرات ومصداقه ان الفرات قال بعضهم ومصداقه ان الفرات
مد في بعض السنين فوجد فيه رمان كل واحدة مثل البعير فيقال انه رمان الجنة وهذا الحديث ذكره بن الجوزي في
الاحاديث الواهيات وفي حديث موقوف على ابن عباس اذا حان خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل عليه السلام
فرفع من الارض هذه الانهار والقران والعلم والحجر والمقام وتابوت موسى بما فيه الى السماء هذا وفي بعض الروايات
ما يدل على ان سيحان وجيحان لا ينبعان من اصل شجرة المنتهى فليسا هما المراد بالباطنين وعن مقاتل الباطنان السلسبيل
والكوثر اي ومعنى كونهما باطنين انهما لم يخرجا منها وفي السيرة الشامية لم يثبت في سيحان وجيحان انهما ينبعان من اصل
شجرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك واما الباطنان المذكوران اي في الحديث فهما غير سيحان وجيحان قال
القرطبي ولعل ترك ذكرهما اي سيحان وجيحان في حديث الاسراء كونهما اصلا براسهما وانما يحتمل ان يتفرعا عن النيل
والفرات هذا كلامه ولعل المراد انهما يتفرعان عنهما بعد خروجهما من الجنة فيما لم يخرجا من اصل السدرة ولا يبطنان في
الجنة اصلا قال وانا فيها في تلك الشجرة عين اي في اصلها ايضا يقال لها السلسبيل فيتشق منها نهران احدهما الكوثر والاخر
يقال له نهر الرحمة فاغتسلت منه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر انتهى فهما يخرجان من اصل سدرة المنتهى لكن لا من
المحل الذي يخرج منه النيل والفرات وحينئذ يحسن القول بانه يخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران ظاهران
ونهران باطنان وفي جعل الكوثر قسما من السلسبيل مخالفة لجعله قسيما له كما تقدم عن مقاتل فالباطنان الكوثر ونهر الرحمة
فالانهار التي تخرج من اصل سدرة المنتهى اربعة بناء على ان سيحان وجيحان لا يخرجان منها او ستة بناء على انهما يخرجان
منها وعلى الاول لا ينافي قول القرطبي ما في الجنة نهر الا ويخرج من اصل سدرة المنتهى لان المراد اما خروجه بنفسه او
اصله الذي يتفرع منه بناء على ما تقدم من ان سيحان وجيحان يتفرعان عن النيل والفرات ولا ينافي ما عند مسلم يخرج من
اصلها يعني سدرة المنتهى اربعة انهار من الجنة وهي النيل والفرات وسيحان وجيحان ولا ما جاء عند الطبراني سدرة المنتهى
يخرج من اصلها اربعة انهار من ماء غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى وعن كعب الاحبار

ان نهر

ان نهر العسل نهر النيل اي ويدل لذلك قول بعضهم ولا دخول نهر النيل في البحر الملح الذي يقال له البحر الاخضر قبل ان يصل الى بحيرة الزنج
ويختلط بملوحته لما قدر احد على شربه لشدة حلاوته ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان لان غاية
ذلك سكوتهما عن النهرين الاخرين وهما الكوثر ونهر الرحمة ومعنى كونها تخرج من اصل سدرة المنتهى من الجنة انه يحتمل ان
تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من اصلها فيصح انها تخرج من الجنة هكذا ذكر العارف بن
ابي جمرة ولم اقف على ما يدل على ثبوت هذا الاحتمال اي ان سدرة المنتهى مغروسة في الجنة ولا حاجة لهذا الاحتمال
في تصحيح هذه الرواية لان المعنى ان تلك الانهار تخرج من اصل تلك الشجرة ثم تكون خارجة من الجنة ثم لا يخفى ان
في كلام القاضي عياض ان سيحان يقال فيه سيحون وجيحان يقال فيه جيحون وتبعه في ذلك صاحب النهاية اتفقوا كلهم على ان
جيحون غير جيحان وسيحون غير سيحان ومن ثم انكر الامام النووي على القاضي عياض حيث قال الثاني ان من وجوه الانكار
على القاضي قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الاسماء مترادفة وليس كذلك فسيحان وجيحان غير سيحون
وجيحون هكذا كلامه وذكر صاحب النهاية ان جيحون نهر وراء خراسان عند بلخ وسكت عن بيان سيحون فليتامل قال
والذي غشي الشجرة فراش من ذهب والفراش هو الحيوان الذي يلقي نفسه في السراج ويحترق وملائكة على كل ورقة
ملك يسبح الله تعالى وملائكة اي حزون يغشونها كانهم الغربان ياوون اليها يتشوقون اليها متبركين بها زائرين كما
يزور الناس الكعبة انتهى وراى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عند تلك السدرة على الصورة التي خلقه
الله عز وجل عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يتناثر من اجنحته التهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه
الا الله عز وجل وغشيت تلك السدرة سحابة فتأخر جبريل عليه السلام ثم عرج به صلى الله عليه وسلم اي في تلك السحابة حتى
ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام وفي رواية صريف اي صوت حركتها حال الكتابة اي ما تكتبه الملائكة من الاقضية
وهذا السياق يدل على ان جبريل عليه السلام لم يتعد سدرة المنتهى فوق السماء السابعة الى اخر ما تقدم وهو الموافق
لقول بعضهم انها على يمين العرش وفي رواية ثم انطلق بي جبريل الى ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام
الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير اخضر انعم طير رايت قال جبريل عليه السلام هذا نهر الكوثر الذي اعطاك الله فاذا
فيه انية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرذ بالذال المعجمة كما تقدم وماؤه اشد بياضا من اللبن فاخذت من
انيته واغترفت من ذلك فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد رائحة من المسك اقول قد تقدم ان هذا النهر من العين
التي تخرج من سدرة المنتهى التي يقال لها السلسبيل اي فهو يخرج من تلك الشجرة ويمر على ما ذكر ثم يدخل الجنة ويستقر بها
فلا ينافي كون الكوثر نهرا في الجنة والسلسبيل عين في الجنة لان السلسبيل على ما تقدم اصل الكوثر والله اعلم وفي رواية
انها اي سدرة المنتهى في السماء السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها
فيقبض منها وعندها تقف الحفظة وغيرهم فلا يتعدونها ومن ثم سميت سدرة المنتهى وعن تفسير بن سلام عن بعض السلف
قال انما سميت سدرة المنتهى لان ارواح المؤمنين ينتهى بها اليها فيصلي عليها هناك الملائكة المقربون وجمع الحافظ بن
حجر بين كون سدرة المنتهى في السماء السادسة وكونها في السابعة بان اصلها في السادسة واغصانها في السابعة اي
فوق السابعة اي جاوزت السابعة فلا ينافي القول بانها فوق السابعة على ما تقدم وهذا الحمل المقتضي لكون اصلها في
السادسة لا يناسب كون الانهار تخرج من اصلها الى اخر ما تقدم ويعرف ان جبريل لما وصل الى مقامه وهو سدرة المنتهى
فوق السماء السابعة قال له صلى الله عليه وسلم ها انت وربك هذا مقامي اي لا اتعداه فزج بي في النور اي ما غشيه
تلك السحابة ويعبر عن تلك السحابة بالرفرف قال الشيخ عبد الوهاب وهو نظير المحفة عندنا وفي تاريخ الشيخ العيني

ثم اخرج البخاري عن مقاتل بن حيان قال انطلق بي جبريل حتى انتهى الى الحجاب الاكبر عند سدرة المنتهى قال جبريل تقدم يا محمد
قال فتقدمت حتى انتهيت الى سرير من ذهب عليه فراش من حرير الجنة فنادى جبريل عليه السلام من خلفي يا محمد ان الله يثني
عليك فاسمع واطع ولا يهولنك كلامه فبدات بالثناء على الله عز وجل التحيات الى اخره وفي ذلك النور المستوى الذي يسمع فيه
صريف الاقلام ثم العرش والوقوف وسماع الخطاب بغير واسطة لما وقف جبريل عليه السلام قال له صلى الله عليه وسلم وفي مثل هذا المقام
يترك الخليل خليله قال ان تجاوزت احترقت بالنار فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك قال يا
محمد سل الله عز وجل لي ان ابسط جناحي على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال ثم زج بي النور فخرق بي الى سبعين الف حجاب ليس
فيها حجاب يشبه حجابا غلظ كل حجاب خمسمائة عام وانقطع عني حس كل ملك فلحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة
ابي بكر رضي الله تعالى عنه قف ان ربك يصلي فبينا انا اتفكر في ذلك اي في وجود ابي بكر في هذا المحل وفي صلوة ربي فاقول هل
سبقني ابو بكر وكيف يصلي ربي وهو غني عن ان يصلي كما يدل على ذلك ما ياتي فاذا النداء من العلي الاعلى ادن يا خير البرية
ادن يا احمد ادن يا محمد فادناني ربي حتى كنت كما قال عز وجل ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وفي الخصائص الصغرى نزل
على ان فاعل دنى فتدلى واحد كانه هو صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون معنى تدلى نادى في القرب وجعل بعض العلماء
من جملة ما خالف شريك فيه المشهور من الروايات انه جعل فاعل دنى فتدلى الحق سبحانه وتعالى اي دنى الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان من محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين او ادنى ثم رايت الحافظ بن حجر ذكر عن البيهقي انه روى بسند
حسن ما يوافق ما ذكر شريك ومعلوم ان معنى الدنو والتدلي الواقعين من الله سبحانه وتعالى كمعنى النزول المشار في ينزل
ربنا تبارك وتعالى الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير وهو اي ذلك عند اهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى
انه تعالى يتلطف بعباده ويتنزل في خطابهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على انفسهم فهو في حقهم حقيقة وفي حقه تعالى مجاز ثم
رايت بعضهم ذكر ان فاعل دنى جبريل حقا على تدلي محمد صلى الله عليه وسلم اي سجد له ربه سبحانه وتعالى شكرا على ما اعطاه
من الزلفى ورايت بعضا اخر ذكر ان فاعل تدلى الرفرف وفاعل دنى محمد صلى الله عليه وسلم اي تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم
حتى جلس عليه ثم دنى محمد من ربه سبحانه اي قرب قرب منزلة وتشريف لا قرب مكان لان الله تعالى عز وجل عن ذلك قال صلى الله
عليه وسلم وسالني ربي فلم استطع ان اجيبه فوضع يده عز وجل بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد اي يد قدرته تعالى
لانه سبحانه منزه عن الجارحة فوجدت بردها فاورثني علم الاولين والاخرين وعلمني علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه اذ علم
انه لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم امرني بتبليغه الى العام والخاص من امتي وهم الانس والجن اي وكذلك
الملائكة على ما تقدم اقول هذا التفصيل يدل على ان العلوم الشتى هي هذه العلوم الثلاثة الا ان يقال كل علم من
هذه الثلاثة يشتمل على انواع من العلوم والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش سمعت مناديا
ينادي بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي قف ان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني ابو بكر الى هذا المقام وان ربي
لغني ان يصلي فقال تعالى انا الغني عن ان اصلي لاحد وانما اقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي
يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك واما امر
صاحبك يا محمد فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي
وشغل بذكر العصا عن عظم الهيبة وكذلك يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر خلقنا ملكا على صورته ينادي
بلغته ليزول عنك الاستيحاش لما لحقك من عظم الهيبة اقول لعل المراد خلقنا صورة على صورة صوته لانه ليس في
الرواية انه خلق ذلك الملك على صورة ابي بكر وانما سمع صوته والله اعلم ثم قال الله عز وجل واين حاجة جبريل فقلت اللهم

انك

انك اعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سال ولكن فيمن احبك وصحبك اقول لعل المراد بمن صحبك من كان تابعا لك في دينك عاملا
بسنتك اي وهو مراد جبريل بامتك صلى الله عليه وسلم في قوله ان ابسط جناحي لامتك على الصراط والله اعلم وروي انه صلى الله عليه
وسلم لما راى الحق سبحانه وتعالى خر ساجدا قال صلى الله عليه وسلم فاوحى الله عز وجل الي ما اوحى وقد ذكر الثعلبي والقشيري
في تفسير قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك
واوحى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل وفرض علي خمسين صلوة في كل
يوم وليلة اقول تقدم ان من جملة ما اوحي اليه في هذا الموطن من القران خواتيم سورة البقرة وبعض سورة الضحى و
بعض الم نشرح وقد تقدم ذلك عند الكلام على انواع الوحي وقدمناه انه يعتم لذلك هو الذي يصلي عليكم وملائكته
الاية على ما تقدم هذا وفي حديث رواته ثقات لما وصلت الى السماء السابعة قال لي جبريل رويدا اي قف قليلا فان
ربك يصلي قلت اهو يصلي وفي لفظ كيف يصلي وفي لفظ اخر قلت يا جبريل ايصلي ربك قال نعم قلت وما يقول قال يقول
سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي ولا مانع من تكرر وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم من كونه
عز وجل يصلي في المرة الثانية وما بعدها وورد ان بني اسرائيل سالوا موسى هل يصلي ربك فبكى موسى عليه الصلوة و
السلام لذلك فقال الله تعالى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا الذي سمعت قال اخبرهم اني اصلي وان صلاتي تطفئ غضبي
والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم فنزلت الى موسى اي وفي رواية ثم انجلت تلك السحابة اي وعندها وصوله الى سدرة المنتهى
التي هي المحل الذي وقف عنده جبريل فاخذ بيده جبريل فانصرف سريعا فاتى على ابرهيم عليه السلام فلم يقل شيئا ثم اتى
على موسى وهذا يدل على ما هو المشهور في الروايات ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام كان في السادسة وموسى كان في
السابعة كما تقدم ولما اتى الى موسى عليه الصلوة والسلام قال له ما فرض ربك عليك اي وفي لفظ بم امرت قال خمسين
صلوة فقال ارجع الى ربك فسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني بلوت بني اسرائيل وخبرتهم اي وفي البخاري
ان امتك لا تستطيع خمسين صلوة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة اي
فانه فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وقيل فرض ركعتان عند الزوال اي فما قاموا
بذلك وفي تفسير البيضاوي ان الله فرض على بني اسرائيل خمسين صلوة في اليوم والليلة وسياتي ذكر ذلك في بعض
الروايات ويرده قولهم ان سبب طلب التخفيف انما استكثر الخمسين التي هي المرة الاخيرة فهو انما يناسب ما تقدم ثم رايت
القاضي البيضاوي قال في تفسير قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ان من ذلك الامر الذي كلف
به بنو اسرائيل خمسون صلوة في اليوم والليلة وكتب عليه الجلال السيوطي في الحاشية ان كون بني اسرائيل كلفوا بخمسين
صلوة في اليوم والليلة ما لجله وبسط الكلام على ذلك ثم قال له موسى فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك اي وانما
كانت امته مامورة بما امر به ويفرض عليها ما فرض عليه لان الفرض عليه صلى الله عليه وسلم فرض على امته والامر له
صلى الله عليه وسلم امر لها الا ان الاصل انما ثبت في حق بني اسرائيل ثبت في حق امته الا ان يقوم الدليل على الخصوصية
قال فرجعت الى ربي او انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك واساله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تبارك وتعالى
وبين موسى عليه الصلوة والسلام حتى قال الله تعالى يا محمد انهن خمس صلوات في كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فذلك خمسون
صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا وان هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فان
عملها كتبت سيئة واحدة قال صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاساله

التخفيف فقلت قد رجعت الى ربك حتى استحييت منه اى وفى رواية انه وضع عشرا عشرا صلوات الى ان امر بخمس صلوات وجاء فى الحديث
اكثر من الصلوة على فما رايت احدا من الانبياء احوط على امته منه اقول وفى رواية وضعت خمس صلوات من افراد مسلم
وفى رواية وضعت عشر صلوات اصح لانه قد اتفق البخارى ومسلم عليها والرواية التى حوط فيها خمسا خمسا غلط من الرواة هذا
كلامه فليتامل فالمتبادر من قوله الى ان امر بخمس صلوات انه رفع التعلق بجميع الخمسين واثبت تعلقا جديدا بخمس ليست من
الخمسين فالمنسوخ جميع الخمسين ويحتمل انه رفع التعلق بجملة الخمسين مع اثبات التعلق بخمسة منها التى هى بعضها فيكون
المنسوخ ما عدا الخمس من الخمسين فليتدبر فى هذا ووقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق اهل السنة والمعتزلة على منع وروده بان هذا
واقع بعد البلاغ بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك ثم نسخ نعم قال شيخ الاسلام زكريا الانصارى رحمه
الله وما قيل ان المنسوخ ليلة الاسرى ناسخه للخمسين انما هو فى حقه صلى الله عليه وسلم لبلوغه له لا فى حق امته لعدم بلوغه
لهم هذا كلامه ولو انسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم نسخ فى حق امته كما هو الاصل الا ان تثبت الخصوصية بدليل صحيح وهذا
يرد ما فى الخصائص الصغرى للسيوطى رحمه الله من ان وجوب الخمسين لم ينسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم وانما نسخ فى حق الامة
ولعل مستنده فى ذلك رواية فرض الله على امتى ليلة الاسرى خمسين صلوة فلم ازل اراجعه واساله التخفيف حتى جعلها خمسا
فى كل يوم وليلة اى على الامة كما هو المتبادر وقول موسى عليه الصلوة والسلام ان امتك لا تطيق ذلك ربما يوافق ذلك قول
الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله وقد كان رب العالمين مطالبا بخمسين فرضا كل يوم وليلة فما بعثت امواجكم
ما احمل ذرة وخففت الخمسون عنا بخمسة وغير النسخ قبل التمكن من الفعل وهو يؤيد قول المعتزلة القائلين بانه لا يجوز النسخ
قبل التمكن من الفعل بعد دخول وقته والظاهر ان الخمسين التى فرضت اولا ان كل صلوة من الخمس تكرر عشر مرات فما زاد على الخمس
مساولها ويحتمل ان تكون صلوات اخر مغايرة لتلك الخمس ولم اقف على بيان تلك الصلوات وعلى ان الخمسين لم تنسخ فى حقه صلى
الله عليه وسلم لم اقف على ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلاها ولا على كيفية صلوته صلى الله عليه وسلم لها والى
عروجه صلى الله عليه وسلم ورجوعه والى ذلك اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله وطوى الارض سائرا والسـ
ـموات العلى فوقها له اسراء فصف الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء وترقى به الى قاب قوسين
وتلك السيادة القعساء رتب تسقط الامانى حسرى دونها ما وراءهن وراء فتلقى من ربه كلمات كل علم فى شمسهن
هباء اذا حوات البحار يغرق فى قطرتها العالمون والحكماء اى وطوى الارض حال كونه صلى الله عليه وسلم سائرا عليها
الى المدينة عند الهجرة كما طويت له صلى الله عليه وسلم قبل ذلك السموات العلى لما كان له فوقها اسرا اى ليلة الاسرى الى ان
جاوزها جميعا فاسرع وقت فصف تلك الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء استقرار وصعد به ذلك البراق الى
مقدار قاب قوسين وتلك الرتبة التى وصل اليها صلى الله عليه وسلم هى السيادة الثابتة التى لا يعتريها نقص ولا زوال و
هذه رتب تسقط دونها الامانى حسرى ذات اعياء وتعب ما قدامهن قدام اى ليس بعدها من رتبة ينالها احد غيره صلى الله
عليه وسلم وتلقى من ربه كلمات ما عداها بالنسبة اليها كالهباء وهو ما يرى فى ضوء الشمس كيف سبحانه وتعالى اليه
علوما لا يدرك العلماء والحكماء شذرة منها وكونه صلى الله عليه وسلم صعد السموات على البراق يوافق ما فى حيوة الحيوان
ان قيل لم عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء على البراق ولم ينزل عنه ... عليه الجواب انه عرج به الى دار
الكرامة ولم ينزل له به عليها اظهارا لقدرة الله تعالى هذا كلامه فليتامل وتقدم عن الحافظ ابن حجر انكار صعوده صلى الله
عليه وسلم على البراق وتقدم ان موسى اشدهم على حين مررت عليه وخيرهم لى حين رجعت عنهم الصاحب كان كالمه
اى فانه صلى الله عليه وسلم لما جاوزه عند الصعود بكى فنودى ما يبكيك قال رب هذا هو المناسب للمقام بعثته بعدى

يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخل من امتى وفى رواية تزعم بنو اسرائيل اى وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلوة والسلام ومعنى
اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله وفى لفظ تزعم الناس انى اكرم على الله منى ولو كان هذا وحده هان ولكن معه
امته وهو افضل الامم عند الله تعالى اى انضم الى شرف امته على سائر الامم اقول والغرض من هذا وما تقدم
عن عدم مروره صلى الله عليه وسلم على قبره عليه الصلوة والسلام عند الكثيب الاحمر اظهار فضيلة نبينا صلى الله
عليه وسلم وفضيلة امته بانه افضل الانبياء وامته افضل الامم وفى رواية عن ابن عمر كانت الصلوة خمسين
والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل البول من الثوب سبع مرات ولم يزل صلى الله عليه وسلم يسال حتى جعلت
الصلوة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل البول من الثوب مرة قال وعن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت ليلة اسرى بى مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل عليه السلام
ما بال القرض افضل من الصدقة قال لان السائل يسال وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى هذا والراجح عند
ائمتنا ان درهم الصدقة افضل من درهم القرض وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر ان درهم
القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء فى بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة فجملة عشرين ودرهم القرض يرجع
للمقرض بدله وهو بدرهمين من عشرين فتخلف ثمانية عشر وعرضت عليه صلى الله عليه وسلم النار فاذا فيها غضب الله تعالى اى نقمته
لو طرحت الحجارة فيها والحديد لاكلتها وفى هذه الرواية زيادة على ما تقدم وهى فاذا قوم ياكلون الجيف فقال صلى الله عليه وسلم
من هؤلاء فى الارض فانهم الفقراء من حديد يحشون حجرهم ويصدقونهم اقوام فى السماء الدنيا وانهم يقطعون اللحم من جنوبهم
فيلقمونه ولينظر ما الحكمة فى تكرر رؤية هؤلاء دون غيرهم من بقية اهل الكبائر الذين رآهم فى الارض وفى السماء الدنيا
ولعل الحكمة فى ذلك المبالغة فى الزجر عن الغيبة لكثرة وقوعها وراى فيها رجلا احمر ازرق فقال من هذا يا جبريل فقال هذا عاقر
الناقة اى ولعل دخول الجنة وعرض النار عليه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان تغشاه السحابة ويزج به فى النور ولا مانع من
عرض عليه النار وهو فوق السماء السابعة وهى فى الارض السابعة اقول ونقل القرطبى فى تفسيره عن الثعلبى عن انس
بن مالك رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى بى الى السماء رايت تحت العرش سبعين مدينة
كل مدينة مثل دنياكم هذه سبعين مرة مملوة من الملائكة يسبحون الله عز وجل ويقدسونه ويقولون فى تسبيحهم اللهم اغفر لمن
شهد الجمعة اى صلاها اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة اى لصلاتها فهذا يفيد ان هذه التسمية اى تسمية ذلك اليوم
بيوم الجمعة معروفة عند الملائكة وعنده صلى الله عليه وسلم وهو يوافق ما قيل ان المسمى لها بذلك كعب بن لوى كما تقدم و
يخالف ما ياتى من ان تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة هداية من الله عز وجل للمسلمين بالمدينة وانه لما ارسل لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يصلوها فى ذلك اليوم لم يسمه يوم الجمعة بل اقتصر على قوله اليوم الذى يليه اليوم الذى يحضر
فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وابناءكم فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة بل اكثر الروايات
يجوز ان يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك هنا فى قصة المعراج كان بعد التسمية وصلوة الجمعة وعبر بهذه العبارة لكونها
عرفت لهم فيكون الذى سمعه من الملائكة يوم العروبة مثلا والله اعلم وقال له اى صلى الله عليه وسلم مالكا خازن النار فاذا هو
رجل عابس يعرف الغضب فى وجهه فبدا النبى صلى الله عليه وسلم اى بالسلام ثم اغلقت دونه انتهى وفى الاصل عن حديث
ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقد رايتنى اى ابصرتنى صلى الله عليه وسلم راى نفسه فى جماعة من الانبياء فحانت الصلوة
اى حضرت ارادة الصلوة فاممتهم اى صليت بهم اماما قال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فبدانى بالسلام قال
وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ما لى لم ات اهل سماء الا رحبوا بى وضحكوا الا غيرا واحدا سلمت عليه

فرد السلام ورحب بي ودعا لي ولم يضحك الي فقال ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك اليك انتهى
اقول وهذا السياق يدل على ان ضحك من لقيه من الانبياء والملائكة في السموات له صلى الله عليه وسلم سقط من جميع
روايات المعراج اذ لم يذكر في شيء منها على ما علمت ويدل على ان مالكا خازن النار وجده في السماء السابعة وانه بدا النبي صلى
الله عليه وسلم بالسلام ومرة بدا النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام والمناسب ان يكون في المرة الاولى هو الذي بدا النبي صلى الله
عليه وسلم بالسلام وهو عند الباب ثم رايت الطيبي صرح بذلك حيث قال انما بدا خازن النار بالسلام عليه ليزيل ما استشعر من
الخوف منه لما ذكر من انه راى رجلا عابسا يعرف الغضب في وجهه فلا ينافيه ما ذكره السهيلي من انه صلى الله عليه وسلم لم يره
على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الاخرة ولو راه عليها لم يستطع ان ينظر اليه وقوله صلى الله عليه وسلم لو ان سما
اخ مذ يعام ضرما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام مالي لا ارى ميكائيل ضاحكا قال ما ضحك منذ خلقت
النار ويفيد ان هذا يفيد ان ميكائيل كان موجودا قبل خلق النار وايجادها وهذا لا ينافي ان ميكائيل ضحك بعد ذلك فقد
جاء انه صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلاة فسئل عن ذلك فقال رايت ميكائيل راجعا من طلب القوم اي يوم بدر وعلى جناحه
الغبار فضحك الي فتبسمت اليه ولعل هذا كان بعدما اخرجه احمد في مسنده عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل عليه السلام اني لم ار ميكائيل ضاحكا فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وهذا يدل
على ان جبريل عليه السلام خلق قبل النار ايضا وما في مسند احمد عن انس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه
السلام لم تاتني الا رايتك صار بين عينيك قال اني لم اضحك منذ خلقت النار وهذا مع ما تقدم من رؤية الجنة والنار
يرد على الجهمية وبعض المعتزلة كعبد الجبار وابي هاشم حيث زعموا ان الله تعالى لم يخلق الجنة والنار وانهما ليستا
موجودتين الان وانما يخلقهما سبحانه يوم الجزاء مستدلين بانه لا يحسن من الحكيم ان يخلق الجنة دار النعمة والنار دار النقمة
قبل خلق اهلها وبانهما لو كانتا مخلوقتين في السماء والارض لعينا مكانهما واجيب عن الاول بانه يحسن من الحكيم خلقهما
قبل يوم الجزاء لان الانسان اذا علم ثوابا مخلوقا اجتهد في العبادة لتحصيل ذلك الثواب واذا علم عقابا مخلوقا اجتهد
في اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب فليتامل واجيب عن الثاني بان الله استثناهما من قوله تعالى فصعق من في
السموات ومن في الارض الا من شاء الله ويدل ان هذه صعقة الموت ولا يتصف بالموت غير ذي الروح ولا ذي الجنة كما قيل
ليستا في السماء السابعة بل فوقها والنار ليست في الارض السابعة بل تحتها وحينئذ يكون القول بان الجنة في السماء
السابعة والنار في الارض السابعة تجوزا والله اعلم قال واختلف في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى تلك
الليلة فاكثر العلماء على وقوع ذلك اي انه صلى الله عليه وسلم راه عز وجل بعيني راسه واستدل له بحديث رايت ربي
في احسن صورة ورد بان هذا الحديث مضطرب الاسناد والمتن وقد قال بعض العارفين شاهد الحق سبحانه وتعالى القلوب
فلم ير قلبا اشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة وانكرتها عائشة رضي الله
تعالى عنها وقالت من زعم ان محمدا راى ربه اي بعيني راسه فقد اعظم الفرية على الله عز وجل اي اتى باعظم الافتراء
والكذب على الله عز وجل ووافقها على ذلك من الصحابة ابن مسعود وابو هريرة رضي الله تعالى عنهم وجمع من العلماء و
نقل عن الدارمي الحافظ انه نقل اجماع الصحابة على ذلك ونظر فيه وذهب الى الرؤية اي المذكورة اكثر الصحابة وكثير من
المحدثين والمتكلمين بل حكى بعض الحفاظ على وقوع الرؤية له بعيني راسه الاجماع والى ذلك يشير صاحب الاصل رحمه الله تعالى
بقوله وراه فؤاده سواه رؤية العين يقظة لا المراى واحتجت عائشة رضي الله تعالى عنها على منع الرؤية بقوله تعالى
لا تدركه الابصار وروي ان مسروقا قال لها الم يقل الله عز وجل ولقد راه نزلة اخرى اي مرة اخرى اي بناء على ان الضمير

المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى فقالت انا اول هذه الامة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت
ربك فقال انما رايت جبريل منهبطا اي فالضمير البارز انما هو لجبريل وفي رواية قال انما ذاك جبريل لم اره في صورته التي
خلق عليها الا مرتين اي مرة في الارض ومرة في السماء في هذه الليلة كما تقدم وعلى ظاهر الاية اي من جعل الضمير المستتر له
صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى وقطع النظر عن هذه الرواية التي جاءت عن عايشة رضي الله تعالى عنها يلزم ان يكون
صلى الله عليه وسلم راى الحق سبحانه وتعالى ليلة المعراج مرتين مرة في قاب قوسين ومرة عند سدرة المنتهى ولا مانع من
ذلك ولعل ذلك هو المعنى بقول الخصايص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم برؤيته للباري عز وجل مرتين وفيها
وجمع له بين الكلام والرؤية وكلمه عند سدرة المنتهى وكلم موسى بالجبل قال بعضهم يجوز انه صلى الله عليه وسلم خاطب
عايشة رضي الله تعالى عنها بما ذكر اي بقوله انما رايت جبريل عليه السلام الخ على قدر عقلها اي في ذلك الوقت و
ايد قولها بما روي عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله هل رايت ربك قال رايت نورا اي حجبني ومنعني
من رؤيته عز وجل ومن ثم جاء في رواية نور انى اراه اي كيف اراه مع وجود النور اي لان النور اذا غشي البصر
حجبه من رؤية ما وراءه اي وليس المراد انه سبحانه وتعالى هو النور المرئي له خلافا لمن فهم ذلك حتى جعله بمعنى نورا
اي لان هذه الرواية كما قيل تصحيف ومن ثم قال القاضي عياض لم ارها في اصل من الاصول ومحال ان تكون ذاته تعالى
نورا لان النور من جملة الاعراض اي لانه كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها تلك الكيفية تدرك ساير المبصرات كالكيفية
الفايضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما والله تعالى يتعالى عن ذلك اي فحجابه تعالى النور كما رواه مسلم
اي ومن ثم قيل في قوله تعالى الله نور السموات والارض اي ذو نور او هو على المبالغة اي وجاء رايت ربي في صورة شاب امرد
عليه حلة خضراء دونه ستر من لؤلؤ وجاء رايت في احسن صورة قال الكمال بن الهمام انه كان المراد به رؤية اليقظة فهو حجاب
الصورة قال وقيل راه بفؤاده مرتين لا بعين راسه نعم بعض الصحابة قلنا يا رسول الله هل رايت ربك قال لم اره
بعيني رايته بفؤادي مرتين ثم تلى ثم دنى فتدلى الاية وهذا السياق يدل على ان فاعل دنى الحق سبحانه وتعالى والمراد بالفؤاد
القلب اي خلقت الرؤية في القلب او خلق الله لفؤاده بصرا اي به راى ربه اقول وكون الفؤاد له بصر واضح لقوله تعالى
ما زاغ البصر وما طغى واجيب عما احتجت به عايشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار بانه لا يلزم من الرؤية
الادراك اي الذي هو الاحاطة فالنور انما منع من الاحاطة به لا من اصل الرؤية وقد قال بعضهم للامام احمد باي شيء تدفع
قول عايشة رضي الله تعالى عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله تعالى الفرية فقال يدفع بقول النبي صلى الله
عليه وسلم رايت ربي وقول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها هذا وقد قال ابو العباس بن
تيمية الامام احمد انما يعني رؤيته في المنام فانه لما سئل عن ذلك قال نعم راه فان رؤيا الانبياء حق ولم يقل انه راه
بعيني راسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه موجودة ليس فيها ذلك اقول وعليه فيبعد ان يكون الامام
احمد يقول عن عايشة رضي الله تعالى عنها انما تنكر رؤيا المنام حتى يرد عليها وقد ضعف حديث ابي ذر المتقدم وهو قلت يا
رسول الله رايت ربك فقال نور انى اراه وهو من جملة الاحاديث التي في مسلم الذي نظر فيه والله اعلم قال ابو العباس
بن تيمية واهل السنة متفقون على ان الله عز وجل لا يراه احد بعينه في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ولم يقع النزاع الا في
نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة مع ان احاديث المعراج المعروفة ليس في شيء منها انه راه وانما روي ذلك باسناد موضوع
باتفاق اهل الحديث في صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واعلموا ان احدا منكم لن يرى ربه حتى يموت
وقد سال موسى الرؤية فمنعها وقد نقل القرطبي عن جماعة من المحققين القول بالوقف في هذه المسئلة لانه لا دليل قاطع

وغاية ما استدل به الفريقان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل وهو من المعتقدات فلا بد فيها من الدليل القطعي هذا كلامه ورد
نازع فيه السبكي بانه ليس من المعتقدات التي يشترط فيها الدليل القطعي وهي التي نكلف باعتقادها كالحشر والتنزيل من
المعتقدات التي يكتفى فيها بخبر الاحاديث الصحيحة وهي التي لا نكلف باعتقادها كما نحن فيه وفي الخصايص الصغرى وخص
صلى الله عليه وسلم برؤيته من ايات ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى وبرؤيته للباري مرتين وفي كلام
بعضهم قال العلماء في قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى راى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس
المملكة وفي كلام ابن دحية خص صلى الله عليه وسلم بالف خصلة منها الرؤية والدنو والقرب قال بعضهم قد صحت الاحاديث
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاثبات الرؤية وحينئذ يجب المصير الى اثباتها ولا يجترئ احد ان يظن في ابن عباس
ان يتكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد قال الامام النووي والراجح عند اكثر العلماء انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى ربه بعيني راسه ليلة الاسراء واما رؤيته عز وجل يوم القيمة في الموقف فعامة لكل احد من الخلق الانس والجن من الرجال
والنساء المؤمن والكافر والملائكة جبريل وغيره واما رؤيته عز وجل في الجنة فقيل لا تراه الملائكة وقيل يراه منهم جبريل
خاصة مرة واحدة قال بعضهم وقياس عدم رؤية الملائكة عدم رؤية الجن ورد ذلك واختلف في رؤية النساء
من هذه الامة له تعالى في الجنة فقيل لا يرينه لانهن مقصورات اي محبوسات في الخيام وقيل يرينه كالرجال وقيل
يرينه في ايام الاعياد دون ايام الجمع بخلاف الرجال فانهم يرونه في كل يوم جمعة فقد جاء انه تعالى يتجلى في مثل عيد الفطر
ويوم النحر لاهل الجنة تجليا عاما ومن اهل الجنة مومني الجن على الراجح وقد جاء ان كل يوم كان للمسلمين عيدا في الدنيا فانه
عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه ويدعى يوم الجمعة في الجنة يوم المزيد قال بعضهم هذا العموم
اهل الجنة واما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم فيه بكرة وعشيا واما رؤيته الله عز وجل في النوم ففي الخصايص الصغرى
ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له رؤية الله عز وجل في المنام ولا يجوز ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم
فاحد القولين وهو اختياره وعليه ابو منصور الماتريدي وفي كلام الامام النووي قال القاضي عياض اتفق العلماء
على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها اي وقوعها قال وان رآه حينئذ انسان على صفة لا يليق بجلاله من صفات
الاجساد لان ذلك المرئي غير ذات الله تعالى والله اعلم ثم لا يخفى ان اكثر العلماء على ان الاسرى الى بيت المقدس
ثم المعراج الى السماء كان في ليلة واحدة او وقيل كان الاسرى وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة اخرى
قال وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الى سماء الدنيا نظر الى اسفل منه فاذا هو برهج ودخان واصوات فقال ما هذا يا جبريل
قال هذه الشياطين يحومون على اعين بني ادم لا يتفكرون اي حتى لا يتفكرون مانع لهم من التفكر في ملكوت السموات والارض اي اعلام تنظم
العلامات الموصلة لذلك لولا ذلك لراوا العجايب اي ادركوها ثم ركب صلى الله عليه وسلم البراق منصرفا الى مكة على انه لم يعرج
على البراق فيعيد لعرشه الى اخر ما تقدم انتهى اقول ذكر بعضهم انها انزل عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والارض
او عند نزوله من السماء قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم الايات الثلاث وقوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك
من رسلنا الاية والايتان من اخر سورة البقرة وهما امن الرسول الى اخر سورة البقرة وتقدم انهما نزلتا بقاب
قوسين والله اعلم واستدل على ان كلا من الاسرى والمعراج كان يقظة بجسده صلى الله عليه وسلم وروحه بقوله
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا لان العبد حقيقة هو الروح والجسد قال تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى
وقال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه ولو كان الاسرى مناما لقال بروح عبده ولان الدواب التي منها
البراق لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجساد واستدل على ان الرؤية كانت بعيني بصره صلى الله عليه وسلم

بقوله

بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى لان وصف البصر بعدم الازاغة يقتضي ان ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية
لقال ما زاغ قلبه اقول فيه ان القائل ان يقول يجوز ان يكون المراد بالبصر بصر قلبه لما تقدم ان الله تعالى
خلق لقلبه بصرا والله اعلم وقيل كان الاسرى بجسده والمعراج بروحه الشريفة اي بذاتها عرج بها حقيقة من غير
امانة للجسد وكان تحولها في ذلك ارقى منها حال الها بعد مفارقتها لجسدها بموته في صعودها في السموات حتى تقف بين
يدي الله تعالى وهذا امر فوق ما يراه النائم وغيره صلى الله عليه وسلم لا يتناول ذات روحه الشريفة الا بعد
الموت لجسدها قيل ومن ثم لم يشنع كفار قريش الا امر الاسرى دون المعراج اقول الظاهر ان اخباره صلى الله عليه
وسلم بالمعراج لم يكن عند اخباره بالاسرى بل تاخر عن اخباره بالاسرى بناء على انهما كانا في ليلة واحدة والا
فقد ذكر بعضهم ان المعراج لم يكن في ليلة الاسرى التي اخبر به كفار قريش قال اذ لو كان اي في تلك الليلة لاخبرهم حين
اخبرهم بالاسرى اي ولو يخبرهم حينئذ اذ لو اخبر به حينئذ لنقل ولذكره سبحانه وتعالى اي مع الاسرى لان المعراج
ابلغ في المدح والكرامة وخرق العادة من الاسرى الى المسجد الاقصى واجيب عنه على تسليم انه كان في ليلة الاسرى
الذي اخبر به قريشا هو صلى الله عليه وسلم استدرجهم الى الايمان فذكر الاسرى اولا فلما ظهرت لهم امارات
صدقه على تلك الاية الخارقة التي هي الاسرى اخبرهم بما هو اعظم منها وهو المعراج بعد ذلك اي وحيث اخبرهم
بذلك لم ينكروه لذلك اي ثبوت صدقه صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من الاسرى وتقدم من المواهب انهم
لم يسالوه عن علامة تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم في ذلك لعدم علمهم ومعرفتهم بشيء في السماء والحق به سبحانه
وتعالى ارشده الى ذلك اي الى ان يخبرهم اولا ثم بالمعراج ثانيا حيث لم ينزل قصة المعراج في سورة الاسرى بل نزل ذلك
في سورة النجم ومما يؤيد انهما كانا في ليلة واحدة قول الامام البخاري في صحيحه باب كيف فرضت الصلوة ليلة الاسرى
لان من المعلوم ان فرض الصلوة اي الصلوات الخمس انما هو في المعراج واما افراده كلا من الاسرى والمعراج بترجمة فلا
يخالف ذلك لانه انما افرد كلا منهما بترجمة لان كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا وقعا معا وقد خالف الحافظ الدمياطي
في سيرته فذكر ان المعراج كان في رمضان والاسرى كان في ربيع الاول والله اعلم وقيل الاسرى وقع له صلى الله عليه
وسلم اي بعد البعثة مرتين مناما اولا ويقظة ثانيا اي فكانت رؤية المنام توطية وتيسيرا لوقوعه يقظة وبذلك يجمع بين
الاختلاف الواقع في الاحاديث اي بعض الرواة غلط الواقع له صلى الله عليه وسلم مناما بالواقع له يقظة وعلى هذا لا
يشكل قول شريك فلما استيقظت لكنه قال ان رؤية المنام كانت قبل البعثة ففي رواية وذلك قبل ان يوحى اليه وقد انكر
الخطابي عليه ذلك وعد من جملة اوهامه الواقعة في حديث الاسرى والمعراج ورد على الخطابي الحافظ ابن حجر في ذلك
بما ينبغي الوقوف عليه وقيل كان المعراج يقظة ولم يكن ليلا ولم يكن من بيت المقدس بل كان من مكة وكان نهارا فقد جاء
انه صلى الله عليه وسلم كان يسال ربه عز وجل ان يريه الجنة والنار فلما كان نائما اتاه جبريل عليه السلام وميكائيل فقالا
انطلق الى ما سالت الله تعالى فانطلقا بي الى ما بين المقام وزمزم فاتي بالمعراج فاذا هو احسن شيء منظرا فعرجا بي الى
السموات الحديث ولا يخفى ان سياق هذا الحديث يدل على ان ذلك كان مناما فلا يحسن ان يكون دليلا على قوله
يقظة وقد جاء عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج في سقف بيتي وانا
بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء الحديث وقد يدعى ان في رواية ابي ذر اختصارا وليس فيها ان
ذلك كان مناما او يقظة اي ما ادعاه بعضهم ان المعراج تكرر يقظة غريب فكيف يتكرر يقظة سؤال اهل كل باب

من ابواب السماء هل بعث الله اليه وكيف يكون سؤاله صلى الله عليه وسلم عن كل نبي وكيف يكون فرض الصلوات الخمس والمراجعة واما منامًا فلا بعد في تكون ذلك توطية لوقوعه يقظة اي وهذا منشأ اختلاف الروايات ادخل بعض الرواة ما وقع في المنام ما وقع في اليقظة خلافا لمن زعم ومن ثم قال الحافظ بن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسراآت متعددة فقد ابعد واغرب اي لان الخفاء بدا اسراء واحدة بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم يقظة وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان له اسراء اربعة وعشرين مرة وقيل ثلاثين مرة منها واحدة بروحه وجسده يقظة والباقي بروحه رؤيا اي ومن ذلك ما وقع له صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة وهو محمل قول عائشة رضي الله تعالى عنها ما فقدت جسده الشريف وفي صبيحة ليلة المعراج اي حين زالت الشمس من اليوم الذي يلي الليلة التي فرضت الصلوات الخمس كان نزول جبريل عليه السلام واما مته بالنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه اوقات الصلوات اي وكيفيتها اي لانه لا يلزم من علمه صلى الله عليه وسلم بكيفية صلوة الركعتين في صلوة قيام الليل علمه كيفية الصلوات الخمس وان قلنا بان الرباعية منها فرضت ركعتين فامر صلى الله عليه وسلم فصيح باصحابه الصلوة جامعة فاجتمعوا فصلى بهم جبريل عليه الصلوة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس وسميت تلك الصلوة الظهر لانها فعلت عند قيام الظهيرة اي شدة الحر او عند نهاية ارتفاع الشمس وهذا الحديث ظاهر بان صلوته صلى الله عليه وسلم بالناس كانت بعد صلوته مع جبريل عليه السلام ويحتمل لان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بصلوة جبريل عليه السلام والناس صلوا بصلوته صلى الله عليه وسلم ففي بعض الروايات لما نودي بالصلوة جامعة فزعوا لذلك اجتمعوا فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر اربع ركعات لا يقرأ فيهن علانية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل عليه السلام ثم يصلي كذلك في العصر ولما غابت الشمس صلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب ثلاث ركعات يقرأ في كل ركعتين علانية وركعة لا يقرأ فيها علانية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي الناس وجبريل عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل وفي كلام الامام النووي قوله ان جبريل عليه السلام نزل فصلى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بكسر الهمزة و بو مخرقوله في الحديث نزل جبريل فامني واستدل بذلك بعضهم على جواز الاقتداء بمن هو يقتدي بغيره ولا كما يقول ائمتنا بان معنى كونه صلى الله عليه وسلم مقتديا بجبريل عليه السلام انه متابع له في الافعال من غير نية اقتداء ولا ايقاف فعله على فعل جبريل عليه السلام فلا يشكل على ائمتنا نعم هذا حينئذ يشكل على ائمتنا القائلين بانه لا بد من علم كيفية الصلوة قبل دخول فيها ولا يكون علمها بالمشاهد وقد يجاب بانه يجوز ان جبريل عليه السلام علمه صلى الله عليه وسلم كيفيتها بالقول ثم اتبع القول الفعل وهو صلى الله عليه وسلم علم اصحابه كذلك وبما تقرر يسقط الاستدلال بذلك على جواز الفرض خلف النفل لان تلك الصلوة لم تكن واجبة على جبريل لان الملائكة ليسوا مكلفين بذلك واجيب بانها كانت واجبة على جبريل عليه السلام لانه مامور بتعليمها له صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وكان ذلك عند الباب اي الكعبة مستقبلا بيت المقدس اي صخرته واستقباله صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس قيل كان باجتهاد منه وقيل كان بامر من الله تعالى لم وقيل مخيرا اي وعلى انه مخير ان يكون ما نسخت تلاوته وقد تقدم ان نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس الى بيت المقدس كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم اذا استقبل بيت المقدس يجعل الكعبة بينه وبينه فيصلي بين الركن اليماني وركن الحجر الاسود اي كما صلى جبريل الركعتين اول البعث كما تقدم وحينئذ لا يخالف هذا

قول بعضهم لم يزل صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة حتى خرج منها اي من مكة اي لم يستدبرها فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة استقبل بيت المقدس اي تمحض استقباله له واستدبر الكعبة وظاهر الامر انه هذا اي استقباله بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبينه كان شانه صلى الله عليه وسلم غالبا وانه صلى خارج المسجد بمكة ونواحيها والظاهر انه صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ادبا لا وجوبا والا فقد جاء ان صلوة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت عند باب الكعبة كما رواه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه في الام وروى الطحاوي عند باب البيت مرتين اي وذلك في المحل المنخفض الذي تسميه العامة المعجنة كما تقدم وصلوته صلى الله عليه وسلم عند باب الكعبة في المحل المذكور لبيت المقدس لا يكون مستقبلا للكعبة ايضا الا اذا صلى بين اليمانيين كما تقدم وايضا ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يجعل نحو بيت المقدس ويجعل الكعبة وراء ظهره وهو بمكة اي في بعض الاوقات حتى لا يخالف ما سبق انه صلى الله عليه وسلم كان يستقبلها مع استقباله بيت المقدس ولا ينافي ذلك ما في نبذة الاحمال اقام صلى الله عليه وسلم بعد نزول جبريل ثلاث عشرة سنة وكان يصلي الى بيت المقدس مدة اقامته بمكة يجعلها بين يديه ولا يستدبرها لامكان حمله على غالب احواله وحمله على انه صلى الله عليه وسلم مع الصحابة كانوا يصلون الى بيت المقدس وهم بمكة ما سياتي من البراء بن معرور استاذن في استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك قال له قد كنت على قبلة لو صبرت عليها وام به صلى الله عليه وسلم جبريل مرتين مرة اول الوقت ومرة اخر الوقت اي ولما جاءه صلى الله عليه وسلم جبريل امر فصيح باصحابه الصلوة جامعة كما تقدم اي لان الاقامة المعروفة للصلوات الخمس لم تشرع الا بالمدينة على ما تقدم وسياتي قال فقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم وصلى به فاول يوم الظهر حين زالت الشمس كما تقدم اي عقب زوالها وصلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثله اي زيادة على ظل الاستواء وعلى الظل الحاصل عقب الزوال وصلى به المغرب حين افطر الصائم اي دخل وقت فطره وهو غروب الشمس وصلى به العشاء حين غاب الشفق وصلى به اي في غد ذلك اليوم وهو اليوم الثاني الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم اي حين دخل وقت حرمة ذلك وهو الفجر اي فان قيل صلوة جبريل عليه السلام به صلى الله عليه وسلم حينئذ لم يكن الصوم الذي هو رمضان فرض اجيب بان تسليم انه لم يفرض عليه صوم قبل رمضان وهو صوم عاشوراء او ثلاثة ايام من كل شهر على ما سياتي جاز ان يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة كان بعد فرض رمضان وصلى به المغرب حين افطر الصائم وصلى به العشاء ثلث الليل الاول وصلى به الفجر اي في اليوم الثالث فاسفر ثم التفت فقال يا محمد هذا وقتك ووقت الانبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين انتهى واما رواية صلى بي الظهر اي ان قال وصلى بي الفجر يعني كان الغد صلى بي الظهر المقتضي ذلك لان يكون الفجر ليس من اليوم الثاني بل من تتمة ما قبله ففيه دليل على ان اليوم من طلوع الشمس كما يقول الفلكيون عند امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه على الوقت الاختياري العشاء للعصر والعشاء والفجر والا فوقت العصر لا يخرج الا بغروب الشمس خلافا للاصطخري حيث ذهب الى خروج وقت العصر بمصير ظل الشيء مثليه والعشاء بثلث الليل والصبح بالاسفار تمسكا بظاهر الحديث والبداءة بالظهر هو ما عليه اكثر الروايات وروي ان البداءة كانت بالصبح عند طلوع الفجر وعلى الاول انما لم تقع البداءة بالصبح مع انها اول صلوة تحضر بعد ليلة الاسراء لان الاتيان بها يتوقف على بيان علم كيفيتها المعلق عليه الوجوب كما قيل اوجبت بتبيين كيفيته فوقعت والصبح لم يتبين كيفيتها فوقعها لم يجب لا يقال هذا من تاخير البيان عن وقت الحاجة واجاب الامام النووي بانه حصل التصريح بان اول وجوب الخمس من الظهر كما قيل وجب ما عدا صلوة الصبح يوم هذه الليلة مقدم وجوبها اليس لعدم علم كيفيتها فيه انه يلزم حينئذ ان الخمس صلوات في اليوم والليلة لم توجد الا فيما عدا ذلك اليوم والليلة قال ابو بكر بن العربي ظاهر قوله هذا وقتك ووقت الانبياء قبله وليس كذلك وانما معناه ان وقتك هذا المحدود الطرفين مثل وقت الانبياء قبلك فانه كان محدود الطرفين والا فلم تكن هذه الصلوات الخمس على هذه الاوقات

الا الحذو الاثر خاصة وان كان غيرهم قد شاركهم في بعضها فقد جاء عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان ادم لما تيب عليه كان ذلك
عند الفجر فصلى ركعتين فصارت الصبح وفدى اسحق عند الظهر اي على القول بانه الذبيح فصلى اربع ركعات فصارت الظهر وبعث
عزير فقيل له كم لبثت قال لبثت يوما فلما راى الشمس قريبة من الغروب قال او بعض يوم فصلى اربع ركعات فصارت العصر وغفر له
داود عند المغرب اي الغروب فقام فصلى اربع ركعات فجهد اي تعب فجلس في الثالثة اي سلم منها فصارت المغرب ثلاثا واول
من صلى العشاء الاخرة نبينا صلى الله عليه وسلم فظاهره انها من خصايصه وفي شرح مسند امامنا الشافعي رضي الله تعالى
عنه للامام الرافعي رحمه الله تعالى كانت الصبح صلوة ادم والظهر صلوة داود اي فقد اشترك داود واسحق في صلوة الظهر
والعصر صلوة سليمان اي فقد اشترك سليمان وعزير في صلوة العصر والمغرب وصلوة يعقوب اي فقد اشترك يعقوب
وداود في صلوة المغرب والعشاء صلوة يونس واورد في ذلك خبرا وعليه فليست صلوة العشاء من خصايص نبينا صلى الله
عليه وسلم والاصل انما ثبت في حق نبي ثبت في حق امته الا ان يقوم الدليل على الخصوصية فليست من خصايص هذه الامة
وذكر بعضهم ان المغرب كانت صلوة عيسى اي وكانت اربعا ركعتين عن نفسه وركعتين عن امه اي فقد اشترك عيسى و
يعقوب وداود في صلوة المغرب وفي كلام بعضهم اول من صلى الفجر ادم والظهر ابرهيم وعليه فقد اشترك ابرهيم واسحق وداود
في صلوة الظهر واول من صلى العصر يونس اي وعليه فقد اشترك سليمان وعزير ويونس في صلوة العصر واول من صلى المغرب
عيسى واول من صلى العتمة التي هي العشاء موسى اي وعليه فقد اشترك موسى ويونس ونبينا صلى الله عليه وسلم عليهم في صلوة
العشاء وفي الخصايص الكبرى خص صلى الله عليه وسلم بانه اول من صلى العشاء ولم يصلها نبي قبله ومن ثم انه لم يصلها احد
من الامم وقد جاء التصريح به في بعض الروايات انكم فضلتم بها اي العشاء على سابر الامم وعليه فهي من خصايصنا وخصايص نبينا
صلى الله عليه وسلم وقد تقدم عند بناء الكعبة ان جبريل عليه السلام صلى بابرهيم صلى الله على نبينا وعليه السلام الصلوات
الخمس فليتامل قال وقيل فرضت الصلوة الخمس في المعراج ركعتين ركعتين اي حتى المغرب ثم زيدت في صلوة الحضر فكملت اربعا
في الظهر اي في غير يوم الجمعة واربعا في العصر والعشاء وثلاثا في المغرب واقرت صلوة السفر على ركعتين اي حتى في المغرب فعن عايشة رضي
الله تعالى عنها فرضت صلوة الحضر والسفر ركعتان اي في الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما اقام رسول الله صلى الله عليه و
سلم بالمدينة اي بعد شهر وقيل وعشرة ايام من الهجرة زيد في صلوة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلوة الفجر اي لم يزد عليها شي
لطول القراة اي فانها يطلب فيها زيادة القران القراة على الظهر والعصر المطلوب فيهما قراة طوال المفصل وصلوة المغرب اي تركت
صلوة المغرب فلم يزد فيها ركعتان على ركعة فصارت ثلاثة لانها وتر النهار اي كما في الحديث فعود عليه بركعة الوتر ان الله
تعالى وتر يحب الوتر والمراد انها وقد غفت صلوة النهار وتركت صلوة السفر فلم يزد فيها شي اي في غير المغرب هذا هو المفهوم من كلام
عايشة رضي الله تعالى عنها وهو يفيد ان صلوة السفر استمرت على ركعتين اي في غير المغرب اي وحينئذ يلزم ان يكون القصر في الظهر
والعصر والعشاء عزيمة لا رخصة ولا يحسن ذلك مع قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة وفي كلام الحافظ
ابن حجر المراد بقول عايشة رضي الله تعالى عنها فاقرت صلوة السفر باعتبار ما آل اليه الامر من التخفيف اي لا انها استمرت
من حين فرضت الرباعية خفف منها الى السفر لانه استقرارها بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر او باربعين يوما
ثم نزلت اية القصر في ربيع الاول من السنة الثانية الا انها استمرت منذ فرضت فلا يلزم ذلك ان القصر عزيمة وقيل
فرضت اي الصلوة الخمس في المعراج اربعا الا المغرب ففرضت ثلاثا والا الصبح ففرضت ركعتين اي والا صلوة الجمعة ففرضت
ركعتين ثم قصرت الاربع في السفر اي وهو المناسب لقوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ومن ثم قال
بعضهم ان هذا هو الذي يقتضيه ظاهر القران وكلام جمهور العلماء ويمكن ان يكون المراد من كلام عايشة رضي الله تعالى عنها

انها فرضت ركعتان بتشهد ثم ركعتان بتشهد وسلام وقيل ان هذا الا في الصبح والمغرب وقال بعضهم ويبعد هذا الحمل ما
روي عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اي الصلوات الخمس التي فرضت بالمعراج بمكة ركعتين ركعتين فلما قدم المدينة
اي بعد مقدم شهر او وعشرة ايام فرضت الصلوة اربعا او ثلاثا وتركت الركعتان تماما اي تامة للمسافر وعن يعلى بن امية قال
قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فقد امن الناس فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اي فصار سبب القصر مجرد السفر لا الخوف
وهذا قد يخالف ما في الاتقان سال قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نضرب في
الارض فكيف نصلي فانزل الله عز وجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم انقطع الوحي
فلما كان بعد ذلك غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم
عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى مثلها في اثرها فانزل الله تعالى بين الصلوتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى قوله عذابا
مهينا فنزلت صلوة الخوف فتبين بهذا الحديث ان قوله ان خفتم شرط فيما بعده وهو صلوة الخوف لا في صلوة القصر قال ابن جرير
هذا تاويل في الاية حسن لو لم يكن في الاية اذا قال ابن العربي يصح مع اذا على الواو زائدة قلت ويكون من اعتراض الشرط
على الشرط واحسن منه ان يجعل اذا زائدة بناء على قول من يجيز زيادتها هذا كلامه فليتامل وقيل فرضت اي الرباعية
اربعا في الحضر وركعتين في السفر فعن عمر رضي الله تعالى عنه صلوة السفر ركعتان وصلوة الجمعة ركعتان وصلوة العيد
ركعتان غير قصر اي تام على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بالنسبة لصلوة السفر ما تقدم وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اي وعليه في صلوة السفر ما تقدم وقوله في الخوف ركعة
اي يصليها مع الامام وينفرد بالاخرى وذلك في صلوة عسفان حيث يحرم بالجميع ويسجد معه صف اول ويحرس الصف الثاني
فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه وسجد معه في الركعة الثانية وحرس الاخرون فقد صلى صلى الله عليه وسلم كل صف مع الامام
ركعة فلا يقال ان في كلام ابن عباس ما يفيد ان صلوة الفجر تقصر وفرض التشهد والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم متاخر
عن فرض الصلوة فعن ابن مسعود كنا نقول قبل ان يفرض علينا التشهد السلام على الله قبل عباده السلام على جبريل السلام
على ميكائيل السلام على فلان اي من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو
السلام وقال له بعض الصحابة كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلوتنا قولوا اللهم صل على محمد الخ ولم اقف على
الوقت الذي فرض التشهد والصلوة عليه صلى الله عليه وسلم فيه ولا على ان قولهم السلام على الله الخ هل كان واجبا او مندوبا
قال بعضهم والحكمة في جعل الصلوة في اليوم والليلة خمسا ان الحواس لما كانت خمسة والمعاصي تقع بواسطتها كانت كذلك ماحية
لما يقع في اليوم والليلة من المعاصي بسبب تلك الحواس وقد اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله ارايتم لو كان بباب احدكم
نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات اكان ذلك يبقي من درنه شيئا قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس
يمحو الله بهن الخطايا قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع ليوافق اجنحة الملائكة كانها جعلت اجنحة للشخص يطير بها
الى الله تعالى وسئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هل تجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى فقال نعم وتلا فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اراد بحين تمسون المغرب
والعشاء وبحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وبحين تظهرون الظهر واطلاق التسبيح بمعنى الصلوة جاء في قوله تعالى
فلولا انه كان من المسبحين قال القرطبي اي من المصلين وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل تسبيح
في القران هو صلوة [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض على القبائل من العرب ان يحموه ويامروه

على ما جاء به من الحق اى لانه صلى الله عليه وسلم اخفى رسالته ثلاث سنين ثم اعلن بها فى الرابعة على ما تقدم دعى الى الاسلام عشر
سنين يوافى الموسم كل عام يتبع الحجاج فى منازلهم اى بمنى والموقف يسال عن القبائل قبيلة قبيلة ويسال عن منازلهم ويأتى اليهم
فى اسواق الموسم وهى عكاظ ومجنة وذو المجاز فقد تقدم ان العرب كانت اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجئ الى سوق
مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجئ سوق ذى المجاز فتقيم به الى ايام الحج يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه
فعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى الموقف
ويقول الا رجل يعرض على قومه فان قريشا قد منعونى ان ابلغ كلام ربى وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل ان يهاجر الى المدينة يطوف على الناس فى منازلهم اى بمنى يقول يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا
تشركوا به شيئا ووراءه رجل يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين اباءكم فسالت من هذا الرجل فقيل ابو لهب
يعنى عمه وفى رواية عن ابى طارق رضى الله تعالى عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز
يعرض نفسه على قبائل العرب يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اى ذوابتان يرجمه
بالحجارة حتى ادمى كعبيه يقول يا ايها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسالت عنه فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن
الرجل الذى يرجمه فقيل هو عمه عبد العزى يعنى ابا لهب وفى السيرة الهشامية عن بعضهم قال انى لغلام شاب مع ابى
بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فى منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم
يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بى وتصدقونى
وتمنعونى حتى ابين عن الله عز وجل ما بعثنى به قال وخلفه رجل احول وضئ له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بنى فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى
من اعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابى من هذا الرجل الذى يتبعه يرد
عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب اى الى
بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فقال لهم ان الله قد احسن اسم ابيكم اى عبد الله اى فقد قال صلى الله عليه وسلم احب
الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن ثم عرض عليهم فلم يقبلوا ما عرض عليهم وعرض على بنى حنيفة وبنى عامر بن
صعصعة فقال له رجل منهم ارايت ان نحن بايعناك على امرك ثم اظهرك الله على من خالفك ان يكون لنا الامر من
بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث شاء قال فقال له افنهدف نحورنا للعرب دونك وفى رواية اهدف نحورنا للعرب دونك
اى نجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا اظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بامرك وابوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى
منازلهم وكان فيهم شيخ ادركته السن حتى لا يقدر ان يوافى معهم الموسم فلما قدموا عليه سالهم عما كان فى موسمهم فقالوا
جاءنا فتى من قريش احد بنى عبد المطلب يزعم انه نبى يدعونا الى ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ
يده على راسه ثم قال يا بنى عامر هل لها من تلاف اى تدارك هل لها من مطلب والذى نفس فلان بيده ما تقولها اى
ما ادعى النبوة كاذبا احد من بنى اسماعيل قط وانها الحق وان رايكم غاب عنكم وذكر الواقدى انه صلى الله عليه وسلم اتى
بنى عبس وبنى سليم وغسان وبنى محارب اى وفزارة ومرة وبنى نضر وعذرة والحضارمة فيردون عليه صلى الله عليه وسلم
اقبح الرد ويقولون اسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن احد من العرب اقبح ردا عليه من بنى حنيفة
اى وهم اهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم بنو حنيفة لان امهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان فى رجلها وثقيف
اى ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف وقد وقع صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر رضى الله تعالى عنه

المجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر فسلم وقال من القوم قالوا من ربيعة قال واى ربيعة انتم من هامها او من لهازمها
قالوا بل من الهامة العظمى قال من ايها قالوا من ذهل الاكبر قال منكم حامى الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال منكم
قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال منكم صاحب العمامة الفردة فلان قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر
انتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين بقل وجهه اى طلع شعر وجهه فقال له ان على سائلنا ان نساله يا هذا انك
قد سالتنا فاخبرناك فمن الرجل فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه انا من قريش فقال الفتى بخ بخ اهل الشرف والرياسة فمن
اى قريش انت قال من ولد تيم بن مرة فقال الفتى امكنت قصى الذى كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه
قال لا قال فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كان وجهه القمر يضئ فى الليلة الظلماء قال لا فاجتذب ابو بكر
رضى الله تعالى عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال له على رضى الله عنه لقد وقعت من الاعرابى على باقعة اى داهية اى دفها وهو فى الاصل اسم لطاير يصيد يطير
يمنة ويسرة قال اجل يا حسن ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق اى واستفهام الفتى توبيخى لا حقيقى لان من
المعلوم ان من ذكر ليسوا من تيم لان ابا بكر كما تقدم انما يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة ومرة جد لقصى فكانه يقول له
ان قبيلتكم لم تشتمل على هؤلاء الاشراف اى كما ان قبيلتنا لم تجتمع على اولئك الاشراف وعن عبد الله بن عباس رضى الله
تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقى جماعة من شيبان بن ثعلبة وكان معه ابو بكر وعلى رضى الله تعالى عنهما وان ابا بكر
سالهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت ابو بكر رضى الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بابى انت وامى هؤلاء غرر اى سادات فى قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانى بن قبيصة بفتح القاف ومثنى
بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان اى ذوابتان من شعر وكان ادنى
القوم اى اقرب القوم مجلسا من ابى بكر فقال له ابو بكر كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف
من قلة والذى قاله صلى الله عليه وسلم لن تغلب اثنا عشر الفا من قلة قال لما اراد ان يغزو هوازن وكان جيشه
العدد المذكور كما سياتى فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد اى بفتح الجيم ومنها الطاقة
ولكل قوم جد بفتح الجيم اى حظ وسعادة اى علينا ان نجتهد وليس علينا ان يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء
فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لاشد
ما يكون لقيا حين نغضب وانا لا نؤثر الجياد اى من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح اى ذوات اللبن من الابل
وربما قيل البقر والغنم ايضا والنصر من عند الله قد يديلنا بضم اوله وكسر الدال المهملة اى يظفرنا مرة اى ينصر علينا
اخرى لعلك اخو قريش فقال ابو بكر رضى الله عنه او قد بلغكم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هو ذا فقال ادعو الى شهادة ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله والى ان تاوونى وتنصرونى فان قريشا قد تظاهرت اى تعاونت على
امر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد قال مفروق والى م تدعوا ايضا يا اخا قريش
فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا
تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله
الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام اهل الارض ولو كان من كلامهم عرفناه ثم قال والى م
تدعو ايضا يا اخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وهذه الاية ذكر ابن عبد السلام انها اشتملت على جميع الاحكام الشرعية

وبين ذلك في سائر الابواب الفقهية ومن ذلك كتابا سماه النجرة فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن
الاعمال ولقد افك قوم اي صرفوا عن الحق كذبوك وظاهروا اي عاونوا عليك وكان مفروق اراد ان يشركه اي يشاركه في الكلام
هانئ بن قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك يا اخا قريش واني ارى ان تركنا
ديننا واتباعنا اياك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له اول ولا آخر لزلة في الرأي وقلة نظر في العاقبة وانما تكون الزلة
مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكانه احب ان يشركه في الكلام المثنى
بن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا اخا قريش والجواب هو جواب
هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته الينا ليس له اول ولا آخر وان احببت ان نأويك وننصرك
مما يلي مياه العرب دون ما يلي انهار كسرى فعلنا فانا انما نزلنا على عهد اخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا وان لا نأوي محدثا
واني ارى هذا الامر الذي تدعونا اليه انت هو مما تكره الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسأتم في الرد
اذ افصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من احاطه من جميع جوانبه ارايتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى
يورثكم الله ارضهم واموالهم ويفرشكم نساءهم اتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذلك فتلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا وبشر المؤمنين ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهؤلاء لم اقف على اسلام احد منهم الا ان في الصحابة هو
شيخنا يقال له المثنى بن حارثة الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هذا القول هانئ بن قبيصة
يشاركه صاحب حربنا ورأيت بعضهم ذكر ان النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة اي وفي اسد الغابة ان مفروق
بن عمرو من الصحابة ونقل عن ابي نعيم انه قال لا اعرف لمفروق اسلاما ولما قدمت بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ائتهم فاعرضني عليهم فاتاهم وعرض عليهم فقال لهم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال وكيف المنعة قالوا لا
منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال فتجعلون لله عليكم ان هو ابقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتنكحوا نساءهم
وتستعبدوا ابناءهم ان تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدوه ثلاثا وثلاثين وتكبروه ثلاثا وثلاثين قالوا ومن انت قال انا رسول
الله ثم مر بهم ابو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم فاخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم انه رسول الله فقال لهم لا ترفعوا
بقوله راسا فانه مجنون يهذي من ام راسه فقالوا قد رأينا ذلك حيث ذكر من امر فارس ما ذكر وفي رواية انه لما سألهم
قالوا حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبين الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا
فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذي دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال هو شعاركم فنصروا
على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بي نصروا او لقد نصروا بذكرهم اسمي ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل
في كل موسم ويقول لا اكره احدا على شيء من رضي الذي ادعوه اليه فذلك ومن كره لم اكرهه انما اريد منعي من القتل حتى ابلغ رسالات
ربي فلم يقبله احد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل اعلم به اترون ان رجلا يصلحنا وقد افسد قومه وعن ابن اسحق لما اراد
الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم وفي
سيرة مغلطاي وفي مستدرك الحاكم ان ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما
هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة اي وهي عن يسار الطريق لقاصد منى من مكة وبها الآن مسجد
يقال له مسجد البيعة اذ لقي رهطا من الخزرج اي لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب اي والاوس
في الاصل اي اللغة العطية ويقال للذئب ويقال لرجل اللهو واللعب والخزرج في الاصل الريح الباردة فلعلها الجنوب

خاصة وكانوا ستة نفر وقيل ثمانية اراد الله بهم خيرا وقد عد الستة في الاصل وبين الناس اختلاف في ذكرهم فقال لهم من انتم
قالوا نفر من الخزرج فقال امن موالي يهود اي من حلفاء يهود المدينة قريظة والنضير لانهم تحالفوا معهم على التناصر و
التعاضد على من سواهم وان يأمن بعضهم من بعض وهذا كان في اول امرهم قبل ان تقوى شوكتهم على يهود قالوا نعم قال افلا
تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ وجدهم يحلقون رؤوسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله
عز وجل وعرض عليهم الاسلام اي وقد رأوا امارات الصدق عليه صلى الله عليه وسلم لائحة فقال بعضهم لبعض
تعلمون والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه لان يهود كان اذا وقع بينهم وبينهم شيء من الشر
قالوا بهم سيبعث نبي قد اظل اي قرب زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وارم اي كما تقدم في اخبار الاحبار والمراد
لنستأصلكم بالقتل فلما دعاهم الى الاسلام اجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج
بينهم من العداوة والشر ما بينهم اي فان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهم
الحروب فمكثوا على المحاربة والمقاتلة اكثر من مائة سنة اي مائة وعشرين كما في الكشاف فان يجمعهم الله عليك فلا رجل
اعز منك اقول وفي رواية قالوا يا رسول الله انما كانت بعاث اي بضم الموحدة ثم عين مهملة مخففة وفي آخره ثاء مثلثة
وقيل بفتح الموحدة وبدل المهملة معجمة قيل وذكر المعجمة تصحيف عن ابن دريد صحف الخليل بن احمد يوم بعاث بالغين المعجمة و
انما هو بالمهملة وفي القاموس بالمهملة والمعجمة عام اول يوم من ايامنا اقتتلنا به فنحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع حتى
نرجع الى عشائرنا لعل الله ان يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك
واتبعوك فلا احد اعز منك وبعاث مكان قريب من المدينة على ليلتين منها عند بني قريظة ويقال انه حصن للاوس
كان به القتال قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بخمس سنين بين الاوس والخزرج وسيد الاوس ورئيسهم حينئذ حضير
والد اسيد وبه قتل مع من قتل من قومه وكان النصر فيهم اولا للخزرج ثم صار للاوس وسبب القتال انه كان من قاعدتهم
ان الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل رجل من الاوس اي وهو سويد بن الصامت رجلا حليفا للخزرج اي وهو ذياد والد المجذر
بن ذياد وذياد بالذال المعجمة مكسورة ومفتوحة وتخفيف المثناة تحت وانكر الاوس ذلك لان سويدا هذا كان تسميه
قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده كان ابن خالة عبد المطلب لان امه اخت سلمى ام عبد المطلب كان قدم مكة
حاجا او معتمرا فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يسمع بقادم قدم
مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له ودعاه الى الله تعالى فدعا سويدا الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد
لعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الكلام حسن والذي معي افضل
من هذا قرآن انزله الله علي هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان
هذا القول حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج وفي كلام بعضهم ثم آمن بالله ورسوله وسافر حتى دخل
المدينة الى قومه بشعره وايمانه فقتله الخزرج بغتة وقيل القاتل له المجذر لذياد الذي قتله سويد كان قد شرب الخمر
وجلس يبول وهو ممتلئ سكرا فبصر به انسان من الخزرج فخرج حتى اتى المجذر بن ذياد فقال هل لك في الغنيمة الباردة
قال ما هي قال سويدا قال له قد امكن الله منك قال ما تريد مني قال قتلك فقتله فكان ذلك سبب الحرب بين الاوس
والخزرج ببعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم الحارث بن سويد والمجذر بن ذياد وشهدا
بدرا فجعل الحارث بن سويد يطلب مجذرا ليقتله بابيه فلم يقدر عليه حتى كان وقعة احد عدا عليه فقتله غيلة كما سيأتي

ومن قتل في هذه الحرب التي يقال لها بعاث شخص يقال له اياس بن معاذ وقدم مكة هو وشخص يقال له ابو الحيسر بن رافع مع
جماعة من قومهم يلتمسون الحلف من قريش على قومهم الخزرج فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس اليهم وقال
لهم هل لكم في خير مما جئتم به قالوا له وما ذاك قال انا رسول الله بعثني للعباد وادعوهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا
وانزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلى عليهم القران فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا اي قوم والله خير مما جئتنا اليه فاخذ
ابو الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه اياس وانتهره وقال دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم فلما دنى موت اياس صار يحمد الله ويسبحه ويهلله ويكبره حتى مات والله اعلم ثم انصرف اولئك
الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم قال وفي رواية انهم لما امنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا له انا نشير عليك
اذ تمكث على رسلك اي على حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكرهم شانك وندعوهم الى الله عز وجل ورسوله صلى الله
عليه وسلم ولعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام المقبل فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتفق
اي فلم يقع لهؤلاء الستة او الثمانية مبايعة ويسمى هذا ابتداء اسلام الانصار وربما سماه بعضهم العقبة الاولى فلما كان
العام المقبل قدم من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلا اي عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وقيل كانوا احد عشر منهم
خمسة من الستة او الثمانية الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم عند العقبة اولا فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم عند العقبة
ايضا فبايعوه اي عاهدهم صلى الله عليه وسلم اي وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية وتلا عليهم اية النساء
اي الاية التي نزلت بعد ذلك في شان النساء يوم الفتح لما فرغ من مبايعة الرجال واراد مبايعة النساء قال عبادة بن الصامت
بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء اي كبيعة النساء اي كما بيعة النساء التي كانت يوم فتح مكة وهي على
ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا اي لان قتل الاولاد كان سابقا فيهم وهو واد البنات قيل
والبنين خوف الاملاق وفي النهر كان جمهور العرب لا يئدون بناتهم وكان بعض ربيعة ومضر يئد بعض وهو ان يدفن
احيا بعضهم يئد خوف العيلة والاقتار وبعضهم خوف السبي ولا ناتي ببهتان اي الكذب الذي يبهت سامعه
نفتريه بين ايدينا وارجلنا اي في الحال وفي الاستقبال وقيل غير ذلك ولا نعصيه في معروف اي ما عرف من الشارع
حسنه نهيا وامرا قال الحافظ ابن حجر المبايعة المذكورة في حديث عبادة بن الصامت على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة
وانما وقع في بيعة العقبة ما ذكره ابن اسحق وغيره من اهل المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن حضر من الانصار
ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم فبايعوه على ذلك وعلى ان يرحل اليهم هو صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم
ذكر جملة من الاحاديث وقال فهذه ادلة صريحة في ان هذه البيعة بعد نزول الاية بعد فتح مكة اقول ليس في كلام عبادة
ان هذه البيعة بيعة العقبة ان لم يقل بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه وحينئذ
فلا يحسن ان يكون كلام عبادة شاهدا لمن قال وتلا عليهم اية النساء فلا يحسن التفريع المتقدم بل هو دليل على ان هذه المبايعة
متاخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ والله اعلم وزاد بعضهم والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر
اهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال ومن وفى بالتخفيف والتشديد اي ثبت على العهد فاجره
على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو اي العقاب طهرة له او قال كفارة له واستشكل بان ابا هريرة
روى انه صلى الله عليه وسلم لا ادري الحدود كفارة لاهلها ام لا واسلام ابي هريرة متاخر عن بيعة العقبة بسبع سنين كما
سياتي فانه كان عام خيبر سنة سبع كما سياتي ويجاب بان هذه البيعة التي ذكرها عبادة ليست بيعة العقبة بل بيعة
غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ يكون ما رواه ابو هريرة رضي الله تعالى عنه كان قبل ان يعلم رسول الله صلى الله

عليه وسلم ذلك ثم علم اي ان الحدود كفارة قال صلى الله عليه وسلم ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فامره الى الله
عز وجل ان شاء غفر له وان شاء عذبه اي وكون الحدود كفارة وطهرة مخصوص بغير الشرك فقتل المرتد لا يكون كفارة وطهرة له لان الله
لا يغفر ان لا يشرك به وفي رواية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئا فاصبتم بحد في الدنيا فهو كفارة لكم في الدنيا
وان سترتم عليه فامركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر اي وفي هذا رد على من قال بوجوب التعذيب لمن مات بلا توبة وعلى
من قال يكفر مرتكب الكبيرة فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن ام مكتوم واسمها عاتكة
واسمه عمرو وقيل عبد الله وهو ابن خال خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها قال الشعبي غزا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث عشرة غزوة ما فيها غزوة الا واستخلف ابن ام مكتوم على المدينة وكان يصلي بهم وليس له رواية ومصعب
بن عمير رضي الله تعالى عنهما يعلمان من اسلم منهم القران ويعلمانهم اي من اراد ان يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوا
ان من لم يسلم منهم الى الاسلام وهذا ما في اكثر الروايات وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم بعث بهما معهم ويدل له ما روي
عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه اول من تقدم علينا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن ام مكتوم
فجعلا يقرئان الناس القران اي وفي رواية انه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا حين كتبوا اليه ان ابعث اليهم وفي
رواية ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك رضي الله تعالى عنهما ان ابعث الينا رجلا
من قبلك يفقهنا ويقرئنا الناس بكتاب الله وفي رواية كتبوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مصعب بن عمير وكان يقال له المقرئ وهو اول من تسمى بهذا الاسم وهذا يدل على ان مصعبا لم يكن معهم اقول
وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كتبوا او ارسلوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك عند خروجهم من مكة وقبل ان ينصرفوا
منها راجعين الى المدينة والاقتصار على مصعب لا ينافي ما تقدم من ذكر ابن ام مكتوم معه ثم رايت ما يبعد الجمع الاول و
هو عن ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثه يعني مصعب بن عمير بعدهم وانما كتبوا اليه ان الاسلام
قد فشا فينا فابعث الينا رجلا من اصحابك يقرئنا القران ويفقهنا في الاسلام ويعلمنا سننه وشرائعه ويؤمنا في
صلاتنا فبعث مصعب بن عمير وما يبعد الجمع الثاني وهو ما نقل عن الواقدي ان ابن ام مكتوم قدم المدينة بعد بدر يسيرا وكلام
ابن قتيبة قدم ابن ام مكتوم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنين وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كل من مصعب بن
عمير وابن ام مكتوم رجعا الى مكة بعد مجيئهما مع القوم وان مكاتبتهم بان الاسلام فشا فينا الخ كانت وهم بالمدينة
فجاء اليهم مصعب وتخلف ابن مكتوم فليتامل ذلك والله اعلم وهذه المبايعة يقال لها العقبة الاولى لوجود تلك المبايعة
عندها ولما قدم مصعب المدينة نزل على ابي امامة اسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه يوم المهاجرين بقباء قبل ان يقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان مصعب يؤم القوم اي الاوس والخزرج لان الاوس والخزرج كره بعضهم ان يؤمه بعضهم وجمع بهم اول
جمعة جمعت في الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل نزول سورة الجمعة الامرة بها فانها مدنية وقال الشيخ ابو حامد
فرضت الجمعة بمكة ولم يتمكن من فعلها قال الحافظ ابن حجر وهو غريب اي وعلى صحته فهو ما تقدم حكمة على تلاوته وعن ابن اسحق ان
اول من جمع بهم ابو امامة اسعد بن زرارة وكانوا اربعين رجلا اي فعن كعب ابن مالك قال اول من جمع بنا في المدينة اسعد بن زرارة
قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في نقيع الخضمات والنقيع بالنون قيل وبالباء الموحدة لكن قال
الخطابي انه خطا والخضمات جمع خضمة وهي الماشية التي تخضم اي تاكل بفيها كله وما في ذلك المحل من الكلأ وهو اسم لقرية
من قرى المدينة قال وكنا اربعين رجلا اي ولا مخالفة لان مصعب بن عمير كان عند ابي امامة اسعد بن زرارة كما
علمت فكان هو المعاون على الجمع وكان الخطيب والمصلي مصعب بن عمير فنسب التجميع لكل منهما اي ويكون ما في الرواية

الاثنية من ان اسعد بن زراره هو الذى صلى بهم على الجمعة اى جمعهم على الصلوة ويعاينه ما تقدم من ان الاوس والخزرج كونهم
ان يوم يجمعون وايضا المامور بالتجميع مصعب بن عمير كما سياتى قال السهيلى وتسميتهم اى الانصار اياها بهذا الاسم اى تسميتهم
اليوم بيوم الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى لهم والا كانت تسمى فى الجاهلية العروبة اى يسمى ذلك اليوم بيوم
العروبة اى الرحمة وقال عليه الصلوة والسلام فى حق ذلك اليوم ان اليوم الذى فرض عليهم اى على اليهود والنصارى
اى طلب تعظيمه والتفرغ لعبادته فيه كما فرض علينا امثلته اليهود والنصارى وهداكم الله تعالى له اى ان كلا من
اليهود والنصارى امر بذلك اليوم يعظمون فيه الحق سبحانه وتعالى ويتفرغون فيه لعبادته واختار اليهود من
قبل انفسهم بدله السبت لانهم يزعمون انه اليوم السابع الذى استراح فيه الحق سبحانه وتعالى من خلق السموات والارض
وما بينهن من المخلوقات وبناء على ان اول الاسبوع الاحد لانه مبدا الخلق قال بعضهم وهو الراجح وفى كلام بعضهم اول
الاسبوع الاحد لغة واول السبت عرفا اى فى عرف الفقهاء فى الايمان ونحوها ويؤيد الاول ان السبت ماخوذ من السبات
وهى الراحة قال تعالى وجعلنا نومكم سباتا اى راحة ظنا منهم انه اولى بالتعظيم لهذه الفضيلة واختارت النصارى
من قبل انفسهم بدل يوم الجمعة يوم الاحد اى بناء على انه اول يوم ابتدا فيه بايجاد المخلوقات ظنا منهم انه اولى بالتعظيم
لهذه الفضيلة وحينئذ يكون معنى امثلوه تركوه مع علمهم به ويؤيد ذلك ما جاء ان الله تعالى فرض على اليهود الجمعة
فابوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وهدى الله تعالى المسلمين ليوم الجمعة اى وهداية المسلمين له يدل
على انهم لم يعلموا عينه وانما اجتهدوا فيه فصادفوه وفى شفاء السعادة كان من عوايده الكريمة صلى الله عليه وسلم ان يعظم
يوم الجمعة غاية التعظيم ويخصه بانواع التشريف والتكريم وجاء ان اهل الجنة يتباشرون فى الجنة بيوم الجمعة كما يتباشر
اهل الدنيا فى الدنيا واسمه عندهم يوم المزيد كما تقدم لان الله تعالى يتجلى عليهم فى ذلك اليوم ويعطيهم كلما يتمنوه ويقول لهم لكم ما عندى
ولدينا مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم ربهم فيه من الخير وقد جاء فى المرفوع يوم الجمعة سيد الايام واعظمها عند الله تعالى
فضل الايام كشهر رمضان فى الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر فى رمضان والذى فى البخارى ثم هذا اى يوم الجمعة
يومهم الذى فرض عليهم اى على اليهود والنصارى فاختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى
بعد غد وقوله فاختلفوا فيه يدل على انهم لم يعلموا عينه ويوافقه ما نقل عن بعض اهل العلم ان اليهود امروا بيوم من الاسبوع
يعظمون الله تعالى فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل انفسهم السبت فالزموه فى شرعهم وكذلك النصارى امروا
على لسان عيسى بيوم من الاسبوع فاختاروا من قبل انفسهم الاحد فالزموه شرعا لهم وهو يخالف ما سبق فليتامل قال
بعضهم والراجح ان اول الاسبوع السبت لانه اول يوم ابتدا فيه بايجاد المخلوقات فقد جاء فى الصحيح ان الله خلق
التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء كذا فى مسلم وعليه
يشكل تسمية اليوم الذى يليه الاحد واجيب بانه من تسمية اليهود وسبقهم غيرهم وقد ذكر السهيلى ان تسمية هذه الايام
طارية ولو كان الله سبحانه وتعالى سماها فى القران بهذه الاسماء المشتقة من العدد لقلنا هى تسمية صادقة لكن
لم يذكر منها الا الجمعة والسبت وانهما غير مشتقين من العدد هذا كلامه ويرد بانه جاء ان الله خلق يوما فسماه الاحد
ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس
واجاب ابن حجر الهيتمى بان هذا اى التسمية المذكورة لم يثبت وان العرب تسمى خامس الورد ربعا هذا كلامه فيكون
اول الاسبوع السبت ثم رايت السهيلى قال لم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد والاثنين الى سائرها
الا حاكيا للغة قومه لا مبتديا بتسميتها ولعل قومه ان يكونوا اخذوا معانى هذه الاسماء من اهل الكتاب المجاورين

لهم فالقوا عليها هذه الاسماء اتباعا لهم هذا كلامه وفى السبعيات للهمدانى اكرم الله موسى عليه الصلوة والسلام بالسبت و
عيسى بالاحد وداود بالاثنين وسليمان بالثلاثاء ويعقوب بالاربعاء وادم بالخميس ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالجمعة
وهذا يدل على ان اليهود لم يختاروا يوم السبت والنصارى يوم الاحد من عند انفسهم فليتامل الجمع وقد سئل صلى
الله عليه وسلم عن يوم السبت قال يوم مكر وخديعة اى وقع فيه المكر والخديعة اى لانه اليوم الذى اجتمعت
فيه قريش فى دار الندوة للاستشارة فى امره صلى الله عليه وسلم وسئل عن يوم الاحد قال يوم غرس وعمارة لان
الله تعالى ابتدا فيه خلق الدنيا وعمارتها وفى رواية لان الجنة بنيت فيه وغرست وسئل عن يوم الاثنين
فقال يوم سفر وتجارة لان فيه سافر شعيب فربح فى تجارته وسئل عن يوم الثلاثاء فقال يوم دم لان فيه حاضت
حوى وقتل ابن ادم اخاه وذكر الهمدانى فى السبعيات ايضا انه قتل فيه سبعة جرجيس وزكريا ويحيى ولده عليهم الصلوة
والسلام وسحرة فرعون واسية بنت مزاحم امراة فرعون وبقرة بنى اسرائيل وهابيل بن ادم وبين فيه قصة كل واحد اى ومن ثم
نهى صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء اشد النهى وقال فيه ساعة لا يرقا فيها الدم وفيه نزل ابليس الى الارض وفيه خلقت
جهنم وفيه سلط الله ملك الموت على ارواح بنى ادم وفيه ابتلى ايوب وفى بعض الروايات ان اليوم الذى ابتلى فيه ايوب يوم الاربعاء
وسئل عن يوم الاربعاء قال يوم نحس لان فيه اغرق فرعون وقومه واهلك فيه عاد وثمود وقوم صالح اى ومن ثم كان يسمى
فى الجاهلية دبار والقياد الهمدانى السبكى الذى فى الحديث الموقوف على ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الذى لا يقال مثله قبل الراى
اخر اربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر وجاء يوم الاربعاء لا اخذ ولا عطاء وذكر الزمخشرى ان بعضهم قال لاخيه اخرج معى فى حاجة
فقال هذا الاربعاء قال فيه ولد يونس قال لا جرم قد بانت له بركته اى حيث ابتلعه الحوت وفيه ولد يوسف قال فما احسن ما فعل
باخوته حتى طال حبسه وغربته قال وفيه نصر المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال اجل ولكن بعد ان زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وقد ورد فى بعض الاثار النهى عن قص الاظفار يوم الاربعاء وانه يورث البرص وعن ابن الحاج صاحب
المدخل انه هم بقص اظفاره يوم الاربعاء فتذكر ذلك فترك ثم راى ان قص الاظفار سنة حاضرة ولم يصح عنده النهى فقصها
فلحقه البرص فراى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال الم تسمع نهيى عن ذلك فقال يا رسول الله لم يصح ذلك عندى
فقال يكفيك ان تسمع ثم مسح صلى الله عليه وسلم بيده على بدنه فزال البرص جميعا قال ابن الحاج فجددت مع الله توبة
انى لا اخالف ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا وجاء فى حديث ضعيف ابن ماجه عن ابن عمر رفعها
وضعفه الحاكم من طريقين اخرين لا يبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعاء وكره بعضهم عيادة المريض يوم الاربعاء
وفى المنهاج الحليمى وشعب الايمان للبيهقى ان الدعاء مستجاب يوم الاربعاء بعد الزوال قبل وقت العصر لانه صلى الله
عليه وسلم استجيب له الدعاء على الاحزاب فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت وكان جابر يتحرى ذلك بالدعاء فى مهماته وذكر انه
ما بدى بشىء يوم الاربعاء الا وتم فينبغى البداءة بنحو التدريس فيه وسئل عن يوم الخميس فقال يوم قضاء الحوائج لان
فيه دخل ابرهيم الخليل على ملك مصر فقضى حاجته واعطاه هاجر ومن ثم زاد فى رواية والدخول على السلطان وسئل عن يوم
الجمعة فقال يوم نكاح نكح فيه ادم حوى ويوسف زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان بلقيس اى ونكح فيه صلى الله
عليه وسلم خديجة وعايشة رضى الله تعالى عنهما وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذن النبى صلى الله عليه وسلم
لهم قبل الهجرة اى قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم فى اقامة الجمعة اى فلم يفعلوها باجتهاد بل باذنه صلى الله عليه
وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه اما بعد فانظر الى اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم اى اليوم الذى
يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم وابناءكم فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال فتقربوا الى الله بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند

اى صلى الجمعة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى استمر على ذلك حتى قدم النبى صلى الله عليه وسلم هذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم
عين لهم ذلك باجتهاد منهم ويدل له ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما باسناد صحيح ان الانصار قالوا ان لليهود
يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فلم نجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى ونشكره فجعلوا يوم العروبة اى
لانه الذى وقع فيه خلق ادم الذى هو جد هذا الجنس وجعل فيه ايضا تمام الخلق وانقضائه اذ فيه تقوم الساعة ففيه المبدأ
والمعاد اذ هذا المروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقتضى ان الانصار اختاروه باجتهاد منهم الا ان يقال لا
مخالفة لانه يجوز ان يكون هذا العزم على ذلك حصل منهم اولا ثم ارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستاذنوه فى ذلك فاذن لهم
فقد جاء الوحى موافقا لما اختاروه وفيه انه لو كان كذلك لقال صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير افعلوا ذلك ولم يقل له انظروا
الى اليوم الخ الا ان يقال يجوز انهم لما استاذنوه صلى الله عليه وسلم فى الاجتماع لم يعينوا له اليوم فعينه صلى الله عليه وسلم لهم
فقدم من الشيخ ابى حامد ان الجمعة امر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها وتقدم عن الحافظ ابن حجر انه
عن بيت ويؤيده انه لو كان امر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها لامر بها مصعب بن عمير عند ارساله
للمدينة ولم يامره بها الا بعد ذلك الا ان يقال انما لم يامره بها حينئذ لانه يجوز ان يكون انما امر بها بعد ذهاب مصعب الى
المدينة اى انه انما لم يامره بذلك حينئذ لان لاقامتها شروطا منها العدد وهو عند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه اربعون
بشروط لم يكن ذلك موجودا عند ارساله صلى الله عليه وسلم ومن ثم لما علم صلى الله عليه وسلم وجود العدد المذكور ارسل
له يامره بذلك فى قوله اما بعد فانظر اليوم الخ ثم لا يخفى ان ظاهر سياق الروايات يدل على ان الذى هداهم الله اليه انما هو
ايقاع العبادة فى هذا اليوم لا تسميته بيوم الجمعة كما تقدم عن السهيلى ذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم سماه يوم الجمعة لما ارسل لمصعب بن عمير ان يفعلها كما تقدم فى الاسرى وقد ذكر ايضا ان كعب بن لوى اول من سمى
يوم العروبة الجمعة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان تكون الانصار ومن معهم من المهاجرين لم يبلغهم ما ذكر عن كعب بن لوى ان
ثبت انهم سموها بهذا الاسم اجتهادا منهم وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن سبب تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة فقال لان فيها جمعت طينة ابيك ادم وقد علمنا انه لا مخالفة بين ما هنا وما تقدم
فى الاسرى والله اعلم واسلم سعد بن معاذ وابن عمه اسيد بن حضير رضى الله تعالى عنهما على يد مصعب بن عمير و
كان اسلام اسيد قبل سعد فى يوم فعن ابن اسحق ان اسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه خرج بمصعب بن عمير
الى حائط اى بستان من حوائط بنى ظفر فلما دخلا جلسا واجتمع معهما رجال ممن اسلم وسعد بن معاذ واسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما
اى بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا ابا لك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعنى
اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير اللذين اتيا دارينا اى محلتنا وهى المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما
وانههما اى عنف وغلظ قال له لولا ان اسعد بن زرارة فازجره عنا فليكف عنا ما نكره فانه بلغنى انه قد جاء بهذا الرجل الغريب
يسفه سفهاءنا وضعفاءنا فانه لولا اسعد بن زرارة منى حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا اجد عليه مقدما
فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل عليهما فلما راه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ثم
قال مصعب ان يجلس هذا كلمته قال فوقف عليهما متشتما قال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما
بانفسكما حاجة وفى لفظ قال يا اسعد ما لنا ولك تاتينا بهذا الرجل الغريب يسفه سفهاءنا وضعفاءنا وفى رواية
علام اتيتنا فى دارنا بهذا الرجل الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب او تجلس
بفتح الواو واستفهام فتسمع بالنصب جواب الاستفهام فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره اى منعنا

عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القران فقال ما احسن هذا واجمله
بالنصب على التعجب كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا فى هذا الدين قال تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبيك ثم تشهد شهادة
الحق ثم تصلى فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين اى وهما صلوة التوبة فقد روى
اصحاب السنن وقال الترمذى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى
ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر له ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الان وهو
سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال احلف
بالله لقد جاءكم اسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين
فوالله ما رايت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما احببت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه و
ذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك اى لينقضوا عهدك فقام سعد مغضبا مبادرا فاخذ الحربة من يده وقال والله ما اراك
اغنيت شيئا ثم خرج اليهما فلما اقبل سعد قال اسعد لمصعب لقد جاءك والله سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك
منهم اثنان فلما راهما سعد مطمئنين عرف سعد ان اسيدا انما اراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا ابا
امامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت منى هذا اتغشانا فى دارنا بما نكره فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان
رضيت امرا قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض
عليه القران فقال لهما كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم فى هذا الدين قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة
الحق ثم تركع ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى
نادى قومه ومعه اى مع ذلك النادى اسيد بن حضير فلما راه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه
الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون امرى فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وايمننا
ورسوله قالوا فوالله ما امسى فى دار اى قبيلة بنى الاشهل رجل ولا امراة الا مسلما ومسلمة فاسلموا فى يوم واحد كلهم
وكان ذلك بعد العقبة الاولى وقبل العقبة الثانية الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت بن عبد الاشهل فانه
تاخر اسلامه الى يوم احد فاسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واخبر صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة اى وفى كلام
ابن الجوزى اول دار اى قبيلة اسلمت من دور الانصار دار بنى عبد الاشهل ثم رجع مصعب الى دار اسعد بن زرارة
رضى الله تعالى عنه فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا فيها رجال ونساء
مسلمون الا ما كان من سكان عوالى المدينة اى قراها من جهة نجد وفى كلام بعضهم الا جماعة من الاوس بن حارثة وذلك
انه كان فيهم ابو قيس وهو صيفى بن الاسلت وكان شاعرا لهم يسمعون منه ويطيعونه لانه كان لا يقول الا بالحق معظما قد ترهب
فى الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا وقال اعبد اله ابراهيم لا يدخل فيه حائض
ولا جنب فوقف بهم عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر و
احد والخندق فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير انتهى وسبب تاخر اسلامه ما ذكره بعضهم انه لما اراد الاسلام
عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه ابى بن سلول وكلمه بالغضب ونفره عن الاسلام وقال ابو قيس لا اتبعه
الا اخر الناس فلما احتضر ارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قل لا اله الا الله اشفع لك بها فقال الهادم
ابنه ان ينكح امراة ابيه اى على ما هو عادة الجاهلية اى وكان ذلك فى المدينة حتى فى اول الاسلام ان اكبر اولاد الرجل
يخلف على زوجته بعد موته فنزل التحريم اى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وتقدم الكلام على

سبب نزول هذه الاية مستوفى ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين من الانصار الى الموسم مع حجاج
قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمن اسلم فسر بذلك وعن كعب بن مالك قال خرجنا
في حجاج قومنا من المشركين ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا وان البراء لما دلفنا اى ابتدأنا من السفر حتى بذلك لانه ولد فيها معرور معناه
لغة مقصود فلما خرجنا من المدينة قال لنا البراء انى قد رايت رايا ما ادرى اتوافقونى عليه ام لا قال قلنا وما ذاك قال قد رايت
ان لا ادع هذه البنية اى بفتح الموحدة وكسر النون وتشديد المثناة تحت المفتوحة ثم تاء التانيث على وزن فعيلة يعنى الكعبة
منى بظهر وان اصلى اليها قال قلنا والله ما بلغنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى الا الى الشام يعنون بيت المقدس اى
صخرته وما نريد ان نخالفه قال فقال انى اصلى اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلوة صلينا الى الشام
يعنى بيت المقدس اى واستدبرنا الكعبة وصلى الى الكعبة اى مستدبر الشام حتى قدمنا مكة وقد عبنا عليه ذلك وابى الا الاقامة
على ذلك فلما قدمنا مكة قال لى يا ابن اخى انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اساله عما صنعت في سفرى هذا فانه
والله لقد وقع في نفسى منه شيء لما رايت من خلافكم اياى فيه قال فخرجنا نسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و
كنا لا نعرفه لانا لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من اهل مكة فسالناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تعرفانه
قلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قلنا نعم وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما
المسجد فاذا هو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فاذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه
فسلمنا ثم جلسنا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا ابا الفضل قال نعم
هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال كعب فوالله ما انسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر
قال نعم فقال له البراء بن معرور يا نبي الله انى خرجت في سفرى هذا وقد هدانى الله بالاسلام فرايت ان لا اجعل هذه
البنية منى بظهر يعنى الكعبة فصليت اليها وقد خالفنى اصحابى في ذلك حتى وقع في نفسى من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله
قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بيت المقدس ولم يامره باعادة
الصلوة مع انه كان مسلما وبين له انه كان الواجب عليه استقبال بيت المقدس لانه كان متاولا وفي هذا تصريح بانه
صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا بمكة قبل الهجرة وبعدها يصلون الى بيت المقدس قبل ان تحول القبلة وقد تقدم الوعد
بذلك قال كعب ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ان يوافوه في الشعب الايمن اذا انحدروا من
منى اسفل العقبة حيث المسجد اليوم اى الذى يقال له مسجد البيعة كما تقدم وامرهم ان لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا وذلك
في ليلة اليوم الذى هو يوم النفر الاول قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لها وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين امرنا وكان من جملة المشركين ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام بفتح الحاء والراء
المهملتين فكلمناه وقلنا له يا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا
للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام فاسلم واخبرنا بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فنمنا تلك
الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعد هداة
نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلا
وامراتان نسيبة بالتصغير وهي ام عمارة من بنى النجار اى وكانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معها زوجها
وابناها حبيب وعبد الله رضى الله تعالى عنهم وحبيب هذا اخذه مسيلمة الكذاب وصار يقول له اتشهد ان محمدا رسول الله
فيقول نعم ثم يقول وتشهد انى رسول الله فيقول لا اسمع فيقطع عضوا من اعضائه وهكذا حتى تتبع اعضاءه ومات وسياتى

مادفع

ما دفع له رضى الله تعالى عنه في حرب مسيلمة وام منيع اى وهذه الرواية لا تخالف رواية الحاكم خمسة وسبعون نفسا
ثم تخالف قول ابن سعد وهم سبعون رجلا يزيدون رجلا او رجلين وامراتان اى منهم احد عشر رجلا من الاوس قال
فلاذ لنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا اى وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم
اقول وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم والله اعلم جاءهم ومعه عمه
العباس بن عبد المطلب اى ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له اقول
وهذا لا يخالف ما جاء انه كان معه ايضا ابو بكر وعلى لان العباس اوقف عليا على فم الشعب عينا له واوقف ابا بكر على فم
الطريق الاخر عينا فلم يكن معه عندهم الا العباس والله اعلم فلما جلسوا كان العباس اول متكلم فقال يا معشر الخزرج اى
قال له ذلك لان العرب كانت تطلق الخزرج على ما يشمل الاوس وكان تغلب الخزرج على الاوس فيقولون الخزرجين
ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد ابى الا الانحياز
اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان
كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده فقال البراء
بن معرور انا والله لو كان في انفسنا غير ما تنطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج انفسنا دون
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى والبراء بن معرور هو اول من اوصى بثلث ماله وفي رواية ان العباس قال قد ابى محمد الناس
كلهم غيركم مما يفيد ان الناس غير الانصار وافقوه على مناصرته فاباهم ولا يساعد عليه ما تقدم ولولا التاكيد بلفظ كلهم لامكن
ان يراد بالناس قبيلة شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا له ننصرك مما يلى مياه العرب دون ما يلى مياه كسرى فابى ذلك و
يحتمل ان المراد بالناس الذين اباهم اهله وعشيرته والله اعلم وعندما تكلم العباس بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخذ لنفسك ولربك ما احببت وفي رواية خذ لنفسك ما شئت واشترط لربك ما شئت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي عز وجل ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم
وابناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة فقالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفي رواية
فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلى القران ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان
تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم اى وفي رواية انهم قالوا له يا رسول الله نبايعك قال تبايعوني على السمع والطاعة
في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وان تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة
لائم وعلى ان تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة فاخذ البراء بن معرور بيده
صلى الله عليه وسلم ثم قال نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا اى نساءنا وانفسنا لان العرب تكنى بالازار عن
المراة وعن النفس فبايعنا والله اهل الحرب واهل الحلقة اى السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ابو الهيثم بن التيهان بتشديد المثناة تحت وتخفيفها تغلبه على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس
اخفوا جرسكم اى صوتكم فان علينا عيونا ثم قال ابو الهيثم يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال يعنى اليهود حبالا اى عهودا و
انا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه و
سلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم بفتح الدال وسكونها اهدار دم القتيل اى دمى دمكم اى تطلبون بدمى واطلب
بدمكم فدمى ودمكم واحد وفي لفظ بل اللدم اللدم وهو بالتحريك الحرم في القرابات اى حرمى حرمكم تقول العرب اذا ارادت
تاكيد المحالفة دمى دمك وهدمى هدمك اى اذا اهدرت دمى اهدرت دمك وفي لفظ ذمتى ذمتكم وحلى مع رحلتكم انا منكم وانتم

منى احاربن حاربتم واسالم من سالمتم اى وعند ذلك قال العباس لهم رضى الله تعالى عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله
مع عهدكم فى هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق ايديكم لتجدن فى نصرته ولتشدن من ازره قالوا جميعا نعم قال العباس
اللهم انك سامع شاهد وان ابن اخى قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن اخى عليهم شهيدا ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من
الاوس اى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى اخذ من بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجدن احد فى نفسه
ان يوخذ غيره فانما يختار لى جبريل اى لانه عليه الصلوة والسلام حضر البيعة فلما تخيرهم اى وهم سعد بن عبادة واسعد بن زرارة
وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن معرور وابو الهيثم بن التيهان واسيد
بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك رضى الله تعالى عنهم كل واحد على قبيلة وقال
صلى الله عليه وسلم لاولئك النقباء انتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومى يعنى المهاجرين
وقيل ان الذى تولى الكلام من الانصار وشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسعد بن زرارة اى وهو
من اصغرهم فانه اخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم وقال رويدا يا اهل يثرب انا لم نضرب اليه اكباد الابل الا ونحن نعلم
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اخراجه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وان تعضكم السيوف فاما
انتم قوم تصبرون عليها اذا مستكم وبقتل خياركم ومفارقة العرب كافة اى جميعا فخذوه واجركم على الله تعالى واما انتم
تخافون من انفسكم خيفة فذروه فهو اعذر لكم عند الله عز وجل فقالوا يا اسعد امط عنا يدك فوالله لا نذر اى نترك هذه البيعة ولا
نستقيلها اى لا نطلب الاقالة منها وقيل ان الذى تكلم مع الانصار وشد العقد العباس بن عبادة بن نضلة قال يا معشر الخزرج
هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعون على حرب الاحمر والاسود من الناس اى على من حاربه منهم والا فهو صلى الله
عليه وسلم لم يوذن له فى البداءة بالمحاربة الا بعد ان هاجر الى المدينة كما سياتى وكان قبل ذلك مامورا بالدعاء الى الله تعالى
والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل ثم ذكر ما تقدم عن اسعد بن زرارة اى ثم توافقوا على ذلك وقالوا يا رسول الله فما لنا
بذلك ان نحن وفينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبسط يده صلى الله عليه وسلم فبايعوه اى واول
من بايعه صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور وقيل اسعد بن زرارة وقيل ابو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون كلهم
اى وبايعه المراتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما ياخذ عليهن فاذا احرزن قال اذهبن
فقد بايعتكن كما سياتى فكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر اى العرب والعجم فهولاء الثلاثة لم يتقدم عليهم
احد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقة واضافية اى وقال ان ابا الهيثم قال ابايعك يا رسول الله على ما بايع عليه
الاثنى عشر نقيبا من بنى اسرائيل موسى بن عمران عليه الصلوة والسلام وان عبد الله بن رواحة قال ابايعك يا رسول الله
على ما بايع عليه الاثنى عشر من الحواريين عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام وقال اسعد بن زرارة ابايع الله عز وجل
يا رسول الله فابايعك على ان اتم عهدى مع وفاى واصدق قولى بفعلى فى نصرك وقال النعمان بن حارثة ابايع الله عز وجل
يا رسول الله وابايعك على الاقدام فى امر الله عز وجل لا اراف فيه القريب ولا البعيد اى لا اعامل بالرافة والرحمة وقال
سعد بن الربيع ابايع الله وابايعك يا رسول الله على ان لا اعصى لكما امرا ولا اكذب لكما حديثا فلما انقضت البيعة وهذه
البيعة يقال لها العقبة الثانية ولما وقعت صرخ الشيطان من راس العقبة باشد صوت وابعده يا اهل الجباجب اى
بجيمين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل جيم باء موحدة وهى منازل منى وفى الهدى يا اهل الاخاشب
هل لكم فى مذمم والصباة معه يعنى بمذمم النبى صلى الله عليه وسلم لان قريشا كانت تقول بدل محمد صلى الله

عليه وسلم مذمم ويعنى بالصباة اصحابه الذين بايعوه لانهم كانوا يقولون لمن اسلم صابى لان الصابى من خرج من دين الى دين وقوله
الا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد فانهم قد اجمعوا اى عزموا على حربكم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اسمع اى عدو الله اما والله لا تفرغن لك وازب بالهمزة واسكان الزاى
ثم بالموحدة الخفيفة وقيل بفتح الهمزة وفتح الزاى وتشديد الموحدة اى شيطان سمى بهذا الاسم المركب من المضاف والمضاف
اليه عامرها وازب فى الاصل القصير ومن ثم راى عبد الله بن الزبير رجلا طوله شبران على برذعة رحله فقال له ما انت
قال ازب قال وما ازب قال رجل من الجن فضربه على راسه بعود سوط فهرب وعند ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
انفضوا وفى لفظ ارفضوا الى رحالكم اقول وفى رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من راس الجبل يا معشر قريش
هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزعوا اى الانصار وعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا
الصوت فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه احد ممن تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ ازب العقبة لانه من اتباع الشيطان وانه
اتى باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم فعن حارثة بن النعمان رضى الله تعالى عنه لما فرغوا من المبايعة
قلت يا نبى الله لقد رايت رجلا عليه ثياب بيض انكرته قائما على يمينك قال وقد رايته قلت نعم قال ذلك جبريل عليه
السلام والله اعلم ثم ان الحديث فما وسمع المشركون من قريش بذلك اى وفى كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى
بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج فقال عمرو بن العاص ما نال ابو جهل من الفزع قال عمرو وذهبت انا وهو الى
عتبة بن ربيعة فاخبره بصوت منبه بن الحجاج فلم يخبر ما راعنا وقال هل اتاكم فاخبركم بهذا منبه فقلنا لا فقال لعله
ابليس الكذاب الحديث وفيه طول وامره مستغرب ولا ينافى سماع عمرو وابى جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم
ليس يسمعه احد ممن تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء اجلتهم واشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار
فقالوا يا معشر الاوس والخزرج وفى رواية يا معشر الخزرج اى بالتغليب بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه
من بين اظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حى ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فقام مشركو الاوس والخزرج
يحلفون لهم ما كان من هذا شئ وما علمناه اى حتى ابى بن سلول جعل يقول هذا باطل وما كان قومى ليفتاتوا على بمثل هذا
لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومى حتى يوامرونى وصدقوا لانهم لم يعلموه كما علم مما تقدم اى ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن
خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اتبعوا اثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فاما سعد فقد
تعذب فى الله واما المنذر فافلت ثم انقذ الله سعدا من يدى المشركين قال فقيل عنه انه قال لما ظفروا بى وربطوا يدى فى عنقى
فلا زالوا يلطمون على وجهى ويجذبونى بجمتى اى وكان ذا شعر كثير حتى ادخلونى مكة فاوى الى رجل اى وهو ابو البخترى بن هشام
مات كافرا وقال ويحك ما بينك وبين احد من قريش جوار ولا عهد قال بلى قد كنت اجير لجبير بن مطعم تجاره وامنعهم
ممن اراد ظلمهم ببلادى وللحارث بن حرب بن امية اى وهو اخو ابى سفيان والاول اسلم بعد الحديبية والثانى لا يعلم
له اسلام فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما فى المسجد فقال لهما ان رجلا
من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو قال يقول انه سعد بن عبادة فجاءا فخلصانى من ايديهم انتهى اى وعن
سعد بينا انا مع القوم وانا مضروب اذ طلع على رجل ابيض وضئ شعشاع اى طويل فايد الحسن حلو من الرجال فقلت فى نفسى
ان يكن عند احد من القوم خير فعند هذا فلما دنا منى رفع يده ولكمنى لكمة شديدة فقلت فى نفسى والله ما عندهم بعد
هذا خير وهذا الرجل سهيل بن عمرو رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة اظهروا
الاسلام اى اظهارا كليا وتجاهروا به والا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح

اي وهو من سادات بني سلمة بكسر اللام واشرافهم لم يكن اسلم وكان ممن اسلم ولده معاذ بن عمرو وكان لعمرو في داره صنم اي
من خشب يقال له مناة لان الدماء كانت تمنى اي تصب عنده تقربا اليه كان يعظمه فكان فتيان قومه ممن اسلم كمعاذ بن جبل وولده
عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه اي يحملونه بعد اخراجه من داره في بعض الحفر التي فيها عذر الناس
منكسا فاذا اصبح عمرو قال ويحكم من عدا على الهتنا هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا امسى عدوا عليه
وفعلوا به مثل ذلك اي الى ان غسله وطيبه جاء بسيفه فعلقه في عنقه ثم قال له ما اعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف
معك فلما امسى عدوا واخذوا السيف من عنقه ثم اخذوا كلبا ميتا فقرنوه بحبل ثم القوه في بئر من ابار بني سلمة فيها عذر الناس فلما
اصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم تطلبه الى ان وجده في تلك البئر فلما راه كذلك رجع الى عقله وكلمه من اسلم من قومه فاسلم وحسن
اسلامه وانشد ابياتا منها والله لو كنت الها لم تكن انت وكلب وسط بئر في قرن اي في حبل وامر صلى الله عليه وسلم من كان
معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة اي لان قريشا لما علمت انه صلى الله عليه وسلم اوى اي استند الى قوم اهل حرب ونجدة ضيقوا على
اصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتون في دينه وبين معذب
في ايديهم وبين هارب في البلاد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستاذنوه في الهجرة اي فمكث اياما لا ياذن ثم قال اريت دار
هجرتكم اريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة ارض نخل وسباخ لقلت هي هي والسراة بفتح السين
اعظم بلاد العرب ثم خرج اليهم مسرورا فقال قد اخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن اراد ان يخرج فليخرج اليها فجعلوا يخرجون
اليها ارسالا اي متتابعين يخفون ذلك وفي رواية رايت في المنام اني هاجرت من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي اي
وهمي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب وفي الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي اي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك المدينة او البحرين او قنسرين قال الترمذي هذا حديث
غريب [illegible] الحاكم فاختار المدينة اقول وفيه ان هذا السياق المتقدم يدل على ان استيذانهم في الهجرة عبارة عن خروجهم من مكة
لا لخصوص المدينة وان علمه صلى الله عليه وسلم في الهجرة لعدم تعين المحل الذي يهاجرون اليه له صلى الله عليه وسلم
وكل ذلك لا يناسب ما تقدم في حديث المعراج من قول جبريل عليه السلام له صليت بطيبة واليها الهجرة وقد يجاب بانه يجوز
ان يكون صلى الله عليه وسلم انسي قول جبريل المذكور حينئذ ثم تذكره بعد ذلك في قوله قد اخبرت بدار هجرتكم الخ وغير ان
هذا لا يحسن بعدما بعثه له صلى الله عليه وسلم للاوس والخزرج على نصرته ومعاهدته عليه مع علمهم بان وطنه المدينة وكونهم
يبايعونه على نصرته مع كونه ساكنا في البحرين او قنسرين في غاية البعد على انه سياتي في غزاة بدر انه صلى الله عليه وسلم
خشي ان الانصار لا ترى نصرته الا في المدينة اي فان في بعض الروايات وعلى ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب والله اعلم
وقبل الهجرة اخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين اي من المهاجرين على الحق والمواساة فاخى بين ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما واخى بين
حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارث وبلال وبين
مصعب بن عمير وسعد بن ابي وقاص وبين ابي عبيدة ابن الجراح وسالم مولى ابي حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله وبين
علي ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال اما ترضى ان اكون اخاك قال بلى يا رسول الله رضيت قال فانت اخي في الدنيا والاخرة
قال وانكر ابو العباس بن تيمية المواخاة بين المهاجرين سيما مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه
قال لان المواخاة بين المهاجرين والانصار انما شرعت لارفاق بعضهم ببعض ولتالف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمواخاة
مهاجري لمهاجري قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان اقوى من بعض بالمال والعشيرة
فاخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى ويستعين الاعلى بالادنى ولهذا تظهر مواخاته صلى الله عليه وسلم

لعلي

لعلي رضي الله تعالى عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو الذي يقوم بامره قبل البعثة وفي الصحيح في عمرة القضاء ان زيد بن
حارثة قال ان بنت حمزة بنت اخي اي بسبب المواخاة وكان اول من هاجر اليها اي الى المدينة ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد
المخزومي وهو اخوه من الرضاع وابن عمته وهو اول من يدعى للحساب اليسير كما تقدم فانه لما قدم من الحبشة لمكة اذاه اهلها
واراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من اسلم من الانصار اي الاثني عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم
المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه ام سلمة وابنها سلمة في حجرها وخرج يقود البعير راه رجال
من قوم ام سلمة فقاموا اليه وقالوا يا ابا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ثم نزعوا
خطام البعير منه فجاء رجال من قوم ابي سلمة وقالوا ان ابننا معها اذ نزعتموها من صاحبنا فلا نتركه معها ثم تجاذبوه حتى خلعوا
يده واخذه قوم ابيه ففرق بينها وبين زوجها وابنها فكانت تخرج كل غداة الابطح فتبكي حتى المساء نحو سنة فمر بها
رجل من بني عمها فراى ما بها فرحمها وقال لقومها اما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها
الحقي بزوجك فلما بلغ ذلك قوم ابي سلمة ردوا عليها ولدها فارتحلت بعيرا وحملت ولدها في حجرها وخرجت تريد المدينة
وما معها احد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة اي الحجبي صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان بن طلحة
يومئذ مشركا ثم اسلم رضي الله تعالى عنه عند الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كما سياتي فشيعها الى
المدينة حتى اذا اوفى على قباء قال لها هذا زوجك هنا ثم انصرف وهي اول ظعينة دخلت من المهاجرين المدينة رضي الله
تعالى عنها وكانت ام سلمة تقول ما رايت صاحبا اكرم من عثمان بن طلحة قال وقال ابن اسحق وابن سعد ثم كان اول من قدم
بعد ابي سلمة عامر بن ربيعة ومعه امراته ليلى بنت ابي حثمة بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثلثة وهي اول
ظعينة انتهى اقول ام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة لا مع زوجها وليلى اول ظعينة قدمت المدينة مع زوجها
فلا منافاة وفي كلام ابن الجوزي اول من هاجر الى المدينة من النساء ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط والله اعلم وقالت
اي ام سلمة ما تقدم عنها في حق عثمان بن طلحة بقولها فانه لما رآني قال الى اين قلت الى زوجي قال او ما معك احد قلت
لا ما معي الا الله وابني هذا فقال والله لا اتركك ثم اخذ بخطام البعير وسار معي فكان اذا وصلنا المنزل اناخ بي ثم
استاخر فاذا نزلت جاء واخذ بعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ثم اتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري
فرحله وقدمه ثم استاخر عني وقال اركبي فاذا ركبت اخذ بخطامه فقادني انتهى اي وقد قال فقهاؤنا من الصغائر سفر
المراة بغير زوج ولا محرم ولا امراة ثقة في غير الهجرة وفرض الحج والعمرة اما في ذلك فيجوز حيث امنت الطريق وقولنا لا معهم
لا ينافي ان اول من قدم المدينة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير لان قدومه كان معهم على ما تقدم ويقال
ابو سلمة اول من قدم المدينة بوازع طبعه واما مصعب فكان بارساله صلى الله عليه وسلم ثم رايت في السيرة الهشامية
اول من هاجر الى المدينة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني مخزوم ابو سلمة وعليه فلا اشكال ثم جاء
عمار وبلال وسعد وفي رواية ثم قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا اي بعد العقبة الثانية فنزلوا
على الانصار في دورهم فاووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب وعياش بن ابي ربيعة في عشرين راكبا وكان
هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب ان يهاجر معه وقال تجدني او اجدك عند محل كذا فتفطن بهشام قومه فحبسوه عن
الهجرة وعن علي رضي الله تعالى عنه قال ما علمت ان احدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم
بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده اسهما واختصر عنزته اي وهي الحربة الصغيرة علقها عند خاصرته
ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم اتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة

واحدة فقال لهم شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس يعني الانوف فنادوا ان تكلمه امه اي تشفقه او يرتم ولده او يعمل زوجته فلما بلغني ورده هذا الوادي قتل علي رضي الله تعالى عنه فابتعه احد ثم مضى لوجهه ثم ان ابا جهل واخاه شقيقه الحارث رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن ابي ربيعة وكان اخاهما لامهما وابن عمهما كان اصغر ولد امه واخبراه ان امه قد نذرت ان لا تغسل راسها وفي لفظ ولا يمس راسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراه اي وفي لفظ ان لا تاكل ولا تشرب ولا تدخل مسكنا حتى يرجع اليها وقالا له انت احب ولدها اليها وانت في دين من بر الوالدين فارجع الى امك فتعبد ربك كما تعبده بالمدينة فرقت نفسه وصدقهما واخذ عليهما المواثيق ان لا يغشاه بسوء وقال له عمر ان يريدا الا فتنك عن دينك فاحذرهما والله لو اذى امك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش ابر امي ولي مال هناك اخذه فقال عمر خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فابى الا ذلك فقال له عمر فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريب فانج عليها فابى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا الى المدينة كتفاه بنجيبة اتياه اي شداه الى خلف بالكتاف في الطريق اي وفي السيرة الهشامية انه اخذ الناقة وخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له ابو جهل يا اخي والله لقد استغلظت بعيري هذا الا تعقبني على ناقتك هذه قال بلى فاناخ واناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه واوثقاه ودخلا به مكة نهارا موثقا وقالا يا اهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا وفي لفظ بسفيهنا فحبس بمكة مع هشام بن العاص فانه كما تقدم منع وحبس عن الهجرة وجعل كل في قيد وفي لفظ انهما لما ذكر الدار امه حلفت ان لا يظلها سقف بيت حتى تراه واعطياه موثقا ان لا يمنعاه وان يخليا سبيله بعد ان تراه امه فانطلق معهما حتى اذا خرجا من المدينة عمدا اليه فشداه وثاقا وجلداه نحو مائة جلدة وكان اعانهما عليه رجل من بني كنانة اي يقال له الحارث بن يزيد القرشي وفي كلام ابن عبد البر انه كان من بعث به بمكة مع ابي جهل حتى الينبوع جلده كل واحد منهما مائة جلدة وانه لما جيء به الى مكة القي في الشمس وحلفت امه ان لا يحل عنه حتى يرجع عن دينه ففتن قيل وكان ذلك سبب نزول قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه الاية وقيل انه تقدم انها نزلت في سعد بن ابي وقاص الا ان يقال يجوز ان يكون مما تكرر نزوله نزلت فيهما وحلف عياش ليقتلن ذلك الرجل ان قدر عليه قيل ولم يزل عياش محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فخرج عياش فلقي ذلك الرجل الكناني وكان قد اسلم وعياش لا يعلم باسلامه فقتله واعلم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لعياش قم فحرر اي اعتق رقبة وما ذكر من ان عياشا استمر محبوسا الى الفتح يخالف قول بعضهم بمكث صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة كما سياتي اربعين يوما يقنت في صلوة الصبح بعد الركوع اي من الركعة الاخيرة وكان يقول في قنوته اللهم انج الوليد بن الوليد وعياش بن ابي ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين من المؤمنين بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان هذا يدل على ان هشام بن العاص وعياش بن ابي ربيعة لم يفتتنا ولم يرجعا عن الاسلام وفي السيرة الهشامية ما يفيد انهما فتنا الاول صريحا والثاني ظاهرا وفي السيرة الشامية التصريح بافتتانهما وفيه نظر لما ذكر ولانهما لو كانا فتنا لاطلقا من الحبس والقيد الا ان يقال فعل بهما ذلك لعدم الوثوق برجوعهما عن الاسلام ومما يدل على ان رجوعهما عن الاسلام ان صح انما كان ظاهرا فقط دعاؤه صلى الله عليه وسلم لهما اي وسياتي ان الوليد كان سببا لتخليص عياش بن ابي ربيعة وهشام بن ابي العاص بعد ان تخلص من الحبس وهاجر الى المدينة فان الوليد بن المغيرة ذهبا به الى مكة فاسلم واراد الهجرة فحبسوه بمكة وقيل له هلا اسلمت قبل ان تفدى قال كرهت ان يظن في اني جزعت الاسار ثم نجا وتوصل ابى المدينة الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما الى المدينة فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وبه تعلم ضعف ما تقدم من ان عياشا

[Margin note, vertical:] ... ابن الوليد ... هشام ... بن العاص ... [illegible]

لم يزل محبوسا الى يوم الفتح وممن هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة اي لانه لما اعتقته زوجة ابي حذيفة وكانت انصارية تبناه ابو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة فيهم عمر بن الخطاب لانه كان اكثرهم اخذا للقران وكان عمر بن الخطاب يثني عليه كثيرا حتى قال لما اوصى عند قتله لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا ما جعلتها شورى قال ابن عبد البر معناه انه كان يأخذ برايه فيمن يوليه الخلافة اي فانه قتل في يوم اليمامة وارسل عمر ميراثه لمعتقته فابت ان تقبله فجعله في بيت المال وهاجر صهيب الهجرة الى المدينة اي بعد ان هاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافا لما يوهمه كلام الاصل والشامي قال له كفار قريش اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد ان تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب ارايتم ان جعلت لكم مالي اتخلون سبيلي قالوا نعم قال فاني جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب اقول ـ وذكر ان صهيبا تواعد مع صلى الله عليه وسلم ان يكون معه في الهجرة فلما اراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار ارسل اليه ابا بكر مرتين او ثلاثا فوجده يصلي فكره ان يقطع عليه صلوته كما سياتي وحينئذ يكون قول صهيب المذكور بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة كما تقدم وهو ما في الخصائص الكبرى عن صهيب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه ابو بكر وقد كنت هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش اي بعد ان اردت الخروج بعده وقالوا جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد ان تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك ابدا قال فقلت لهم لكم ان اعطيكم اواقي من الذهب وفي لفظ ثلث مالي وتخلوا سبيلي ففعلوا فقلت احفروا تحت اسكفة الباب فان تحتها الاواقي وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء قبل ان يتحول منها فلما راني قال يا ابا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله انما سبقني اليك احد فما اخبرك الا جبريل عليه السلام اي واخرج ابو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم وتقلد سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل على راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم اني من ارماكم رجلا وايم الله لا تصلون الي حتى ارمي بكل سهم في كنانتي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم اي وفي رواية انهم قالوا دلنا على مالك ونخلي عنك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين ان المشركين اخذوه وعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا وقيل نزل قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما وجدت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر جالسين فلما راني ابو بكر قام الي فبشرني بالاية التي نزلت في اي وفي رواية فلقاني ابو بكر وعمر ورجال فقال لي ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرني بما ذاك فقال انزل الله فيك كذا وقرا علي الاية وفي تفسير سهيل بن عبد الله التستري ان صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار وكان لا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد حكي ان امراة اشترته فراته كذلك فقالت لا ارضى بك حتى تنام بالليل لانك تضعف فلا تتهيا لك الاشتغال باعمالي فبكى وقال ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة زاد شوقه واذا ذكر الله طال شوقه اي فليتامل هذا مع ما في تاريخ ابن كثير ان الروم اغارت على بلاد صهيب وكانت على دجلة وقيل على الفرات فاسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فجلبوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فاعتقه واقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسلامه واسلام عمار في يوم واحد وقد يقال يجوز ان تكون تلك المراة التي اشترته كانت من بني كلب وعن صهيب رضي الله تعالى عنه صحبت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه وانه قال له عمر رضي الله تعالى عنه اكتنيت وليس لك ولد فقال كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي يحيى اي فهو من حلة من كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ولد له وكان في لسانه عجمة شديدة وكان فيه دعابة بحضرته صلى الله عليه وسلم ياكل تمرا ورطبا وهو ارمد احدى عينيه فقال له اتاكل

رطبا وانت ارمد فقال انما اكل من ناحية عيني الصحيحة فضحك صلى الله عليه وسلم وفي المعجم الكبير للطبراني عن صهيب قال
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فاخذت اكل التمر فقال لي اتاكل التمر وعينك
رمدا فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى فلا مانع من التعدد و
لما اذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة وهاجروا ومكث صلى الله عليه وسلم بعد اصحابه ينتظر ان يؤذن له في الهجرة ولم
يتخلف معه الا علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وابو بكر وصهيب كما علمت ومن كان محبوسا او مريضا او عاجزا عن الخروج
وكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله
ان يجعل لك صاحبا فطمع ابو بكر ان يكون هو وفي رواية تجهز ابو بكر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك
فاني ارجو ان يؤذن لي فقال له ابو بكر هل ترجو ذلك بابي انت قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين عنده الخبط اى ورق السمر بفتح المهملة وضم الميم قال الزهري وهو الخبط
قال ابن فارس والخبط ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر وكان مدة علفهما اربعة اشهر اي وكان اشتراهما بثمانمائة
درهم اقول ظاهر هذا السياق ان علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ومعلوم
ان ذلك بعد مبايعة الانصار لان المدة بين مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم والهجرة كانت ثلاثة اشهر او قريبا
منها لانها كانت في ذي الحجة ومهاجرته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع الاول وفي السيرة الهشامية ما يصرح بان
علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ففيها انه صلى الله عليه وسلم لما قال لابي بكر
وقد استاذنه في الهجرة لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا طمع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعني نفسه فابتاع
راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما اعدادا لذلك وسياتي عن الحافظ ابن حجر ان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله
عليه وسلم شهرا وبضعة عشر يوما على التحرير والله اعلم ولما رات قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صار له شيعة اى انصار
واصحاب من غيرهم ورأوا خروج اصحابه اليهم وانهم اصابوا منعة لان الانصار قوم اهل حلقة اى سلاح وحرب حذروا اى خافوا ان
يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يجمع على حربهم فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت محل المشورة لهم لا يقضون امرا الا فيها اى وهي اول دار بنيت بمكة كانت منزلا لقصي بن كلاب
كما تقدم ثم صارت لولده عبد الدار ثم ابتاعها معاوية لما حج وهو خليفة من اولاد عبد الدار وتقدم ان معاوية انما اشتراها
من حكيم بن حزام ويدل لذلك ما جاء عن مصعب بن عبد الله قال جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية
بن ابي سفيان بمائة الف درهم فقال له عبد الله ابن الزبير بعت مكرمة قريش فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى يا ابن اخي
الى اخر ما تقدم وكانت دار الندوة جهة الحجر عند المقام الحنفي الان وكان لها باب للمسجد وتقدم انه كان لا يدخلها
عند المشورة من غير ولد قصي الا ابن اربعين سنة وكلام بعضهم ساد ابو جهل ولم يطر شاربه فدخل دار الندوة وما
استدارت لحيته وقد ادخلت في المسجد قيل لها دار الندوة لاجتماع الندي وهو الجماعة فيها وكان ذلك اليوم يسمى يوم
الزحمة لانه اجتمع فيه اشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني اسد وبني مخزوم وبني سهم وبني جمح وغيرهم
ممن لا يعد من قريش اي ولم يتخلف من اهل الراي والحجا احد ثم ان ابليس جاءهم في صورة شيخ نجدي عليه طيلسان
من خز وقيل من صوف اى وانما فعل ذلك ليقبل منه ما يشير به لان اهل الطيالسة في العادة اهل الوقار ذوو المعرفة ووقف
ذلك الشيخ على الباب فقالوا من الشيخ قال شيخ من اهل نجد سمع بالذي اجتمعتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ان
لا يعدمكم منه رايا ونصحا قالوا اجل اى نعم فادخل فدخل معهم اى وانما هواهم كان مع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل

لما سمعهم

لما سمعهم يقولون لا يدخل معكم اليوم الا من هو منكم قال لهم لما سالوه وقالوا له من انت قال شيخ من نجد وانا ابن اختكم فقالوا ابن
اخت القوم منهم وقيل ان ابليس لما دخل عليهم انكروه وقالوا له من انت وما ادخلك علينا في خلوتنا هذه بغير اذننا فقال انى
رجل من اهل نجد رايتكم حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فاحببت ان اجلس اليكم واسمع كلامكم فان كرهتم ذلك خرجت عنكم
فقال بعضهم لبعض هذا نجدي ولا عين عليكم منه وفي لفظ هذا من اهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم وعند المشورة قال بعضهم
لبعض ان هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من امره ما قد رايتم وانا والله لا نامنه على الوثوب علينا بمن قد تبعه
من غيرنا فاجمعوا فيه رايا فتشاوروا فقال قائل اى وهو ابو البختري بن هشام احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا
به ما اصاب اشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما اصابهم من هذا الموت فقال هذا الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم براي والله لئن
حبستموه كما تقولون ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فلاوشكوا ان يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم ثم يكاثروكم
حتى يغلبوكم على امركم ما هذا براي فانظروا رايا غيره فتشاوروا فقال قائل منهم اى وهو الاسود بن ربيعة بن عمير نخرجه من بين اظهرنا
فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي اين يذهب فقال الشيخ النجدي والله ما هذا لكم براي الم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه
وغلبته على قلوب الرجال بما ياتي الله به والله لو فعلتم ذلك ما امنتم ان يحل بفتح اوله وضم الحاء المهملة اى ينزل ويجوز ان يكون بكسرها اى
يسقط على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يتابعوه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فياخذ امركم من ايديكم
ثم يفعل بكم ما اراد ديروا فيه رايا غير هذا فقال ابو جهل بن هشام والله ان لي فيه لرايا ما اراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا ابا الحكم
قال الراي ان ناخذ من كل قبيلة شابا جلدا اى قويا حسيبا في قومه نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدون اليه
فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف
على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل اى الدية فعقلناه لهم فقال الشيخ النجدي القول ما قال هذا الرجل هذا الراى ولا ارى
غيره فتفرق القوم على ذلك فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت
تبيت عليه اى واخبره بمكرهم وانزل الله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فلما كانت عتمة من الليل اى الثلث
الاول من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه اى وكانوا مائة اقول
في الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن عبيد بن عمير لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه
او يقتلوه او يخرجوه قال ابو طالب هل تدري ما ائتمروا بك قال يريدون ان يسجنوني او يقتلوني او يخرجوني قال من حدثك
بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال انا استوصي به بل هو يستوصي بي هذا كلامه ولم يتعقبه بان هذا
كان بعد موت ابي طالب وكان ائتمارهم يوم السبت فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة
قالوا ولم يا رسول الله قال لان قريشا ارادوا ان يمكروا فيه فانزل الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وفي
سيرة الحافظ الدمياطي فاجتمع اولئك القوم من قريش يتطلعون من صير الباب اى شقه ويرصدونه يريدون بياته اي
يوقعون به الامر ليلا وياتمرون ايهم يحمل على المضطجع ويرده ان ائتمارهم في ذلك لا يناسب ما اجتمع رايهم عليه من انهم
يجتمعون على قتله ليتفرق دمه في القبائل ثم رايت بعضهم قالوا ابدا احدقوا ببابه صلى الله عليه وسلم وعليهم السلاح
يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بني هاشم قاتله من جميع القبائل فلا يتم لهم اخذ ثاره وهو
المناسب لما ذكر والله اعلم فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم اى علم ما يكون منهم قال لعلي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه نم على فراشي واتشح ببردي هذا الحضرمي وقد كان يشهد فيه العيدين ومكان طوله اربعة
اذرع وعرضه ذراعان وشبر وهل كان اخضر او احمر قيل بالثاني وقول جابر كان يلبس بردا احمر في العيدين والجمعة

ثم رأيت في بعض الروايات انه كان أحضر يلتمظ الجمع وفي سيرة الدمياطي وان بذبرد اي هذا الاحمر والحضرمي منسوب الى حضرموت التي هي البلدة
او القبيلة باليمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسجى به الى البرد من نوم فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم اقول
واما ما روي ان الله تعالى اوحى الى جبريل عليه السلام وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الآخر فايكما
يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله اليهما الا كنتما مثل علي بن ابي طالب آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه
وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند راسه وميكائيل
عند رجليه فقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة وانزل الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله قال فيه الامام ابن تيمية انه كذب باتفاق اهل العلم بالحديث والسير وايضا قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق
لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا ايثار بالحياة والآية المذكورة في سورة البقرة وهي مدنية باتفاق
وقد قيل انها نزلت في صهيب رضي الله تعالى عنه لما هاجر كما تقدم لكنه في الامتاع لم يذكر انه صلى الله عليه وسلم قال
لعلي ما ذكر وعليه فيكون فداؤه للنبي صلى الله عليه وسلم بنفسه واضحا ولا مانع من تكرر نزول الآية في حق علي وفي حق صهيب وحينئذ
يكون شرى في حق علي رضي الله تعالى عنه بمعنى باع اي باع نفسه بحياة المصطفى وفي صهيب بمعنى اشترى اي اشترى نفسه بماله
ونقل هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب وفي السبعيات انه صلى الله عليه وسلم
نظر الى اصحابه وقال ايكم يبيت على فراشي وانا اضمن له الجنة فقال علي انا ابيت واجعل نفسي فداءك هذا كلامه ولعله لا يصح
ثم رأيت في الامتاع ما يدل لعدم الصحة وهو قال ابن اسحق ولم يعلم فيما بلغني بخروجه صلى الله عليه حين خرج الا علي وابو بكر
مليا امل والله اعلم وكان في القوم الحكم بن ابي العاص وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث وامية بن خلف وزمعة
بن الاسود وابو لهب وابو جهل فقال وهم على بابه ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على
امره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن اي بضم الهمزة وتشديد النون وهو محل
بارض الشام بقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا كان منكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها وسمعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول نعم انا اقول ذلك واخذ حفنة من تراب وتلا قوله تعالى يس والقرآن الحكيم الى قوله
فاغشيناهم فهم لا يبصرون فاخذ الله تعالى على ابصارهم عنه فلم يروه وفي مسند الحارث بن ابي اسامة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه ذكر في فضل يس انها ان قرأها خائف امن او جائع شبع او عار كسي او عطشان سقي او سقيم شفي وعند خروجه صلى الله
عليه وسلم جعل ينثر التراب على رؤوسهم فلم يبق رجل الا وضع على راسه ترابا ثم انصرف الى حيث اراد فاتاهم آت فقال
ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته
افما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على راسه فاذا عليه تراب قال في النور وهذا يعارضه حديث مارية خادم
النبي صلى الله عليه وسلم تكنى ام الرباب انها طأطأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين
وينبغي ان يوفق بينهما ان صحا والا فالعبرة بالصحيح منهما هذا كلامه اقول التوفيق حاصل وهو انه يجوز ان يكون النبي
صلى الله عليه وسلم لم يحب ان يخرج عليهم من الباب فتسور الحائط الذي ينزل منه عليهم والله اعلم ايهما كان ذهابه صلى الله
عليه وسلم في تلك الليلة الى بيت ابي بكر رضي الله عنه فكان فيه الى الليلة او الى الليلة المقبلة ثم خرج هو وابو بكر ثم مضيا الى جبل ثور
كذا في سيرة الدمياطي ثم اي بعد اخبارهم بخروجه صلى الله عليه وسلم ووضعه التراب على رؤوسهم جعلوا يطلعون فيرون عليا
نائما على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يبرحوا كذلك اي
يريدون ان يوقعوا به الفعل والله مانع لهم من ذلك حتى اصبحوا وانفجر النهار فقام علي رضي الله تعالى عنه عن الفراش فقالوا

والله

والله لقد صدقنا الذي حدثنا اي ولما قدم علي رضي الله تعالى عنه سألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا علم لي به
وفي رواية فلما اصبحوا ثاروا اليه يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوا عليا رضي الله تعالى عنه رد الله تعالى مكرهم
فقالوا اين صاحبك قال لا ادري فانزل الله تعالى قولهم ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وانزل الله عز وجل
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين كذا في الاصل
تبعا لابن اسحق ولا يخفى ان الآية الثانية مؤذنة بما ذكروه من المشاورة قال وما المانع من اقتحام الجدار عليه في الدار
مع قصر الجدار وقد جاء في القتل انهم هموا بذلك فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم انها السبة في العرب ان يتحدث عنا انا
تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا انتهى اقول لا يخفى ان هذا لا يناسب ما قدمناه عن بعضهم انهم انما ارادوا
قتله صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر ليظهر لبني هاشم ان قتله فلا يثبوا عليه لئلا يتسوروا الجدار الا ان يقال ارادة
ذلك منهم كانت عند طلوع الفجر لوجود الاسباب المانعة لهم من الوثوب عليه لا ينافي ان المانع لهم من الوثوب عليه الذي جاء
بصدده ومائة رجل من صناديد قريش انما هي حماية الله تعالى الموجبة لخذلانهم واظهار عجزهم وفي ذلك تصديق لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لعلي لا يخلص اليك شيء تكرهه منهم على ما تقدم والمراد بقول بعضهم كان المشركون يرون
عليا يظنون انه النبي صلى الله عليه وسلم يرمونه بابصارهم لا يحجرونه حجارة او نبل كما لا يخفى فان قيل هلا نام رسول الله صلى
الله عليه وسلم على فراشه قلنا لو فعل ذلك لفات اذلالهم بوضع التراب على رؤوسهم واظهار حماية الله تعالى له بخروجه عليهم ولم
يبصره احد منهم وفي رواية انهم تسوروا عليه صلى الله عليه وسلم ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار علي في وجوههم فعرفوه فقالوا هو انت
اين صاحبك فقال لا ادري وهذا مخالف لما تقدم فلينظر الجمع بناء على صحة هذا وفي لفظ امروه بالخروج فضربوه وادخلوه المسجد وحبسوه
ساعة ثم خلوا عنه والله اعلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن له في الهجرة الى المدينة اي وانزل الله تعالى وقل رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال زيد بن اسلم جعل الله عز وجل مدخل صدق
المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار ويعارضه ما جاء انه عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة قال له جبريل
عليه السلام سل ربك فان لكل نبي مسألة فقال ما تأمرني ان اسأل قال قل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فانزل الله تعالى ذلك في رجعته من تبوك بعد ما ختمت السورة الا ان يدعى تكرر النزول وعند اذن
له صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال لجبريل عليه السلام من يهاجر معي قال جبريل عليه السلام ابو بكر الصديق اي ومن الغريب قول بعضهم
ومن ذلك اليوم سماه الله تعالى صديقا فقد تقدم انه سمي بذلك عند تصديقه له صلى الله عليه وسلم عند اخباره بالاسرى
وعن صبيحة بيت المقدس ومن الغريب ايضا ما في السبعيات ان النبي صلى الله عليه وسلم تشاور مع اصحابه فقال ابو بكر رضي الله
تعالى عنه انا يا رسول الله ويرده ما في السيرة انه صلى الله عليه وسلم اتى ابا بكر ذات يوم ظهرا فناداه فقال اخرج من عندك
فقال يا رسول الله انما هي ابنتاي اي يعني عائشة واسماء رضي الله تعالى عنهما قال شعرت اي علمت انه قد اذن لي في الهجرة
فقال يا رسول الله الصحبة اي اسألك الصحبة فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة اي لك الصحبة عندي
فانطلقا اولياء كما تقدم عن سيرة الدمياطي لكن تقدم عنها انه دخل بيت ابي بكر في ليلة خروجه من على قريش وانه مكث ببيت ابي بكر
الى الليلة المقابلة التي كان فيها خروجه صلى الله عليه وسلم الى جبل ثور ومنه خاج الى الجمع ويقال ان مجيئه صلى الله عليه
وسلم ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مستخفيين حتى اتيا الغار وهو بجبل ثور فتواريا فيه وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال عند خروجه من مكة اي متوجها الى المدينة والله اني لاخرج منك واني لاعلم انك
احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت اي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم وقف على راحلته

بالحزورة ونظر الى البيت وقال والله انك لاحب ارض الله الى وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك قهرا
ما خرجت وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم وقف في وسط المسجد والتفت الى البيت فقال انى لاعلم ما وضع الله بيتا احب الى الله
منك وما في الارض بلد احب اليه منك وما خرجت عنك رغبة ولكن الذين كفروا اخرجوني اى وهذا السياق يدل على ان
وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحزورة او في وسط المسجد يقتضى انه جاء بعد خروجه من الغار الى ما ذكر ثم ذهب الى المدينة
وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم على الحجون وقال والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله ولولا اخرج منك ما
خرجت وفي لفظ ولو تركت فيك ما خرجت منك ولا مانع من تكرر ذلك ثم رايت في كلام بعضهم ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على
الحجون كان في عام الفتح وفي لفظ اخر قال لمكة ما اطيبك من بلدة واحبك الى ولولا ان قومى اخرجوني ما سكنت غيرك اى وفي جمال
القراء للسخاوى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجرا الى المدينة وقف ونظر الى مكة وبكى فانزل الله عز وجل عليه وكاين
من قرية هى اشد قوة الاية واما ما رواه الحاكم عن ابى هريرة مرفوعا اللهم انك اخرجتنى من احب البقاع الى فاسكنى فى احب البلاد
اليك فقال الذهبى انه موضوع قال ابن عبد البر لا يختلف اهل العلم فى انه منكر موضوع اقول والذى رايته فى المستدرك
للحاكم اللهم انك تعلم انهم اخرجونى من احب البلاد الى فاسكنى احب البلاد اليك والمعنى واهدنا اليه والى ما روى عن الزهرى قال
بتفضيل المدينة على مكة قال لان الله تعالى اجاب دعاءه فاسكنه المدينة قيل وعليه جمهور العلماء ومنهم الامام مالك رضى الله تعالى عنه
والى الاحاديث الاول استند من قال بتفضيل مكة على المدينة وهو الجمهور ومنهم امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه واستندوا فى
ذلك الى انه صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع اى بلد تعلمونه اعظم حرمة قالوا الا نعلم الا بلدنا هذا يعنون مكة وهذا اجماع من
الصحابة اقرهم عليه صلى الله عليه وسلم انها اى مكة افضل من ساير البلاد لان ما كان اعظم حرمة هو افضل وقد قال صلى الله
عليه وسلم المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه
جهنم مسيرة ماية عام قال ابن عبد البر وانى لاعجب ممن يترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله والله انى لاعلم انك
خير ارض الله واحبها الى الله ولولا ان اهلك اخرجونى منك ما خرجت وهذا حديث صحيح ويميل الى تاويل لا يجامع ما ثبت ولا عليه
اى ولان الحسنة فيها بماية الف حسنة فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حج ماشيا
كتبت له بكل خطوة سبعماية حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة فيه بماية الف حسنة والكلام فى غير
ما ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم من ارض المدينة والا فذلك افضل بقاع الارض بالاجماع بل حتى من العرش والكرسى
على ان صاحب عوارف المعارف ذكر ان الطوفان موج تلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى ارساها بالمدينة فهى من جملة ارض
مكة وحينئذ لا يحسن الاستناد فى تفضيل المدينة على مكة بقول ابى بكر رضى الله تعالى عنه انهم لما اختلفوا فى اى محل يدفن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يقبضه الله الا فى احب البلاد اليه ليدفن فيه كما سياتى والله اعلم وعن عايشة رضى الله تعالى عنها
انها قالت بينا نحن جلوس يوما فى بيت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى نحو الظهيرة اى وهو وقت الزوال قال قائل
لابى بكر اى وهذا القائل هى اسماء بنت ابى بكر قالت لنا اسماء قلت يا ابت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا اى متطيلسا
فى ساعة لم يكن ياتينا فيها اى فعن عايشة رضى الله تعالى عنها لم يمر علينا يوم اى قبل الهجرة الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى النهار بكرة وعشيا وفى لفظ كان لا يخطى ان ياتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ابى بكر احد طرفى النهار
اما بكرة واما عشيا اى ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحة الثانية والا فالاولى فى البخارى وتفسير التقنع
بالتطليس ذكره الحافظ ابن حجر هذا كلامه واعترض ابن القيم حيث قال لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبس الطيلسان
ولا احد من اصحابه وحينئذ لا يكون القناع هنا هو الطيلسان بل التقنع تغطية الراس واكثر الوجه بالرداء من غير ان يجعل تحته

تحت

تحت رقبته الذى يقال له التحنيك وحمل قول ابن القيم المذكور على الطيلسان المقور التى تلبسها اليهود قال بعضهم وهذا الطيلسان المقور
هو المعروف بالطرحة وقد اتخذت خلفاء بنى العباس الطرحة السوداء على العمامة عند الخطبة واستمر ذلك شعار الخلفاء فانما
انما يفعل بالراس مع اكثر الوجه ان كان معه تحنيك اى ادارة على العنق قيل له طيلسان وربما قيل له رداء مجازا وان لم يكن
معه تحنيك قيل له رداء وربما قيل له مجازا طيلسان وهو ما كان شعارا فى القديم لقاضى القضاة الشافعى رضى الله تعالى
عنه قال بعضهم بل صار شعار العلماء ومن ثم صار لبسه يتوقف على الاجازة من المشايخ كالافتاء والتدريس فكان الشخص يكتب فى
اجازته وقد اذنت له فى لبس الطيلسان لانه شهادة بالاهلية وما يجعل على الاكتاف دون الراس يقال له رداء فقط وربما
قيل له طيلسان ايضا مجازا وصح عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وله حكم المرفوع التقنع من اخلاق الانبياء وقد ذكر بعضهم
ان الطيلسان الخلوة الصغرى وفى حديث الامن استكمل الحكمة فى قوله وفعله وكان ذلك من عادة فرسان العرب فى المواسم و
الجموع كالاسواق واول من لبس الطيلسان بالمدينة جبير بن مطعم رضى الله عنه وفى الكفاية لابن الرفعة ان ترك الطيلسان
للفقيه مخل بالمروءة اى وهو عجيب ما كان فى زمنه رحمه الله وفى الترمذى لم يكن عادته صلى الله عليه وسلم التقنع انما كان
يفعله لحر او برد وتعقب بان فى حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع وفى طبقات ابن سعد مرسلا انه ذكر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يؤدى شكره اى لان فيه غض البصر ومن ثم قيل انه الخلوة الصغرى كما تقدم ولما
قيل لابى بكر رضى الله تعالى عنه فداك ابى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا قال ابو بكر فدا له ابى وامى والله ما جاء به
فى هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن له فدخل اى وتنحى ابو بكر عن سريره وجلس
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم
اهلك اى لانه صلى الله عليه وسلم كان عقد على عايشة رضى الله تعالى عنها كما تقدم فامها من جملة اهله واختها كذلك وفيه دليل
على جواز قول الشخص لاخر اهلى اهلك وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال ابو بكر رضى الله عنه
لا عين عليك انما هما ابنتاى اى وسكت عن امهما اسما قال فانه قد اذن لى فى الخروج فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه الصحبة اى فبكى ابو بكر
سرورا قالت عايشة رضى الله تعالى عنها فرايت ابا بكر يبكى وما كنت احسب ان احدا يبكى من الفرح حتى رايت ابا بكر ولله در
القايل ورد الكتاب من الحبيب بانه سيزورنى فاستعبرت اجفانى غلب السرور على حتى انه من فرط ما قد سرنى ابكانى شعر
يا عين صار الدمع عندك عادة تبكين من فرح ومن احزان اى ومنه اقر الله عينه لمن يدعى له وهو قرة عين لمن يفرح به واسخن
عينه لمن يدعى عليه وهو سخنة العين لما يحزن به لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقد وقع ان نبيا من الانبياء
اجتاز بحجر يخرج منه الماء فسال فقال انا من حجارة قودها الناس والحجارة وانا ابكى هذا الدمع خوفا من تلك النار فاشفع لى عند ربك
فشفع له فشفع فيه وبشره بذلك ثم مر به بعد مدة فاذا الماء يخرج منه فقال الم ابشرك ان الله انجاك من النار فما هذا فقال
يا نبى الله ذلك بكاء الخوف والخشية وهذا بكاء الفرح والمسرة ومن ثم لما قال صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب ان الله
امرنى ان اقرا عليك سورة كذا اى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين بكى من الفرح وقال اوذكرت هناك اى ذكرنى
الله عز وجل وفى لفظ وسمانى قال نعم وفى سفر السعادة قال العلماء البكاء على عشرة انواع بكاء فرح وبكاء حزن لما فات وبكاء
رحمة وبكاء خوف لما يحصل وبكاء كذب كبكاء النايحة فانها تبكى لشجو غيرها وبكاء موافقة بان يرى جماعة يبكون فيبكى مع عدم
علمه بالسبب وبكاء المحبة والشوق وبكاء الجزع من حصول الم لا يحتمله وبكاء الخور والضعف وبكاء النفاق وهى ان
تدمع العين والقلب قاسى والبكاء بالقصر دمع العين من غير صوت وبالمد ما كان معه صوت واما التباكى فهو تكلف البكاء
وهو نوعان محمود ومذموم فالاول ما يكون لاستجلاب رقة القلب وهو المراد بقول سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لما راى

المصطفى صلى الله عليه وسلم ابا بكر يبكي فان شان اساري بدر اخبرني ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت بكاء بكيت والا
تباكيت ومن ثم لم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والثاني ما يكون لاجل الرياء والسمعة قال ابو بكر فخذ بابي انت
يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فاني اعددتهما للخروج قال صلى الله عليه وسلم بل بالثمن اي لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم
الى الله تعالى بنفسه وماله اي والا فقد انفق ابو بكر رضي الله تعالى عنه اكثر ماله عليه صلى الله عليه وسلم فعن عائشة
رضي الله تعالى عنها انفق ابو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الف درهم وفي لفظ دينار ومن ثم قال صلى الله
عليه وسلم ليس من احد امن علي في اهل ومال من ابي بكر رضي الله تعالى عنه وفي رواية ما احد امن علي في صحبته وذات
يده من ابي بكر وما نفعني مال ما نفعني مال ابي بكر رضي الله تعالى عنه فبكى ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقال هل انا ومالي الا
لك يا رسول الله وفي رواية ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا بكر رضي الله تعالى عنه فان له عندنا يدا الله
يكافيه بها يوم القيامة اقول ولا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم اخذ احدى ناقتي ابي بكر بالثمن ما رواه ابان ابن ابي
عياش احد التابعين عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه ما اطيب
مالك منه بلال مؤذني وناقتي التي هاجرت عليها وزوجتني ابنتك وواسيتني بمالك كاني انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتي
لان ابان بن ابي عياش معدود من الضعفاء وقد قال شعبة لان اشرب من بول حمار حتى اروى احب الي من ان اقول حدثنا ابان ابن
ابي عياش وقال غيره مرة اخرى لان يزني الرجل خير من ان يروي عن ابان وقد طلبت من شعبة ان يكف عن ابان هذا فقال الامر دين
وهذا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين بن حبان علة ابان بانه كان يروي عن انس وابان يجالس الحسن البصري
فكان يسمع كلامه فاذا حدث ربما جعل كلام الحسن عن انس مرفوعا وهو لا يعلم وعلى تقدير صحته ما قاله لا منافاة ايضا لانها كانت من
مال ابي بكر قبل ان ياخذها صلى الله عليه وسلم بثمنها على ان في الترمذي ما يوافق ما رواه ابان فعنه عن علي رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله قال
وهذا حديث غريب والله اعلم وكان الثمن عن تلك الناقة التي هي القصوى وقد عاشت بعده صلى الله عليه وسلم وماتت في خلافة
ابي بكر رضي الله تعالى عنه او الجدعاء اربعمائة درهم اي لما علمت ان الناقتين اشتراهما ابو بكر رضي الله تعالى عنه بثمانمائة درهم
واما ناقته صلى الله عليه وسلم القصواء فقد جاء ان بنت ... رضي الله تعالى عنها تعثر عليها قالت عائشة رضي الله تعالى عنها
فجهزناهما احث الجهاز اي اسرعه والجهاز بكسر الجيم افصح من فتحها ما يحتاج اليه في السفر ووضعنا لهما سفرة في جراب اي زاد في جراب
لان السفرة في الاصل الزاد الذي يصنع للمسافر ثم استعمل في وعاء الزاد وكان في السفرة شاة مطبوخة فقطعت اسماء بنت ابي بكر
قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب اي وابقت الاخرى اي نطاقا لها وهو يوافق ما في صحيح مسلم عن اسماء رضي الله تعالى عنها و
كانت اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما تاتيهما اذا امست بما يصلحهما من الطعام اقول وفي الدر عن عائشة رضي الله تعالى
عنهما ما كان احد يعلم مكان ذلك الغار الا عبد الله بن ابي بكر واسماء بنت ابي بكر فانهما كانا يختلفان اليهما وعامر بن فهيرة فانه
كان اذا سرح غنمه مر بهما فحلب لهما وفي العيون المعتمرة واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام بلياليها في الغار
وقريش لا يدرون اين هو واسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها تاتيهما ليلا بطعامهما وشرابهما فلما كان ادخلها حسان في امر نشيته
لابي بكر بعد ذلك والله اعلم وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه قال لجماعة ايكم يقرا سورة التوبة قال رجل انا قال فلما بلغ اذ يقول
لصاحبه لا تحزن بكى وقال انا والله صاحبه وعن ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال راني رسول الله صلى الله عليه وسلم
امشي امام ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال يا ابا الدرداء اتمشي امام من هو افضل منك في الدنيا والاخرة والذي نفس
محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر رضي الله تعالى عنه وعن عبد الله بن عمرو رضي

العاص

العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتاني جبريل عليه السلام فقال ان الله يامرك ان تستشير ابا بكر وعن انس حب
ابي بكر واجب على امتي باب الهجرة الى المدينة لا يخفى انه لما كان بعد الليلة الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم جاءهما الدليل
الذي هو الرجل الديلي براحلتيهما فركبا وانطلق بهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة اي رديفا لابي بكر يخدمهما اي وفي البخاري ان ابا بكر
كان رديفا له صلى الله عليه وسلم ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار وركب اخذ ابو بكر رضي الله تعالى عنه بغرزه اي
بركابه والغرز بغين معجمة مفتوحة وزاء ساكنة وقاف اي ركاب الابل خاصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ابشرك
قال بلى فداك ابي وامي قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة ويتجلى لك خاصة قال الخطيب هذا الحديث لا اصل له
قال السيوطي رايت له متابعا ودعا صلى الله عليه وسلم بدعاء سفر اللهم اصحبني في سفري واخلفني في اهلي واخذ بهم الدليل على طريق
السواحل وصار ابو بكر رضي الله تعالى عنه اذا ساله السائل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الذي معك اي وفي رواية من هذا الذي
بين يديك وفي رواية من هذا الغلام بين يديك اي بناء على انه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم يقول هذا الرجل يهديني الطريق يعني طريق الخير
اي لانه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الهِ الناس عني اي اشغل الناس عني اي تكفل عني بالجواب لمن سال عني فانه لا ينبغي لنبي ان
يكذب اي ولو صورة كالتورية فكان ابو بكر يقول لمن ساله عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكر وانما لم يسال ابو بكر من نفسه
لان ابا بكر كان معروفا لهم لانه كان يكثر المرور عليهم في التجارة للشام اي معروفا لغالبهم فلا ينافي ما في بعض الروايات انه كان اذا سئل من انت
يقول باغ اي طالب حاجة وعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينبغي لهم الكذب ولو صورة ومن ذلك التورية لكن سياتي في
غزوة بدر وقوع التورية منه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ابي بكر ناقته وفي العقد
لابن عبد البر انه صلى الله عليه وسلم قال بل انت اركب واردفك انا فان الرجل احق بصدر دابته فكان اذا قيل من هذا وراءك
قال هذا يهديني السبيل اقول لا مخالفة بين هذا وبين ما تقدم لانه يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
تارة خلف ابي بكر على ناقة ابي بكر وتارة ركب صلى الله عليه وسلم اماما وركب راحلته عامر بن فهيرة او نزل وركبها لاجل
والهداية كما تكون من المتقدم تكون من المتاخر وان كان الاول هو الغالب والله اعلم ولما توجه صلى الله عليه وسلم اشار
الهجرة بقوله ومحي نحو المدينة واشتاقت ... من مكة الا انها وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى المدينة
مهاجرا وبلغ الجحفة اشتاق الى مكة فانزل الله تعالى عليه ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد اي الى مكة واهل الرجعة
يتاولونها الى الدنيا اي من يقول بان النبي صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وقد اظهرها عبد الله ابن سبا
كان يهوديا وامه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء اظهر الاسلام مواد الاسلام فكان يقول العجب
ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذي فرض عليك القران
لرادك الى معاد فمحمد احق بالرجعة من عيسى عليه الصلاة والسلام وتقدم ذلك في اثناء الكلام على بدء الوحي وكانت
قريش كما تقدم ارسلت لاهل السواحل ان من قتل او اسر ابا بكر ومحمدا صلى الله عليه وسلم كان له مائة ناقة اي في كل منهما
او اسرهما كان له مائتان فبينا سراقة جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا او اسرا دية ... فبينما انا جالس في مجلس
من مجالس قومي بني مدلج اي بقديد وهو محل قريب من رابغ اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني
رايت اسودة اي اشخاصا بالسواحل اراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت انهم ليسوا هم ولكنك رايت فلانا
وفلانا انطلقوا باعيننا اي بمعرفتنا يطلبون ضالة لهم اي وفي لفظ لقد رايت ركبة بالتحريك جمع راكب ثلاثة مروا علي
انفا اي قريبا اني لاراهم محمدا واصحابه قال سراقة فاومات اليه ان اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم
ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت الى منزلي فامرت جاريتي ان تخرج فرسي خفية اي الى بطن الوادي وتحبسها علي واخذت

ومعي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه في الارض والزج الحديدة التي تكون في اسفل الرمح وخفضت عاليه اي سكت باعلاه
وجعلته اسفله في الارض لئلا يراه احد وانما فعل ذلك كله ليفوز بالجعل المتقدم ذكره ولا يشركه فيه احد من قومه بخرجه بعد قتلهما
او اسرهما زاد في رواية ثم انطلقت فلبست لامتي وجعلت اجر الرمح مخافة ان يشركني اهل الماء فيها قومه قال حتى اتيت فرسي اي وكان
يقال لها العود والفرس لفظ يقع على الذكر والانثى قال في النور والمراد هنا الانثى لقوله فركبتها ولقوله فرفعتها اي بالغت في اجرائها
حتى دنوت منهم وفي لفظ فرفعتها تقرب به وحينئذ يكون المراد اسرعت بالسير بها لان التقريب دون العدو وفوق العادة فعثرت بي
فرسي اي بعد ما قربت منهم كما في حديث اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما زاد في رواية ثم قامت تحمحم فخررت عنها فقمت فاهويت
بيدي الى كنانتي فاستخرجت الازلام اي مجموعة السهام التي لا ريش لها ولا نصل كتب فيها الفال واستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي
اكره وهو عدم اضرارهم اي لانه مكتوب عليها افعل لا تفعل ويقال للاول الامر ويقال للثاني الناهي فركبت فرسي وعصيت الازلام [illegible]
تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت اي غابت يدا فرسي في الارض
حتى بلغتا الركبتين اي وكانت الارض جلدة فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها
عثان اي غبار ساطع في السماء مثل الدخان اي مع كون الارض جلدة فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان
اي وقلت انظروني لا اوذيكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه اي وفي رواية ناديت القوم فقلت انا سراقة بن مالك انظروني
اكلمكم انا لكم نافع غير ضار واني لا ادري لعل الحي فزعوا لركوبي اي ان يبلغهم ذلك واني راجع رادهم عنكم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي بكر قل له ماذا تبتغي فقلت اخبرهم بما تريد الناس منهم وفي رواية قال يا محمد ادع الله تعالى ان يطلق
فرسي وارجع عنك وارد من وراءك وفي رواية قال لهما هذا ان ادعوا الله ربكما ولكما ان لا اعود ففعل اي دعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانطلق الفرس وحينئذ يكون دعى لها ونهوضها بعد الدعاء فلا يخالف ما سبق قال فركبت فرسي اي
بعد نهوضها حتى جئتهم فقلت ان قومك جعلوا فيك الدية اي مائة من الابل لمن قتلك او اسرك وهذا هو المراد بقوله
في الرواية السابقة فاخبرتهم بما يريد الناس منهم وكان شداي ان ذلك كاف في لحوق بهم عن ذكر ابي بكر قال سراقة
وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا وقالا لا اخف عنا اي وفي رواية عرضت عليهما الزاد والحملان اي ولعل
الحملان هو المراد بالمتاع اي لانه جاء انه قال خذ هذا السهم من كنانتي وعينني وابلي بمحل كذا وكذا فخذ منها ما شئت
فقالا لا حاجة لنا في ابلك فقال كفيتما هاهنا اقول وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب في دين الاسلام
فاني لا ارغب في ابلك ومواشيك وفي رواية عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه قال لما ادركنا سراقة قلت يا رسول الله
هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا اي ومر نظيره انه قال ذلك له في الغار فلما كان بيننا وبينه قيد
اي مقدار رمح او ثلاثة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال لم تبكي قلت اما والله ما على نفسي
ابكي ولكن ابكي عليك فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت به فرسه في الارض
الى بطنها وكانت الارض صلبة اي ولا يخالف ما سبق انها بلغتا الركبتين لجواز ان يكون ذلك في اول امرها ثم
صارت الى بطنها وذلك كله في المرة الاولى فلا يخالف ما في الامتاع لما قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساخت
يدا فرسه في الارض الى بطنها فقال ادع لي يا محمد ان يخلصني الله تعالى ولك علي ان ارد عنك الطلب فدعى فخلص فعاد
فتبعهم فساخت قوائم فرسه في الارض اشد من الاولى فقال يا محمد قد علمت ان هذا من دعائك علي الحديث اذ هو
يدل على انها في المرة الاولى وصلت الى بطنها وفي الثانية وصلت الى ما هو زائد على ذلك وقد يدل له ما ياتي
من الهمزية ولعل المراد انه دخل جزء من بطنها في الارض في المرة الثانية وفي لفظ فقال يا محمد قد علمت ان هذا

عملك فادع الله ينجيني مما انا فيه فوالله لاعمين على من ورائي من الطلب فدعى له فانطلق راجعا وفي السبعيات للهمداني ان سراقة
لما دنا منه صلى الله عليه وسلم صاح وقال من يمنعك مني يا محمد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعني الجبار الواحد
القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فامرها بما شئت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ارض خذيه فاخذت الارض قوائم جواده وروى في بعض التفاسير ان سراقة عاهد سبع مرات
ثم ينكث العهد كلما ينكث العهد يغوص قوائم فرسه في الارض وهذا اي الاقتصار على غوص قوائم فرسه في الارض
لا ينافي الزيادة فلا يخالف ما سبق عن السابقة تامل قد يقال صدق وفي الفصول المهمة لما اتصل خبر مسيره صلى الله
عليه وسلم الى المدينة وذلك في اليوم الثاني من خروجه صلى الله عليه وسلم من الغار جمع الناس ابو جهل وقال بلغني ان
محمدا قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجلان اخران فايكم ياتيني بخبره فوثب سراقة فقال انا لها يا ابا الحكم
ثم انه ركب راحلته واستجنب فرسه واخذ معه عبدا له اسود كان ذلك العبد من الشجعان المشهورين فسار في اثر
النبي صلى الله عليه وسلم سيرا عنيفا حتى لحقابه فقال ابو بكر يا رسول الله قد دهينا هذا سراقة قد اقبل في طلبنا ومعه
غلامه الاسود المشهور فلما ابصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب فرسه وتناول رمحه واقبل نحوهم فلما قرب منهم قال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا امر سراقة الى ذلك ما اراد ورمى بنفسه عن الفرس الى الارض ورمى رمحه وقال يا محمد انت
واصحابك اي انت كما انت بابي انت واصحابك فادع ربك يطلق لي جوادي ولك عهد وميثاق ان ارجع عنك فرفع النبي صلى الله
عليه وسلم يديه الى السماء وقال اللهم ان كان صادقا فيما يقول فاطلق له جواده قال فاطلق الله تعالى له قوائم فرسه حتى
وثب على الارض سليما اي ولعل هذا في المرة الثانية او المرة الاخيرة من السبع على ما تقدم وتقدم ان الاقتصار على القوائم لا ينافي
الزيادة عليها فلا يخالف ما سبق في هذه الرواية ورجع سراقة الى مكة فاجتمع الناس فانكروا اشتداء محمد فلا زال به ابو جهل حتى اعترف
واخبرهم بالقصة وفي ذلك يقول سراقة مخاطبا لابي جهل يا ابا الحكم والله لو كنت شاهدا لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه علمت و
لم تشكك بان محمدا رسول ببرهان فمن ذا يقاومه وسياق هذه الرواية يدل على انه خرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم
من مكة ويدل لذلك ما ذكر انه كان احد القائفين لاثره صلى الله عليه وسلم في الجبل لكنه يخالف لما تقدم انه خرج
خلفه صلى الله عليه وسلم من قديد من مجلس قومه واخفى خروجه فرسه عن قومه وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون
لما خرج من مكة سلك طريقا غير الطريق الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد في مجلس قومه
فلما اخبر ودهم فعل ما تقدم ثم وجد عبده الاسود في رحله وكان معه راحلته فركبها واستجنب فرسه وصحب عبده
ولا مانع ان يخرج من مكة بعد خروجهم من الغار ويسبقهم على قديد ولا ينافي ذلك قوله فاتانا رسل كفار قريش لانه يجوز ان
يكون ذلك هو الحامل لسراقة على الذهاب الى مكة لعله يجده بطريقه ولا ينافي ذلك كونه كان احد القائفين لاثره صلى الله
عليه وسلم لانه يجوز ان يكون عاد الى مكة قبل ان يجعل الجعل وفي كلام بعضهم انه ارسل بهذين البيتين الى ابي جهل
ولا منافاة لجواز ان يكون ارسلهما قبل ان ينشدهما او في رواية اسلمنا الحق بهم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اصرعه
فصرع عن فرسه فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا ثم لا يخفى ان صرعه عن فرسه
يحتمل ان يكون لما ساخت ويحتمل انه صرع عنها قبل ذلك وهو ظاهر سياق الرواية الاولى وهي فعثرت بي فرسي فخررت عنها
وحينئذ يكون عثورها بعد انه صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال سراقة وسالته ان يكتب لي كتابا من لا انه دفع في
نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي السبعيات قال سراقة يا رسول الله
اني لا اعلم انه سيظهر امرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني اني اذا اتيتك يوم ملكك فاكرمني فامر عامر بن فهيرة

اى وقيل ابا بكر فكتب لى فى رقعة من ادم اى فى قطعة من عظم وقيل فى خرقة اقول وحينئذ يمكن ان يكون كتب عامر بن فهيرة اولا
فطلب سراقة ان يكون ابو بكر هو الذى يكتب فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة ذلك فاحدهما كتب فى الرقعة
من الادم والاخر كتب فى العظم او الخرقة والمراد بالخرقة الرقعة من الادم فلا مخالفة ولما اراد الانصراف قال له كيف
بك يا سراقة اذا لبست سوارى كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم وسيأتى ان سراقة اسلم بالجعرانة ولما قدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بها قال له صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وعن سراقة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين و
الطائف خرجت ومعى الكتاب لالقاه فلقيته بالجعرانة فدخلت فى كتيبة من خيل الانصار فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون اليك ماذا
فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرفعت يدى بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابى وانا سراقة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه واسلمت ولما جيئ لعمر رضى الله تعالى عنه فى زمن خلافته بسوارى
كسرى وتاجه ومنطقته اى وبساطه وكان ستون ذراعا فى ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ وبالجواهر الملونة على الوان زهر الربيع
كان يبسط له فى ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور وجيئ له بالكثير من مال كسرى وبنات كسرى وكن ثلاثا وعليهن من الحلى والحلل
والجواهر ما يقصر اللسان عن حصره وعن ذلك دعى سراقة وقال له ادفع يديك والبسه السوارين وقال له قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن
هرمز الذى كان يقول انا رب الناس والبسهما سراقة بن مالك اى ودفع عمر بها سوية وعبد المال الذى جيئ به من اموال كسرى فى المسجد
وفرقه على المسلمين ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين فاصاب عليا رضى الله تعالى عنه قطعة باعها بخمسين الف دينار ثم جيئ ببنات
الملك الثلاث فوقفن بين يديه وامر المنادى ان ينادى عليهن وان يزيل نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون فى ثمنهن فامتنعن من
كشف نقابهن ووكزن المنادى فى صدره فغضب عمر رضى الله تعالى عنه واراد ان يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له على رضى
الله تعالى عنه مهلا يا امير المؤمنين فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر
فسكن غضبه فقال له ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر كيف الطريق الى العمل معهن فقال
يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن فقومن واخذهن على رضى الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر فجاء
منها بولده سالم واخرى لمحمد بن ابى بكر فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين فجاء منها بولده على الملقب بزين العابدين
وهؤلاء الثلاثة فاقوا اهل المدينة علما وورعا وكان اهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن التسرى فلما نشأ هؤلاء الثلاثة فيهم
رغبوا فيه ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت اجالس سعيد بن المسيب فقال لى يوما من اخوالك
فقلت امى فتاة فكانى نقصت من عينه فامهلت حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر فلما خرج من عنده قلت له يا عم من هذا
قال سبحان الله اتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فمن امه قال فتاة ثم دخل القاسم بن محمد فجلس عنده
ثم نهض فلما خرج قلت يا عم من هذا قال يا عجبا لك اتجهل مثل هذا هذا القاسم ابن ابى بكر قلت فمن امه قال فتاة ثم دخل عليه
على بن الحسين فجلس ثم نهض فلما خرج قلت له من هذا قال عجبت منك اتجهل مثل هذا هذا زين العابدين على بن الحسين قلت
فمن امه قال فتاة قلت يا عم رايتنى نقصت من عينك لما علمت ان امى فتاة فمالى فى هؤلاء اسوة قال اجل فعظمت فى عينه جدا
ولما رجع سراقة سار يرد عنهم الطلب لا يلقى احدا الا رده يقول سبرت اى اختبرت الطريق فلم ار احدا وفى لفظ قال للقريش اى لجماعتهم
مقدمه صلى الله عليه وسلم كانهم اخبروه بكان مسيره ذلك مع فتم بصرى بالطريق وقد سبرت فلم ار شيئا فرجعوا اى
فانه كان كفاه قريش لما سمعوا من الهاتف اى وعن عزمه بانه صلى الله عليه وسلم نزل خيمة ام معبد كما سيأتى ارسلوا اسرية
فى طلبه يقول قائلهم اطلبوه قبل ان يستعين عليكم بكلبان العرب يتحملان هؤلاء الذين ردهم سراقة فكان سراقة اول
النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخر النهار مسلحة له اى سلاحا له وفى رواية قال سراقة خرجت وانا احب الناس

فحصلها

فى تحصيلهما ورجعت وانا احب الناس فى ان لا يعلم بهما احد ويحتمل ان يعد ردهم سراقة ذهبوا الى ام معبد فسالوها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاشفقت اى خافت عليه منهم فتعاجمت عليهم اى اظهرت عدم علمها بذلك فقالت انكم تسالوننى عن امر
ما سمعت به قبل عامى هذا ثم قالت لئن لم تنصرفوا عنى لاصرخن فى قومى عليكم وكانت فى عز من قومها فانصرفوا ولم يعلموا اين
توجه اى ولعلها قالت لهم ذلك لما رات منهم التشديد عليها وهذا السياق يدل على ان قصة سراقة قبل قصة ام معبد والى قصة
سراقة اشار صاحب الاصل بقوله غرت سراقة الحمام فساخ به فانتهى المهلة مطلبا واليها اشار صاحب الهمزية رحمه الله
بقوله واقتفى اثره سراقة فاستهوته فى الارض صافن جرداء ثم ناداه بعدما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء
اى وتبع اثره سراقة فهوت اى سقطت به صافن وهى الفرس التى تقوم على ثلاث قوائم وتقيم الرابعة على طرف الحافر وهو وصف
محمود فى الخيل جرداء قصيرة الشعر وذلك وصف محمود فى الخيل ايضا بعد ان قاربت ان تخسف بها كلها وقد يخلص الدعاء الغريق
كما وقع ليونس صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه قال وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه انه قال سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم
الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه احد فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا عندها فاتيت الصخرة فسويت بيدى مكانا ينام
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلها ثم بسطت له فروة معى ثم قلت نم يا رسول الله نم وانا انفض ما حولك فنام رسول الله
صلى الله عليه وسلم واذا براع مقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذى اردنا وهو الظل فلقيته فقلت له لمن انت يا غلام فقال
لرجل من اهل مكة فسماه فعرفته اى قال الحافظ ابن حجر لم اقف على اسم هذا الراعى ولا على اسم صاحب الغنم قال ابو بكر رضى الله
تعالى عنه فقلت هل فى غنمك من لبن قال نعم قلت افتحلب لى قال نعم فاخذ شاة فحلب لى فى قعب معه وفى رواية فى اداوة معى
فيها خرقة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهت ان اوقظه من نومه فوقفت حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء
حتى برد اسفله فقلت يا رسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب لانه جرت العادة باباحة مثل ذلك لابن السبيل اذا
احتاج الى ذلك فكان كل راع ماذونا له فى ذلك اى كما تقدم فلا ينافى ما جاء لا يحلبن احد ماشية احد الا باذنه او ان
الحديث محمول على فعل ذلك اختلاسا من غير معرفة الراعى واما قول بعضهم انما استجاز شربه لانه مال حربى فغنيمة نظرا لان
الغنائم اى اموال الحربيين لم تكن ابيحت له حينئذ ثم قال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم الم يان للرحيل قلت بلى فارتحلنا بعد
ما زالت الشمس انتهى اى وفى رواية ان ابا بكر قال قد آن الرحيل يا رسول الله اى دخل وقته قال الحافظ ابن حجر يجمع بينهما
بان يكون النبى صلى الله عليه وسلم بدا فسال فقال له ابو بكر رضى الله تعالى عنه بلى ثم اعاد عليه بقوله قد آن الرحيل و
اجتازوا فى طريقهم بام معبد اى واسمها عاتكة وكان منزلها بقديد اى وهو محل سراقة كما تقدم ولعلها كانت بطريقه الاخير
التى الى المدينة ومنزل سراقة بطريقه التى الى مكة وكانت مسافرة تسعة فلينا امل وكانت اى ام معبد رضى الله تعالى عنها امراة
برزة جلدة تحتبى بفناء قبتها وتطعم وتسقى وهم لا يفترقون اى عسالة الحامية اى وفى رواية اولبنا اشترونه فقالت والله لو كان عندنا
شئ ما اعوزناكم اى للشئ وفى رواية اعوزناكم القرى لانهم مسنتون اى مجدبون فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام معبد
هل عندك من لبن قالت لا والله فراى شاة خلفها الجهد عن الغنم اى لم تطق اللحاق بها لما بها من الهزال قال هل بها من لبن قالت
اى اصلح شانك بها ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعى بها فمسح ظهرها بيده اى وفى رواية فبعث النبى صلى الله عليه وسلم معبدا
وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة ثم قال يا غلام هات فرقا فمسح ظهرها وفى رواية فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى
اى وقال اللهم بارك لنا فى شاتنا فدرت واجترت ونفاجت اى نفخت ما بين رجليها للحلب ثم دعا باناء يربض الرهط
اى يرويهم بحيث يغلب عليهم الرى فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة للعشرة وقيل من التسعة الى الاربعين
فحلب فيها ثجا اى بقوة لكثرة اللبن ومن ثم قال حتى علاه البهاء وسعى فى رواية حتى علته الثمالة بضم الثاء اى الرغوة

ومن رواية فسقاها فشربت حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا عللا بعد نهل اى مرة ثانية بعد الاولى اى ثم شرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان اخرهم شربا وقال ساقى القوم اخرهم شربا ثم حلب فيه دفاقا مرة اى تركه عندها وارتحل والى ذلك اشار الامام
السبكى رحمه الله بقوله فى تائيته مسحت على شاة بدعام معبد بجهد فلقاها ادر حلوبة والى ذلك اشار صاحب
الهمزية رحمه الله بقوله فى وصفه راحته الشريفة درت الشاة حين مرت عليها فلها ثروة بها ونماء اى ارسلت الشاة
لبنها حين مرت راحته الشريفة على تلك الشاة فلتلك الشاة بسبب تلك الراحة كثرة لبن وزيادة وعن ام معبد ان
هذه الشاة بقيت الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى سنة ثمان عشرة وقيل سبع عشرة من الهجرة و
يقال لتلك السنة عام الرمادة اى وكانت تلك السنة اجدبت الارض جدبا شديدا حتى جعلت الوحوش تاوى الى الانس ويذبح
الرجل الشاة فيعافها اى تخبث لحمها وكانت الريح اذا هبت القت ترابا كالرماد وسمى ذلك العام عام الرمادة وعند ذلك آلا عمر رضى الله
تعالى عنه ان لا يذوق لبنا ولا سمنا ولا لحما حتى يحيى الناس اى يجيء اليهم الحياة وهو المطر وقال كيف لا يعنينى شان الرعية اذا
لم يمسنى ما مسهم وهذا السياق يدل على ان الذى حلبه صلى الله عليه وسلم عند ام معبد شاة واحدة وفى تاريخ العينى شارح
البخارى قال يونس عن ابن اسحاق انه دعى ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب فى العس حتى ادى وقال اشربى يا ام معبد فقالت
اشرب انت فانت احق به فرده عليها فشربت ثم دعى بحايل اخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعى بحايل اخرى ففعل بها مثله ذلك
فسقى دليله ثم دعى بحايل اخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فهيرة وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا
ام معبد فسالوا عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما ادرى ما تقولون قد ضافنى حالب الحايل فقالوا ذلك الذى نريده
وعند قول عمر رضى الله عنه ذلك قال كعب لعمر يا امير المومنين ان بنى اسرائيل كانوا اذا اصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء
فقال عمر رضى الله عنه هذا عم النبى صلى الله عليه وسلم وصنو ابيه وسيد بنى هاشم يعنى العباس فمشى اليه عمر وشكى اليه
ما فيه الناس فصعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا قد توجهنا اليك بعم نبينا وصنو ابيه صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث
ولا تجعلنا من القانطين ثم قال عمر للعباس يا ابا الفضل قم وادع فقام وحمد الله واثنى عليه وقال فى دعائه اللهم شفعنا فى انفسنا
واهلينا اللهم انا نشكوا اليك جوع كل جايع اللهم انا لا نرجوا الا اياك ولا ندعوا غيرك ولا نرغب الا اليك فسقوا قبل ان
يصلوا الى منازلهم وخاضوا فى الماء واخصبت الارض وعاش الناس فقال عمر هذا والله هو الوسيلة الى الله تعالى وصار الناس
يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك ساقى الحرمين وذكر السهيلى ان جماعة كانت مقبلة الى المدينة فى ذلك اليوم فسمعوا
صايحا يصيح فى السحاب اتاك الغوث ابا حفص اتاك الغوث ابا حفص وهذا وذكر العلامة ابن حجر الهيتمى فى الصواعق عن تاريخ دمشق
ان الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فقال عمر رضى الله تعالى عنه لاستسقين غدا بمن يسقينى الله به
فلما اصبح غدا للعباس رضى الله تعالى عنه فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ما حاجتك قال اخرج حتى نستسقى الله بك قال اقعد
فارسل الى بنى هاشم ان تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فاتوه فاخرج طيبا وطيبهم ثم خرج وعلى امامه بين يديه والحسن عن يمينه
والحسين عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره وقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثم اتى المصلى فوقف وحمد الله واثنى عليه وقال اللهم
انك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون فاحرزه قال عابوبنا وحنا حتى سحت السماء علينا سحا فقضا وسلنا الى منازلنا
الا خوضا فقال العباس انا ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات اشار الى ان اباه عبد المطلب استسقى خمس
مرات فسقى هذا كلامه فلينظر الجمع قال ابن شهاب كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله ويقدمونه
ويشاورونه وياخذون برايه وكان لا يمر عثمان وعمر وهما راكبان الا نزلا حتى يجوز العباس ويمشيا معه الى بيته اجلالا
لراى لانه صلى الله عليه وسلم قال احفظونى فى العباس فانه عمى وصنو الى الحفرة وايه فانه بقية ابائى قالت ام معبد فى وصف

ابن المسقى

تلك

تلك الشاة وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا اى بكرة وعشية وما فى الارض قليل ولا كثير اى مما يتعاطى القعاب بالكلمة ولما جاء زوجها
ابو معبد قال السهيلى لا يعرف اسمه وقيل اسمه اكثم بالثاء المثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبد الله جاء عند المساء يسوق
اعنزا عجافا فرأى اللبن الذى حلبه صلى الله عليه وسلم عجب فقال يا ام معبد ما هذا اللبن ولا حلوبة فى البيت اى والشاة
عازب اى لم يطرقها فحل لكن رايته فى النور فسر المعازب بالبعيدة المرعى التى لا تاوى الى المنزل فى الليل وفى الصحاح
العازب الكلاء البعيد الذى لم يوكل ولم يوطا قالت مر بنا رجل مبارك قالت صفيه قالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة مبتلج
الوجه اى مشرقه فى اشفاره اى اجفان عينيه اى شعرها النابت بها وطف اى طول وفى عينيه دعج اى شدة سواد فى شدة
بياض وهذا هو الحور شديد البياض بل كان اشكل العين والشكلة حمرة فى بياض العين وهو دليل الشهامة وهو من
علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة كما تقدم وفى صوته صحل اى بحة بفتح الموحدة اى ليس حاد الصوت ربعة
بين الغصنين لا تشناه من طول اى لا تبغضه لفرط طوله ولا تقتحمه من قصر اى تحتقره من قصره لم تعبه ثجلة اى عظم البطن و
كبرها ولم تزر به صعلة اى صغر الراس كان عنقه ابريق فضة اى هو لا بريق السيف الشديد البريق اذا نطق فعليه البهاء
واذا صمت فعليه الوقار له كلام كخرزات النظم ازين اصحابه منظرا واحسنهم وجها اصحابه يحفون به اذا امر ابتدروا امره واذا نهى
انتهوا عند نهيه قال وفى لفظ انها قالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة ابلج الوجه اى مشرقه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزره صعلة و
سيما قسيما اى حسنا فى عينيه دعج وفى اشفاره وطف وفى صوته صحل احور اكحل اى فى اجفان عينيه سواد خلقة وفى عنقه
سطع اى طول وفى لحيته كثافة اى لا طويلة ولا دقيقة ازج اى دقيق طرف الحاجب اقرن اى مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر
ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما برأسه وعلاه البهاء اجمل الناس وابهاه من بعيد واحسنه من قريب حلو المنطق
فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تشناه اى تبغضه من طول اى من فرط طوله ولا تقتحمه عين من
قصر اى لا تتجاوزه الى غيره احتيارا له غصنا بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال انصتوا لقوله
وان امر ابتدروا الى امره محفود محشود اى عنده جماعة لا عابس ولا مفند اى يكثر اللوم انتهى قال زوجها والله صفة صاحب قريش
ولو رايته لاتبعته ولاجتهدن ان افعل اى وفى الامتاع ويقال انها اى ام معبد ذبحت لهم شاة وطبختها فاكلوا منها ووضعت
لهم فى سفرتهم منها ما وسعته تلك السفرة وبقى عندها اكثر لحمها وفى الخصايص الكبرى انه صلى الله عليه وسلم بايعها اى اسلمت قبل
ان يرحلوا عنها وفى كلام ابن الجوزى ان ام معبد هاجرت واسلمت وكذا زوجها هاجر واسلم اى ولـ... فى شرح السنة للبغوى
وهاجرت هى وزوجها واسلم اخوها حبيش بن الاشعر واستشهد يوم الفتح وكان اهلها يورخون بيوم نزول الرجل المبارك
ويقال ان زوجها خرج فى اثرهم فادركهم وبايع النبى صلى الله عليه وسلم ورجع وفى الاجوبة المسكتة لابن عوف رحمه الله
قيل لام معبد رضى الله تعالى عنها ما بال صفتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه به من سائر صفات من وصفه
اى من الرجال فقالت اما علمتم ان نظر المراة الى الرجل اشفى من نظر الرجل الى الرجل وفى ربيع الابرار للزمخشرى عن هند
بنت الجون انه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة خالتها ام معبد قام من رقدته فدعى بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج ذلك الماء فى
عوسجة الى جانب الخيمة فاصبحت وهى اعظم دوحة اى شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كاعظم ما يكون فى لون الورس ورايحة
العنبر وطعم الشهد ما اكل منها جايع الا شبع ولا ظمان الا روى ولا سقيم الا برئ ولا اكل من ورقها بعير ولا شاة الا در
فكنا نسميها المباركة فاصبحنا فى يوم من الايام وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا لذلك فما راعنا الا نعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال والعجب كيف لم يشتهر امر هذه الشجرة كما اشتهر امر الشاة وعن ام معبد رضى الله تعالى عنها انها قالت مر على خيمتى
غلام سهيل بن عمرو ومعه قربتان فقلت ما هذا قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى مولاى يستهديه ماء زمزم فانا اعجل

السيرة كى لا ينكشف القرب اى فانه صلى الله عليه وسلم كتب الى سهيل بن عمرو ان جاءك كتابى ليلا فلا تصبحن او نهارا فلا تمسين حتى تبعث ماء
زمزم وبعث بجملين بعيرين وكان ذلك اذ هو لا زال كفار قريش بمكة لا يعلمون اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى
الله تعالى عنه حتى سمعوا هاتفا يذكرهما ويذكر ام معبد رضى الله تعالى عنها فى ابيات منها جزى الله رب العالمين خير جزائه رفيقين
حلا خيمتى ام معبد هما نزلا بالبر ثم ترحلا فافلح من امسى رفيق محمد فلما توجه صلى الله عليه وسلم الى يثرب اى وقف طريق اليمن
محل يقال له الدهيم ونحو ام معبد قال بعضهم وليست ام معبد التى نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة
دهموا ان يكون الخبر الذى وصل اليهم فى اليوم الثانى من خروجه الى الغار هو قول هذا الهاتف وعقبه من شخص راجم والى قول الهاتف
اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله وتغنت بمدحه الجن حتى اطرب الانس منه ذاك الغناء اى واطربت الجن ايضا فانه
صلى الله عليه وسلم الحميدة فى صورة الغناء الذى لم يتولع به النفس حتى طرب ذلك الغناء الانس حيث سمعوه واما قول بعضهم
انهم علموا ذلك من هاتف هتف بقوله فان يسلم السعدان يصبح محمد من الامر لا يخشى خلاف المخالف فقالوا السعود سعد بن بكر وسعد
بن زيد مناة وسعد هذيم فلما كانت الليلة القابلة سمعوا ذلك الهاتف بقوله فيا سعد سعد الاوس كن انت مانعا ويا سعد
سعد الخزرجين الغطارف فقالوا سعد الاوس سعد بن معاذ وسعد الخزرج سعد بن عبادة ففيه نظر لان السعدين المذكورين كانا اسلما قبل ذلك
فلا يحسن قوله فان يسلم السعدان اقول يجوز ان يكون ان بمعنى اذ اى حيث وقت صلى الله عليه وسلم اذا لا يخشى
خلاف المخالف لاجل اسلام السعدين او المراد دوامهما على الاسلام على انه ذكر فى الاصل ان انشاد هذين البيتين وسماع
اهل مكة له كان قبل اسلام سعد بن معاذ وذكر بعضهم ان السعود من الانصار سبعة اربعة من الاوس سعد بن معاذ وسعد بن
خيثمة وسعد بن عبيد وسعد بن زيد وثلاثة من الخزرج سعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان ابو عبادة والله اعلم
قال وتقديم قصة سراقة على قصة ام معبد هو ما فى الاصل وهذا التزم فيه ترتيب الوقائع وتغيير الترتيب ذكر قصة ام معبد قبل
قصة سراقة لان الصحيح الذى صرح به جماعة اقول يدل لذلك ما تقدم من ان كبار قريش لم يعلموا اين توجه صلى الله
عليه وسلم حتى سمعوا الهاتف يذكر ام معبد وعن اسماء بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنهما قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل لعنه الله ووقفوا على الباب فخرجت اليهم فقالوا اين ابوك قلت والله لا ادرى فرفع ابو جهل يده فلطم
خدى لطمة خرم منها قرطى اى سقط لخفة خرج قرطى والقرط ما يعلق فى شحمة الاذن قالت ثم انصرفوا فمضى ثلاث ليال ولا ندرى
اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل رجل من الجن من اسفل مكة يتغنى بابيات والناس يتبعونه ويسمعون صوته
حتى خرج باعلى مكة جزى الله رب الناس كذا فى الاصل وعليه ان قولها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر فى
ان خروجه للغار وقولها فمضى ثلاث ليال ما ندرى يقتضى ان المراد خروجه من الغار وتقدم انهم علموا بخروجه الى المدينة
فى اليوم الثانى من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا بذلك الا من الهاتف فليتامل وقد تبع الاصل فى ذلك شيخه
الدمياطى حيث قدم خبر سراقة على قصة ام معبد الا ان يقال الدمياطى لم يلتزم الترتيب فلا يحسن بنعيه وهنا قصة اخرى
شبيهة بها زيادة ونقص قيل هى قصة ام معبد وقيل غيرها وهى انه صلى الله عليه وسلم اجتاز بغنم فقال لراعيها لمن هذه قال لرجل
من اسلم فالتفت صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه وقال سلمت ان شاء الله تعالى ثم قال للراعى ما اسمك قال مسعود
فالتفت صلى الله عليه وسلم الى ابى بكر رضى الله عنه وقال سعدت ان شاء الله تعالى اى فى الاشياع ولقى بريدة بن الحصيب
الاسلمى رضى الله عنه فى ركب من قومه فدعاهم الى الاسلام فاسلموا اى والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد وفى الشرف
ان بريدة رضى الله تعالى عنه لما بلغه ما جعلته قريش لمن ياخذ النبى صلى الله عليه وسلم طمع فى ذلك فخرج هو فى سبعين من
اهل بيته وفى لفظ وكانوا نحو ثمانين بيتا وحينئذ يراد ببيته قومه فلما راه صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا بكر برد امرنا

وصلى قال عن انت قال من اسلم من بنى سهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمنا وخرج سهمك يا ابا بكر اى لانه صلى الله عليه
وسلم كان يتفاءل ولا يتطير كما تقدم ثم قال بريدة للنبى صلى الله عليه وسلم من انت قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله فقال بريدة
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فاسلم بريدة وكل من كان معه اى وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم العشاء
الاخرة ثم قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل بريدة عمامته ثم شدها فى رمح ثم مشى بين يديه اى و
قال لهما فى الوفاء تنزل على يا نبى الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان ناقتى هذه مامورة فقال بريدة الحمد لله الذى
اسلمت بنو سهم يعنى قومه طائعين غير مكرهين ولما سمع المسلمون بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا
يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة اقول ولعل خروجهم كان فى ثلاثة ايام وهى المدة التى
على المسافة المعتادة من مكة والمدينة التى كان بها فى الغار والله اعلم فانقلبوا يوما بعد ان طال انتظارهم اى واحرقتهم
الشمس واذا رجل من اليهود صعد على اطم اى محل مرتفع من اطامهم اى من حصونهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه مبيضين اى لانهم لقوا الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رضى الله
تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثيابا بيضاء كما فى البخارى قال فى النور ولعلهما لقياه معا فتعاقبا فى كسوته
وابى بكر ما ذكر وهذا الجمع اولى من ترجيح الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى ان هذا القبيل هو الذى فى السير ومال الدمياطى
الى ترجيح على عادته فى ترجيح ما فى السير على ما فى الصحيح لكنه ذكر ان ذلك كان شانه فى ابتداء امره فلما تضلع من الاحاديث
الصحيحة كان يرى الرجوع من كثير مما وافق عليه اهل السير وخالف الاحاديث الصحيحة فلما راى ذلك اليهودى يزول
بهم السراب اى يرفعهم ويظهرهم اى والسراب ما يرى كالماء فى وسط النهار فعند ذلك لم يملك اليهودى ان قال باعلى صوته يا
معشر العرب هذا جدكم اى حظكم الذى تنتظرون اى وفى رواية فلما دنوا الى المدينة بعثا رجلا من اهل البادية الى ابى
امامة واصحابه من الانصار اى ولا مانع من وجود الامرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بظهر الحرة اى وفى لفظ فوافوه وهو مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه فى ظل نخلة ولعل تلك النخلة كانت بظهر الحرة
بمحل القدوم فقالوا لهما ادخلا امنين مطاعين وفى لفظ فاستقبله صلى الله عليه وسلم خمسمائة اى ما يزيد على خمسمائة من
الانصار فقالوا اركبا امنين مطاعين فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف وذلك فى يوم الاثنين
لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول على كلثوم بن الهدم اى لانه كان شيخ بنى عمرو بن عوف اى وهم بطن من
الاوس وقيل كان يومئذ مشركا ثم اسلم وتوفى قبل بدر بيسير وقيل اسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم اخبرت يا ابا بكر
وكان صلى الله عليه وسلم يجلس ويتحدث مع اصحابه فى بيت سعد بن خيثمة اى لانه رضى الله تعالى عنه كان عزبا لا
اهل له هناك اى وكان منزله يسمى منزل العزاب والعزاب من الرجال من لا زوجة له ولا يقال اعزب وهى لغة رديئة
اقول وبذلك يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رايت الحافظ الدمياطى اشار
الى ذلك والله اعلم ونزل على بن ابى طالب كرم الله وجهه لما قدم المدينة على ام كلثوم ايضا بعد ان تاخر بمكة بعده
صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال يؤدى الودائع التى كانت عند النبى صلى الله عليه وسلم لامره له صلى الله عليه وسلم
بذلك كما تقدم فلما قدم صلى الله عليه وسلم بالمدينة قام على كرم الله وجهه بالابطح ينادى من كان له عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليات تؤدى اليه امانته فلما [illegible] ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم معه الفواطم ومعهن ام ايمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين
اقول سياتى ما يخالف ذلك وهو انه صلى الله عليه وسلم لما نزل [illegible] ابى ايوب بعث زيد بن حارثة وابا

دافع الى مكة واعطاهما خمسمائة درهم وبعير بن بعثهما عليه بفاطمة رضي الله تعالى عنها وام كلثوم بنته رضي الله تعالى عنها وسودة
زوجته وام ايمن وولدها اسامة رضي الله عنهم الا ان يقال يجوز ان يكون الكتاب الذي فيه استدعاء سيدنا على كرم الله
وجهه كان مع زيد وابي رافع وابنهما صحباه ولا ينافى ذلك ما تقدم من انه تاخر بمكة بعد ثلاث ليال يعنى الودائع لان تلك
الليال الثلاث كانت حتى تادية الودائع ومكث بعدها الى ان جاء كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قدم
على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد قدوم زيد وابي رافع ومعهما ام كلثوم فلا يخالف لكن في السيرة الهشامية فنزل اي على كرم الله وجهه معاي
مع النبي صلى الله عليه وسلم على كلثوم وهو لا ينافي الا على القول بانه صلى الله عليه وسلم مكث في قبا بضع عشرة ليلة كما سياتي
وحينئذ يخالف ما سبق من مجيئه مع زيد وابي رافع لما علمت انه صلى الله عليه وسلم انما ارسلهما بعد ان تحول من قبا الى المدينة
وفي الامتاع لما قدم على كرم الله وجهه من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبي صلى الله عليه
وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وامرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من على كرم الله
وجهه مع وجود ابي بكر لانه يجوز ان يكون هاجر ماشيا رغبة في عظم الاجر وفي السيرة الهشامية ان اقامة على كرم الله وجهه
بقباء كانت ليلة او ليلتين وانه رأى امرأة مسلمة لا زوج لها يأتيها انسان من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيئا
معه فسألها عنه قال على كرم الله وجهه فسألتها عن ذلك فقالت هذا سهل بن حنيف قد عرف اني امرأة لا احد لي فاذا امسى عدا على
اوثان قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال احتطبي بهذا اي اجعليه للنار وكان على كرم الله وجهه يعرف ذلك لسهل بن حنيف رضي الله
عنه والله اعلم قال ونزل ابو بكر رضي الله عنه على حبيب بن ساف وقيل على خارجة بن زيد بالسنح بضم السين المهملة وسكون النون فحاء
مهملة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين اي ودخلت براءته يوم الاثنين وخرج من مكة
اي من الكفار يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين قال الحاكم رحمه الله تواترت الاخبار ان خروجه صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين زاد بعضهم وفتح مكة يوم الاثنين ووضع الركن يوم الاثنين ومن الغريب ما حكاه بعضهم عن ابي الربيع المالكي
وكان بمصر كان يوم الاثنين خاصة اذا نام فيه صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه وقيل خرج من مكة الى الغار يوم الخميس
وعليه يكون صلى الله عليه وسلم مكث في الغار تلك الليلة التي هي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وعليه يكون خروجه
من الغار صبيحة يوم الاحد وفي البخاري اتاهما اي الدليل براحلتيهما صبح ثلاث وتقدم ان خروجهما للغار كان ليلا من بيت ابي بكر رضي الله
عنه سائرا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة يقتضي انهما خرجا من الغار ليلا اي اول الليل لان مع التاخير يبعد ان يكون المراد بقية
ليلتنا وعن البخاري اتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وحمل ذلك على ما قارب الصبح من الصبح بعيد بل تأمل هذا المحل وقيل دخلها اي المدينة
ليلا كما في رواية لمسلم اي وقال الحافظ ابن حجر وجمع بان القدوم كان آخر النهار فدخلها نهارا اقول لعل مراد الحافظ ان الوصول
كان ليلا الى قرب المدينة فاقاموا بذلك المحل الى ان اسفر النهار وساروا فما وصلوا الا وقت الظهيرة فلا يخالف ما تقدم وقيل
دخلها يوم الجمعة وذكر الحافظ ابن حجر انه شاذ والله اعلم وسرى السرور الى القلوب بحلوله في المدينة وعن البراء رضي الله تعالى
عنه قال ما رايت اهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه
لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على
الاجاجير اي الاسطحة عند قدومه يقلن يقولون طلع البدر علينا الى آخره وعن عائشة رضي الله تعالى عنها لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن جهلا طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب
الشكر علينا ما دعا لله داع ايها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع قال واستشكل بان ثنيات الوداع لمن يات من جهة
القادم من مكة بل من جهة الشام فقد قال ابن القيم في الهدي في غزوة تبوك ثنيات الوداع من جهة الشام لا يطأها

القادم من مكة ونقل الحافظ ابن حجر عنه عكس ذلك فليس في محله واجيب بانه صلى الله عليه وسلم جاء من جهتها في دخوله المدينة عند
خروجه من قباء انتهى اي وفي كلام بعضهم ما كان احد يدخل المدينة الا منها فان لم يعشر بها مات قبل ان يخرج لوبائها كما زعمت اليهود
فاذا وقف عليها قيل قد ودع فسميت به وقيل قيل لها ثنية الوداع لان المودع يمشي مع المسافر من المدينة اليها وهو اسم قديم جاهلي
وقيل اسلامي سمي ذلك المحل بذلك وقيل لان الصحابة ودعوا فيها النساء اللاتي استمتعوا بهن في خيبر عند رجوعهم من خيبر او وقع توديع
من خرج الى غزاة تبوك فيها او لكونه صلى الله عليه وسلم ودع بعض المسافرين عندها وهذا يدل على ان الشعر قيل له صلى الله عليه وسلم
عند دخوله المدينة قبا وسياق بعضهم يشعر به وسياق بعض آخر يقتضي انه كان عند دخوله صلى الله عليه وسلم ومن هذا يعلم ان المدينة
تطلق ويراد بها ما يشمل قبا ومنه قولنا وسرى السرور الى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم في المدينة فعن البراء الى آخره وهي
المرادة بدخوله المدينة يوم الاثنين على ما تقدم وتطلق ويراد بها ما قابل قبا وحينئذ تكون هي المرادة بقول انس رضي الله
تعالى عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة الى آخره ولعل هذا ما في بعض الروايات المتقدمة من
انه صلى الله عليه وسلم دخل المدينة يوم الجمعة الذي حكم الحافظ ابن حجر رحمه الله بشذوذه كما تقدم ولما جلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم قام ابو بكر رضي الله تعالى عنه اي للناس وابو بكر شيخ اي ظاهر والنبي صلى الله عليه وسلم اسن من ابي بكر رضي الله تعالى عنه
كما تقدم وقال انس رضي الله تعالى عنه لم يكن في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر رضي الله عنه فطفق من جاءه من الانصار ممن لم ير رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر رضي الله تعالى عنه اي فيعرف بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقبل ابو بكر رضي الله عنه حتى ظلل عليه صلى الله عليه وسلم بردائه فعرف الناس اي عرف من جاء منهم بعد ذلك اي لان علم تأثير الشمس
فيه صلى الله عليه وسلم لعدم تظليل الغمامة كان قبل البعثة ادعاما كما تقدم اي ومما يدل على ان دخوله صلى الله عليه وسلم وخروجه
من قبا كان يوم الجمعة قول بعضهم ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف اي في قبا بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء
ويوم الاربعاء ويوم الخميس وخرج يوم الجمعة وقيل لبث بضعة عشر ليلة وهو المنقول عن البخاري رحمه الله وعن ابن عقبة رحمه الله
اقام صلى الله عليه وسلم بها اثنتين وعشرين ليلة وفي الهدى اقام صلى الله عليه وسلم بها اربعة عشر يوما وهو ما في صحيح مسلم فليتأمل
واسس صلى الله عليه وسلم بقبا المسجد الذي على التقوى اي الذي نزلت فيه الاية وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا ينافي هذا
قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال مسجدكم هذا واشار لمسجد المدينة اي وفي رواية فاخذ حصبا فضرب بها
الارض وقال مسجدكم هذا يعني مسجد المدينة لان كلا منهما مؤسس على التقوى هذا كلامه ويوافقه ما نقل عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يرى كل مسجد بني بالمدينة الشاملة لقبا اسس على التقوى اي ولكن الذي نزلت فيه الاية هو
مسجد قبا وكان موضعه صلى الله عليه وسلم من قبا اي محلا يجفف فيه التمر لكلثوم ابن الهدم رضي الله تعالى عنه وهو اول مسجد بني
في الاسلام لعموم المسلمين بناء والا فقد بنى قبله غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه كالمسجد الذي بناه الصديق رضي الله عنه بفناء داره
بمكة كما تقدم انتهى وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله اول من بنى مسجدا في الاسلام عمار بن ياسر رضي الله عنه وفي السيرة الهشامية
عن الحكم بن عتيبة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قبا قال عمار بن ياسر رضي الله عنه ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بد من ان يجعل له مكانا يستظل به اذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قبا اي فانه لما جمع الحجارة اسسه صلى الله عليه وسلم و
استتم بنيانه عمار رضي الله عنه فعمار اول من بنى مسجدا لعموم المسلمين قال وعن جابر رضي الله عنه لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم
علينا النبي صلى الله عليه وسلم سنتين نعمر المساجد ونقيم الصلوة انتهى وعمر يحتمل ان يكون بالتخفيف فيكون عطف الصلوة
من عطف التفسير ويحتمل ان يكون بالتشديد فيكون بناء المساجد تقدم في المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وفيه
ان الحافظ ابن حجر قال كان ابتداء هجرة الصحابة رضي الله عنهم وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين ونصف على التحرير كما تقدم

تابى بكر ... صلى الله عليه وسلم

ابو وروايته جابر رضي الله عنه تدل على انه كان بين اجتماع الاثنى عشر من الانصار به وبحيئهم الى المدينة وبين قدومه صلى الله عليه
وسلم سنتين وقد يقال ليس مراد جابر رضي الله تعالى عنه ان ابتداء المدة من قدوم الاثنى عشر عليه بل مراده ان ابتداءها من قدوم
السنة عليه الذين منهم جابر والمدة تزيد على السنتين فليتأمل وهو اى مسجد قبا اول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة
ظاهرين اى آمنين وقيل ان هذا المسجد بناه المهاجرون والانصار يصلون فيه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد
قبا صلى فيه ولم يحدث فيه شيئا ويخالفه بما تقدم من السيرة الهشامية ووافق الطبراني بسند رجاله ثقات عن الشموس بفتح الشين
المعجمة بنت النعمان رضي الله تعالى عنهما قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل واسس المسجد مسجد قبا
فرايته ياخذ الحجر او الصخرة حتى يصهره الحجر اى يبعده فيأتي الرجل من اصحابه رضي الله تعالى عنهم فيقول يا رسول الله بابي انت
وامي تعطني اكفك فيقول لا خذ مثله حتى اسسه وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما اراد بناه قال يا اهل قبا ائتوني باحجار من
الحرة فجعلت عنده احجار كثيرة فخط القبلة واخذ حجرا فوضعه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجري
ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كان صلى الله عليه وسلم اشار الى ترتيب الخلافة وسيجيء نحو بناء
مسجد المدينة نحوه ويحتاج للجمع بين هذه الروايات وبعد قدومه صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان ياتيه يوم السبت
ماشيا او راكبا وقال صلى الله عليه وسلم من توضا واسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قبا فصلى فيه كان له اجر عمرة اي وروى الترمذي
والحاكم وصححاه عن اسيد بن ظهير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلوة في مسجد قبا كعمرة وفي رواية من صلى في مسجد قبا
يوم الاثنين والخميس انقلب باجر عمرة وكان عمر رضي الله تعالى عنه ياتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال لو كان بطرف من الاطراف
وفي رواية في افق من الافاق لضربنا اليه اكباد الابل اه وصحح الحاكم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه و
سلم يكثر الاختلاف الى قبا ماشيا وراكبا وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن ابيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الاثنين الى قبا وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الى قبا وعن ابن عمر رضي الله
عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا فيصلي فيه ركعتين وعنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبا
فقام يصلي فجاءته الانصار رضي الله تعالى عنهم تسلم عليه فقلت لبلال كيف رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم قال
يشير اليهم بيده وهو يصلي اي يجعل باطنها الى اسفل وظهرها الى فوق وقد وقعت له صلى الله عليه وسلم الاشارة في الصلوة برد
السلام لما قدمت عليه ابنته رضي الله تعالى عنها من الحبشة وهو يصلي فسلمت عليه فاومى اليها براسه الشريف في الهدى واما حديث
من اشار في الصلوة اشارة مفهمة تفهيم عنه فليعد صلوته فحديث باطل وفي كلام بعضهم قد ثبت في الاحاديث الصحيحة
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم عليه احد وهو في الصلوة اشار باصبعه المباركة جواب السلام وليس لهذه الاحاديث معارض
الا حديث مجهول فهو من اشار في صلوته اشارة مفهمة فليعد صلوته وهذا الحديث لا يصلح للمعارضة ولما نزل قوله تعالى
فيه رجال يحبون ان يتطهروا ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالهم عن ذلك فقال ما هذا الطهور الذي اثنى الله عليكم
فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرج منا رجل ولا امراة الى الغائط الا غسل فرجه فقال هو هذا وفي لفظ انا مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد قبا اه وفي الكشاف ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون
انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلوة والسلام اتؤمنون بالقضا قالوا
نعم قال اوتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون على الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلوة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس
وقال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط اي المعبر عنه بالطهور فقالوا
يا رسول الله نتبع الغائط بالاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا

هذا كلام

هذا كلامه وفي رواية فقال ان الله قد احسن اليكم فما هذا الطهور الذي تتطهرون به قالوا يا رسول الله ما نعلم شيئا الا انه كان
لنا جيران من اليهود كانوا يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفي لفظ نستنجي بالماء في الجاهلية فلما جاء الاسلام
لم ندعه قال فلا تدعوه وفي لفظ قالوا نتوضا للصلوة ونغتسل من الجنابة فقال هل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان احدنا اذا
خرج الى الغائط احب ان يستنجي بالماء وفي رواية نستنجي بالماء من البول والغائط اه وفي رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة
قال هو ذلك فعليكموه اي الزموه اي وفي مسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لما سالهم قالوا
نتبع الحجارة الماء قال بعضهم في اسناده ضعف وبهذا وما تقدم من ذكر الحجارة يرد على الامام النووي حيث قال واما ذكر
الحجارة مع الماء فجزء الانصار فباطل رواه الفقهاء في كتبهم وليس له اصل في كتب الحديث بل المذكور فيه انهم قالوا نستنجي بالماء ليس
فيها مع الحجارة ويكون السكوت عن ذكر الحجر لكونه كان معلوما فعله وفي الخصائص الصغرى انه مما اختص به في شرعه وامته الاستنجاء بالحجر
وبالجمع فيه بين الماء والحجر ومن اهل قبا عويم بن ساعدة قال في حقه صلى الله عليه وسلم نعم العبد من عباد الله والرجل من اهل
الجنة عويم بن ساعدة رضي الله عنه اي لانه كان اول من استنجى بالماء كما قيل اي ومن ثم جاء تخصيصه رضي الله عنه بالسؤال
فقد روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويم بن ساعدة رضي الله عنه فقال ما هذا
الطهور الذي اثنى الله عليكم به فقال يا نبي الله ما خرج منا رجل ولا امراة من الغائط الحديث وهذا السياق ربما يقتضي
الماء فالحجر ومن اهل قبا عويم بن ساعدة قال في حقه صلى الله عليه وسلم نعم العبد من عباد الله والرجل من اهل الجنة
عويم بن ساعدة رضي الله تعالى عنه اي لانه كان اول من استنجى بالماء كما قيل اي ومن ثم جاء تخصيصه رضي الله تعالى عنه
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويم بن ساعدة رضي الله عنه فقال ما هذا الطهور الذي اثنى الله عليكم به فقال
يا نبي الله ما خرج منا رجل ولا امراة من الغائط الحديث وهذا السياق ربما يقتضي الاستنجاء بالماء لم يكن معروفا في غير
اهل قبا قبل نزول هذه الاية وفي كلام بعضهم اول من استنجى بالماء ابرهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وكره بعض
الصحابة رضي الله تعالى عنهم الاستنجاء بالماء وهو حذيفة رضي الله تعالى عنه لعله يكون في الاستنجاء بالماء عدول عن الرخصة
ونقل عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان لا يستنجي بالماء ولعله لما ذكرنا وكذا ما نقل عن ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما
ما كنا نفعله وعن الامام احمد انه لم يصح حديث في الاستنجاء بالماء وبالغ مغلطاي فرده وعن سيدنا مالك رضي الله تعالى عنه انكار ان
النبي صلى الله عليه وسلم استنجى بالماء ولعل المراد انكار صحة ذلك عنه صلى الله عليه وسلم فليتامل وذكر الاحجار في الخبر يؤيد ظاهر
ما ذكره امامنا رضي الله تعالى عنه في الام ان سنة الجمع بين الحجر والماء تتوقف على كون الاستنجاء بالحجر كان لو اقتصر عليه بقوله
ولا استنجاء اي بالحجر كان ولو اتى باي الاستنجاء الكافي بحيث ثم غسل بالماء كان احب الي وانما قلنا ظاهره لامكان رجوع الضمير
للاستنجاء لا بقيد كونه كافيا والذي عليه متاخروا اصحابنا ان سنة الجمع يكتفى بازالة العين ولو بحجر واحد وقد يقال هذا
محبوب وما ذكره الامام احب ولا يخفى ان حديث الانصار يقتضي اختصاص الجمع بين الحجر والماء بالغائط وبه قال القفال
في كتاب محاسن الشريعة والمعلوم من نص الام مثل الغائط البول ثم بعد اقامته صلى الله عليه وسلم المدة المذكورة بقبا ركب
راحلته الجدعاء وقيل القصوى وقيل العضباء اي قاصدا المدينة والجدعاء بالدال المهملة المقطوعة الانف ومقطوعة
الاذن كلها والقصوى المقطوع طرف اذنها والعضباء المشقوقة الاذن قال بعضهم وهذه القاب ولم يكن بها اي بتلك النوق
شيء من ذلك وسياتي من الاصل ان هذه القاب لناقة واحدة ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قبا وسار سار
الناس معه ما بين ماش وراكب اي ولا زال احدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا اي حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة الشريفة قال فصعدت الخدم والصبيان يقولون الله اكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء محمد صلى الله

عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت بنو عمرو بن عوف له يا رسول الله اخرجت مللا لنا
او تريد دارا خيرا من دارنا قال اني امرت بقرية تاكل القرى اي يغلبها وتفتحها والمراد اهلها اي اهلها يفتحون القرى ويأكلون اموال تلك القرى
ويسبون ذراريهم خلوا سبيلها فانها مامورة ثم انه صلى الله عليه وسلم اي ومن اسماء تلك القرية المدينة وسماها الشيطان امرت بقرية تاكل القرى.
يثرب وهي المدينة فالمدينة علم بالغلبة على تلك القرية كالنجم للثريا اذا اطلق فهي المرادة وان اريد غيرها قيد والنسبة اليها مدني وغيرها
من المدن مديني للفرق بينهما ويثرب اسم محل منها سميت كلها به ولعل ذلك المحل سمي بذلك لانه نزل به يثرب بن ... من نسل نوح عليه الصلاة
والسلام وفي الحديث المدينة تنفي الناس اي شرارهم كما ينفي الكير خبث الحديد وفي بعض الروايات لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة
شرارها قيل وذلك يكون في حياته صلى الله عليه وسلم وقيل يكون ذلك في زمن الدجال فقد ان الدجال اليمنى فترجف المدينة ثلاث رجفات
يخرج الله منها كل منافق وبها استدل من قال كون المدينة تنفي الخبث ليس على بابه في الازمنة ولا في الاشخاص لان المنافقين كانوا بها وخرج
منها جماعة من خيار الصحابة منهم علي وطلحة والزبير وابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهم وفي كلام
ابن الجوزي ان عبد الله بن مسعود كان بالمدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم اي ارض مات بها رجل من اصحابي كان قائدهم ونورهم
يوم القيامة وفي رواية هو شفيع لاهل تلك الارض واما قوله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون اي خير لهم من بلاد
الرخاء بدليل سياق الحديث ياتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفس
محمد بيده لا يخرج احد منها رغبة عنها الا اخلف الله تعالى من هو خير منه اي من خرج منها رغبة عنها الى غيرها من بلاد الرخاء والسعة
فلا دليل في ذلك على انها افضل من مكة ومن اسمائها الجابرة البلدان ومن اسمائها البارة بتشديد الراء. وسميت الفاضحة لان من اضمر بها
شيئا اظهر الله ما اظهره وافتضح به اي بان لا امر شيئا من السوء وقد قال صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى هي طابة
كشامة هي طابة هي طابة قال ذلك ثلاث وفي رواية فليستغفر الله فليستغفر الله فليستغفر الله هي طيبة كجيبة هي طيبة هي طابة لكاتب
قيل وانما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها وتزايد روائح الطيب بها ولا يدخلها الطاعون ولا الدجال ولا يكون بها مجذوم اي لان ترابها
يشفي الجذام وتسميتها بيثرب في القرآن انما هي حكاية لقول المنافقين اي بعد نهيهم عن ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا انام
الا يثرب [illegible] ذلك من كل ما وقع في كلامه صلى الله عليه وسلم من تسميتها بذلك كان قبل النهي عن ذلك انتهى اي وجاء
ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها ويارز بكسر الراء اي ينضم ويجتمع بعضه الى بعض وفي رواية ان الاسلام بدا غريبا
وسيعود غريبا كما بدا وهو يارز كما تارز الحية الى جحرها وانما كرهت تسميتها بيثرب لان يثرب ماخوذ من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب
ومنه قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم او من الثرب بالتحريك وهو الفساد وعن القاسم بن محمد رضي الله تعالى عنهما قال بلغني
ان للمدينة في التوراة اربعين اسما وقيل احد عشر من جملتها سكينة اي ومن جملتها الجابرة والعذراء والمرحومة وفي كلام بعضهم
لها نحو مائة اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح قال الامام النووي
رحمه الله لا يعرف في البلاد اكثر اسماء منها ومن مكة ومما يدل على ان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء متوجها الى المدينة كان
يوم الجمعة قول بعضهم وعند سيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة ادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد
الذي في بطن الوادي بمن معه من المسلمين وهم مائة اي وصلاها بعد ذلك في المدينة وكانوا به صلى الله عليه وسلم اربعين
رجلا اي ولم يحفظ انه صلى الله عليه وسلم صلاها مع النقص عن هذا العدد ومن حينئذ صلى الجمعة في ذلك المسجد سمي هذا
المسجد بمسجد الجمعة وهو مبني السالك هو قبا فكانت اول جمعة صلاها صلى الله عليه وسلم بالمدينة اي وخطب بها وهي
اول خطبة خطبها في الاسلام اي ومن خطبته صلى الله عليه وسلم تلك فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل
ولم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته

وفي رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونقل القرطبي رحمه الله هذه الخطبة في تفسيره واوردها جميعا في المواهب وليس في هذا
اللفظ اقول هذا واضح انه كان صلى الله عليه وسلم اقام في قبا الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس كما تقدم فيبعد انه صلى الله
عليه وسلم لم يصل الجمعة في قبا في تلك المدة ثم رايت في كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة في مسجد قبا في اقامته هناك
اي ويبعد انه صلى الله عليه وسلم صلاها من غير خطبة وفي رواية الجامع الصغير ان الله كتب عليكم الجمعة في مقامي هذا في ساعتي
هذه في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من تركها من غير عذر مع امام عادل او جائر فلا جمع له شمله ولا بورك له في امره
ولا في صلوة له ولا حج له ولا بر له ولا صدقة له فان كان قال ذلك في هذه الخطبة التي خطبها في مسجد الجمعة كما هو المتبادر
اقتضى ذلك انها لم تكن واجبة قبل ذلك وهو المخالف لقول فقهائنا انها وجبت بمكة ولم تقم بها لعدم تمكنهم على اظهارها
لان اظهارها اقوى من اظهار جماعة الصلوات الخمس وفي الاتقان مما تاخر حكمه عن نزوله اية الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما اخرجه
ابن ماجة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد ابي حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع النداء يستغفر
لابي امامة اسعد بن زرارة فقلت يا ابتاه ارايت صلوتك على اسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا قال اي بني
كان اول من صلى بنا الجمعة قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة هذا كلامه فليتامل في وجه الرد من هذا
وجاء صلوة الجمعة بالمدينة كالف صلوة فيما سواها وصيام شهر رمضان في المدينة كصيام الف شهر فيما سواها كذا في الوفا عن
نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما واول قرية صليت فيها الجمعة بعد المدينة قرية عبد القيس بالبحرين وهل كانت الخطبة قبل
الصلوة او بعدها في الدر انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب الجمعة وهو بالمدينة بعد ان يصلي مثل العيدين فبينما هو يخطب يوم جمعة
قائما اذ قدمت عير دحية الكلبي وكان اذا قدم يخرج اهله للقائه بالطبل واللهو فخرج الناس اليه شرا من طعام تلك العير و
للتفرج عليها وقيل للتفرج على دحية رضي الله تعالى عنه فقد قيل كان اذا قدم دحية المدينة لم يبق معصر الا خرجت لتنظر
اليه لفرط جماله ولا مانع ان يكون ذلك لاجتماع الامرين فانفض الناس ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا نحو اثني عشر رجلا
الجلال المحلي في قطعة التفسير اسقط لفظ نحو اي وانفضاض ما عدا هؤلاء يحتمل ان يكون في حال الخطبة قبل تمام الاركان ويحتمل ان
يكون بعد ذلك وعلى الاول يجوز ان يكون رجع من انفض ما يكمل به العدد اربعون قبل طول الفصل وقد اعاد صلى الله عليه وسلم ما
لم يسمعوه من اركان الخطبة عند انفضاضهم فلا يخالف ما ذهب اليه امامنا رضي الله تعالى عنه من وجوب سماع اربعين لاركان الخطبة
قال مقاتل رحمه الله بلغني انهم فعلوا ذلك ثلاث مرات اي الانفضاض عند الخطبة بل اي نزلت فانزل الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها الاية
ثم صار صلى الله عليه وسلم يخطب قبل ان يصلي اي ليحافظ الناس على عدم الانفضاض لاجل الصلوة وعليه انعقد الاجماع فلا نظر لمخالفة
الحسن البصري وحينئذ يكون قول بعض فقهائنا استدل الا على وجوب تاخير صلوة الجمعة عن الخطبتين اثبتت صلوته صلى الله عليه
وسلم بعد خطبتين اي واستمر ثبوت ذلك وعن الزهري رحمه الله بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب
اي في غير الخطبة المتقدمة كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت لا يعجل الله لعجلة احد ولا يخف لامر من الناس يريد الناس امرا
ويريد الله امرا فما شاء الله كان لا ما شاء الناس وما شاء الله كان ولو كره الناس لا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله
الا باذن الله والله اعلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة اي وقد ارخى زمامها
ولم يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا اخذا الربع سالم منهم عتبان بكسر العين المهملة بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك و
عبادة بن الصامت فقالوا يا رسول الله اقم عندنا في العدد والعدة والمنعة وفي لفظ والثروة وفي لفظ انزل فينا فان فينا
العدد والعدة والحلقة اي السلاح ونحن اصحاب الحدائق والدرك يا رسول الله كان الرجل من العرب يدخل هذه البحرة
خائفا فيلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال لهم خلوا سبيلها فانها مامورة فانها مامورة وفي رواية انها مامورة خلوا سبيلها ومعه سم

ويقول بارك الله فيكم فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة اي علمتهم اي والمراد القبيلة منها اعترضوا باهتراء ومنهم زياد بن لبيد وفروة
بن عمرو بمثل ما تقدم واجابهم بانها مامورة خلوا سبيلها فانطلقت حتى وردت دار بني ساعدة اي ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وابو
دجانة فاعترضوا ساعدة بمثل ذلك واجابهم خلوا سبيلها فانها مامورة فانطلقت حتى مرت بدار بني عدي بن النجار وهم اخوال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي اخوال جده عبد المطلب كما تقدم اي باول دورهم منها اعترضوا عدي بن النجار اي اولئك الطائفة منهم بمثل ما تقدم وفي
رواية انهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم هلم الينا اخوالك هلم الى العدد والمنعة والعدة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يا رسول الله
ايذا وفي رواية لا تجاوزنا فليس احد من قومنا اولى بك منا لقرابتنا واجابهم بانها مامورة فانطلقت حتى بركت في محل من محال
بني النجار وذلك في محل المسجد اي محل بابه او محل المنبر الان وذلك عند دار بني مالك بن النجار وعند باب ابي ايوب الانصاري
اي واسمه خالد بن زيد الانصاري الخزرجي شهد العقبة وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من خاصته شهد معه الجمل وصفين والنهروان وغزا ايام معاوية ارض الشام مع يزيد بن
معاوية سنة خمسين وقيل احدى وخمسين فتوفي عند مدينة قسطنطينية فدفن هناك وامر يزيد بالخيل فجعلت تقبل وتدبر
على قبره حتى عفا اثر المقابر اي خفي اي بنبشه الكفار وكان المشركون اذا امحلوا كشفوا عن قبره فيمطروا فلم تنزل عنها صلى الله عليه وسلم
ثم وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها ثم التفت خلفها فرجعت الى مبركها فبركت وتحلحلت
اي بالجيم فتغضغضت ووضعت جرانها اي باطن عنقها من الذبح الى المنحر وارزمت اي صوتت من غير ان تفتح فاها فنزل صلى الله
عليه وسلم وقال رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين اي قال ذلك اربع مرات واحدة الذي كان ياخذه عند الوحي
وسري عنه وقال هذا ان شاء الله يكون المنزل اي وامر ان يحط رحله وفي لفظ ان ابا ايوب رضي الله تعالى عنه قال له صلى الله
عليه وسلم ائذن لي ان انقل رحلك فاذن له واحتمل ابو ايوب رضي الله عنه رحله فوضعه في بيته اي وجاء اسعد بن زرارة
رضي الله تعالى عنه لما انقل رحله اناخ الناقة في منزله وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اسعد اخذ زمامها بعد ذلك
وكانت عنده وعن ابي ايوب رضي الله عنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اقترعت الانصار اليهم يأويه فقرعهم الحديث وقد
يقال مراده بالانصار اهل تلك المحلة التي بركت فيها الناقة وذكر السهيلي رحمه الله انها لما القت جرانها في دار بني النجار اي
في محل من محالها جعل رجل من بني سلمة وهو جابر بن صخر اي وكان من صالحي المسلمين ينخسها رجاء ان تقوم فتنزل في دار بني
سالم فلم تفعل ورجاء انه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحارث ثم بنو ساعدة
وفي كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة رضي الله عنه وجد في نفسه وقال خلفنا فكنا اخر الاربع اسرجوا الي
حماري اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن اخيه سهل فقال اتذهب لترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم اوليس حسبك ان تكون رابع اربع فرجع وقال الله ورسوله اعلم وحماره فحل
عنه وفي رواية قال له اجلس الا ترضى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الاربع الدور التي سمى فمن ترك فلم يسم
اكثر ممن سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت جويريات من بني النجار بالدفوف ويقلن
نحن جويريات بني النجار يا حبذا محمد من جار فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتحببنني وفي رواية اتحبونني فقلن
نعم يا رسول الله فقال الله يعلم ان قلبي يحبكن وفي رواية والله احبكم وانا والله احبكم وانا والله احبكم قال ذلك
ثلاثا وهذا دليل لسماع الغناء على الدف من المرأة لغير العرس ويدل لذلك ايضا ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
مرفوعا ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا اماسيين وجاءت جارية يقال لها سيرين معها مزهر تختلف بين القوم
وهي تغنيهم وتقول هل علي ويحكم ان لهوت من حرج فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا حرج ان شاء الله

ومما روي

ومما روي عن عائشة رضي الله عنها دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان من جواري الانصار تغنيان
وفي رواية تغنيان بدفين فاضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر رضي الله تعالى
عنه فانتهرني فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما وفي رواية قال ابو بكر رضي الله عنه بمزمور وفي لفظ
بمزمار وفي لفظ بمزمار الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك مرتين وانتهرني وكان صلى الله
عليه وسلم متغشيا بثوبه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد اي لان
تلك كانت ايام منى وقيل كان يوم عيد الفطر وقيل الاضحى ولا مانع من تعدد الواقعة اقول وفي البخاري عن الربيع بنت معوذ انه
صلى الله عليه وسلم غداة بني علي وعندها جويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من ابائهن يوم بدر حتى قالت جارية وفينا
نبي يعلم ما في غد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله سالما ان اضرب
بين يديك بالدف فقال لها ان كنت نذرت فاضربي فجعلت تضرب فدخل ابو بكر رضي الله عنه فالقت الدف تحتها وقعدت عليه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفرق منك يا عمر اني كنت جالسا وهي تضرب ودخل ابو بكر وهي تضرب فلما دخلت انت القت
الدف اي واذا كان الشيطان يخاف منك فما بالك بامراة ضعيفة العقل ولا ينافي هذا اي سماع الغناء من المراة مع الضرب على
الدف ما تقدم في باب ما حفظ به صلى الله عليه وسلم في صغره من امر الجاهلية لان الدف ثم كان معه مزمار فجاز ان هنا
وتسمية ابي بكر رضي الله عنه الدف مزمارا لانه كان يعتقد حرمة ذلك فشبهه بالمزمار المحرم سماعه قال بعضهم واعلم ان السماع
في طريق القوم معروف وفي الجواذب الى الحضرة معدود موصوف وقال بعضهم انه من اكبر مصايد الشيطان
اي الواقع فيها الى الله تعالى وقد شوهد تاثير السماع في الحيوانات غير الناطقة بل في الاشجار ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج
غليظ الطبع وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بابي بكر رضي الله عنه بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون
ويقولون يا ايها الضيف المعرج طارقا لولا مررت بآل عبد الدار لولا مررت بهم تريد قراهم منعوك من جهد ومن اقتار اي ولم
ينكر عليهم صلى الله عليه وسلم وبه استدل ائمتنا على جواز الرقص حيث خلا عن التكسر فقد صحت الاخبار وتواترت الاثار
بانشاد الشعر بين يديه صلى الله عليه وسلم بالاصوات الطيبة مع الدف وغيره وبذلك استدل ائمتنا على جواز الضرب بالدف ولو فيه
جلاجل لما هو سبب لاظهار السرور وعلى جواز انشاد الشعر واستماعه حيث خلا عن هجو لغير حربي او فاسق متجاهر بفسقه وخلا
عن تشبيب بمعين من امراة او غلام والخلاف انما هو في سماع الملاهي كالاوتار والمزامير وحرمة المتفقه من سماع صوت المراة
والامرد الجميل ونقل عن الجنيد رحمه الله انه قال الناس في السماع اي سماع الالات على ثلاثة اضرب العوام وهو حرام
عليهم لبقاء نفوسهم والزهاد وهو مباح لهم لحصول مجاهدتهم والعارفين وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه ابو طالب المكي
رحمه الله ومجد السهروردي في عوارف المعارف وفي كلام بعضهم طيبت النفوس حتى غيرت الغافلة على الاصغاء الى ما يحسن من سماع
الصوت الحسن فقد كانت الطيور عاكفة على راس داود عليه الصلاة والسلام لسماع صوته لكن يشكل على ذلك ما خرجه
ابن ابي شيبة عن صفوان بن امية رضي الله عنه وهو من المؤلفة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء عمرو بن قرة
فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال
صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله اي يا عدو الله لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم
الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله اما انك لو قلت بعد هذه المقالة لضربتك ضربا وجيعا الا ان يقال
هذا النهي ان صح محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة وهو مكروه تنزيها مع انه صلى الله عليه وسلم اخبر ان على ما حرم الله

عليك الى اخره بما الغضب على النفس من ذلك ونزل صلى الله عليه وسلم على ابي ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه وقال المرء مع رحله
اي بجدان قال صلى الله عليه وسلم اي بيوت اهلنا اقرب اي اهل تلك المحلة من بني النجار اقرب فقال ابو ايوب داري هذه وقد حططنا
رحلك فيها فذهبت تلك المحلة اي التي هي المربد مع رحله وقال له صلى الله عليه وسلم اذهب فهيئ لنا مقيلا قم على بركة الله تعالى
ونزل معه زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه واقول وفي رواية فتنازع القوم ايهم ينزل عليه اي كل حريص على ان يكون
داره منزلا له صلى الله عليه وسلم اي مقاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة على بني النجار اخوال عبد المطلب
لاكرمهم بذلك فلما اصبح غدا حيث امر وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة اي غداة تلك الليلة ولا يخالف هذا ما تقدم
من قوله لبني النجار هلم البنا وقوله صلى الله عليه وسلم لهم انها مامورة لجواز ان يكون صلى الله عليه وسلم امر بالنزول عليهم ولعل ان
خصوص البقعة والمحلة من محلات بني النجار والتي ينزل بها من دورهم ما تبرك به الناقة وعليه ان يجمع مع ذلك اي مع قوله
المذكور اي ان ينزل على بني النجار سوال الغير بني النجار في النزول عنده الا ان يقال لعل السائلين له صلى الله عليه وسلم في ذلك
لم يبلغهم قوله المذكور او جوزوا ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا له في ذلك راي وقد اشار الى نزوله صلى الله عليه و
سلم على بني النجار الامام السبكي في تائيته بقوله رحمه الله نزلت على قوم بانهم لطائر لانك مامون السنا البعقية فيا لبني النجار
من شرف بها يجرون اذيال المعالي الشريفة وهذا السياق يدل على ان تنازع القوم وقوله لهم كان في اخر ليلة وهو في قباء وهو
يرد قول بعضهم يشبه ان يكون ذلك في اول مقدمه باطن المدينة فالمراد باهل المدينة اهل قباء ويرد قول سبط ابن الجوزي رحمه الله
لعله نزل على بني النجار اي نعبا لهن المدينة ليلة اي في تلك الليلة ثم ادخل الحي عمرو بن عوف ليس في قبا هذا وفي رواية عن انس بن
مالك رضي الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فقام
فيهم اربع عشرة ليلة ثم ارسل الى ملاء من بني النجار فجاءوا متقلدين سيوفهم قال انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على راحلته وابو بكر رضي الله تعالى عنه ردفه وملاء من بني النجار حوله حتى اناخ بفناء ابي ايوب وهذه الرواية وقع فيها انتقاد
كبير ويقال انه صلى الله عليه وسلم عرج على عبد الله بن ابي ابن سلول وكان جالسا محتبيا فاراد النزول عليه فقال له اذهب الى الذين
دعوك فانزل عليهم فقال سعد بن عبادة يا رسول الله لا تجد في نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد ان تملكه ويقع
في بعض الايام انه صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله لو اتيت عبد الله بن ابي سلول اي [illegible] ليكون ذلك سببا
لاسلام من تخلف من قومه وليزول ما عنده من النفاق فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون
معه فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله
صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد
والايدي والنعال فنزلت وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما كذا في البخاري وفيه ايضا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر على ابن ابي سلول في جماعة فقال لا يغبرنا ابن ابي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله
رضي الله عنه فاستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه براسه فقال له صلى الله عليه وسلم ان ياتيه براسه فقال
له صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر اباك وكان ابي جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعني بقوله تعالى واذا رايتهم
تعجبك اجسامهم الاية ولكونه متبوعا جيء به بصيغة الجمع وعن الزهري عن عروة ابن اسامة بن زيد رضي الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف واردف اسامة رضي الله عنه وراءه يعود سعد بن عبادة
رضي الله عنه في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله
بن ابي سلول فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة رضي الله

عند

عنه فثار غبار من مشي الحمار خمر ابن ابي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل و
دعاهم الى الله تعالى وقرا عليهم القران فقال ابن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا ارجع
الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه بلى يا رسول الله فاغشنا فانا نحب ذلك
واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا
ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يعني ابن ابي قال كذا وكذا قال سعد بن عبادة رضي الله تعالى يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي
انزل عليك لقد جاءك الله بالحق الذي انزل عليك وقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد
بالحق الذي اعطاك الله شرق بذلك فذلك الذي فعل به ما رايت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ومكث صلى الله
عليه وسلم ببيت ابي ايوب الى ان تم بناء المسجد وبعض مساكنه وقد مكث في بناء ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة
القابلة اي وذلك اثنا عشر شهرا وقيل مكث ببيت ابي ايوب سبعة اشهر قال ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون اي غالبهم اخذا مما ياتي فتنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم
بالسهام فما نزل احد من المهاجرين على احد من الانصار الا بقرعة بينهم وكان المهاجرون في دور الانصار واموالهم انتهى وكان
من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجدا لابي امامة اسعد بن زرارة رضي الله عنه وكان ابو امامة يجمع فيه بمن يليه وفي بعضه مربد للتمر
لسهل وسهيل رضي الله عنهما اي يجفف فيه التمر ويرادف المربد الجرين والسطح والبيدر وهو ما يبسط فيه الزرع او التمر للتجفيف وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في ذلك المسجد قال وعن ام زيد بن ثابت انها قالت رايت اسعد بن زرارة قبل ان يقدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل رضي الله تعالى عنهما قالت
فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم صلى بهم في المسجد ذلك وبناه اي مع ادخال بقية ذلك المربد فهو مسجده
وحينئذ لا يخالف ذلك قول الحافظ الدمياطي عن الزهري قالت بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين قبل مقدمه صلى الله عليه وسلم وكان مربدا لسهل وسهل وكان جدارا
مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان اسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه بناه وكان يصلي باصحابه ويجمع بهم فيه الجمعة
قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فلما قدم المدينة صار صلى الله عليه وسلم يصلي فيه وفي الامتاع وكان اسعد بن زرارة
رضي الله عنه يصلي فيه بجدار النجار بيت المقدس كان يصلي فيه بمن اسلم قبل قدوم مصعب بن عمير رضي الله عنه ثم صلى بهم اليه مصعب هذا
يخالف ما قدمناه في قدوم مصعب المدينة لكن في البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي في مرابض الغنم قبل ان يبني
المسجد اي ولعله اتفق له صلى الله عليه وسلم ذلك في بعض الاوقات لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي حيث ادركته الصلاة
ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سال اسعد بن زرارة ان يبيعه تلك البقعة التي كان من جملتها ذلك المسجد ليجعلها مسجدا
فانها كانت في يده ليتيمين وقيل كان في حجر معاذ بن عفراء قال في الاصل وهو الاشهر وفي المواهب ان الاول هو الراجح
واليتيمان المذكوران من بني مالك بن النجار وقيل كانا في حجر ابي ايوب الانصاري قال بعضهم والظاهر ان الكل اي من اسعد
ومعاذ وابي ايوب كانوا يتكلمون لليتيمين لانهم ينسبوا الى حجر كل وقد عرض ابو ايوب عليه صلى الله عليه وسلم ان
ياخذ تلك الارض ويغرم لليتيمين قيمتها فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتاعها بعشرة دنانير اداها صلى الله
عليه وسلم من مال ابي بكر رضي الله تعالى عنه اي وفي رواية دعا الغلامين فساومهما بالمربد فقالا نهبه لك يا رسول الله فابى
صلى الله عليه وسلم ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وامر صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله تعالى عنه ان

بعليها فلك وفي رواية ارسل الى ملاء من بني النجار ولعلهم من تقدم وهو اسعد بن زرارة ومعاذ وابو ايوب ومعهم سهل وسهيل
اي وحينئذ فسخها باليتيم لاعتاده لما كان نجافه فقال ثامنوني بحائطكم هذا اي خذوا مني ثمنه قالوا لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله
فابى ان ياخذه الا بالثمن قال وجاء ان اسعد بن زرارة عوض اليتيمين في تلك الارض نخلا اي له في بني بياضة وقيل ارضاهما ابو ايوب
وقيل معاذ بن عفراء وطريق الجمع بين ذلك انه يحتمل ان كلا من اسعد وابا ايوب ومعاذ بن عفراء دفعا للغلامين اي زيادة على العشرة دنانير
فنسب ذلك لكل منهم وجاء انه كان في تلك الارض قبور جاهلية فامرها صلى الله عليه وسلم فنبشت وامر بالعظام فالقيت انتهى اي
وفي رواية وامر بالعظام ان تغيب وفي رواية كان في موضع المسجد نخل وخرب اي حرث ومقابر المشركين فامر صلى الله عليه وسلم بالقبور
فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت اي وفي سيرة الحافظ الدمياطي فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذي في
الحديقة اي وهي تلك الارض التي كانت مربدا اي وسمي حديقة لوجود النخل به وامر بالغرقد الذي كان فيه ان يقطع اي والغرقد شجر
معروف وبقيع الغرقد مقبرة اهل المدينة وشجر الغرقد يقال له شجر اليهود فانه لا يدل على اليهود اذا توارى به عند نزول عيسى
عليه السلام وقتل للدجال وجنده من اليهود فاذا توارى اليهودي بشجرة نادته يا روح الله هيهنا يهودي فيأتي حتى يقف عليه
فاما ان يسلم واما ان يقتله الا شجر الغرقد فانه لا يدل على اليهودي اذا توارى به فيقال له شجر اليهود كذلك قال وكان في المربد ماء مستنجل
فسيروه حتى ذهب والمستنجل الذي ينشع ويظهر من الارض ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبني به
المسجد وجاء انه صلى الله عليه وسلم عند الشروع في البناء وضع لبنة ثم دعا ابا بكر رضي الله تعالى عنه فوضع لبنة اي بجانب لبنته
صلى الله عليه وسلم ثم دعا عمر رضي الله عنه فوضع لبنة بجانب لبنة ابي بكر ثم جاء عثمان رضي الله تعالى عنه فوضع لبنته بجانب لبنة عمر
رضي الله عنه اي وعقد ابن حبان رحمه الله لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع في البناء حجرا وقال لابي بكر
ضع حجرك الى جنب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر ابي بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر ثم هؤلاء الخلفاء من بعدي
قال ابو زرعة اسناده لا باس به فقد اخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هؤلاء ولاة الامر بعدي قال ابن كثير
وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا قال بعضهم وقوله لعثمان رضي الله تعالى عنه ما ذكر اي ضع حجرك الى جنب حجر عمر رضي
الله عنه على من زعم ان هذا منه صلى الله عليه وسلم اشارة الى قبورهم اي فلو كان اشارة الى ذلك لدفن عثمان بجانب عمر
كما دفن عمر بجانب ابي بكر رضي الله تعالى عنهم بل هو اشارة الى ترتيب الخلفاء اي لانه لا يستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم
هؤلاء الخلفاء بعدي الا ذلك ومن ثم جاء في رواية فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال امر الخلافة من بعدي وبتصحيح الحاكم
لما ذكر يظهر التوقف في قول بعضهم ان هذا لم يجئ في الصحيح الا ان يريد بصحيح الشيخين واما قوله قال البخاري ونادتهما ابن حبان
لم يتابع على الحديث المذكور لان عمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم قالوا لم يستخلف النبي صلى الله عليه فقد يقال عليه معناه لم ينص على استخلاف
احد بعينه عند موته وذلك لا ينافي الاشارة الى وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافيه قوله الخلفاء بعدي لجواز ان يراد الخلافة في
العلم ثم رايت ابن حجر الهيتمي رحمه الله اشار الى ذلك حيث قال قلت هذا اي وضع تلك الاحجار وقوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء
الخلفاء بعدي مع احتمال الخلافة في العلم والارشاد متقدم على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت فلم يكن سالما من العارض
هذا كلامه ثم قال صلى الله عليه وسلم للناس نضدوا اي الحجارة فنضدوها ورفع بالحجارة اي قرب من ثلاثة اذرع وشيء باللبن ثم
جعل عضادتيه اي جانبيه بالحجارة وسقفه بالجريد وجعلت عمده وفي رواية سواريه من جذوع النخل وطول جداره قامة اي كان
ارتفاعه قدر قامة قال وعن شهر بن حوشب قال لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبني المسجد قال ابنوا لي
عريشا كعريش موسى عليه الصلاة والسلام والامر اعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام اصاب راسه السقف
انتهى اي فالمراد جعلوا سقفه يكون بحيث اذا قمت اصاب راسي السقف ورفعت يدي اصابتها السقف والجمع بين هاتين

الروايتين يدل على ان المراد ما هو قريب من ذلك بحيث يكون كثير الارتفاع فلا ينافي ما ياتي من امره صلى الله عليه وسلم بجعل ارتفاعه
سبعة اذرع فليتامل وفي سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله فقيل له صلى الله عليه وسلم الا تسقفه قال عريش كعريش موسى خشبات
وثمام اي وقيل الحشيش وامر بعريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العريش يعني السقف وفي رواية لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بناء المسجد قيل له اي قال له جبريل عليه السلام عريش كعريش اخيك موسى عليه الصلاة والسلام سبعة اذرع طولا في السماء
اي وكان سبعة اذرع بحيث يصيب راسه ولا تزخرفه ثم الامر اعجل من ذلك اي وفيه ان هذا يقتضي ان موسى عليه الصلاة و
السلام كان طوله سبعة اذرع وهو مخالف لما اشتهر ان قامة موسى عليه الصلاة والسلام كانت اربعين ذراعا وعصاه
كذلك وثبت كذلك وعنه جاء ما امرت بتشييد المساجد اي ولعل قوله صلى الله عليه وسلم ذلك كان لما جمع الانصار
رضي الله عنهم مالا فجاءوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه الى متى نصلي
تحت هذا الجريد وجاء لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد وجاء ان من اشراط الساعة ان يتباهى الناس في المساجد
اي يزخرفونها كما تزخرف اليهود والنصارى كنائسهم وبيعهم ولم يكن على السقف كثير طين اذا كان المطر يمتلئ اي يمتلئ المسجد
المطر المخالط للطين عليهم بحيث يمتلئ المسجد طينا فقالوا يا رسول الله لو امرت فطين اي وجعل عليه طين كثير بحيث لا ينزل منه المطر
فقال صلى الله عليه وسلم لا عريش كعريش موسى عليه الصلاة والسلام لم يزل كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعند بنائه عمل فيه المسلمون والمهاجرون والانصار وعمل فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه ليرغب في العمل فيه قال وتقدم انه
صلى الله عليه وسلم صار ينقل اللبن اي في ثيابه وفي رواية في رداءه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول هذا الحمال لا حمال
خيبر هذا ابر ربنا واطهر اي هذا المحمول من اللبن ابر واطهر عند ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب في لحما بالحاء المهملة يعني
المحمول ووقع في رواية بالجيم جمع جمل قال بعضهم وله وجه والاول اظهر ولا يحسن هذا الوجه الا اذا كان جمال خيبر اجمل من جمال
غيرها وصار يقول اللهم ان الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة قال البلاذري وهذا القول لامراة من الانصار
تقوله وتمام دعائهم من حزب ساروا فانهم كانوا كافره وما الذي في البخاري فاغفر للانصار والمهاجرة ولعله صلى الله عليه وسلم
هو الذي اخرجه عن الوزن كما هو عادته في انشاد الشعر كما سياتي وفي لفظ فاصلح وفي لفظ فاكرم وفي رواية اللهم لا خير الا خير الاخرة
فارحم المهاجرين والانصار وفي رواية فانصر الانصار والمهاجرة وعن الزهري انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم لا خير
الا خير الاخرة فارحم المهاجرين والانصار لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يقيم الشعر اي لا ياتي به موزونا ولو متمثلا وفيه
ان قوله اللهم ان الاجر اجر الاخرة لا يكون شعرا موزونا الا ان حذف الالف من اللهم وكسر همزة فارحم وحينئذ تكون المراة من
الانصار انما نطقت بذلك اي قافية لتسلم الى اخره وهو صلى الله عليه وسلم هو الذي غيره ونقل عن الزهري رحمه الله انه صلى الله
عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال البيت ولم اقف على قائله وسياتي عن الزهري ان من انشائه صلى الله
عليه وسلم ما فيه وفي كلام بعضهم قال ابن شهاب يعني الزهري رحمه الله لم يبلغنا في الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم تمثل
ببيت شعر تام اي موزون الا هذه الابيات قال ابن عائذ اي التي يرتجز بهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد اي وفيه انه يخالف المتقدم
عن الزهري انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا الا قوله هذا الحمال الى اخره فلا يحسن ان يفسر كلامه بذلك
على انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام موزون غير ذلك فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم جعل يردد بين قتلى بدر
ويقول نفلق هاما من رجال اعزة علينا وهم كانوا اعق واظلم وفي المواهب وقيل ان الممتنع صلى الله عليه وسلم انشاء
الشعر لا انشاده اي وكذلك جاء ما ابالي ما اتيت اذا انا قلت الشعر من قبل نفسي وفي الكشاف وقد صح ان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام معصومون من الشعر ولا دليل على منع انشاده اي الشعر موزونا اقول نقل الحافظ الدمياطي عن

الزهري رحمه الله انه كان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئا من الشعر الا ما قد قيل قبله الا قوله هذا الحمال لا حمال خيبر هذا
ابر ربنا واطهر اي فانه من قوله صلى الله عليه وسلم وهو يخالف ما تقدم عنه ولعله سقط من عبارة الزهري المذكورة شيء والاصل
انه لم يقل شيئا من الشعر الا ما قد قيل قبله ولم يقل ما قبله تاما اي موزونا الا قوله هذا الحمال الخ فلا يخالف ما تقدم عنه وكونه
صلى الله عليه وسلم كان لا يقيم الشعر اي لا ياتي به موزونا ولو متمثلا هذا هو المنقول عن عايشة رضي الله تعالى عنها فقد قيل لها
هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي بشيء من الشعر فقالت كان ابغض الحديث اليه الشعر على انه كان يتمثل به ويجعل اوله
اخره واخره اوله اي غالبا كان صلى الله عليه وسلم يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار ويقول كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا
اي وذلك من قول سحيم بمهملة مصغرا عبد بني الحسحاس شاعر مشهور مخضرم كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ولما غير ذلك
صلى الله عليه وسلم قال له الصديق رضي الله تعالى عنه انما قال الشاعر كذا فاعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال الصديق
رضي الله تعالى عنه اشهد انك رسول الله وما علمناه الشعر ولما سمع صلى الله عليه وسلم قول سحيم الحمد لله حمدا لا انقطاع له
فليس احسانه عنا بمقطوع فقال احسن وصدق وقول الصديق رضي الله عنه اشهد انك رسول الله وما علمناه الشعر يدل
على انه صلى الله عليه وسلم من اشعر الناس قال الذي يقول الرياني كلما جئت طارقا ولم تتطيب طيبا الاصل وجدت بها طيبا
وان لم تطيب وكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه يقول بابي انت وامي يا رسول الله ما انت شاعر ولا راوية والمراد بكون
الشعر ابغض اليه الاتيان به والا فقد كان صلى الله عليه وسلم يسمع الشعر كما تقدم ويستنشده فقد ذكر بعضهم انه صلى الله
عليه وسلم كان يستنشد الخنساء اخت صخر لامه ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومي بيده
وقد قال بعضهم اجمع اهل العلم بانه لم يكن قبلها ولا بعدها اشعر منها ومن شعرها في اخيها المذكور اعيني جودا ولا تجمدا الا تبكيان
لصخر الندا طويل النجاد عظيم الرما وساد عشيرته امردا وللجلال السيوطي كتاب سماه نزهة الجلساء في اشعار النساء وقولنا
في قول عايشة رضي الله تعالى عنها انه كان يتمثل اي بالشعر ويجعل اوله اخره اي غالبا حتى لا ينافي ما جاء عنها رضي الله
تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم يتمثل بشعر ابن رواحة ويأتيك بالاخبار من لم تزود وقولها رضي الله تعالى عنها ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينشد شعرا الا بيتا واحدا تفائل بما تهوى يكن فلقلما يقال لشيء كان الا تحققا وفي الخصايص الكبرى قال
المزني رحمه الله ولم يبلغني انه صلى الله عليه وسلم انشد بيتا تاما على وزنه انما الصدر كقول لبيد رضي الله عنه الا كل
شيء ما خلا الله باطل او العجز كقول طرفة ويأتيك بالاخبار من لا تزود وهذا ما تقدم عن عايشة رضي الله تعالى عنها وكقوله
صلى الله عليه وسلم وقد انشده اعشى بني مازن ابياتا فيه ذم النساء اخر تلك الابيات وهن شر غالب لمن غلب فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وهن شر غالب لمن غلب فان انشد صلى الله عليه وسلم بيتا كاملا غيره اي غالبا لما تقدم كبيت
العباس بن مرداس ارايت قال وفي لفظ انت القائل اصبح نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقيل له انما هو عيينة
والاقرع فقال انما هو الاقرع وعيينة فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه ما انت بشاعر ولا راوية ولا ينبغي لك انما قال بين
عيينة والاقرع اي كما انه لا ينبغي لك ان تكون شاعرا كما قال الله تعالى لا ينبغي لك ان تكون راوية للشعر اي بان تاتي به
على وجهه اي شانك ذلك لا يكون منك مناشدة للشعر وكون شانه صلى الله عليه وسلم ذلك لا ينافي وجوده منه في بعض
الاوقات كما قلنا وعن بعضهم ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط اي موزونا وقد يقال لا يخالف هذا ما
تقدم عن المواهب لانه يجوز ان يكون هذا المنقول عن عايشة رضي الله تعالى عنها وعن المزني وعن بعضهم كان اغلب احواله
كما قدمناه في المنقول عن عايشة رضي الله عنها ثم رايته في الامتاع اشار الى ذلك بقوله وربما انشد صلى الله عليه وسلم البيت
المستقيم في النادر وقول المواهب لا دليل على منع انشاده صلى الله عليه وسلم متمثلا اي عامدا تاما ابدا ويدل لذلك قول الزهري

انه

انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا ابدا الا قوله هذا الحمال الى اخره وفيه ما علمت ولا يخفى ان الشعر عرف بانه كلام عربي مقفى
من قصد قال البدر الدماميني وقولنا عن قصد مخرج ما كان وزنه اتفاقيا كان ياتي شرعيا اتفق جريان الوزن فيها اي من بحور الشعر الستة
عشر وقد ذكرها الجلال السيوطي في التلخيص وذلك كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكقوله تعالى وجفان
كالجواب وقدور راسيات وقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب وكلمات شرعية سنوية جاء الوزن فيها اتفاقيا غير مقصود
كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اي بناء على تسليم انه من قوله صلى الله
عليه وسلم والا فقد قيل انه من قول عبد الله بن رواحة اي فان ذلك مذكور في ابيات قالها في غزوة مؤتة وقد اصيبت
اصبعه فدميت وقد يكون بدل في سبيل الله في كتاب الله ولا مانع ان يكون ابن رواحة رضي الله تعالى عنه ادخل ذلك
البيت في تلك الابيات التي صنعها كما تقدم وفي كلام ابن دحية رحمه الله ولا يرد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ضروب الرجز الا ضربان منهوك ومشطور فالمنهوك انا النبي لا كذب والمشطور هل انت الا اصبع دميت وقيل البيت الواحد
لا يكون شعرا على انه قيل ان الرجز ليس من الشعر عند الاخفش خلافا للخليل رحمه الله اي فان الاخفش رحمه الله احتج على
ان الرجز ليس بشعر ردا على الخليل ومن بعده القائلين بانه من الشعر حيث قال لا احتج عليهم بحجة ان لم يعرفوا بها كفروا لو كان
الشعر ما جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا كلامه قال في النور
والصحيح انه شعر اي موافقة للخليل رحمه الله وقد علمت انما جرى منه على لسانه صلى الله عليه وسلم ليس شعرا لعدم القصد قليلا وقد
نقل الماوردي عن ائمتنا انه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم قول الشعر اي انشاؤه ويحرم عليه روايته يعني انشاده متمثلا و
فرق بعضهم بين الانشاد والرواية بان الرواية يقول قال فلان كذا واما الانشاد متمثلا فلا يقول ذلك هذا كلامه وفيه انه تقدم
انه صلى الله عليه وسلم لما قيل له من اشعر الناس قال الذي يقول الخ قال ذلك البعض وكان الفرق بين الرواية والانشاد ان قوله
قال فلان فيه رفعة للقائل بسبب قوله وهذا متضمن لرفع شان الشعر والمطلوب منه الاعراض عن الشعر من حيث كونه شعرا وفيه
ان الصديق رضي الله تعالى عنه نفى عنه كل من الرواية والانشاد ولست براوية كما تقدم وعن الخليل رحمه الله كان الشعر احب
اليه صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام اي وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن عايشة رضي الله تعالى عنها كان ابغض
الحديث اليه صلى الله عليه وسلم الشعر لان المراد بالشعر الذي يحبه صلى الله عليه وسلم ما كان مشتملا على كلمة او وصف
جميل من مكارم الاخلاق والذي يبغضه صلى الله عليه وسلم ما كان مشتملا على ما فيه مجون او هجو ونحو ذلك ومن ثم
قيل الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام الشعر الحسن
احد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا خفي عليكم شيء من غريب القران فالتمسوه
في الشعر فان الشعر ديوان العرب وفي كلام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه نعم الابيات الشعر يقدمها الرجل في صدر حاجته
يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم والحاصل ان الحق الحقيق بالاعتماد وبه يجتمع الاقوال ان المحرم عليه صلى الله
عليه وسلم انما هو انشاء الشعر اي الاتيان بالكلام الموزون عن قصد لوزنه وهذا هو المعنى بقوله تعالى وما علمناه الشعر
فان فرض وقوع كلام موزون منه صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك شعرا اصطلاحا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع
منه والغالب عليه صلى الله عليه وسلم انه انشد بيتا من الشعر متمثلا به او مسندا لقائله لا ياتي به موزونا وربما اتى به
موزونا وادعى بعض الادباء انه صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر اي ياتي به موزونا قصدا ولكنه لا يتعاطاه اي
لا يقصد الاتيان به موزونا قال وهذا اتم واكمل مما قلنا انه لا يحسنه وفيه ان في ذلك تكذيبا للقران وفي التهذيب
للبغوي من ائمتنا رحمهم الله تعالى كان صلى الله عليه وسلم يحسن الشعر ولا يقوله والاصح انه كان يحسنه ولكن كان

صلى الله عليه وسلم يميز بين جيد الشعر ورديه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون ثم رايت في ينبوع الحياة قال كان
بعض الزنادقة المتظاهرين بالاسلام حفظا وما لا يعرض في كلام ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر يقصد بذلك
تكذيب كتاب الله تعالى في قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال بعضهم والحكمة في تنزيه القران عن الشعر الموزون مع ان
الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان القران منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى امر الشاعر التخييل بتصوير الباطل
في صورة الحق والافراط في الاطراء والمبالغة في الذم والايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق ولهذا نزه الله نبيه
صلى الله عليه وسلم عنه ولاجل شهرة الشعر بالكذب سمى اصحاب البرهان القياسات المؤدية في اكثر الامر الى البطلان والكذب
شعرية وقد جاء النهي عن انشاد الشعر في المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رايتموه ينشد شعرا في المسجد فقولوا
له فض الله فاك ثلاث مرات والاخذ بعموم هذا من الشعر ما لا يخفى وفي العرايس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال
من قال ان ادم قد قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى ادم عليه السلام بالماثم وان محمدا والانبياء كلهم في
النهي عن الشعر سواء وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى في قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له اعلم
ان الشعر محل الاجمال واللغز والتورية اي وما رمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم شيئا ولا لغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن
نريد شيئا ولا اجملنا له الخطاب حيث لم يفهمه وقال في ذلك وما يشكل على ذلك الحروف المقطعة في اوائل السور ولعله
رضي الله عنه لا يرى ان ذلك من المتشابه او ان المتشابه ليس مما استاثر الله بعلمه والله اعلم فلما راى انه صلى الله
عليه وسلم الصحابة رضي الله تعالى عنهم ينقل اللبن بنفسه دابوا في ذلك اي في نقل اللبن اي فنقل اللبن اي وهو المراد بالصخر في قول
بعضهم وجعل اصحابه ينقلون الصخر او المراد الصخر الذي يبنى به الجدار وجانبا الباب كما تقدم حتى قال قائلهم لئن قعدنا والنبي
يعمل لذاك منا العمل المضلل وجعل يحمل كل رجل لبنة لبنة وعمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه يحمل لبنتين لبنتين فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينفض التراب عن راس عمار رضي الله عنه ويقول يا عمار الا تحمل كما يحمل اصحابك قال اني اريد الاجر من الله تعالى
وفي رواية كان يحمل لبنة عن نفسه ولبنة عنه صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال
يا ابن سمية للناس اجر ولك اجران واخر زادك اي من الدنيا شربة من لبن وجاء في حق عمار رضي الله تعالى عنه ابن
سمية ما عرض عليه امران قط الا اختار الارشد منهما اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق ويقتلك الفئة الباغية
تدعوهم الى الجنة ويدعونك الى النار وعمار يقول اعوذ بالله من الفتن وفي رواية بالرحمن من الفتن اي وهذا السياق
يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يتم ينقل اللبن بل فعل ذلك في بعض الاوقات وفي مسلم وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه قال اخبرني من هو خير مني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر حين جعل يحفر الخندق وجعل
يمسح راس عمار ويقول ابن سمية تقتلك فئة باغية وفي رواية تعيين من المبهم في ابي سعيد وهو قتادة وزاد في رواية
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق وكان الناس يحملون لبنة او من الحجارة التي تقطع وعمار ناقه من وجع
كان به فجعل يحمل لبنتين قال لعمار بؤسا لك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ثم رايت بعضهم قال يشبه ان يكون ذكر
الخندق وهما او قاله صلى الله عليه وسلم عند بناء المسجد وقاله يوم الخندق هذا كلامه او ويكون عمار بن ياسر
في الخندق صار يحمل الحجر وكان في بناء المسجد يحمل اللبنتين وكان عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه رجلا
متنطعا اي مترفها فكان اذا حمل اللبنة يجافي بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان اصابه شيء من التراب نفضه فنظر
اليه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وانشد يقول مباسطة مع عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه لا طعنا فيه
لا يستوي من يعمر المساجدا يداب فيها قائما وقاعدا ومن يرى عن التراب حائدا فالمشتق الله ولكن مجاهدا اي وكان عثمان

رضي الله تعالى عنه ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال لا اشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو ادنى مني
وذكر ابن اسحق قال سالت غير واحد من اهل العلم بالشعر عن هذا الرجز هل تمثل به علي بن ابي طالب كرم الله وجهه او انشاه فكل يقول
لا ادري فسمع ذلك الرجز عمار بن ياسر فصار يرتجز بذلك وهو لا يدري من يعني بذلك فمر يرتجز بذلك على عثمان فظن عثمان
رضي الله تعالى عنه ان عمارا يعرض به فقال له عثمان يا ابن سمية ما اعرفني بعرضك به لتكفن او لاعترضن بحد الحديدة
كانت معه وفي لفظ والله اني اراني ساعرض هذه العصاة لانفك العصاة كانت في يده فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب
وقال ان عمار بن ياسر جلدة ما بين عيني ووضع يده الشريفة بين عينيه الشريفتين فقال الناس لعمار قد غضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي ونخاف ان ينزل فينا قران فقال انا ارضيه فقال يا رسول الله ما لي ولاصحابك قال ما لك وما لهم قال يريدون
قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين لبنتين اي وفي لفظ يحملون علي لبنتين والثلاث اي ولعله حمل ثلاث لبنات في بعض
الاوقات فاخذ صلى الله عليه وسلم بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة الشعر
الذي خلف القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية ويقول ويحي عمار تقتله الفئة
الباغية يدعوهم الى الجنة اي الى سببها وهو اتباع الامام الحق لانه رضي الله تعالى عنه كان يدعو الى اتباع علي كرم الله وجهه
وطاعته وهو الامام الواجب الطاعة اذ ذاك ويدعونه الى النار اي الى سببها وعدم اتباع علي كرم الله وجهه واتباع
معاوية وطاعته رضي الله عنه وغيره ان تلك الفئة التي كان فيها قاتله كان فيها جمع من الصحابة وهم معذورون بالتاويل
الذي ظهر لهم الا ان يقال يدعونه الى النار باعتبار اعتقاده رضي الله تعالى عنه واطلاق البغي عليهم باعتبار ذلك قال بعضهم وفئة
معاوية رضي الله تعالى عنه وان كانت باغية لكنه بغي لا فسق فيه لانه انما صدر عن تاويل يعذر به اصحابه اي وما زاد بعضهم
في الحديث لا انالهم الله شفاعتي يوم القيمة قال ابن كثير من روى هذا فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه و
سلم فانه لم يقلها اذ لم تنقل من طريق تقبل وقال الامام ابو العباس ابن تيمية وهذا كذب مزيد في الحديث لم يروه احد من اهل
العلم باسناد معروف وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم عمار جلدة ما بين عيني لا يعرف له اسناد والذي في الصحيح تقتل عمارا
الفئة الباغية وعن ابي الغادية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل عمار في النار ومن العجب ان ابا الغادية
هذا هو القاتل لعمار يوم صفين فكان ابو الغادية مع معاوية وكان عمار مع علي كرم الله وجهه اي ويقال ان عمارا لما برز
للقتال قال اللهم لو اعلم رضاك عني ان اوقد نارا فادي نفسي فيها لفعلت او اغرق نفسي لفعلته واني لا اريد بقتالي
الا وجهك الكريم واني ارجو الا تخيبني وجعلت يده ترعش على الحربة اي لان عمره يومئذ كان ثلاثا وسبعين سنة اي وقد
كان رضي الله عنه جيء له بلبن فضحك فقيل له ما يضحكك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر شراب تشربه حين تموت
لبن وفي رواية اخر زادك من الدنيا ضيح من اللبن ثم نادى رضي الله تعالى عنه اليوم زخرفت الجنان وزينت الحور الحسان
اليوم نلقى الاحبة محمدا وحزبه ولما قتل عمار رضي الله تعالى عنه دخل عمرو بن العاص على معاوية رضي الله تعالى عنهما فزعا
وقال قتل عمار فقال معاوية قتل عمار فماذا قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة الباغية فقال له
معاوية دحضت اي زلقت في قولك انحن قتلناه انما قتله من اخرجه وفي رواية قال له اسكت فوالله ما تزال تدحض اي تزلق في
قولك انما قتله علي واصحابه جاءوا به حتى القوه بيننا وكان عليا كرم الله وجهه لما احتج على معاوية رضي الله عنه بهذا الحديث ولم يسع
معاوية انكاره قال انما قتله من اخرجه من داره يعني بذلك عليا فقال علي كرم الله وجهه فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن
قتل حمزة رضي الله عنه حين اخرجه ولما قتل عمار رضي الله عنه جرد خزيمة بن ثابت رضي الله عنه سيفه وقاتل مع علي كرم الله
وجهه وكان قبل ذلك اعتزل عن الفريقين وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فقاتل

معاوية حتى قتل وكان ذو الكلاع رضي الله تعالى عنه مع معاوية وقال له يوما ولعمرو بن العاص كيف تقاتلان عليا كرم الله وجهه
وعمار بن ياسر رضي الله عنه فقالا له ان عمارا يعود الينا ويقتل معنا فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار ولما قتل عمار قال معاوية
لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس الى علي اي لان ذا الكلاع كان معه اربعة الاف اهل بيت وقيل عشرة الاف وكان
عبد الله بن بديل بن ورقاء رضي الله تعالى عنه مع علي رضي الله عنه فلما قتل عمار رضي الله عنه اخذ سيفين ولبس درعين ولم يزل
يضرب بسيفه حتى انتهى الى معاوية رضي الله تعالى عنه فازاله عن موضعه فازال اصحابه الذين كانوا معه عن موقفهم ثم لما رجع قال
خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع الامر اهله ومن ليس
مثله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب قد زين لهم الضلالة وزرع في قلوبهم حب الفتنة و
لبس عليهم الامر وانتم والله على الحق على نور من ربكم وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة الجفاة قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الامر اهله فقاتلوا رحمكم الله ولما قتل عمار رضي
الله عنه ندم ابن عمر رضي الله عنه على عدم نصرة علي كرم الله وجهه والمقاتلة معه وقال عند موته ما اسفي على شيء ما اسفي
على ترك قتال الفئة الباغية قال بعضهم شهدنا صفين مع علي رضي الله عنه في ثمان مائة من اهل بيعة الرضوان وقتل منهم ثلاث وستون
منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان خزيمة بن ثابت رضي الله عنه الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة
رجلين كان مع علي كرم الله وجهه يوم صفين كافا سلاحه حتى قتل عمار جرد سيفه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه لانه كان يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمار تقتله الفئة الباغية وفي الحديث من عادى عمارا عاداه الله ومن ابغض عمارا
ابغضه الله عمار بن ياسر يدور مع الحق حيث يدور عمار خلط الايمان بلحمه ودمه عمار ما عرض عليه امران الا اختار الارشد منهما وجاء
ان عمارا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالطيب المطيب ان عمار بن ياسر حشي ما بين اخمص قدميه الى شحمة اذنه ايمانا
وفي رواية ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وتخاصم عمار رضي الله تعالى عنه وخالد بن الوليد في سرية
كان فيها خالد اميرا فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استبا عنده فقال خالد يا رسول الله ان هذا العبد الاجدع ليشتمني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارا فان من سب عمارا فقد سب الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله ومن
لعن عمارا لعنه الله ثم ان عمارا رضي الله عنه قام مغضبا فقام خالد فاخذه بثوبه فاعتذر اليه فرضي عنه وعن سعد بن ابي وقاص
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحق مع عمار ما لم يغلب عليه دهشة الكبر وهذا الحديث من اعلام
النبوة فان عمارا وقع بينه وبين عثمان بن عفان بعض الشحناء واشيع عنه انه يريد ان يخلع عثمان فاستدعاه سعد بن ابي وقاص رضي
الله تعالى عنه وكان مريضا فقال له ويحك يا ابا اليقظان كنت فينا من اهل الخير فما الذي بلغني عنك من السعي بالفساد بين المسلمين
والتأليب على امير المؤمنين امعك عقلك ام لا فغضب عمار ونزع عمامته وقال خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه فقال سعد انا لله
وانا اليه راجعون ويحك حين كبرت سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام من عنقك وخرجت من الدين عريانا
كما ولدتك امك فقام عمار مغضبا موليا وهو يقول اعوذ بربي من فتنة سعد وعند ذلك روى سعد الحديث وقال متى ذله
وخرق عمار واظهر عمار القوم على ذلك قال وجعلت قبلة المسجد الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة ابواب باب في مؤخره
والباب الذي كان يقال له باب عاتكة وكان يقال له باب الرحمة والباب الذي يقال له باب جبريل انتهى اي وهو الباب
الذي كان يدخل منه صلى الله عليه وسلم ويقال له باب عثمان لانه كان يلي دار عثمان وهو الذي يخرج منه الان
الى البقيع اقول وجعل قبلته الى بيت المقدس كان قبل ان تحول القبلة ولما حولت قبلته الى الكعبة وهذا يحمل قوله
صلى الله عليه وسلم ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى رفعت الى الكعبة فوضعتها اي تحققتها واوضحتها اي قصدها

وفي رواية

وفي رواية ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى فرج لي ما بيني وبين الكعبة والله اعلم اي وفي كلام بعضهم ومن الفوائد الحسنة
ما ذكره مغلطاي ان موضع المسجد كان ابتاعه تبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالف سنة
وانه لم يزل الى ملكه صلى الله عليه وسلم اي متعلقا به من ذلك العهد على ما دل عليه كتاب تبع اقول سياتي ان تبعا بنى
للنبي صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة ان الله يمها ينزل في تلك الدار وانه يقال انها دار ابي ايوب الانصاري رضي الله تعالى
عنه وقد يجتمع بانه يجوز ان يكون ذلك المربد دار ابي ايوب وموضعها تلك الدار ان تلك الدار قسمت فكانت دار ابي ايوب
بعضها وذلك المربد بعضها الاخر وان الايدي تداولته بسكنى تلك الدار الى ان صارت سكنا لابي ايوب الانصاري رضي الله
تعالى عنه وهذا هو المراد بقول المواهب تداولت الدار الملاك الى ان صارت لابي ايوب لكن قد يقال لو كانت الدار مذكورة
في الكتاب لذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الكتاب سياتي وصل اليه صلى الله عليه وسلم في مكة في اول
البعثة ومن لازم دار ابي ايوب واخذ المربد على الكيفية المذكورة يبعد ذلك اي انه ذكر له صلى الله عليه وسلم امر تلك الدار
قال ومكث صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد بعد تمامه الى بيت المقدس عشرة اشهر ولما حولت القبلة معه صلى الله عليه
وسلم الباب الذي كان في مؤخر المسجد اي في كلام بعضهم لما حولت القبلة لم يبق من ابواب التي كان يدخل منها صلى الله عليه وسلم الا
الباب الذي يقال له باب جبريل عليه السلام اي فانه بقي في محله واما باب الرحمة الذي كان يقال له ايضا باب عاتكة فاخر عن
محله وسبب وضع الحصى في المسجد ان المطر جاء ذات ليلة فاصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل ياتي بالحصى في ثوبه فيبسطه تحته
ليصلي عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ما احسن هذا وفي رواية ما احسن هذا البساط وقد يعارض
هذا ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يحصب المسجد فان قيل ذلك تحصيبه عمر رضي الله تعالى عنه اقول فقد يقال
لا معارضة لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لما اعجبه ذلك من فعل بعض الصحابة امر ان يحصب جميع المسجد لان الواقع
تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم من البدع فرش المساجد الا ان يراد بالحصير ونحوها لانه لم يكن في زمنه صلى
الله عليه وسلم ولا امر به ثم رايت بعضهم ذكر ذلك حيث قال اول من فرش الحصر في المساجد عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصى اي في زمنه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي الاحياء اكثر معروفات هذه الاعصار
منكرات في عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم من عزيز المعروف في زماننا فرش المساجد بالبسط الرفيعة وقد كان
يعد فرش البواري في المسجد بدعة كانوا لا يرون ان يكون بينهم وبين الارض حائل هذا كلام الاحياء اي والحصى لا يعد حائلا و
سياتي ان المسجد بني بعد فتح خيبر وهي التي عناها خارجة رضي الله عنه بقوله لما كثر الناس قالوا يا رسول الله لو زيد فيه ففعل
ولعلها هي التي ادخل فيها الارض التي اشتراها عثمان رضي الله تعالى عنه من بعض الانصار بعشرة الاف درهم ثم جاء عثمان
رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشتري مني البقعة التي اشتريتها من الانصاري التي كانت مجاورة للمسجد
فاشتراها صلى الله عليه وسلم منه ببيت في الجنة اي وفي رواية ان عثمان رضي الله عنه لما حصر اي الحصرة الثانية واشرف على الناس
من فوق سطح داره وقد اشتد به العطش قال اهاهنا علي كرم الله وجهه قالوا لا قال اهاهنا طلحة قالوا لا قال انشدكم بالله الذي
لا اله الا هو اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتاع مربد بني فلان اي له بيت كان مجاور المسجد غفر الله له فابتعته
بعشرين الفا او بخمسة وعشرين الفا ثم عثمان رضي الله عنه وتقدم انه اشتراها بعشرة الاف درهم فلينا مل فاتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت قد ابتعته فقال اجعله مسجدا واجره لك قالوا اللهم نعم قد كان ذلك وفي لفظ انشدكم بالله وبالاسلام
هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان لبقعة كانت الى جنب المسجد فقال
صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها في المسجد فان له مثلها وفي لفظ بخير له منها في الجنة فاشتريتها ووسعتها في المسجد

الان تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين اى وقد زاده عثمان بعد ذلك زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة
وسقفه بالساج كما في البخاري وعدد عثمان رضي الله تعالى عنه اشيا منها انه قال انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ولم يكن يشرب منها احد الا بالثمن فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين وفي لفظ ليكون دلوه فيها كدلاء المسلمين بخير له منها في الجنة وفي لفظ
له بها مشرب في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل قالوا اللهم نعم فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها
بل ولا تمنعوني الماء الا احد سقينا فاين انظر على الماء المالح وفي رواية هل منكم من يبلغ عليا كرم الله وجهه فابلغوه فلما بلغ
ذلك عليا كرم الله وجهه ارسل اليه بثلاث قرب مملوة ماء فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني امية
اي وكانت هذه البئر ركية ليهودي كانت بالعقيق وتفل فيها صلى الله عليه وسلم فعذب ماؤها ولما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها مشرب في الجنة ساومه فيها عثمان رضي الله
تعالى عنه فابى ان يبيعها كلها فاشترى نصفها باثني عشر الف درهم وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما ولليهودي يوما
فاذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما راى اليهودي ذلك قال لعثمان افسدت علي ركيتي فاشترى النصف
الاخر بثمانية الاف فقيل جملة ما اشتراها به خمسة وثلاثون الف درهم وقول عثمان رضي الله تعالى عنه جعلتها للغني والفقير
وابن السبيل دليل على ان قوله دلوه فيها كدلاء المسلمين لم يشترط ذلك بل قصد به التعميم في الوقوف عليه فلا دليل فيه على جواز
ان للواقف ان يشترط له الانتفاع بما وقفه كما زعم بعضهم وكان حصار عثمان رضي الله تعالى عنه شهرين وعشرين يوما
وفي كلام لسبط ابن الجوزي كان الحصار الاول عشرين يوما والثاني اربعين يوما وفي يوم من تلك الايام قال لعثمان لو ان
رجلا صادقا اخبرني عن امري هذا ابن عمنا ابن اوبيث فقام شاب من الانصار فقال انا اخبرك يا امير المؤمنين انك قطعتهم
فركبوك وما جراهم على ظلمك الا افراط حلمك فقال له عثمان رضي الله عنه صدقت فاجلس واول من دخل عليه الدار محمد بن ابي بكر
رضي الله عنه فاخذ بلحيته هو وجماعة من الحائط من دار عمرو بن حزم رضي الله تعالى فاخذ بلحيته فقال دعها يا ابن اخي فوالله
لقد كان ابوك يكرمها فاستحيا وخرج وفي رواية لما اخذ بلحيته هزها وقال له ما اغنى عنك معاوية وما اغنى عنك
ابن ابي سرح فقال له يا ابن اخي ارسل لحيتي فوالله لتجر لحية كانت تعز على ابيك وما كان ابوك يرضى مجلسك هذا
مني فتركه وخرج ويقال انه قال له ما اريد بك اشد من قبضي على لحيتك فقال عثمان استنصر بالله عليك واستعين به ثم طعن
جبينه بمشقص في يده ثم ضرب جبهته بالسيف فاتقته نائلة زوجة عثمان فقطع اصابع يدها الخمس ونحوه عن ابن الماجشون
عن مالك رضي الله عنه ان عثمان رضي الله تعالى عنه بعد قتله القي على المزبلة ثلاثة ايام وقيل اغلق عليه بابه ثلاثة
ايام لا يستطيع احد ان يدفنه فلما كان في الليل اتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير
وقيل صلى عليه اربعة وان ابن الزبير لم يشهد قتل عثمان فاحتملوه فلما صاروا به للمقبرة منعوهم وقالوا والله لا يدفن في مقابر
المسلمين فدفنوه بمحل كان الناس يتوقون ان يدفنوا موتاهم به فكان رضي الله عنه يمر به ويقول سيدفن هنا رجل صالح
فيتاسى به الناس يتوقون ان يدفنوا موتاهم به وكان ذلك المحل بستانا فاشتراه عثمان رضي الله عنه وزاده في البقيع مكان
هو اول من قبر فيه وحملوه على باب وان راسه ليقرع الباب لاسراعهم به من شدة الخوف ولما دفنوه رضي الله عنه عموا
قبره خوفا عليه ان ينبش واما غلاماه اللذان قتلا معه فجروا برجليهما والقوهما على التلال فاكلتهما الكلاب وسبب هذه الفتنة
انهم انتقموا عليه رضي الله تعالى عنه امورا منها عزله لاكابر الصحابة ممن ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من
اوصى عمر رضي الله عنه بان يبقى على ولايته وهو ابو موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه عن البصرة فان عمر رضي الله تعالى عنه

وولاه ابن

ولاها ابن خاله عبد الله بن عامر بعد وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن ابي سرح وعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة
وعزل ابن مسعود عنها ايضا واشخصه الى المدينة وعزل سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه عن الكوفة وولى اخاه لامه
الوليد بن عقبة بن ابي معيط الذي سماه الله فاسقا بقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا وصار الناس يقولون بئس ما فعل عثمان عزل
اللين الهين الورع المستجاب الدعوة وولى اخاه الخائن الفاسق المدمن للخمر ولعل مستندهم في ذلك ما رواه الحاكم في صحيحه من استعمل رجلا
على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو ارضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ومنها انه رضي الله عنه
ادخل عمه الحكم بن ابي العاص والد مروان المدينة وكان يقال له طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه وقد كان صلى الله
عليه وسلم طرده الى الطائف ومكث به مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة ابي بكر رضي الله عنه بعد ان سأل عثمان رضي الله
عنه في ادخاله المدينة فابى فقال له عثمان رضي الله عنه عمي فقال عمك الى النار هيهات هيهات ان اغير شيئا فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لا رددته ابدا فلما توفي ابو بكر رضي الله عنه وولي عمر رضي الله عنه كلمه عثمان رضي الله عنه
في ذلك فقال له ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله
فلما ولي عثمان رضي الله عنه رده الى المدينة فاشتد ذلك على المسلمين المهاجرين والانصار وانكروا ذلك عليه اعيان
الصحابة رضي الله عنهم فكان ذلك من اكبر الاسباب الحاملة على القيام عليه واعتذر عثمان رضي الله عنه عن ذلك بان
النبي صلى الله عليه وسلم كان وعده برده وهو في مرض موته قال فشهدت عند ابي بكر رضي الله عنه قال انك شاهد واحد
ولا تقبل شهادة الواحد ثم قال لعمر رضي الله عنه مثل ذلك فلما صار الامر الي قضيت بعلمي واما عزله لابي موسى رضي الله عنه
فان جنده شكوا شحه فعزله خوفا للفتنة ومنها انه جاء الى عثمان رضي الله عنه اهل مصر يشكون من ولاه عليهم وهو ابن
ابي سرح وقالوا كيف توليه على المسلمين وقد اباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح وعزلت عمرو بن العاص عنا ورد
هذا بان عزله لعمرو بن العاص انما كان لكثرة شكايتهم منه وان ابن ابي سرح اسلم بعد الفتح وحسن اسلامه وجمعه لسياسة الامر
اي من عمرو وعزله للمغيرة فانه انتهى اليه عنه انه ارتشى فراى المصلحة في عزله فلما عادوا الى مصر قتل ابن ابي سرح رجلا منهم فعادوا
الى عثمان رضي الله عنه وكلموا اكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم كعلي وطلحة بن عبيد الله فقالوا اعزله عنهم فانما يسالونك رجلا
مكان رجل فقال لهم عثمان تختارون رجلا اوليه عليكم فاختاروا محمد بن ابي بكر رضي الله عنه فكتب اليه عهده وولاه فخرج وخرج
معه جماعة من المهاجرين والانصار وجماعة من التابعين لينظروا بين اهل مصر وبين ابن ابي سرح فلما كان محمد بن ابي بكر
رضي الله تعالى عنهما ومن معه على مسيرة ثلاث مراحل من المدينة فاذا هم بغلام اسود على بعير فقالوا له ما قضيتك فقال انا غلام
امير المؤمنين ارسلني الى عامل مصر فقال له واحد منهم هذا عامل مصر يعني محمد بن ابي بكر رضي الله تعالى عنهما فقال ما هذا اريد فلما اخبر
ذلك الرجل محمد بن ابي بكر استدعاه فقال له بحضور من معه من المهاجرين والانصار انت غلام من فصار تارة يقول غلام امير المؤمنين و
تارة يقول غلام مروان حتى عرفه رجل من القوم فقال هذا غلام عثمان فقال له محمد رضي الله تعالى عنه الى من ارسلت قال الى
عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فاذا معه كتاب من عثمان الى ابن ابي سرح في قصبة من رصاص في جوف
الاداوة فلما فتح الكتاب بحضرة جميع من معه فاذا فيه اذا اتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وفي رواية اقتل محمدا
وفلانا اذا قدموا عليك واضرب اعناقهم وعاقب فلانا بكذا وفلانا بكذا منهم نفر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبعض
من التابعين وفي رواية اذبح محمد بن ابي بكر واحرق لحيته وبنانه وكن على عملك حتى ياتيك كتابي فلما قرؤوا الكتاب فزعوا
ورجعوا الى المدينة وقرؤوا الكتاب على جميع من بالمدينة من الاصحاب والتابعين ثم انهم اعطوا الاداوة لذلك فدخل
عليه علي كرم الله وجهه مع جماعة من اهل بدر ومعه الكتاب والغلام فقالوا له هذا الغلام غلامك قال نعم قالوا والبعير بعيرك

قالوا نعم فانت كتبت هذا الكتاب فقال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا امرت به ولا علم لي به فقال له علي كرم الله
وجهه والخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتابك عليه خاتمك وانت لا تعلم به فحلف بالله ما امرت بهذا الكتاب
ولا وجهت هذا الغلام الى مصر وعرفوا ان الخط خط مروان لان عثمان رضي الله عنه لا يحلف بالله الا وفي رواية الخط خط كاتبي والخاتم خاتمي
وفي رواية انطلق الغلام بغير علمي واخذ الجمل بغير علمي قالوا فما نقش الخاتم قال نقش عليه فسالوه ان يدفع لهم مروان وكان مروان
عنده في الدار فابى فخرج اصحاب محمد غضابا وقالوا لا يبرأ عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتى نبحث ونعرف حال الكتاب فان كان
عثمان امر به عزلناه وان كان مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون في امر مروان فابى عثمان ان يخرج اليهم مروان خوفا عليه من
القتل فحوصر عثمان بسبب ذلك ومنعوه الماء ووقع ما تقدم وذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى انه لما دخل المصريون على عثمان
رضي الله عنه والمصحف في حجره يقرأ فيه مدوا اليه ايديهم فقد يده فضربت فسال الدم وقيل وقعت قطرة على قوله تعالى
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فقال اما انها اول يد خطت المفصل هذا كلام ابن الجوزي وهذا من اعلام النبوة فقد
اخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وانت تقرأ سورة
البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله قال الذهبي انه حديث موضوع اي قوله وانت تقرأ الى اخره وروي
انه رضي الله عنه لما حوصر قال والله ما زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت ان لي بديني بدلا منذ هداني
الله تعالى ولا قتلت نفسا فيم تقتلونني وقال يا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود
او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد يا قوم لا تقتلوني انكم ان تقتلوني كنتم هكذا وشبك بين اصابعه وقال لعنه
الله تعالى ما وضعت يدي على فرجي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت بي جمعة منذ اسلمت الا
وانا اعتق فيها رقبة الا ان يكون عندي شيء فاعتقها وجملة من اعتق عثمان رضي الله تعالى عنه الفان واربعمائة
رقبة تقريبا وذكر انه راى في الليلة التي قتل في يومها المصطفى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر في المنام وقالوا
له اصبر فانك تفطر عندنا الليلة القابلة فلما اصبح دعا بالمصحف فنشره بين يديه ولبس السراويل خوفا ان يطلع على
عورته عند قتله وكان من جملة ما نقم الناس على عثمان رضي الله تعالى عنه انه اعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة الف
من غنيمة افريقية واعطى الحارث عشر ما يباع في السوق سوق المدينة وانه جاء اليه ابو موسى رضي الله تعالى عنه بكيلة ذهب
وفضة فقسمها بين نسائه وبناته وانه انفق اكثر مال بيت المال في عمارة ضياعه ودوره وانه حمى لنفسه دون ابل
الصدقة وانه حبس عطاء ابن مسعود رضي الله عنه ونفى ابا ذر رضي الله عنه الى الربذة واشخص عبادة بن الصامت
رضي الله تعالى عنه من الشام لما شكاه معاوية رضي الله تعالى عنه وضرب عمار بن ياسر رضي الله عنه وكعب بن
عبدة ضربه عشرين سوطا ونفاه الى بعض الجبال وقال لعبد الرحمن بن عوف انك منافق وانه اقطع اكثر اراضي بيت
المال وانه لا يشتري احد قبل وكيله وانه لا يسير سفينة في البحر الا في تجارته وانه احرق المصحف التي فيها القرآن
وانه اتم الصلوة بمنى ولم يقصرها لما حج بالناس وانه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان وقد اجاب عن ذلك كله
في الصواعق فراجعه وما رواه الزبير بن بكار عن انس رضي الله تعالى عنه من انه صلى الله عليه وسلم [illegible]
ولم يبق من المسجد الا بيدا بعد ستين وضعف ما دعى عن انس اي وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لو بني مسجدي هذا الى صنعاء كان مسجدي قال بعضهم ان صح هذا كان من اعلام نبوته صلى الله
عليه وسلم اي لانه وسع بعد ذلك اي وسعه المهدي فعل ذلك في سنة ستين ومائة ثم زاد فيه المامون في سنة ثنتين
ومائتين ويؤيد القول بان المضاعفة خاصة بالموجود حين الاشارة اي لكن المحافظة على ما كان في عهده صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم اول قال وبنى صلى الله عليه وسلم حجرتين لعائشة رضي الله تعالى عنها وسودة اي بناهما مجاورين للمسجد ولا ينافي
لعل طرف بناء المسجد من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل والجريد اي وقدم رجل من اهل اليمامة عند الشروع في بناء المسجد يقال
له طلق بن حنيفة فعنه رضي الله تعالى عنه قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون معه
وكنت صاحب علاج الطين فاخذت المسحاة وخلطت بها الطين فقال لي يعني النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرء
احسن صنعته وقال لي الزم انت هذا الشغل فاني اراك محسنا له وفي لفظ ان هذا الحنفي لصاحب طين وفي لفظ قربوا اليماني من الطين
فانه احسنكم له مسا واشدكم منكبا وفي لفظ دعوا الحنفي والطين فانه من اصنعكم للطين وارسل صلى الله عليه وسلم وهو في بيت
ابي ايوب رضي الله تعالى عنه زيد ابن حارثة وابا رافع رضي الله تعالى عنهما مكة واعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين ليأتيا
باهله اي والخمسمائة اخذها صلى الله عليه وسلم من مال ابي بكر رضي الله عنه ليشتريا بها ما يحتاجان اليه فاشترى بعيرا ثالثا
رضي الله تعالى عنه ثلاثة ابعرة وارسل معهما ابو بكر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن الاريقط دليلا اي ببعيرين او ثلاثة
فقدما بفاطمة وام كلثوم بنته صلى الله عليه وسلم وسودة زوجته وام ايمن حاضنته زوج زيد بن حارثة وابنها اسامة
بن زيد فاسامة اخو ايمن لامه وكان اسامة رضي الله عنه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وابن حاضنته
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان اسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر يوما في اسكفة الباب فشج وجهه فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اميطي عنه الدم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فكاني تقذرته اي لانه كان اسود افطس فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه يعني الدم ثم يمجه واما بنته صلى الله عليه وسلم زينب التي هي اكبر بناته وكانت مع
زوجها ابن خالتها ابي العاص بن الربيع فمنعها من الهجرة وسياتي انها هاجرت بعد ذلك قبله وتركته على شركه وبعد ان
اسر في بدر واطلق وامره صلى الله عليه وسلم بان يخلي سبيلها ففعل ثم لما اسلم رضي الله تعالى عنه ردها اليه واما بنته
صلى الله عليه وسلم رقية فتقدم انها هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وخرج مع فاطمة رضي الله
عنها ومن ذكر معها عبد الله ابن ابي بكر رضي الله تعالى عنهما ومع عيال ابي بكر فهم زوجته ام رومان وعائشة واختها اسماء
زوج الزبير رضي الله عنهم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كانت هي وامها على بعير في محفة فنفر البعير قالت
فصارت امي تقول وابنتاه واعروساه فمسك البعير وسلم الله وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها لما صارت
امي تقول واعروساه وابنتاه سمعت قائلا يقول ارسلي خطامه فارسلت خطامه فوقف باذن الله تعالى وسلمنا الله
وام رومان ولدت لابي بكر عائشة وعبد الرحمن رضي الله تعالى عنهم وكانت قبل ابي بكر عند عبد الله ابن الحارث
فولدت الطفيل له صلى الله عليه وسلم في حقها من سره ان ينظر الى امراة من الحور العين فلينظر الى ام رومان وتوفيت
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت سنة ست من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها
وقال اللهم انه لم يخف عليك ما لاقت ام رومان فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم وعورض القول بموتها في
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في البخاري عن مسروق قال سالت ام رومان وهي ام عائشة رضي الله عنها
ومسروق ولد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف وما في البخاري حديث صحيح مقدم على ما ذكره اهل السير
من موتها في حياته صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن اسماء رضي الله عنها انها نزلت بقبا فولدت بها يعني ولدها عبد الله بن
الزبير رضي الله عنهم ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل
جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة اي بتلك التمرة وفي المواهب وحنكه صلى الله عليه وسلم بها
ثم دعا له وبارك عليه وهو اول مولود ولد في الاسلام اي للمهاجرين وفيها ان اسماء رضي الله تعالى عنها انها قدمت المدينة

اى الى قباء بعد تحوله صلى الله عليه وسلم من قباء ويدل على قول بعضهم قدم ال ابى بكر من مكة وهو صلى الله عليه وسلم يبنى مسجده
واتوا لهم ابو بكر رضى الله تعالى عنه فى السنخ الا ان يقال يجوز انه صلى الله عليه وسلم جاء الى قباء بعد ذلك فقدمت لبعضهم و
هذا السياق يدل على ان عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه ولد فى السنة الاولى من الهجرة لا فى الثانية كما قال الواحدى
وبعض غيره فقال ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به المسلمون فرحا شديدا الا ان اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم
فلا يولد لهم مولود وهذا يقابله القول الثانى الا ان يقال يجوز ان يكون عبد الله رضى الله عنه مكث فى بطنها
المدة المذكورة فقد ذكر ان مالكا رضى الله عنه مكث فى بطن امه سنتين وكذا الضحاك بن مزاحم التابعى مكث فى بطن امه
سنتين وفى المحاضرات للجلال السيوطى رحمه الله ان مالكا رضى الله تعالى عنه مكث فى بطن امه واخبر سيدنا مالك
رضى الله تعالى عنه ان جارة له ولدت ثلاث اولاد فى اثنتى عشرة سنة تحمل اربع سنين وحينئذ يجوز ان يكون
اسماء رضى الله تعالى عنها جاءت الى قباء فولدت سيدنا عبد الله وصادف مجيئه صلى الله عليه وسلم الى قباء فى ذلك
اليوم وقد سماه صلى الله عليه وسلم وكناه ابا بكر بكنية جده الصديق رضى الله تعالى عنه وروى انه جاء الى النبى
صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع سنين او ثمان سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امره والده الزبير رضى الله تعالى
عنه بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه وكون ال ابى بكر رضى الله تعالى عنهم نزلوا عند مجيئهم المدينة
فى السنخ لا ينافى ان اسماء رضى الله تعالى عنها نزلت بقباء وولدت بها لانه يجوز ان يكون نزل اسماء فى السنخ بعد نزولها
فى قباء قصد اولا اختها لكونها حاملا حتى وضعت والسياق المتقدم يدل على ذلك وكان عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما
اول مولود ولد فى الاسلام للمهاجرين بالمدينة كذلك عبد الله بن جعفر بن ابى طالب رضى الله عنهما اول مولود ولد للمهاجرين
بالحبشة ويقال له عبد الله الجواد واتفق ان النجاشى ولد له مولود يوم ولد عبد الله هذا فارسل الى جعفر يقول له كيف
سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشى ابنه عبد الله المذكور فكانا يتراسلان بتلك الاخوة من الرضاع واول
مولود ولد للانصار بعد الهجرة مسلمة بن مخلد وقيل النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنهما وذكر ان اسماء رضى الله تعالى عنها قدمت
المدينة وهى مشركة على اسماء رضى الله تعالى عنها بهدية فحجبتها اسماء وردت عليها هديتها فسالت عائشة رضى الله
تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فامر صلى الله عليه وسلم اسماء ان تاذن لها وتقبل هديتها وتلحق
ذلك وفى ارسال عبد الرحمن بن ابى بكر وهو بمكة على دينه قبل ان يسلم الى ابيه يسال النفقة فابى ابوه ان ينفق عليه الى ان
الله تعالى الاذن فى الانفاق على الكفار قال ابو ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه لما نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى بيتى نزل فى اسفل البيت وانا وام ايوب فى العلو فقلت يا رسول الله انت بابى وامى انى اكره واعظم ان
اكون فى العلو وتنزل فنحن نكون فى السفل فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا ايوب ارفق بنا اى السفل ارفق بنا وبمن يغشانا
اى وفى لفظ ان ارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى اسفل البيت قال ابو ايوب رضى الله تعالى عنه فانكسر حب لنا فيه ماء والحب
بضم الحاء المهملة الجرة الكبيرة فقمت انا وام ايوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء خوفا ان يقطر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه ولم ازل انفرع للنبى صلى الله عليه وسلم حتى تحول فى العلو وفى رواية عن ابى
ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة نزلت فى العلو فلما
خلوت الى ام ايوب قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا ينزل التراب عليه من وطئ اقدامنا وينزل
عليه الوحى وفى رواية ينزل عليه القران وياتيه جبريل عليه السلام فما بت تلك الليلة انا ولا ام ايوب قال له يا ابا
ايوب قلت كنت احق بالعلو منا ينزل عليك الوحى والذى بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا اى وفى

افلح

افلح مولى ابى ايوب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل وابو ايوب فى العلو انتبه ابو ايوب ذات ليلة فقال نمشى فوق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فباتا فى جانب فلما اصبح الحديث وعند نزوله صلى الله عليه وسلم فى بيت ابى ايوب
رضى الله تعالى عنه صار ياتى اليه جفنة سعد بن عبادة كل ليلة اى وكانت جفنة سعد بن عبادة بعد ذلك تدور معه
صلى الله عليه وسلم فى بيوت ازواجه رضى الله تعالى عنهن فقد جاء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن عبادة
جفنة من ثريد عليه لحم او خبز بلبن او فى سمن او فى خل وزيت فى كل يوم تدور معه صلى الله عليه وسلم اين ما دار
مع نسائه وصار صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت ابى ايوب ياتى اليه الطعام من غيرهما فقد جاء وما كان من ليلة الا و
على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون الطعام يتناوبون حتى تحول رسول الله صلى الله
عليه وسلم من منزل ابى ايوب اى وفى لفظ اى وجعل بنو النجار يتناوبون فى حمل الطعام اليه صلى الله عليه وسلم مقامه
فى منزل ابى ايوب رضى الله تعالى عنه وهو تسعة اشهر واول طعام جىء به اليه صلى الله عليه وسلم فى دار ابى
ايوب رضى الله تعالى عنه قصعة ام زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهما فعن زيد ابن ثابت رضى الله تعالى عنه اول هدية
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت ابى ايوب قصعة ارسلتنى بها امى اليه صلى الله عليه وسلم فيها ثريد
خبز بسمن ولبن فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله ارسلتنى بهذه القصعة امى فقال بارك
الله فيها وفى رواية بارك الله فيك فدعا اصحابه فاكلوا قال زيد رضى الله تعالى عنه فلم ادم الباب اى ادره حتى جاءت
قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم اى بفتح العين عظم عليه لحم فان اخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم العين وقد جاء كان احب
الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد ويقال له الثفل بالمثلثة والفاء ولما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد
جعل فى المسجد محلا مظللا ياوى اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل الصفة وكان صلى الله عليه وسلم يفرقهم وقت
العشاء على اصحابه ويتعشى معه صلى الله عليه وسلم طائفة منهم فظاهر السياق ان ذلك اى المحل المذكور فعل فى زمن بناء المسجد و
اوى اليه المساكين من حينئذ لكن روى البيهقى عن عثمان بن اليمان قال لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار ولا
ماوى انزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وقد سماهم اهل الصفة وكان يجالسهم ويانس بهم اى وكان صلى الله عليه
وسلم اذا صلى اتاهم فوقف عليهم فقال لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فقرا وحاجة اقول ذكر ان المسجد كان
اذا جاءت العتمة يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الدارى المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل
بسوارى المسجد واوقدت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لى ابنة لانكحتها
هذا وفى كلام بعضهم اول من جعل فى المسجد المصابيح عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وموافقة قول بعضهم والمستحب من بدع
الافعال تعليق القناديل فيها يعنى المساجد واول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فانه لما جمع الناس على ابى بن
كعب رضى الله عنه فى صلوة التراويح علق القناديل فلما راها على كرم الله وجهه تزهر قال نورت مسجدنا نور الله تعالى قبرك يا ابن
الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بالكثرة فلا يخالف ما تقدم من تميم الدارى رضى الله تعالى عنه ثم رايت فى اسد الغابة عن سراج
غلام تميم الدارى رضى الله تعالى عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن خمسة غلمان لتميم الدارى فامره
سيده فاسرجت المسجد بقنديل فيه زيت وكانوا لا يسرجون فيه الا سعف النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اسرج مسجدنا فقال تميم غلامى هذا فقال ما اسمه قال فتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اسمه سراج فسمانى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سراجا وعن بعضهم قال امرنى المامون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح فى المساجد فلم ادر ما
اكتب لانه شىء لم اسبق اليه فاريت فى المنام اكتب فان فيه انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله تعالى عن وحشة الظلم فانهيته

وكتبت بذلك قال بعضهم لكن زيادة الوعد ينبغي ان يكون ذلك كذا ويبقى المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله اعلم قال
وذكر ابن اسحق في كتاب المبتدا وقصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام ان تبع بن حسان الحميري وهو تبع الاول اي الذي ملك الارض
كلها شرقها وغربها وتبع بلغة اليمن الملك المتبوع ويقال له الرايش لانه راش الناس بما اوسعهم من العطا وقسم فيهم من الغنايم
وكان اول من غنم لما قصد البيت يريد تخريبه دعي بالحضرمي وهذا اسمه ميثا وتقدم انه بعد ذلك كسا الكعبة وبعد ذلك احتاز بيثرب
وكان في ركابه مايه الف وثلاثون الفا من الفرسان ومائة الف وثلاثة عشر الفا من الرجال فاخبر ان اربعمائة رجل من
اتباعه من الحكماء والعلماء تبايعوا ان لا يخرجوا منها فسالهم عن الحكمة في ذلك فقالوا ان شرف البيت انما هو برجل يخرج يقال
له محمد هذه دار اقامته ولا يخرج منها فبنى لكل واحد منهم دارا واشترى له جارية واعتقها وزوجها منه واعطاهم عطاء جزيلا
وكتب كتابا وختمه ودفعه الى عالم عظيم منهم وامره ان يدفع ذلك الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم اذا ادركه وفي ذلك
الكتاب انه امن به وعلى دينه وبنى دار الرسول صلى الله عليه وسلم ينزلها اذا قدم تلك البلد اي يقال لها انها دار ابي ايوب
اي كما تقدم وانه من ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب اي فهو صلى الله عليه وسلم لم ينزل الا في داره اي على
ما تقدم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دعى الى الاسلام ارسلوا اليه ذلك الكتاب مع شخص يسمى ابا ليلى فلما
راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انت ابو ليلى الذي معك كتاب تبع الاول فقال له ابو ليلى من انت قال انا محمد هات الكتاب
فلما فتحه قراه اي قرا عليه وذكر بعضهم ان مضمون الكتاب اما بعد يا محمد فاني امنت بك وبربك ورب كل شيء وبكل ما
جاء من ربك وشرايع الاسلام والايمان وان قلت ذلك فان ادركتك فبها ونعمت وان لم ادركك فاشفع لي يوم
القيمة ولا تنسني فاني من امتك الاولين وبايعتك قبل مجيئك وقبل ان يرسلك الله وانا على ملتك وملة ابرهيم
عليه السلام وختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فقد قيل نقوله وكتب
عنوان الكتاب الى محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين رب العالمين من تبع الاول حميرا مانه وديعة من وقع هذا
الكتاب في يده الى ان يدفعه الى صاحبه ودفعه الى راس العلماء المذكورين ثم وصل الكتاب المذكور الى النبي صلى الله عليه
وسلم على يد العالم ويدا المذكور حين هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية الاولى يدل على ان ذلك كان في اول البعثة
وعند قراة الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات وكان بين تبع هذا اي بين قوله انه
امن به وعلى دينه وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة سوي اي ويتقدم انه باني الحلل الذي بناه دار له
صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بالف سنة فليتامل ويقال ان الاوس والخزرج من اولاد اولئك العلماء والحكماء اقول
ولعلهم انتزلوه صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب على الوجه المتقدم واخذه المربد على الكيفية المتقدمة مع وصول
الكتاب اليه اول البعثة او بين مكة والمدينة وهو مهاجر الى المدينة يبعد هذا وفيه ايضا ان الذي في التنوير لابن دحية
ان هذا تبع الاوسط وانه الذي كسى البيت بعدما اراد غزوه وبعدما غزا المدينة واراد خرابها انصرف عنها لما اخبر انها
مهاجر نبي اسمه احمد اي فقد ذكر بعضهم ان تبع اراد تخريب المدينة واستيصال اليهود فقال له رجل منهم بلغ من العمر مائتين
وخمسين سنة الملك اجل من ان يستخفه غضب وامره اعظم من ان يضيق عنا حلمه او نحرم صفحه مع ان هذه البلد مهاجر نبي
يبعث بدين ابرهيم عليه الصلوة والسلام فكتب كتابا وذكر فيه شعرا كما قوافيه ابوه ذلك الكتاب الى ان هاجر النبي
صلى الله عليه وسلم فادوه اليه ويقال ان الكتاب كان عند ابي ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه وكان ذلك قبل
مبعثه بسبعمائة عام وفي التنوير ايضا ان ابن ابي الدنيا رحمه الله ذكر انه حفر قبر بصنعاء قبل الاسلام فوجد فيه
امراتان لم يبليا وعند رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر [illegible] ابنتي تبع ماتتا وهما يشهدان

لا اله الا الله ولا يشركان به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وجاء لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا وفي رواية لا تسبوا
تبعا الحميري فانه اول من كسى الكعبة قال السهيلي وكذا تبع الاول كان مؤمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه شعرا ابياتا
قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وكانت المدينة في الجاهلية معروفة بالوباء اي الحمى وكان اذا اشرف على واديها احد
ونهق نهيق الحمار لا يضره الوبا وفي لفظ كان اذا دخلها من يريد الجاهلية يقال له ان اردت السلامة من الوباء فانهق نهيق
الحمار فاذا فعل ذلك سلم وفي حياة الحيوان كانوا في الجاهلية اذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمير ينهقوا عشرة اصوات
في طلق واحد قبل ان يدخلوها وكانوا يزعمون ان ذلك ينفعهم من الوباء ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد
اهلها من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين الاية فاحسنوا الكيل بعد ذلك ولما قدم صلى الله عليه
وسلم المدينة هو واصحابه اصابت اصحابه الحمى وفي لفظ استوخم المهاجرون هوا المدينة ولم يوافق امزجتهم فمرض كثير منهم
وضعفوا حتى يصلون من قعود فرآهم صلى الله عليه وسلم فقال اعلموا ان صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فتجشموا المشقة
وصلوا قياما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها قدمنا المدينة وهي اوبا ارض الله اي فلما حصلت لها الحمى قال لها صلى الله عليه
وسلم مالي اراك هكذا قالت بابي انت وامي هذه الحمى وسبتها فقال لا تسبيها فانها مامورة ولكن ان شئت علمتك كلمات
اذا قلتهن اذهبها الله تعالى عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام
ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله
الها اخر فقالتها فذهبت عنها وعن علي كرم الله وجهه لما قدمنا المدينة اصبنا من ثمارها فاصابنا بها وعك اي حمى اي وعن جملة
من اصابته الحمى سيدنا ابو بكر رضي الله تعالى عنه ومولياه عامر بن فهيرة وبلال اي فكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه لما
اخذته الحمى انشد يقول كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شراك نعله اي وهذا من شعر حنظلة بناء على الصحيح
ان الرجز يقال له شعر كما تقدم وليس من شعر ابي بكر رضي الله تعالى عنه فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان ابا بكر رضي الله
تعالى عنه لم يقل شعرا في الاسلام اي ولا في الجاهلية كما في رواية عنها والله ما قال ابو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في
الاسلام اي لم يتشبه حتى مات اي وهذا ربما ينافي ما في الينبوع ليس يعمل الشعر بعيب فقد كان الصديق وعمر وعلي رضوان
الله عليهم يقولون الشعر وعلي كرم الله وجهه اشعر من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وما تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها
تعارض بنظام ما روى عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا راى النبي صلى الله
عليه وسلم يقول امين مصطفى بالخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام الا ان يحمل قولها رضي الله تعالى عنها على انها
لم تسمع منه ذلك بناء على ان ذلك من انشا الصديق وكان بلال رضي الله عنه اذا الحمى عنه رفع عقيرته اي صوته الكويه باكيا
يقول متشوقا الى مكة المشرفة الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل وهل اردن يوما مياه مجنة وهل
يبدون لي شامة وطفيل اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض
الوباء واراد بلال بالوادي وادي مكة والاذخر نبت معروف والجليل بالجيم نبت ضعيف وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة
اي وفي رواية وهل يبدون لي عامر وطفيل وعامر ايضا جبل من جبال مكة وفي شرح البخاري للخطابي رحمه الله كنت احسب
شامة وطفيل جبلين حتى مررنا بهما فاذا هما عينان من ماء ويحتمل ان يكون العينان بقرب الجبلين المذكورين
فاطلق كل منهما على الاخر ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل النهي عن لعن المعين اذ لا يجوز لعن الشخص المعين على الراجح
الا ان علم موته على الكفر كابي جهل وابي لهب دون الكافر لانه يحتمل ان يختم له بالحسنى فيموت على الاسلام لان اللعن
هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم الياس منها واما اللعن على الوصف فكل الربا فجائز على ان ذلك محمول على الاهانة والطرد

من مواطن الكوانه لا على الطرد من رحمة الله الذي هو حقيقة اللعن وكان من ابي بكر وبلال وعامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنهم
في بيت واحد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فاستاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فدخلت عليهم
وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فاذا بهم ما لا يعلمه الا الله تعالى من شدة الوعك فسلمت عليهم اي وقالت لابيها
يا ابتي كيف اصبحت فانشدها الشعر المتقدم قالت فقلت انا لله ان ابي ليهذي قالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال
اني وجدت الموت قبل ذوقه ان الجبان حتفه من فوقه قالت فقلت هذا والله لا يدري ما يقول قالت فقلت لبلال
كيف اصبحت فاذا هو لا يعقل وفي رواية فانشدها البيتين قالت فذكرت حالهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت انهم يهذون
وما يعقلون من شدة الحمى وهذا السياق يخالف ما في السيرة الهشامية ان الصديق رضي الله عنه لما قدم المدينة اخذته الحمى
هو وعامر بن فهيرة وبلال الا ان يقال لا مخالفة لانه يجوز انها اخذتهم اولا واقلعت عنهم ثم عادت عليهم بعد دخوله صلى الله عليه
وسلم بعائشة او ان عائشة اشتغلت في ذلك عن ذكرت له حالهم قبل دخوله بها لانها كانت معقودا عليها ولعل الصديق رضي
الله تعالى عنه كان في غير بيتها عائشة رضي الله تعالى عنها والذي في تاريخ الازرقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
لما قدم المهاجرون المدينة اشتكوا ذلك بها فعاد النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقال له كيف تجدك فانشد
ما تقدم ثم دخل على بلال فقال كيف تجدك يا بلال فانشده ما تقدم ولا مانع من التعدد دعني فذكرت عائشة رضي الله تعالى
عنها ذلك له صلى الله عليه وسلم نظر الى السماء اي لانها قبلة الدعاء وقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة او اشد
وفي رواية واشد وبارك لنا في مدها وصاعها وصححها لنا ثم انقل وباها الى مهيعة اي الجحفة كما في رواية وهي قرية قريبة
من رابغ محل احرام من يجيء من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك اليهود ودعاؤه صلى الله عليه وسلم ان يحبب المدينة
انما هو جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين ومن ثم جاء في الحديث ان عائشة رضي الله تعالى عنها سالت رجلا
بحضور النبي صلى الله عليه وسلم مقدم المدينة من مكة فذكر لها من اوصافها ما حسن اغرورقت منه عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت لا تشوقنا يا فلان وفي رواية دع القلوب تقر اقول ودعاؤه صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى كان في اواخر الامر
واما عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة فخير بالطاعون والحمى اي بقاها فامسك الحمى وارسل الطاعون الى الشام وقولنا
اي بقاها رد لما قد يتوهم من الحديث ان الحمى لم تكن بالمدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم اليها وانما اختار الحمى على الطاعون لانه صلى الله
عليه وسلم كان حينئذ يخلق من اصحابه فاختار بقاء الحمى لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج صلى الله عليه وسلم
للجهاد واذن له في القتال وعجلت الحمى تضعف اجساد الذين يقاتلون دعا بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة
اصح بلاد الله تعالى بعد ان كانت بخلاف ذلك كذا قيل فليتامل فانه يقتضي ان الحمى لما انتقلت الى الجحفة لم يبق منها بقية
بالمدينة وهو الموافق لما ياتي عن الخصائص من حيث نقلت الحمى الى الجحفة لا يدخلها احد الا حم بل قيل انه لو مر بها الطائر حم
واستشكل حينئذ جعلها ميقاتا للاحرام وقد علم من قواعد الشرع انه صلى الله عليه وسلم لا يامر بما فيه ضرر واجيب بان الحمى
انتقلت اليها مدة مقام اليهود بها ثم زالت بزوالهم من الحجاز قبل حسن التوقيت بها كذا قيل فليتامل وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال رايت اي في النوم امرأة سوداء ثائرة الراس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فاولتها ان وباء المدينة
انتقل الى مهيعة وفي الخصائص الصغرى للسيوطي وصرف الحمى عنها اي المدينة اول ما قدمها ونقلها الى الجحفة ثم لما اتاه جبريل
عليه السلام بالحمى والطاعون امسك الحمى بالمدينة وارسل الطاعون الى الشام ولما عادت الحمى الى المدينة باختياره
صلى الله عليه وسلم اياها لم تستطع ان تاتي احدا من اهلها حتى جاءت ووقفت ببابه واستاذنته فيمن يبعثها
اليه فارسلها الى الانصار فقعدها وان الحمى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت انا ام ملدم وفي

رواية

رواية انا الحمى ابري اللحم وامص الدم فقال لا مرحبا بك ولا اهلا وفيه انه تقدم انه صلى الله عليه وسلم نهى عائشة رضي الله
تعالى عنها عن سبها فقالت له امضي الى عفك او احب اصحابك اليك فقال اذهبي الى الانصار فذهبت اليهم فصرعتهم فقالوا
له ادع لنا بالشفاء فقال صلى الله عليه وسلم ان شئتم دعوت الله عز وجل يكشفها عنكم وان شئتم تركتموها فاسقطت
ذنوبكم وفي رواية كانت لكم طهورا فقالوا بلى فدعها يا رسول الله ولعل هذا كان لطائفة من الانصار فلا ينافي
ما جاء ان الانصار شكوا له صلى الله عليه وسلم الحمى وقد مكثت عليهم ستة ايام بلياليها ودعا لهم صلى الله عليه و
سلم بالشفاء وصار صلى الله عليه وسلم يدخل عليهم دارا دارا وبيتا بيتا يدعو لهم بالعافية وهذا الذي في الخصائص يدل
على ان الحمى لما ذهبت الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وانها بعد ذلك عادت الى المدينة باختياره صلى الله
عليه وسلم والذي نقله هو عن الحافظ بن حجر رحمه الله ان الحمى كانت تصيب من اقام بالمدينة من اهلها ومن
غيرهم فارتفعت بالدعاء عن اهلها الا النادر ومن لا يألف هواها وقد جاء ان حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كان
له براءة من النار وخرج رضي الله تعالى عنه استاذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قالت ام ملدم فامر
بها صلى الله عليه وسلم الى اهل قباء فلقوا منها ما لا يعلمه الا الله فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم فقال ان شئتم دعوت
الله ليكشفها وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا او تفعل ذلك قال نعم فقالوا فدعها والقصة طويلة ثم دعا صلى الله عليه وسلم
بقوله اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة وفي رواية واجعل مع البركة بركتين وجاء انهم شكوا اليه
صلى الله عليه وسلم سرعة فناء طعامهم فقال توتوا طعامكم يبارك الله لكم فيه قيل معناه تصغير الارغفة ودعا صلى الله
عليه وسلم للغنم كانت ترعى بالمدينة فقال اللهم اجعل نصف الواثها مثل ثلثها في غيرها من البلاد اي ولعل ذلك ليس
خاصا بتلك الاغنام الموجودة في زمنه صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما ذكره السيوطي في الخصائص الصغرى مما اختصت به المدينة
الشريفة ان غبارها يطفي الجذام ونصف اكراش الغنم فيها مثل ملئها في غيرها من البلاد والكرش كالمعدة للانسان وكما منعت
المدينة عن الطاعون ارسله الى الشام صينت عن الدجال روى الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم على انقاب المدينة اي على ابوابها ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال وفي رواية
لها اي المدينة سبعة ابواب على كل باب ملك فان قيل كيف مدحت المدينة بعدم دخول الطاعون وكيف ارسله صلى الله عليه وسلم
الى الشام مع انه شهادة واجيب بانه صلى الله عليه وسلم انما ارسله الى الشام لما تقدم وصينت عنه بعد انتفاء ما تقدم لانه
سبب كونه كخز الجن وشياطينهم فمنع من المدينة احتراما لها ولم يتفق دخول الطاعون بها في زمن من الازمنة بخلاف مكة
فانه دخلها في بعض السنين وهي سنة سبع واربعين وسبعمائة ويقال انه دخلها ايضا في سنة تسعة وثلاثين بعد الالف
هدم السيل الكعبة اي الجانب الذي جهة الحجر لبعضهم من حين انهدم وجد الطاعون بمكة واستمر بها الى ان اقاموا الاخشاب
موضع المنهدم وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون لما اخبر به بعض الثقات من اهل مكة وكونه لم يتفق دخول
الطاعون المدينة في زمن من الازمنة يخالف قول بعضهم وفي السنة السادسة من الهجرة وقع الطاعون في المدينة
افني الخلق وهو اول طاعون وقع في الاسلام فقال صلى الله عليه وسلم اذا وقع بارض فلا تخرجوا منها وان
سمعتم به في ارض فلا تقربوها ويعضده انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة رفع يديه وهو على المنبر فقال
اللهم انقل الوباء ثلاثا الا ان يقال ان هذا قد يخالف ما سبق من ان هذا كان في اخر الامر لا عند قدومه صلى الله
عليه وسلم المدينة الا ان يحمل على انه قدومه صلى الله عليه وسلم كان من سفر لا للهجرة وفي الحديث سياتي على
الناس زمان يلتمسون فيه الرخاء فيحملون باهلهم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يلبث فيها احد

بصبر لاوائها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيمة شهيدا او شفيعا وفي مسلم لا يصبر على لأواء المدينة احد وشدتها من امتي
الا كنت شهيدا يوم القيمة وشفيعا اي شفيعا للعاصي وشهيدا للطايع واللأواء الشدة والجوع وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليمت فاني اشفع لمن يموت بها لا يريدها احد اهل المدينة بسوء الا اذابه
الله ذوب الملح في الماء وفي لفظ اذابه الله في النار ذوب الرصاص او ذوب الملح في الماء لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما
ينفي الكير خبث الحديد وفي رواية مسلم تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة اي وتقدم ان هذا ليس عاما في الازمنة ولا في الاشخاص
وفي رواية مكة والمدينة تنفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد من اخاف اهل المدينة ظلما اخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله
والملائكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا اي وبهذا الحديث تمسك من جوز اللعنة على يزيد لما تقدم
عنه من اباحة المدينة في ايام الحرة وورد بانه لا دلالة فيه على جواز اللعن ليزيد باسمه والكلام فيه وانما يدل على جواز لعن من
وهو من اخاف اهل المدينة وليس الكلام فيه فالفرق بين المقامين واضح كما علمت وجاء اهل المدينة جيراني وحقيق على امتي حفظ
جيراني ما اجتنبوا الكباير من حفظهم كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة ومن لم يحفظهم سقي من طينة الخبال اي من عصارة اهل النار
وفي لفظ من اخاف هذا الحي من الانصار فقد اخاف ما بين هذين ووضع يديه على جنبيه وقيل لها طيبة لطيب العيش بها
لان للعطر اي الطيب بها رايحة لا توجد في غيرها ومن خصايصها ان ترابها شفاء من الجذام كما تقدم زاد بعضهم ومن البرص بل من كل
داء وتمرها شفاء من السم اي وفي الحديث تخرب المدينة قبل يوم القيمة باربعين سنة اي حين خرابها يكون من الجوع وان خرابها
الذي يكون من الجراد اي وقد دعى صلى الله عليه وسلم على الجراد فقال اللهم اهلك الجراد واقتل كباره واهلك صغاره
واقطع دابره وخذ بافواهها عن مواشينا وارزاقنا انك سميع الدعاء وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه كان صلى الله
عليه وسلم يؤتى باول التمر فيقول اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارها وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه اصغر
من يحضره من الولدان اللهم ان ابرهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لمكة واني عبدك ونبيك ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك
لمكة ومثله معه ثم بنى صلى الله عليه وسلم بقية الحجر المسقفة عند الحاجة اليها اي وهذا هو الموافق لما سبق ان بعضها بني مع المسجد
وهي حجرة سودة مختلفة فاكثرها كان بعيدا عن المسجد وكلام الاصل يقتضي انها بنيت كلها في السنة الاولى من الهجرة حيث
قال وفيها اي السنة الاولى بني صلى الله عليه وسلم مسجده ومساكنه اي وخط صلى الله عليه وسلم للمهاجرين من
خططها فاقام قوم منهم من يمكنه البناء بعنايه عند من نزلوا عليه بها قال عبد الله بن زيد الهذلي رايت بيوت
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر ابن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بامر الوليد بن عبد الملك اي بعد موت
ازواجه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرا بادخالها في المسجد فما رايت اكثر باكيا
من ذلك اليوم اي كانت تسعة اربعة مبنية باللبن اي وسقفها من جريد النخل مطين بالطين ولها حجر من جريد
اي غير بيت ام سلمة فانها جعلت حجرتها لبنا وكان صلى الله عليه وسلم في غزاة دومة الجندل فلما قدم دخل عليها
اول بنايه فقال لها ما هذا البنيان وعن علي كرم الله وجهه ان الله تعالى يقول اذا انفق المنفقات فاذا اكتسب الرجل
المال من حرام سلط الله عليه الماء والطين ثم لا يمهد بيه اي وكانت تلك الحجر التي من الجريد مغشاة من خارج بمسوح
الشعر وخمسة ابيات منه من جريد مطينة لا حجر لها على ابوابها ستور من مسوح الشعر اي وهي التي قال لها البلاذري ذرع
الستر فوجدته ثلاث اذرع في ذراع هذا وفي كلام السهيلي كانت مساكنه صلى الله عليه وسلم مبنية من جريد عليه
طين وبعضها من حجارة موضوعة وسقفها كلها من جريد وكانت حجرته عليه الصلوة والسلام اكسية من شعر
مربوطة بخشب عرعر هذا كلامه قال بعضهم ولبثها تركت ولم يهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويرون

ما رضي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزاين الارض بيده صلى الله عليه وسلم اي فان ذلك مما يزهد الناس في
التكاثر والتفاخر في البنيان وجاء انه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض طرق المدينة فراى قبة مشرفة قال لمن هذه قالوا
لرجل من الانصار فجاء ذلك الرجل فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنه ففعل ذلك مرارا فعلم بالقبة فهدمها
وعن الحسن البصري رحمه الله قال كنت وانا مراهق ادخل بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان رضي الله
تعالى عنه فاتناول سقفها بيدي اي لان الحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقيل انما
كان ابنا لمولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة وكانت تخرجه للصحابة يباركون عليه واخرجته
الى عمر رضي الله تعالى عنه فدعى له بقوله اللهم فقهه في الدين وحببه الى الناس وكان والده من سبي الذين سباهم خالد رضي الله
تعالى عنه في خلافة الصديق رضي الله عنه وروي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لانه مرة كان قبل ان يخرج
علي كرم الله وجهه من المدينة الى الكوفة وذلك بعد قتل عثمان اربعة عشر سنة وقيل له يا ابا سعيد انك تقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه فقال للذلك السايل كل شيء سمعتني اقول فيه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اني في زمان لا استطيع ان اذكر عليا كرم الله وجهه جماعة من الحفاظ
كالترمذي والنسائي والحاكم والدارقطني وابو نعيم ما بين حسن وصحيح وبه يرد قول من انكر انه لم يسمع من علي كرم الله وجهه
لان المثبت مقدم على النافي او هو محمول على انه لم يسمع من علي بعد خروج علي من المدينة قال بعضهم وتلك الفصاحة
التي كانت عنده والحكمة من قطرات لبن شربها من ثدي ام المومنين ام سلمة رضي الله تعالى عنها فان امه ربما
غابت فيبكي فتعطيه ام سلمة رضي الله تعالى عنها ثديها تعلله به الى ان تجيء امه وعلماء الحسن عليه ثديه فشربه قال بعضهم
كان الحسن البصري رحمه الله اجل البصرة وفي كلام ابن كثير كان الحسن البصري شكلا اصحابه طوالا وكان اذا اقبل
كانه اقبل من دفن حميمه واذا جلس فكانه اسير امر بضرب عنقه واذا ذكرت النار فكانها لم تخلق الا له وعن الواقدي
كان حارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله فلما احدث رسول الله صلى الله عليه وسلم اهلا تحول له حارثة عن منزل
حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهذا يخالف ما تقدم عن الاصل ان مساكنه صلى الله عليه
وسلم بنيت في السنة الاولى ومات عثمان ابن مظعون رضي الله تعالى عنه وهو اخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة
وامر صلى الله عليه وسلم ان يرش قبره بالماء ووضع حجرا عند راس القبر اي بعد ان امر صلى الله عليه وسلم رجلا ان ياتيه
بحجر فاخذ الرجل حجرا ضعف عن حمله ووضعه في المحل فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ثم حمله
ووضعه في المحل المذكور وقال اتعلم به قبر اخي وادفن اليه من مات من اهلي اي ومن ثم دفن صلى الله عليه وسلم ولده
ابرهيم عند رجليه وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت قال ورايت
دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم على خدي عثمان اي وفي الاستيعاب انه مات بعد شهوده بدرا فلما غسل وكفن
قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولما دفن قال نعم السلف هو لنا وبين حيز عايشة رضي الله تعالى عنها السابق كما
لا يخفى وجعل النساء يبكين فجعل عمر رضي الله تعالى عنه يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر
ثم قال اياكن ونعيق الشيطان ومهما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان وقالت
امراته وهي خولة بنت حكيم رضي الله تعالى عنها وقيل ام العلاء الانصارية وكان نزل عليها وقيل ام خارجة بن زيد طب هنيئا
لك الجنة ابا السايب فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة غضب وقال لها ما يدريك فقالت يا رسول الله فارسك
وصاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادري ما يفعل بي فاشفق الناس على عثمان وعن عايشة رضي الله تعالى عنها

ان خولة بنت حكيم دخلت عليها وهي ملتوية الحال فقالت لها عائشة ما بالك فقالت زوجي يعني عثمان بن مظعون يقوم الليل
ويصوم النهار فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة رضي الله تعالى عنها فذكرت له ذلك فلقي عثمان فقال له
يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا اما لك في اسوة والله ان لاخشاكم لله واحفظكم لحدوده لانا اي وسماه صلى الله
عليه وسلم السلف الصالح فقال عند دفن ولده ابراهيم الحق بسلفنا الصالح وقال صلى الله عليه وسلم عند دفن بنت
بنته الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ومات اسعد بن زرارة رضي تعالى عنه ووجد اي حزن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجدا شديدا عليه وكان رضي الله تعالى عنه نقيبا بعده اي بعد ان قالوا له صلى الله عليه وسلم اجعل
لنا رجلا مكانه يقيم من امرنا ما كان يقيم فقال لهم صلى الله عليه وسلم انتم اخوالي وانا نقيبكم وكره ان يخص بذلك بعضهم
دون بعض فكانت من مفاخرهم ووهم ابن منده وابو نعيم في قولهما ان ابا امامة كان نقيبا لبني ساعدة لانه صلى الله عليه وسلم
كان جعل نقيب كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب بني ساعدة سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه اي وقد قيل ان قبل قدومه
صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب هو واصحابه فصلى على قبره وقال اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه وقد فعلت وهي
اول صلاة صليت على الميت في الاسلام بناء على ان المراد بالصلاة حقيقتها والا جاز ان يراد بالصلاة الدعاء ويوافق
ذلك قول الامتاع لم اجد في شيء من كتب السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على عثمان
بن مظعون رضي الله عنه وقد مات في السنة الثانية وكذلك اسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه مات في السنة الاولى
ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم ما فيه وكتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود اي بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير اي هادنهم على ترك
الحرب والاذى اي لا يحاربوهم ولا يؤذوهم ولا يعينوا عليه احدا وانه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم واقرهم على دينهم
واموالهم وتقدم ذكر في الاصل صورة الكتاب واخا صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دار انس بن مالك رضي الله
تعالى عنه وهي دار ابي طلحة زوج ام انس بن مالك رضي الله عنه اي واسمه زيد بن سهل وعقبه ركب البحر غازيا فمات فلم يجدوا
جزيرة يدفنوه فيها الا بعد سبعة ايام فدفنوه بها ولم يتغير وعن انس رضي الله تعالى عنه ان ابا طلحة لم يكن يكثر من
الصوم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الغزو فلما مات صلى الله عليه وسلم سرد الصوم وكانت المواخاة
بعد بناء المسجد وقيل والمسجد يبنى على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام وفي لفظ
دون القرابة فقال تاخوا في الله اخوين اخوين قول ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى عن زيد بن ابي اوفى
قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فجعل يقول اين فلان اين فلان فلم يزل صلى الله عليه
وسلم يتفقدهم ويبعث اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال اني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ان الله
اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا هذه الاية الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس واني اصطفي منكم من احب ان
اصطفيه واواخي بينكم كما اخى الله بين الملائكة قم يا ابا بكر فقام رضي الله تعالى عنه فجثى بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال ان
لك عندي يدا يجزيك بها ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك خليلا فانت مني بمنزلة قميصي من جسدي وحرك قميصه
بيده ثم قال صلى الله عليه وسلم قد كنت شديد البأس علينا يا ابا حفص فدعوت الله ان يعز بك الدين او بابي جهل
ففعل ذلك بك وكنت احبهما الى الله تعالى فانت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الامة واخا صلى الله عليه
وسلم بينه وبين ابي بكر رضي الله تعالى عنه هذا كلام ابن الجوزي وهو يقتضي انه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة
اخا بين المهاجرين ويكون من ابي بكر وفي اشعر والمعروف المشهور ان المواخاة انما وقعت مرتين بين المهاجرين قبل الهجرة

ومرة بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة والله اعلم ويقال لذلك فلعلهم كانوا اذ ذاك خمسين من المهاجرين وخمسين
من الانصار اي وقيل كانوا تسعين فاخا صلى الله عليه وسلم بين ابي بكر وخارجة بن زيد وكان صهرا لابي بكر رضي الله
تعالى عنهما كانت ابنته تحت ابي بكر وبين عمر وعتبان بن مالك رضي الله تعالى عنهما وبين اسيد بن حضير وبين زيد بن حارثة
رضي الله تعالى عنهما وكان اسيد رضي الله تعالى عنه ممن كناه النبي صلى الله عليه وسلم كناه ابا عيسى وكان من
احسن الناس صوتا بالقران احد العقلاء اهل الراي وكان الصديق رضي الله تعالى عنه يكرمه ولا يقدم عليه احدا
واخا صلى الله عليه وسلم بين ابي عبيدة وسعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه واخا بين عبد الرحمن بن عوف وبين
سعد بن الربيع وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمن رضي الله تعالى عنهما يا عبد الرحمن اني من اكثر الانصار مالا
فانا مقاسمك وعندي امراتان فانا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال بارك الله لك في اهلك ومالك وفي
الاصل عن ابن اسحق رحمه الله اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين والانصار وقال تاخوا
في الله اخوين اخوين وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم اخا بين حمزة وبين زيد بن حارثة واليه اوصى حمزة يوم
احد ليتامل فانهما مهاجران ثم اخا صلى الله عليه وسلم بين جعفر بن ابي طالب وهو غائب بالحبشة وبين معاذ بن جبل
رضي الله تعالى عنه اي ارصد معاذ الاخوة جعفر اذا قدم من الحبشة ويرده ما قيل جعفر بن ابي طالب انما قدم في فتح
خيبر سنة سبع فكيف يواخي بينه وبين معاذ بن جبل اول مقدمه عليه الصلاة والسلام واخا صلى الله عليه وسلم بين ابي
ذر الغفاري والمنذر بن عمرو وبين حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وبين مصعب بن عمير وابي ايوب الانصاري وفي
الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم اخا بين سلمان وابي الدرداء وجاء سلمان رضي الله تعالى عنه لابي الدرداء زائرا
فراى ام الدرداء متبذلة فقال ما شانك قالت رضي الله تعالى عنها ان اخاك ليس له حاجة في شيء من الدنيا فقال لها
سلمان رضي الله تعالى عنه ان لربك عليك حقا ولاهلك عليك حقا فسال ابو الدرداء رضي الله عنه فقال له مثل ما قال
سلمان ولعل هذه المواخاة بين سلمان وابي الدرداء كانت بعد عتق سلمان لانه تاخر عتقه عن احد لان اول مشاهده الخندق كما تقدم
وروى الامام احمد عن انس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم اخا بين ابي عبيدة وبين ابي طلحة ورواه مسلم ايضا وقد تقدم
انه صلى الله عليه وسلم اخا بينه وبين سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنهما وقال المهاجرون يا رسول الله ما راينا مثل قوم قدمنا
عليهم احسن مواساة في قليل ولا احسن بذلا في كثير كفونا المؤنة واشركونا في المهنا اي الجزية حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر
كله قال لا ما اثنيتم عليهم ودعوتم لهم فان ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم حصل منكم نوع مكافاة قال بعضهم والمواخاة من خصائصه صلى
الله عليه وسلم قال من لي بعياش بن ابي ربيعة وهشام بن العاص اي المحبوسين عند قريش المانعين لهما من الهجرة فقال الوليد بن الوليد
بن المغيرة اي بعد ان خرج الى المدينة من حبس اهله له بمكة كما تقدم انا لك يا رسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فلقي
امراة تحمل طعاما فقال لها اين تريدين يا امة الله قالت اريد هذين المحبوسين نعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكان بيتا لا سقف
له فلما امسى تسور عليهما ثم اخذ مروة اي حجرا فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة ثم
حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت اصبعه فانشد اي متمثلا هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت ثم
قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم ان ذلك يرد القول بان عياشا رضي الله تعالى عنه استمر محبوسا
حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وتقدم دعاؤه صلى الله عليه وسلم في قنوت الصبح بقوله اللهم انج الوليد
بن المغيرة او يقال قبل ان يتخلص من حبسه بمكة اي فان الوليد اسر يوم بدر اسره عبد الله بن جحش رضي الله تعالى
عنه فقدم في فدائه اخواه خالد لابيه وهشام وكان لامه وابيه ومن ثم ابى عبد الله ان ياخذ في فداء الوليد

الا اربعة الاف درهم وصلوا خالدا في ذلك قال له هشام انه ليس بابن مالك والله لو ابى غيك الا كذا وكذا لفعلت ويقال
انه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه لا تقبل في فداية الا سلاحا بيده وهي درع فضافة
معوقة بانة دينار فطاعا بها وسلمها الى عبد الله فلما افتدى وقدم مكة اسلم فقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدي فقال
كرهت ان يظنوا بي اني جزعت من الاسار فلما اسلم حبسه اهله بمكة ثم افلت فلحق برسول الله صلى الله عليه
وسلم وشهد عمرة القضا وكتب الى اخيه خالد الذي وقع الاسلام في قلبه خالد الذي كان خالد رضي الله تعالى عنه من جملة من خرج
من مكة فادى ليلا ايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كراهة للاسلام فكتب له اخوه الوليد رضي الله عنه
بذلك ففي مدة حبس الوليد رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اذا صلى العشاء الاخرة فقنت في الركعة
الاخيرة يقول اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم انج سلمة ابن هشام اللهم نج عياش بن ربيعة اللهم نج هشام بن
العاص اللهم نج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين مثل سنين يوسف
ما كلوا العلهز ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم يدعو للمستضعفين حتى نجاهم الله اي بعد ان نجا عياشا وهشاما والوليد
اقول هذه الرواية تدل على انه كان يدعو بما ذكر في الركعة الاخيرة من العشاء وفي البخاري ان ذلك كان
في الركعة الاخيرة من الصبح وقد يقال لا مخالفة لانه كان تارة يدعو في الركعة الاخيرة من صلوة العشاء الاخرة
وتارة في الركعة الاخيرة من الصبح او كان يدعو بذلك فيهما وكل يروي بحسب ما راى والله اعلم ثم لا زال المهاجرون
والانصار يتوارثون بذلك الاخا دون القرابات الى ان نزل قوله تعالى في وقعة بدر واولوا الارحام اي القرابات
بعضهم اولى ببعض اي في الارث في كتاب الله اي اللوح المحفوظ بحيث ذلك اي لانه كان الغرض من المواخاة ذهاب
ذهاب وحشة الغربة ومفارقة الاهل والعشيرة وشد ازر بعضهم لبعض فلما عز الاسلام واجتمع القرابة وذهبت
الوحشة بطل التوارث ورجع كل انسان الى نسبه وعصبته وعترته ومن ثم قيل لزيد بن حارثة زيد بن حارثة
بعد ان كان يقال له زيد بن محمد اقول تقدم ان سبب امتناع ان يقال بن محمد نزول قوله تعالى ادعوهم لابائهم
اي ومن ثم قيل المقداد بن عمرو وكان يقال له المقداد بن الاسود لان الاسود كان تبناه في الجاهلية ومن لم يعرف
ابوه رد الى مواليه ومن ثم قيل لسالم مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بعد ان كان يقال له سالم ابن
ابي حذيفة فكان ابو حذيفة يرى انه ابنه ومن ثم انكحه ابنة اخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وجاءت سهلة بنت
سهيل بن عمرو امراة حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان
يدخل علي وقد بلغ ما يبلغ الرجال وانه يدخل علي واظن في نفس ابي حذيفة من ذلك شيئا فاذا نرى فيه فقال ارضعيه
تحرمي عليه وعن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لعائشة رضي الله تعالى عنها ما نرى هذه الا رخصة رخصها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم وكان سالم رضي الله تعالى عنه يوم المهاجرين الاولين في مسجد قباء فيهم ابو بكر
وعمر وفي ينبوع الحياة كانت المواخاة بين المهاجرين والانصار توجب التوارث بينهم ثم نسخ ذلك قبل العمل به
واما قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا يتوارثون بذلك حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فمعناه
انهم التزموا هذا الحكم وعقدوا به ومن المشكل ما نقل المحنات بضم الحاء وفتح المثناة فوق مخففة كان صلى الله عليه
وسلم اخى بينه وبين معاوية فلما مات المحنات من معاوية فهل افتقر ميراثه بالاخوة مع وجود الاخوة ثم رايت
الحافظ ابن حجر في الاصابة ذكر ذلك وتعقبه والله اعلم

باب بدء الاذان ومشروعيته اي والاقامة
ومشروعيتها وكل منهما من خصائص هذه الامة كما ان من خصائصها الركوع والجماعة وافتتاح الصلوة بالتكبير

فان صلوة

ثان صلوة الامم السابقة كانت لا ركوع فيها ولا جماعة وكانت الانبياء كالامم يستفتحون الصلوة بالتوحيد والتسبيح والتهليل
اي وكان دابه صلى الله عليه وسلم في احرامه لفظ الله اكبر ولم ينقل عنه سواها اي كالنية ولا يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم
اسجدي واركعي مع الراكعين لان المراد في ذلك الخضوع او الصلوة لا الركوع المعهود كما قيل لكن في البغوي قيل انما قدم السجود
على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها والواو ليست للترتيب بل للجمع
هذا كلامه ثم تأملنا مع كان وجد ذلك اي الاذان والاقامة في السنة الاولى وقيل في الثانية ان الناس انما كانوا يجتمعون للصلوة
لتحين مواقيتها اي لدخول اوقاتها من غير دعوة اي معلقة لابن المنذر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت
الصلوة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقع التشاور في ذلك وقعت احاديث على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة من تلك الاحاديث
ما في الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به
وعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب هو حديث موضوع ومنها ما رواه ابن مردويه عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعا لما اسري بي
اذن جبريل عليه السلام فظنت الملائكة انه اي جبريل يصلي بهم فقدمني فصليت قال الذهبي انه حديث منكر بل موضوع
هذا كلامه على انه يدل على ان المراد بالاذان الاقامة كما تقدم انها المرادة بالاذان انتهى اقول ومن اغرب ما وقع
في بدء الاذان ما رواه ابو نعيم في الحلية بسند فيه مجاهيل ان جبريل نادى بالاذان لادم حين اهبط من الجنة وسئل
الحافظ السيوطي هل ورد ان بلالا او غيره اذن بمكة قبل الهجرة فاجاب بقوله ورد ذلك باسانيد ضعيفة لا يعتمد
عليها والمشهور الذي صححه اكثر العلماء ودلت عليه الاحاديث الصحيحة ان الاذان انما شرع بعد الهجرة وانه لم يؤذن
قبلها لا بلال ولا غيره وذكر في الدر في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا انها نزلت بمكة في شان
المؤذنين والاذان انما شرع في المدينة فهي مما تاخر حكمه عن نزوله هذا كلامه وفي كلام الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث
ذكر ان المحققين انه لا يصح شيء من الاحاديث الدالة على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة وذكر ما تقدم عن ابن المنذر من انه
صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلوة بمكة الى ان هاجر صلى الله عليه وسلم هو واصحابه كيف
يجمع الناس للصلوة فقيل له انصب راية عند حضور الصلوة فاذا راها الناس اذن اي اعلم بعضهم بعضا فلم يعجبه
ذلك فذكر له قرن يعود اي ويقال له الشبور بفتح المعجمة ثم موحدة مشددة مضمومة ثم واو ساكنة ثم را فيقال له القنع بضم
القاف واسكان الموحدة وقيل بفتحها وقيل باسكان النون والعين المهملة قال السهيلي وهو اولى بالصواب وقيل
بالمثناة فوق وقيل بالمثلثة وهو القرن الذي يدعون به لصلوتهم اي يجتمعون لها عند سماع صوته فكرهه صلى الله عليه
وسلم وقال هو من امر اليهود فذكر له الناقوس الذي يدعون به النصارى لصلاتهم فقال هو من امر النصارى فقالوا له
لو رفعنا نارا اي فاذا راها الناس اقبلوا الى الصلوة فقال ذلك للمجوس وقيل كما في حديث الشيخين عن ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما او لا تبعثون رجلا ينادي بالصلوة اي بحضورها اي فيفعلوا ذلك وكان المنادي بلال رضي الله تعالى عنه قال
الحافظ ابن حجر وكان اللفظ الذي ينادي به بلال اي قيل له يا عبد الله الصلوة جامعة كما رواه ابن سعد وسعيد
بن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلا وفيها وانه صلى الله عليه وسلم قال لقد هممت ان ابعث رجالا ينادون الناس
حين الصلوة اي فيجتمعوا اي فحفظها وقد هممت ان امر رجلا يقوم على الاطام ينادي المسلمين محتبا ولعل هذا
كان منه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع ما تقدم عن بلال ثم امر بلالا بما تقدم وقيل اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو واصحابه بالناقوس اي اتفقوا عليه ليضرب عليها مخشبة صغيرة فنام عبد الله بن زيد فراى الاذان اي والاقامة
في منامه فعنه رضي الله تعالى عنه قال لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فطاف بي وانا نائم رجل وفي لفظ

ويكل

ان لبين نائم ويقظان طاف بي رجل والمراد انه نام نوما خفيفا قريبا من اليقظة فهو كالمتوسط بين النوم واليقظة قال الحافظ
السيوطي الاظهر من هذا ان يحمل على الحالة التي تعتري ارباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة
رضي الله تعالى عنهم اجمعين هم رؤس ارباب الاحوال اي وهذه الحالة التي عناها الشيخ عبد الله الدلاصي بقوله كنت بالمسجد
الحرام في صلوة الصبح فلما احرم الامام واحرمت اخذتني اخذة فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اماما وخلفه
العشرة فصليت معهم فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى سورة المدثر وفي الثانية عم يتساءلون ثم سلم
الامام فعقلت تسليمه فسلمت اي ويدل لذلك قول عبد الله بن زيد كما جاء في رواية ولولا ان يقول الناس لن يستبعدوا
الناس ذلك لقلت اني كنت يقظانا غير نائم وقال ثالثة طاف لي رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله
ابيع الناقوس فقال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلوة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى اي وفي
رواية فقلت اتبيع الناقوس قال ماذا تريد به فقلت اريد ان ابتاعه لكي اضرب به للصلوة لجماعة الناس قال فانا احدثك
بخير لكم من ذلك فقلت بلى قال تقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله الله اكبر اشهد ان محمدا رسول
الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلوة حي على الصلوة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا
الله قال عبد الله ثم استاخر عني اي غير بعيد ثم قال وتقول اذا قمت الى الصلوة الله اكبر الله اكبر اشهد
ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلوة حي على الفلاح قد قامت الصلوة قد قامت الصلوة الله اكبر
الله اكبر لا اله الا الله اي ففي الرواية افراد الفاظ الاقامة الا لفظها ولفظ التكبير اولا واخرا وفي رواية راي رجلا
عليه ثياب خضر وهو قائم على سقف المسجد وفي رواية على جذم حائط بكسر الجيم وسكون المعجمة اي اصل الحائط ولا
مخالفة لما سيعلم فاذن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها او مثل الكلمات التي هي الاذان غير هذه الرواية تثنية الفاظ
الاقامة والاتيان في التكبير بها اولها اربعا كالاذان او وهذا اي كونه على سقف المسجد وكونه على جذم حائط لا مخالفة
بينهما لانه يجوز ان يكون الملك لما يقول الله اكبر الى اخر الاذان والاقامة كان قائما على سقف المسجد قريبا من جذم
الحائط فنسب قيامه الى كل منهما ويكون قوله ثم استاخر عني غير بعيد اي سكت غير طويل قال عبد الله فلما اصبحت
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما رايت اي وفي رواية انه اتاه ليلا واخبره وهي المذكورة في سيرة الحافظ
الدمياطي ولا منافاة لانه يجوز ان يكون قول عبد الله فلما اصبحت اي قاربت الصباح فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله تعالى فقم مع بلال فالق عليه ما رايت فليؤذن به فانه اندى وفي رواية امد صوتا منك
اي اعلا وارفع وقيل واعذب ولا مانع من ارادة ذلك كله قال فقمت مع بلال وفي رواية فقال لبلال قم فانظر ما امرك به
عبد الله بن زيد فافعله فجعلت القيه عليه ويؤذن به اي بلال اول من اذن به صلى الله عليه وسلم اي وقيل اول من اذن
عبد الله بن زيد ذكره الامام الغزالي وانكره ابن الصلاح اي حيث قال لم اجد هذا بعد البحث عنه هذا كلامه وقد يقال
لا منافاة لان عبد الله اول من نطق بالاذان وبلال اول من اعلن به وحينئذ يكون اول مشروعيته كان في
اذان الصبح فلما سمع بذلك اي باذان بلال عمر ابن الخطاب وهو في بيته خرج يجر رداءه وفي رواية ازاره يجر اي
وهو يعلم بالقصة يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رايت مثل ما راى يعني ابن زيد رضي الله تعالى عنه
وفي رواية مثل ما يقول اي بلال رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد قال الزهري
عبد الله بن زيد هو عبد ربه لا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يصح الا هذا الحديث الواحد
في الاذان وقيل راى مثله عبد الله ابو بكر رضي الله عنه وقيل سبعة من الانصار وقيل اربعة عشر كذا

الصلاح اجد هذا بعد امعان البحث وتبعه النووي فقال هذا ليس بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج عمر يجر رداءه وقيل
راه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى سمع ملكا يؤذن اي فقد جاء في حديث بعض رواته متروك بل قيل انه من وضعه
انه لما اراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان جاء جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى بها
الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك خرج من الحجاب ملك فقال الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا
اكبر وذكر بقية الاذان فقوله يا عبد الله دلت على ان هذا الذي راه في السماء ويكون شرع في الارض عند الصلوات الخمس
اي التي فرضت عليه تلك الليلة او بعد ذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله وفيه ان الذي تقدم عن الخصائص ان المراد بهذا الاذان
الذي اتى به الملك الاقامة لا حقيقة الاذان ويدل لذلك ان الملك قال غير مرة قد قامت الصلوة قد قامت الصلوة فقال الله صدق عبدي
اذا قمت فريضتها ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فام اهل السماء فيهم ادم ونوح قال بعضهم والاذان ثبت بحديث
عبد الله بن زيد باجماع الامة لا يعرف بينهم خلاف في ذلك الا ما روي عن محمد بن الحنفية وعن ابي العلاء قال قلت لمحمد بن
الحنفية انا لنتحدث ان بدء هذا الاذان كان من رؤيا راها رجل من الانصار في منامه قال ففزع لذلك محمد بن الحنفية
فزعا شديدا وقال عمدتم الى ما هو الاصل في شرائع الاسلام ومعالم دينكم فزعمتم انه انما كان من رؤيا راها رجل من
الانصار في منامه يحتمل الصدق والكذب وقد تكون اضغاث احلام قال فقلت له هذا الحديث قد استفاض في الناس قال هذا والله
هو الباطل ثم قال وانما اخبرني ابي ان جبريل عليه السلام اذن في بيت المقدس ليلة الاسرى واقام ثم اعاد جبريل عليه السلام الاذان
لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء فسمعه عبيد الله بن زيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي رواية عنه انه لما انتهى الى مكان
من السماء وقف به وبعث الله ملكا فقيل له علمه الاذان فقال الملك الله اكبر فقال الله صدق عبدي انا الله الاكبر الى ان قال
قامت الصلوة قد قامت الصلوة وفيه ما علمت ان هذا اقامة لا اذان وقد رد عليه بانه لو ثبت بقول جبريل عليه السلام لما احتاج
صلى الله عليه وسلم الى المشورة والمعراج كان بمكة قبل الهجرة الاولى ان يتمسك بن الحنفية بما ياتي من بعض الروايات من قوله
صلى الله عليه وسلم لعبد الله قد سبقك بذلك الوحي وكونه اتى البراق الى الحجاب هو بناء على ان العروج كان على البراق وتقدم ما فيه
ويحتمل ان يكون هذا عروج اخر غير ذلك وحينئذ لا يخالف هذا ما تقدم انه لما اسري به اذن جبريل عليه السلام وتقدم ما فيه و
لا ما جاء عن علي كرم الله وجهه مؤذن اهل السماء جبريل ان حمل ذلك على الغالب وحينئذ لا يخالف ايضا ما جاء اسرافيل مؤذن
اهل السماء وامامهم ميكائيل عند البيت المعمور وفي لفظ يؤم بالملائكة عند البيت المعمور ولعل كون ميكائيل امام اهل السماء
لا يخالف ما جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها امام اهل السماء جبريل وجاء ان مؤذن اهل السماء يؤذن لاثني عشر ساعة من النهار
ولاثني عشر ساعة من الليل اقول في الغرض لو داه اي بالاذان ليلة الاسرى الوحي به المسلمين الى الصلوة وبعد بانه لم يكن
يعلم قبل هذه الرواية ان ما راه في السماء يكون سنة في الارض كما تقدم في عبارة بعضهم ولا يشكل على اذان جبريل عليه السلام
ببيت المقدس ان الاذان انما كان بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسرى قبل مشروعية الصلوات الخمس وهذا
كله على تسليم ان المرئي له الاذان حقيقة لا الاقامة وقد علمت ما فيه ثم رايت بعضهم قال قال القرطبي لا يلزم من كونه سمعه
ليلة الاسرى ان يكون مشروعا في حقه وفيه نظر لقوله فلما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الاذان
لان المتبادر تعليمه الاذان الذي ياتي به في الارض وقد يقال على تسليم ذلك قد علمت ان المراد الاذان التي سمعه ليلة
الاسرى الاقامة قال الحافظ ابن حجر العسقلاني انه لم يصح شيء من هذه الاحاديث الواردة بانه صلى الله عليه وسلم
سمعه ليلة الاسرى اي ومن ثم قال ابن كثير رحمه الله تعالى في بعض الاحاديث الواردة بانه سمع هذا الاذان في
السماء ليلة المعراج هذا الحديث ليس كما زعم البيهقي انه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر ابو الجارود الذي

لسبب اليه الرؤيا المنامية وهو من المتقين وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى حيث صلى الله عليه وسلم بذكر اسمه في الاذان
نوه بعد آدم وفي الملكوت الاعلى والله اعلم اي وروي بسند ضعيف ان اول من اذن بالصلوة جبريل عليه السلام في سماء
الدنيا فسمعه عمر وبلال رضي الله تعالى عنهم فسبق عمر بلالا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء بلال فقال له سبقك
بها عمر وهذا الاول الذي فيه لانه يجوز ان يكون ذلك بعد رؤيا عبد الله وتذكر ان عمر رضي الله تعالى عنه رآه من عشرين يوما
ولما اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال له ما منعك ان تخبرني قال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت اقول في
هذا الكلام ما لا يخفى فليتامل والله اعلم وقيل انما قال له انها رؤيا حق لانه يجوز ان يكون جاءه صلى الله عليه وسلم
الوحي بذلك قبل ان يجيء اليه عبد الله بن زيد به ومن ثم قال له حين اخبره بذلك الوحي فالاذان انما ثبت
بالوحي لا بمجرد رؤيا عبد الله قال بعضهم في قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا الاية كانت اليهود
اذا نودي للصلوة وقام المسلمون اليها يقولون قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء وفيها دليل على مشروعية
الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده هذا كلامه ورده ابو حيان بان هذه جملة شرطية دلت على سبق المشروعية لا على
انشائها هذا كلامه اي وذلك على تسليم ان يكون المدعو به للصلوة خصوص اللفظ الذي عهد في المنام اي عهد بل النداء
للصلوة الخمس وينادي للناس لغير الصلوات الخمس لامر يحدث يطلب له حضور الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء
الصلوة جامعة وقيل كان بلال اذا اذن قال اشهد ان لا اله الا الله حي على الصلوة فقال له عمر على اثرها اشهد ان محمدا
رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال قل كما قال عمر وهذا يدعى ان ابن حجر في حديث متروك رواية ضعيفة
ولولا التعبير بكان لامكن حمل ذلك على ان بلالا اتى بذلك ناسيا في ذلك الوقت لما علمه عبد الله بن زيد ثم رأيت ابن
حجر الهيتمي قال والحديث الصحيح الثابت في مشروعية الاذان يرد على هذا كلام قيل وزاد بلال في اذان
الصبح بعد الحيعلات الصلوة خير من النوم مرتين فاقرها صلى الله عليه وسلم نائم فصرخ باعلى صوته الصلوة
خير من النوم اقول وهذا يقال له التثويب وذكر فقهاؤنا انه صلى الله عليه وسلم لقن ذلك لابي محذورة
لان تعليم ابي محذورة للاذان كان عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من حنين على ما سياتي وكذا ما ورد من انه
صلى الله عليه وسلم قال ان ذلك من السنة لانه يجوز ان يكون ذلك صدر منه بعد ان اقر بلالا عليه ثم
ذكروا انه لم ينقل ان ابن مكتوم كان يقوله اي كما يقول بلال في الاذان الاول وهو يدل لمن قال انه انما قيل
في الاذان الاول لا يقال في الثاني لان اذانه للصبح كان متاخرا عن اذان بلال في اكثر الاحوال وهو ما جاء في
كثير من الاحاديث ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم وهو عند الاكثر محمل ما جاء ان
ابن مكتوم ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال ان ابن ام مكتوم اعمى فاذا اذن ابن ام مكتوم فكلوا واذا اذن بلال
فامسكوا ولا تاكلوا والراجح انه يقوله فيهما لكن ربما يخالف ذلك ما في الموطأ ان المؤذن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده
نائما فقال الصلوة خير من النوم فامره عمر رضي الله تعالى عنه ان يجعلها في نداء الصبح وفي الترمذي ان بلالا قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثويب في شيء من الصلوة اي من اذان الصلوة الا في صلوة الفجر اي بقول الصلوة وعن ابن
عمر رضي الله تعالى عنهما انه سمع الاذان في مسجد فاراد ان يصلي فيه فسمع المؤذن يثوب في غير الصبح فقال الرفيق
لما اخرج بنا من عند هذا المبتدع فان هذه بدعة انه سمع المؤذن يقول بين الاذان والاقامة على باب المسجد
الصلوة الصلوة وهذا هو المراد بالتثويب الذي سمعه ابن عمر كما قاله بعضهم وفي كلام بعضهم من المحدثات ان
المؤذن يجيء بين الاذان والاقامة الى باب المسجد فيقول حي على الصلوة واول من احدثه مؤذن معاوية

رضي الله

رضي الله تعالى عنه فكان يأتيه بعد الاذان وقبل الاقامة يقول حي على الصلوة حي على الفلاح حي على الفلاح يرحمك الله

حي على الصلوة

اما قول المؤذن بين الاذان والاقامة الصلوة الصلوة فليس ببدعة لان بلالا كان يقول ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم واما قوله حي على الصلوة فهذا لم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم ثم رأيت في تجريد المباحث في احكام البدع
والحوادث اختلف الفقهاء في جواز دعاء الامير الى الصلوة بعد الاذان وقبل الاقامة بان المؤذن بباب
الامير فيقول حي على الصلوة حي على الفلاح ايها الامير وهذا التثويب فاحتج من قال بجوازه اي بسنيته اي
بلالا كان اذا اذن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول حي على الصلوة حي على الفلاح الصلوة يرحمك الله
اي كما يفعل مؤذن معاوية فليس من المحدثات وفي الحديث المشهور انه في مرضه صلى الله عليه وسلم اتاه
بلال فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الصلوة يرحمك الله فقال صلى الله عليه وسلم
مروا ابا بكر فليصل بالناس واحتج من قال بالمنع بان عمر رضي الله عنه لما قدم مكة اتاه ابو محذورة فقال الصلوة يا امير المؤمنين
حي على الصلوة حي على الفلاح فقال ويحك مجنون انت اما كان في دعائك الذي دعوته ما يكفيك حتى تاتينا ولو كان
هذا سنة لم ينكر عليه وكون عمر رضي الله تعالى عنه لم يبلغه فعل بلال من البعيد وعن ابي يوسف لا ارى باسا ان يقول المؤذن
السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته حي على الصلوة حي على الفلاح الصلوة يرحمك الله لاشتغال الامراء بمصالح المسلمين
اي ولهذا كان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يفعله وذكر بعضهم ان في دولة بني بويه كانت الرافضة تقول بعد الحيعلتين
حي على خير العمل فلما كانت دولة السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك وامروا ان يقولوا في اذان الصبح بدلها الصلوة خير من النوم مرتين
وذلك في سنة ثمان واربعين واربعمائة ونقل عن ابن عمر وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم انهما كانا يقولان في اذانهما بعد
حي على الصلوة حي على خير العمل وعدد الترجيع في خبر اذان ابي محذورة ايضا وهو ان يخفض صوته بالشهادتين قبل رفعه
بهما ففي مسلم عن ابي محذورة انه قال قلت يا رسول الله علمني سنة الاذان قال فمسح مقدم رأسي وقال تقول اشهد ان
لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله وكان ابو محذورة يشفع الاقامة
كالاذان اي يكرر الفاظها فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان
محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلوة حي على الصلوة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر
لا اله الا الله لقنه صلى الله عليه وسلم ذلك وهي الرواية الثانية التي تقدمت عن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى
عنه وذكر الامام ابو العباس بن تيمية رحمه الله تعالى ان النقل ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم علم ابا محذورة
الاذان وفيه الترجيع والاقامة مثناة كالاذان وبلالا كان يشفع الاذان ويوتر الاقامة اي ولا يرجع الاذان ففي الصحيح
امر بلال ان يشفع الاذان اي من شفع الاذان التكبير اوله اربعا ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم الاقتصار فيه
على مرتين وان كان هو عمل اهل المدينة كما سياتي ثم يرد على شفع الاذان التهليل آخره فانه مفرد فالاولى ان يقال يشفع معظم
الاذان ويوتر الاقامة الا الاقامة اي لفظها اي قد قامت الصلوة فانه يكررها مرتين يقول قد قامت الصلوة قد قامت الصلوة
ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم افرادها السنة اي وان كان هو عمل اهل المدينة كما سياتي وصح عنه تكرير لفظ التكبير مرتين اولا
وآخرا وحينئذ يكون المراد بافراد الاقامة افراد معظمها فكان يقول في الاقامة الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا
الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلوة حي على الفلاح قد قامت الصلوة قد قامت الصلوة الله اكبر الله اكبر
لا اله الا الله ولم يكن في اذانه ترجيع وهو الاتيان بالشهادتين مرتين سرا ثم ياتي بهما جهرا اي كما تقدم قال
نقل افراد الاقامة صحيح بلا ريب وتثنيتها صحيح بلا ريب ايضا كما روي عن عبد الله بن زيد كما علمت قال اي ابن تيمية

واحمد رحمه الله اخذا باذان بلال واقامته فلم يستحبوا الترجيع في الاذان واستحبوا افراد الاقامة الا لفظها والشافعي رضي الله
تعالى عنه اخذ باذان ابي محذورة واقامة بلال فاستحب الترجيع في الاذان والافراد في الاقامة الا لفظها وابو حنيفة رحمه
الله اخذ باذان بلال واقامة ابي محذورة اي فلم يستحب الترجيع وتثنية الفاظ الاقامة قال في الهدي وعمل مالك رضي
الله تعالى عنه بما عليه عمل اهل المدينة من الاقتصار في التكبير على مرتين في الاذان وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة اي
ولعل هذا بحسب ما كان في المدينة لا منافيا بما [illegible] ولم يزل ولد ابي محذورة وهم الذين يكون الاذان بمكة يفرد
دون الاقامة اي معظم الفاظها ويحكونه عن جدهم بالاقامة فرادى واستمراره [illegible] على تلك كان يأمره
منه صلى الله عليه وسلم بذلك عند امره اولا لتثنيتها اي فيكون اخر امريه [illegible] وقد قيل لاحمد رضي الله تعالى عنه
وكان يأخذ باذان بلال اي كما تقدم اليس اذان ابي محذورة بعد اذان بلال اي لان النبي صلى الله عليه وسلم انما
امره به مرجعه من حنين على ما سياتي وهو الذي رواه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن ابي محذورة انه قال
خرجت في نفر وكنا ببعض طريق حنين مقفله رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين فلقينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض الطريق فاذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون اي على
طريق معرضا فحكيناه ونستهزئ به فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فارسل الينا الى ان وقفنا بين يديه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايكم الذي سمعت صوته قد ارتفع فاشار الي القوم كلهم الى [illegible] وصدقوا فارسلهم وحبسني وقال
فاذن فقمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى علي التاذين هو بنفسه صلى الله عليه وسلم الحديث
ثم دعاني حين قضيت التاذين فاعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصيتي ثم امرها على وجهي ثم بين ثديي
ثم على كبدي حتى بلغت يده سرتي ثم قال بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يا رسول الله مرني بالتاذين بمكة فقال
صلى الله عليه وسلم قد امرتك به وذهب كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهة وعاد ذلك محبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن اسيد رضي الله تعالى عنه عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة
فاذنت بالصلوة عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل علمه صلى الله عليه وسلم ذلك يوم فتح مكة لما اذن
بلال رضي الله تعالى عنه الظهر على ظهر الكعبة وما دفية من قريش يستهزئون ببلال ويحكون صوته وكان منهم ابو
محذورة فاعجبه صلى الله عليه وسلم صوته فدعاه فعلمه الاذان وامره ان يؤذن لاهل مكة فليتامل الجمع وانما يوخذ بالاحدث
فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بالمتاخر عنه لان المتاخر ينسخ المتقدم فقال اليس لما عاد الى المدينة
اقر بلالا على اذانه قال ابو داود وتثنية الاذان وافراد الاقامة مذهب اكثر علماء الامصار وجرى به العمل في
الحرمين والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار مصر ونواحي المغرب [illegible] في المساجد التي تقام بها صلوة الاحكام بها فان الاقامة
مثنى كالاذان فيها ويتذكر ان الامام ابا يوسف رحمه الله ناظر امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه في المدينة بين
يدي الامام مالك رضي الله عنه والشيخ [illegible] الشافعي باحضار اولاد بلال واولاد سائر مؤذني رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال لهم كيف تلقيتم الاذان والاقامة من ابائكم فقالوا الاذان مثنى والاقامة فرادى هكذا تلقيناه من
ابائنا وابائنا عن اسلافنا الى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا رضي الله
عنه يقيم الصلوة فلما قال قد قامت الصلوة قال صلى الله عليه وسلم اقامها الله وادامها وفي البخاري من قال حين يسمع
النداء اي الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا
الذي وعدته وجبت له شفاعتي يوم القيمة قال بعضهم كان المؤذنون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا

بلال وابن ام مكتوم رضي الله تعالى عنهما فلما كان زمن عثمان رضي الله تعالى عنه جعلهم اربعا وزاد الناس بعده فلما مات صلى الله
عليه وسلم ترك بلال رضي الله عنه الاذان ولحق بالشام فمكث زمانا فراى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له
يا بلال جفوتنا وخرجت من جوارنا فاقصد الى زيارتنا فانتبه قال ما هذه الجفوة يا بلال ما ان لك ان تزورنا
فانتبه بلال رضي الله تعالى عنه فقصد المدينة فلما انتهى الى المدينة تلقاه الناس فاتى قبر النبي صلى الله عليه
وسلم وجعل يبكي عنده ويتمرغ عليه واقبل على الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما يقبلهما ويضمهما والحوا عليه ان
يؤذن فلما صعد رضي الله عنه ليؤذن اجتمع اهل المدينة رجالهم ونساؤهم وخرجت العذارى من خدورهن يسمعوا اذانه فلما قال
اشهد ان محمدا رسول الله لم يبق منهم احد الا بكى وكان ذلك اليوم كيوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف
الى الشام وكان يرجع الى المدينة في كل سنة مرة فينادي بالاذان الى ان مات رضي الله عنه اقول في كلام بعضهم كان
سعد القرظ مؤذنه صلى الله عليه وسلم بقباء فلما لحق بالشام ايام عمر رضي الله تعالى عنه امر سعد القرظ ان يؤذن في مسجد
رسول صلى الله عليه وسلم اي فان بلالا لما توفي صلى الله عليه وسلم جاء ابي بكر رضي الله عنه فقال يا خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افضل اعمال المؤمن الجهاد في سبيل الله وقد اردت
ان ارابط في سبيل الله حتى اموت فقال له ابو بكر رضي الله تعالى عنه انشدك الله يا بلال وحرمتي وحقي عليك ان
لا تفارقني فاقام بلال رضي الله تعالى عنه بالمدينة حتى توفي ابو بكر رضي الله تعالى عنه وهو يؤذن ثم جاء الى عمر رضي الله
تعالى عنه فقال له كما قال لابي بكر رضي الله عنه ورد عليه كما رد عليه ابو بكر رضي الله عنه فابى وخرج الى الشام مجاهدا و
في انس الجليل انه لما قدم امير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه بيت المقدس حضرت الصلوة فقال عمر رضي الله تعالى عنه يا بلال اذن
رحمك الله فقال بلال يا امير المؤمنين والله ما اردت ان اوذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد ولكن سا[illegible]
اذا امرتني في هذه الصلوة وحدها فلما اذن بلال رضي الله تعالى عنه وسمعت الصحابة رضي الله تعالى عنهم صوته تذكروا
النبي صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن في الصحابة يومئذ اطول بكاء من ابي عبيدة ومعاذ بن جبل رضي الله
تعالى عنهما حتى قال لهما عمر رضي الله تعالى عنه حسبكما يرحمكما الله قال فلم يؤذن بلال بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا مرة واحدة لما امره عمر رضي الله عنه بالاذان هذا ما في انس الجليل اي فالمراد بالمرة هذه التي كانت ببيت
المقدس وحينئذ هذا يخالف ما تقدم من انه استمر يؤذن مدة خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه وما
تقدم من الحاح الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما عليه في ان يؤذن عند مجيئه للمدينة الا ان يقال لم يؤذن خارج المدينة
فلا يخالف ما سبق من اذانه بعد الحاح الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما ولعل ما سبق كان بعد فتح بيت المقدس
بل وبعد موت الخلفاء الاربعة ثم رايت العزيز العراقي رحمه الله تعالى قال لم يؤذن بلال رضي الله عنه لاحد
من الخلفاء الا ان عمر رضي الله تعالى عنه لما قدم الشام حتى فتحها اذن بلال رضي الله عنه هذا الكلام فليتامل مع ما
سبق وفي الكتاب المذكور روي عن جابر رضي الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله اي الخلق اول دخول الجنة
قال الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من
قال مؤذنو البيت الحرام قال ثم من قال مؤذنو مسجدي قال ثم من قال سائر المؤذنين ثم رايت في نسخة من شرح المنهاج
للعبيري عن جابر رضي الله تعالى عنه تقديم مؤذن المسجد الحرام على مؤذني بيت المقدس ورايت في بعض الروايات
ما يوافقه وهي اول من يدخل الجنة بعدي ابو بكر رضي الله تعالى عنه ثم الفقراء ثم مؤذنو المسجد الحرام ثم مؤذنو
بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدي ثم سائرهم على مقدار اعمالهم وفي البعد السافرة عن جابر رضي الله تعالى عنه ان

رجلا قال يا رسول الله اي الخلق اول دخول الجنة يوم القيمة قال الانبياء ثم قال من قال الشهداء ثم قال من قال مؤذنو الكعبة قال ثم من
قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو مسجدي هذا قال ثم من قال سائر المؤذنين على قدر اعمالهم وفيها عن جابر رضي الله
تعالى عنه ايضا قال اول من يكسى من حلل الجنة ابرهيم عليه الصلوة والسلام ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل ثم يكسى
المؤذنون وجاء ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا يا رسول الله لقد تركتنا نتنافس في الاذان بعدك فقال اما انه
يكون قوم بعدكم سفلتهم مؤذنوهم قيل وهذه الزيادة منكرة وقال الدارقطني ليست محفوظة وجاء اذا اخذ المؤذن في اذانه
وضع الرب سبحانه وتعالى يده فوق راسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من اذانه وانه ليغفر له مد صوته فاذا فرغ قال الرب صدق عبدي
وشهدت شهادة الحق فابشروا والله اعلم قال [illegible] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان رجل من اليهود اي من التجار ومن
السيد من النصارى بالمدينة سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال اخزى الله الكاذب وفي رواية احرق الله الكاذب
فدخلت خادمه بنار وهو نائم واهله نيام وسقطت شرارة فاحرقت البيت واحترق هو واهله انتهى اي وفي بعض الاسفار
حضر وقت الصلوة اي صلوة الصبح فطلبوا بلالا رضي الله عنه يؤذن فلم يوجد اي لانه تخلف في السير عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذن زياد بن الحارث الصدائي اي بامره صلى الله عليه وسلم فقال له اذن يا اخا صداء وقد اتى من اليمن وعنه
رضي الله تعالى عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على قومي فقال لا خير في الامرة لرجل مؤمن فقلت حسبي
ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم سيرا فسرت معه فانقطع عنه اصحابه ولما [illegible] الفجر فقال لي يا اخا صداء اذن فاذنت فلما حضرت
الصلوة اراد بلال رضي الله عنه ان يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انما يقيم من اذن واختلف هل اذن صلى الله
عليه وسلم بنفسه فقيل نعم اذن مرة واستدل على ذلك بانه جاء في بعض الاحاديث اي وقد صح انه صلى الله عليه وسلم
اذن في السفر وصلى بهم على رواحلهم فتقدم على راحلته فصلى بهم يومي ايماء يجعل السجود اخفض من الركوع وقيل ما اذن وانما
امر بلالا رضي الله عنه بالاذان كما في بعض طرق ذلك الحديث والهدى وصلى بهم صلى الله عليه وسلم الفرض على الرواحل
لاجل المطر والطين وقد روى احمد والترمذي انه صلى الله عليه وسلم انتهى الى مضيق هو واصحابه والسماء من فوقهم
والبلة من اسفل منهم فحضرت الصلوة فامر المؤذن فاذن واقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم
الحديث والمفصل يقضي على المجمل ففي رواية اذن اختصارا اي امر بالاذان اي وهذا المجمل الذي يشير اليه هو فاذن
صلى الله عليه وسلم على راحلته واقام اي ويروى ان بلالا رضي الله عنه كان يبدل الشين فاسهد سينا فقال
صلى الله عليه وسلم سين بلال عند الله شين قال [illegible] كثير رحمه الله تعالى عنه لا اصل لرواية سين بلال شين
في الجنة ولا يلزم من كون هذه الرواية لا اصل لها ان تكون الرواية لذلك وكان بلال وابن ام مكتوم يتناوبان في اذان الصبح فكان احدهما
يؤذن بعد مضي نصف الليل الاول باق والثاني يؤذن بعد طلوع الفجر روى الشيخان ان بلالا لا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن
ابن ام مكتوم اي وفي مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدا منكم اذان
بلال او قال نداء بلال من سحوره فانه يؤذن او قال ينادي ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم انما يؤذن بليل بعد نصف الاول فيرجع القائم
المتهجد الى راحته لينام غفوة ليصبح نشيطا ويستيقظ النائم ليتاهب للصبح قال في الهدي وانقلب على بعض الرواة فقال ان ابن ام
مكتوم ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي بلال اي وقد علمت انه لا قلب وانهما كانا يتناوبان فكان بلال رضي الله تعالى
تارة يؤذن بليل وابن ام مكتوم عند الفجر الثاني وتارة يكون ابن ام مكتوم بالعكس فوقع كل من الاحاديث باعتبار ما هو
موجود عند النطق ولم يكن بين اذانيهما الا ان ينزل هذا ويرقى هذا اي ينزل المؤذن الاول من اذانه ويرقى المؤذن الثاني
ما ذكر حتى كان يؤذن اول الفجر يمكث بعد اذانه نحو الدعاء ثم يرقب الفجر اذا قارب طلوعه نزل فاخبر صاحبه فرقى ويؤذن مع الفجر او

عتبة

عقبه غير فاصل وهذا هو المراد بما قيل ان ابن ام مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال له اصبحت اصبحت وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان
ابن ام مكتوم رضي الله تعالى عنه يتوخى الفجر فلا يخطئه وفي ابي داود عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان بلالا اذن قبل طلوع
الفجر فامره صلى الله عليه وسلم ان يرجع فينادي الا ان العبد نام الا ان العبد نام اي غفل عن الوقت او رجع لينام لبقاء الليل
ولعل هذا كان قبل ان يجعل ابن ام مكتوم مؤذنا ثانيا او كان اذان بلال في هذه المرة بعد اذان ابن مكتوم على ما تقدم ثم الحافظ والثابت
في الجمعة اذان واحد يفعل بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قال فقهاؤنا مستدلين على ذلك بحديث البخاري
عن السائب بن يزيد كان التاذين يوم الجمعة حين يجلس الامام على المنبر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
رضي الله تعالى عنهما وليس فيه ان ذلك الاذان بين يديه صلى الله عليه وسلم فلما كثر المسلمون امر عثمان رضي الله تعالى عنه اي و
قيل عمر رضي الله عنه وقيل معاوية رضي الله تعالى عنه بان يؤذن قبله على المنارة وعبارة بعضهم وفي السنة التاسعة والعشرين
زاد عثمان رضي الله عنه النداء على الزوراء يوم الجمعة ليسمع الناس فياتوا الى المسجد واول من احدثه بمكة الحجاج والتذكير قبل
الاذان الاول الذي هو الصبح احدث بعد السبعمائة في زمن الناصر محمد بن قلاوون واول ما احدث الصلوة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم اي على الكيفية المعهودة بعد تمام الاذان على المنارة اي في غير المغرب في زمن السلطان المنصور
حاجي بن الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون بامر المحتسب نجم الدين الطنبدي في اواخر القرن الثامن واستمر ذلك
الى الان لكن في غير اذان الصبح الثاني وغير اذان الجمعة اول الوقت اما اذان الصبح الثاني واذان الجمعة المذكور فتقدم الصلوة
والسلام عليه صلى الله عليه وسلم على الاذان فيهما وكان احدث ذلك في زمن صلاح الدين ابن ايوب ولعل الحكمة
المطلوب في الجمعة ولا يخفى ان من السنة مطلق الصلوة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد فراغ الاذان ففي مسلم
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ويقاس بذلك الاقامة لان الاذان والاقامة من المواطن التي تستحب
فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقد قيل في معناه لا اذكر الا وتذكر
معي لكن بعد فراغهما لا عند الابتداء بهما كما يقع لبعض الاروام ان يقول المقيم للصلوة عند ابتداء الاقامة اللهم صل على سيدنا
محمد الله اكبر الله اكبر فان ذلك بدعة ومن البدع التطريب في الاذان والتلحين فيه وفي كلام امامنا الشافعي رضي الله تعالى
عنه ويكون ترسله بغير تمطيط ولا تغن قيل التمطيط في المد والتغني ان يرفع صوته حتى يجاوز المعتاد المشروع ومن البدع رفع
المؤذنين اصواتهم بتبليغ التكبير لمن بعد عن الامام من المقتدين قال بعضهم ولا باس به لما فيه من النفع اي حيث لم يبلغهم
صوت الامام بخلاف ما اذا بلغهم ففي كلام [illegible] التبليغ بدعة منكرة باتفاق الائمة الاربعة حيث بلغ المأمومين صوت الامام
ومعنى منكرة انها مكروهة واول ما احدث التسبيح بالاسحار في زمن موسى عليه الصلوة والسلام حين كان بالتيه واستمر
ذلك الى ان بنى داود عليه الصلوة والسلام بيت المقدس فرتب فيها جماعة يقومون به على الالات الى ثلث الليل الاخير
يقومون به عند الفجر واول حدوثه في ملتنا كان بمصر امر به اميرها من قبل معاوية رضي الله تعالى عنه مسلمة بن مخلد الصحابي
رضي الله تعالى عنه فانه لما اعتكف بجامع عمرو سمع اصوات النواقيس عالية فشكى ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين
بجامع عمرو ففعل ذلك من نصف الليل الى قرب الفجر ومسلمة هذا تولى مصر من معاوية بعد عتبة بن ابي سفيان اخي معاوية
وعتبة تولاها حين مات اميرها عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وهذا مما يدل على ان عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان
حسيبا رضي الله تعالى عنه خطيبا فصيحا قال الاصمعي الخطباء من بني امية عتبة بن ابي سفيان وعبد الملك بن مروان خطب عتبة
يوما اهل مصر فقال يا اهل مصر خف على السنتكم مدح الحق ولا تاتونه وذم الباطل وانتم تفعلونه كالحمار يحمل اسفارا
يثقله حملها ولا ينفعه علمها واني لا اداوي داءكم الا بالسيف ولا ابلغ السيف ما كفاني السوط ولا ابلغ السوط

ما سلمتم على الذرة فالزموا ما الزمكم الله لئلا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا وهذا يوم ليس فيه عقاب ولا بعده ومما يؤثر
عنه رضي الله عنه ان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم وقال لابنه يوما تلقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا المزيد منها
بالشكر عليها وهو اول من جعل بنيان المنابر التي هي محل التاذين في المساجد فلما ولي احمد بن طولون رتب جماعة
يكبرون ويسبحون ويحمدون فلما ولي صلاح الدين يوسف بن ايوب حمل الناس على اعتقاد مذهب الاشعري والخروج عما
كانت تعتقده الفواطم امر المؤذنين ان يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فاذا هي ثلاث ورقات
ولم اقف على اسم مؤلفها فواظبوا على ذكرها كل ليلة قيل في سبب نزول قوله تعالى قل كل من عند الله ليبسط الارزاق
وقبضها وعند ظهور الاسلام وقوته في المدينة قامت نفوس احبار اليهود وبدوا العداوة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزل قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر الى
قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وعن صفية ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها بنت حيي قالت كنت احب ولد ابي اليه والى
عمي ابي ياسر اي وكانا من احبار اليهود واعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا اليه ثم جاء
من العشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم والله قال اتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله
ما بقيت قال وفي رواية انها قالت ان عمي ابا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه
وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قومي اطيعوني فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون فاتبعوه ولا
تخالفوه ثم انطلق ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم اتيت من عند رجل والله
لا ازال له عدوا فقال له اخوه ابو ياسر يا ابن امي اطعني في هذا الامر واعصني فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا اطيعك
انتهى ثم وافق اخاه حيي فكان اشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما
استطاعوا فانزل الله فيهما وفي من كان موافقا لهما ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند
انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق اي فحيي بن اخطب هذا قال لما انزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يستقرضنا
ربنا وانما يستقرض الفقير الغني فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقيل في سبب
نزولها ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه دخل بيت المدارس فقال لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله فقال
والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب ابو بكر رضي الله تعالى عنه وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال
لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ابو بكر رضي الله تعالى عنه
ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزلت الاية اي وقيل في سبب نزولها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل
ابا بكر رضي الله تعالى عنه الى فنحاص ابن عازورا بكتاب وكان انفرد بالعلم والسيادة على يهود بني قينقاع بعد اسلام عبد الله
ابن سلام يامرهم في ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرا فنحاص الكتاب
قال قد احتاج ربكم وفي رواية قال يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا وما يستقرض الا الفقير ونحن اغنياء فضرب
ابو بكر رضي الله تعالى عنه وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت ان اضربه بالسيف وما منعني ان اضربه بالسيف
الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الي الكتاب قال لي لا تفتتن عليهم بشيء حتى ترجع الي فجاء فنحاص الى النبي صلى
الله عليه وسلم وشكا ابا بكر رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله انه
قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت لله تعالى فقال فنحاص والله ما قلت هذا فنزلت الاية تصديقا لابي
بكر رضي الله تعالى عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما ان الله فقير ونحن اغنياء لانه استقرض اموالنا فقال

ان كان

ان كان استقرضها للنفس فهو فقير وان كان استقرضها للفقراء لكونهم ثم يكافئ عليها فهو الغني الحميد ومن اشد عداوتهم اي اليهود لبيد بن
الاعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في مشط اي له صلى الله عليه وسلم وقيل في اسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم
ومشاطة وهو ما يخرج من الشعر اذا مشط اي من شعر راسه صلى الله عليه وسلم اعطاها له غلام يهودي كان يخدمه صلى الله
عليه وسلم وجف طلعة نخلة ذكر وعقد فيها احدى عشرة عقدة وفي لفظ ان الابر كانت في العقد ودفن ذلك تحت راعوفة في
بئر ذي اروان وقد منع الله تعالى ماءها حتى صار كنقاعة الحناء فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم انه يفعل الفعل وهو لا يفعله اي و
مكث صلى الله عليه وسلم في ذلك سنة وقيل ستة اشهر او سبعة اشهر من ابتداء الشروع في ذلك وانه مدة اشتداده كانت
في الاربعين وقيل اشتد عليه ثلاثة ايام وقال له ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا فارسل صلى الله
عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم لذلك خفة حتى قام كانما نشط
من عقال وفي رواية ان اليهودي دفن ذلك ببئر فانزل الله تعالى قل اعوذ برب الفلق وسورة الناس وهما احدى عشرة اية
سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وفي لفظ فقام وتفل احدى
عشرة عقدة مغروزة بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت المعوذتان فلما قرا جبريل عليه السلام اية انحلت عقدة و
وجد صلى الله عليه وسلم بعض الخفة حتى قام عند انحلال العقدة الاخيرة كانما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول
بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل ما يؤذيك اي ولعله كان يقول ذلك عند حل كل عقدة بعد قراءة الاية اي كان ذلك
بني المحلقة بخيبر وذكر بعضهم ان بعد خيبر جاءت رؤساء يهود الذين بقوا في المدينة ممن يظهر الاسلام الى لبيد بن الاعصم
وكان اعلمهم بالسحر فقالوا له يا ابا الاعصم قد سحرنا محمدا فسحره منا الرجال فلم يصنع شيئا اي لم يؤثر سحرهم وانت ترى اثره فينا
وخلافه في ديننا ومن قتل واجلا ونجعل لك على سحره ثلاث دنانير فنفعل ذلك ثم انه صلى الله عليه وسلم قال جاءني رجلان
اي وهما جبرائيل وميكائيل عليهما السلام كما في بعض طرق الحديث فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما
ما وجع الرجل فقال الاخر مطبوب اي مسحور فقال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيم قال في مشط ومشاطة وفي لفظ
ومشاقة اي وهي المشاطة وقيل هي مشاقة الكتان وجف بالجيم والفاء وقيل بالباء الموحدة طلعة ذكر اي غشاء طلع
الذكر الذي يقال له الكوز للطلعة قال فاين هو قال في بئر ذي ذروان على وزن مروان وفي لفظ في بئر ذي اروان
وفي لفظ بئر ذروان وعليه اقتصر في الامتاع تحت صخرة في الماء قال فما دواء ذلك قال تنزح البئر ثم تقلب الصخرة
فتوجد الكدية فيها تمثال احدى عشرة عقدة فتحرق فانه يبرا باذن الله تعالى ثم انه صلى الله عليه وسلم احضر لبيدا فاعترف
فعفى عنه لما اعتذر بان الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل له يا رسول الله لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم
ما عافاني الله وما وراءه من عذاب اشد ويحتاج الى الجمع بين كون جبريل عليه السلام قال له سحرك الى اخره وكون جاءه
رجلان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما للاخر ما وجع الرجل الى اخره قيل وهذا اي عدم قتل الساحر
ربما يعارض القول بان الساحر يتحتم قتله وفيه انه عندنا لا يتحتم قتله ولا يقتل الا اذا قتل بسحره واعترف بان
سحره يقتل غالبا ولبيد هذا قيل ان اول من قال بنفي صفات الباري جل وعلا وقال بها الجهم ابن صفوان واظهرها
فقيل لاتباعه في ذلك الجهمية وعند ذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه وعمار بن ياسر رضي الله
تعالى عنه الى تلك البئر واستخرجا ذلك وقيل الذي استخرج السحر بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن
محصن وفي الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم توجه الى البئر مع جماعة من اصحابه
فاذا ماؤها كانه نقاعة الحناء فاستخرجا اي النبي صلى الله عليه وسلم وجماعته منها ذلك فيحتاج الى الجمع بين كونه

صلى الله عليه وسلم ارسل لاستخراج السحر عليا وعمار بن ياسر وكونه امر قيس بن محصن باستخراجه فاذا وتر فيه احدى عشر عقدة وابى
فاذا فيها ابرة معروفة ونزلت المعوذتان فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد وذهب
عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجد اي وكلا ينافي ما تقدم ان القاري لذلك جبريل عليه السلام لجواز ان يكون كل منهما صار
يقرا الاية او انه صلى الله عليه وسلم صار يقرا بعد قراءة جبريل عليه السلام وفي الامتاع عن عايشة رضي الله تعالى
عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم اذ لا استخرجته اي السحر اي هلا استخرجت السحر من الجف والمشاط حتى تنظر اليه فقال
صلى الله عليه وسلم اكره ان اثير على الناس شرا قال ابن بطال اي اكره ان اخرجه فيتعلم منه بعض الناس فذلك هو الشر
الذي كرهه صلى الله عليه وسلم وذكر السهيلي رحمه الله انه يجوز ان يكون الشر غير هذا وانه لو ظهر للناس لربما ثار به
طايفة من المسلمين وبعضا فرون من عشيرته فيثور شر وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت له صلى الله عليه
وسلم هلا لا انتشرت اي استعملت النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم ينكر النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك عليها وكرهها جمع واستندوا الحديث في ابي داود مرفوعا النشرة من عمل الشيطان وحمل
ذلك النشر الذي يصحبها العزايم المشتملة على الاسماء التي لا تفهم قام صلى الله عليه وسلم بها تدفنت اي تلك البير و
حفروا بيرا اخرى فاعانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرها حيث طموا الاخرى التي سحر فيها هذا كلامه فليتامل
مع ما قبله وقيل انما سحره صلى الله عليه وسلم بنات اعصم اخوات لبيد فعطلت احديهن على عايشة رضي الله تعالى عنها
فسمعت عايشة تذكر ما انكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره ثم خرجت الى اخواتها فاخبرتهن بذلك فقالت احديهن
ان يكون نبيا فسيخبر وان كان غير ذلك فسوف يدلهه هذا السحر حتى يذهب عقله بذكر الله تعالى على عليه ولا منافاة بين كون
الساحر له اخوات لبيد ونسبة السحر الى لبيد لانه جاء ان الذي ذهب به فادخله تحت راعوفة البير اي اسفل البير كما تقدم وقد
يجمع لجواز ان يكون وضعه في القبر به ثم اخرجه منه ووضعه تحت الراعوفة وهو حجر يوضع على راس البير يقوم عليه المستقي و
قد يكون في اسفل البير يجلس عليه يطف البير اي هذا الثاني هو المراد بدليل ما سبق وفي النهر لابي حيان رحمه الله وبعض القران
والحديث ان السحر تخييل اي لا تقلب الاعيان ولا شك في وجوده في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم واما في زماننا
الان فكلما وقفنا عليه من كتبه فهو كذب وافترا لا يترتب عليه شي ولا يصح منه البتة وطعنت المعتزلة والطوايف
من اهل البدع في كونه صلى الله عليه وسلم سحر وقالوا لا يجوز على الانبياء ان يسحروا ولو جاز ان يسحروا لجاز ان يجنوا وقد
عصموا من الناس ورد بان الحديث الدال على ذلك صحيح والعصمة انما وجبت لهم في عقولهم واديانهم واما ابدانهم فيبتلون
فيها والسحر انما اثر في بعض جوارحه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم عن عايشة رضي الله تعالى عنها من ذكرها ما انكر
صلى الله عليه وسلم بصره لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم صار يخيل له ان يفعل الشي ولا يفعله وهذا متعلق
بالعقل ثم رايت ابا بكر بن العربي رحمه الله تعالى قال لم ينقل كل الرواة انه اختلط عليه امره وانما هذا اللفظ زيد في الحديث
لا اصل له قال ومثل هذه الالفاظ من وضع الملحدين تلعبا واستجرارا الى القول بابطال معجزات الانبياء عليهم الصلوة
والسلام والقدح فيها وانه لا فرق بين معجزات الانبياء وبين فعل السحرة وان جميعه من نوع واحد هذا كلامه فليتامل
وممن كان حريصا على رد الناس عن الاسلام شاس بن قيس كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما
على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما راى من الفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال
اجلس اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث اي يوم الحرب الذي كان بينهم وما كان فيه وانشدهم وكانوا يتقاولون به من
الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك اي قال احد الحيين ثم قال شاعرنا كذلك وقال الاخر فقال شاعرنا كذا

وتنازعوا

وتنازعوا على المقاتلة اي قالوا انه الحرب جذعا كما كانت فنادى هولاء يا ال الاوس ونادى هولاء يا ال الخزرج ثم خرجوا
اليها وقد اخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين
والانصار حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله اتقوا الله بدعوى الجاهلية اي وهي يا للخزرج يا للاوس
وانا بين اظهركم به من الكفر والغضب بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانقوا
الرجل من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في شاس بن
قيس يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا الاية وقد جاء في ذم هذه الكلمة التي هي
دعوى الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا من بهن فلا تقولوا له عض هن ابيك بل قولوا على ذكر ابيك تنكيلا له
ونعوا عما اتى به اي وقد كان انزل الله فيهم يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية
وقد قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وهو بين الصفين رافعا بها صوته فالقوا السلاح وفعلوا
ما تقدم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اليهود كانوا يستفتحون اي يستنصرون على الاوس والخزرج
برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ان يقولوا ان سيبعث نبي صفته كذا وكذا يقتلكم معه قتل عاد
وارم كما تقدم عند مبايعة العقبة فقال لهم معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه وبشر بن البراء رضي الله تعالى عنه
يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل شرك وكفر وتخبرونا انه مبعوث
وتصفونه لنا بصفته فقال سلام اي بالتشديد بن مشكم من عظماء بني النضير ما جاءنا بشي نعرفه ما هو الذي كنا
نذكره لكم فانزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقيل في سبب نزول قوله تعالى ما انزل الله على
بشر من شي انه صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الصيف وكان رئيسا على اليهود انشدك بالذي انزل التورية على موسى عليه السلام
هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب و
التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شي فقالت له اليهود ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه من الرياسة
وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف اي لاجل قوله المذكور طعنا في التورية وقيل ان يهود المدينة من بني قريظة وبني النضير وغيرهم
كانوا اذا قاتلوا من بينهم من مشركي العرب من اسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقولون
اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامي الذي وعدتنا انك باعثه في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية فينصرون
وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الامي الذي نجده في التورية يعذبهم ويقتلهم وفي لفظ ان يهود خيبر كانت تقاتل
غطفان فكلما التقوا هزمت يهود خيبر فعجت يوما اللهم انا نسالك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه
لنا في اخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان وسال اليهود ليا النبي صلى الله عليه وسلم عن
اشياء ليلبسوا الحق بالباطل اي ومن جملة ما سالوه صلى الله عليه وسلم عن الروح فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كنت
امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة يتوكا على عسيب اي جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم
لبعض لا تسالوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشي تكرهونه اي يجيبكم بما هو دليل عندكم على انه
النبي الامي او وانتم تكرهون نبوته صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فقالوا يا محمد وفي رواية يا ابا القاسم ما الروح
وفي رواية اخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت انه يوحى اليه فقال ويسالونك عن الروح اي التي
يكون بها الحيوان حيا قل الروح من امر ربي فقالوا هكذا نجد في كتابنا اي التورية وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام

على فترة الوحي ونقدم عن صاحب الايضاح انه انما سال اليهود عن الروح تعجيبا وتغليطا لان الروح تطلق بالاشتراك
على الروح الانسان وعلى القران وعلى عيسى عليه السلام والفلك وعلى ملك اخر وعلى صنف من الملائكة فقصد اليهودي
انه بأي شيء اجابهم به قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا الجواب لرد كيدهم لان كل واحد مما ذكر من امورات الحق ولما
انزل الله تعالى في حق اليهود وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالوا اوتينا علما كثيرا اوتينا التورية ومن اوتي التورية
فقد اوتي خيرا كثيرا فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله
مددا وفي الكشاف انهم قالوا انحن مخصوصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وانتم لم
نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله هذا كلامه وسالوه صلى
الله عليه وسلم متى الساعة ان كنت نبيا فانزل الله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي
الاية اي وجاء يهوديان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن قول الله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات فقال لهما لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا
ببريء الى سلطان ولا تاكلوا الربوا ولا تقذفوا محصنة وعليكم يا يهود خاصة ان لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه و
رجليه صلى الله عليه وسلم فقال لا نشهد انك نبي قال ما يمنعكما ان تسلما فقالا انا نخاف ان اسلمنا ان تقتلنا يهود خيبر
اي وسالوه صلى الله عليه وسلم عن خلق السموات والارض اي في اي مدة وما بينهما اي مدة ما بينهما فقال لهم صلى الله
عليه وسلم خلق الله الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثا اي ولذلك يقول الناس
انه يوم ثقل وخلق البحر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الاربعاء وخلق السموات يوم الخميس وخلق الشمس
والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو تممت ثم
استراح اي لو قلت هذا اللفظ اي لانهم يقولون انه استراح يوم السبت ومن ثم سموه يوم الراحة فانزل الله
تعالى قوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي تعب فاصبر على ما يقولون
وفي رواية خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الله الجبال يوم الثلاثا وخلق الانهار والاشجار
يوم الاربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والافة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من
الخلق يوم السبت وهذا يشكل على ما تقدم ان مبدا الخلق يوم السبت حتى يكون اخر الاسبوع الجمعة وهو الراجح على
ما تقدم وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط الى قوله
ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من احبار الشام لو يعلما ببعثه صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال احدهما
للاخر ما اشبه هذه بمدينة النبي الخارج في اخر الزمان فاخبرا بهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك
المدينة فلما راياه صلى الله عليه وسلم قالا له انت محمد قال نعم قالا نسالك مسئلة ان اخبرتنا بها امنا فقال اسالا
فقالا اخبرنا عن اعظم الشهادة في دين الله تعالى فنزلت هذه الاية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فامنا
قال وعن قتادة رضي الله تعالى عنه ان رهطا من اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
هذا الذي خلق الجن والانس من خلقه وفي لفظ خلق الله الملائكة من نور الحجاب وادم من حما مسنون وابليس
من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء فاخبرنا عن ربك من اي خلق فغضب صلى الله عليه و
سلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل عليه السلام وقال له صلى الله عليه وسلم خفض عليك فانزل الله عليه قل هو

الله احد لانه الصمد لم يلد السورة اي متوحد في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته اي اقتضت
ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه اسقي اقول ونزل جبريل عليه السلام بذلك مما يدل على انه صلى الله
عليه وسلم توقف ولو يدر ما يقول كما وقع له صلى الله عليه وسلم لما ساله عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقال له صف ربك
كما سياتي ثم رايت عن الشيخين وغيرهما ان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ذكر في سبب نزول هذه السورة غير ما ذكر و
لعله ما سياتي في قصة اسلام ابن سلام ولا مانع من تكرر النزول لاسباب مختلفة ثم رايته في الاتقان ذكر ان سورة
الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة وجوابا لاهل المدينة وجوابا لاهل الكتاب وقد يقال ذلك انها
نزلت بالمدينة على دعوى تكرر نزولها يقال حيث سئل اولا فنزلت جوابا كيف يتوقف صلى الله عليه وسلم ثانيا
عند السؤال الثاني حتى يحتاج الى نزولها مع تقدم بيان ذلك له صلى الله عليه وسلم ثم رايت عن البرهان انه قد ينزل
الشيء مرتين تعظيما لشانه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه وهو كما ترى لابد مع التوقف وكان من اعلم احبار
اليهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان اسمه الحصين فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
وكان من ولد يوسف الصديق رضي الله تعالى عنه اي وقد اثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم وكان من يهود بني قينقاع كما تقدم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه
اي في اول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب اي ولعل ذلك الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
هو قوله يا ايها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام واطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام
فعنه رضي الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس اليه اي بالجيم اسرعوا فكنت
ممن اتى اليه وهذا يدل على انه رضي الله تعالى عنه جاءه في قباء وسياتي قال فلما رايت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت
انه غير وجه كذاب اي لاستنارته وهيبته وسميته صلى الله عليه وسلم تدل العقلاء على صدقه صلى الله عليه وسلم وانه
لا يقول الكذب قال عبد الله رضي الله تعالى عنه وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول ايها الناس الخ اي ولا مانع ان يكون
ذلك تكرر منه صلى الله عليه وسلم وعند ذلك قال اشهد انك رسول الله حقا وانك جئت بحق ثم رجعت الى اهل بيتي فامرتهم
فاسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم اي في بيت ابي ايوب وقلت قد علمت اليهود اني سيدهم
وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فاجبني يا رسول الله قبل ان يدخلوا عليك فادعهم فسلهم عني قبل ان يعلموا اني
اسلمت فانهم قوم بهت اي بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل واعظمهم قوم عضيهة اي كذب فانهم ان يعلموا
باسلامي قالوا فيما ليس في وحقيقهم ميثاقا اني ابعثك وامنت بكتابك ان يؤمنوا بك وبكتابك الذي انزل عليك
فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود ويلكم
اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئتكم بحق اسلموا قالوا ما نعلم فاعاد ذلك
عليهم ثلاثا وهم يجيبون كذلك قال فاي رجل فيكم ابن سلام قالوا ذلك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا وفي رواية
خيرنا وابن خيرنا بالخاء المعجمة والياء المثناة تحت افعل تفضيل وقيل بالمهملة والباء الموحدة اي اعلمنا بكتاب الله وسيدنا
وعالمنا وافضلنا قال افرايتم ان اسلم اني وامن بالكتاب الذي انزل عليه تؤمنوا بي قالوا انه منهاه فقال يا ابن سلام
اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام الم تعلم ان رسول الله محمد عندكم مكتوب في التورية والانجيل اخذ
الله عليكم ميثاقا ان تؤمنوا به وتتبعوه من ادركه منكم قال ابن سلام بلى يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا
اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق قالوا كذبت وفي رواية انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه

مكتوبا عندكم في التورية اسمه وصفته فقالوا كذبت انت شرنا وابن شرنا وهذه لغة رديئة والفصيح شرنا وابن شرنا
يعنون همزة وهي رواية البخاري قال ابن سلام هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله الم اخبرك انهم قوم بهت اهل غدر وكذب
وفجور انتهى فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهرت اسلامي وانزل الله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله
يعني الكتاب والرسول وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل يعني عبد الله بن سلام يعني اليهود فامن واستكبرتم ان الله
لا يهدي القوم الظالمين اقول هذا السياق لا يناسب ما حكاه في الخصائص الكبرى عن تاريخ الشامي لابن عساكر
ان ابن سلام رضي الله تعالى عنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه و
سلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال نشدتك بالله الذي انزل التورية على موسى عليه الصلوة والسلام
هل تجد صفتي في كتاب الله يعني التورية قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي صلى الله عليه وسلم اي توقف ولم يدر
ما يقول فقال له جبريل عليه السلام قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام
رضي الله تعالى عنه اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك
في كتاب الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي الى اخر ما تقدم من التورية
فاشتمل على ان ابن سلام اسلم بمكة وكتم اسلامه وكان كذلك لما قال لما رايت وجهه صلى الله عليه وسلم
عرفت انه ليس بوجه كذاب فلما قال وكنت عرفت صفته واسمه ولما سال عن الامور الاتية ولما احتاج الى
الاسلام ثانيا الا ان يقال على تسليم صحة ما قال ابن عساكر جاز ان يكون قال ذلك وفعل ما ذكر تاكيدا للحجة على اليهود
وقد وقع لابن سلام هذا انه لقي عليا كرم الله وجهه بالربذة وقد خرج بعد قتل عثمان وبعد ان بويع بالخلافة متوجها
الى البصرة لما بلغه ان عايشة وطلحة والزبير ومن معهم رضي الله تعالى عنهم خرجوا الى البصرة في طلب دم عثمان
رضي الله تعالى عنه وكان ذلك سببا لوقعة الجمل فاخذ رضي الله تعالى عنه بعنان فرس كرم الله وجهه وقال
يا امير المؤمنين لا تخرج منها فتسببه بعض الناس وقال ما لك ولهذا يا ابن اليهودية فقال علي كرم الله وجهه دعوه
فنعم الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لقيت عبد الله بن سلام فقلت
له اخبرني عن ساعة الاجابة يوم الجمعة فقال هي اخر ساعة في يوم الجمعة قلت كيف وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا صلوة فيها فقال ابن سلام رضي الله تعالى عنه
الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلوة فهو في صلوة حتى يصلي وفي الصحيحين ان
في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسال الله عز وجل شيئا الا اعطاه ثم رايت في سنن ابن ماجة ان جواب
ابن سلام تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم وفي السنن المذكورة عن عبد الله بن سلام قال قلت ورسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتاب الله يعني التورية في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسال الله
عز وجل فيها شيئا الا قضى الله حاجته قال عبد الله بن سلام فاشار الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
او بعض ساعة فقلت صدقت يا رسول الله او بعض ساعة قلت اي ساعة هي قال اخر ساعة من ساعات النهار
قلت انها ليست ساعة صلوة قال بلى ان العبد اذا صلى ثم جلس لا يجلسه الا الصلوة فهو في الصلوة ولعل لفظ
قائم في رواية الصحيحين يريد به مريدا القيام للصلوة اي صلوة العصر وقد قيل ان تلك الساعة رفعت بعد موته
صلى الله عليه وسلم وقيل هي باقية وهو الصحيح وعليه فقيل لا زمن لها معين وقيل هي في زمن معين
وعليه ففي تعيينها احد عشر قولا وقيل اربعين قولا وقد وقع لميمون بن ياسين وكان راس اليهود مثل ما وقع

لابن سلام مع اليهود فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابعث اليهم واجعلني حكما فانهم يرجعون الي
فادخله داخلا وارسل اليهم فجاؤه فقال لهم صلى الله عليه وسلم اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم قالوا قد رضينا ميمون
بن ياسين فقال اخرج اليهم فقال اشهد انه رسول الله فابوا ان يصدقوه والله اعلم وقد اشار الى انكارهم نبوته صلى الله
عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله عرفوه وانكروه وظلما كتمته الشهادة الشهداء او نور
الاله تطفيه الافواه وهو الذي يستضاء كيف يهدي الاله منهم قلوبا حشوها من حبيبة البغضاء اي عرفوا انه
النبي المنتظر وانكروه بلوا امرهم ولاجل ظلمهم كتمت الشهادة بها العارفون به اوغوا لا الاله الذي هو النبوة تذهبه الالسن
لا يكون ذلك وكيف يكون ذلك وهو الذي يستضاء به في الظاهر والباطن كيف يوصل الاله قلوبا الحق وملوها البغضاء
لحبيبة اقول وقيل في سبب نزول سورة قل هو الله احد ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث قال لهم المسلمون من خلقكم
قالوا الله قالوا لهم فلم عبدتم غيره وجعلتم معه الهين فقالوا بل هو اله واحد لكنه حل في جسد المسيح او كان في بطن امه فقالوا لهم
هل كان المسيح ياكل الطعام قالوا كان ياكل الطعام فانزل الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد تكذيبا لهم فان نزعالب والصمد هو
الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وقيل سبب نزولها ان قريشا هم الذين قالوا انسب لنا ربك يا محمد وتقدم ما فيه
والله اعلم وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم و
اوفوا بعهدي اوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود اوفوا بعهدي الذي اخذت في اعناقكم للنبي صلى
الله عليه وسلم اذا جاءكم بتصديقه واتباعه اوف بعهدكم انجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال
ولا تكونوا اول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وانتم تعلمون اي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة
برسولي وبما جاء به وانتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بايديكم قال بعضهم ولم اسلم من رؤساء علماء اليهود
الا عبد الله بن سلام وضم اليه السهيلي عبد الله بن صوريا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله لم اقف لعبد الله بن صوريا
على اسلام من طريق صحيح وانما نسب لتفسير النقاش اي وتقدم لعبد الله بن سلام ميمون المتقدم ذكره وروي في
سبب اسلام ابن سلام اي اظهار اسلامه على ما تقدم لما بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم اتاه في قباء معه
رضي الله تعالى عنه جارية حتى اخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت عمتي لو كنت سمعت بموسى بن
عمران عليه الصلوة والسلام ما زدت فقلت لها اي عمتي والله هو اخو موسى بن عمران عليه الصلوة والسلام وعلى دينه
بعث بما بعث به قالت يا ابن اخي اهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة وفي لفظ مع نفس الساعة فقلت لها نعم
اي وقد جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده
لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف امري وجاء انه صلى الله عليه وسلم
قال بعثت انا والساعة كهاتين وقال باصبعيه هكذا يعني السبابة والوسطى اي جمع بينهما وفي رواية بعثت في نفس
الساعة سبقتها كما سبقت هذه وفي رواية سبقتها بما سبقت هذه هذه واشار باصبعيه الوسطى والسبابة قال
الطبري الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع اصبع كما ان نصف يوم من سبعة ايام نصف سبع اي وقد تقدم ان ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما الدنيا سبعة ايام كل يوم الف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر يوم منها
وتقدم في حديث اخرجه ابو داود لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة قال بعضهم فان قيل
ما وجه الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الساعة ما المسؤل عنها باعلم من السائل لدلالة
الرواية الاولى على علمه بها اجيب بان القران نطق بان علمها عند الله لا يعلمها الا هو ومعنى صلى الله عليه وسلم

بعشاناوالساهرة كما بين اي ليس بيني وبينها نبي اخر اي بعثت قرب الساعة فلا نبي بعدي ولا شريعة بعد شريعتي فهو صلى الله عليه وسلم
عالما بخصوص صفتها قال ابن سلام رضي الله عنه وكنت عرفت صفته واسمه في التورية فذاق وعاينته فكتمت ذلك ساكتا
عليه حتى قدم صلى الله عليه وسلم المدينة فجئته فقلت يا محمد اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة
وما اول طعام ياكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبريل
عليه السلام انفا فقال ابن سلام رضي الله عنه ذاك يعني جبريل عليه السلام عدو اليهود من الملائكة وقيل قائل ذلك
عبد الله بن صوريا ولا مانع من ان يكون ذلك كل منهما اي فعن ابن صوريا انه قال له صلى الله عليه وسلم من ينزل عليك
بالوحي قال جبريل عليه السلام قال ذاك عدونا ولو كان غيره وفي لفظ لو كان ميكائيل لامنا بك لان جبرائيل عليه السلام
ينزل بالخسف والحرب وميكائيل ينزل بالخصب والسلم وسبب العداوة انهم زعموا انه امر ان يجعل النبي صلى الله عليه وسلم
المنتظر في بني اسرائيل الذين هم اولاد اسحق فجعلها في غيرهم اي في اولاد اسمعيل وقيل سبب عداوتهم لجبريل عليه السلام
انه انزل على نبيهم ان البيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثوا من يقتله من اعظم بني اسرائيل قوة فاراد قتله
فمنعه عنه جبريل عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه فصدقه ورجع عنه اي فان بني اسرائيل
لما اعتدوا وقتلوا اشعيا جاء بخت نصر لذلك فادرس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة واحرق التورية وخرب بيت المقدس
وقيل في سبب العداوة كونه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ولا مانع ان يكون كل ذلك سببا للعداوة ثم
قال صلى الله عليه وسلم اما اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة
كبد الحوت اي وهي القطعة المنفردة المعلقة بالكبد قال بعضهم وهي في الطعم في غاية اللذة ويقال انها اهنى طعام
فاما ان وقع ان الثور يطلع الحوت بعرقه فيحوت فياكل منه اهل الجنة ثم يجيء فينحر الثور ببيته فتاكل اهل الجنة
ثم يجيء لها اما الولد فانه اذا سبق ما الرجل ما المراة نزع الولد اليه وان سبق ما المراة ما الرجل نزع الولد اليها
اي لكن في فتح الباري عن عائشة رضي الله تعالى عنها اذا علا ما الرجل ما المراة اشبه اعمامه واذا علا ما المراة ما الرجل اشبه
اخواله والمراد بالعلو السبق وعن ثوبان اذا علا مني الرجل مني المراة جاء الولد ذكرا وان علا مني المراة مني الرجل جاء انثى
والعلو فيه على بابه هذا كلامه اي وان استوى الماء ان جاء خنثى وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات ومن اول الناس اجازة وما تحفتهم اي الناس حين يدخلون الجنة وما غذاؤهم على
اثره وما شرابهم اليه فاجابهم صلى الله عليه وسلم بانهم يكونون في ظلمة دون الحشر ولعل المراد بالحشر الصراط لكن في رواية مسلم
اين الناس يومئذ قال على الصراط ثم رايت عن البيهقي ان قوله على الصراط مجاز لكونهم بمجاوزته ونقل القرطبي عن صاحب الافصاح
ان الارض والسماء تبدل مرتين المرة الاولى تبدل صفتها فقط وذلك قبل نفخة الصعق فتنتثر كواكبها وتخسف الشمس
والقمر وتصير السماء كالمهل وتكشط الارض وتسير الجبال والمرة الثانية تبدل ذاتها وذلك اذا وقفوا في الحشر فتبدل
الارض بارض من فضة لم يعمل عليها معصية وهي الساهرة اي والسماء تكون من ذهب كما جاء عن علي كرم الله وجهه وفي
الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه تكون الارض يوم القيمة خبزة واحدة يكفاها الجبار كما يكفا احدكم خبزته
في السفرة نزلا لاهل الجنة فياكل المؤمن من تحت رجليه ويشرب من الحوض قال الحافظ بن حجر رحمه الله ويستفاد منه
ان المؤمنين لا يعذبون بالجوع في طول زمان الموقف بل يقلب الله الارض بقدرته طبع الارض حتى ياكلوا منها من تحت اقدامهم
ما شاء من غير علاج ولا كلفة قال بعضهم ويؤيد ان هذا مراد الحديث ما جاء تبدل الارض بيضا مثل الخبزة ياكل منها اهل الاسلام
حتى يفرغوا من الحساب هذا كلامه فليتامل مع ما قبله من ان الارض تبدل في ارض من فضة وان هذا يدل على ان تلك

الارض التي تكون بعد مجاوزتهم الصراط واول دخول الناس اجازة فقراء المهاجرين وتحفة اهل الجنة حين يدخلونها زيادة كبد
الحوت وغداؤهم ينحر لهم ثور الجنة الذي ياكل من اطرافها وشرابهم من عين تسمى سلسبيلا وسالوه اي حرم اسرائيل على نفسه
قبل ان تنزل التورية قال انشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا
وطال سقمه فنذر لله لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن احب الشراب اليه واحب الطعام عليه فكان احب الطعام
لحم الابل واحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم اي حرمها على نفسه ومنعها لها من شهواتها وقيل لانه كان به عرق
النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به وذكر ان سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابرهيم وانت تاكل لحوم الابل وتشرب البانها
وكان ذلك محرما على نوح وابرهيم حتى انتهى الينا اي وهو في التورية فنحن اولى الناس بابرهيم منك ومن غيرك فانزل
الله تعالى الاية تكذيبا لهم اي بان هذا انما حرمه يعقوب ومن ثم جاء فيها فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
وكانت اليهود اذا حاضت المراة منهم اخرجوها من البيت ولم يواكلوها ولم يشاربوها اي وفي كلام الواحدي قال
المفسرون كانت العرب في الجاهلية اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت كفعل
المجوس هذا كلامه فسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك اي قال له بعض الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب
قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرناها بها هلك الحيض فانزل الله تعالى ويسئلونك
عن المحيض قل هو اذى الاية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء الا النكاح اي الوطي وما في معناه
وهو مباشرة ما بين السرة والركبة اي فان الاية لم يفهم الاعلم قربانهن بالوطي ومن ثم جاء في رواية انما
امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت فبلغ اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل
ان يدع من امرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله تعالى عنهما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالا ان اليهود قالت كذا افلا نجامعهن اي نرافقهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وعند
ذلك قال لبعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قد وجد اي غضب عليهما فلما خرجا استقبلتهما هدية من لبن
الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل في اثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما وذكر المفسرون ان في منع الوطي الحائض
انصافا بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم لا يمتنعون من الوطي الحائض اي فذكر ابن سلام وغيره ممن اسلم من يهود
استمروا على تعظيم السبت وكراهة اكل لحم الابل وشرب البانها فانكر ذلك عليهم المسلمون فقالوا ان التورية كتاب الله
فنعمل به ايضا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة قال بعضهم وفي رواية قالوا له صلى الله عليه و
سلم ما هذا السواد الذي في القمر فاجابهم عن ذلك بانهما كانا شمسين اي شمس في الليل وشمس في النهار قال تعالى
فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة فالسواد الذي يرى هو المحو اي ثم قال بعضهم في قوله تعالى واية لهم الليل
نسلخ منه النهار ان الليل ذكر والنهار انثى فالليل كادم والنهار كحوى وقد ذكر ان الليل من الجنة والنهار من النار
ومن ثم كان الانس بالليل اكثر وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود اتشهد اني رسول الله قال
لا قال اتقرا التورية قال نعم والانجيل قال نعم فناشده صلى الله عليه وسلم هل تجدني في التورية والانجيل قال نجد مثلك
ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا ان تكون انت فنظرنا فاذا انت لست هو قال ولم ذاك قال من امته سبعون الفا
ليس عليهم حساب ولا عذاب وانما معك نفر يسير قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لانا هو وانهم لاكثر من سبعين
الفا وسبعين الفا وقد سال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود الرعد والبرق فقال هو صوت ملك موكل بالسحاب لسوقه

اى مخراق من نار فى يده من حديد السحاب الى حيث امر الله وعن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال البرق مخاريق من نار بايدى
ملائكة يزجرون به السحاب والمخراق المنديل يلف ليضرب به اى وحينئذ فالمراد بالملك الجنس وفى رواية ان الله ينشئ السحاب
فتنطق احسن نطق وتضحك احسن الضحك ومنطقها الرعد وضحكها البرق وفى بعض الآثار ان لله ملائكة يقال لهم الجبات فاذا حركوا
اجنحتهم فهو البرق اى وتحريكهم لاجنحتهم يكون غالبا عند الرعد لان الغالب وجود البرق عند البرق وعن بعضهم قال بلغنى ان
البرق ملك له اربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه اسد فاذا مضغ بذنبه اى حركه فذلك البرق اى و
تحريكه غالبا يكون عند وجود الرعد وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما البرق ملك يتراءى اى يظهر ويغيب وفى رواية
الرعد ملك يزجر السحاب والبرق طرف ملك اى يتطاير عند وجود الرعد غالبا وفى رواية ان ملكا موكلا بالسحاب فى
يده مخراق فاذا دفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت وعن مجاهد الرعد ملك والبرق اجنحته يسوق
بها السحاب فيكون المسموع صوته او صوت سوقه فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وذهبت الفلاسفة الى ان الرعد صوت
اصطكاكها فلعلهم ادعوا ان عند اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض يخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا اتت عليه الا
انها مع حدتها سريعة الخمود وقيل فى سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها ان اليهود
انكروا النسخ فقالوا الا تعجبون الى محمد صلى الله عليه وسلم يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع
عنه غدا فنزلت وسألوه صلى الله عليه وسلم من يخلق الولد فقال يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة اما نطفة الرجل
فنطفة غليظة اى بيضاء فمنها العظم والعصب واما نطفة المرأة فرقيقة اى صفراء فمنها اللحم والدم فقالوا هكذا كان يقول من
قبلك اى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتقدم فى ترجمة سطيح ابو ادعيسى عليه الصلوة والسلام على ذلك اى وقالوا الفاظه
له صلى الله عليه وسلم ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله
تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فقد جاء انه كان لسليمان عليه الصلوة والسلام مائة امرأة بعد
احصانه اى كان شريفا من خيبر فى اشرافهم وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اى قالوا لهم ان هذا الرجل النبى بيثرب ليس فى كتابه الرجل ولكنه التعزير فسألوه صلى الله عليه وسلم فامرهما
بالرجم فلم يفعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذى انزل التورية على موسى عليه الصلوة والسلام اما تجدون فى
التورية على من زنا بعد احصان الرجم فاتوا بالتورية فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال لهم ابن سلام رضى الله عنه ارفع
يدك عنها فرفعها فاذا آية الرجم اقول كان هذا فى السنة الرابعة وهو يخالف ما فى بعض الروايات ان احبار اليهود اى وهم
كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابى الحقيق اجتمعوا فى بيت المدارس حين قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة وقد زنا رجل من يهود بعد احصانه بامرأة محصنة من يهود فقالوا ابعثوا بهما الى محمد فان افتانا بالجلد خذناه واخبرنا بعذره لانا
خالفنا التورية فلا علينا من مخالفته وفى رواية الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تجدون فى التورية فى شأن الرجم قالوا نفضحهما اى بان نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل
ادبار الحمار وفى لفظ يحملان على الحمار وتقابل اقفيتهما ويطاف بهما ويجلدان بحبل من ليف مطلى بقار فقال عبد الله بن سلام
كذبتم ان فيها آية الرجم فاتوا بالتورية فنشروها فوضع احدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن
سلام رضى الله عنه ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقال صدقت يا محمد فيها آية الرجم وقد جاء ان موسى عليه
الصلوة والسلام خطب بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى و
ليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت والله اعلم ولما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم

قالوا يا ابا القاسم ما ترى فى رجل وامرأة زنيا اى بعد احصان فقال لهم صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التورية قالوا دعنا
من التورية فقالوا اما عندك فانتظر صلى الله عليه وسلم بالرجم فانكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى بيت
مدارسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الى اعلمكم فاخرجوا اليه عبد الله بن صوريا وابا ياسر بن اخطب ووهب
بن يهودا فقال هؤلاء علماؤنا فقال لهم صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذى انزل التورية على موسى عليه الصلوة والسلام
ما تجدون فى التورية على من زنى بعد احصان قالوا يرجم اى يعير ويجنب فقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه ان فيها آية الرجم اى وفى
رواية لما سألهم ما جابوه الا الشاب منهم فانه سكت فالح عليه صلى الله عليه وسلم فى النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا
نجد فى التورية الرجم ولكن راينا انه ان زنا الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من الحيف فاتفقنا على ما نعمله على الشريف
والوضيع وهو ما علمت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احكم بالتورية ولعل هذا الشاب ابن صوريا فقد فى
الكشاف انه لما امرهم بالرجم ابوا ان ياخذوا به فقال لجبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكما اى وصفه له
جبريل عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو
اعلم يهودى على وجه الارض بما انزل الله على موسى فى التورية فرضوا به حكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك
الله الذى لا اله الا هو الذى انزل التورية على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق فرعون وظلل عليكم
الغمام وانزل عليكم المن والسلوى والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال
نعم فوثب عليه سفلة فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب وفى رواية قال والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان تحرقنى
التورية ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخل فيها
كما ادخل الميل المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذى انزل التورية على موسى هكذا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات
على تقدير صحتها ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله النبى الامى وهذا يدل على اسلامه وتقدم انكاره صحته الحافظ ابن حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتوا بالشهود
فجاؤا باربعة فشهدوا انهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة فامر بهما فرجما عند باب مسجده صلى الله عليه وسلم فرأيت
الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا انزلنا التورية فيها هدى ونور الى قوله تعالى
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وفى آية اخرى فاولئك هم الفاسقون وفى
اخرى فاولئك هم الكافرون وعن عمرو بن ميمون قال رأيت الرجم فى الجاهلية فى غير بنى آدم كنت فى اليمن فى غنم لاهلى فجاء قرد
ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد اصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ
القرد فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومى اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسارة فجاؤا بذلك القرد فحفروا
لهما حفيرة فرجموهما وفى لفظ فرأيت فى الجاهلية قردة زنت فرجموها يعنى القردة ورجمتها معهم قال فى الاستيعاب
وهذا عند جماعة من اهل العلم منكر لان فيه اضافة الزنا الى غير مكلف واقامة الحدود فى البهائم ولو صح هذا لكانوا من الجن
لان العبادات فى الانس والجن غيرهما هذا الكلام فليتأمل والله اعلم وقد ذكر غير واحد ان احبار يهود غيروا صفته
صلى الله عليه وسلم التى فى التورية خوفا على انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيامهم بالتورية فخافوا ان يؤمن عوامهم فتنقطع
عنهم النفقة وكانوا يقولون لمن اسلم لا تنفقوا اموالكم على هؤلاء المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فانزل الله تعالى الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اى من صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى يجدونها فى كتابهم فقد كانت صفته
اكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه فقالوا نجده طويلا ازرق العين سبط الشعر واخرجوا ذلك الى اتباعهم وقالوا هذا

حتى يخرج امر النعمان وكان اليهود اذا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع ويضحكون فيما بينهم اي لان ذلك
كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك شيء كان اهل الكتاب يعظمون به
انبياءهم فصاروا يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه لليهود يوما وهم يضحكون فقال
لهم يا اعداء الله لئن سمعتها من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فنزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا و
قولوا انظرنا واسمعوا وفي رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضي الله تعالى عنهم تقول له صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا
يا رسول الله راعنا اي انظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تسب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون
له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون تلك المسبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ
رضي الله تعالى عنه ذلك من اليهود قال لهم يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم
يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا الستم تقولونها فنزلت وجاءه صلى الله
عليه وسلم جماعة من اليهود باطفالهم فقالوا له يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذي يحلف
ما نحن الا كهيئتكم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فانزل الله
تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم الاية وجاء ان احبار يهود منهم ابن صوريا الحيل ان يسلم على ما تقدم وشاش بن
قيس وكعب بن اسيد اجتمعوا وقالوا انا اشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وان بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم
اليك فتقضي لنا عليهم فنؤمن بك فابى ذلك عليهم فنزل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم ومن اليهود
من دخل في الاسلام تقية من القتل لما ظهر الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع اليهود في السر وهم
المنافقون وقد ذكر بعضهم ان المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة منهم الجلاس بجيم
مضمومة ولام مخففة وسين مهملة ابن سويد بن الصامت قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير سمعها
عمير وكان عمير يتيما في حجره لا مال له وكان يكلفه ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فنظر على فراشه فقال لئن كان
ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير فقال له عمير رضي الله تعالى عنه انك لاحب الناس واحسنهم عندي يدا ولقد قلت مقالة لئن
رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها اي اسكت عنها ليهلكن على ديني ولاحدهما ايسر على من الاخرى فمشى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الجلاس فحلف بالله لقد كذب على عمير وما قلت ما قال عمير بل والله لقد قلت عيبك الى الله ولولا
ان ينزل القران فيجعلني معك ما قلته وجاء انه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر فحلف انه ما قال واستحلف
الراوي عليه فحلف ثم قال عمير اللهم انزل على نبيك صلى الله عليه وسلم تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبي
صلى الله عليه وسلم امين فنزل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب
وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع من خير كان يصنعه الى عمير رضي الله تعالى عنه وكان ذلك مما
عرف به حسن توبته وقال صلى الله عليه وسلم لعمير وفت اذنك منهم نبتل بنون مفتوحة فوحدة ساكنة فمثناة فوقية
مفتوحة فلام ابن الحارث قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث كان
يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال لهم انما محمد اذن من حدثه بشيء صدقه
فانزل الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن الاية وجاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يجلس اليك رجل صفته كذا فقال اي الحديث الذي حدثك به كبده اغلظ من كبد الحمار
ينقل حديثك للمنافقين فاحذره ومنهم عبد الله بن ابي بن سلول وهو راس المنافقين ولا شهادة بالنفاق

لو بعد

لو بعد في الصحابة وكان من اعظم اشراف اهل المدينة وكان قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم المدينة قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكونه
عليهم اي كما تقدم لان الانصار من القحطان ولا يتوج من العرب الا القحطان ولم يبق من الخرز الا خرزة واحدة كانت عند شمعون
اليهودي فلما جاءهم الله برسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عنه قومه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضغنه اي اضمر
العداوة لانه راى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلبه ملكا عظيما فلما راى قومه قد ابوا الا الاسلام دخل فيه كارها
مصرا على النفاق اي وكان له اماء يكرههن على الزنا ليأخذ اجورهن فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم
قوم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ابو بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم فقال عبد الله بن ابي انظروا كيف
ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله
تعالى عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اخذ بيد علي كرم الله فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال علي كرم الله وجهه اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين
شر خليقة الله تعالى فقال له عبد الله مهلا يا ابا الحسن الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم
فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فافعلوا فاثنوا عليه خيرا فنزلت وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة
العائرة بين الغنمين اي المترددة المتحيرة الى هذه مرة والى هذه مرة وفي السنة الاولى من الهجرة اعرس صلى الله عليه وسلم بعائشة كذا
في الاصل وفي المواهب فلعل ذلك كان في السنة الثانية من الهجرة في شوال فعن عائشة رضي الله تعالى عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان احظى عنده مني اي فما توهمه بعض الناس من التشاؤم بذلك لكونه بين العيدين فيحصل المفارقة بين الزوجين لا عبرة
به ولا التفات اليه وكان ذلك في شوال على راس ثمانية عشر شهرا وقيل بعد سبعة اشهر وقيل بعد ثمانية اشهر من مقدمه
صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع اليه
رجال ونساء من الانصار فجاءتني امي واني لفي ارجوحة بين عذقين اي نخلتين فانزلتني من الارجوحة ولي جميمة
اي ركعتان اي رهنت لما قدمنا المدينة اي اصابتها الحمى فعن البراء رضي الله تعالى عنه قال دخلت مع ابي بكر رضي الله
تعالى عنه على اهله فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد اصابتها الحمى فرايت اباها يقبل خدها ويقول كيف انت يا بنية
قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فتمزق شعري فوفى جميمة ومسحت وجهي بشيء من ماء ثم اقبلت تقودني حتى وقفت بي
عند الباب واني لانهج حتى سكن نفسي ثم دخلت بي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا
وعنده رجال ونساء من الانصار فاجلستني في حجره ثم قالت هؤلاء اهلك فبارك الله فيهم وبارك لهم فيك فوثب
الرجال والنساء فخرجوا وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا وفي قد بنى بها نهارا اي الضحى العامة تقول
بنى باهله وهو خطا وانما تقول بنى على اهله قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ولا يبعد عن الخطا لكثرة الاستعمال الفصحاء له
اي كاستعمال عائشة له هنا هذا وفي الاستيعاب واخرج عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان ابا بكر رضي الله عنه
قال يا رسول الله ما يمنعك ان تبني باهلك قال الصداق فاعطاه ابو بكر رضي الله تعالى عنه اثنتي عشرة اوقية ونشا
فبعث بها الينا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي هذا الذي انا فيه وهو الذي توفي فيه ودفن فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد انه سياق ما تقدم وما ياتي يدل على انه صلى الله عليه وسلم انما دخل عليها

في بيته اليها بالنفخ ثم رايت لبعضهم صرح بذلك فقال كان دخوله عليه الصلوة بها بالنفخ نهارا وهذا خلاف ما يعتاده الناس
اليوم هذا كلامه وفي رواية عنها رضي الله تعالى عنها اتتني امي واني لفي ارجوحة مع صواحب لي فصرخت بي فاتيتها ما ادري
ما تريد مني فاخذت بيدي حتى وقفت بي على باب الدار وانا انهج حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيئا من ماء فمسحت
به وجهي وراسي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فاسلمتني
اليهن فاصلحن من شاني فلم يرعني الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمتني اليه وانا يومئذ بنت تسع سنين
قال بعضهم دخل صلى الله عليه وسلم بها بالسنح ولعبتها معها اي وعنها رضي الله عنها انها كانت تلعب بالبنات اي اللعب
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وكان يأتيها جويريات يلعبن معها بذلك وربما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسربهن اليها اي يطلعهن لها ليلعبن معها قالت رضي الله عنها وقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم من غزوة تبوك او حنين فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر على صفة في البيت عن بنات لي فقال ما هذا يا عائشة
قلت بناتي ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال وما هذا ارى وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذي
عليه قلت جناحان قال جناحان قلت اما سمعت ان لسليمان عليه الصلوة والسلام خيلا لها اجنحة فضحك صلى الله
عليه وسلم حتى بدت نواجذه وفيه فلا امرها صلى الله عليه وسلم بتغيير ذلك واجيب بان هذا مستثنى من عدم جواز
تصوير ذي الروح وقولها رضي الله تعالى عنها اما سمعت ان لسليمان عليه الصلوة والسلام خيلا لها اجنحة واقره
صلى الله عليه وسلم عن ذلك يدل على صحته ثم رايت بعضهم اورد انه كان لسليمان عليه الصلوة والسلام
خيلا لها اجنحة وقد ذكرت ذلك عند الكلام على اسمعيل صلوات الله وسلامه عليه في اوائل هذه السيرة وعنها رضي الله
عنها قالت لما عرس على جزور ولا ذبحت على شاة اي عند بنائه صلى الله عليه وسلم بها حتى ارسل الينا سعد بن عبادة
رضي الله تعالى عنه بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في كلام بعضهم وروى انه صلى الله عليه
وسلم ما اولم على عائشة بشيء غير ان قدحا من لبن اهدي من بيت سعد بن عبادة فشرب النبي صلى الله عليه وسلم
بعضه وشربت عائشة باقيه اقول يجوز ان يكون سعد رضي الله عنه ارسل بالقدح من اللبن وبالجفنة وان
بعض الرواة اقتصر على احدهما ثم لا يخفى انه يجوز ان يكون الرواية الاولى واقعة بعد هذه الرواية الثانية و
انها ذهبت الى الارجوحة ثانيا بعد ان اصلح النساء من شانها وفعلت بها امها ما ذكروا انه وقع الاختصار في الرواية
الاولى والله اعلم

باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم

ذكر ان مغازيه صلى الله عليه وسلم وهي التي غزا
فيها بنفسه كانت سبعا وعشرين اي وهي غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة سفوان ثم غزوة بدر
الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة بني قينقاع ثم غزوة السويق ثم غزوة قرقرة الكدر ثم غزوة غطفان
وهي غزوة ذي امر ثم غزوة بحران بالحجاز ثم غزوة احد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم
غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة ثم غزوة بدر الاخرة وهي غزوة بدر الموعد ثم غزوة
دومة الجندل ثم غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة
بني لحيان ثم غزوة الحديبية ثم غزوة ذي قرد ويقال قرد بفتحتين وهو في اللغة الصوف الردي ثم غزوة
خيبر ثم غزوة وادي القرى ثم غزوة عمرة القضا ثم غزوة فتح مكة ثم غزوة حنين والطائف ثم
غزوة تبوك والتي وقع فيها القتال من تلك الغزوات اي وقع القتال فيه من اصحابه رضي الله عنهم وهو
المراد بقول بعضهم كالاصل التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وهي غزوة بدر الكبرى واحد

والمريسيع اعني بني المصطلق والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف اي وبعضهم اسقط فتح مكة قال النووي
رحمه الله ولعل هذا بناه على مذهبه انها فتحت صلحا كما قال امامنا الشافعي رضي الله عنه وموافقوه اي فيصح بيع دورها واجارتها واستدل
لذلك بانها لو كانت عنوة لقسمها بين الغانمين وسياتي الجمع بان اسفلها فتح عنوة اي لوقوع القتال فيه من خالد بن الوليد رضي الله
عنه مع المشركين واعلاها فتح صلحا لعدم وجود القتال فيه والهدى من قائل الاحاديث الصحيحة وبعدها كلها دالة على قول الجمهور
انها فتحت عنوة اي لوقوع القتال بها ومما يدل على ذلك انه صلى الله عليه وسلم لم يصالح اهلها عليها والا لم يحتج الى قوله صلى الله
عليه وسلم من دخل دار ابي سفيان فهو امن الى اخره وانما لم يقسمها لانها دار المناسك فلكل مسلم فيها حق اقول هذا واضح
في غير دورها وسياتي الجواب عن ذلك وبما قررناه يعلم ان قول المواهب قاتل صلى الله عليه وسلم في تسع منها بنفسه في شيء
من تلك الغزوات الا في احد كما سياتي وكانه اعتبر بقول بعضهم المتقدم قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
علمت المراد منه ولا يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة بغير قتال صابرا على شدة اذية العرب
بمكة واليهود بالمدينة له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه لامر الله تعالى له بذلك اي بالانذار والصبر على الاذى والكف
بقوله واعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده له بالفتح اي فكان يأتيه صلى الله عليه وسلم اصحابه رضي الله عنهم
ما بين مضروب ومشجوج فيقول صلى الله عليه وسلم لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال لانهم كانوا بمكة شرذمة قليلة ثم
لما استقر امره صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وكثرة اتباعه وشانهم ان يفدوا بمهجهم صلى الله عليه وسلم على محبة ابائهم
وابنائهم وازواجهم واصر المشركون على الكفر والتكذيب اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اي ولاصحابه
في القتال اي في ذلك في صفر في السنة الثانية من الهجرة لكن لمن قاتلهم وابتدا به بقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم
قال بعضهم ولم يوجد بقوله تعالى اذن للذين يقاتلون اي المؤمنين ان يقاتلوا بانهم ظلموا اي بسبب انهم ظلموا وان الله
على نصرهم لقدير اي فكان القتال عوضا من العذاب عوملت به الامم السابقة لما كذبت رسلهم وذكر في سبب نزول
قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم ان جماعة منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة
بن مظعون وسعد بن ابي وقاص وكانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة فقالوا يا رسول الله كنا في عز ونحن
مشركون فلما امنا صرنا اذلة فاذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم عنهم فاني
لم اومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامر بالقتال كرهه بعضهم وشق عليه ذلك فانزل الله
الاية لا يقال ينافي ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم قاتل بنفسه في تلك الغزوات ما جاء عن بعض الصحابة
كنا اذا لقينا كتيبة او جيشا اول من يضرب النبي صلى الله عليه وسلم لانا نقول لا يبعد ان يكون المراد بالضرب
البروز للارض اي اول من يبرز اي يلقاء العدو ويؤيده ما جاء عن علي كرم الله وجهه لما كان يوم بدر اتقينا
المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس باسا وما كان احد اقرب الى المشركين منه صلى الله
عليه وسلم وفي رواية كنا اذا حمي الباس والتقى القوم بالقوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي كان وقاية
لنا من العدو وقد نقل اجماع المسلمين على انه لم يرو احد قط انه صلى الله عليه وسلم انهزم بنفسه في موطن من المواطن
بل ثبتت الاحاديث الصحيحة باقدامه صلى الله عليه وسلم وثباته في جميع المواطن لا يقال سياتي في غزوة
بدر عن السيرة الشامية عن مغزو ولا احد انه صلى الله عليه وسلم قاتل بنفسه قتالا شديدا وكذلك ابو بكر رضي
الله تعالى عنه وكان في العريش يجاهدان بالدعاء ثم نزلا فقاتلا جمعا بين المقامين وايضا في خبر ما قد يدل
على انه صلى الله عليه وسلم لم يباشر قتل بنفسه لانا نقول سياتي ما في ذلك مما يدل على انه صلى الله عليه وسلم

لم يباشر القتال الا في احد كما سياتي ولم يقاتل معه صلى الله عليه وسلم الملائكة الا في بدر والا في حنين قيل وما عدا سياتي ما في ذلك
ولم يرم صلى الله عليه وسلم بالحصا في وجه العدو في شيء من الغزوات الا في هذه الثلاثة اي ولم يخرج اي لم يصبه صلى الله عليه وسلم
جراحة في غزوة من الغزوات الا في احد ولم ينصب صلى الله عليه وسلم المنجنيق في غزوة من الغزوات الا في الطائف وقيل
انه نصبه على بعض حصون خيبر وسياتي الجمع بينهما ولم يتحصن بالخندق في غزوة الاحزاب ثم لا يخفى ان الاية المذكورة
التي هي اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير لبعضهم هي اول اية نزلت في شان القتال ولما
نزلت اخبر صلى الله عليه وسلم بقوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله او في لفظ حتى يشهدوا ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فاذا قالوا عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قيل وما حقها قال زنا بعد
احصان وكفر بعد اسلام او قتل نفس اقول ... وظاهر هذا السياق يقتضي ان الاية فيها الامر له صلى الله عليه وسلم بالقتال
المذكور ومدة بتوقف في ذلك ولعله امر بذلك بغير الاية المذكورة لان الاية انما هي ظاهرة في الاباحة والمباح ليس مامورا
وحينئذ يكون قوله في الاية الاخرى وهي فان قاتلوكم فاقتلوهم فاقتلوا للاباحة لان صيغة افعل تاتي لها وان كان الاصل
فيها الوجوب وعلى ان قوله صلى الله عليه وسلم امرت وان امره كان بغير هذه الاية يحمل على ان المراد الندب لان
امر مشترك بين الوجوب والندب فلا ينافي ما تقدم من انه لم يكن وجب عليهم القتال حينئذ والله اعلم ثم لما منعهم فاطمعوا في
ورموا القتال من كل جانب كانوا لا يبيتون الا في السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا
نخاف الا الله عز وجل انزل الله عز وجل وعد الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ثم اذن في القتال ابيح الابتداء به حتى لمن
لم يقاتل اي لكن في غير الاشهر الحرم التي هي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم اي بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين الاية ثم امر به وجوبا اي بعد فتح مكة في السنة الثامنة مطلقا اي من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله
تعالى وقاتلوا المشركين كافة اي جميعا في اي زمن فعلم ان القتال كان قبل الهجرة وبعدها الى صفر من السنة الثانية محرما
اي لانه كان في ذلك مامورا بالتبليغ وكان انذارا بلا قتال لانه نهى عنه قيل في نيف وسبعين اية ثم صار ما ذكرناه
ان ابيح قتال من لم يبدا به في غير الاشهر الحرم وغيرها وظاهر كلام الاسنوي رحمه الله ان القتال في الحالة الثانية كان
مامورا به لا مباحا كالحالة الاولى وعبارته لما بعث صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والانذار بلا قتال فقال واعرض
عنهم وقال لعاصيهم ثم اذن له بعد الهجرة في القتال ان ابتدءوا به فقال وان قاتلوكم فاقتلوهم ثم امر به ابتداء ولكن في
غير الاشهر الحرم فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين ثم امر به مطلقا فقال وقاتلوا المشركين كافة
هذا كلامه فلا يخفى ان الاسنوي ممن يرى ان الامر للوجوب وهو يقتضي ان الامر به في الحالة الثانية للوجوب و
الراجح ما علمت ان امر مشترك بين الوجوب والندب ان في الحالة الثانية مباح لا مامور به ثم استقر امر الكفار معه
صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة اقسام القسم الاول محاربون له صلى الله عليه وسلم وهؤلاء
المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية في كل عام مرة اي يلي ذلك فاسقاطا للحرج كاحياء الكعبة و
استدل لذلك بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة اي فعلا نفر وقيل فرض عين لعقوبة الثلاثة الذين تخلفوا
عن الجهاد في غزوة تبوك ويحتاج الى الجواب عن ذلك وقيل كان فرض كفاية في حق الانصار وفرض عين في حق
المهاجرين والقسم الثاني اهل عهدهم المؤمنون من على عقد الجزية اي صالحهم وعاهدهم على ان لا يحاربوا ولا يظاهروا
عليه عدوه وهم على كفرهم امنون على دمائهم واموالهم والقسم الثالث اهل ذمة وهم من عقدت الجزية وهنا انتم اض

وهو

وهو من دخل في الاسلام نفاقا من القتل وهم المنافقون كما تقدم وامره صلى الله عليه وسلم ان يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم
الى الله تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشعائر الاسلام الظاهرة كالصلوة فلا يخالف ما رواه الشيخان انه امر
بالصلوة فتقام ثم امر رجلا فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلوة فاحرق
بيوتهم بالنار فقد ذكر ان ذلك وقع في قوم منافقين يتخلفون عن الجماعة ولا يصلون اي اصلا بدليل السياق لان
صدر الحديث اثقل الصلوة على المنافقين صلوة ... والفجر اي جماعتها ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا ولقد هممت
الى اخره وفي الخصائص الصغرى وكان الجهاد في عهده صلى الله عليه وسلم فرض عين في احد الوجهين عندنا وكان
اذا غزا بنفسه صلى الله عليه وسلم يجب على كل احد الخروج معه لقوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ومن ثم وقع لمن تخلف عنه في غزوة تبوك ما وقع واما بعده صلى الله
عليه وسلم فللكفار حالان مذكوران في كتب الفقه وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم في القتال خرج لاثني عشرة
ليلة مضت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة اي مكث عليه صلى الله عليه وسلم بالمدينة باقي الشهر الذي
قدم فيه وهو شهر ربيع الاول وباقي ذلك العام كله الى صفر من السنة الثانية من الهجرة فخرج صلى الله عليه
وسلم غازيا حتى بلغ ودان بفتح الواو وتشديد الدال المهملة اخره نون وهي قرية كبيرة بينها وبين الابواء ستة
اميال او ثمانية والابواء بالمد قرية بين مكة والمدينة كما تقدم سميت بذلك لتبوء السيول فيها وقيل لما كان فيها
من الوباء فيكون على القلب والا لقيل الادباء وحينئذ لا تخالف بين تسمية ابن اسحاق لها بغزوة ودان
وبين تسمية البخاري لها بغزوة الابواء لتقارب المكانين اي في الامتاع وودان جبل بين مكة والمدينة اقول
وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان تكون تلك القرية كانت عند الجبل المذكور فسميت باسمه والله اعلم وكان خروجه
صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين ليس فيهم انصاري يعترض عيرا لقريش وبني ضمرة اي خرج صلى الله عليه
وسلم لبني ضمرة فكان خروجه للشيئين كما يعلم من الاصل ويوافق قول بعضهم وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في رجال من اصحابه يريد قريشا وبني ضمرة والمفهوم من سيرة الشامي ان خروجه صلى الله عليه وسلم انما كان
لاعتراض العير وانما اتفق له موادعة بني ضمرة فيها ونقل قول الحافظ الدمياطي خرج صلى
الله عليه وسلم يعترض عير القريش فلم يلق كيدا وفي هذه الغزوة وادع بني ضمرة هذا كلامه اي صالح وهو مخشي بن
عمرو الضمري عنهم ثم رجع الى المدينة والمصالحة على ان لا يغزوهم ولا يغزونه ولا يكثروا عليه صلى الله عليه وسلم
جمعا ولا يعينوا عليه عدوا قال ... وكتب صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا
كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة امنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصرة على من رامهم
اي قصدهم ان لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة اي ما بقي فيه ما يبل الصوفة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم
لنصرة اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم اي امانهما انتهى وكان لواءه صلى الله عليه وسلم ابيض
وكان مع عمه حمزة وان النبي واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة سعد بن عبادة وانصرف الى المدينة راجعا فهي
اول الغزوات صلى الله عليه وسلم وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة غزوة بواط ثم غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول اي وقيل الاخر من السنة المذكورة يريد عير القريش فيها امية بن خلف ومائة
رجل من قريش والفان وخمسمائة بعير خرج صلى الله عليه وسلم في مائتين من اصحابه اي من المهاجرين خاصة وحمل
اللواء وكان ابيض سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع امير الجيش

وقد يحمله امير الجيش وقد يجعل في مقدم الجيش واول من عقد الالوية ابرهيم الخليل صلى الله عليه وسلم بلغه ان قوما
اغاروا على لوط عليه الصلوة والسلام فعقد لواء وسار اليهم بعبيده ومواليه قال بعضهم صرح جماعة من اهل اللغة بترادف
اللواء والراية اي ينطلق على كل اسم الاخر وعن ابن اسحق رحمه الله ان اسم الراية انما حدث بعد خيبر واستعمل صلى الله
عليه وسلم على المدينة سعد بن معاذ وقيل السايب بن مظعون اي اخو عثمان بن مظعون وقيل السايب بن عثمان بن
مظعون حتى بلغ بواط بضم الموحدة وفتحها وتخفيف الواو والطاء المهملة اي وهو جبل الينبع ومن ثم قيل لها غزوة
بواط قال بعضهم ومن هذا الجبل تقلع احجار المسان وهذا الجبل بجهينة من ناحية رضوى وهو احد الاجبل التي
منها اساس الكعبة وفيه انه لم يذكر رضوى في تلك الاجبل الخمس التي منها اساس الكعبة المتقدم ذكرها على المشهور
وقد جاء في الحديث رضوى رضي الله عنه وتزعم الكيسانية وهم اصحاب كيسان مولى علي كرم الله وجهه اي محمد
بن الحنفية مقيم برضوى حي يرزق وهو الامام المنتظر عندهم اي وفي كلام بعضهم ان المنتظر هو محمد القايم بن الحسن
العسكري الذي تزعم الشيعة ان المنتظر وهو صاحب السرداب يزعمون انه دخل السرداب في دار ابيه وامه تنظر اليه
فلم يخرج اليها وكان عمره تسع سنين وانه يعمر الى اخر الزمان كعيسى عليه السلام وسيظهر فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا و
اختفاؤه الاخوف من اعدائه قال وزعم باطل لا اصل له ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا اي حربا واصل
الكيد الاحتيال والاجتهاد ومن ثم سمي الحرب كيدا غزوة العشيرة اي وبها بدا البخاري رحمه الله المغازي ويدل
له ما جاء عن زيد بن اسلم وقد قيل له ما اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذات العشيرة واجيب
عنه بان المراد باول غزاة غزاها وانت معه ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر جمادى الاولى وفي سيرة
الدمياطي الاخرة من تلك السنة اي وفي الامتاع في جمادى الاخرة ويقال جمادى الاولى يريد عير القريش متوجهة الشام
يقال ان قريشا جمعت جميع اموالها في تلك العير لم يبق لا قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به في تلك العير
الا حويطب بن العزى عبد يقال ان في تلك العير خمسين الف دينار والف بعير وكان فيها ابو سفيان اي قايدها
وكان معه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وهي العير التي خرج
اليها حين رجعت من الشام وكانت سببا لوقعة بدر الكبرى كما سياتي وخرج في خمسين او مائة ويقال في مائتين من
المهاجرين خاصة حتى بلغ العشيرة بالمعجمة والتصغير اخرها هاء اي ولم يختلف فيه اهل المغازي كما قال الحافظ ابن حجر وفي
البخاري اخرها هاء وفيه ايضا العسيرة بالسين المهملة اخرها هاء اي بالتصغير واما التي بغير تصغير فهي غزوة تبوك كما
سياتي والتي بالتصغير يقال ايضا الموضع ببطن الينبع وهو منزل الحاج المصري وهو لبني مدلج واستخلف على المدينة
ابا سلمة بن عبد الاسد وحمل اللواء وكان ابيض عمه حمزة بن عبد المطلب وخرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها فوجدوا
العير قد مضت قبل ذلك بايام فرجع ولم يلق حربا ووادع صلى الله عليه وسلم فيها بني مدلج قال في الاصل
وحلفاءهم من بني ضمرة وذكر في المواهب هنا صورة الذي كتبه صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة في غزوة ودان
الذي قدمناه ثم نقلنا عن ذلك وكنى صلى الله عليه وسلم فيها عليا كرم الله وجهه ابا تراب حين وجده نايما هو وعمار
بن ياسر رضي الله تعالى عنهم وقد علق به التراب فايقظه عليه الصلوة والسلام برجله وقال له قم يا ابا تراب اي
الذي سفت عليه الريح ولما قام قال له صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باشقى الناس اجمعين عاقر الناقة والذي
يضربك على هذا ووضع يده على قرن راسه حتى يخضب هذه ووضع يده على لحيته وفي رواية اشقى الاولين عاقر ناقة
صالح واشقى الاخرين قاتلك وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه من اشقى الاولين

فقال

فقال علي كرم الله وجهه الذي عقر الناقة يا رسول الله قال الذي يضربك على هذه واشار الى يافوخه وكان اخبر صلى الله عليه و
سلم بنحو من هلاكه بنوبته فانه كان لما دخل شهر رمضان سنة اربعين صار يفطر ليلة عند الحسن رضي الله عنه وليلة عند الحسين
رضي الله تعالى عنه وليلة عند عبد الله ابن جعفر لا يزيد في اكله على ثلاث لقم ويقول احب ان القى الله وانا خميص فلما كانت الليلة
التي ضرب صبيحتها اكثر الخروج والنظر الى السماء وجعل يقول والله انها الليلة التي وعدت فلما كان وقت السحر واذن المؤذن
بالصلوة خرج الى المسجد فقبل الاوز التي كانت لخدامه يصحن في وجهه فطردهن بعض اهل بيته فقال دعوهن فانهن نوايح
فلما دخل المسجد اقبل ينادي بالصلوة الصلوة فشد عليه عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله من طوائف الخوارج فضربه القرنة
التي اخبر بها صلى الله عليه وسلم وعند ذلك شد عليه الناس من كل جانب فطرح عليه رجل قطيفة واخذ السيف منه وقيل له
يا امير المؤمنين خل بيننا وبين مراد يعنون قبيلة الرجل الذي ضربه فقال لا ولكن احبسوا الرجل فان انا مت فاقتلوه وان اعش
فالجروح قصاص فحبس فلما مات كرم الله وجهه غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم ومحمد ابن الحنفية يصب الماء
وكفن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وصلى الله عليه وسلم الحسن رضي الله عنه وكبر عليه سبعا ودفن ليلا بدار الامارة بالكوفة
وقيل بغير ذلك واخفي قبره لئلا تنبشه الخوارج وقيل حملوه على بعير ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم
في مسيرهم ليلا اذ ند البعير الذي عليه فلم يدر اين ذهب ومن الناس من يزعم انه انتقل الى السماء وانه الان في السحاب
ولما اصيب كرم الله وجهه دعا الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم فقال لهما اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا
على شيء زوي منها عنكما وقولا الحق ولا تاخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى ولده محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما وصيت به
اخويك فقال نعم اوصيك بمثله واوصيك بتوقير اخويك لعظم حقهما عليك فلا توثق امرا دونهما ثم قال اوصيكما به فانه
شقيقكما وابن ابيكما وقد علمتما ان اباكما كان يحبه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله الى ان قبض فلما قبض اخرج الحسن ابن ملجم لعلي كرم الله وجهه
اني اشتريت سيفي هذا بالف وسممته بالف وسالت الله ان يقتل به شر خلقه فقال علي كرم الله وجهه قد اجاب دعوتك يا حسن
اذا انا مت فاقتله بسيفه ففعل الحسن رضي الله تعالى عنه ذلك ثم احرقت جثته وقد ذكر انه قطعت اطرافه وجعل في قوصرة
واحرقوه بالنار وقد ذكر ان عليا كرم الله وجهه قال يوما وهو يشير لابن ملجم هذا والله قاتلي فقيل له الا تقتله فقال من يقتلني
وتبع الاصل في كون تكنية علي كرم الله وجهه بابي تراب في هذه الغزوة شيخه الدمياطي واعترض في الهدي بانه صلى
الله عليه وسلم انما كناه بذلك بعد نكاحه فاطمة فانه صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فقال لها اين ابن عمك قالت رضي الله تعالى
عنها خرج مغاضبا فجاء صلى الله عليه وسلم الى المسجد فوجده مضطجعا فيه وقد لصق به التراب فجعل ينفضه عنه ويقول اجلس
يا ابا تراب لانه اذا غضب على فاطمة رضي الله تعالى عنها في شيء لم يكلمها ولم يقل لها شيئا تكرهه الا انه ياخذ ترابا فيضعه على
راسه وكان صلى الله عليه وسلم اذا راى التراب على راسه عرف انه عاتب على فاطمة رضي الله عنها قال في النور يجوز ان يكون
صلى الله عليه وسلم خاطبه بهذه الكنية مرتين اي فيكون سبب الكنية ما وقع له في كونه يضعه على راسه غزوة سفوان
ويقال لها غزوة بدر الاولى وحين قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة الا ليالي لم تتم العشر
حتى اغار كرز بن جابر الفهري وقد قاد وقيل انه اسلم على سرح المدينة اي النعم والمواشي التي تسرح الى المرعى
بالغداة فخرج في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان بالمهملة والفاء ساكنة وقيل مفتوحة من ناحية بدر اي ولذا قيل
لها غزوة بدر الاولى وفاته صلى الله عليه وسلم كرز فلم يدركه وكان قد استعمل على المدينة في هذه الغزوة زيد بن حارثة
رضي الله عنه وحمل اللواء وكان ابيض علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وقد تبع الاصل في تقديم غزوة العشيرة على
غزوة سفوان لما تقدم وهو عكس ما في سيرة الشامي الموافق للسيرة الدمياطية باب تحويل القبلة وحولت القبلة في رجب

من السنة المذكورة التي هي الثانية في نصفه وقيل في نصف شعبان قال بعضهم وعليه الجمهور وقيل كان في جمادى الآخرة اي
فقيل انه صلى الله عليه وسلم صلى نحو المقدس اي في بيت المقدس ستة عشر شهرا وقيل سبعة عشر شهرا وقيل اربعة عشر
شهرا وقيل غير ذلك وتقدم انه صلى الله عليه وسلم صلى في مسجده بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة اشهر والاكثر وقيل
ان تحويلها كان في صلوة الظهر وقيل العصر اي ففي الصحيح عن البراء ان اول صلوة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة
صلوة العصر وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون المراد اول صلوة صلاها صلى الله عليه وسلم كلها الى الكعبة صلوة العصر لان
الظهر صلى نصفها الاول لبيت المقدس ونصفها الثاني للكعبة ثم رايت الحافظ بن حجر رحمه الله نقل ذلك حيث قال
التحقيق ان اول صلوة صلاها صلى الله عليه وسلم بالمسجد النبوي العصر وان التحويل في العصر كان في محل احد الانصار
اي في بني حارثة وقيل حولت في صلوة الصبح وهو محمول على ان ذلك كان في قباء لان الخبر لم يبلغهم الا حينئذ كما
سياتي وانما حولت لانه صلى الله عليه وسلم كان يحب ان يكون قبلته الكعبة سيما كما بلغه ان اليهود قالوا يخالفنا
محمد ويتبع قبلتنا اي وفي لفظ قالوا للمسلمين لو لم يكن محمد على هدى ما صليتم الى قبلتنا اذا اقتديتم بنا نبيكم وفي لفظ كان
صلى الله عليه وسلم يحب ان يستقبل الكعبة محبة لموافقة ابرهيم واسمعيل عليهما الصلوة والسلام وكراهة لموافقة اليهود
ولقول كفار قريش للمسلمين لم تقولون نحن على ملة ابرهيم وانتم تتركون قبلته وتصلون الى قبلة اليهود اي ولانه صلى الله
عليه وسلم لما هاجر صار اذا استقبل صخرة بيت المقدس يستدبر الكعبة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فقال لجبريل
عليه السلام وددت ان الله سبحانه وتعالى صرفني عن قبلة اليهود فقال جبريل عليه السلام انما انا عبد لا املك شيئا
الا ما امرت به فادع الله تعالى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويكثر اذا صلى الى بيت المقدس من
النظر الى السماء ينتظر امر الله تعالى اي لان السماء قبلة الدعاء وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل عليه السلام وددت انك سالت الله تعالى ان يصرفني الى الكعبة فقال جبريل عليه السلام لست استطيع ان
ابتدئ الله عز وجل بالمسالة ولكن ان سالني اخبرته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا ام بشر ابن معرور في بني سلمة
وصنعت له طعاما وحانت صلوة الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه في مسجد هناك فلما صلى ركعتين
نزل جبريل عليه السلام فاشار اليه ان صل الى الكعبة واستقبل الميزاب فاستدار رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الكعبة اي فاستدار النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء اي فتحول من مقدم المسجد الى مؤخره
لان من استقبل الكعبة في المدينة يلزم ان يستدبر الكعبة وهو صلى الله عليه وسلم لو دار كما هو مكانه لم يكن
خلفه مكان يسع الصفوف قيل وكان ذلك وهم راكعون وفيه ان هذا يستدعي عملا كثيرا في الصلوة وهو مفسد لها
عندنا اذا توالى وقد يقال لا مانع لجواز ان يكون ذلك قبل تحريم العمل الكثير في الصلوة او ان هذا العمل لم يكن
على التوالي اقول ويدل له صلى الله عليه وسلم على ام بشر اي وعلى الربيع بنت معوذ بن عفراء وعلى ام حرام
بنت ملحان وعلى اختها ام سليم والخلوة بكل منهن فقد كانت ام حرام بنت ملحان تفلي راسه الشريف وينام
عندها استدل على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز النظر الى الاجنبية والخلوة بها لانه صلى الله
عليه وسلم ماموز الفتنة كما سياتي والله اعلم وسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين وقيل كانت تلك الصلوة التي
هي صلوة الظهر التي وقع التحول فيها في مسجده صلى الله عليه وسلم فخرج عباد بن بشر رضي الله تعالى عنه
وكان صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر على قوم من الانصار يصلون العصر وهم راكعون فقال
اشهد لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت يعني الكعبة ثم بلغ اهل قباء ذلك وهم

في صلوة الصبح في الثانية اي وهم ركوع وقد ركعوا ركعة فنادى منادي الا ان القبلة قد حولت الى الكعبة فتحولوا اليها
اي وفي البخاري بينا الناس بقباء في صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن
وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها فاستداروا الى الكعبة وفي مسلم بدل صلوة الصبح صلوة الغداة قال الحافظ
بن حجر وهما اسمان لها ونقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك ولم ينقل انهم امروا بقضاء العصر والمغرب والعشاء ولا
اعادة الركعة التي صلوها في الصبح وهو دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله على انه يجب
ذلك الامر المقطوع به وهو استقبال بيت المقدس الى امر مظنون وهو خبر الواحد واجيب عن هذا الثاني بان الخبر المذكور
احتفت به قرائن القطع عندهم بصدق المخبر فلم ينتقلوا الامر المعلوم الا لامر معلوم ايضا على انه نسخ المتواتر عليه
عليه فلينة كما تقرر في محله وقد يقال ان المبلغ لهم عباد بن بشر ايضا فيكون عباد رضي الله تعالى عنه اتى بني حارثة اولا
في صلوة العصر ثم توجه الى اهل قباء فاعلمهم بذلك في وقت الصبح والقرآن الذي نزل هو قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك
في السماء الايات اي والى هذا يشير بعضهم رحمه الله تعالى بقوله كم للنبي المصطفى من اية عز اجال الفكر في معناها
لما راى الباري تقلب وجهه ولاه اي قبلة يرضاها وعن عمارة بن اوس الانصاري رضي الله تعالى عنه قال صلينا احد صلوة
العشاء اي وهما الظهر والعصر فقام رجل على باب المسجد ونحن في الصلوة فنادى ان الصلوة وجهت نحو الكعبة فتحول امامنا
نحو الكعبة وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء اي تطلعا نحو الوحي وتشوقا للامر باستقبال الكعبة فلنولينك
اي فلنحولنك قبلة ترضاها اي تحبها فول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه والمراد بالمسجد الحرام الكعبة وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق اي الرجوع الى الكعبة اي الحق من ربهم اي لما في كتبهم من نعته صلى
الله عليه وسلم بانه يتحول الى الكعبة اقول ولعل هذه القصة التي رواها عمارة رضي الله تعالى عنه هي التي رويت عن رافع بن
خديج رضي الله تعالى عنه قال اتانا آت ونحن نصلي في بني عبد الاشهل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان يوجه
الى الكعبة فداروا امامنا الى الكعبة ودرنا معه والله اعلم واجتمع قوم من كبار اليهود وجاءوا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا
له يا محمد ما ولاك عن قبلتنا التي كنت عليها وانت تزعم انك على ملة ابرهيم ودينه اي وما كنت عليه قبلة ابرهيم وهذا بناء على
ان زعمهم ان بيت المقدس كان قبلة الانبياء عليهم الصلوة والسلام كما سياتي منهم وسياتي ما فيه ثم قالوا ارجع الى قبلتك
التي كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما يريدون بذلك فتنته ليعلم الناس انه صلى الله عليه وسلم حيرة من امره اي واختار
لما يخدعونه في فتنته صلى الله عليه وسلم من انه يرجع الى استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة وفي رواية انهم قالوا
للمسلمين ما صرفكم عن قبلة موسى ويعقوب وقبلة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويوافقه قول الزهري لم يبعث الله
منذ هبط ادم عليه السلام الى الارض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس ويوافق هذا ظاهر قول الامام السبكي
في تائيته بقوله وصليت نحو القبلتين معزرا وكل نبي ما له غير قبلة قال شارحها يشير الى ان كل نبي كانت قبلته بيت
المقدس وهو صلى الله عليه وسلم قد شاركهم فيها اي واختص بالكعبة ومن ثم جاء في التوراة في وصفه صلى الله عليه وسلم
بصاحب القبلتين وفيه ان قبلة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم انما هي الكعبة فعن ابي العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء
عليهم الصلوة والسلام وكان موسى عليه الصلوة والسلام يصلي الى صخرة بيت المقدس وهي بينه وبين الكعبة ومثل هذا
لا يقال الا عن توقيف اي وقد يقال بمثل هذا فيما تقدم عن اليهود وعن الزهري على تسليم صحته من ان صخرة قبلة بيت المقدس
كانت قبلة لجميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام انهم كانوا يصلون اليها ويجعلونها بينهم الكعبة فلا مخالفة لا يقال هذا ليس
اولى من العكس او ان استقبال الانبياء للكعبة انما كانوا يجعلونها بينهم وبين صخرة بيت المقدس لانا نقول تقدم في الاصل

فى تفسير قوله تعالى ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك اى يكتمون ما علموا من ان الكعبة هى قبلة الانبياء عليهم الصلوة والسلام
اى المقصود بالاستقبال لانهم يستقبلونها لاجل صخرة بيت المقدس وذكر بعضهم ان اليهود لم تجد كون الصخرة قبلة فى
التورية وانما كان تابوت السكينة على الصخرة فلما غضب الله على بنى اسرائيل رفع فصلوا الى الصخرة بمشاورة منهم اى
وادعوا انها قبلة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وما تقدم من الزهرى رحمه الله تقدم الجواب عنه ثم قال والله
ان انتم الا قوم تنشون فانزل الله تعالى سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق و
المغرب اى الجهات كلها فيأمر بالتوجه الى اى جهة شاء لا اعتراض عليه يهدى من يشاء الى صراط مستقيم لو كان
اول ما نسخ القبلة فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اول ما نسخ من القران فيما ذكر لنا والله اعلم شان القبلة قال [هامش: ابن … استقبل]
صلى الله عليه وسلم بيت المقدس اولا اى بمكة والمدينة ثم صرفه الله تعالى الى الكعبة اى واما قوله تعالى فاينما تولوا
فثم وجه الله فمحمول على التنفل فى السفر فانه يصلى حيث توجه وما قيل ان سبب نزولها ما ذكره بعض الصحابة قال كنا فى سفر ليلة مظلمة
فلم ندر اين القبلة فصلى كل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فيقال يتطرق
لضعف الحديث او هو محمول على ما اذا صلوا باجتهاد اى ولما توجه صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال المشركون من اهل مكة توجه
محمد بقبلة ابيكم وعلم انكم كنتم اهدى منه ويوشك اى يقرب ان يدخل فى دينكم ومن ثم ارتد جماعة وقالوا مرة هيهنا
ومرة هيهنا ولما حولت القبلة الى الكعبة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قبا فقدم جدار المسجد الى مصلاه الان
وقالت الصحابة يا رسول الله لقد ذهب منا قوم قبل التحويل فهل يقبل منا ومنهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم اى صلوتكم الى بيت المقدس وذكر فى الاصل ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا مات قبل ان تحول قبلة البيت
رجال وقتلوا اى وهم ثمانية عشر من اهل مكة واثنان من الانصار وهم البراء بن معرور واسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنهما
فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم الاية ولفظة القتل وقعت فى البخارى وانكرها الحافظ ابن حجر
فقال ذكر القتل لم اره الا فى رواية زهير وباقى الروايات انما ذكر فيها الموت فقط ولم اجد فى شئ من الاخبار ان احدا من المسلمين
قتل قبل تحويل القبلة لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع فان كانت هذه اللفظة محفوظة فتحمل على ان بعض المسلمين ممن [هامش: لم يشتهر]
قتل فى تلك المدة فى غير الجهاد ثم قال وذكر لى بعض الفضلاء انه يجوز ان يراد من قتل بمكة من المستضعفين كابوى عمار فقلت يحتاج
الى ثبوت ان قتلهما كان بعد الاسراء هذا كلام الحافظ رحمه الله وفيه ان الركعتين اللتين كان يصليهما هو والمسلمون [هامش: بالغداة]
والعشى قبل فرض الصلوات الخمس كانت لبيت المقدس وتقدم انه صلى الله عليه وسلم لم يلتزم ذلك بل كان فى بعض الاوقات يصلى الى
الكعبة اى فى جهة اراد ثم لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة صار يستقبل بيت المقدس ويستدبر الكعبة الى وقت التحويل ومن ثم قال
فى الاصل ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين جميعا اى يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس لم يتبين توجهه الى بيت المقدس
للناس حتى خرج من مكة اى لانه استدبر الكعبة استقبل بيت المقدس فقول ابن عباس رضى الله عنهما لما هاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس امره الله تعالى ان يستقبل بيت المقدس معناه امره الله ان يستمر على
استقبال بيت المقدس وهذا هو المراد بقوله الذى نقله عنه وهو انه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى
الكعبة فلما هاجروا امره الله تعالى ان يصلى نحو صخرة بيت المقدس اى يستمر على ذلك ويستدبر الكعبة ثم امره باستقبال
الكعبة واستدبار بيت المقدس فلم يقع النسخ مرتين كما قد يفهم من ظاهر السياق ومن قول ابن جريج رحمه الله كان
صلى الله عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى اليه ثم وجهه
الله تعالى الى الكعبة هذا كلامه ومن ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله هذا ضعيف ويلزم منه النسخ مرتين قيل وكان امره

صلى الله عليه وسلم ابتداء استقبال بيت المقدس ليتألف اهل الكتاب لانه كان ابتداء الامر يحب ان يتألف اهل الكتاب
فيما لم ينه عنه فلا يخالف ما سبق من انه صلى الله عليه وسلم كان يحب ان يستقبل الكعبة كراهة لموافقة اليهود فى استقبال
بيت المقدس ولا يخالف هذا قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم ينه عنه
وبعد الفتح يحب مخالفتهم لجواز ان يكون ذلك اغلب احواله صلى الله عليه وسلم وقد يؤخذ من استدامة استقباله لبيت المقدس
كان يتألف اهل الكتاب جواب عما يقال اذا كانت الكعبة قبلة الانبياء عليهم الصلوة والسلام كلهم فلم وقع الى
استقبال بيت المقدس وهو بمكة كان باجتهاد وحاصل الجواب انه امر بذلك اوفق اليه لانه سيصير الى قوم قبلتهم
بيت المقدس فيتألفهم وقد يوافقه ما فى الاصل عن محمد بن كعب القرظى قال ما خالف نبى نبيا قط فى قبلة الا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس اى فهو مخالف لغيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فى ذلك
وهو موافق لما تقدم عن ابى العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء عليهم الصلوة والسلام اى وفى السنة المذكورة التى
هى الثانية فرض صوم رمضان وفرضت زكوة الفطر وطلبت الاضحية اى استحبابا عن ابى سعيد الخدرى رضى الله
عنه نزل فرض شهر رمضان بعد ما صرفت القبلة الى الكعبة بشهر فى شعبان اى على ما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم
يصوم هو واصحابه قبل فرض رمضان ثلاثة ايام من كل شهر اى وهى الايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس
عشر قيل وجوبا فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر الايام فى حضر ولا فى
سفر فكان يجب صيامها قيل كان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم قبل فرض رمضان صوم عاشوراء ثم نسخ ذلك
بوجوب رمضان وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم ففى البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما صام
النبى صلى الله عليه وسلم عاشوراء فلما فرض رمضان ترك صوم عاشوراء والمشهور من مذهبنا معاشر الشافعية انه لم يجب
على هذه الامة صوم قبل رمضان وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا دلالة فيه على الوجوب لجواز ان يكون
ترك لصوم يوم عاشوراء فى بعض الاحايين بعد فرض رمضان خشية اعتقاد وجوب صومه كرمضان ويجاب بمثل ذلك
عما فى الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصومه موافقة لهم اى ولم يأمر احدا من الصحابة بصيامه فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان
كان رمضان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه اى تركه صلى الله عليه وسلم خوفا من توهم انه فرض
كرمضان وقولها رضى الله تعالى عنها فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه اى لانه صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة
فى ايام قدومه المدينة وذلك فى شهر ربيع الاول وجد اليهود تصومه وتعظمه فسألهم عن ذلك فقالوا يوم عظيم
انجى الله فيه موسى وقومه واغرق فرعون وقومه فصامه موسى عليه السلام شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن احق بموسى منكم فصامه وامر بصيامه كما جاء ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفى كلام الحافظ ناصر الدين عن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة يوم عاشوراء فاذا اليهود صيام فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما هذا قالوا هذا يوم اغرق الله تعالى فيه فرعون وانجى فيه موسى عليه الصلوة والسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى بموسى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه هذا حديث صحيح اخرجه
البخارى ومسلم والمدينة يحتمل ان المراد بها قباء ويحتمل ان المراد باطنها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلما فرض رمضان
قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من شاء صامه ومن شاء تركه اى قال ذلك لهم خشية اعتقادهم وجوب صومه كوجوب صوم
رمضان وفى كونه صلى الله عليه وسلم وجدهم صائمين لذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم

كما تقدم او هو اليوم التاسع منه كما يقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فكيف يكون من ربيع الاول واجيب بان السنة عند
اليهود شمسية فصار يوم عاشورا الذي كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق ان في ذلك
الزمن اي زمن قدومه صلى الله عليه وسلم وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان اليوم يوم عاشورا لما سال
ومما يدل على ذلك ما في المعجم الكبير للطبراني عن خارجة بن زيد قال ليس يوم عاشورا اليوم الذي يقوله الناس انما كان
يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور في السنة وكان الناس ياتون فلان
اليهودي فيسالونه فلما مات اليهودي اتوا زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه فسالوه فصام صلى الله عليه وسلم وامر
بصيامه حتى انه صلى الله عليه وسلم ارسل في ذلك اليوم اسلم بن حارثة الى قومه وهم اسلم وقال له مر قومك بصيام
عاشورا فقال ارايت ان وجدتهم قد طعموا قال فليتموا ان يمسكوا تعظيما لذلك اليوم وفي دلائل النبوة للبيهقي عن
بعض الصحابيات قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم يوم عاشورا ولقد سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعوا يوم عاشورا بالرضعاء فيتفل في افواههم ويقول لامهاتهن لا ترضعهن الى الليل والظاهر ان
المراد بعاشورا هذا اليوم الذي هو عاشر المحرم الهلالي لا الشمسي وكذا يقال في قوله سمي الى اخره فليتامل وقيل سمي
عاشورا لان عشرة من الانبياء عليهم الصلوة والسلام اكرمهم الله تعالى فيه بعشر كرامات تاب الله فيه على ادم عليه الصلوة والسلام
واستوت فيه سفينة نوح عليه الصلوة والسلام على الجودي اي فصام نوح عليه الصلوة والسلام ومن معه حتى الوحش شكرا لله
ورفع الله فيه ادريس عليه الصلوة والسلام ونصر فيه اخرج يوسف عليه الصلوة والسلام ونجى فيه ابرهيم صلوات الله و
سلامه عليه من النار وفيه اخرج يوسف عليه الصلوة والسلام من السجن اي وفيه رد الله عينه ولده ورد فيه على والده يعقوب عليه الصلوة
والسلام وفيه اخرج يونس عليه الصلوة والسلام من بطن الحوت اي وتاب على اهل مدينته تاب الله فيه على داود عليه الصلوة والسلام
وعوفي فيه ايوب عليه السلام وفي كلام ابن ناصر الدين رحمه الله عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل افترض على بني اسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشورا وهو اليوم العاشر
من المحرم فصوموه ووسعوا على اهاليكم فيه فانه من وسع على اهله من ماله يوم عاشورا وسع الله عليه ساير السنة فصوموه
وهو اليوم الذي تاب الله فيه على ادم وذكر ما تقدم وزاد عليه وانه اليوم الذي انزل الله فيه التورية على موسى عليه
الصلوة والسلام وفدي فيه اسمعيل عليه الصلوة والسلام من الذبح وهو اليوم الذي رد الله فيه على سليمان عليه
الصلوة والسلام ملكه وهو اليوم الذي غفر الله فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم ذنبه ما تقدم وما تاخر واول يوم خلق من الدنيا
يوم عاشورا واول مطر نزل من السماء يوم عاشورا واول رحمة نزلت من السماء يوم عاشورا فمن صام يوم عاشورا فكانما صام
الدهر كله وهو صوم الانبياء عليهم الصلوة والسلام الحديث بطوله ثم قال هذا حديث حسن ورجاله ثقات وذكر الحافظ
المذكور عن بعضهم قال كنت اتخذ للنمل خبزا كل يوم فلما كان يوم عاشورا وتقدم ان الصرد اول الطير صام عاشورا وفي كلام
بعضهم ما قيل في يوم عاشورا كانت توبة ادم الى اخر ما يفعل فيه من اظهار الزينة بالخضاب والاكتحال ولبس الجديد
وطبخ الحبوب والاطعمة والاغتسال والتطيب من وضع الكذابين والحاصل ان الرافضة اتخذوا ذلك ماتما يندبون
وينوحون ويحزنون والجهال اتخذوا ذلك فيه موسما وكلاهما على خلاف السنة واما التوسعة فيه على العيال
لحديثها ان لم يكن صحيحا فهو حسن خلافا لقول ابن تيمية ان التوسعة لم يرد فيها شيء عنه صلى الله عليه وسلم
وكان صلى الله عليه وسلم يصوم عاشورا كما يصومها اليهود من السنة الشمسية وعند اهل الاسلام من السنة
الهلالية وفي مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشورا

وامر

وامر بصيامه قال له بعض الصحابة يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان العام
المقبل صمنا اليوم التاسع قبله اي مخالفة لليهود فلم يات العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
هذا الحديث اشكال فان سياقه يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما صام يوم عاشورا ولا امر بصيامه الا في السنة التي توفي
فيها وهو مخالف لما سبق ويجاب عن هذا الاشكال بان المراد بقوله حين صام اي حين واظب على صومه واتفق ان قول بعض الصحابة
كان ذلك في السنة التي توفي فيها وهو صلى الله عليه وسلم كان شانه موافقة اهل الكتاب قبل فتح مكة ومخالفتهم بعده
كما تقدم وبعض متاخري فقهائنا يلحق ان قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان المقبل ان شاء الله تعالى صمنا اليوم التاسع
من تتمة حديث ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود تصومه وصام وامر بصيامه فاستشكل واجاب بان
المراد لما قدم من سفرة سافرها من المدينة بعد الهجرة اي وكان قدومه صلى الله عليه وسلم من تلك السفرة في السنة التي توفي
فيها وقد علمت انهما حديثان وقد علمت ان المعنى الحديث الذي تتمته اذا كان العام المقبل في كون اغراق فرعون ونجاة موسى عليه
السلام كان يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة يلزم عليه ان ذلك اليوم انتقل من ذلك الشهر الى اليوم العاشر من
المحرم الذي هو الشهر الهلالي من السنة الثانية واستمر كذلك كما هو ظاهر سياق الاحاديث ان الذي واظب عليه صلى الله
عليه وسلم على صيامه انما هو ذلك وكونه صلى الله عليه وسلم وافق اليهود على صوم ذلك ثم خالفهم في السنة الثانية وما بعدها
من ابعد البعيد ثم رايت ابا الريحان البيروني نازع في ذلك في كتابه الاثار الباقية عن القرون الخالية حيث قال لرواية
ان الله اغرق فرعون ونجى موسى عليه السلام يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة لامتحان يشهد عليها بالبطلان وبين
ذلك بما يطول وحينئذ يكون من جملة ما يحكم عليها بالبطلان اقرارهم على ذلك وكونه صلى الله عليه وسلم صامه وامر بصيامه
وفرض الله عز وجل عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته صيام شهر رمضان او الاطعام عن كل يوم مسكينا بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه
من الاصحاب المقيمين فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا اي زاد على اطعام المسكين فهو خير له وان تصوموا خير لكم اي من الفطر
والاطعام فكان من شاء صام ومن شاء اطعم عن كل يوم مدا ثم ان الله نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله
تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه الا في حق من لا يستطيع صومه للكبر او لمرض لا يرجى برؤه فيتخير بين الاطعام ورخص فيه
للمريض اذا كان بحيث يحصل له مشقة تبيح التيمم والمسافر اي الذي يباح له قصر الصلوة وان لم يحصل له مشقة بالكلية مع وجوب
القضاء اذا زال المرض والسفر بقوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر اي فافطر فعليه صيام عدة ما افطر
من ايام اخر وكانوا ياكلون ويشربون وياتون النساء ما لم يناموا بعد الغروب او يدخل وقت العشاء فاذا ناموا او دخل
وقت العشاء الاخرة امتنع عليهم ذلك الى الليلة القابلة ثم نسخ الله ذلك واحل الاكل والشرب واتيان النساء الى طلوع
الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء الاخرة بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ثم قال تعالى وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولما فهم بعض الصحابة ان المراد الخيط حقيقة فصار يجعل عند
وسادته حبلا ابيض وحبلا اسود انزل الله تعالى من الفجر اشارة الى المراد بياض النهار وسواد الليل وذكر بعض المفسرين في
سبب نزول هذه الاية ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع اهله بعدما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى اهلي فوجدت
رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا
بمثله فنزلت وذكر له صلى الله عليه وسلم ان بعض اصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم فسأله صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فاخبره انه اهل حرث وانه جاء لينظر ما تعمل له زوجته لينتعش به فغلبته عيناه فنام فلم يستيقظ الا بعد الغروب

فلو بيتنا اول شيئا فنزل الله تعالى وكلوا واشربوا الاية وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم جاء في بعض الروايات
ان المراد بهم اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وجاء في بعضها المراد بهم النصارى خاصة وجاء في بعض الروايات ان المراد بهم جميع
الامم السابقة فقد جاء ما من امة الا وجب عليها صوم رمضان الا انهم اخطاؤه ولم يصدق له هذه الرواية تدل على انه
لم يصم احد من الامم السابقة فصومه من خصوصيات هذه الامة وفي الانساب لابن قتيبة اول من صام رمضان نوح
عليه السلام هذا كلامه وفي بعض الروايات ما يفيد ان النصارى صامته واتفق انه وقع في بعض السنين في شدة الحر فتعنى
وانهم تاخروا بين الصيف والشتاء وان يزيدوا في مقابلة تاخيره عشرين يوما وعلى هذا فصومه ليس من خصايص هذه الامة
فقيل المتشبه انما هو في مطلق الصوم لا في خصوص صوم رمضان لانه كان الواجب على جميع من تقدم من الامم صوم ثلاثة ايام
من كل شهر صام ذلك نوح عليه الصلوة والسلام فمن دونه حتى صامه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وتقدم ان تلك
الايام التي صامها صلى الله عليه وسلم كانت البيض التي هي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وتقدم انه قيل ان
صوم ذلك كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته وقيل كان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه قبل
صوم رمضان عاشورا وتقدم رده وكان فرض زكوة الفطر قبل العيد بيومين وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قبل
العيد بيومين يعلم الناس زكوة الفطر ويامر باخراج تلك الزكوة قبل الخروج الى صلوة العيد اي بعد ان شرعت لان
مشروعيتها تاخرت عن مشروعية صلوة عيد الاضحى وكان فرض زكوة الفطر قبل فرض زكوة الاموال وكان فرض
زكوة الاموال في تلك السنة التي هي الثانية ولم اقف على خصوص الشهر الذي وجبت فيه قال بعضهم ولعل هذا محمول
قول بعض المتاخرين المطلعين على الفقه والحديث لم يتحرر لي وقت فرض الزكوة اي زكوة المال ولعله عنى بعض المتاخرين الامام
سراج الدين البلقيني رحمه الله لان الامام البلقيني سئل هل علمت السنة التي فرضت فيها زكوة المال فاجاب بقوله لم يتعرض
الحفاظ ولا اصحاب السير للسنة التي فرض فيها زكوة المال وقد وقع لي حديثان ظهر منهما تعريف ذلك فلم اسبق اليه ثم قال فظهر ان
زكوة الفطر قبل مقدم ضمام بن ثعلبة رضي الله تعالى عنه وقدومه كان في السنة الخامسة هذا كلامه وقيل فرضت زكوة الفطر
قبل الهجرة وعليه يحمل ظاهر ما في سفر السعادة كان صلى الله عليه وسلم يرسل مناديا ينادي في الاسواق والمحلات و
الازقة من مكة الا ان صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة لما ثبت وورد بانه لم يفرض قبل الهجرة بعد الايمان الا ان
الصلوات الخمس وكل الفروض فرضت بعد الهجرة وفيه انه فرض قيام الليل كما تقدم وصلوة الركعتين بالغداة
والركعتين بالعشي على ما تقدم الا ان يقال المراد الفروض الموجودة الان المستمرة فرضيتها وما تقدم من سفر السعادة
يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم يرسل المنادي الذي ينادي في مكة بوجوب زكوة الفطر وهو بالمدينة بعد فتحها
بالمدينة وامر صلى الله عليه وسلم ان تخرج زكوة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من
تمر او صاع او صاع من زبيب او صاع من بر وكان يصلي العيد قبل بلا اذان ولا اقامة اي بل يقال الصلوة جامعة
لكن في سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا بلغ المصلى شرع في الصلوة من وقته بلا اذان ولا اقامة ولا
الصلوة جامعة ان لا يكون هذا كله هذا كلامه وكانت تحمل العنزة بين يديه صلى الله عليه وسلم فاذا وصل المصلى
نصبت بين يديه وهي عصاة مثل نصف الرمح في اسفلها زج وكانت تلك العنزة للزبير بن العوام رضي الله عنه قدم بها من ارض
الحبشة واخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يصلي اليها اي اخذ منها بعد وقعة بدر وقد قتل بها الزبير
رضي الله تعالى عنه عبيدة بفتح العين المهملة وبعضها بن سعيد بن العاص الذي كان يقال له ذات الكرش قال الزبير
رضي الله عنه لقيته لا يرى منه الا عيناه فقال انا ابو ذات الكرش فحملت عليه بالعنزة فطعنته بالعنزة في عينه فمات

فاردت امراجها فوضعت رجلي عليه ثم تمطيت فكان الجهد ان نزعتها وقد انثنى طرفاها فلما قبض صلى الله عليه وسلم اخذها
الزبير رضي الله تعالى عنه ثم طلبها ابو بكر رضي الله تعالى عنه فاعطاه اياها فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه اخذها الزبير
ثم سالها عمر رضي الله عنه فاعطاه اياها فلما قبض عمر اخذها ثم طلبها عثمان رضي الله عنه فاعطاه اياه فلما قتل دفعت
الى علي كرم الله وجهه ثم اخذها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فكانت عنده حتى قتل وكان صلى الله عليه
وسلم اذا رجع من صلوة عيد الفطر وخطبته يقسم زكوة الفطر بين المساكين ولعل المراد الزكوة المتعلقة به صلى الله
عليه وسلم لانه تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يامر الناس باخراجها قبل الصلوة الا ان يقال المراد باخراجها جمعها
له صلى الله عليه وسلم ليفرقها واذا فرغ صلى الله عليه وسلم من صلوة الاضحى وخطبته يؤتى له بكبشين وهو قائم
في مصلاه فيذبح احدهما بيده ويقول هذا عن امتي جميعا من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ وعند الحاكم عن
ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح كبشا اقرن بالمصلى اي بعد ان قال بسم الله
والله وقال اللهم هذا عني وعمن لم يضح من امتي واستدل بذلك على من خصايصه صلى الله عليه وسلم
ان يضحي عن غيره بغير اذنه ويذبح الاخر ويقول هذا عن محمد وال محمد فياكل هو واهله منهما ويطعم المساكين ولم يترك
الاضحية قط وهل كانت الانبياء من بعد ابرهيم يضحون هم واممهم او هي خاصة وكان في مسجده صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة قبل ان يوضع له المنبر يخطب ويسند ظهره الى اسطوانة من جذوع النخل اي من الوقم وهو شجر المقل و
عبارة بعضهم كان يخطب الناس وهو مستند الى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي فلما كثر الناس اي وقالوا له
صلى الله عليه وسلم لو اتخذت شيئا تقوم عليه اذا خطبت يراك الناس وتسمعهم خطبتك قال ابنوا لي منبرا فلما اتخذ له المنبر ثنتين
او محل الجلوس فكان ثلاث درجات وقام عليه في يوم جمعة او خطبة في لفظ عدل الى المنبر ليخطب عليه وجاوز ذلك الجذع
سمع لتلك الاسطوانة حنين كحنين الولد بصوت هايل سمعه اهل حتى ارتج اي اضطرب المسجد وكثر بكاء الناس لذلك ولا
زالت تحن حتى تصدعت وانشقت وفي رواية سمع له صوت كصوت العشار اي النوق التي حملها عشرة اشهر وقيل التي اخذ ولدها
وفي رواية سمع الروايات كحنين الناقة الخلوج وهي التي انتزع ولدها منها وفي رواية جار بفتح الجيم وبعدها همزة مفتوحة
اي صوت وبالخاء المعجمة بلا همز وهو بمعناه كخوار الثور فنزل صلى الله عليه وسلم فالتزمه بعد ما حضنها اي فجعلت تئن انين الصبي
الذي يسكت فسكت اي وفي كلام بعضهم وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض
فالتزمه فعاد الى مكانه وفي رواية ووضع يده عليها وقال لها اسكني واسكني فسكنت وفي رواية ان هذا الجذع يبكي لما فقد
من الذكر والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة وقوله لما فقد من الذكر موضح على الرواية الاولى واما
على الثانية فالمراد لم يفقده من الذكر والحنين الجذع اشار السبكي في تائيته بقوله ومن اليك الجذع حين تركته حنين الثكالى
عند فقد الاحبة وعن بعضهم قال لي الشافعي رضي الله عنه ما اعطى الله نبيا ما اعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت
اعطى الله عيسى عليه السلام احياء الموتى فقال اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع فهذا اكبر من ذلك وفي رواية
لا تلوموا اي الجذع على حنينه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارق شيئا الا وجد عليه اي حزن وفي رواية
انه قال له ان شئت اردك الى الحائط اي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص
وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بصوت
سمعه من يليه بل تغرسني في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت قد فعلت وفي رواية لما اسعى الله
صلى الله عليه وسلم سئل فقال ان اغرس في الجنة ارعى روايتها اختار دار البقا على دار البقا ولا يخالف ما قبله لانه

يجوز ان يكون السائل من غير من سمع جوابه وامر به تدفن تحت المنبر وقيل جعل في السقف واخذه ابى رضي الله تعالى عنه
بعد ان هدم المسجد واتى بل سقفه وكان عنده الى ان اكلته الارضة وعاد رفاتا اى متكسرا من شدة اليبس انتهى ولسب
في سيرة الحافظ الدمياطي قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب الى جذع في المسجد قائما فقال
ان القيام شق علي فقال له تميم الداري رضي الله عنه الا اعمل لك منبرا كما رايت يصنع بالشام اى تصنعه النصارى
في كنائسهم لاساقفتهم يسمى المرقاة ويصعدون عليها عند تذكيرهم فتشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين
في ذلك فراوا ان يتخذه فقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ان لي غلاما يقال له كلاب اعلم الناس اى بالنجارة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مره ان يعمله فارسله الى اثلة بالغابة فقطعها ثم عمل منها درجتين ومقعدا
ثم جاء به فوضعه اليوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عليه اي وقال ان اتخذ منبرا فقد اتخذه ابرهيم
عليه السلام اى لعله صلى الله عليه وسلم عنى به المقام الذي كان يقوم عليه عند باب البيت اى وهو الحجر الا ان
ثبت ان ابرهيم عليه السلام كان له منبرا يحدث عليه الناس وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم وهو على المنبر يقول ياخذ الجبار سمواته وارضه بيده ثم يقول انا الجبار اين الجبارون اين المتكبرون ويميل
يعني النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرنا الى المنبر يتحرك حتى اقول اساقط هو برسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي رواية عنه فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات وفي رواية عن عايشة رضي الله تعالى عنها
فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم منبره حتى قلنا ليخرن وقال صلى الله عليه وسلم منبري هذا على ترعة بضم
التاء المثناة فوق واسكان الراء وبالعين المهملة من ترع الجنة وقوائم منبري رواتب اى ثابتة في الجنة وقال صلى الله
عليه وسلم منبري على حوضي وقال ان حوضي كما بين عدن الى عمان اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب رائحة
من المسك اباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا واكثر الناس ورودا عليه يوم القيامة فقراء المهاجرين
قلنا من هم يا رسول الله قال الشعثة رؤسهم الدنسة ثيابهم الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد اى الابواب الذين يعطون
الذي عليهم ولا ياخذون الذي لهم وقال صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري وفي رواية بدل قبري بيتي وفي لفظ حجرتي
والمراد قبره الشريف فانه في حجرته وحجرته هي بيته صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة اي يكون بعينه في الجنة
بنقله من بقاعها اى ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها وقيل ان الصلوة والدعاء فيها يستحق بذلك من الثواب ما
يكون موجبا لدخول الجنة كما قيل ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف مع ان تلك السيوف
كانت بارض الكفر وقيل انها لبركتها اضيفت الى الجنة كما قيل في الضان انها من دواب الجنة قال ابن حزم ليس على ما
يظنه اهل الجهل من ان تلك الروضة قطعة مقتطعة وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا ولو على سواك
اراك فليتبوا مقعده من النار وفي رواية الا وجبت له النار اقول سيجاء انه صلى الله عليه وسلم كان على المنبر
يعتمد على عصى من شوحط وفي الهدى لم يحفظ صلى الله عليه وسلم في خطبته على سيف ابدا وقيل ان يتخذ له المنبر كان
يعتمد على قوس او عصى اى وقيل كان يعتمد على قوس ان خطب في الحرب وعلى عصى ان خطب في غيره واختلف فيما يعني تلك
العصاة هل هي العنزة التي كان صلى الله عليه وسلم يصلي اليها او غيرها وما يظنه بعض الناس من انه كان يعتمد على
سيف وان ذلك اشارة الى ان الدين اقيم بالسيف فمن فرط جهله هذا كلامه وفيه ان بعض فقهائنا ذكر ان اعتماده
صلى الله عليه وسلم في خطبته كان على سيف روى ولم يثبت وذكر فقهائنا تلك الحكمة حيث قالوا وحكمة اعتماده
على العصا او القوس او السيف الاشارة الى ان هذا الدين قام بالسلاح وقول صاحب الهدى وكان صلى الله عليه

وسلم

وسلم قبل ان يتخذ المنبر يعتمد على قوس او عصى يقتضي انه بعد اتخاذ المنبر لم يعتمد على شيء من ذلك اى وصرح صاحب [illegible]
في سفر السعادة حيث قال لم يكن صلى الله عليه وسلم ياخذ السيف والحربة بيده بل كان صلى الله عليه وسلم يعتمد
على القوس او العصى اى قبل اتخاذ المنبر واما بعد اتخاذه فلم يحفظ انه اعتمد على العصى ولا على القوس ولا على غير ذلك
هذا كلامه فيكون الاعتماد على المنبر بدعة وهو خلاف ما عليه ائمتنا من انه يسن ان يشغل يمناه بحرف المنبر و
يسراه بما يعتمد عليه من نحو العصى لكن قالوا كالعادة من يريد الضرب بالسيف الا اذا كان في عمده ووجد المرقى الذي
يقرا الاية والخبر المشهورين بدعة لانه حدث بعد الصدر الاول ولو اقتصر على اول زمان فعل غيره ذلك لكن
ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع امر من يستنصت له الناس عند ارادة خطبته وعليه
ان كان استنصتهم لخطبة الجمعة بدعة لانه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الحديث على المنبر فلست ان يكون الخطيب
كذلك ففي سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم في اثناء الخطبة يامر الناس بالانصات ويقول ان الرجل اذا قال لصاحبه
انصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له وكان صلى الله عليه وسلم يقول من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل اسفارا
والذي يقول انصت ليس جمعة وقال الحافظ الدمياطي كان صلى الله عليه وسلم يخطب على جذع قائما وانه قال شق
علي يقتضي ان حنين الجذع كان عند قيامه على ذلك المنبر من الخشب وانه لم يخطب قبل ذلك المنبر من الطين الذي تقدم وفيه نظر
وكذا في قوله فقال له تميم الداري الخ لان تميم الداري انما اسلم في السنة التاسعة وهذا المنبر الذي من الخشب انما عمل في السنة السابعة
او الثامن ومنها اى السنة الثامنة اتخاذه المنبر والخطبة عليه وحنين الجذع وهو اول منبر عمل في الاسلام وهو في ذلك موافق لما
علمه هواى الاصل من اتخاذ المنبر له من الطين قبل ذلك وانه كان عنده حنين الجذع وعلى كون المنبر عمل في الثامنة لا يشكل
كون العباس رضي الله عنه امر غلامه بعمله لان العباس رضي الله عنه قدم المدينة في السنة الثامنة لكن في بعض الروايات
انه صلى الله عليه وسلم دعى رجلا فقال اتصنع لي المنبر قال نعم قال ما اسمك قال فلان قال لست بصاحبه ثم دعا اخر فقال له
مثل ذلك ثم دعى الثالث قال له ما اسمك قال ابرهيم قال خذ في صنعته وفي رواية عمله رجل رومي اسمه باقوم غلام سعيد
بن العاص اى ولعله هو الذي تقدم ذكره عند بناء قريش الكعبة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى امراة
فقال لها مري غلامك يعمل لي اعوادا اكلم الناس عليها فعمل له صلى الله عليه وسلم درجات من طرفاء الغابة ويجوز ان يكون غلام
العباس رضي الله عنه انتقل الى ملك تلك المراة وانه كان غلاما لسعيد بن العاص وانه اشترك في عمله مع ابرهيم المتقدم
ذكره فنسب لكل منهما فعلم من كلام الاصل في غير الحوادث انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب اولا على الجذع ثم على المنبر
من الطين واي حنين الجذع كان عند قيامه صلى الله عليه وسلم على ذلك المنبر من الطين وهو مخالف لكلامه في الحوادث ان
حنين الجذع كان عند اتخاذه صلى الله عليه وسلم المنبر من الخشب وانه اول منبر عمل في الاسلام الا ان يقال اول منبر عمل
في الاسلام من خشب ويكون ذلك حنين الجذع عند القيام عليه من بعض الروايات لان حنين الجذع لم يتكرر حتى يجاب
ان يكون كان عند قيامه صلى الله عليه وسلم على المنبر من الخشب ثم رايت في النور ارجع كلام الاصل في غير الحوادث
من انه لم يكن له صلى الله عليه وسلم منبر من طين حيث قال قوله اى الاصل بنوا له منبرا وهذا الكلام فيه تجوز يشبه انه لم يكن له
منبرا وذلك لان المنبر كان من طين في الغابة وهو شجر معروف هذا كلامه ولينظر عكس لان هذا منه يقتضي حينئذ ان يكون
صلى الله عليه وسلم استمر من حين خط المسجد الى السنة الثامنة يخطب الى الجذع لان المنبر من الخشب اتخذ في السنة
الثامنة كما تقدم عن الاصل ويشكل عليه قول عايشة رضي الله تعالى عنها في قصة الافك فثار الحيان الاوس
والخزرج حتى كادوا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر لان قصة الافك كانت في سنة خمس

ثم رأيت في كتاب الشريعة للآجري عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يخطب مسندا ظهره إلى خشبة
فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا فبنوا له عتبتين أي غير المستراح فلما قام على المنبر خطب حنت الخشبة الحديث وعن سهل
بن سعد رضي الله تعالى عنه لما كثر الناس وصار يجيء القوم ولا يكادون يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الخطبة قال الناس يا رسول الله قد كثر الناس وكثير منهم لا يكاد يسمع كلامك فلو أنك اتخذت شيئا تخطب عليه مرتفعا
عن الأرض ويسمع الناس كلامك فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى غلام نجار لامرأة كانت من الأنصار فاتخذ له
مرقاتين من طرفاء الغابة فلما قدم عليهما حنت الخشبة التي كان يخطب إليها هذا كلامه وهو موافق لما تقدم عن الأصل
في المحادثة والذي ينبغي في الجمع بين الروايتين ما علم من اتخاذ المنبر من طرفاء الغابة كان بعد اتخاذه من الطين لأنه
أقوى في الارتفاع من منبر الطين وكون الجذع حن عند اتخاذ المنبر من الطرفاء من تصرف بعض الرواة لأن حنينه إنما كان
عند اتخاذ المنبر من الطين ولم يكن حنينه كما تقدم ولما ولي معاوية رضي الله عنه الخلافة كسا ذلك المنبر قبطية
ثم كتب إلى عامله بالمدينة وهو مروان بن الحكم أن يرفع ذلك المنبر عن الأرض فدعا بالنجارين وعمل ست درج ورفع
ذلك المنبر عليها فصارت تسع درجات وهذا يدل على أن قوله فاتخذ له مرقاتين أي غير المستراح ومن ثم تقدم فعمل
له درجات وقيل أمره بحمله إلى الشام فلما أرادوا قلعه أظلمت المدينة وكسفت الشمس حتى بدت النجوم وثارت ريح شديدة
فخرج مروان إلى الناس فخطبهم وقال يا أهل المدينة إنكم تزعمون أن أمير المؤمنين بعث إلي أن ابعث إليه بمنبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين أعلم بالله أن يغير منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أمرني أن أكرمه فعمل
ما تقدم وقيل إن معاوية رضي الله عنه لما حج أراد أن ينقل المنبر إلى الشام فحصل ما تقدم من كسوف الشمس الخ فاعتذر معاوية
رضي الله عنه للناس قال أردت أن أنظر إلى ما تحته وخشيت عليه من الأرضة وكساه يومئذ قبطية ولا مانع من تعدد
الواقعتين واقتصر معاوية سابقته على واقعة مروان لقوله لأنظر ما تحته والأولى أن رفعه عن الأرض ثم إن هذا
المنبر احترق بسبب الحريق الواقع في المسجد أول مرة فأرسل صاحب اليمن منبرا فوضع موضعه فمكث سنين وفي الإمتاع
ثم تهافت المنبر النبوي على طول الزمان فعمل بعض خلفاء بني العباس منبرا واتخذ من أعواد المنبر أمشاطا يتبرك
بها هذا كلامه ثم أرسل الظاهر بيبرس من مصر منبرا فرفع منبر صاحب اليمن ووضع منبر الظاهر فمكث مائة سنة و
اثنتين وثلاثين سنة فبدا في أكله الأرضة فأرسل الظاهر برقوق فمكث ثلاثا أو أربعا وعشرين سنة ثم إن
السلطان المؤيد شيخ لما بنى مدرسته بالقاهرة التي يقال لها المؤيدية حمل أهل الشام له منبرا وأرسلوا به إليه ليجعله
في مدرسته فوجد أهل مصر قد صنعوا لها منبرا فصرف المؤيد منبر أهل الشام إلى المدينة فمكث سبعا وستين سنة ثم حرق
في الحريق الواقع في المسجد ثاني مرة ثم جعل موضعه منبر مبني بالآجر مطلي بالنورة فمكث إحدى وعشرين سنة ثم جعل
موضعه المنبر الرخام الموجود الآن قيل قيل وأعجب منبر في الدنيا منبر جامع قرطبة قاعدة بلاد الأندلس بالمغرب ذكروا أن
خشبه من ساج وآبنوس وعود قاقلي حكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه سبع صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال
ذهب فكان جملة ما صرف على أجرته عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالا وبالجامع المذكور مصحف فيه ورقات من مصحف
عثمان بن عفان رضي الله عنه بخط يده وفيه نقط من دمه وبهذا المسجد ثلاثة أحجار حمر على أحدها اسم محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى الثاني صفة عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح والجميع
خلقة ربانية ولا بدع فقد ذكر بعضهم رأيت بجامع القاهرة رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم مسطرا يقرأه
كل أحد خلقة وعن سهل رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس على المنبر أي من الخشب

كبر

كبر وكبر الناس خلفه ثم ركع وهو على المنبر ثم رجع فنزل القهقرى ثم سجد في أصل المنبر ثم عاد حتى إذا فرغ الصلاة
يصنع فيها كما يصنع في الركعة الأولى فلما فرغ أقبل على الناس وقال أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي وقوله
لتأتموا بي أي تقتدوا بي في مثل هذا الفعل من الإحرام والركوع على المحل المرتفع ثم النزول عنه والسجود تحته ثم الصعود
إليه وهكذا إلى أن تم الصلاة وهذا عند أئمتنا مخصوص جوازه بما إذا لم يلزم على ذلك استدبار القبلة أو توالي حركات ثلاثة
وقوله ولتعلموا صلاتي هذا واضح لو كان ذلك أول صلاة صلاها الآن يقال المراد ولتعلموا جواز صلاتي هذه من كلام
فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم كان ينزل من المنبر ليسجد للتلاوة أسفل المنبر وآخر الأمرين ترك ذلك فعلم أن منبره صلى الله
عليه وسلم كان ثلاث درجات بالمستراح وحينئذ يشكل ما روي أن أبا بكر رضي الله عنه نزل درجة عن موقفه صلى الله عليه
وسلم وعمر رضي الله عنه نزل درجة أخرى وعثمان رضي الله عنه أخرى ثم قال في النور وهذا يدل على أنه كان أكثر من ثلاث
درجات أي أربعة غير المستراح ولا يلزم أن يكون عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما كانا يخطبان على كونه درجتين غير المستراح
أن يكون الصديق رضي الله عنه كان يخطب على الدرجة الثانية وعمر رضي الله عنه يخطب على الأرض وعثمان رضي الله
عنه فعل كفعل عمر رضي الله عنه وحينئذ لا يحسن قولهم وعثمان نزل درجة أخرى لأن درجة بعد الدرجة الثانية ينزل
عليها وحينئذ يشكل ما في الإمتاع وهو كان منبره صلى الله عليه وسلم درجتين ومجلسا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجلس على المجلس ويضع رجليه إذا قعد على الدرجة الثانية فلما ولي عثمان رضي الله عنه فعل كذلك أي كفعل عمر
رضي الله عنه ست سنين من خلافته ثم علا إلى موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وكان ينبغي أن يقول
بدل قوله فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه قام على الدرجة الثانية جلس على الدرجة الثانية وكذا قوله فلما ولي عمر رضي الله عنه قام
على الدرجة السفلى جلس على الدرجة السفلى أي فقد خطب على الأرض وكذا عثمان وذكر فقهاؤنا أن منبره صلى الله عليه
وسلم كان ثلاث درج غير الدرجة التي تسمى بالمستراح وتسمى بالمقعد والمجلس فكان صلى الله عليه وسلم يقف على الثالثة أي
بالنسبة للسفلى وإذا جلس يجلس على المستراح ويجعل رجليه محل وقوفه إذا قام للخطبة وكذا الخلفاء الثلاثة كل يجعل رجليه
محل وقوفه ويذكر أن المتوكل قال يوما لجلسائه وفيهم عبادة أتدرون ما الذي نقم على عثمان نقم عليه أشياء منها أنه قام
أبو بكر رضي الله عنه دون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر رضي الله عنه دونه بمرقاة فلما صعد
عثمان رضي الله عنه قال وكيف ذاك قال لأنه صعد ذروة المنبر جاء لو كان كلما قام خليفة نزل عمن تقدم كنت أنت
تخطبنا في بئر عميق فضحك المتوكل ومن حوله وكون عثمان رضي الله عنه صعد ذروة المنبر إنما هو في آخر الأمر كما علمت
وفي كلام بعضهم أول من اتخذ المنبر خمس عشرة درجة معاوية رضي الله تعالى عنه وأنه أول من اتخذ الخصيان في
الإسلام وأول من قيد بين يديه الجنائب وعثمان رضي الله عنه أول من كسا المنبر قبطية وعن الواقدي
رحمه الله تعالى أن امرأة سرقت كسوة عثمان رضي الله عنه للمنبر فأتي بها إليه فقال لها هل سرقت قولي لا فاعترفت
فقطعها ثم كساه عبد الله بن الزبير فسرقتها امرأة فقطعها كما قطعها عثمان رضي الله تعالى عنه ثم كساه الخلفاء من
بعده **باب غزوة بدر الكبرى** ويقال لها بدر القتال ويقال لها بدر الفرقان أي لأن الله تعالى فرق
فيها بين الحق والباطل ثم إن العير التي خرج صلى الله عليه وسلم في طلبها حتى بلغ العشيرة وجدها سبقته بأيام
لم يزل مترقبا قفولها أي رجوعها من الشام فلما سمع بقفولها من الشام ندب المسلمين أي دعاهم وقال هذه عير قريش
فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس أي أجابوا وثقل آخرون أي لم يجيبوا لظنهم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلق حربا ولم يحتفل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لم يهتم بها بل قال

من كان ظهره اي ما يركبه حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه ولما خرج صلى الله عليه وسلم الى بدر
قالت ام ورقة بنت نوفل يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك امرض مرضاكم لعل يرزقني الشهادة وكانت رضي الله
عنها قد قرأت القرآن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة وكان الناس يقولون لها الشهيدة
فلما كان زمن خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه غدا عليها غلام وجارية كانت دبرتهما فغماها بقطيفة الى ان ماتت فجيء
بهما الى سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فامر بصلبهما فكانا اول مصلوب بالمدينة وقال صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول انطلقوا بنا نزور الشهيدة وكان ابو سفيان يتجسس الاخبار اي يبحث عنها ويسال من لقي من
الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر اصحابه رضي
الله عنهم للعير اي فقال انه لقي رجلا فاخبره انه صلى الله عليه وسلم قد كان العير في بدايته وانه ترك مقيما ينتظر
رجوع العير يأتي مكة وان يجدع بعيره وان يحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة ويستنفر قريشا
ويخبرهم ان محمدا قد تعرض لعيرهم هو واصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل ان يقدم بثلاث رأت عاتكة بنت عبد المطلب
عمة النبي صلى الله عليه وسلم اختلف في اسلامها رؤيا افزعتها فبعثت الى اخيها العباس رضي الله تعالى عنه فقالت له والله
يا اخي لقد رأيت الليلة رؤيا فظعتني اي اشتدت علي وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما احدثك
قال وفي رواية انها قالت له لن احدثك حتى تعاهدني ان لا تذكرها فانهم ان اسمعوها يعني كفار قريش آذونا واسمعونا
ما لا نحب فعاهدها العباس رضي الله تعالى عنه انتهى فقال لها ما رأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح
اي وهو بين المحصب ومكة ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر اي يا اصحاب غدر وعدم الوفاء الى مصارعكم في ثلاث
اي بعد ثلاثة ايام وفي كلام السهيلي يا آل غدر بضم الغين والدال جمع غدور اي انه تخلفتم فانتم غدر لقومكم قالت فارى
الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره اي انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها
ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت
اي تكسرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلتها منها فلقة فقال لها العباس رضي الله تعالى عنه والله ان هذه
لرؤيا وانت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس رضي الله تعالى عنه فلقي الوليد بن عتبة اي كان صديقا له فذكرها له
واستكتمه فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث قال العباس رضي الله عنه فغدوت لاطوف بالبيت وابو جهل
بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل
الينا فلما فرغت اقبلت حتى جلست معهم فقال ابو جهل لعنه الله يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت
وما ذاك قال تلك الرؤيا التي رأت عاتكة فقلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب اما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم
قال وفي رواية اما رضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء انتهى قال ابو جهل لعنه الله فقد زعمت عاتكة
في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن
من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت في العرب قال العباس رضي الله عنه فوالله ما كان الا اني
جحدت ذلك وانكرت ان تكون رأت شيئا وفي رواية ان العباس رضي الله تعالى عنه قال لابي جهل هل انت منته يا مصفر
استه اي يا جبان او يا مخنث او الذي يغير لونه الرجل الذي يعتد بالزعفران فان الكذب فيك وفي اهل بيتك
فقال من حضرهما ما كنت يا ابا الفضل جهولا ولا خرقا ولقي العباس رضي الله عنه من اخته عاتكة اذى شديدا
حتى افشى من حديثها قال العباس فلما امسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا اتتني فقلن اقررتم

لهذا

لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وانت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ثم قلت لهن وايم الله لا
تعرضن له فان عاد لاكفينكموه وغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا مغضب ارى اني قد فاتني منه امر احب ان ادركه فدخلت المسجد
فرأيته فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاوقع به اذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد اي يعدو فقلت في نفسي
ما له لعنه الله اكل هذا فرق اي خوف مني ان اشاتمه واذا هو قد سمع ما لم اسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي
واقفا على بعيره قد جدع بعيره اي قطع انفه واذنه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة اي ادركوا
اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبز اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه لا ارى ان تدركوها وفي لفظ ان اصابها
محمد لن تفلحوا ابدا الغوث الغوث قال العباس رضي الله عنه فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا
اي فزعوا اشد الفزع فشفقوا اي خافوا من رؤيا عاتكة ويعف انهم قالوا ايظن محمد واصحابه ان تكون كعير ابن الحضرمي
والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا واعان قويهم ضعيفهم وقام اشراف قريش
يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو رضي الله عنه يا آل غالب اتاركون انتم محمدا والصباة من اهل يثرب
يأخذون اموالكم من اراد مالا فهذا مالي ومن اراد قوة فهذه قوتي ولم يتخلف من اشراف قريش الا ابا لهب لعنه الله خوفا من
رؤيا عاتكة فانه كان يقول رؤيا عاتكة كاخذ بيد اي صادقة لا تتخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة اي
استأجره باربعة آلاف درهم كانت له عليه افلس بها اي قال له اخرج وديني لك ويقال ان ذلك الدين كان ثمنا
جاء في لفظ وكان لاطه باربعة آلاف درهم قال ابو عبيدة وسمي الربا الباطل لانه ملصق بالبيع وليس ببيع وفي كلام البلاذري
انه قامر ابا لهب على ان يعطيه فيما اراد فقمره ابو لهب ايضا فارسله مكانه الى بدر وهشام هذا قتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في هذه الغزاة وكان امية بن خلف لعنه الله اراد القعود وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه وهو جالس مع قومه عقبة بن
ابي معيط بمجمرة فيها جمر اي بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال يا ابا علي استجمر فانما انت من النساء فقال له قبحك الله و
قبح ما جئت به اي وكان عقبة كما في فتح الباري سفيها وكان ابو جهل لعنه الله سلط عقبة على ذلك وفي لفظ ان ابا جهل
لعنه الله فقال له يا ابا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وانت سيد اهل الوادي وفي لفظ وانت من اشراف
الوادي تخلفوا معك فسر يوما او يومين اي ولا مانع من وجود ذلك كله فتجهز مع الناس وسبب تخلفه ان سعد بن معاذ
رضي الله عنه بالمدينة اذ ذهب الى الشام في تجارته فقال سعد لامية انظر خلوة لعلي ان اطوف بالبيت فقال امية لسعد
رضي الله تعالى عنه انتظر حتى اذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت وفي لفظ فخرج به امية قريبا من نصف
النهار فبينا سعد يطوف اذ اتاه ابو جهل لعنه الله فقال من هذا الذي يطوف فقال له سعد رضي الله انا سعد بن معاذ فقال
له ابو جهل لعنه الله اتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا واصحابه وفي لفظ آويتم الصباة وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم
اما والله لولا انك مع ابي صفوان ما رجعت الى اهلك سالما فقال له اي قال مستنا وسعد رضي الله عنه يرفع صوته فقال
امية يقول لسعد لا ترفع صوتك على ابي الحكم فانه سيد اهل الوادي فجعل يمسك سعدا فقال سعد لامية اليك عني
فاني سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم انه قاتلك قال اياي قال نعم قال بمكة قال لا ادري قال لا والله ما
كذب محمد فكاد ان يحدث ان يبول تحتها فزعا فرجع الى امرأته فقال ما تعلمين ما قال لي اخي اليثربي يعني سعد بن معاذ
رضي الله تعالى عنه قالت وما ذاك قال زعم انه سمع محمدا يزعم انه قاتلي قالت فوالله ما يكذب محمد فلما جاء الصريخ
واراد الخروج قالت له اما علمت ما قال لك اخوك اليثربي قال فاني اذن لا اخرج فلما صمم على عدم الخروج بل
اقسم بالله لا يخرج من مكة قيل له ما تقدم فخرج ناديا ان يرجع منهم اي مع كونه صلى الله عليه وسلم قاتله

انه كان سببا في قتله واليه صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل احد وهو ابي بن خلف في احد كما سياتي ومن ثم جاء في رواية
قال لامية ان اصحابه يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول انا اقتل ابي بن خلف فقال سعد رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
يريد امية لا ابي اي في الامتاع ان امية بن خلف وعتبة وشيبة ابني ربيعة بن الاسود وحكيم بن حزام استقسموا بالازلام
فخرج لهم القدح الناهي اي المكتوب عليه لا تفعلوا فاجمعوا على المقام فجاءهم ابو جهل وازعجهم واعانه على ذلك عقبة بن ابي
معيط والنضر بن الحارث ويقال ان عداسا قال لسيديه عتبة وشيبة ابني ربيعة بابي وامي انتما والله ما تساقان
الا الى مصارعكما فاراد عدم الخروج فلم يزل بهما ابو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش فلما فرغوا من جهازهم
اي وكان ذلك في ثلاثة ايام وقيل في يومين واجمعوا المسير اي عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا الفا
وقادوا مائة فرس مع سبعمائة بعير في المشاة قال ابن اسحق وخرجوا على الصعب والذلول اي لشدة اسراعهم والصعب الذي
لا ينقاد والذلول الذي ينقاد معهم القيان اي بفتح وتخفيف المثناة تحت وفي اخره نون جمع قينة وهي الامة مطلقا
وقيل المغنية والمراد هنا الثاني لقولهم في الامتاع ومعهم القيان يضربن بالدفوف يغنين بالدفوف اي بهجاء المسلمين
وسياتي في احد خروج جماعة من نساء قريش معهم الدفوف وعند خروجهم ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب اي
والدماء فقالوا انخشى ان ياتونا من خلفنا اي لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة وان شخصا من قريش كان شابا وضيئا له
ذوائب وعليه حلة خرج في طلب ضالة له في بني كنانة وفيهم سيدهم وهو عامر ابن الجلوح فراه في مجلسه فقال له من انت يا غلام
فذكر انه من قريش فلما ولى الغلام قال عامر لقومه اما لكم في قريش من دم قالوا بلى فاغراهم به فقتلوه ثم قال بنو كنانة
لقريش رجل برجل فقالت قريش نعم رجل برجل ثم ان اخا المقتول ظفر بعامر بمر الظهران فعلاه بالسيف حتى قتله
ثم قام من بطنه بسيفه ثم جاء فعلقه باستار الكعبة من الليل فلما اصبحت قريش راوا سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله
اي وكان ذلك بينهم اي فيصرفهم عن الخروج فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي وكان من اشراف بني كنانة
وقال لهم انا جار لكم من ان تاتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا وخرج معهم ابليس يعدهم ان بني كنانة
وراءهم قد اقبلوا لنصرهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المدينة عسكره ببئر ابي عنبة اي وامر اصحابه ان يستقوا منها وشرب من مائها وفي الامتاع عسكر صلى الله عليه
وسلم ببيوت السقيا وهي بئر بينها وبين المدينة يوما كان يستقى له صلى الله عليه وسلم الماء منها وقد جاء ان
عنده صلى الله عليه وسلم رباح كان يستقي له من بئر غرس مرة ومن بيوت السقيا مرة وقال صلى الله عليه
وسلم بئر غرس من عيون الجنة ومن ثم غسل صلى الله عليه وسلم منها كما سياتي وغرس اسم عبد كان يقوم عليها
وقيل غير ذلك وامر صلى الله عليه وسلم حين فصل من بيوت من بيوت السقيا ان يعد المسلمون فوقف لهم
عند بئر ابي عنبة فعدوا وهي على ميل من المدينة نفر من اصحابه ورد من استصغر اي وكان ممن رده اسامة و
رافع بن خديج والبراء بن عازب واسيد ابن ظهير وزيد بن ارقم وزيد بن ثابت رضي الله عنهم ورد عمير بن
ابي وقاص ثم بكى فاجازه النبي صلى الله عليه وسلم وقتل وعمره ستة عشر عاما وحينئذ يتوقف في رده لانه
المحتمل عشر بلوغ ما البلوغ على ما عليه ائمتنا وخرج صلى الله عليه وسلم في خمسة وثلاثمائة رجل من المهاجرين
اربعة وستون وباقيهم من الانصار وقيل كان المهاجرون نيفا وثمانين وكانت الانصار نيفا واربعين
ومائتين وذكر الامام اللقاني انه سمع من مشايخ الحديث ان الدعاء عند ذكرهم يعني اصحاب بدر مستجاب وقد
جرب ذلك وخلف عثمان على ابنته صلى الله عليه وسلم رقية وكانت مريضة اي وقيل لانه كان مريضا بالجدري

اي

اي ولا مانع من وجود الامرين وقد قال له صلى الله عليه وسلم ان لك لاجر رجل وسهمه اي وكان ابو امامة بن ثعلبة الانصاري
اجمع الخروج الى بدر وكانت امه مريضة فامره صلى الله عليه وسلم بالمقام على امه فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بدر وقد توفيت فصلى عليها ورده من المحل المذكور اي من بئر ابي عنبة كذا في الاصل وقيل رده من الروحاء وهو المشهور
وهي قرية على ليلتين من المدينة كما تقدم واستعمل ابن ام مكتوم على الصلاة بالناس في المدينة وخلف عاصم بن عدي على اهل
قبا واهل العالية اي لشيء بلغه عن اهل مسجد الضرار لينظر في ذلك وكسر بالروحاء خوات بن جبير اي وفي كلام ابن عبد البر وفي
موسى بن عقبة رحمه الله خوات بن جبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الصفراء اصاب ساقه حجر ورضت
رجله واعتلت فرجع وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واهل الاخبار يقولون انه شهد بدرا وله في
الجاهلية قصة مشهورة مع ذات النحيين وهي انه يروى انه صلى الله عليه وسلم ساله عنها وتبسم فقال يا رسول الله قد
رزق الله خيرا منها واعوذ بالله من الحور بعد الكور يعني انه صلى الله عليه وسلم قال له ما فعل بعيرك الشارد يعرض
بهذه القصة فقال قيده الاسلام يا رسول الله وقيل لم يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك القصة وانما هو
لقصة اخرى هي ان خواتا رضي الله عنه راى نسوة في الجاهلية اعجبه حسنهن فسالهن ان يفتلن له قيد البعير وذهب
انه شارد وجلس اليهن بهذه الحيلة فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدثهن فاعرض عنه ومضى فلما
اسلم ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك البعير وهو يتبسم وكسر ايضا الحارث بن الصمة وبعث صلى الله عليه وسلم
طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله تعالى عنهما يتجسسان خبر العير والتجسس الاخبار بالجيم والمهملة انه يتفحص
الشخص من الاخبار بنفسه وبالجيم ان يفحص عنها وجاء تحسسوا ولا تجسسوا ولم يحضرا القتال بل رجعا بخبر العير الى المدينة على ظن انه صلى الله
عليه وسلم بالمدينة فلما علما انه ببدر خرجا اليه فلقياه منصرفا من بدر واسهم لكل منهما وكل من اسهم له يقول واجري يا رسول فيقول
واجرك ودفع صلى الله عليه وسلم اللواء وكان ابيض الى مصعب بن عمير وكان امامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما
مع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ويقال لها العقاب وكانت من مرط لعائشة وفي كلام بعضهم كان ابو سفيان بن حرب من اشراف قريش
وكانت اليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب لا يحملها في الحرب الا هو او رئيس مثله وسياتي انه حملها في هذه الغزوة الاب الخامس الا
امامنا الشافعي وهو السائب بن يزيد والاخرى مع بعض الانصار وعن ابن قتيبة اقتصر على الاولى وذكر بعضهم ان بعض الانصار
هذا قيل هو سعد بن معاذ وقيل الحباب بن المنذر وهذا يرده ما تقدم في غزوة بواط عن ابن اسحق وما سياتي في غزاة بني قينقاع
ثم ان ابن سعد ان الرايات لم تكن وجدت يوم خيبر وما قبلها لو كان جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
اعطى عليا كرم الله وجهه الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة وفي الهدي ان لواء المهاجرين كان مع مصعب بن عمير رضي الله عنه
ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر رضي الله تعالى عنه ولواء الاوس مع سعد بن معاذ رضي الله عنه ولم يذكر الرايتين وفي الامتاع
عقد صلى الله عليه وسلم الالوية وهي ثلاثة لواء يحمله مصعب بن عمير ورايتان سوداوان احداهما مع علي كرم الله وجهه والاخرى
مع رجل من الانصار وفيه اطلاق اللواء على الراية وقد تقدم ان جماعة من اهل اللغة جزموا بترادف اللواء والراية فكان
صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة على غير لواء معقود قال في الاصل المعروف ان سعد بن معاذ كان على حرس رسول الله
صلى الله عليه وسلم في العريش اي كما سياتي قال اي جوابا عما تقدم من الاصل العريش كان ببدر اي وهذا كان عند خروجه
وفي الطريق فلا منافاة اي لانه يجوز ان يكون في بدر دفع الراية لغيره باذنه صلى الله عليه وسلم ليكون معه في العريش
ولبس صلى الله عليه وسلم درعه ذات الفضول وتقلد سيفه العضب وحين فصل صلى الله عليه وسلم من بيوت السقيا
قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك فما رجع احد منهم يريد ان يركب

الا وعيد ظهر اللوجل البعير اي وا كنسى من كان عاريا واصابوا الطعاما من ازوادهم واصابوا افداء الاسارى فاغتنى بكل عامل
وكان حبيب بن يساف ذا باس ونجدة ولم يكن اسلم ولكنه خرج نجدة لقومه من الخزرج طالبا للغنيمة ففرح المسلمون بخروجه
معهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصحبنا الا من كان على ديننا اى وفى رواية ارجع فانا لا نستعين بمشرك
اي وسياتى في احد انه صلى الله عليه وسلم قال لا نستنصر باهل الشرك على اهل الشرك لما ورد عن حلفاء عبد الله بن
ابى سلول من يهود وتكررت من حبيب المراجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الثالثة قال له تؤمن بالله ورسوله
قال نعم فاسلم وقاتل قتالا شديدا وفي الامتاع وقدم حبيب بن يساف بالروحاء مسلما ولا مخالفة لجواز ان يكون اسلم قبل
الروحاء ولما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوما او يومين ثم نادى مناديه يا معشر العصاة انى مفطر فافطروا
وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان قال لهم قبل ذلك افطروا فلم يفعلوا انتهى اى وسياتى في فتح مكة انه صلى الله عليه
وسلم امرهم بالفطر فلم يفعل جماعة منهم ذلك فقال اولئك العصاة وكانت ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى التى
معهم يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها كل ثلاثة يعتقبون بعيرا اي الا ما كان من حمزة رضى الله عنه وزيد بن حارثة
وابى كبشة وانيسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هؤلاء الاربعة كانوا يعتقبون بعيرا اى وعن عائشة
رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالاجراس ان تقطع من اعناق الابل يوم بدر وفى الامتاع
وكانوا يعتقبون الابل الاثنين والثلاثة والاربعة هذا كلامه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن
ابى طالب كرم الله وجهه ومرثد يعتقبون وفى لفظ كان ابو لبابة وعلى والنبى صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا
اي وذلك قبل ان يرد ابو لبابة للمدينة من الروحاء وبعد ان رده قام مقامه مرثد وقيل زيد بن حارثة رضى الله عنه
وقيل زيد كان مع حمزة اى كما تقدم ويجوز انه كان مع حمزة تارة ومع النبى صلى الله عليه وسلم اخرى وكان اذا كانت
عقبة النبى صلى الله عليه وسلم قالا له اى رفيقاه اركب حتى نمشي عنك فيقول ما انتما باقوى منى على المشى وما انا باغنى
عن الاجر منكما وكان ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم يعتقبون بعيرا اى وفى العيون وخلاف ابنا رافع وعبيد
بن يزيد الانصارى رضى الله عنهم يعتقبون بعيرا حتى اذا كانا بالروحاء برك بعيرهما فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله برك علينا بكرنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتمضمض والقاه في اناء اى وفي الامتاع فتمضمض
وتوضا في اناء ثم قال افتح فاه فصب فيه ثم صب باقى ذلك عليه ثم قال اركبا ومضيا فلحقاه فما سبقهم اى دام صلى الله
عليه وسلم بذلك وفى العدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر وهذا قول عامة السلف كما قال ابن جرير رحمه الله ومن زاد
على ذلك وعدهم ثلاثمائة وخمسة رجال او ستة رجال او سبعة رجال فالجواب عنه لا يخفى وكان في الجيش ثلاثة افراس فرسان
له صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد رضى الله عنه ويقال له السبل وفرس المقداد بن الاسود رضى الله عنه نسب اليه لانه
تبناه في الجاهلية كما تقدم ويقال لها سبحة وفرس الزبير بن العوام رضى الله عنه ويقال له اليعسوب وقيل لم يكن في
الجيش الا فرسان فرس المقداد وفرس الزبير رضى الله عنه ومن على كرم الله وجهه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد
رضى الله عنه اقول يجوز ان يكون المراد لم يقاتل يوم بدر فارسا الا المقداد وغيره ممن له فرس قاتل راجلا ويؤيده
ما ياتى انه صلى الله عليه وسلم لما قسم الغنيمة لم يميز احدا عن احد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس لكن
يخالفه قول الزمخشرى في خصائص العشرة رضى الله تعالى عنهم كان الزبير رضى الله عنه صاحب راية رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وليس على الميمنة يومئذ فارس غيره هذا كلامه الا ان يقال كون الزبير فارسا على الميمنة
لا يخالف كون المقداد فارسا في محل اخر مع الجماعة الذين فيهم سيدنا على كرم الله وجهه فقول سيدنا على لم يكن فينا اى في الجماعة

الملازمين لنا نا امل والله حتى اثناء الطريق بعرق الظبية لقوا رجلا من الاعراب فسالوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس
سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا نعم فسلم عليه قال ان كنت رسول الله
فاخبرني بما في بطن ناقتى هذه فقال سلامة بن سلامة وقش لا تسال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الى انا اخبرك عن
ذلك نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افحشت على الرجل ثم اعرض عن سلامة فلما نزلوا
واديا يقال له ذفران بكسر الفاء وهو واد قريب من الصفراء اتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبى صلى الله
عليه وسلم اصحابه واخبرهم الخبر اى وقال لهم ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول اى مسرعين فما تقولون العير
احب اليكم من النفير فقالوا بلى اى قالت ذلك منهم طائفة العير احب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب
له انا خرجنا للعير وفى رواية يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى ذلك
عن ابى ايوب رضى الله عنه في سبب نزول قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون وعند
ذلك وقام ابو بكر رضى الله عنه فقال واحسن ثم قام عمر رضى الله عنه فقال واحسن ثم قام المقداد رضى الله عنه فقال يا رسول
الله امض لما امرك الله نحن والله لا نقول كما قال بنو اسرائيل اي لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد اى وهى
مدينة بالحبشة لجالدنا اي ضربنا بالسيوف معك من دونه حتى تبلغه وفى لفظ نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك
ومن خلفك قال ابن مسعود رضى الله عنه فرايت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق بذلك ويبشره بذلك وفى
الكشاف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم دعا له بخير هذا وفى
العرايس روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند
البيت واستشار اصحابه في ذلك فقال المقداد بن الاسود اما والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب انت
وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكنا نقول انا معكم مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك ومن بين يديك و
لو خضت بحرا لخضناه معك ولو علوت جبلا لعلوناه معك ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك فلما سمع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك تابعوه فاشرق عند ذلك وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعدد ممكن لكنه
بعيد ثم قال اشيروا علي فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله انها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا امنت
منذ كفرت والله لتقاتلنك فتاهب لذلك اهبته واعدد لذلك عدته اى ثم استشارهم صلى الله عليه وسلم ثالثا
فقال اشيروا علي ايها الناس يريد الانصار رضى الله عنهم ان يصنعهم وذلك لانهم عدد الناس اى اكثرهم عددا ومن
ثم قيل وانما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة اى في ذلك المجلس ليعرف حال الانصار فانه تخوف
ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا من دهمه اي جاءه على حين غفلة بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم
الى عدو من بلادهم علما بظاهر قولهم له حين بايعوه عند العقبة يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا
فاذا وصلت الينا فانت في ذمتنا نمنعك بما نمنع به ابناءنا ونساءنا ومن ثم قام له سعد بن معاذ رضى الله عنه سيد
الاوس وقيل سعد بن عبادة سيد الخزرج وما تقدم هو الصحيح لان سعد بن عبادة اختلف في عده في البدريين و
الصحيح انه لم يشهد بدرا فانه كان يتهيا للخروج فنهش بالمهملة اي لدغته الحية قبل ان يخرج فاقام اى فضرب له
بسهم فقال لعلك تريدنا معاشر الانصار يا رسول الله فقال اجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما
جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة وزاد في رواية ولعلك يا رسول الله

نخشى ان تكون الانصار ترى عليها ان لا ينصروك الا في ديارهم واني اقول عن الانصار واجيب عنهم فاظعن حيث شئت
حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وفي لفظ وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم
من شئت وعاد من شئت وخذ من اموالنا ما شئت وما اخذت منا كان احب الينا مما تركت وما امرت فيه من امر فامرنا
تبع لامرك فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه
معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به
عينك وفي لفظ بعض ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك
فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واشرق وجهه بقول سعد رضي الله تعالى عنه ونشطه ذلك ثم قال صلى الله
عليه وسلم سيروا وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين اي وهما عير قريش وعير من خرج من مكة من قريش
يريد حماية تلك العير فوالله لكاني الان انظر الى مصارع القوم اي فقد اعلمه الله تعالى بعد وعده بذلك بالظفر
بالطائفة الثانية واراه مصارعهم فعلم القوم انهم ملاقون القتال وان العير لا تحصل لهم ثم ارتحل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذفران حتى نزل قريبا من بدر وركب صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر رضي الله عنه اي وقيل
بدل ابي بكر قتادة بن النعمان وقيل معاذ بن جبل حتى وقفا على شيخ من العرب اي يقال له سفيان قال في
النور لا اعلم له اسلاما فسأله صلى الله عليه وسلم عن قريش وعن محمد واصحابه وما بلغه عنهم فقال لا اخبركما حتى
تخبراني من انتما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخبرتنا اخبرناك فقال الشيخ ذلك بذاك قال نعم قال فانه
قد بلغني ان محمدا واصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذي اخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان
الذي نزل به قريش فلما فرغ من خبره قال ممن انتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء اي من ماء دافق
وهو المني ثم انصرف عنه فقال الشيخ من ماء اي من ماء العراق فهم ان المراد بالماء حقيقته اي لكن في الامتاع فقال النبي
صلى الله عليه وسلم نحن من ماء واشار بيده الى العراق فقال من ماء العراق اي لان اصل الماء الى العراق من كثرته
وفيه ان هذا من التورية وقد تقدم في اوائل الهجرة انه لا ينبغي لنبي ان يكذب ولو صورة ومنه التورية لكن في كلام
البيضاوي وما نقل انه عليه الصلاة والسلام قال لابرهيم عليه الصلاة والسلام ثلاث كذبات تسمية للمعاريض
كذبا لما شابهت صورتها صورته ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه ودعا لهم فقال اللهم انهم حفاة فاحملهم
اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فاشبعهم ففتح الله تعالى له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رضي الله عنهم
رجل الا وقد رجع بجمل او جملين واكتسوا وشبعوا اخرجه ابو داود عن عمرو بن العاص رضي الله عنه اي شبعوا واكتسوا مما
اصابوه من كسوة وازواد قريش وفي الامتاع ان دعاءه صلى الله عليه وسلم المذكور كان عند مفارقته محل عسكره
بالمدينة وهو بيوت السقيا كما تقدم وفيه زيادة وما الذي ففتح فاصابوا الاسارى فاغتنى بهم كل عائل ولا مانع ان
يكون دعاؤه صلى الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص في نفر من اصحابه رضي الله
عنهم الى بدر يلتمسون الخبر فاصابوا راوية لقريش معها غلام لبني الحجاج وغلام لبني العاص فاتوا بهما ورسول الله صلى الله
عليه قائم يصلي فقالوا لمن انتما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما فلما اوجعوهما
ضربا قالا نحن لابي سفيان فتركوهما فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقاكم ضربتموهما
واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش اخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب الذي
يرى بالعدوة القصوى اي بجانب الوادي المرتفع فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثيرا

اي عددهم والله كثير عددهم شديد باسهم قال ما عدتهم قالا لا ندري اي وجهد النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبراه
فلم يفعلا فقال لهما صلى الله عليه وسلم كم ينحرون اي من الجزر كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم
ما بين التسعمائة والالف اي لكل جزور مائة ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث
وزمعة بن الاسود وابو جهل بن هشام وامية بن خلف فانه اسلم بعد ذلك يوم الفتح وهو من اشراف قريش وخطبائهم وسياتي
انه اسر في هذه الغزاة وعمرو بن ود فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد القت اليكم افلاذ
اي قطع كبدها اي اشرافها وعظماءها وذكر ان مسيرهم واقامتهم كانت عشرة ليال حتى بلغوا الجحفة اي وهي قرية تقرب رابغ
كما تقدم نزلوها عشاء اي وفي الامتاع انهم وردوا العيان من الجحفة اول الليل وفي الرتبة سلول دابي داود عن انس رضي الله
عنه فدام نزلوا قريش فيها عبد اسود لبني الحجاج فاخذوه فكانوا يسالونه عن ابي سفيان فيقول ما لي بابي سفيان علم فاذا قال
ذلك ضربوه فاذا قال هذا ابو سفيان تركوه الحديث اي وفي الامتاع تلك الليلة اسر غلام عبيد بن سعيد بن العاص و
اسلم غلام منبه بن الحجاج وابو رافع غلام امية بن خلف فاتي بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي الحديث و
قد يقال لا منافاة لان بعض الرواة ذكر الثلاث وبعضهم اقتصر على اثنين وبعضهم على واحد والله اعلم وكان
مع قريش رجل من بني عبد المطلب بن مناف يقال له جهيم بن الصلت رضي الله عنه فانه اسلم في عام خيبر واعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقا وقيل اسلم بعد الفتح فوضع راسه فاغفى ثم قام فزعا فقال
لاصحابه هل رايتم الفارس الذي وقف علي فقالوا لا قال فانه وقف علي فرس فقال قتل ابو جهل وعتبة وشيبة
وزمعة وابو البختري وامية بن خلف وفلان وفلان وعدد رجالا من اشراف قريش ممن قتل يوم بدر اي وعد اناس سهيل بن عمرو و
وفلان وفلان وعد رجالا ممن اسر قال ثم رايت ذلك الفارس ضرب في لبة بعيره ثم ارسله في العسكر فما من خباء من اخبية
العسكر الا اصابه دمه فقال له اصحابه انما لعب بك اي لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤيا في العسكر وبلغت
ابا جهل لعنه الله قال قد جئتم بكذب بني عبد المطلب مع كذب بني هاشم سيرون غدا من المقتول نحن او محمد واصحابه واول
من نحر لهم حين خرجوا من مكة ابو جهل بن هشام لعنه الله عشر جزائر اي بمر الظهران وكانت جزره بعد ان نحرت بها حية
فجالت في العسكر فما بقي خباء من اخبية العسكر الا اصابه من دمها كذا في الامتاع ومن هذا المحل رجع بنو عدي اي
نقاد الا بذلك ثم نحر لهم صفوان بن امية بعسفان تسع جزائر ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشر جزائر وساروا من قديد فضلوا
بها ثم اصبحوا بالجحفة فلما اصبحوا بالابواء نحر لهم مقيس بن عمرو الجمحي تسع جزائر اي ويقال ان الذي نحر لهم بالابواء نبيه ومنبه
ابنا الحجاج عشرا ونحر لهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عشر جزائر ونحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعا ونحر لهم ابو البختري
على ماء بدر عشر جزائر ونحر لهم مقيس الجمحي على ماء بدر تسعا اي ثم شغلتهم الحرب فاكلوا من ازوادهم ثم مضى رجلان من الصحابة
اي قبل وصوله صلى الله عليه وسلم الى بدر وكذا قبل قريش الى بدر كما يدل عليه الكلام الاتي خلاف ما يدل عليه
هذا السياق الى ماء بدر فنزلا تلا هناك ثم اخذا شنا لهما يستقيان فيه ومجدي على الماء واذا جاريتان يتلازمان
اي يتخاصمان وتمسك احداهما الاخرى على الماء والملزومة تقول لصاحبتها انما العير غدا او بعد غد فاعمل لهم واقضيك
الذي لك فقال ذلك الرجل الذي على الماء صدقت ثم خلص بينهما وسمع ذلك الرجلان فجلسا على بعيرهما ثم انطلقا
حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بما سمعا ثم ان ابا سفيان تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فلقي ذلك
الرجل فقال هل احسست احدا قال ما رايت احدا انكره الا اني قد رايت رجلين قد اناخا الى هذا التل ثم استقيا

فرّ من لحامه انطلقا فقال ابو سفيان مناخهما واخذ من ابعار بعيرهما ففته فاذا فيه النوى فقال والله علائف يثرب فرجع
الى اصحابه سريعا فضرب وجه عيره عن الطريق وترك بدرا بيسار وانطلق حتى اسرع فلما علم انه قد احرز عيره ارسل الى قريش
اي وقد كان بلغه مجيئهم ليحرزوا العير وكانوا حينئذ بالجحفة انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم وقد نجاها
الله تعالى فارجعوا فقال ابو جهل لعنه الله لا نرجع حتى نقرب بدرا فنقيم عليه ثلاثة ايام فلا بد ان تنحر الجزر ونطعم الطعام
ونسقى الخمر وتضرب علينا القيان اي تضرب بالمعازف اي الملاهي وقيل الدفوف وقيل الطنابير وقيل نوع منها يتخذه اهل اليمن
وتسمع بنا العرب بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا ابدا بعدها وسياتي في غزاة بدر الموعد ان موسم بدر يكون عند هلال ذي
القعدة في كل عام يمكث ثمانية ايام وبعدها نادة ذلك لابي جهل اي اتى منهم ببغيه وعدوان قال ولما ارسل ابو سفيان لقول
قريش ما تقدم اوعد عليه ابو جهل لعنه الله بما ذكر قال بغى والبغي منقصة وشؤم وعند ذلك رجع منهم بنو زهرة و
كانوا نحو المائة انفس اي وقيل ثلثمائة وقائدهم كان الاخنس بن شريق وفي كلام ابن الاثير فلم يقتل منهم اي من بني زهرة
احد ببدر وفي كلام غيره ولم يشهد بدرا احد من بني زهرة الا رجلان قتلا كافرين فان الاخنس قال لبني زهرة يا بني
زهرة قد نجى الله اموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جبنها وارجعوا فانه
لا حاجة بان تخرجوا في غير منفعة لا ما يقول هذا يعني ابا جهل وقد خلا بابي جهل فقال يا ابا الحكم اترى محمدا يكذب فقال ما كذب قط كنا نسميه الامين
لكن اذا كانت في بني عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم يكون فيهم النبوة فاي شيء يكون لنا فخنس الاخنس ورجع
ببني زهرة اي واسمه ابي وانما لقب بالاخنس من حين رجع ببني زهرة فقيل خنس بهم فسمي الاخنس كان حليفا لبني زهرة
ومعدودا فيهم رضي الله عنه فانه اسلم يوم الفتح واعطاه صلى الله عليه وسلم مع المؤلفة وقال ابن عن السهيلي رحمه الله
انه قتل يوم بدر كافرا وتبعه على ذلك التلمساني في حاشية الشفا واستدل له بقول القاضي البيضاوي ان قوله تعالى
ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الاية نزلت في الاخنس بن شريق وفي الاصابة انه كان من المؤلفة
ومات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وعن السدي ان الاخنس جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاظهر الاسلام
وقال الله يعلم اني لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فحرق زرعهم فنزلت ومن الناس من يعجبك قوله في
الحيوة الى قوله ولبئس المهاد وفي كلام ابن عطية رحمه الله ما ثبت ان الاخنس اسلم ثلث قد اثبته في الصحابة جماعة ولا مانع
ان يكون اسلم ثم ارتد ثم رجع الى الاسلام هذا كلام الاصابة وفي كلام ابن قتيبة ولم يسلم الاخنس وفي كلام بعضهم
ثلاث ابحابوه وجده شهدوا ابيه الاخنس وابنه يزيد وابن ابنه معن فليتامل ذلك قال وارادت بنو هاشم الرجوع فاشتد
عليهم ابو جهل لعنه الله وقال لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع انتهى ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا
من الماء ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بعيدا من الماء بينهم وبين الماء رملة فظمى المسلمون واصابهم
ضيق شديد واجنب غالبهم والقى الشيطان في قلوبهم الغيظ فوسوس اليهم تزعمون انكم اولياء الله وانكم اولياء الله
وانكم على الحق وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش وتصلون مجنبين اي وما ينتظر اعداؤكم الا
ان يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا وفي الكشاف اذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم
فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا وكان الوادي دهسا بالسين المهملة اي
لينا كثير التراب تسيخ فيه الاقدام فبعث الله السماء اي المطر فطفئت الغبار ولبدت الارض اي شدتها للنبي صلى الله
عليه وسلم ولاصحابه وطهرهم به واذهب عنهم رجز الشيطان اي وسوسته وشربوا وملأوا الاسقية واسقوا الركايب
واغتسلوا من الجنابة اي وطابت نفوسهم بذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به اي من الاحداث

ويذهب

ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته وليربط على قلوبكم اي ليشدها ويقويها ويثبت به الاقدام اي يتلبد الارض حتى
لا تسوخ في الرمل واصابهم تلك الليلة منها ما لم يقدروا على ان يرحلوا منه اي وصلوا الى الماء اي وكان المطر نعمة وقوة
للمؤمنين وبلاء ونقمة على المشركين وعن علي كرم الله وجهه اصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل
تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وعن علي كرم الله وجهه ما كان فينا تلك الليلة قائم
الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده ان يقول يا حي يا قيوم يكرر ذلك
ذلك حتى اصبح اي لان المسلمين اصابهم تلك الليلة نعاس شديد يلقي الشخص على جنبه اي وعن قتادة رضي الله عنه
كان النعاس امنة من الله وكان النعاس نعاسين نعاس يوم بدر ونعاس يوم احد لان النعاس هنا كان ليلا قبل القتال ويوم
احد كان نعاسا للقتال ولعل النعاس امنة وقت القتال او بعيد التاهب له وهو وقت المصافة واضح لا قبله هذا ذكر الشمس
الشامي رحمه الله انه لما نزلت الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم وبشرهم صلى الله عليه وسلم بنزول
الملائكة حصل لهم السكينة والطمانينة وربما يقتضي انه حصل لهم النعاس بعد رجال لياليهم والحال انه حصل لهم قبل ذلك في
تلك الليلة لا في المصافة ولا يبعد ذلك قوله بعد ذلك ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه النعاس في المصاف من الايمان
والنعاس من النفاق في الصلوة اي لانه في الاول يدل على ثبات الجنان وفي الثاني دليل على عدم الاهتمام بامر الصلوة فلما
ان طلع الفجر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال اي في خطبة خطبها فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه اما بعد فاني احثكم على ما حثكم الله عليه
الى ان قال ان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله تعالى به الهم وينجي به من الغم الحديث ثم خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم بادرهم الى ان يسابق قريشا الى الماء فسبقهم عليه حتى جاء ادنى ماء من بدر اي اقرب ماء الى بدر من بعينه ما فنزل به صلى
الله عليه وسلم فقال له الحباب بن المنذر رضي الله عنه يا رسول الله ارايت هذا المنزل امنزل انزلكه الله تعالى ليس لنا ان نتقدمه فامض بالناس
حتى نأتي ادنى ماء من القوم اي اذا نزل القوم يعني قريشا كان ذلك الماء اقرب المياه اي محل اقرب اليهم قال الحباب رضي الله عنه
فاني اعرف غزارة مائه وكثرته بحيث لا ينزح ننزله ثم نغور ما عداه من القلب اي الابار غير المبنية ثم نبني عليها
حوضا فنملأه فنشرب ولا يشربون لان القلب كلها حينئذ تصير خلف ذلك القليب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد اشرت بالرأي وقد جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرأي ما اشار اليه الحباب فنهض رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى اتى ادنى ماء من القوم اي من الجبل الذي ينزل به القوم فنزل عليه ثم امر بالقليب
فغورت ليكون الواو قال السهيلي رحمه الله لان القلب عينا جعلها كعين الانسان ويقال في عين الانسان غرتها
فغارت ولا يقال عورتها اي بالتشديد وبنى صلى الله عليه وسلم حوضا على القليب الذي نزل به فملئ ماء ثم قذفوا فيه الانية
ومن يومئذ قيل للحباب رضي الله عنه ذو الرأي وظاهر كلام بعضهم انه كان معروفا بذلك قبل هذه الغزاة وفيه ان ذلك
القليب اذا كان خلف ظهوركم وسائر القلب خلفه ما المعنى في تغويرها لانها اذا لم يغوروها لا يشربون ولا يشرب العدو
الا ان يقال المعنى ليلا ياتوا اليها من خلفهم فالغرض قطع اطماعهم من الماء فليتامل واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم
بل هو الرأي على جواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم في الحرب لخطر الصورة السبب او مطلقا لان صورة السبب لا تخصص
وجواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم في الاحكام قوله الا الاذخر عقب ما قيل له الا الاذخر قال السبكي رحمه الله
وليس قاطعا لاحتمال ان يكون اوحي اليه في تلك اللحظة هذا وفي كلام بعضهم انهم نزلوا على ذلك القليب نصف الليل
فصنعوا الحوض وبكوه وقذفوا فيه الانية بعد اذا استقوا منه وسياتي ما يؤيده وقال سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه

يا نبي الله الا نبني لك عريشا اي وهو شيء كالخيمة من جريد يستظل به يكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا
الله تعالى واظهرنا على عدونا كان ذلك ما احببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن ورائنا فقد تخلف
عنك اقوام يا نبي الله ما نحن باشد لك حبا منهم ولا اطوع لك منهم لهم رغبة في الجهاد ونية ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا
عنك انما ظنوا انها العير يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فاثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا او
دعا له بخير اي وقال او يقضي الله خيرا من ذلك يا سعد اي وهو نصرهم وظهورهم على عدوهم ثم بني ذلك العريش لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اي فوق تل مشرف على المعركة كان فيه اي وعن علي كرم الله وجهه انه قال يجمع من الصحابة اخبروني
عن اشجع الناس قالوا انت قال اشجع الناس ابو بكر رضي الله عنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من يكون معه لئلا يهوي اليه احد من المشركين فوالله
ما دنا منا احد الا ابو بكر شاهرا بالسيف على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي احد اليه الا اهوى اليه
اي ولذلك حكم علي كرم الله وجهه انه اشجع الناس به يرد قول الشيعة والرافضة ان الخلافة لا يستحقها
الا علي كرم الله وجهه لانه اشجع الناس اي وهذا كان قبل ان يحمى القتال والا فبعد التحامه كان على باب العريش الذي
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله تعالى عنه وسعد بن معاذ رضي الله عنه قائم على باب العريش في نفر من الانصار
كما سياتي ومما استدل به على ان ابا بكر رضي الله عنه اشجع من علي كرم الله وجهه ان عليا كرم الله وجهه اخبره النبي
صلى الله عليه وسلم لا يقتله الا ابن ملجم لعنه الله فكان اذا دخل الحرب ولاقى الخصم يعلم انه لا قدرة له على قتله فهو
معه كالنائم على فراشه واما ابو بكر رضي الله تعالى عنه لم يخبر بقاتله فكان اذا دخل الحرب لا يدري هل يقتل او لا فمن
هذه يقاسي من التعب ما لا يقاسيه غيره ومما يدل على ذلك ما وقع له رضي الله عنه في قتال اهل الردة وتصميم العزم
على مقاتلة مانعي الزكاة مع تثبيط عمر رضي الله عنه عن ذلك فلما كان الصباح اقبلت قريش من الكثيب وهذا يؤيد القول
بانه صلى الله عليه وسلم سار باصحابه ليلا ليبادرهم الى الماء لان ذلك كان بعد طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم لان الظاهر
من قول الراوي اقبلت اي عليهم وهم ماكثون ويؤيده ايضا ما في مسلم عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ليلة بدر اي بعد ان وصل الى محل الوقعة هذا مصرع فلان ان شاء الله غدا ووضع يده صلى الله عليه وسلم على الارض
وهذا مصرع فلان ههنا قال انس رضي الله عنه ما ماط احدهم عن موضع يده صلى الله عليه وسلم اي تنحى قليلا مال الى الحج
ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقد اقبلت بالدروع السابغة والجموع الوافرة والاسلحة الشاكة اي التامة
قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها اي كبرها وعجبها وفخرها تحادك اي تعاديك وتخالف امرك وتكذب رسولك
فنصرك اي انجز نصرك الذي وعدتني اي وفي لفظ اللهم انك انزلت علي الكتاب وامرتني بالثبات ووعدتني احدى
الطائفتين اي وقد فاتت احداهما وهي العير وانك لا تخلف الميعاد اللهم احنهم اي اهلكهم الغداة وفي رواية اللهم لا يفلتن
ابا جهل فرعون هذه الامة اللهم لا يفلتن زمعة بن الاسود اللهم واسخن عين ابي زمعة واعم بصر زمعة اللهم لا تفلتن سهيلا
الحديث ولما اطمانت قريش ارسلوا عمير بن وهب الجمحي اي رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وشهد احدا معه
صلى الله عليه وسلم اي فقالوا احزر لنا اصحاب محمد اي انظر لنا عدتهم فاستجال بفرسه حول عسكر النبي صلى الله عليه وسلم
ثم رجع اليهم فقال ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا او ينقصون قليلا ولكن امهلوني حتى انظر للقوم كمينا او مددا اي فذهب
الى الوادي حتى ابعد فلم ير شيئا ثم رجع اليهم وقال ما رايت شيئا ولكني قد رايت يا معشر قريش البلايا اي وهي في
الاصل النوق على قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت تحمل المنايا اي الموت اي نواضح يثرب تحمل الموت الناقع اي

البالغ فاذا بعضهم الاثر دم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعي لا يريدون ان ينقلبوا الى اهلهم زرق العيون كانهم الحصا
تحت الحجف يعني الانصار وقوم ليس لهم منعة ولا ملجا الا سيوفهم والله ما ارى ان نقتل رجلا منهم حتى يقتل رجل منكم فاذا اصابوا
منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رايكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فاتى عتبة بن ربيعة فقال يا ابا الوليد
انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى ان تزال تذكر فيها بخير الى اخر الدهر قال وما ذاك يا حكيم قال ترجع بالناس فقام
عتبة خطيبا فقال يا معشر قريش والله انكم ما تصنعون ان تلقوا محمدا واصحابه شيئا والله لئن اصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه
رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه او ابن خاله او رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فان اصابوه فذاك
الذي اردتم وان كان غير ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون اي يا قوم اعصبوها اليوم براسي اي اجعلوا عارها متعلقا
وقولوا جبن عتبة وانتم تعلمون اني لست باجبنكم اي وفي لفظ ان حكيم بن حزام قال لعتبة بن ربيعة تجير بين الناس
وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي اي الذي بالنخلة واقد بن عبد الله في سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وهو اول قتيل
قتله المسلمون وتحمل ما اصاب محمد من تلك العير اي التي غنمها عبد الله ابن جحش كما سياتي في السرايا فانتم لا تطلبون
من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت اي هو حليفي فعلي عقله وما اصيب من المال وانعم ما قلت ودعوت اليه وركب
اليه جملا له وسار عجيلة في صفوف قريش يقول يا قوم اطيعوني فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمي وما اخذ من العير
وقد تحملت ذلك وزاد بعضهم انه قال يا معشر قريش انشدكم الله في الوجوه التي كانها عيون الحيات يعني الانصار و
هذا كما ترى وما ياتي ايضا يضعف قول من قال انه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمي اي اعطى ديته وقد كان
صلى الله عليه وسلم لما راى قريشا اي اقبلت من الكثيب وعتبة على جمل احمر قال ان يكن في احد من القوم خير فعند صاحب
الجمل الاحمر اي وفي رواية ان يكن احد يامر بخير فعسى ان يكون صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا ولما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم راكب الجمل الاحمر يجيله في صفوف قريش قال يا علي ناد حمزة وكان اقربهم الى المشركين فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صاحب الجمل الاحمر اي وماذا يقول لهم فقال هو عتبة ينهى عن القتال وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه
وسلم ان يكن في احد من القوم خير الى اخره من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ثم قال عتبة لحكيم بن حزام انطلق الى ابن الحنظلية
يعني ابا جهل لعنه الله قال حكيم فانطلقت حتى جئت ابا جهل فوجدته قد مثل درعا له من جرابها اي اخرجها منه فقلت له يا ابا
الحكم ان عتبة ارسلني اليك بكذا وكذا للذي قال فقال انتفخ والله سحره اي رئته كناية عن الجبن وفي لفظ انه قال لعتبة
وقد جاء اليه انت تقول هذا والله لو غيرك يقوله لاعضضته اي قلت له اعضض على بظر امك ان قد ملئت رئتك
خوفا ورعبا كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقال لحكيم ما بعثه ما قال ولكنه راى ان محمدا واصحابه
اكلة جزور اي في قلة بحيث يكفيهم الجزور وفيهم ابنه اي وهو ابو حذيفة رضي الله عنه فانه كان ممن اسلم قديما
فقد تخوفكم عليه وفي رواية انه قال يا معشر قريش ان ما يشير عليكم عتبة لهذا لان ابنه مع محمد ومحمد ابن عمه فهو كره
ان تقتلوا ابنه وابن عمه فغضب عتبة وسب ابا جهل وقال سيعلم اينا اشد لقومه راي ومن غريب الاتفاق ان ام
ابان بنت عتبة بن ربيعة المذكور كان لها اربعة اخوة وعمان كل منهم حضر بدرا اثنان من اخوتها مسلمان واثنان
مشركان وواحد من عميها مسلم والاخر كافر فالاخوان المسلمان ابو حذيفة مصعب بن عمير ولعله كان اخاها لامها والكافران
الوليد بن عتبة وابو عزيز والعم المسلم معمر بن الحارث ولعله كان اخا عتبة لامه والعم الكافر شيبة بن ربيعة وكان
من حكمة الله تعالى ان الله تعالى جعل المسلمين قبل ان يحمى القتال في اعين الكفار قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال
جعلهم في اعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال في اعين المسلمين قليلا

ليقوي جاشهم على قتالهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم
سبعين قال اراهم مائة وانزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ومن ثم قال الله تعالى
قد كانت لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم اي يرى اولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأي
العين اي معتقد ذكر ان يسار بن اشيم رضي الله عنه قبل ان اسلم بعد ذلك قال انه شهد يوم بدر لو خرجت منا قريش بالكثير لاوثقت
محمدا واصحابه وعنه رضي الله عنه انه قال لما كان بعد الخندق وقدمت المدينة سالت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا هو ذاك في ظل المسجد مع ملأ من اصحابه فاتيته وانا لا اعرفه من بينهم فسلمت عليه فقال صلى الله عليه
وسلم يا قباث انت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش باكثبها ردت محمدا واصحابه فقال والذي بعثك بالحق
بالحق ما تحدثت به لساني ولا ترمرمت به شفتاي ولا سمعه مني احد وما هو الا شيء هجس في نفسي يكون معنى قوله صلى الله عليه و
سلم انت القائل اي في نفسك اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله والله ما جئت
به الحق ولما بلغ عتبة ما قاله ابو جهل قال سيعلم غدا مصفر استه وذكر السهيلي رحمه الله تعالى هنا ان هذه الكلمة لم يخترعها
عتبة ولا هو ابو عذرتها فقد قيلت لبعض الملوك كان مترفا لا يغزو في الحروب يريد صفرة الخلوق والطيب لشدة و
سادة العرب لا تستعمل الخلوق والطيب الا في الدعة وتعيبه في الحرب اشد العيب واظن ان ابا جهل لعنه الله لما سلم العير استعمل
الخلوق والطيب فلذلك قال له عتبة هذه الكلمة وانما اراد مصفر بدنه ولكنه قصد المبالغة في الذم فخص منه بالذكر ما يسوءه ان
يذكر هذا كلامه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اليهم يقول ارجعوا فانه ان يلي هذا
الامر مني غيركم احب الي من ان تلوه مني فقال حكيم ابن حزام قد عرض نصفا فاقبلوه فوالله لا تنصرون عليه بعدما عرض من
النصف فقال ابو جهل لعنه الله والله لا نرجع بعد ان مكننا الله منهم ثم ان ابا جهل لعنه الله بعث الى عامر بن الحضرمي اي
اخي المقتول الذي هو عمرو وقال له هذا حليفك يعني عتبة يريد ان يرجع بالناس وفي لفظ يخذل الناس عن القتال وقد تحمل
دية اخيك من ماله يزعم انك قابلها الا تستحي ان تقبل الدية من مال عتبة وقد رأيت ثارك بعينك فقم واذكر مقتل
اخيك فكان عامر كاخيه المقتول من حلفاء عتبة وسياق ذلك فقال عامر ابن الحضرمي فاكتشف اي كشف استه وحثا
عليه التراب ثم صرخ واعمراه فثارت النفوس اي وعامر هذا لا يعرف اسلامه اي وفي الاستيعاب عامر بن الحضرمي قتل
يوم بدر كافرا واما اخوه العلاء فمن فضلاء الصحابة رضي الله عنهم اي وقد كان رضي الله عنه يقال انه مجاب الدعوة وانه خاض
البحر هو وسريته التي كان اميرا عليها وذلك في زمن خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ويقال يمشون حتى راى العقاد (؟) من حوافر الخيل بكلمات
قالها دعى بها ادعى يا علي يا حكيم يا علي يا عظيم انا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك اللهم فاجعل لنا اليهم سبيلا وقد وقع
نظير ذلك اي دخول البحر لابي مسلم الخولاني التابعي فلما اخذ الروم مع جيشه مروا بنهر عظيم بينهم وبين العدو فقال ابو
مسلم اللهم اجزت بني اسرائيل البحر وانا عبادك وفي سبيلك فاجزنا هذا النهر اليوم ثم اعبروا بسم الله فعبروا والنهر يبلغ المسافون (؟)
الخيل وكذا وقع نظير ذلك لابي عبيد الثقفي التابعي امير الجيوش في ايام سيدنا عمر رضي الله عنه فان دجلة حالت بينه وبين العدو
قبل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحم الجيش و
راه ولما نظر اليهم الاعاجم صاروا يقولون ديوانا ديوانا اي مجانين ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا اموالهم
ولراي بيوت ولو اقف على اسلام واما اخته التي هي الصعبة وهي ام طلحة بن عبيد الله صحابية رضي الله تعالى عنها
كانت اولا تحت ابي سفيان بن حرب فطلقها فخلف عليها عبيد الله فولدت له طلحة الذي قال في حقه صلى الله عليه و
سلم من اراد ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله ثم اتى الاسود بن عبد الاسد

المخزومي وهو اخو ابي سلمة عبد الله بن الاسد وكان رجلا شرسا سيئ الخلق شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وجاء انه اول من يعطى كتابه بشماله كما ان اخاه ابا سلمة اول من يعطى كتابه بيمينه كما تقدم قال اعاهد الله لاشربن
من حوضهم او لاهدمنه او لاموتن دونه فلما خرج اليه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه
بنصف ساقه اي اسرع قطعها فطارت وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم
فيه اي يشرب منه وهدمه برجله الصحيحة يريد ان يبر يمينه فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض واقبل نفر من
قريش حتى وردوا ذلك الحوض منهم حكيم بن حزام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فما شرب منه رجل
يومئذ الا قتل كافرا الا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه فكان اذا اجتهد في يمينه
قال لا والذي نجاني يوم بدر وعلى ان هذا الحوض كان وراء ظهره صلى الله عليه وسلم يكون مجيء هؤلاء للحوض من
خلفه صلى الله عليه وسلم ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة اي خوذة ليدخلها في راسه فما وجد في الجيش بيضة تسع راسه
لعظمها فاعتجر على راسه ببردة له اي تعمم به ولم يجعل تحت الحنك من العمامة شيئا وخرج بين اخيه شيبة وابنه الوليد
حتى فصل من الصف ودعى للمبارزة فخرج فتية من الانصار ثلاثة اخوة اشقاء هم معوذ ومعاذ وعوف بنو عفراء
وقيل بدل عوف عبد الله ابن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة وفي رواية اكفاء كرام انما
نريد قومنا وفي لفظ اخرجوا الينا من بني عمنا اي وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم امرهم بالرجوع فرجعوا الى مصافهم وقال
لهم خيرا لانه كره ان تكون الشوكة لغير بني عمه وقومه في اول قتال وعند ذلك نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا
من قومنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي اي وفي لفظ قوموا يا بني هاشم فقاتلوا
بحقكم الذي بعث به نبيكم اذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله قم يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا رضي الله عنهم
ودنوا قالوا لهم ما انتم اي لانهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح قال عبيدة بن الحارث وكان اسن القوم كان اسن من النبي صلى الله
عليه وسلم بعشرة سنين عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة واما علي كرم الله وجهه فلم يمهل ان قتل الوليد فاما حمزة رضي الله عنه
فلم يمهل ان قتل شيبة واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما اثبت صاحبه وكر حمزة وعلي عليهم باسيافهما على عتبة فذففاه
بالمعاد (؟) واجهزه واحتملا صاحبهما فجزاه الى اصحابه اي واضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فافرشه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قدمه الشريف فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد انك شهيد اي بعد ان قال له
عبيدة الست شهيدا يا رسول الله توفي رضي الله عنه بالصفراء ودفن بها مرجع المسلمين الى المدينة وقيل برز حمزة لعتبة
وعبيدة لشيبة وعلي للوليد واختلف عبيدة وشيبة بينهما بضربتين كلاهما اثبت صاحبه ووقعت الضربة في ركبة عبيدة فمات
رجله دما وقع ساقه يسيل ثم مال حمزة وعلي رضي الله عنهما على شيبة فذففا عليه اي وقيل ان شيبة لما صرع من ضربة عبيدة
قام فقام اليه حمزة فاختلفا ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيئا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فهوى عبيدة وهو صريع يضرب شيبة
فقطع ساقه فذفف عليه حمزة وقيل بارز علي شيبة وبارز عبيدة الوليد فقد روى الطبراني باسناد حسن عن علي كرم الله
وجهه انه قال اعنت انا وحمزة وعبيدة ابن الحارث على الوليد فلم يعب النبي صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وقال الحافظ
ابن حجر رحمه الله وهذا اصح الروايات لكن المشهور ان عليا رضي الله عنه انما بارز الوليد وهو اللائق بالمقام لان عبيدة و
شيبة كانا شيخين كعبيدة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين وقتل حمزة رضي الله عنه طعيمة بن عدي اخا المطعم
بن عدي وتقدم ان المطعم مات قبل هذه الغزاة الشهر كان اول مبارزة وقعت في
الاسلام وفي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه انه كان يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم

نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم بدر وفي البخاري عن علي كرم الله وجهه انه اول من يجثو بين يدي الرحمن
عز وجل للخصومة يوم القيامة على معاوية رضي الله تعالى عنهما ثم تزاحم الناس ودنا بعضهم من بعض وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عدل صفوف اصحابه بقدح في يده اي سهم لا نصل له ولا ريش فمر صلى الله عليه وسلم بسواد بتخفيف
الواو ولا تشديدها كما زعمه ابن هشام بن غزية بفتح الغين المعجمة وكسر الزاي وتشديد الياء اي حليف بني النجار وهو
خارج من الصف فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله اوجعتني وقد
بعثك الله بالحق والعدل فاقدني اي مكني من القود اي القصاص من نفسك فكشف له رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن بطنه وقال استقد اي خذ القود اي القصاص فاعتنقه فقبل بطنه الشريف فقال صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا
يا سواد فقال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت ان يكون اخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخير وفيه ان هذا لا قود فيه ولا قصاص عند ائمتنا الا ان يقال وسواد هذا جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر
كما سياتي اي وفي حديث حسن عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فبدرت منا بادرة امام الصف فنظر اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معي معي اقول وقع له صلى الله عليه و
سلم مع بعض الانصار اي وهو سواد بن عمرو مثل هذا الذي وقع له مع سواد بن غزية ففي ابي داود ان رجلا من الانصار
كان فيه مزاح بينما هو يحدث القوم يضحكهم اي طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرته بعود كان في يده و
في لفظ بعرجون دفعا خفيفا فقال اصبرني يا رسول الله اي اقدني وامكني من نفسك لاقتص منك فقال اصطبر اي اقتص
قال ان عليك قميصا وليس علي قميص فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه اي بعض خصره
صلى الله عليه وسلم انما القصد ببدنه مسلم ومسه النار كذا في الخصائص الصغرى وفيها في محل اخر ولا تاكل النار شيئا
من جسده وكذلك الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ثم لما عدل صلى الله عليه وسلم الصفوف قال لهم ان دنا القوم منكم
فانضحوهم اي ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم اي لا ترموهم على بعد فان الرمي مع البعد غالبا يخطئ فيضيع النبل بلا
فائدة اي وقال لهم صلى الله عليه وسلم لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من
الغم وهذا السياق يدل على تكرر هذه الخطبة اي وقوعها قبل مجيئهم الى محل القتال وبعد مجيئهم اليه ولا مانع منه ثم رجع
صلى الله عليه وسلم الى العريش متوشحا سيفه مع نفر من الانصار يخافون على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو
اي والجنائب مهيئات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان احتاج اليها ركبها ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة
بن عامر حجرا بين الصفين وقال لا افر الا ان فر هذا الحجر وكان اول من خرج من المسلمين مهجع بكسر الميم واسكان الهاء
وفتح الجيم مخففة ثم عين مهملة مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقتله عامر بن الحضرمي بسهم ارسله اليه وقد قال بعض المشايخ انه
اول من يدعى من شهداء هذه الامة وانه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ مهجع سيد الناس من هذه الامة ولا ينافي
ما جاء ان سيد الشهداء يوم القيامة يحيى بن زكرياء وقايدهم الى الجنة وذابح الموت يوم القيامة مضجعه وبيده شفرة
في يده والناس ينظرون اليه لكن جاء سيد الشهداء هابيل الا ان يحمل الاولية اضافية او اول اولاد ادم عليه السلام
لصلبه قيل وان مهجع اول قتيل من المسلمين عمير بن الحمام لان ذاك اول قتيل من المهاجرين وهذا اول قتيل من الانصار
ولا ينافي ذلك ان اول قتيل من الانصار حارثة بن قيس اي قتل او بقيدها فيما اصيب حارثة يوم بدر وهو غلام نظار
سهم اليه اي فقتله اصابه سهم غرب اي لا يعرف راميه وهو يشرب من الحوض وفي كلام ابن اسحق اول من قتل من المسلمين
مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده حارثة بن سراقة وقد جاءت ام حارثة وهي عمة انس بن مالك الى النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله حدثني عن حارثة فان يكن في الجنة لم ابك عليه ولم احزن وان يكن في النار بكيت
ما عشت في دار الدنيا وفي رواية ان يكن في الجنة صبرت وان يكن غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء فقال يا ام حارثة انها ليست
بجنة ولكنها جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وهذا لا يخالف قول ابن القيم
كالزمخشري ان الجنة هي دار الثواب واحدة بالذات كثيرة بالاسماء والصفات وهذا الاسم الذي هو الجنة يجمعها من اسمائها
جنة عدن والفردوس والماوى ودار السلام ودار الخلد ودار المقامة ودار النعيم ومقعد صدق وغير ذلك مما يزيد
على عشرين اسما اي وعن الواقدي انه بلغ امه واخته وهما بالمدينة مقتله فقالت امه والله لا ابكي عليه حتى يقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسئله فان كان في الجنة لم ابك عليه وفي رواية اصبر واحتسب وان كان ابني في النار بكيته وفي
رواية ترى ما اصنع فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاءت امه فقالت يا رسول الله قد عرفت موقع حارثة
من قلبي فاردت ان ابكي عليه ثم قلت لا افعل حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم هبلت وفي رواية ويحك او هبلت
اجنة واحدة انها جنات كثيرة والذي نفسي بيده انه لفي الفردوس الاعلى ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس
يده فيه ومضمض فاه ثم ناوله ام حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم امرهما فنضحتا في جيوبهما ففعلتا فرجعتا من عند
النبي صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امراتان اقر عينا منهما ولا اسر وقد كان حارثة رضي الله عنه سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله له بالشهادة فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف اصبحت يا
حارثة قال اصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عزفت نفسي عن
الدنيا فاسهرت ليلي واظمات نهاري فكاني بعرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر الى اهل
النار يتعاوون فيها قال ابصرت فالزم اي انت عبد نور الله الايمان في قلبه فقلت ادع الله لي بالشهادة فدعا له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال ابو جهل واصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد لنا العزى ولا عزى لكم فنادى منادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار واقول سياتي وقوع مثل ما قال ابو جهل
واصحابه من ابي سفيان لكنه اجيب بمثل هذا الجواب في يوم احد والله اعلم وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه
ما وعده من النصر اي وهذا العريش هو المراد بالقبة في قول البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال وهو في قبة يوم بدر اللهم انشدك عهدك ووعدك الحديث ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة فلا تعبد وفي مسلم انه صلى
الله عليه وسلم قال اللهم انك ان تشا لا تعبد في الارض قال ذلك في هذا اليوم وفي يوم احد قال بعض العلماء فيه التسليم لقدرة و
الرد على غلاة القدرية الذين يزعمون ان الشر غير مراد لله ولا يعتد بعد ذكر الامام النووي رحمه الله ان كونه قال ما ذكر
يوم بدر هو المشهور وفي كتب التفسير والمغازي انه يوم احد ولا معارضة بينهما فقاله في اليوم هذا كلامه اي يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم
قال ذلك في اليوم وفي يوم احد وفي رواية اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين اي لانه صلى الله عليه وسلم
عليم انه اخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة وفي لفظ اللهم لا تودع مني ولا تخذلني انشدك ما
وعدتني لانه كان وعده النصر وفي رواية ما زال صلى الله عليه وسلم يدعو ربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه
عن منكبيه فاخذ ابو بكر رضي الله تعالى عنه رداءه والقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك وفي رواية والله لينصرنك وليبيضن وجهك وفي لفظ بعض مناشدتك ربك وكون وعد الله
لا يخلف لا ينافي الالحاح في الدعاء وانما قال ابو بكر رضي الله عنه ما ذكر لانه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم في الحاحه
بالدعاء لانه رضي الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لان الصديق رضي الله عنه

كان في تلك الساعة في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مقام الخوف ولان الله تعالى ان يفعل ما يشاء وكلا المقامين
سوى في الفضل ذكره السهيلي رحمه الله وحين راى المسلمون رضي الله عنهم القتال قد نشب لجؤا بالدعاء الى الله تعالى
فانزل الله تعالى عند ذلك اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين اي متتابعين وقيل
مردفا بكم وممد الكم وقيل وراء كل ملك ملك اخر ويوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما امد الله نبيه صلى الله
عليه وسلم يوم بدر بالف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة فامد الله
تعالى بالملائكة الف مع جبريل والف مع ميكائيل وجاء امده الله بثلاثة الاف الف مع جبريل والف مع ميكائيل وجاء
امده الله بثلاثة الاف الف مع جبريل والف مع ميكائيل والف مع اسرافيل وهذا رواه البيهقي في الدلائل عن علي كرم الله
وجهه باسناد فيه ضعف وقيل وعدهم الله بان يمدهم بالف ثم زيدوا في الوعد بالفين ثم زيدوا في الوعد بالفين ايضا وقيل امدهم
الله بثلاثة الاف ثم اكملهم خمسة الاف قال الله تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة
منزلين اي الف مع جبريل والف مع ميكائيل والف مع اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم
بخمسة الاف من الملائكة مسومين فان كان ذلك يومئذ على ما عليه الاكثر وقيل يوم احد كان الامداد فيه بذلك اي بثلاثة الاف
ثم وقع الوعد باكمالهم خمسة معلقا على شرط وهو التقوى والصبر على جوء الغنائم فلم يصبروا ففاتت الامداد بما زاد على الثلاثة الاف
ومعنا الثاني هو الذي نحى اليه الشيخ ابو حيان رحمه الله كان المدد يومئذ بالف من الملائكة ويوم احد بثلاثة الاف ثم بخمسة
لو صبروا على اخذ الغنائم فلم يصبروا فلم تنزل لهم الملائكة وهو واضح لان عن صبرهم عن اخذ الغنائم وعدم امتثال امره وانما كان في
لا في بدر روى البيهقي عن حكيم بن حزام رضي الله عنه اني يومئذ وقع نمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادي يسيل
نملا اي فاذا هو من السماء فوقع في نفسي ان هذا شيء ايد به صلى الله عليه وسلم وهي الملائكة اي وروى بسند حسن عن جبير
بن مطعم قال رايت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون البجاد مبثوث حتى امتلأ الوادي فلم اشك انها الملائكة فلم يكن الا هزيمة
القوم والبجاد كساء مخطط من اكسية الاعراب وسياق وقوع مثل ذلك في حنين قال وانما كانت الملائكة مشاركا لهم في بعض
الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه والا فجبريل عليه السلام قادر على ان يدفع على ان يدفع
الكفار بريشة من جناحه كما فعل في مداين قوم لوط واهلاك قوم صالح ونحوه صلى الله عليه وسلم بصيحة واحدة وليحصل لهم
العقد بعد ذلك حيث يعلمون ان الملائكة تقاتل معهم وبهذا ايد ما قيل لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وانما كانوا يكثرون السواد
والا فملك واحد اهلك اهل الدنيا كلهم وجاء ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة يوم بدر فات اهل الارض خوفا من
شدة صعقاتهم وارتفاع اصواتهم وجاء في حديث مرسل ما رئي الشيطان لا احقر ولا اصغر من يوم عرفة الا ما رئي يوم بدر اي في
كذا سائر مواسم المغفرة والعتق من النار كايام رمضان سيما الليلة العتقية وجاء ان ابليس لعنه الله جاء في صورة سراقة بن
مالك المدلجي الكناني في جند من الشياطين اي مشركي الجن في صورة رجال من بني مدلج من بني كنانة معه رايته وقال للمشركين
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي كما قال لهم ابتداء خروجهم وقد خافوا من بني كنانة قوم سراقة وقد
تقدم انه كان وحده ولا منافاة لجواز ان يكون جنده لحقوا به فلما راى جبريل عليه السلام والملائكة وفي رواية
اقبل جبريل عليه السلام الى ابليس لما راه وكانت يده في يد رجل من المشركين اي وهو الحارث بن هشام اخو ابي جهل
انتزع من يد الرجل ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الرجل يا سراقة اتزعم انك لنا جار فقال اني بريء منكم
اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب تشبث به الحارث بن هشام رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك
وقال ابو جهل لعنه الله يا معشر قريش الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة

وشيبة ابني ربيعة والوليد فانهم قد عجلوا فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا واصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد
وذكر السهيلي رحمه الله يروى ان من بقي من قريش وهرب الى مكة وجدوا سراقة بمكة فقالوا يا سراقة خرقت الصف و
اوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشيء من امركم ولا شهدت فما صدقوه حتى اسلموا وسمعوا ما انزل الله فعلموا
انه ابليس هذا كلامه قال قتادة صدق ابليس في قوله اني ارى ما لا ترون وكذب في قوله اني اخاف الله والله ما به
مخافة من الله قال في ينبوع الحياة ولا يعجبني هذا فان ابليس عارف بالله ومن عرف الله خافه اي وان لم يكن ابليس خافه حق الخوف
قيل وانما خاف ان يكون هذا اليوم هو اليوم الموعود الذي قال فيه سبحانه وتعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ورايت
عن سيدي علي الخواص نفعنا الله ببركاته انه لا يلزم من قول ابليس ذلك ان يكون معتقدا له باطنا كما هو شان المنافقين ورايت
عن وهب ان اليوم المعلوم الذي انظر فيه ابليس هو يوم بدر وقتله الملائكة في ذلك اليوم والمشهور انه منظر الى يوم القيامة ويدل
لذلك ما وقع لابليس لما ضرب الحارث في صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط في البحر ورفع يديه وقال يارب موعدك الذي وعدتني
اللهم اني اسالك نظرتك اياي وخاف ان يخلص اليه القتل هذا وفي رواية الجامع الصغير عن مسلم ان سيدنا عيسى يقتل ابليس بيده
عند نزوله ونزول ابن مريم عليه السلام فيري المسلمين دمه في حربته وفي كلام بعضهم المراد بيوم القيامة الذي انظر فيه ابليس نفخة البعث
بل نفخة الصعق التي بها يكون موت من لم يمت من اهل السموات والارض غير الاحملة العرش جبريل واسرافيل وميكائيل وملك الموت
وهؤلاء من استثنى الله تعالى في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يموت جبرائيل و
ميكائيل ثم حملة العرش ثم اسرافيل ثم ملك الموت هو اخر من يموت وفي كلام بعضهم الصعق اعم من الموت فالمراد ما يشمل الغشي
وذهاب الشعور اي فمن مات قبل ذلك وصار حيا في البرزخ كالانبياء والشهداء لا يموت وانما يحصل له غشي وذهاب
شعور ويكون المستثنى من القسم الاول من تقدم ذكره من الملائكة ومن القسم الثاني موسى صلوات الله وسلامه
عليه فانه جوزي بذلك اي بعدم الغشي وذهاب الشعور بما حصل له من ذلك بسبب صعقة الطور وفيه انه
صلى الله عليه وسلم لم يجزم بذلك بل تردد في ذلك حيث قال فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى فلا ادري افاق من الغشي
قبل او كان ممن استثنى الله ولعل بعض الرواة ضم هذا الحديث لحديث الصحيح انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة فاذا موسى
الاخرة وفيه نظر لان المراد بيوم القيامة عند نفخة البعث ونفخة الصعق سابقة عليها كما علمت ويلزم على هذا التردد مع كون
الحديثين خبرا واحدا اشكال جزمه صلى الله عليه وسلم بانه اول من تنشق عنه الارض واجاب شيخ الاسلام بما يفيد
انهما خبران لا خبرا واحدا حيث قال التردد كان قبل ان يعلم انه اول من تنشق الارض عنه فهما حديثان لا حديث واحد
فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم لا تخيروني على موسى عليه الصلاة والسلام فان الناس يصعقون يوم القيامة فاصعق
معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى الحديث يقتضي انه صلى الله عليه وسلم ليس افضل من موسى قلنا هو كقوله من قال انا خير من
يونس بن متى فقد كذب وذلك منه صلى الله عليه وسلم تواضع او كان قبل ان يعلم انه افضل الخلق اجمعين وقيل الوقت
المعلوم خروج الدابة فاذا خرجت قتلته بوطئها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابليس اذا مرت عليه الدهور وحصل له
الهرم عاد ابن ثلاثين سنة وهذه النفخة التي كالسفينة والبحر تضربها الامواج وتسير الجبال كسير السحاب وتنشق السماء
وتكسف الشمس ويخسف القمر وهي المعنية بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وبقوله تعالى ان زلزلة
الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وقال تعالى ففزع من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله قيل وهم الشهداء وتقدم ان الاموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلنا يا رسول
الله من استثنى الله تعالى في قوله الا من شاء الله فقال اولئك الشهداء وانما يحصل الفزع الى الاحياء وهم احياء

عنه بهم يدفعون وقاتم الله فرغ ذلك اليوم وامنهم منهم استشهاده صلى الله عليه وسلم على ذكر الشهداء وسكوته عن الانبياء
لما هو معلوم من الاصالة مقام الانبياء ارفع من مقام الشهداء وان كان قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل ومن ثم
قيل الوثوق خاص بالشهداء ومن ثم اختصوا بحرمة الصلوة عليهم ويقال انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمني الجن سبعون
اي لكن لم يثبت انهم قاتلوا اتكالا بمجرد نعده ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خفق خفقة اي مال النعاس ثم انتبه فقال
ابشر يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرسه وفي لفظ اخذ براس فرسه يقوده على ثناياه النقع اي الغبار وهو يقول
اتاك نصر الله اذ دعوتنه اي وفي رواية ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعدما فرغ من بدر على فرس انثى معقود
الناصية قد عصب الغبار ثنيته عليه درعه وقال يا محمد ان الله بعثني اليك وامرني ان لا افارقك حتى ترضى افرضيت اي ولا
مانع من تعدد رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام وان هذه بعد تلك وان المرة الاولى سببا فيما يقتضي انها كانت
مناما وان الغبار في المرة الثانية كان اكثر منه في المرة الاولى بحيث علا على ثناياه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العريش الى الناس فحرضهم وقال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله
الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم وفي يده تمرات يأكلهن بخ بخ كلمة يقال لتعظيم الامر والتعجب
منه اما بيني وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل اي وفي
رواية انه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقال عمير بن الحمام بخ بخ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبخبخ اي مما تتعجب فقال رجاء ان اكون من اهلها اي وفي رواية ما يحملك على قول بخ بخ
قال لا والله يا رسول الله الا رجاء ان اكون من اهلها فاخذ تمرات فجعل ياكلهن ثم قال لئن انا حييت حتى اكلهن وفي
لفظ ان حييت حتى اكل تمراتي هذه انها لحيوة طويلة فقتل رضي الله عنه وهو يقول ركضا الى الله بغير زاد
الا التقى وعمل المعاد والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد غير التقى والبر والرشاد ولا زال رضي الله عنه
يقاتل حتى قتل وسيأتي في غزاة احد مثل هذا لبعض الصحابة ايضا جابر رضي الله عنه في القاء التمرات من يده ومقاتلته حتى قتل
فعن جابر رضي الله عنه قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم احد ارايت ان قتلت فاين انا قال في الجنة فالقى تمرات
في يده ثم قاتل حتى قتل اخرجه البخاري ومسلم والنسائي وسيأتي ما في ذلك وقال عوف بن الحارث بن عفراء يا رسول الله
ما يضحك الرب من عبده اي ما يرضيه غاية الرضا قال غمسه يده في العدو حاسرا اي لا درع له ولا مغفر فنزع درعا كانت
عليه فقذفها ثم اخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه ولفظ يضحك في حق الله كناية عن غاية رضاه وقد جاء انه
صلى الله عليه وسلم قال في حق طلحة بن البراء اللهم الق طلحة يضحك اليك وتضحك اليه اي العبد يلقاك ملقى المتحابين المسرورين لما في
اقتسما من غاية الرضا والمحبة وهي كلمة النثر اوتيها صلى الله عليه وسلم وقاتل في ذلك اليوم معيذ بن وهب زوج هريرة بنت
زمعة اخت سودة بنت زمعة ام المؤمنين رضي الله عنهما بسيفين ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصا بامره بذلك
جبريل عليه السلام كما في بعض الروايات اي قال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فتناولها صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال لعلي
كرم الله وجهه ناولني قبضة من حصباء ثم قال شاهت الوجوه اي قبحت الوجوه وزاد بعضهم اللهم ارعب قلوبهم وزلزل اقدامهم ثم
نفحهم اي رماهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا امتلات عينه ومنخراه وفمه لا يدري اين يتوجه يعالج التراب لينزعه عن عينيه
اي فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون هذا والمحفوظ المشهور ان ذلك انما كان في حنين لكن يوافق الاول ما نقله بعضهم
ان قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى نزل في يوم بدر هكذا قاله عروة وعكرمة ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم قال هذا
البعض وقد فعل عليه الصلوة والسلام مثل في غزوة احد هذا كلامه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلاث حصيات

فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين ايديهم فقال شاهت الوجوه فانهزم القوم وهذه الحصيات الثلاث
قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقعن في السماء يوم بدر كانهن وقعن في طست فاخذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بهن
في وجوه المشركين اي ميمنة وميسرة وبين ايديهم وحين رمى صلى الله عليه وسلم بذلك قال لاصحابه رضي الله عنهم شدوا فكانت الهزيمة
وانزل الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد يقال لا مانع من اجتماع الامرين وكل منهما مراد من الآية قال وقاتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه قتالا شديدا وكذلك ابو بكر رضي الله تعالى عنه كما كانا في العريش
يجاهدان بالدعاء قاتلا بالبدن جمعا بين المقامين انتهى اقول اذا نقل بعضهم عن الاموي وتأمل ذلك فاني لم اقف عليه في
كلام احد غيره وكان قائل ذلك فهم مباشرته صلى الله عليه وسلم للقتال مما تقدم عن علي كرم الله وجهه لما كان يوم بدر
اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشد الناس باسا ولا دلالة في ذلك والله اعلم نعم ذكر ابن سعد
رحمه الله انه لما انهزم المشركون دابر رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم
الجمع ويولون الدبر وهذه الآية ذكر في الاتقان انها مما تاخر حكمه عن نزوله فانها نزلت بمكة وكان ذلك يوم بدر وانهزمت قريش
نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا بالسيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم
بدر اخرجه الطبراني في الاوسط ولم يقاتل صلى الله عليه وسلم بمجرح او قتل من قاتله ولو وقع ذلك لنقل لانه
مما تتوفر الدواعي على نقله وسيأتي عن احد من النجوم انه صلى الله عليه وسلم لم يقتل بيده الشريفة قط الا ابي بن
خلف لا قبله ولا بعده والى رميه بالحصا اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله ورمى بالحصا فاقصد
جيشا ما العصا عنده وما الالقاء اي ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصا جيشا فاصابهم كلهم اي يشبه العصا موسى
عليه الصلوة والسلام على حبال سحرة فرعون وعصيهم عند ذلك الحصا المرمي بل لا يقاربه في ذلك الا انقادا لا يدانيه
لان ذلك وجد لنظيره وهو القاء السحرة الحبال والعصي والرمي بالحصا لم يوجد له نظير اي وقال صلى الله عليه وسلم حينئذ من قتل
قتيلا فله سلبه ومن اسر اسيرا فهو له كما في الامتاع فلما وضع القوم ايديهم يأسرون راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
سعد فوجد في وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كانك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال
اجل والله يا رسول الله كانت اول وقعة اوقعها الله باهل الشرك فكان الاثخان في القتل اي الاكثار منه والمبالغة
فيه احب الي من استبقاء الرجال وذكر بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اني قد عرفت ان رجالا من بني هاشم
وغيرهم قد اخرجوا اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم احدا من بني هاشم فلا يقتله اي بل يأسره وذكر صلى الله عليه وسلم
ابا البختري فلا يقتله اي لانه كان ممن قام في نقض الصحيفة ونص على العباس بن عبد المطلب فقال ابو حذيفة رضي الله عنه
انقتل اباءنا وابناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس لانه تقدم ان اباه عتبة وعمه شيبة واخوه الوليد اول من قتل من الكفار
مبارزة وعشيرته وهم بنو عبد شمس قتل منها جماعة لئن لقيته يعني العباس لالحمنه السيف هو بالمهملة والجيم فبلغت اي تلك
المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر يا ابا حفص ايضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر والله انه لاول
يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي حفص يا رسول الله دعني اضرب عنقه يعني ابا حذيفة بالسيف فوالله
لقد نافق فكان ابو حذيفة رضي الله عنه يقول ما انا بامن تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ولا ازال خائفا منها الا ان تكفرها
عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا في جملة من قتل فيها من الصحابة وهم اثنا عشر وخمسون وقيل ستمائة رضي الله
عنهم ولقي المجذر رضي الله عنه ابا البختري فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال وزميلي
اي رديفي وكان معه زميل له خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك

ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله اذا لا اموتن انا وهو جميعا لا تتحدث عني نساء مكة
اني تركت زميلي اي عديلي حرصا على الحياة فقتله المجذر اي بعد ان قاتله ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال و
الذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستاسر فآتيك به فابى الا ان يقاتلني فقاتلته فقتلته اقول لعل المجذر رضي الله
عنه فهم ان ما علم من نهيه صلى الله عليه وسلم عن قتله يقيد ان استاسر حتى قال ما نحن بتاركي زميلك اي ولا بد
من قتله وان استاسر وكان ذلك حاملا لابي البختري على ان لا يستاسر ويترك زميله فيقتل خوفا من السبة والله
اعلم اي وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام
عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من اشجع قريش واشدهم
رماية وكان اسن ولد ابي بكر وكان صالحا وفيه دعابة فلما اسلم قال لابيه لقد اهدفت لي اي ارتفعت لي يوم بدر
مرارا فصدفت عنك اي اعرضت عنك فقال ابو بكر رضي الله عنه لو اهدفت لي لم اصدف اي لم اعرض عنك قال المراد بكونه
اهدف له ارتفع له وهو لا يشعر بذلك ولا ينافي ما قيل ان عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما يوم بدر دعا الى البراز فقام
اليه ابوه ابو بكر رضي الله عنه ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما علمت انك
عندي بمنزلة سمعي وبصري اي وفي بعض السير ان الصديق رضي الله عنه قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين
لم يسلم اين مالي يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلاما معناه لم يبق الا عدة الحرب التي هي السلاح وفرس سريعة الجري وسيف يقتل
عليه شيوخ الضلال اي وهذا يدل على ان الصديق رضي الله عنه ترك ماله لما هاجر وهو يخالف ما تقدم عن بنته اسما
رضي الله عنها من قولها ان ابا بكر ارسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة الاف درهم الى الغار فدخل علينا جدي ابو قحافة فلعل
ماله الذي عناه الصديق ما كان من نحو امتعة وبعض مواشي لا النقد فلا مخالفة ويروى عن ابن مسعود رضي الله عنه ان الصديق
رضي الله عنه دعا ابنه يعني عبد الرحمن يوم احد الى البراز فقال له النبي صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك اما علمت انك بمنزلة
سمعي وبصري فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى
في نزول الاية لكن يبعد نزولها في احد ايضا كون ابي بكر رضي الله عنه دعي الى المبارزة بعد نزولها اولا في بدر ثم رايت ابن
ظفر رحمه الله قال في الينبوع انه لم يثبت ان ابا بكر رضي الله عنه دعا ابنه الى المبارزة وانما هو شي ذكر في كتب التفسير لان الاية
مدنية لا مكية وبدر بعدما ذكر ان سببها ان ابا بكر رضي الله عنه سمع في الخطبة سقط منها فجاء ابو بكر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرني السيف لقتلته وفي كلام الزمخشري ان عبد الرحمن رضي الله عنه اسلم في
هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بجبل بينه وبين مكة ستة اميال فحمل على رقاب الرجال
الى مكة وقدمت اخته عائشة رضي الله عنها من المدينة فاتت قبره فصلت عليه اي وفي هذا اليوم الذي هو يوم بدر
قتل ابو عبيدة بن الجراح اباه وكان مشركا فان اباه قصده ليقتله فحاد عنه ابو عبيدة لينكف عنه فلم ينكف عنه فرجع عليه
وقتله وانزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم
او اخوانهم او عشيرتهم الاية وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله قال لقيت امية ابنه علي اي اخذ بيده قبل ان يهاجر فعذبتهم
ان يردوهم عن الاسلام فرجعوا عنه وماتوا على كفرهم وانزل الله تعالى فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا
فيم كنتم الاية اي وهم الحارث بن ربيعة وابو قيس بن الفاكه وابو قيس بن الوليد والعاصي بن منبه وعلي بن امية المذكور
وفي السيرة الهشامية وذلك انهم كانوا اسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المدينة حبسهم اباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا اي رجعوا عن الاسلام ثم ساروا مع قومهم الى بدر فاصيبوا جميعا

وسياتي اشكال ذي يقتضي انهم لم يرجعوا الى الكفر الا بعد الهجرة وسياق ما قبله ربما يقتضي انهم رجعوا الى الكفر قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم قال
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فكان معي ادراع قد استلبتها اي فانا احملها فلما راني امية ناداني باسمي الاول يا عبد عمرو فلم اجبه لانه كان
قال لي لما سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن اترغب عن اسم سماك به ابوك فقلت نعم فقال اما الرحمن لا اعرفه ولكني
اسميك بعبد الاله كما تقدم فلما ناداني بعبد الاله قلت نعم اي وظاهر السياق يقتضي انه عرف انه المراد بذلك وانه ترك اجابته
فقلا حيث جعل عبدا للصنم ويحتمل وهو الاقرب انه لم يجبه لعدم معرفته انه المراد بذلك الاسم لكونه مهجورا فلما ناداه امية
بما ذكر عرفه وعرف المراد بذلك لما ذكر وعند ذلك قال له امية هل لك في فانا خير لك من هذه الادراع التي معك قلت
نعم فطرحت الادراع من يدي واخذت بيده وبيد ابنه علي وهو يقول ما رايت كاليوم قط ثم قال لي يا عبد الاله من الرجل
منكم المعلم بريشة نعامة في صدره اي انما كانت في صدره بحيال صدره قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب ابنه ثم خرجت امشي
بهما فوالله اني لاقودهما اذ راه بلال رضي الله تعالى عنه معي وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ان يترك الاسلام
اي كما تقدم فقال بلال رضي الله عنه راس الكفر امية ابن خلف لا نجوت ان نجا فاحاطوا بنا فاصلت رجل السيف اي سله
من غمده وذلك الرجل هو بلال رضي الله عنه فضرب رجل ابنه فوقع وصاح امية صيحة ما سمعت بمثلها قط فضربوهما باسيافهم
حتى فرغوا منهما اقول الذي في البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ان بلالا رضي الله عنه لما استصرخ الانصار رضي الله
عنهم قال فخشيت ان يلحقونا فخلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم اتوا حتى لحقونا وكان امية رجلا ثقيلا اي كما تقدم فقلت
ابرك فبرك فالقيت عليه نفسي لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه فاصاب احدهم رجلي بسيفه اي ظهر قدمه وفي كلام ابي عبد البر
قال ابن هشام قتل امية معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف اشتركوا فيه وقال ابن اسحق وابنه قتله عمار بن ياسر رضي الله عنه وحبيب
ابن اساف هذا شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج بنت خارجة بعد ان توفي عنها ابو بكر الصديق وهو جد
خبيب شيخ مالك رضي الله عنه والله اعلم وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول رحم الله بلالا ذهبت ادراعي وفجعني
باسيري اي وفي رواية لما كان يوم بدر حصل له درعان ولقيني امية فقال خذني وانا خير لك من الدرعين فخليت الدرعين فاخذ
فلما قتل اما يقول يرحم الله بلالا فلا ادرعي ولا اسيري اي لانه صلى الله عليه وسلم جعل في هذه الغزاة ان كل من اسر اسيرا فهو له كما تقدم
وسياتي ايضا له فداؤه وهو يخالف ما عليه ائمتنا ان مال هذه الاسرى ورقابهم اذا استرقوا كسائر اموال الغنيمة الا ان يقال ذاك كان
في صدر الاسلام ترغيبا في الاسلام ثم استقر الامر على ما قاله فقهاؤنا اي وقد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل
بن خويلد فقال علي كرم الله وجهه انا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي اجاب دعوتي فيه اي فانه لما
التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني نوفل
بن خويلد وفي كلام بعضهم ما يفيد ان قتل علي كرم الله وجهه له كان بعد ان اسره جبار بن صخر فقد جاء ان جبارا رضي الله عنه
بينما هو يسوقه اذ راى عليا كرم الله وجهه فقال يا الانصار من هذا واللات والعزى انه ثم امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بابي جهل ان يلتمس في القتلى وقال ان خفي عليكم اي بان قطع راسه وازيلت عن جثته انظروا الى اثر جرح في ركبته فاني ازدحمت
يوما وانا اشق اي اكبر منه بيسير في مادبة فدفع على ركبته فجحش اي خدش على احداهما جحشا لم يزل اثره به اي ولعل هذا محمل
قول بعضهم انه صلى الله عليه وسلم صرع ابا جهل في زمن صباهما ولعل هذا الاثر هو الذي عناه ابن مسعود رضي الله
عنه بقوله لما قتلت ابا جهل لعنه الله فقال لي عقيل وهو اسير عند النبي صلى الله عليه وسلم كذبت ما قتلته فقلت له بل
انت الكذاب الاثم يا عدو الله قد والله قتلته قال ما علامته قلت بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال صدقت وكان ابو جهل
لعنه الله قد استفتح اي طلب الحكم على نفسه لانه لما دنى القوم بعضهم من بعض قال اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاحنه

الندامة اي جزاه بعملهم اللهم من كان احب اليك وارضى عندك وفي لفظ اللهم اولانا بالحق فانصره اليوم فانزل الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح اقول كون ابي جهل طلب الحكم على نفسه واضح لو سكت عن قوله واتانا بما لا نعرف اذ هو يعرض بنبيه صلى الله عليه وسلم وفي تفسير بعض
ان ابا جهل لعنه الله قال يوم بدر اللهم انصر افضل الفئتين عندك وارضاهما عليك اي وفي رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم
ديننا القديم ودين محمد الحادث فنزل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وفي اسباب النزول للواحدي ان المشركين حين ارادوا
الخروج من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله
تعالى الاية وقد يقع من النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين والله اعلم قال معاذ بن عمرو بن
الجموح رايت ابا جهل وقد احاطوا به وهم يقولون ابو الحكم لا يخلص اليه فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة اطنت قدمه
بنصف ساقه اي اسرعت قطعه والله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى والمرضخة بالخاء المعجمة والمهملة
وقيل الرضخ بالمعجمة كسر الرطب وبالمهملة كسر اليابس وضربني ابنه عكرمة رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك على عاتقي فطرح يدي فتعلقت
بجلدة من جسمي واجهضني القتال ان شغلني عنه فاخذت اقاتل عامة يومي وان لاسحبها خلفي فلما اذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها
حتى طرحتها وفي رواية انه جاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليها والصقها فلصقت ولذلك يشير الامام
السبكي في تائيته لكن قال ابن عفراء ولا منافاة لجواز ان يكون معاذ بن عمرو بن الجموح بن عفراء وسياق ما يدل على ذلك بقوله
وبانت يدا كف بن عفراء فشكى اليك فعادت بعد احسن عودة الا ان قوله بعد رجع لعفراء احد وقد علمت ان ذلك انما هو
ببدر واحتمال تكرر ذلك فاحد يوم بدر لشخص واحد بعيد الا ان يثبت النقل لذلك ثم مر بابي جهل وهو عقير معوذ بضم
الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ابن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق اي وما جاء في بعض الروايات ضربه حتى
برد بفتح الموحدة والراء والدال المهملة اي مات بان صار الى حركة المذبوح ومن ثم جاء في بعض الروايات حتى برك بالكاف
بدل الدال اي سقط الى الارض اي الى جنبه ولا منافاة لما مر مع نصف ساقه لا ينفع غالبا اي يسقط الى جنبه ومعوذ هذا
لا زال يقاتل حتى قتل قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رايت ابا جهل بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم
قلت هل اخزاك الله يا عدو الله قال وبم اخزاني اعار على رجل قتلتموه اي ليس بعار على رجل قتلتموه وفي رواية احمد من رجل
قتلتموه اي انا سيد رجل قتلتموه لاني عميد القوم سيدهم اي فلا عار علي في قتلكم اياي وجاء انه قال لو ان غير اكار قتلني
الاكار الزراع يعني الانصار لانهم كانوا اصحاب زرع اي لو كان الذي قتلني غير فلاح لكان احب الي واعظم لشاني ولكن
علي في ذلك نقص لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبا اخبرني لمن الدبرة اي النصرة والظفر اليوم زاد في رواية لنا
او علينا قلت لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وفي الصحاح في باب الباء الموحدة والدبرة الهزيمة في القتال وهو اسم من الادبار
من قول ابي جهل اخبرني على من كانت الدبرة لنا او علينا وفي مغازي ابن عقبة التي قال فيها مالك رضي الله عنه مغازي ابن
عقبة اصح المغازي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس ابا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه
ثم قال اللهم لا يعجزني فرعون هذه الامة فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث وفي الصحيحين عن انس رضي الله تعالى
عنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر ما صنع ابو جهل فانطلق ابن مسعود رضي الله عنه فوجده قد ضربه ابنا عفراء
حتى برد ولمسلم برك اي وهو المراد من الاول كما تقدم فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل الحديث واخذ بلحيته لا ينافي وضع رجله
على رقبته لجواز ان يكون جمع بينهما قال ابن مسعود ثم احتززت راسه وفي رواية رويت عن ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه قال لما ضربته لم يغن شيئا فبصق في وجهي وقال خذ سيفي فاحتز به راسي من عرشي ليكون اهيب للرقبة
والعرش عرق في اصل الرقبة ففعلت ذلك ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا

راس

راس عدو الله ابي جهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلله الذي لا اله غيره اي رددها ثلاثا وروى الطبراني ان الله
قتلت ابا جهل بنصب الجلالة وهو بهذا اللفظ عندنا كناية يمين ومثل النصب الرفع والجر قال قلت نعم والله الذي لا اله الا هو
ثم القيته اي راسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى اي ويقال انه صلى الله عليه وسلم سجد خمس سجدات شكرا
ويقال انه قال الله اكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون ابي جهل لعنه الله يعوق
محدثا ابن مسعود رضي الله عنه ويقول له خذ سيفي الى اخره ينافي كونه وصل الى حركة المذبوح الا ان يقال يجوز ان اول
الامر كان كذلك ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ما ذكر فليتامل مع ما ياتي ويلزم بهذا اي حمل راس ابي جهل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على الزهري رحمه الله قوله لم يحمل الى النبي صلى الله عليه وسلم راس قط ولا
يوم بدر وحمل راس الى ابي بكر رضي الله عنه فانكره ويجاب بان البيهقي رحمه الله قال ما روي من حمل راس ابي جهل قد تكلم في
ثبوته وبتقدير صحته محمول على حمل الى محل لا من بلد الى بلد اي من بلد الكفر الى دار الاسلام اي الذي انكره ابو بكر رضي الله
عنه فانه انكر نقل الراس من بلد الكفر الى بلد الاسلام وقد جوزه من ائمتنا الماوردي والغزالي اذا كان في ذلك مكايدة
الكفار وفي النور فحصلنا على جماعة حملت رؤوسهم اليه صلى الله عليه وسلم ابو جهل وسفيان بن خالد وكعب بن الاشرف
ومرحب اليهودي والاسود العنسي على ما روي وعصماء بنت مروان ورفاعة بن قيس او قيس بن رفاعة اي وراس عتبة بن ابي
وقاص الذي كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشق شفته السفلى يوم احد كما سياتي وفي وضع ابن مسعود رضي الله عنه
رجله على عنق ابي جهل وقطع راسه تصديق لتعبيره للرؤيا التي راها لابي جهل وقال له ان صدقت رؤياي لاطان
رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة وفي رواية ان ابن مسعود رضي الله عنه وجده مقنعا في الحديد وهو منكب لا يتحرك
فرفع سابغة البيضة اي الحديدة عن قفاه لان سابغة البيضة ما يغطى بها العنق ومن ثم يقال بيضة لها سابغة فضربه
فوقع راسه بين يديه وعن ابن مسعود رضي الله عنه كما في المعجم الكبير للطبراني انتهيت الى ابي جهل وهو صريع وعليه بيضة
ومعه سيف جيد ومعي سيف رديء فجعلت انقف راسه واذكر نقفا كان ينقف راسي بمكة فاخذت سيفه فرفع راسه فقال
على من كانت الدبرة الست رويعينا بمكة فقتلته ثم سلبته فلما نظرت اليه اذا هو ليس به جراح وانما هي احداد اي ادوام في عنقه و
يديه وكتفيه كهيئة السياط اي اثار سود وكهيئة النار اي ليس به جراح من جراح الادميين داخل بدنه بل انها في ما تقدم
من قطع ابن الجموح لرجله ويجوز ان يكون ضرب ابن عفراء الذي اثبته لم يبق اثر جراحة داخل بدنه فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره فقال ذاك ضرب الملائكة اي فان الملائكة عليهم السلام كانت لا تعلم كيف تقتل الادميين
فعلمهم الله تعالى ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان اي مفصل فكانوا يعرفون قتلى الملائكة
من قتلاهم باثار سود كهيئة النار ولا ينافي ذلك وصفها بالحمرة في بعض الروايات لان الاحمر لشدة حمرته ربما قيل
فيه اسود وتلك الاثار في الاعناق والبنان الظاهر ان ذلك يكون موجودا حتى بعد مفارقة الراس او اليد من فعل الملائكة
وينبغي ان يكون هذا اي ضربهم فوق الاعناق والبنان اكثر احوالهم فلا ينافي وجود اثر ضربهم في الكتفين كما تقدم وفي
الاوجه والانف فعن بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا ننظر الى المشرك امامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد حطم انفه
وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك الموضع وسيذكر بعضهم الاعناق بالرؤوس وهو مناسب لما ذكر هنا وروي
عن سهل بن حنيف عن ابيه رضي الله عنه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك اي يرفعه عليه
فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف ويمكن الجمع بين هذا وما قبله بان ضرب الملائكة في الاعناق تارة
يفصلها وتارة لا وفي الحالين يبقى اثر ذلك اسود في العنق ليستدل به على انه من فعل الملائكة كما تقدم وفي رواية

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انتهيت الى ابي جهل لعنه الله يوم بدر وقد قطعت رجله وهو صريع وهو يذب الناس
بسيف له فقلت الحمد لله الذي اخزاك يا عدو الله قال هل هو الا رجل قتله قومه قال فجعلت اتناوله بسيف لي غير
طائل فاصبت يده فندر اي سقط سيفه فاخذته فضربته حتى قتلته ثم خرجت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم كانما
اقل من الارض اي احمل من شدة الفرح فاخبرته فقال الله الذي لا اله الا هو وفي لفظ تقدم آلله الذي لا اله الا هو فرددها ثلاثا وفي رواية
عن ابن مسعود فاستحلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ثم قال الحمد لله الذي اعز الاسلام واهله ثلاث مرات ثم
قال وخر ساجدا اي خر سجدات شكر كما تقدم وفي رواية صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود رضي الله عنه ثم انطلق
عليه وسلم خرج يمشي معي حتى قام عليه فقال الحمد لله الذي اخزاك يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة وزاد
في لفظ وراس قاعدة الكفر ونفلني سيفه اي وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة ومع قصره كان اقصر من سيف
ابن مسعود فلا منافاة اقول يجوز ان يكون المشي اليه بعد القاء الراس بين يديه صلى الله عليه وسلم استثبط ما
لقلته اي عن ابن مسعود رضي الله عنه وفي هذه الرواية سكت عن قطع راسه والمجي بها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا مخالفة وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم يوما وقد اخذ بمجامع ثوبه اولى لك فاولى ثم اولى لك
فاولى اي وعيد اعلى وعيد فقال ما تستطيع انت ولا ربك شيئا واني لاعز من مشى بين جبليها فانزل الله تعالى فلا صدق
ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى وقيل كان ذلك قبلها في عدي بن ربيعة لما سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن امر القيامة فقال لو عاينت هذا اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام فانزل الله تعالى ايحسب الانسان
ان لن نجمع عظامه الايات والله اعلم وعن قتادة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة
فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل قتله الله شر قتلة قتله ابنا عفراء وقتلته الملائكة وتذفف اي اجهز عليه ابن
مسعود وابنا عفراء هذا يجوز ان يكون معاذ بن عمرو بن الجموح ويجوز ان يكون اخاه معاذ بن الحارث وكونه قتله لانه ازال
منعته كما تقدم وفي مسلم عبد الرحمن بن عوف انه قال اني لواقف يوم بدر في الصف انظرت عن يميني وعن شمالي فاذا انا
بين غلامين من الانصار حديثة اسنانهما تمنيت احدهما فقال يا عم هل تعرف ابا جهل بن هشام قلت نعم وما حاجتك به قال
بلغني انه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو رايته لم يفارق سوادي سواده اي شخصي
شخصه حتى يموت الاعجل منا اي الاقرب اجلا فغمزني الاخر فقال مثلها فتعجبت لذلك اي لحرص كل منهما على ذلك و
اخفائه عن الاخر ليكون هو المختص بقتله فلم انشب اي البث ان نظرت ابي جهل يجول في الناس اي بالراي يتحول من
محل الى محل اخر فقلت لهما الا تريان هذا صاحبكما الذي تسالان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه اي اشرفا
به على القتل فصيراه في حركة مذبوح ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال
كل واحد منهما انا قتلته قال هل مسحتما سيفكما قال لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السيفين فقال كلاكما قتله
وقضى بسلبه اي ما عدا سيفه لهما فلا ينافي ما سبق من اعطائه لابن مسعود رضي الله عنه وهما معاذ بن عمرو بن الجموح
والثاني اشتهر بامه التي هي عفراء وقول الحافظ ابن حجر ان معاذ بن عمرو بن الجموح ليس اسم امه عفراء يجوز ان يكون مستنده
في ذلك مقابلة ابن الجموح بابن عفراء في كلامهما المقتضي ذلك لان يكون ابن الجموح ليس ابن عفراء ولا يشكل على ذلك
ما في النور نقلا عن الامام النووي ان عمرو بن الجموح وابني عفراء اي معاذ ومعوذا اشتركوا في قتل ابي جهل لان
معاذ الثاني ابن الحارث فكلا من عمرو بن الجموح والحارث تزوج عفراء فكل يسمى بذلك منهما معاذ ويدل لذلك
ما ياتي عن الامتاع انه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله ابني عفراء اشتركا في قتل فرعون هذه الامة لما قيل

له

له يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة ولم يقل عمرو بن الجموح لكن رايت بعضهم ذكر ان عفراء شهد لها بدرا سبعة بنين ثلاثة
من الحارث بن رفاعة وهو عوف ومعاذ ومعوذ واربعة من بكير بن عبد ياليل وهم خالد واياس وعاقل وعامر واستشهد منهم
يوم بدر معاذ ومعوذ وعاقل هذا كلامه فذكره عامر في الاول كما تقدم بدله ذكوان وهو واضح فقد تقدم ان عوف بن
الحارث بن عفراء قال يا رسول الله ما يضحك الرب الخ ولم يذكر هذا البعض ان من اولادها معاذ بن عمرو بن الجموح وهو يؤيد
ما تقدم عن الحافظ وعن الامام النووي فليك بالتامل وقيل قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح اقول لكونه هو الذي
ازال منعته فاستحق سلبه ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لهما كلاكما قتله لجواز ان يكون اتى بذلك ملاطفة
للثاني وترغيبا له في الجهاد لان له مشاركة ما في قتله لا نفراده في اثخانه الى ان صيره الى حركة مذبوح وكونه صلى الله
عليه وسلم اشركهما في سلبه ومن ثم قال فقهاؤنا انما يعطى السلب لمن اثخن وعجز من قتل اي بعد ذلك فقد اعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سلب ابي جهل لمثخنه ابني عفراء دون قاتله ابن مسعود ولكن هذا القيل قال به بعض اصحابنا فقهائنا
وهو الموافق لما في البخاري في كتاب فرض الخمس معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء قتلا ابا جهل ثم تنازعا فيه وذلك
لان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى السيفين فراى فيهما اثر الطعام فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن الجموح
قال الاصحاب لانه اثخنه والاخر جرحه وقوله كلاكما قتله تطييب لقلب الاخر هذا كلامه فليتامل فان الذي ظهر ان
كون راى اثر الطعام في سيفهما امر خفي على الراوي لان ذلك كان في قتل الاشرف ويؤيد الحمل لما تقدم عن ابن
مسعود انه لم يرى فيه اثر جراح داخل يديه وفي الامتاع انه صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله ابني عفراء فانهما قد اشتركا
في قتل فرعون هذه الامة وراس ائمة الكفر فقيل يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة وزادت ابن مسعود وهذا
السؤال يقتضي ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم انهما قد اشتركا في قتل هذه الامة ان غيرهما اشاركهما في ذلك فليتامل
وفي شرح الروض وهو من اجل كتبنا ان عبد الله بن رواحة وابني عفراء تقاتلا مع ابي جهل مبارزة وانه صلى الله
عليه وسلم علم ذلك واقره وجعلوا ذلك دليلا على اباحة مبارزة العدو لكافر لم يطلب المبارزة اي وما تقدم من انه
صلى الله عليه وسلم لحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بمبارزة عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة فذاك لكافر طلب
المبارزة فقد تقدم ان عتبة خرج بين اخيه شيبة وولده الوليد حتى فصل من الصف ودعى للمبارزة وانه خرج اليه
فتية من الانصار ثلاثة اخوة اشقاء وهم معاذ ومعوذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف عبد الله بن رواحة فلم يرضوا بمبارزتهم فعند
ذلك امره صلى الله عليه وسلم فمن ذكر مبارزتهم وعندي ان ما ذكره في شرح الروض من مبارزة عبد الله بن رواحة وابني عفراء لابي جهل
اشتباه وانما هو لهولاء الثلاثة ولم يقع منهم مقاتلة وكيف تبادر ثلاثة واحدا والله اعلم وكان على الملائكة يوم بدر عمائم بيض
قد ارسلوها في ظهورهم اي الا جبريل عليه السلام فانه كان عليه عمامة صفراء اي وقيل حمراء قال بعضهم كان بعضهم بعمائم بيض و
بعضهم بعمائم سود فلا منافاة وذكر ان عمامة جبريل عليه السلام يوم غرق فرعون كانت سوداء قال وفي رواية سيماهم عمائم سود
وعند ابن مسعود رضي الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد ارخوها بين اكتافهم خضر وصفر وحمر انتهى اي وبيض وسود
وفي كلام بعضهم نزلت الملائكة يوم بدر بعمائم صفر وفي رواية بيض وسود مضيفة وفي كلام ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارخوها على ظهورهم الا جبريل عليه السلام فانه كان عليه عمامة
صفراء من نور او وكانوا يوم احد بعمائم حمر ويوم حنين كذلك وفي الجامع الصغير كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم
احد عمائم حمر فما ذكر لا ينافي ما قيل سيما اهل بدر عمائم صفر قد ارخوها بين اكتافهم وما جاء كان على الزبير رضي الله عنه
يوم بدر عمامة صفراء معتجرا بها فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة على سيما ابي عبد الله يعني الزبير رضي الله عنه

لجواز ان يكون اكثرهم كان بعمائم صفر وقد ذكر ان الزبير رضي الله عنه قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل
يده في الجراح في ظهره وعاتقه وقد سئل الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى عن قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من
الملائكة المسومين ما السيمة التي كانت عليهم فاجاب بان ابن ابي حاتم ذكر في تفسيره باسانيد عن علي كرم الله وجهه انها
الصوف الابيض في نواصي خيولهم واذنابها وعن مكحول وغيره انها العمائم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها كانت
عمائم بيض قد ارسلوها الى ظهورهم وفي سنده رجل ضعيف وعنه ايضا عمائم سود وفي سنده متروك ثم قال ورواية البيض
والسود ضعيفة هذا كلامه اي وعلى تقدير صحتها يجاب بما قدمنا وكان شعار الانصار رضي الله عنهم اي علامتهم
يتعارفون بها في ظلمة اذا جاء الليل او وقع اختلاط احد باحد وشعار المهاجرين يومئذ يا بني عبد الرحمن اي وعن زيد بن
علي رضي الله عنهما كان شعار النبي صلى الله عليه وسلم اي المهاجرين او هو حتى لا يشتبه بغيره يا منصور امت وقيل الاحد
وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الاوس يا بني عبيد الله وعن ابي سعد رحمه الله تعالى يقال كان شعار الجميع
يومئذ يا منصور امت اي وحينئذ يقال لا منافاة بين هذه الرواية وما قبلها من الروايات لان المراد بالجميع المجموع لكن يحتاج
الى الجمع بين الروايات السابقة على تقدير صحتها وكانت خيل الملائكة بلقا وعن علي كرم الله وجهه كانت سيما الملائكة
اي سيما خيلهم يوم بدر الصوف الابيض اي وفي لفظ بالعهن الاحمر في نواصي الخيل واذنابها اي ولا منافاة لجواز ان
يكون بعضهم كذا وبعضهم كذا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم سوموا خيلكم فان الملائكة قد سومت فهو اول
يوم تكرر وضع الصوف اي في نواصي الخيل واذنابها ولم اقف على لون الصوف الذي وضع في ذلك وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما قال حدثني من بني غفار رجل قال اقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل ليشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننظر الوقعة
على من تكون الدبرة فننهب مع من ينهب فبينا نحن في الجبل اذ دنت سحابة فسمعنا حمحمة الخيل فسمعنا قائلا يقول اقدم حيزوم
فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه اي غشاوة فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت واقدم بضم الدال من التقدم كلمة
يزجر بها الخيل وحيزوم بالميم وربما قيل بالنون اسم فرس جبريل لعلها هي الحياة لانها مسها شئ الا صار حيا وهي التي قبض
من اثرها اي من تراب حافرها السامري نسبة الى سامرة قرية او طائفة ما القاه في العجل الذي صاغه من حلي القبط فكان له
خوار اي صوت مكان اذا خار سجدوا واذا سكت رفعوا قال في النهر الظاهر انه قامت به الحياة وقيل لما صنعه السامري اجوف
بان جعل في جوفه انابيب على شكل مخصوص وجعله في مهب الرياح فيدخل في تلك الانابيب فيظهر له صوت يشبه الخوار وفي كلام
بعضهم فرس جبريل عليه السلام التي هي حيزوم كان صهيلها التسبيح والتقديس واذا نزل عليها جبريل علمت الملائكة ان نزوله
للرحمة واذا نزل متشوح الاجنحة علمت ان نزوله للعذاب ويحتمل ان يكون حيزوم غير فرس الحياة والية ذهب السهيلي رحمه الله
فقال والحياة ايضا فرس جبريل عليه السلام قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ومن الاخبار الواهية ان الموت كبش لا يجد ريحه
شئ الا مات والحياة فرس بلقاء انثى اي خطوتها كما في العرائس مد البصر وهي التي كان جبريل عليه السلام والانبياء صلى الله
عليه وسلم يركبونها اي كلهم كما في العرائس لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيي هذا وفي اثر مرسل انه رسول الله صلى الله
عليه قال لجبريل عليه السلام من القائل يوم بدر من الملائكة اقدم حيزوم فقال جبريل عليه السلام يا محمد ما كل اهل السماء
اعرف قال ابن كثير رحمه الله وهذا الاثر يرد قول من زعم ان حيزوم اسم فرس جبريل عليه السلام اي وفيه انه
لا يبعد ان يقول احد من الملائكة لفرس جبريل اقدم حيزوم ولا يعرف ذلك القائل وكان الحافظ ابن كثير رحمه الله فهم من قوله
صلى الله عليه وسلم من القائل الخ ان ذلك الفرس لذلك القائل نعم ان كان هذا الاثر وقع بعد الرواية التي فيها هذه
وهي سحابة الخ وان ذلك الاثر سقط منه لفظة لفرسه والاصل من القائل يوم بدر من الملائكة لفرسه اقدم ما فهمه ابن كثير

رحمه الله

رحمه الله فلينا مل قال وفي رواية جاءت سحابة فسمعنا اصوات الرجال والسلاح وسمعنا رجلا يقول لفرسه اقدم حيزوم تولوا
ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة اخرى نزل منها رجال كانوا على ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هم على الضعف من قريش فمات ابن عمي واما انا فتماسكت واخبرت النبي صلى الله عليه وسلم واسلمت ومن ثم ذكر في الصحابة
وفي النور هذا الرجل مذكور في الصحابة وليس في الحديث اي الرواية الاولى ما يدل على اسلامه الا ان تحديثه لابن
عباس رضي الله عنهما بهذه المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم يشعر باسلامه هذا كلامه فيه ان قوله ونحن مشركان يدل على
انه كان مسلما عند تحديثه لابن عباس رضي الله عنهما وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الغمام الذي ظلل بني اسرائيل
في التيه هو الذي ياتي الله فيه يوم القيمة وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر اي وعن علي كرم الله وجهه هبت ريح شديدة
ما رايت مثلها قط ثم جاءت اخرى كذلك وكانت الاولى جبريل نزل في الف من الملائكة اي فعلها امامه اخذا من قوله وكانت
الثانية ميكائيل نزل في الف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل في الف من الملائكة
عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك سكوت عن الرابعة اي وراءه في الامتاع وكان اسرافيل صلى الله عليه وسلم وسط
الصف لا يقاتل غيره من الملائكة وظاهر هذا ان كلا من جبريل وميكائيل قاتل وتقدم انهم في هذه الغزاة التي هي غزاة بدر قيل
لم يقاتل الا بالف من الملائكة ورواية العين ضعيفة جاءت عن علي كرم الله وجهه فتكون هذه الرواية التي جاءت عن علي كرم الله
وجهه ايضا كذلك ولا تعارض لما تقدم عن بعضهم ان امداده يوم بدر بثلاثة الاف ولا داتهم وعدوا ان يمدوا بخمسة الاف ان ثبتوا
وصبروا وهو ما عليه الاكثر لما علمت ان ذلك انما كان في احد وسياتي ذلك مع زيادة قال بعضهم ولم تقاتل الملائكة
الا في يوم احد ويوم حنين ففي مسلم عن سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه انه راى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد
رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما الصلوة والسلام يقاتلان كاشد القتال قال الامام النووي
رحمه الله فيه ان قتال الملائكة لم يختص بيوم بدر بعضها هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في الرد عليه اقول
يمكن الجمع بان المختص ببدر قتال الملائكة عنه وعن اصحابه وفي غيره كان عنه صلى الله عليه وسلم خاصة فلا منافاة ثم رايتني ذكرت هذا
الجمع في غزاة احد عن البيهقي ونعضده بما جاء ان الملائكة قاتلت في ذلك اليوم عن عبد الرحمن بن عوف وعلي فليتامل ويرد ذلك قتل
لهم لو قاتلوا يوم احد الجمر الى قتلهم كما ظهر يوم بدر فقد يقال المراد بالمقاتلة يوم احد المواقعة من غير ان يوقعوا فعلا
وفي يوم بدر المراد بالمقاتلة ايقاع الفعل والله اعلم وانكسر سيف عكاشة بتشديد الكاف اكثر من تخفيفها ابن محصن
وهو يقاتل به فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب اي اصلا من اصول الحطب وقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما
اخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد في يده سيفا الطويل القامة شديد المتن ابيض الحديد فقاتل به رضي الله
عنه حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة يشهد به المشاهد كلها مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل متوارثا عند العكاشة وعكاشة ماخوذ من عكش على القوم اذا حمل عليهم والعكاشة العنكبوت و
سياتي مثل ذلك فاعله لعبد الله بن جحش انكسر سيف سلمة بن اسلم رضي الله عنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا
كان في يده اي عرجونا من عراجين النخل وقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده قال وعن خبيب بن عبد الرحمن
قال ضرب خبيب جدي يوم بدر قال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولامه ورده فانطلق فما رايت منها شئ انتهى ثم
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين ان يطرحوا فطرحوا في القليب الا ما كان من امية ابن خلف فانه
انتفخ في درعه فملاها فلما ذهبوا يحركوه تزايل اي تقطعت اوصاله فتركوه والقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة وهذا دليل على ان الحربي
لا يجب في دفنه قال ائمتنا ولو اهدوا اغراء الكلاب على جيفته وفي سنن الدارقطني كان من سنته صلى الله عليه وسلم في مغازيه

اذا مر يجيئه انسان امر بلغنه لا يبال عنه مؤمنا كان او كافرا فرأى بعا الكثرة جيف الكفار كره صلى الله عليه وسلم ان يشق
على اصحابه ان يامرهم بدفنهم فكان فامر بهم الى القليب الخبيث وكان الحاق لهم القليب رجل من بني النار وكان فالا مقدما لهم
ذكره السهيلي ولما القي عتبة وحذيفة رضي الله عنهم في القليب تغير وجه ابي حذيفة فقطن بفتح الطاء له صلى الله عليه
وسلم فقال له لعلك دخلك من شان ابيك شيء فقال لا والله يكفي كنت اعرف من ابي رايا وحلما وفضلا فكنت ارجوا
ان يهديه الله للاسلام فلما رايت ما مات عليه احزنني ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا او
مذكور في هامشنا ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا حذيفة رضي الله عنه من قتل ابيه في هذه الغزاة وقد اراد ذلك
والله اعلم ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على شفير القليب اي بعد ثلاثة ايام من لقائهم في القليب وذلك
ليلا اي وفي الصحيحين عن انس رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلاث ليال
فلما كان اليوم الثالث امر صلى الله عليه وسلم براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه اصحابه حتى قام على شفة الركي
اي وهو القليب وجعل يقول يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني
الله حقا وجاء في بعض الطرق فناداهم باسمائهم فقال يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل
بن هشام وهذا يقتضي ان في تلك الرواية نطق بلفظ يا فلان بن فلان ولا يخفى بعده فليتامل اهـ وقوله يا امية بن خلف
لم يكن من اهل القليب لما علمت واجيب بانه كان قريبا من القليب بئس عشيرة النبي كنتم تكذبوني وصدقني الناس واخرجتموني
واواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها وفي رواية
اجسادا قد جيفوا وفي لفظ قد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم ما انتم باسمع وفي رواية لاسمع لما اقول منهم وفي
رواية لقد سمعوا ما قلت غير انهم لا يستطيعون ان يردوا شيئا وعن قتادة رضي الله عنه احياهم الله حتى سمعوا كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم وتصغيرا ونقمة وحسرة اقول والمراد باحياتهم شدة تعلق ارواحهم باجسادهم
حتى صاروا كالاحياء في الدنيا للغرض المذكور لان الروح بعد مفارقته الجسد يصير لها تعلق به وبما بقي منه ولو
عجب الذنب فانه لا يفنى وان اضمحل الجسم باكل التراب او باكل السباع او الطير او النار وبواسطة ذلك التعلق يعرف
الميت من يغسله ومن يزوره ويرد سلامه اذا سلم عليه كما ثبت في الاحاديث والغالب ان هذا التعلق لا يصير به الميت
حيا كحياته في الدنيا بل يصير كالمتوسط بين الحي والميت الذي لا تعلق لروحه بجسده وقد يقوى حتى يصير كالحي في الدنيا
ولعله مع ذلك لا يكون معه القدرة على الافعال الاختيارية فلا يخالف ما حكي عن السعد انهم اتفقوا على انه تعالى لم يخلق
في الميت القدرة والافعال الاختيارية هذا كلامه والكلام في غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام والشهداء رضي الله
تعالى عنهم اي شهداء المعركة اما هم فتعلق ارواحهم باجسادهم مصير به اجسادهم حية كحياتها في الدنيا فيكون لهم القدرة
والافعال الاختيارية فقد نقل البيهقي رحمه الله في الجزء الذي الفه في حياة الانبياء عليهم الصلوة والسلام في
قبورهم عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الانبياء احياء في قبورهم يصلون وجاء انه على بعض في كلهم
في الحياة وروى ابو يعلى عن ابي هريرة رضي الله عنه لينزلن عيسى بن مريم ثم ان قام على قبري لاجيبنه ومن ثم قال
الامام السبكي حياة الانبياء والشهداء كحياتهم في الدنيا ويشهد له صلوة موسى عليه الصلوة والسلام في قبره فان الصلوة
تستدعي جسدا حيا وكذا الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها الحياة حقيقة
ان تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب اما الادراكات كالعلم والسماع فلا
ان ذلك ثابت لهم ولساير الموتى هذا كلامه وسيأتي شامل للكفار اي واهل الشهداء فيهم في البرزخ لا من احتياج بل

لمجرد الاكرام وكون الشهداء اختصوا بذلك دون الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا مانع منه لان المفضول قد يخص بما لا يوجد
في الفاضل الا ترى ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام شرعت الصلوة عليهم وجوبا وحرمت على الشهداء وهذا يرد قول
بعضهم الاستدلال على حياة الانبياء عليهم الصلوة والسلام بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
عند ربهم يرزقون والانبياء اولى بذلك لانهم اجل واعظم وما من نبي الا وقد جمع بين النبوة ووصف الشهادة فيدخلون
في عموم لفظ الاية ولانه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته لم ازل اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان انقطاع
ابهري من ذلك السم فثبت كونه صلى الله عليه وسلم حيا في قبره بنص القران اما من عموم اللفظ او من مفهوم الموافقة
ووجه رده ان الاولوية قد تمنع بل اصل القياس لما علمت انه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل والانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم وان جمعوا بين النبوة والشهادة ان شهادة المعركة لم تحصل لاحد من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
ثم لا يخفى ان الذي يثبت حياة الانبياء وصلاتهم في قبورهم وحجهم واما صومهم واكلهم وشربهم في ذلك فلم اقف على ما
يدل على ذلك في شيء من الاحاديث والاثار وقياسهم في ذلك على الشهداء علمت انه قد يمنع لما انه قد يوجد في المفضول
ما لا يوجد في الفاضل والذي يدل على انهم يحجون ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سرنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال اي واد هذا فقالوا وادي الازرق فقال صلى الله عليه وسلم كاني انظر الى
موسى عليه الصلوة والسلام واضعا اصبعيه في اذنيه له جؤار الى الله تعالى بالتلبية مارا بهذا الوادي ثم سرنا
حتى اتينا على ثنية فقال صلى الله عليه وسلم كاني انظر الى يونس عليه الصلوة والسلام على ناقة حمراء عليه جبة صوف مارا في
هذا الوادي ملبيا وقد جاء في موسى عليه الصلوة والسلام انه كان على بعير وفي رواية على ثور ولا منافاة لجواز ان يكون
تكرر حجه او ركب البعير مرة والثور اخرى ولا يخفى ان رزق الشهداء يصدق بالجماع لانه مما يتلذذ به كالاكل والشرب ثم
رايت سيدي ابا المواهب الشاذلي رحمه الله ونفعنا ببركاته المسمى بعنوان اهل السر المصون في كشف عورات اهل المجون
واخبر سبحانه وتعالى عن الشهداء انهم احياء عند ربهم يرزقون وحمل اهل العلم على الحقيقة انهم ياكلون ويشربون وينكحون
حقيقة وقايل غير هذا ان الاكل والشرب والنكاح عبارة عن لذة تحصل لهم كاللذة الناشية عن الاكل والشرب والنكاح
صرف الاية عن ظاهرها من غير ضرورة تلجئ الى ذلك ثم قاس الانبياء عليهم الصلوة والسلام على الشهداء في ذلك لما تقدم
من انهم اجل واعظم وما من نبي الا وقد جمع بين النبوة والشهادة وقد علمت جواب منع القياس ثم رايت عن افتاء شيخنا الشمس
الرملي الانبياء والشهداء ياكلون في قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون فقيل
نعم وقيل لا وانهم يثابون على صلواتهم وصومهم وحجهم ولا تكليف عليهم في ذلك لانقطاع التكليف بالموت بل عن قبيل التكثير
ورفع الدرجات هذا كلامه ولعل مستنده في اثبات ما عدا الصلوة والحج للانبياء قياسهم على الشهداء وقد علمت ما فيه
واثبات الخلاف الذي ذكره شيخنا في نكاح الانبياء لا ادري هل هو خلاف اهل عصره او من تقدمهم على ان اثبات النكاح
للانبياء ربما يبعده ما ذكروه في حكمة قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء والطيب حيث لم يقل من دنياي
ولا من الدنيا فانه اشار بهذه الاضافة الى ان النساء والطيب من دنيا الناس لانهم يقصدونهما للاستلذاذ وحظوظ النفس
وهو عليه الصلوة والسلام منزه عن ذلك وانما حبب اليه النساء لينقلن عن محاسنه ومعجزاته الباطنة والاحكام الشرعية
التي لا يطلع عليها غالبا وغير ذلك من الفوائد الدينية وحبب اليه الطيب لملاقات الملائكة لانهم يحبونه ويكرهون
الريح الخبيث لان حقيقة الاكرام ان يحصل له في البرزخ ما كان يتلذذ به في الدنيا ليكون حاله فيه كحاله في
الدنيا وفيه ان الحكمة المذكورة باديه وحد منها كثرة الجماع ومن كيفيتهم في هذا التعليق متفاوتون بحسب مقاماتهم

وانه يعبر عن هذا التعلق بعود الحياة ومنه ما ذكر عن قتادة من عود الروح ومنه قول بعضهم ارواح الانبياء والشهداء بعد
خروجها من اجسادهم تعود الى تلك الاجساد في القبور وياذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي ومن ثم
قال ابن العربي رحمه الله تعالى رؤية المصطفى عليه الصلوة والسلام بصفته العلوية ادراك له على الحقيقة ورؤيته على غير صفته
العلوية ادراك للمثال ويعبر عنه برد هذا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما من احد يسلم علي الا رد الله تعالى علي روحي حتى
ارد عليه السلام اي الا قوى تعلق روحي وذلك اكراما لهذا المسلم حيث لا يرد عليه سلامه الا وقد قوي تعلق روحه
الشريفة بجسده الشريف والروح بناء على انها غير عرض مع كونها في مقامها لها تعلق بجسدها وبما بقي منه كما تقدم
كالشمس في السماء الرابعة ولها تعلق بالارض وربما عبر عن ضعف هذا التعلق بصعودها فطلوعها وبناء على انها عرض
نزولها وعودها مثلها وقد اوضحت ذلك في النفحة العلوية في الاجوبة الحلبية عن الاسئلة العرورية وهي اسئلة سئلت
عنها من بعض القرى المصرية وذكرت ان هذا اولى مما اطال به الجلال السيوطي من الاجوبة مع ما فيها مما لا يخفى وفي رواية في
حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله ملكا اعطاه سمع العباد
كلهم وانه ليس من احد يصلي علي صلوة الا بلغنيها واني سالت ربي عز وجل ان لا يصلي علي احد صلوة الا صلى الله عليه
بها عشرة امثالها وذكر الذهبي انه راى هذا الحديث تفرد به متنا واسنادا والله اعلم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها
انها انكرت قوله صلى الله عليه وسلم لقد سمعوا ما قلت فقالت انما قال لقد علموا ان الذي كنت اقول لهم حق انما قالت انما اراد
النبي صلى الله عليه وسلم اي بقوله في حق اهل القليب ما انتم باسمع منهم انهم الان ليعلمون ان الذي اقول لهم هو الحق
اي لانهم يسمعون ما اقول بحاسة سمعهم التي كانت موجودة في الدنيا ثم قرات اي محتجة على ذلك بقوله تعالى انك
لا تسمع الموتى الاية وبقوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور واجاب بانه لا مانع من القا السماع هنا على حقيقته لانه
اذا قوي تعلق ارواح هولاء الكفار باجسادهم بحيث صاروا احياء كحياتهم في الدنيا للغرض المذكور لا مانع من سماعهم
بحاسة سمعهم لبقاء محل تلك الحاسة منهم كما ان الميت بذلك التعلق يقوى السماع على الجلوس للسوال في القبر والسماع
المنفي في الايتين بمعنى السماع النافع وقد اشار الى ذلك الجلال السيوطي بقوله نظما سماع موتى كلام الخلق قد جاءت
به عندنا الاثار في الكتب وآية النفي معناها سماع هدى لا يقبلون ولا يصغون للادب لانه تعالى شبه
الكفار الاحياء بالاموات في القبور فانهم لا ينتفعون بالدعاء الى الاسلام النافع ثم بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيرا لاهل العالية اي هو محل قريب من المدينة على عدة اميال وزيد بن حارثة لاهل
السافلة راكبا ناقته العضبوى وقيل القصوى بما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فجعل عبد الله بن
رواحة ينادي من اهل العالية يا معشر الانصار ابشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين
واسرهم ونادى زيد بن حارثة في اهل السافلة بمثل ذلك اي ويقول ان قتل فلان وفلان اي واسر فلان وفلان
من اشراف قريش وصار عدو الله كعب بن الاشرف يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هولاء القوم فبطن الارض خير من ظهرها
قال اسامة بن زيد فاتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي على قبرها وفيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وفي رواية من المكرمات دفن البنات
ويعجبني قول الباخرزي البراخي ستر للبنات ودفنها يعد من المكرمات اما رايت الله عز اسمه قد وضع
النعش بجنب البنات وجاء عثمان من رقية هذه رضي الله تعالى عنها بولد يقال له عبد الله فكان يكنى به وكان قبل
ذلك يكنى ابا عمرو وتزوج بعدها اختها ام كلثوم بوحي عقده وليه صلى الله عليه وسلم واتى عثمان بن عفان مهموما

بعد موت رقية رضي الله تعالى عنها فقالت له ما لي اراك مهموما لهفانا فقال يا رسول الله وهو دخل على احد ما دخل على
احد ما دخل علي انقطع الصهر بيني وبينك فبينما هو يحاوره اذ قال له صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يامرني عن الله عز وجل
ان ازوجك اختها ام كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها فزوجه اياها ولما تزوجها دخل عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا بنية اين ابو عمرو قالت خرج لبعض حاجته قال كيف رايت بعلك قالت يا ابت خير بعل وافضله وجاء عثمان من اشبه
اصحابي بي خلقا فقال يا بنية كيف لا يكون كذلك وهو اشبه الناس بجدك ابرهيم وابيك محمد وجاء عثمان من اشبه اصحابي بي خلقا
وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل عليه السلام ان اردت ان تنظر
من اهل الارض الى شبه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان ولتزوجه بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ذو النورين
ولم يجمع احد من لدن ادم الى يوم القيمة بين بنتي نبي غيره ومن ثم لما سئل علي كرم الله وجهه عنه قال ذاك امرؤ يدعى في الملا
الاعلى ذا النورين ولما ماتت ام كلثوم تحته رضي الله عنهما وذلك سنة تسع قال صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان
لي ثالثة لزوجته اياها وما زوجته الا بوحي من الله تعالى وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال له لو ان لي اربعين بنتا زوجتك
واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وام عثمان بنت عمة صلى الله عليه وسلم اروى بنت عبد المطلب توامة عبد الله
ابي النبي صلى الله عليه وسلم قال وقال رجل من المنافقين لابي لبابة هل تعرف اصحابكم معرفة لا يجتمعون بعده ابدا قد
قتل محمد وغالب اصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب قال اسامة رضي الله تعالى عنه
فجئت حتى خلوت بابي لبابة وسالته عما اسر له الرجل فاخبرني بما اخبره به فقلت احق ما تقولها بني فعوذت نفسي ورجعت
الى ذلك المنافق فقلت انت المرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قدم فيضرب عنقك فقال انما هو شيء سمعت من الناس يقولونه انتهى اي وهذا كان قبل ان يجتمع اسامة بابيه زيد
ابن حارثة ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل اي الغنيمة و
كانت مائة وخمسين من الابل وعشرة افراس وسلاحا ومتاعا وانطاعا وثيابا وادما كثيرا حمله المشركون للتجارة ونادى
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ومن اسر اسيرا فهو له اي كما تقدم ولعله تكرر ذلك
منه مرتين مرة للتحريض على القتال ومرة عند الغنيمة فالمقسوم ما بقي بعد اخراج السلب واخراج الاسرى وقسم
على المسلمين بالسوية على الاختلاف فيه فادعى من قاتل العدو وصده انهم احق به وادعى من جمعه انهم احق به وادعى من
كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ان غيرهم ليس باحق به منهم اي لانه سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه قائم
على باب العريش الذي به صلى الله عليه وسلم وابو بكر في نفر من الانصار وفي رواية عن عبادة بن الصامت رضي الله
عنه ان جماعة خرجت في اثر العدو عند انهزامه وجماعة اكبوا على جمع الغنيمة يجمعونها وجماعة عند انهزام العدو احدقوا به صلى الله
عليه وسلم في العريش خوفا ان يصيبه العدو منه غرة ولعل هولاء كانوا زيادة عمن كان مع سعد بن معاذ على باب العريش فادعى
من اكب على جمعها انهم احق بها وادعى من عداهم ان اولئك ليس باحق بها منهم ويكون جماعة احدقوا به صلى الله عليه وسلم بعد انهزام
العدو وقد يقال لا ينافي ذلك ما تقدم عن ابن سعد انه لما انهزم المشركون تبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثرهم
بالسيف مصلتا يتلو هذه الاية سيهزم الجمع ويولون الدبر لجواز ان يكون خرج في اثرهم برهة من الزمان ثم عاد الى
العريش فاحدق به هولاء مع من تقدم فانزل الله تعالى سورة الانفال يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
فالنفل قد تطلق على الغنيمة كما هنا كما اشرنا اليه وسماها الله تعالى انفالا لانها زيادة في اموال المسلمين وكذا الفيء المذكور
في سورة الحشر التي نزلت في غزوة بني النضير يطلق على الغنيمة وسمي فيئا لان الله تعالى افاءه على المومنين اي رده عليهم

من الكفار فان الاصل ان الله تعالى انما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه تعالى انما خلق الخلق لعبادته فعلى هذا ليهم
ما يتمولونه كما يعاد وبرد على الرجل ما غصب من ميراثه وانه لم يقبضه قبل ذلك ومنه قول بعضهم كان من اهل الفيء
من لعن اهل الصدقة واهل الصدقة بمعزل عن الفيء كان يعطى من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف فاذا
احتلم اليتيم نقل الى الفيء اي الى الغنيمة واخرج من الصدقة فنزعه الله تعالى من ايديهم فجعله الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقسمه حيث شاء فدلت الاية على ان الغنيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد من المقاتلة
شيء منها ثم نسخت هذه الاية بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل والاربعة اخماس الباقية للمقاتلة اى فكان ذلك الخمس يخمس خمسة اخماس واحد له صلى الله
عليه وسلم يفعل فيه ما احب والاربعة من ذلك الخمس لمن ذكره في الاية والاربعة اخماس الباقية تكون للمقاتلة
وسياتي في سرية عبد الله بن جحش نخلة انه صلى الله عليه وسلم خمس العير الذي جاء به عبد الله كذلك فجعل خمس
ذلك لله واربعة اخماسه للجيش وقيل عبد الله هو الذي خمسها قبل ذلك واقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وهو
اول غنيمة في الاسلام واول غنيمة خمست فكان تخميسها قبل نزول الاية لما علمت ان نزول تلك الاية كان بعد
بدر فهي من الايات التي تاخرت تلاوتها عن حكمها على بعضهم وكان ابتداء تحليل الغنائم لهذه الامة في وقعة بدر
كما ثبت في الصحيحين عن ذلك في قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الغنيمة لهم اول ... فيه بلغ ان هذا يبين القول
بانه صلى الله عليه وسلم وقع غنائم بجملة حتى رجع من بدر ويعنون ما سبق من انه صلى الله عليه وسلم خمسها او ان عبد الله
هو الذي خمسها قبل بدر واقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وقد علمت انه ما اصاب من بدر قسم بين المسلمين سواء اي لم يميز
فيه احد عن احد الراجل مع الراجل والفارس سواء فيه تفضيل الفارس على الراجل في ذلك اليوم وسياتي التصريح
في ذلك وهذا يؤيد القول بان الجيش كان فيه خمسة افراس وفرسين ويرد القول بانه لم يكن فيه الا فرس
واحد على ما تقدم حتى هو صلى الله عليه وسلم كان سهمه كسهم واحد منهم اي كفارس منهم بناء على ما تقدم انه كان له فرس
الا ما اصطفاه وهو سيفه ذو الفقار كما سياتي وحينئذ يكون قول سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه يا رسول الله انعطي فارس
القوم الذي يحميهم مثل ما نعطي الضعيف وفي مسند الامام احمد قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قلت يا رسول الله
الرجل يكون حامية القوم يكون سهمه وسهم غيره سواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثكلتك امك وهل ترزقون الا
بضعفائكم وما في مسند الامام احمد يدل على ان مراد سعد بالفارس القوي لمقابلته في هذه الرواية بالضعيف فلا ينافي
انه اعطى الفارس لفرسه سهمين وله سهم كالراجل وقد اسهم لمن تخلف عن امره صلى الله عليه وسلم بالتخلف لعذر منه من الحضور
لعثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه فانه صلى الله عليه وسلم خلفه لاجل مرض زوجته رقية بنت النبي صلى الله
عليه وسلم خلفه على اهل المدينة وعاصم بن عدي فانه خلفه على اهل قباء والعالية ولمن ارسله لكشف امر العدو وتجسس
خبره فلم يحضر الا وقد انقضى القتال وهما طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد كما تقدم والحارث بن حاطب امره فيما يرجع على
بني عمرو بن عوف وخوات بن جبير والحارث بن الصمة لان كلا منهما كسر بالروحاء كما تقدم وبما يظهر التوقف في قول الجلال
السيوطي في الخصائص الصغرى وضرب لعثمان يوم بدر بسهم ولم يضرب لاحد غاب غيره رواه ابو داود عن ابن عمر قال
الخطابي هذا خاص بعثمان لانه كان تخلف لمرض ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كلامه واسهم لاربعة عشر رجلا
قتلوا ببدر ولعلهم ما قتلوا بعد انقضاء الحرب فلا يشكل على ما قاله فقهاؤنا ان مات قبل انقضاء الحرب لا حق له وتنفل
صلى الله عليه وسلم زيادة على سهمه سيفه ذو الفقار اى فكان لمنبه بن الحجاج او قيل لابيه العاص قتل ايضا يوم بدر

وقيل كان لعمه شيبة وفي كلام ابي العباس بن تيمية انه كان لابي جهل اى ويمكن ان يكون ذكر السيف كان في الاصل لابي جهل ثم اعطاه
لمنبه بن الحجاج او لغيره ممن ذكر او يقال او بالعكس لان سيف ابي جهل اخذه ابن مسعود كما تقدم فلا تخالف ونفل ايضا صلى الله عليه
وسلم جمل ابي جهل وكان مهريا ولم يزل يغزو عليه حتى ساقه في هدي الحديبية كما سياتي وهذا الذي كان ياخذه زيادة على سهمه
اى وقيل قسمة الغنيمة اذا كان صلى الله عليه وسلم مع الجيش يقال له الصفي والصفية عبدا او امة او دابة او سيفا او
درعا لكن في الامتاع عن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفي من المغنم حضر او غاب قال
بعضهم وهو محسوب من سهمه صلى الله عليه وسلم وقيل يكون زائدا عليه الا ان يقال ذاك الذي وقع فيه الخلاف كان بعد
نزول الاية بالتخميس كان قبل ذلك فلا يخالف ما سبق ان ما اخذه قبل الغنيمة كان زائدا على سهمه المساوي لسهام القوم اي
وكان في الجاهلية يقال للذي ياخذه الرئيس اذا غزى بالجيش المرباع وهو ربع الغنيمة ولم يسم مرباعا فقال الا في الربع
دون غيره من الخمس وما بعده والصفايا اشياء كان يصطفيها الرئيس لنفسه من خيار ما يغنم والنشيطة ما اصاب الجيش في طريقه
قبل ان يصل الى مقصده وكان للرئيس النقيعة ايضا وهو بعير يجزره قبل القسمة فيطعم الناس كذا في شرح الحماسة للتبريزي قال وقد
سقط في الاسلام النقيعة والنشيطة وامر عليا بقتل النضر بن الحارث بالصفراء اي وفي الامتاع انه صلى الله عليه وسلم نظر الى النضر
وهو اسير اي قال النضر للمصعب بن عمير يا ابن عمير والله ما تلى انه نظر الى بعينين فيهما الموت فقال له والله ما هذا منك الا رعب وقال النضر
لمصعب بن عمير يا مصعب انت اقرب من هنا الى رحما فكلم صاحبك ان يجعلني كرجل من اصحابي يعني المأسورين هو والله قاتلي
فقال مصعب انك كنت تقول في كتاب الله كذا وكذا وتقول في نبيه كذا وكذا وكنت تعذب اصحابه وفي اسباب النزول
للسيوطي واقره وكان المقداد اسر النضر فلما امر بقتله قال المقداد يا رسول الله اسيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول في كتاب الله تعالى ما يقول وقد رثته اخته وقيل بنته رضي الله تعالى عنها فانها اسلمت بعد ذلك يوم الفتح فقالت
من ابيات اامحمد يا خير ضنء كريمة والتي راية في الحماسة امحمد ولانت ضنء نجيبة في قومها والفحل فحل معرق اي له عرق في الكرم
والضنء الولد ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق وحين سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى حتى اخضل اي بل
لحيته وقال لو بلغني هذا الشعر وليس معناه الندم لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل الا حقا اى وكان للنضر هذا اخ يقال له النضير بالتصغير
وكان من المهاجرين وقيل كان من مسلمة الفتح ومما يدل انه صلى الله عليه وسلم امر له بمائة بعير من غنائم حنين فجاءه شخص يبشره
بذلك فقال لا اخذها فاني احسب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعطني ذلك الا تالفا على الاسلام وما اريد ان ارتشى
على الاسلام فقيل له انها عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها واعطى المبشر منها عشرة ابعرة ثم قتل عقبة بن ابي معيط
بعرق الظبية بضم الظاء المعجمة وهي شجرة يستظل بها فقال يا محمد من للصبية قال النار وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عقبة لما قدم للقتل
نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي وفي لفظ بزاقك في وجهي اي فانه عقبة كما تقدم كان يكثر مجالسته صلى الله عليه وسلم واتخذ ضيافة فدعا اليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة
فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له الشهادة وليست في نفسي فقال وجهي من
وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل به ذلك فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا القاك خارج مكة الا علوت راسك بالسيف كذا في الكشاف وفي لفظ اخر بكفرك وفجورك وعتوك
على الله وعلى رسوله وانزل الله تعالى فيه ويوم يعض الظالم على يديه الاية وذكر ابن قتيبة انه صلى الله عليه وسلم
لما امر بقتل عقبة اى وقد قال يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا اى وانا واحد منكم قال له يا محمد ناشدتك الله

والرجم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل انت الا يهودي من اهل صفورية اي فليس هو من قريش اي لا رحم بيني
وبينك اي لان امية جد ابيه خرج الى الشام لما نافر هاشم كما تقدم فاقام بصفورية ووقع على امة يهودية ولها زوج يهودي
من اهل صفورية فولدت له ابا عمرو الذي هو والد ابي معيط على فراش اليهودي فاستلحقه بحكم الجاهلية ثم قدم به مكة وكناه
بابي عمرو وسماه ذكوان مع ان الوليد للفراش وقيل كان عبدا لامية فتبناه فلما مات امية خلفه على زوجته ويدل لهذا
الثاني ما ذكره المورخون ان معاوية لما سال رجلا من علماء النسب وقد عليه كم عمرك قال اربعون وماية سنة قال كيف
رايت الزمان قال سنيات بلاء وسنيات رخاء يهلك والد ويخلق مولود فلولا الهالك لامتلات الدنيا ولولا المولود
لم يبق احد فقال له فهل رايت عبد المطلب قال نعم ادركته شيخا وسيما يمشي حوله عشرة من بنيه كانهم النجوم
فقال له فهل رايت امية ابن عبد شمس يعني جده قال نعم رايته اخفش ازرق ذميما يقوده عبده ذكوان فقال ويحك
كف فهذا ابوه ما ذكرت ذاك ابنه فقال انتم تقولون ذلك والقاتل لعقبة عاصم بن ثابت وقيل علي رضي الله عنه وقيل
صلب على الشجرة اول قال محمد بن حبيب الهاشمي هو اول مصلوب في الاسلام ورده ابن الجوزي بان اول من صلب في
الاسلام خبيب بن عدي وقد يقال لا تخالف لان المراد بالثاني اول مصلوب من المسلمين وبالاول اول مصلوب من الكفار
وذكروا ان اول من استعمل الصلب فرعون ولعل المراد به فرعون موسى ابن عمران لا فرعون ابراهيم الخليل وهو اول الفراعنة
ولا فرعون يوسف بن ابرهيم بن يوسف بن يعقوب وهو ثاني الفراعنة وفي قول ان فرعون يوسف هذا هو فرعون موسى
بمعنى انه بقي الى زمن موسى عليه الصلوة والسلام وكان هلاكه على يده وفي كلام ابن قتيبة عن سعيد بن جبير ان طعيمة بن
عدي او عقبة بن ابي معيط او النضر بن الحارث اي لانه ممن قتل صبرا او من نظر فقد تقدم ان القاتل لحمزة في الحرب وحشي
فاجاب ان قتل حمزة كان سببه قتل طعيمة المذكور ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل قتل الاسارى
بيوم اي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لما قدمنا الى المدينة وكنت جائعا استقبلتني امرة
يهودية على راسها جفنة فيها جدي مشوي فقالت الحمد لله يا محمد الذي سلمك الله كنت نذرت لله ان قدمت
المدينة سالما لاذبحن هذا الجدي ولاشوينه ولاحملنه اليك فتاكل منه فانطق الله الجدي فقال يا محمد لا تاكلني فاني مسموم
اي بخلاف ما وقع له في خيبر فانه لم يخبره الذراع بذلك الا بعد اكله منه كما سياتي فانه صلى الله عليه وسلم سال المراة عن سبب
ذلك ودعا الوليها ولما قدم المدينة اي قاربها خرج المسلمون للقائه صلى الله عليه وسلم ويهنئونه بما فتح الله عليه فقال لهم
معه بالروحا اي فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش ما الذي تهنئونا به فوالله ان لقينا الا عجايز صلعا كالبدن
المعقولة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اولئك الملا من قريش الاشراف والرؤسا وتلقته الولائد
عند دخوله المدينة بالدفوف والولايد جمع وليدة وهي الصبية والامة وتلك الولايد يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعى لله داع وتلقاه اسيد بن الحضير فقال له الحمد لله الذي ظفرك واقر عينك ولما اقبلوا من
بدر تفقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي فقالوا يا رسول الله فقد ناك فقال ان ابا الحسن وجد مغصا
في بطنه فتخلفت عليه ثم لما قدمت الاسارى فرقهم بين الصحابة وقال استوصوا بهم خيرا كان اول من قدم مكة
بمصاب قريش ابن عبد عمرو رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك فقال قتل عتبة وشيبة وابو الحكم وامية وفلان
وفلان من اشراف قريش اي واسر فلان وفلان فقال صفوان بن امية وكان يقال له سيد البطحا وكان من افصح
قريش لسانا وكان جالسا في الحجر والله ان يعقل اي ما يعقل هذا فسلوه عني فسالوه اي قالوا له ما فعل صفوان فقال هو
ذاك جالس في الحجر وقد رايت اباه واخاه حين قتلا وعن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال ابو رافع

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب اي ثم وهبه العباس له صلى الله عليه وسلم وسياتي الكلام
عليه في السرايا وكان العباس اسلم واسلمت ام الفضل اي ام الفضل رضي الله تعالى عنها بل انها اول امراة اسلمت بعد خديجة رضي الله
تعالى عنها كما تقدم وهي ام اولاده وهم عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد وام حبيب قيل راها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تدب بين يديه فقال ان بلغت وانا حي تزوجتها فقبض صلى الله عليه وسلم قبل ان تبلغ
قال ابن الجوزي وليس في الصحابيات من كنيتها ام الفضل الا زوج العباس قال ابو رافع واسلمت انا وكنا نكتم الاسلام
اي لان العباس كان يكره خلاف قومه لانه كان ذا مال كثير واكثره متفرق فيهم اي وسياتي الجواب عن كونه اسر واخذ
منه مع كونه مسلما وسياتي انه لم يظهر اسلامه الا يوم الفتح فلما جاء الخبر عن مصاب قريش ببدر سرنا ذلك اذا قيل علينا ابو لهب
يجر رجليه بشر حتى جلس عندنا ببيتنا مع عياله اذ قدم ابو سفيان بن الحارث وكان مع قريش ببدر فقال له ابو لهب هلم الي
عندك الخبر فقال والله ما هو ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا وياسروننا كيف شاؤا وايم الله ما لمت
الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله ما يقوم لها شيء وقال ابو رافع رضي الله عنه فقلت والله
تلك الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة وثاورته اي واثبته ثم كل الاخر فاحتملني وضرب بي الارض
ثم برك علي يضربني فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلعت اي اثرت في راسه شجة منكرة وقالت استضعفته ان غاب
سيده يعني العباس فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال اي وهي قرحة تشبه العدسة من جنس الطاعون فقتلته فلو
يحفروا له حفرة ولكن اسندوه الى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه اي لان العدسة قرحة كانت العرب
تتشاءم بها ويرون انها اشد العدوى فلما اصابت ابا لهب تباعدت عنه بنوه وبقي بعد موته ثلاثا لا يقرب جنازته ولا يحاول دفنه
حتى انتن فلما خافوا السبة اي سب الناس لهم في تركه فعلوا به ما ذكر وفي رواية حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة
من بعيد حتى واروه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها اقول قال في النور
هذا القبر الذي يرجم خارج باب شبيكة الان ليس بقبر ابي لهب وانما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة وذلك في دولة
بني العباس فان الناس اصبحوا ووجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا الفاعل فامسكوهما بعد ايام فصلبا في ذلك الموضع فصارا
يرجمان الى الان والله اعلم ولما ظهر الخبر ناحت قريش على قتلاهم الى شهر اي وجز النساء شعورهن وكن ياتين بفرس
الرجل او راحلته وتستر بالستور وينحن حولها ويخرجن الى الازقة ثم اشير عليهم ان لا تفعلوا فيبلغ محمدا واصحابه فيشمتوا
بكم ولا تبكوا قتلاكم حتى تاخذوا بثارهم وتواصوا على ذلك وكان الاسود بن زمعة بن المطلب اصيب له في يوم بدر ثلاثة
ولداه وولد ولده وكان يحب ان يبكي عليهم وكان قد ذهب بصره اي بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم عليه بذلك اي لانه
كما تقدم كان من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا راوهم يقول قد جاءكم ملوك الارض ومن يغلب على
ملك كسرى وقيصر ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يشق عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعمى وتقدم ذلك سببها وفي كلام بعضهم كان صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود هذا بان يعمي الله تعالى بصره
ويثكل ولده فاستجاب الله تعالى سبق العمى الى بصره ولائه اصيب يوم بدر بمن تقدم من ولده اي وهو زمعة وهو احد
الثلاثة التي كان يقال لهم زاد الراكب كما تقدم واخوه عقيل والحارث فانهما قتلا كافرين ببدر فتمت اجابة الله
تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فانه قد سمع صوتا باكيا بالليل فقال لغلامه انظر هل احل النحب اي البكا هل بكت
قريش على قتلاهم لعلي ابكي فان جوفي قد احترق فلما رجع الغلام قال انما هي امراة تبكي على بعير لها اضلته فذلك
من ابيات اتبكي ان يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تقاصرت الجدود والسهود

بضم السين المهملة مقدم القوم والبكر الفتى من الابل والجدود بضم الجيم جمع جد بفتحها وهو الحظ والعدو هذين البيتين بيت آخر وهو
الا قد ساد بعدهم رجال ولولا يوم بدر لم يسودوا معرضا بابي سفيان فانه ساد قريشا لما قتلوا جاء في بعض الروايات اختلاف الصحابة
رضي الله تعالى عنهم فيما يفعل بالاسرى لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون في هؤلاء الاسرى ان الله قد مكنكم
منهم اي وقد يخالف هذا ما سبق من قوله ان من اسر اسيرا فهو له وقد يقال لا يخالف لان معنى كونه له انه مخير فيه بين قتله واخذ فدائه و
لعله لا يخالف ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما اراد قتل النضر قال المقداد وكان اسره يا رسول الله اسيري فقال انه كان يقول
في كتاب الله ما يقول وفي رواية استشار صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا رضي الله عنهم اي وفي رواية ابي بكر وعمر وعبد الله
بن جحش فيما هو الاصلح من الامرين القتل واخذ الفداء فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله اهلك وقومك وفي رواية هؤلاء
بنو العم والعشيرة والاخوان قد اعطاك الله الظفر ونصرك عليهم اي ان تستبقيهم وتاخذ الفداء منهم فيكون ما اخذنا منهم قوة
لنا على الكفار وعسى الله ان يهديهم بك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا ابن الخطاب قال
يا رسول الله قد كذبوك واخرجوك وقاتلوك ما ارى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب وفي لفظ نسيب لعمر فاضرب عنقه
وتمكن عليا من اخيه عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه اي العباس فيضرب عنقه حتى يعلم انه ليس في قلوبنا مودة للمشركين
ما ارى ان تكون لك اسرى فاضرب اعناق هؤلاء صناديدهم وائمتهم وقادتهم اي وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحطب فاضرمه
عليهم نارا فقال العباس وهو يسمع ثكلتك رحمك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت ولم يرد عليهم فقال بعض
الناس ياخذ بقول ابي بكر وقال بعض الناس ياخذ بقول ابن رواحة ولم يقل قيل ياخذ بقول عمر ثم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب اقوام فيه حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشد قلوب اقوام فيه حتى تكون اشد من الحجارة مثلك
يا ابا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة لعل لا ينزل الا بالرحمة فلا ينافي ان جبريل ينزل بالرحمة في بعض الاحايين كما تقدم
في بيادر ثم جاء في الحديث ارأف امتي بامتي ابو بكر ومثلك في الانبياء مثل ابرهيم حيث يقول فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك
غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل يا ابا بكر مثل عيسى بن مريم اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
قيل ان قوله انك انت العزيز الحكيم من مشكلات الفواصل ان كان مقتضى الظاهر فانك الغفور الرحيم ورد بان العزيز لا يغلب
ولا يعجز لمن استحق العذاب لا من ليس فوقه احد يرد عليه حكمه والحكيم هو الذي يضع الشيء في محله ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل
ينزل بالشدة والباس والنقمة على اعداء الله تعالى اي في غالب احوال ذلك فلا ينافي انه ينزل بالرحمة في بعض الاوقات كما تقدم ومثلك
في الانبياء مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك في الانبياء مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على
اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى
الله عليه وسلم ان من اصحابه من يشبه جبريل عليه السلام وبابرهيم وبنوح وبموسى وبعيسى وبيوسف وبلقمان الحكيم وبصاحب
يس صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين هذا كلامه وقد علمت ان ابا بكر يشبه بميكائيل ولم يذكر ميكائيل فلينظر من شبه باصحابه انه عثمان
ابن عفان ولينظر من شبه باصحابه بلقمان وبصاحب يس ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر لو توافقتما ما خالفتكما فلا يفلتن
منهم احد الا بفداء او ضرب عنق وقد وقع له صلى الله عليه وسلم انه قال مثل ذلك لهما وكذا اختلفوا في تولية شخصين اراد صلى الله
عليه وسلم تولية احدهما على بني تميم فقال ابو بكر يا رسول الله استعمل فلانا وقال عمر يا رسول الله استعمل فلانا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما انكما لو اجتمعتما ما اخترت برايكما ولكنكما اختلفتما علي احيانا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الاية واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم مثلك يا ابا بكر الى اخره على جواز ضرب المثل من
القران وهو جائز في غير المزح ولغو الحديث والكلام وقد يشير الاختلاف في اسارى بدر لابي بكر وعمر لا يخالف ما سبق من تشبيه

للصحابة

للصحابة رضي الله تعالى عنهم لانه يجوز ان يكون ذلك من المرادين بالصحابة وعدم ذكر علي رضي الله تعالى عنه مع ادخاله في الاستشارة
في كلام الامام احمد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد مكنكم منهم فقام
عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم قال فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال ايها الناس ان الله قد امكنكم
منهم وانما هم اخوانكم بالامس فقال عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد
فقال للناس مثل ذلك فقام ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله نرى ان تعفو عنهم وان تقبل منهم
الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفى عنهم وقبل الفداء فلما كان الغد غدا عمر رضي الله عنه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله ما يبكيك وفي لفظ ما ذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت
بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه ان كان ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم لو نزل عذاب ما افلت
منه الا ابن الخطاب وفي مسلم والترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله
عنه ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء اي للعذاب الذي كاد يقع على اصحابك لاجل اخذهم الفداء اي ارادة اخذه فقد
عرض علي عذابهم ادنى اي اقرب من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى
حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
الايات اي وقال بعضهم في هذه الايات دليل على انه لا يجوز الاجتهاد للانبياء عليهم الصلوة والسلام لان العتاب الذي في
الايات لا يكون فيما صدر عن وحي ولا يكون فيما كان صوابا واذا اخطاوا لا يتركون عليه بل ينبهون على الصواب واجاب ابن السبكي
بان ذلك من خصائصه اي ما كان لهذا النبي غيرك ولا يخفى عليك ما فيه وفي كلام بعضهم ما يقتضي ان الانبياء عليهم الصلوة و
السلام غير نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز ان يقروا على الخطا لان من بعدهم من يبين خطاءه بخلاف نبينا صلى الله
عليه وسلم لا نبي بعده يبين خطاءه فلا يقر على الخطا وفيه ان بعد نبينا عيسى صلى الله عليه وسلم وانه يوحى اليه ونظر
بعضهم في توقع وقوع الخطا من الانبياء واستمرارهم عليه بانه غير لائق بمنصب النبوة لان وجود من يستدرك الخطا لا يدفع
منقصته وفيه جواز وقوع الخطا والعمل به قبل مجيء الاستدراك وتقدم جواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم مطلقا
لا في خصوص الحرب واستشارة عمر رضي الله تعالى عنه وربما يفيد ان جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم وافقوا ابا بكر على اخذ الفداء غير
عمر مع انه تقدم قريبا ان سعد بن معاذ كره ذلك قبل عمر فقد تقدم ان المسلمين لما وضعوا ايديهم ياسرون راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ فوجد في وجهه الكراهة لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانك
يا سعد تكره ما يصنع القوم فقال اجل والله يا رسول الله كانت اول وقعة اوقعها الله تعالى باهل الشرك فكان الاثخان
في القتل احب الي من استبقاء الرجال ومن ثم قال لو نزل عذاب لم ينفلت منه الا ابن الخطاب وسعد بن معاذ كما ياتي وفيه ان ابن رواحة
كره بل اشار باحراقهم بالنار وفي الاصل ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فقال ان شئتم اخذتم منهم الفداء
او يستشهد منكم سبعون ذلك فنادى النبي صلى الله عليه وسلم في الصحابة فجاءوا ومن جاء منهم اعدهم المعظم فقال ان هذا جبريل عليه
السلام يخيركم بين ان تقدموهم فتقتلوهم وبين ان تفادوهم ويستشهد قابل منكم بعدتهم فقالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل
قابل منا الجنة سبعون وفي لفظ ويستشهد منا عدتهم فليس في ذلك ما نكره وهو كما ترى يدل على ان الصحابة او غالبهم وافقوا
ابا بكر على اخذ الفداء ولعل هذا الاخبار بالتخيير كان بعد تلك الاستشارة الثانية وقول صاحب الهدى بكاؤه صلى الله عليه
وسلم وبكاء الصديق رحمة خشية ان العذاب نعم ولا يصيب من اراد ذلك خاصة يفيد بان الذي اشار باخذ الفداء طائفة
من الصحابة لا كلهم اقول سعنا ان هذا يشكل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب ما افلت منه الا ابن الخطاب

او لا ابن الخطاب وسعد بن معاذ فانه يفيد ان العذاب لو وقع لا يعم وانه لا يصيب الا من اشار بالفدا وغيره ان من اشار بالفدا
غاية الامر انهم اختاروا غير الاصلح من الامرين واختيار غير الاصلح لا يقتضي العذاب على ان حل اخذ الفدا اعلم من واقعة عبد الله بن
جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي فانه اسر فيها عثمان بن المغيرة والحكم بن كيسان ولم ينكره الله تعالى وذلك قبل بدر بازيد من عام
الا ان يقال اراد الله تعظيم امر بدر لكثرة الاسارى فيها مع شدة نكايتهم في قتاله صلى الله عليه وسلم وفي المواهب كلام في الاية المذكورة يتامل
وقد روي فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما لولا اني لا اعذب من عصاني حتى اقدم اليه الحجة لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وعن الاعمش سبق منه
انه لا يعذب احد شهد بدرا ومن ثم جاء ان رجلا قال يا رسول الله ارايت عمي تاذن لي ان اضرب عنقه فقال انه
شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم والله اعلم ولا ينافي قتل سبعين منهم في قابل اي في احد
كون بعض الاسارى قد مات في الاسر ولم يوخذ فداه ومنهم مالك بن عبيد الله اخو طلحة بن عبيد الله فيكون بعضهم الملحق
من غير هذا الامر المنكور عدم قتل ولتلك السبعين الذين اسروا قال بعضهم اتفق اهل العلم بالسير على ان المخاطبين بقوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها انهم اهل احد اي قد اصبتم يوم بدر مثل من استشهد منكم يوم احد سبعين قتيلا وسبعين اسيرا والله اعلم وتواصت
قريش على ان لا يعجلوا في طلب فداء الاسارى لئلا يشتط عليهم محمد واصحابه في الفدا فلم يلتفت لذلك المطلب بن ابي وداعة السهمي بل خرج من
الليل خفية وقدم المدينة فاخذ اباه باربعة الاف درهم وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه لما راى ابا وداعة اسيرا ان له
له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكانكم به قد جاء في طلب فداء ابيه فكان اول اسير واسم ابي وداعة الحارث وذكر في الصحابة
قال الزبير بن بكار وهو الذي كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة اي والمشهور ان شريكه انما هو السائب الليثي قال فيه وقد
اسلم يوم الفتح وقد جعل الناس يثنون عليه انا اعلمكم به هذا شريكي نعم الشريك كان لا يداري ولا يماري وعند ذلك بعثت قريش
في فداء الاسارى وكان الفداء منهم على قدر اموالهم وكان من اربعة الاف الى ثلاثة الاف درهم الى الفين الى الف ومن لم يكن معه فداء اي
وهو يحسن الكتابة دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر الى المدينة
يسال النبي صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فقال صلى الله عليه وسلم لو كان الشيخ ابوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه و
في رواية لو كان مطعم حيا وكلمني في هولاء النفر وفي رواية في هولاء النتنى لتركتهم له لان المطعم كان اجار النبي صلى الله عليه وسلم
لما قدم من الطائف وكان ممن سعى في نقض الصحيفة كما تقدم ذلك وكان من جملة الاسارى عمرو بن ابي سفيان بن حرب اخو معاوية
اي اسره علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه فقيل لابي سفيان افد ابنك قال ايجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة يعني ابنه وهو
شقيق ام حبيبة ام المومنين وافدي عمرا دعوه في ايديهم يمسكونه ما بدا لهم فبينما ابو سفيان اذ وجد سعد بن النعمان اخو بني
عمرو بن عوف اي وقد قدم من المدينة معتمرا فعدي عليه ابو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبروه خبر سعد بن النعمان وسالوه ان يعطيهم ابا سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبعثوا به الى ابي سفيان فخلى سبيل سعد ولم يذكر عمرو وهذا يفيد اسلم من الاسارى والظاهر انه مات على شركه وكان
في الاسارى زوج بنت النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها نقلي وهو ابو العاص بن الربيع بكسر الموحدة وتشديد
الياء مفتوحة قال في الاصل ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي زوج ابنته على ما تقوله العامة اي ان ختن الرجل اقارب
زوجته مثل ابيها واخيها ومع ذلك لا ينبغي ان يقال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ختن ابي العاص ولا ختن علي لايهام
النقص وفي حفظي ان عند المالكية من قال له صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب او ختن حيدرة كان مرتدا وفي عبارة او بدل
الواو رواية او مبنية للمراد من رواية الواو ان ما قصد من اعتبار الجمعية ليس مرادا وحيدرة اسم علي رضي الله عنه و
ابو العاص اسلم بعد ذلك كما سياتي وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد اخت خديجة ام المومنين رضي الله تعالى عنها وابو

ولدها علي الذي اردفه صلى الله عليه وسلم خلفه يوم فتح مكة ومات مراهقا وابنتها امامة التي كان يحملها صلى الله عليه وسلم في الصلاة
اي وكان يحبها حبا شديدا فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهديت له هدية فيها قلادة من
جزع فقال لادفعنها الى احب اهلي الي فقال النساء ذهبت بها ابنة ابي قحافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم امامة بنت زينب
فعلقها في عنقها وتزوجها علي رضي الله عنه بعد فاطمة رضي الله عنها بوصية من فاطمة رضي الله تعالى عنها بذلك زوجها له الزبير بن
العوام وكان ابوها اوصى بها الى الزبير ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فماتت عنده وكان تزوجها
للمغيرة بوصية من علي رضي الله تعالى عنه فانه لما حضرته الوفاة قال لها اني لا امن ان يخطبك بعد موتي فان كان لك في الرجال حاجة
فقد رضيت لك المغيرة ابن نوفل عشيرا فلما انقضت عدتها ارسل معاوية الى مروان ان يخطبها عليه ويبذل لها مائة الف دينار
فلما خطبها ارسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل ارسل يخطبني فان كان لك حاجة فاقبل فخطبها من الحسن بن علي فزوجها
منه اي ولا يخالف ما تقدم ان المزوج لها الزبير بن العوام لانه يجوز انه يكون الحسن هو السبب في تزويج الزبير لها وبعثت زينب
في فداء زوجها ابي العاص بقلادة لها كانت لها من خديجة ادخلتها بها عليه حين بنى بها والجائي بها اخوه عمرو بن الربيع ولا يعلم له هذا اسلام
فلما راى تلك القلادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رايتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا لها
قلادتها فافعلوا فقالوا نعم يا رسول الله فاطلقوه وردوا عليها القلادة وشرط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلي سبيل زينب
اي يتركها تهاجر الى المدينة اي وقد كانوا اي كفار قريش مشوا اليه ان يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طلق ولدا ابي لهب
بنتي النبي صلى الله عليه وسلم قبل الدخول رقية وام كلثوم كما تقدم وقالوا له نزوجك اي امراة من قريش شئت فابى ذلك وقال والله ما افارق
صاحبتي وما احب ان لي امراة من قريش فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واثنى عليه بذلك خيرا اي وصل ابن العاص بكره
امرها باللحوق بابيها فخرجت وقد كان صلى الله عليه وسلم ارسل زيد بن حارثة ورجلا من الانصار فقال لهما كونا في بطن كذا المحل قريب
من مكة حتى يمر بكما زينب فتصحباها حتى تاتيا بها وقد ذكر ان اخوها كنانة بن الربيع اخو زوجها قدم لها بعيرا فركبته واخذ قوسه وكنانته ثم خرج
بها نهارا يقود بها في هودج لها وكانت حاملا فتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى ادركوها بذي طوى فكان اول من سبق اليها
هبار بن الاسود رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وروعها بالرمح وهي في الهودج فوقعت وطرحت حملها وفي رواية انه سبق اليها هبار ورجل
اخر يقال له نافع وقيل خالد بن عبد قيس ثم ان كنانة برك ونثر كنانته واخذ قوسه وقال والله لا يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما
فجاء اليه ابو سفيان في رجال من قريش وقال كف عنا نبلك حتى نكلمك ثم قال انك لم تصب في فعلك هذا انك خرجت بالمراة نهارا
على رؤوس الاشهاد وقد عرفت مصيبتنا التي كانت وما دخل علينا من محمد فيظن الناس اذا خرجت زينب علانية على رؤوس الناس من بين
اظهرنا ان ذلك عن ذل اصابنا وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمري ما لنا بحبسها عن ابيها من حاجة حتى اذا هدات الاصوات وتحدث الناس ان قد رددناها
فسر بها سرا فالحقها بابيها ففعل واقامت ليالي ثم خرج بها ليلا حتى اسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه وفي رواية انه صلى الله
عليه وسلم قال لزيد بن حارثة الا تنطلق فتجيئني بزينب قال بلى يا رسول الله قال فخذ خاتمي فاعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى
لقي راعيا فقال لمن ترعى فقال لابي العاص قال لمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال له هل لك ان اعطيك شيئا تعطيها
اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فاعطاه الخاتم فانطلق الراعي الى زينب فادخل غنمه واعطاها الخاتم فعرفته فقالت من اعطاك هذا
قال رجل قالت فاين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها زيد اركبي بين يدي
على بعيري قالت لا ولكن اركب انت بين يدي فركب وركبت خلفه حتى اتت المدينة وذلك بعد بدر بشهرين فكان صلى الله عليه
وسلم يقول زينب افضل بناتي اصيبت بي ومن العجب ان هذه العبارة ساقها الامام سراج الدين البلقيني في فتاويه في حق فاطمة
رضي الله تعالى عنها حيث قال وقد روى البزار في مسنده من طريق عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة

هي خير بناتي لانها اصيبت بي هذا كلامه ولينظر ما الذي اصيبت فاطمة بسببه صلى الله عليه وسلم وقد يقال اصابتها بسبب موته صلى الله
عليه وسلم في حياتها ثم رايت الحافظ ابن حجر اجاب بذلك حيث قال لانها رزئت بابيها فكان في صحيفتها اي فهو من اعلام نبوته
صلى الله عليه وسلم او ان قوله في زينب ما ذكر كان قبل ما وهب الله ما بشر بنته صلى الله عليه وسلم اي بعد فاطمة سوا في الفضل
او تفضيل بعضهن على بعض ولم يجب عن ذلك ولا مخالفة بين تزويج زينب الى زيد وتزويج حموها بها الى زيد بعد ان تاخر
هجرة زينب فليعلم الموقف في قول ابن اسحق اما بناته صلى الله عليه وسلم فكل هذا ادركن الاسلام واسلمن وهاجرن معه في الهجرة
وتقدم ما في قوله واسلمن وكون الجائي في فداء ابي العاص واخيه عمرو بن الربيع ويدل لذلك انه صلى الله عليه وسلم قال في هذه
القلادة ان رايتم ان تردوا لها اسيرها فاطلقوه ولم يقل اسيرها وكان في الاسارى سهيل بن عمرو العامري وتقدم انه كان من
اشراف قريش وخطبائها فقد سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش في الجاهلية فقال الاسود بن المطلب وسهيل بن عمرو وسئل عن خطبائهم
في الاسلام فقال معاوية بن ابي سفيان وابنه يعني يزيد وسعيد بن العاص وابنه يعني عمرو بن سعيد وعبد الله بن الزبير ولعل
هذا لا يخالف ما تقدم من قول الاصمعي الخطباء من بني مروان عتبة بن ابي سفيان اخو معاوية وعبد الملك بن مروان وقد اوثر عن
معاوية بعتبة اندماج الكلام في السمع مفصلة للفهم كما تقدم قال لعمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني انزع
ثنيتي سهيل بن عمرو ويدلع اي بالدال والعين المهملتين يخرج لسانه اي لانه كان اعلم والاعلم اذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام
فلا يقوم عليك خطيبا في موطن ابدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا امثل به فيمثل الله تعالى بي وان كنت نبيا وعسى
ان يقوم مقاما لا تذمه وكان كذلك فانه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد اكثر اهل مكة الرجوع عن الاسلام
حتى خافهم امير مكة عتاب بن اسيد رضي الله تعالى عنه وتوارى فقام سهيل بن عمرو خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت الم تعلموا
ان الله تعالى قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الايات وتلى ايات اخر ثم قال
والله اني اعلم ان هذا سيمتد امتداد الشمس في طلوعها وغروبها فلا يغرنكم هذا من انفسكم يعني ابا سفيان فانه ليعلم من هذا
الامر ما اعلم لكنه قد جثم على صدره حسد بني هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمات الله تامة وان الله سبحانه
وتعالى ناصر من نصره ومقوي دينه وقد جمعكم الله على خيركم يعني ابا بكر رضي الله عنه وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رايناه
ارتد ضربنا عنقه فتراجع وكفوا عما هموا به وعند ذلك ظهر اوضاهم به قول الرهاة فقال اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا
سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا في الاسارى الوليد بن الوليد اخو خالد بن الوليد رضي الله تعالى
عنه افتكه اخوه هشام وخالد فلما افتدي اسلم فعاتبوه في ذلك فقال كرهت ان يظن بي اني جزعت من الاسر ولما اسلم واراد
الهجرة حبسه اخواه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت كما تقدم ثم افلت ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم
في عمرة القضاء كما سياتي وكان في الاسارى السائب وهو الاب الخامس لامامنا الشافعي رضي الله عنه وكان صاحب
راية بني هاشم في ذلك اليوم اي التي كان في الحرب العقاب ويقال لها راية الرؤساء ولا يحملها الا رئيس القوم وكان لابي
سفيان او لبنيه مثله ولغيبة ابي سفيان في العير حملها السائب لشرفه وفدى نفسه واما ابنه الرابع الذي هو شافع الذي
ينسب اليه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه الذي هو ولد السائب فلقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع فاسلم
وكان في الاسارى وهب بن عمير رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك واسره رفاعة بن رافع وكان ابوه عمير شيطانا من
شياطين قريش وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمكة رضي الله عنهم فانه اسلم بعد ذلك فجلس
يوما مع صفوان بن امية رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه في الحجر فتذاكرا اصحاب القليب ومصابهم

فقال

فقال صفوان ما في العيش والله خير بعدهم فقال له عمير صدقت اما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال اخشى عليهم الضيعة بعدي
كنت آتي محمدا حتى اقتله فان لي فيهم ابنا اسيرا في ايديهم فاغتنمها صفوان وقال له علي دينك وانا اقضيه عنك قال اعيالك مع عيالي اواسيهم
ما بقوا قال له عمير فاكتم عني شاني وشانك قال افعل ثم ان عميرا اخذ سيفه وشحذه بالمهملة اي سنه وسمه اي وجعل فيه السم ثم
انطلق حتى قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين
اناخ راحلته على باب المسجد متوشحا بالسيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء الا لشر ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال صلى الله عليه وسلم فادخله علي فاقبل عمر رضي الله
عنه حتى اخذ بحمالة سيفه في عنقه والحمالة بكسر الحاء المهملة العلاقة فتسكه بها وقال لرجال ممن كان معه من الانصار
ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث غير مامون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر اخذ بحمالة سيفه في عنقه قال ارسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال عمير انعموا صباحا
وكانت تحية اهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية
اهل الجنة ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي في ايديكم يعني ولده وهبا فاحسنوا فيه قال فما بال السيف قال
قبحها الله من سيوف وهل اغنت عنا شيئا قال اصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال صلى الله عليه وسلم
بل قعدت انت وصفوان بن امية في الحجر فذكرتما اصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال لخرجت حتى اقتل محمدا فتحمل
لك صفوان دينك وعيالك على ان تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير اشهد انك رسول الله قد كنا نكذبك بما
تاتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا امر لم يحضره احد الا انا وصفوان فوالله اني لاعلم ما اتاك به الا الله
تعالى فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا السياق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا
اخاكم في دينه واقرئوه القران واطلقوا له اسيره ففعلوا ذلك ثم قال يا رسول الله اني كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الاذى
لمن كان على دين الله فانا احب ان تاذن لي فاقدم مكة فادعوهم الى الله والى الاسلام لعل الله يهديهم والا اذيتهم في دينهم كما
كنت اوذي اصحابك في دينهم فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة واسلم ولده وهب وكان صفوان حين خرج
عمير يقول ابشروا بوقعة تاتيكم الان تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسال عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره عن اسلامه فحلف
ان لا يكلمه ابدا وان لا ينفعه بنفع ابدا ولما قدم عمير لم يبدا بصفوان بل بدا ببيته واظهر الاسلام ودعى الى الله فبلغ ذلك صفوان
فقال قد عرفت حين لم يبدا بي قبل منزله انه قد انكس وصبا ولا اكلمه ابدا ولا انفعه ولا عياله بنافعة ثم ان عميرا وقف على صفوان
وناداه انت سيد من ساداتنا ارايت الذي كنا عليه من عبادة حجر والذبح له هذا دين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذي استامنه صلى الله عليه وسلم لصفوان كما سياتي وكان
في الاسارى ابو عزيز بن عمير اخو مصعب بن عمير لابيه وامه قال ابو عزيز مر بي اخي مصعب فقال للذي اسرني شد يديه فان
امه ذات متاع لعلها تفديه منك اي باربعة الاف درهم ففدته بها وكان في الاسارى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد
شدوا وثاقه فلم ياخذه صلى الله عليه وسلم نوم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال لانين العباس فقام رجل وارخى
وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم والذي اسره ابو اليسر كعب بن عمرو وكان دميما اي بالمهملة صغير الجثة والعباس جسيما طويلا فقيل
للعباس لو اخذته في كفك لوسعته كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر في عيني كالخندمة وهو جبل من جبال مكة اي حاملا اي
هذا هو الذي انتزع راية المشركين وكانت بيد ابي عزيز بن عمير قال في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم سال
كعبا وقال له كيف اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعانني عليه ملك كريم اي وفي رواية ان العباس لما قيل له ما تقدم قال

والله ان هذا ما اسرني لقد اسرني رجل اجلح من احسن الناس وجها على فرس ابلق ما اراه في القوم فقال الذي جاء به والله انا الذي اسرته يا رسول الله
فقال اسكت فقد ايدك الله بملك كريم ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا يوم بدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا
فكساه عبد الله بن ابي سلول قميصه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس اربعمائة اوقية وفي رواية مائة اوقية وفي رواية اربعين
اوقية من ذهب وفي رواية جعل على العباس ايضا فداء عقيل ونافلة ثمانين اوقية اي وجعل عليه فداء ابن اخيه نوفل بن الحارث
ابن عبد المطلب وحليفه عتبة بن عمرو وفدى نفسه بمائة اوقية وكل واحد باربعين اوقية وسياق ما يدل على انه فدى نفسه وابن اخيه عقيل
فقط وقال للنبي صلى الله عليه وسلم تركتني فقير قريش ما بقيت وفي لفظ تركتني اسال الناس بكفي فقال له رسول الله صلى الله عليه و
سلم فان المال الذي دفعته لام الفضل يعني زوجته وقلت لها ان اصبت فهذا لبني الفضل وعبد الله وقثم وفي كلام ابن قتيبة للفضل
كذا ولعبد الله كذا والله اني اعلم انك رسول الله ان هذا شيء ما علمه الا انا وام الفضل زاد في رواية وانا اشهد ان لا اله الا
الله وانك عبده ورسوله وفي رواية ان العباس قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد تركتني فقير قريش ما بقيت فقال له كيف تكون
فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب ام الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفي رواية اين المال الذي
دفنته انت وام الفضل فقال اشهد ان الذي تقول لقد كان وما اطلع عليه الا الله وتقدم عن ابي رافع مولى العباس ان العباس وزوجته
ام الفضل كانا مسلمين بل تقدم انها اول امرأة اسلمت بعد خديجة وكانا يكتمان اسلامهما وان ابا رافع كان كذلك وتقدم ان اسلام
العباس انه جاء في بعض الروايات ان العباس قال علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين اي وفي رواية كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما تقول ان يك حقا فالله يجزيك ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا وقد انزل الله تعالى يا ايها النبي
قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي ايمانا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي من الفداء الايات فقد قال اي عند نزول
الايات قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم لوددت انك كنت اخذت مني اضعافا فقد اتاني الله خيرا منها مائة عبد وفي لفظ اربعين
عبدا كل عبد في يده مال يضرب به اي يتجر فيه واني لارجو من الله المغفرة اي وهذا القول من العباس يدل على تاخر نزول هذه الايات
وجاء ان العباس خرج لبدر ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم
ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فابى وقال اما شيء خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك وجاء في بعض الروايات ان العباس لما
اسر توعدت طائفة من الانصار على قتله فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لم ارقد الليلة من اجل عمي العباس وقد زعمت
الانصار انهم قاتلوه فاتى عمر الانصار فقال لهم ارسلوا العباس فقالوا والله لا نرسله فقال لهم عمر فان كان لرسول الله صلى الله عليه و
سلم رضى فخذه فاخذه عمر فلما صار في يده قال له يا عباس اسلم فوالله لئن تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب اي وفي اسباب
النزول للواحدي لما اسر العباس يوم بدر اقبل المسلمون عليه يعيرونه بكفره بالله وقطيعة الرحم واغلظ علي كرم الله وجهه القول فقال له العباس
ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي الكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل
الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الاية وجاء انه قال للمسلمين لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام
ونسقي الحاج فانزل الله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر الاية وذكر بعضهم ان العباس كان رئيسا
في قريش واليه عمارة المسجد الحرام وكان لا يدع احدا يسب في المسجد ولا يقول فيه هجرا والتشبيب في رقيق الشعر بذكر النساء والهجر الكلام الفاحش
فكانت قريش اجتمعت وتعاقدت على تسليم ذلك للعباس وكانوا عونا له على ذلك ومن ثم قيل في العباس هذا والله هو الشرف يطعم الجائع
ويؤدب السفيه فان كان لفقراء بني هاشم وقيل وسوطه معد لسفهائهم واذا كان ذلك لسفهاء بني هاشم فلسفهاء غيرهم بطريق الاولى والظاهر
ان ذلك لا يختص بكونهم في المسجد لما تقدم يدل عليه الرواية الاولى ولا ينافي هذا اي قول عمر له اسلم الخ ما تقدم عن مولاه ابي رافع من ان
العباس كان مسلما ومن قوله صلى الله عليه وسلم انه كان مسلما ومن اتيانه بالشهادتين عنده صلى الله عليه وسلم فقط ولم يعلم به عمر

ولم يظهر

ولم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم اسلام العباس رفقا به لما تقدم ان العباس كان له ديون متفرقة في قريش وكان يخشى ان اظهر اسلامه
ضاعت عندهم ومن ثم لما قدم الاسلام يوم فتح مكة اظهر اسلامه اي فلم يظهر اسلامه الا يوم فتح مكة وكان كثيرا ما يطلب الهجرة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيكتب له النبي صلى الله عليه وسلم مقامك بمكة خير لك اي وفي رواية استاذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم
في الهجرة فكتب اليه يا عم اقم مكانك الذي انت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة فكان كذلك وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قال لابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب افد نفسك يا نوفل قال ما لي شيء افدي به نفسي قال افد نفسك من مالك الذي بجدة وفي لفظ
بارماحك التي بجدة فقال اشهد انك رسول الله والله ما احد يعلم ان لي بجدة ارماحا غير الله ففدى نفسه ولم يفده العباس و
يدل لذلك ما رواه البخاري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بمال من البحرين اي من خراجها فقال انثروه في المسجد فكان
اكثر مال اتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كان مائة الف وكان اول خراج حمل اليه صلى الله عليه وسلم وكان ياتي
في كل سنة ولا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم لجابر لو قد جاءنا مال البحرين اعطيتك فلم يقدم مال البحرين حتى توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان المراد انه لم يقدم في تلك السنة فلما انتثر ذلك في المسجد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلوة ولم يلتفت اليه
فلما قضى الصلوة جاء فجلس اليه فما كان يرى احدا الا اعطاه فجاءه العباس فقال يا رسول الله اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا
اي ولم يفد نوفلا ولا حليفه عتبة بن عمرو فقال له خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال بعضها يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت
علي قال لا فنثر منه ولا زال يفعل كذلك حتى بقي ما يقدر على رفعه فرفعه على كاهله اي بين كتفيه ثم انطلق وهو يقول انما اخذ
ما وعد الله فقد انجز فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره عجبا من حرصه حتى خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن على نفر من
الاسارى بغير فداء منهم ابو عزة عمرو الجمحي الشاعر كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يا رسول الله اني فقير
ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وفي رواية قال له اني لي خمس
بنات ليس لهن شيء فتصدق بي عليهن ففعل واعتقه واخذ عليه ان لا يظاهر عليه احدا اي ولما وصل الى مكة قال سحرت محمدا ثم
يوم احد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فاسر وقتل صبرا وحملت راسه الى المدينة كما سياتي فعلم ان اسرى بدر منهم من فدى
ومنهم من خلي سبيله بغير فداء وهو ابو العاص وابو عزة ووهب بن عمير ومنهم من مات ومنهم من قتل وهو النضر بن الحارث وعقبة
بن ابي معيط كما تقدم ولما بلغ النجاشي نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا فعن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه
ان النجاشي ارسل اليه والى اصحابه الذين معه بالحبشة ذات يوم فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا اثوابا خلقة
فقالوا ما هذا ايها الملك فقال لهم اني ابشركم بما يسركم انه جاءني من نحو ارضكم عين فاخبرني ان الله قد نصر نبيه واهلك عدوه
فلان وفلان التقوا بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت ارعى فيه غنما لسيدي من بني ضمرة فقال جعفر ما لك جالس على التراب عليك
هذه الاخلاق قال انا نجد فيما انزل الله على عيسى ان حقا على عباد الله ان يحدثوا لله عز وجل تواضعا عندما احدث لهم نعمة وفي رواية
كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا احدث له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما احدث الله تعالى نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم
احدثت هذا التواضع وفي رواية انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا احدث لعبده نعمة عظيمة الحديث قال ولما
اوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستاصل وجوههم قالوا ان ثارنا بارض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده
من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فنقتلهم بمن قتل منا فارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة رضي الله عنهما فانهما
اسلما بعد ذلك الى النجاشي ليدفع اليهما من عنده من المسلمين فارسلوا معهما هدايا للنجاشي فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث الى النجاشي عمرو بن امية الضمري بكتاب يوصيه فيه على المسلمين انتهى وفي الاصل هنا ما يوافقه وفيه ان عمرو بن امية
لم يكن اسلم حينئذ لانه كما في الاصل شهد بدرا واحدا مع المشركين واول مشهد شهده مع المسلمين بئر معونة واسر في ذلك

ناحية وانعن كان ذلك في سنة اربع كما سيأتي فلما وصل عمرو وعبد الله الى النجاشي ردهما خايبين انتهى اقول عن عمرو بن العاص رضي الله عنه
قال دخلت على النجاشي فقلت نعم ايها الملك اهديت لك ادما كثيرا ثم قربته اليه رحمه الله تعالى فاعجبه وفرق منه اشياء بين بطارقته
وامر بسايره فادخله في موضع وامر ان يكتب ويحتفظ به قال فلما رايت طيب نفسه قلت ايها الملك اني رايت رجلا خرج من عندك يعني
عمرو بن امية الضمري وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل اشرافنا وخيارنا فاعطنيه فاقتله فغضب ثم رفع يده فضرب بها انفه
ظننت انه قد كسره وقد جعل يتقي بثوبه الدم منه وعند ذلك قال عمرو فما بي من الذل ما لو انشقت لي الارض لدخلت فيها فرقا
منه ثم قلت ايها الملك لو ظننت انك تكره ما قلت ما سالتك فقال يا عمرو تسالني ان اعطيك رسول رجل ياتيه الناموس الاكبر الذي
كان ياتي موسى والذي كان ياتي عيسى بن مريم لتقتله قلت وتشهد انت ايها الملك انه رسول الله فقال نعم اشهد انه رسول الله
اشهد بذلك عند الله يا عمرو فاطعني واتبعه فو الله انه لعلى الحق قلت افتبايعني له على الاسلام قال نعم فمد يده فبايعته على الاسلام
ثم خرجت الى اصحابي وقد كسا ثيابا او كسوة الملك سروا بذلك وقالوا الراي ما رايت وفرقتهم وهذا يدل على انه كان معه
عبد الله جماعة اخرين من قريش ويحتمل انه عني باصحابه عبد الله بن ربيعة ويؤيد الاول ما ياتي فلما اتيتهم وكان احد الرعاية فعمدت الى موضع
السفن فوجدت سفينة قد شحنت فركبت معهم ودفعوها من ساعتهم حتى انتهوا الى الشعيبة وهو محل معروف كان مرسى سفن الحبشة اي كانت
ترسي به السفن قبل دخول جده كما تقدم فخرجت من السفينة فابتعت بعيرا وتوجهت الى المدينة حتى اذا كنت بالهداة اسم محل اذا
رجلان وهما خالد بن الوليد وعثمان بن ابي طلحة فصحباني واذا هما يريدان النبي فتوجهنا الى المدينة فقد علمت ما في ارسال عمرو بن
امية الى النجاشي عقب وعقبه بدر من انه كان في ذلك الوقت كافرا لانه شهد مع الكفار احدا ومن ثم قال في الاصل هنا فلما كان
شهر ربيع الاول وقيل المحرم سنة سبع اي وقيل سنة ست حكاه ابن عبد البر عن الواقدي من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي كتابا يدعوه فيه الى الاسلام وبعث به عمرو بن امية الضمري فلما قرئ عليه الكتاب اسلم رحمه
الله وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه ام حبيبة ففعل وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه من
بقي عنده من اصحابه ويحملهم ففعل وقد تقدم القول عند ذكر الهجرة الى ارض الحبشة ان توجه عمرو بكتابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المحرم سنة سبع يدعوه في احدهما الى الاسلام والثاني في تزويجه عليه الصلاة والسلام ام حبيبة وقيل ارسال عمرو كان في شهر ربيع
الاول وسياتي ذكر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي في تلك السنة التي هي سنة سبع مع عمرو عند ذكر كتبه عليه الصلاة والسلام الى الملوك
هذا كلام الاصل فليتامل ما فيه ثم رايت صاحب النور قال قد رايت غير واحد صرح بان النجاشي اسلم في السنة السابعة يعني من الهجرة
وهذا ينكر عن سقطه واسلامه عند ارسال عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة عقب بدر حيث قال انا اشهد انه رسول الله الى ان قال فقد
هذا الكلام فكيف يكون ارسال عمرو بن امية الى النجاشي ليسلم وقد يجاب بان المراد اظهار اسلامه اي بعث لعمرو بن امية لاجل ان يظهر اسلامه
اي بعث لعمرو بن امية لاجل ان يظهر اسلامه ويعلن به بين قومه لانه كان يخفي اسلامه عن قومه لما بلغ قومه انه اعترف بان عيسى صلوات الله
وسلامه عليه عبد الله ورسوله وذلك حين قال جعفر بن ابي طالب على ذلك سخطوا عليه وقالوا انك فارقت ديننا واظهروا له المخاصمة فارسل النجاشي الى جعفر
واصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما انتم فان هزمت فاذهبوا حيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ثم عمد الى كتاب فكتب هو يشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويشهد ان عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم ثم جعله في قبائه عند منكبه الايمن
وخرج الى الحبشة وقد صفوا له فقال يا معشر الحبشة الست احق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رايتم سيرتي فيكم قالوا خير سيرة قال
فما بالكم قالوا فارقت ديننا وزعمت ان عيسى عبده قال فما تقولون انتم في عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال النجاشي ووضع يده على
صدره على قبائه وقال هو يشهد ان عيسى بن مريم لم يزد على هذا وانما يعني ما كتبه فرضوا منه بذلك وتركوه ذكر ان عليا رضي الله عنه وجد
ابن النجاشي عند تاجر بمكة فاشتراه منه واعتقه مكافاة لما صنع ابوه مع المسلمين وكان يقال له نيزر مولى علي كرم الله وجهه وقيل ان الحبشة

لما بلغهم خبره ارسلوا وفدا منهم اليه ليملكوه ويتوجوه ولم يختلفوا عليه فرده قال ما كنت لاطلب الملك بعد ان من الله علي بالاسلام على ان
ابن الجوزي ذكر ان ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشي كان عقب منصرفه مع قريش في غزوة الاحزاب اي لا عقب بدر فعن عمرو بن العاص رضي الله
عنه لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يعرفون مكاني ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله اني لارى امر محمد
صلى الله عليه وسلم يعلو الامور علوا منكرا واني قد رايت رايا فما ترون فيه قالوا وما رايت قال ان نلحق بالنجاشي فنكون عنده فان ظهر محمد
صلى الله عليه وسلم على قومنا كنا عند النجاشي فانا ان نكون تحت يديه احب الينا ان نكون تحت يدي محمد صلى الله عليه وسلم وان ظهر قومنا فنحن من
قد عرفوا فلن ياتينا منهم الا خير فقالوا ان هذا هو الراي فقلت اجمعوا ما نهديه له وكان احب ما يهدى اليه من ارضنا الادم فجمعنا الادم كثيرا ثم
خرجنا اليه فو الله انا لعنده اذ جاءه اخاه عمرو بن امية الضمري بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان جعفر واصحابه رضي الله
تعالى عنهم الحديث وهذا لا يمنع ان يكون عمرو بن العاص وفد على النجاشي هو وعبد الله بن ربيعة عقب بدر فيكون وفود عمرو بن العاص
على النجاشي كان ثلاث مرات مرة مع عمارة عقب مهاجرة من هاجر الى الحبشة ومرة مع عبد الله بن ربيعة عقب بدر وهذه المرة الثالثة
التي كانت عقب الاحزاب وان ارسال عمرو بن امية واسلام عمرو بن العاص على يد النجاشي كان في هذه المرة الثالثة التي كانت عقب
الاحزاب وان ارسال عمرو بن امية واسلام عمرو بن العاص على يد النجاشي كان في هذه المرة الثالثة وحينئذ لا يشكل ارسال عمرو بن امية
للنجاشي لانه كان مسلما حينئذ فيكون ذكر مجيء عمرو بن امية الى النجاشي في المرة الثانية التي كانت عقب بدر اشتباه من بعض الرواة وكذا ذكر
اسلام عمرو بن العاص على يد النجاشي في هذه المرة الثانية من تخليط بعض الرواة ثم رايته في الامتاع قال وقد رويت قصة الهجرة الى الحبشة
واسلام النجاشي من طرق عديدة مطولة ومختصرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل عمرو بن امية الضمري في اموره لانه كان من
رجال النجدة ومعلوم انه كان لا يرسله الا بعد اسلامه وقد علمت انه كان في سنة اربع وفي الاصل انه كان صلى الله عليه وسلم ارسله
الى مكة بهدية الى ابي سفيان ابن حرب اي ولعل المراد بها ما حكاه بعض الصحابة قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
اراد ان يبعث الى ابي سفيان بمال يقسمه في قريش بمكة بعد الفتح وقال التمس صاحبا قال فجاءني عمرو بن امية فقال بلغني انك تريد
الخروج الى مكة وتلتمس صاحبا قلت اجل قال فانا لك صاحب قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد وجدت صاحبا فقال
من فقلت عمرو بن امية الضمري فقال اذا هبطت بلاد قومه فاحذره فانه قد قال القائل اخوك البكري ولا تامنه وقد اسلم عبد الله
ولده قبل ابيه عمرو بن العاص رضي الله عنه وعنه انه صلى الله عليه وسلم قال فيهما وفي ام عبد الله نعم البيت عبد الله وابو عبد الله
وام عبد الله وكان صلى الله عليه وسلم يفضل عبد الله على ابيه لانه كان من عباد الصحابة رضي الله تعالى عنهم وزهادهم
وفضلائهم وعلمائهم ومن اكثرهم رواية وعن ابن مرزوق ان ابن عمر رضي الله عنهما مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه
يا عبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من
المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني في الاوسط زاد السيوطي في الخصائص فاتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال اوقد رايته قلت نعم قال ذاك عدو الله ابو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة واخرج
ابن ابي الدنيا والبيهقي عن الشعبي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني مررت ببدر فرايت رجلا يخرج من الارض
فيضربه رجل بمقمعة حديد وفي لفظ بعمود من حديد حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذاك ابو جهل يعذب الى يوم القيامة ومما جاء في فضل من شهد بدرا ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ما تعدون اهل بدر فيكم قال من افضل المسلمين او كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من شهد
بدرا من الملائكة وفي رواية ان الملائكة الذين يشهدون بدرا في السماء افضل على من تخلف منهم وجاء بعض الصحابة
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابن عمي نافق اي عقد كان من اهل بدر اتاذن لي ان اضرب عنقه

فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وعسى ان يكون عنه وفي رواية وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم قال وفي الطبراني بسند جيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم او قال فقد وجبت لكم الجنة اي غفرت لكم ما مضى وما سيقع من الذنوب اي وهو
بعيد ان ما يقع منهم من الكبائر لا يحتاجون الى التوبة عنه لانه اذا وقع يقع مغفورا وعبر فيه بالماضي مبالغة في تحققه وهذا
كما لا يخفى بالنسبة للآخرة بالنسبة لاحكام الدنيا ومن ثم لما شرب قدامة بن مظعون الخمر في ايام عمر رضي الله عنه حده
وكان بدريا اي وقد يقال هذا يقتضي وجوب التوبة في الدنيا واذا لم يقع لا يؤخذ بذلك في الآخرة لان وجوب التوبة من
احكام الدنيا لا يقال انا اسلم ان الذنب اذا وقع منهم يقع مغفورا لا نعني بوجوب التوبة وانما حده عمر رضي الله عنه بدا امه
رضي الله عنه زجر عن شرب الخمر لانا نقول بل لوجوب التوبة في الدنيا معنى وان كان الذنب اذا وقع يقع مغفورا لان المراد
بذلك عدم المؤاخذة في الآخرة وذلك لا ينافي وجوب التوبة عنه في الدنيا لانه لا تلازم بين وجوب التوبة في الدنيا وبين غفران الذنب
في الآخرة هذا وفي الخصائص الصغرى نقلا عن شرح جمع الجوامع ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم لا يفسقون بارتكاب ما يفسق
به غيرهم وقدامة هذا كان متزوجا اخت عمر رضي الله عنهما وكان عمر متزوجا باخت قدامة سكر قال واني رايت حدا من حدود الله تعالى
حقا علي ان ادفعه اليك فقال له عمر من يشهد معك قال ابو هريرة فشهد ابو هريرة انه راه سكران اي قال لم اره يشرب
ولكن رايته سكران يقيء فحضر قدامة فقال له الجارود اقم عليه الحد فقال عمر اخصم انت ام شاهد فصمت ثم عاوده فقال له عمر لتمسكن
او لاسوءنك فقال ليس في الحق وفي لفظ اما والله ما ذلك بالحق ان يشرب ابن عمك وتسوءني فارسل عمر الى زوجة قدامة ابنة الوليد
ان قال له ابو هريرة ان كنت تشك في شهادتنا فارسل الى ابنة الوليد يعني زوجته فشهدت على زوجها بانه سكر فقال عمر
لقدامة اريد ان احدك فقال ليس لك ذلك لقول الله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فقال اخطأت
اخطأت التأويل فان بقية الآية اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات فانك اذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله تعالى عليك ثم
امر بحده فغاضبه قدامة ثم حجا جميعا فبينا هم يوم استيقظ عمر من نومه فزعا فقال عجلوا بقدامة انا اتاني آت فقال صالح قدامة فانه اخوك فاصطلحا
اي واحتج بهذه الآية جمع من الصحابة شربوا الخمر ابو جندل وضرار بن الخطاب وابو الازور فاراد ابو عبيدة وهو وال بالشام ان يحدهم فقال
ابو جندل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وعملوا الصالحات فكتب ابو عبيدة رضي الله تعالى عنه الى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك وقال خصمني ابو جندل بهذه الآية فكتب عمر لابي عبيدة ان الذي زين لابي جندل الخطيئة
زين له الخصومة فحدهم فلما اراد ابو عبيدة ان يحدهم فقال ابو الازور لابي عبيدة دعنا نلقى العدو غدا فان قتلنا فذاك وان
رجعنا اليكم فحدونا فلقوا العدو فاستشهد ابو الازور وحد الآخران وفي حواشي البخاري للحافظ الدمياطي ان نعيمان كان ممن شهد
بدرا وسائر المشاهد وانه اتي في شرب الخمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحده اربعا او خمسا اي من المرات فقال رجل من القوم
اللهم العنه ما اكثر ما يشرب واكثر ما يحد فقال عليه الصلاة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ولعل هذا التعليل لا ينافي
لمفهوم [illegible] وعند الامام احمد عن حفصة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لارجو ان لا يدخل
النار ان شاء الله تعالى احد شهد بدرا والحديبية ولعل الواو بمعنى او ويدل لذلك ما في بعض الروايات عن جابر بن عبد الله رضي
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة ولا ينافي ما في مسلم والترمذي عن جابر
ان عبدا لحاطب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا اليه فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال
كذبت لا يدخلها لانه شهد بدرا والحديبية لانه يجوز ان يكون ذلك لكونه اي الجمع بين بدر والحديبية هو الواقع لحاطب
في الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر والذي نفسي بيده

لو ان

لو ان مولودا ولد في فقه اربعين سنة من اهل الدين يعمل بطاعة الله تعالى كلها ويجتنب معاصي الله كلها الى ان يرد الى ارذل
العمر او يرد الى ان لا يعلم بعد علم شيئا لم يبلغ احدكم هذه الليلة وكان صلى الله عليه وسلم يكرم اهل بدر ويقدمهم على غيرهم
ومن ثم جاء جماعة من اهل بدر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في صفة ومعه جماعة من اصحابه فوقفوا بعد ان اسلموا
ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من اهل بدر من الجالسين قم يا فلان بعدد
الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجه من اقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية فجعلوا
يقومون لهم بعد ذلك اي ولعل المراد ويجلسونهم مكانهم وفي الخصائص الصغرى اهل بدر من اصحابه بان يزاد في الجنازة
على اربع تكبيرات تمييزا لهم لفضلهم ويذكر ان عمر بن عبد العزيز بن مروان كان يختلف الى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه فبلغ
عبيد الله ان عمر ينتقص عليا رضي الله تعالى عنه فاتاه عمر فاعرض عنه عبيد الله وقام ليصلي فجلس عمر رضي الله تعالى عنه ينتظر فلما
سلم اقبل عليه وقال له متى بلغك ان الله سخط على اهل بدر بعد ان رضي عنهم ففهمها عمر رضي الله تعالى عنه الاول وقال معذرة
الى الله واليك والله لا اعود فما سمع بعد ذلك يذكر عليا رضي الله
تعالى عنه الا بخير تمت الجزء الاول من السيرة الحلبية

ويليه [illegible] الكمال والحمد لله
على [illegible]
وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله [illegible]
وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا
[illegible]